الكتاب الأحمر







كارل غوستاف يونغ

ترجمة: متيّم الضايع - رنا بشّور

كتاب Kitab



كارل غوستاف يونغ

الكتاب الأحمر

ترجمة: متيم الضايع – رنا بشور



تم إصدار هذا الكتاب بدعم من برنامج "أضواء على حقوق النشر" في أبو ظبي

this edition has been produced with a subsidy by the Spotlight on Rights programme in Abu Dhabi.

دار الحوار

الكتاب الأحمر

الكتاب: الكتاب الأحمر

المؤلف: كارل غوستاف يونغ

المترجم: متيم الضايع – رنا بشور

الطبعة الأولى: نيسان/ أبريل 2015

يتضمن هذا الكتاب الترجمة الكاملة للنص الإنكليزي:

THE RED BOOK = Liber Novus

By Carl Gustav Jung

PHILEMON SERIES

A Publication in arrangement with the foundation of the works of C. G. Jung

WWW. Norton & company

New York. London>

****

ISBN 978-9933-523-36-7

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار

دار الحوار للنشر والتوزيع www.daralhiwar.com
اللاذقية، سورية، هاتف وفاكس: ص. ب 1018 +963 41 422 339

البريد الإلكتروني daralhiwar@gmail.com
info@daralhiwar.com

مقدمة الترجمة العربية

نسخة القارئ العربي

متيم الضايع - رنا بشور

أخيراً رأى الكتاب الأحمر النور.

بعد ست عشرة سنة من عمل كارل غوستاف يونغ على هذا الكتاب، وبعد ما يقارب خمسين عاماً من وفاته، وفي العام 2009، ظهرت النسخة الكاملة "طبق الأصل" من هذا الكتاب على شكلٍ مجلّد مكتوب بخطّ فني ومجلّد بغلاف أحمر أنيق، مزوّداً باللوحات والمخطوطات التي كان يونغ قد رسمها بما يتلاءم مع أخيولاته. وفي العام 2012 ظهرت "نسخة القارئ"، باللغة

الألمانية والإنكليزية، وهي تحتوي على النصّ الكامل للكتاب الأصلي بعد إزالة الرسومات والمخطوطات.

ليس الكتاب الأحمر كتاباً عادياً يشبه بقيّة الكتب الأدبية أو النفسية، كما أنه لا يشبه أياً من كتب يونغ نفسها، إنه عمل في علم النفس ضمن إطار أدبي.

منذ بداية الحرب العالمية الأولى، وفي ذروة تطوّر البشرية نحو التقدم العلمي والصناعي وما تلاها من حروب واستبداد وتملّك وسيطرة، وفي ذروة توجّه الإنسانية نحو الحياة الاستهلاكية والصراعات الطبقية، وتوجّه الإنسان نحو الخارج ومحاولته إلقاء اللوم على الآخر، أدرك يونغ أن المشكلة تبدأ في داخل الإنسان وتنتهي فيه، وأن اللاوعي ليس مادة خاملة، بل هناك من يعيش في تلك الأعماق، وهكذا، تحوّل إلى أعماقه باحثاً عن تشخيص مُقنِع لما أصبح الإنسان عليه.

إن ما يجعل هذا الكتاب مختلفاً عن غيره، هو أنه لم يطرح مشكلة أو حلاً لمشكلة، ولم يقدّم محاضرة ولا عِظة يمكن للقارئ أن يتبنّاها أو يعمل عليها لحل مشكلته، وإنما قام بدراسة معمّقة على نفسه واعتبرها طريقاً خاصاً به، لم يتبع عبرها شخصاً آخر، ولا ينصح أحداً بأن يتبعه عبرها، بل يمكن للمرء من خلالها أن يراقب ويرى ويخلق طريقه الخاص بنفسه ولنفسه. لكن ما انتهى إليه في نهاية المطاف، هو أن الحياة تقوم على المتناقضات، وأن فيها الأبيض والأسود، والعيش والموت، والخير والشرّ، وأن الإنسان مخلوق على هذا الأساس وليس عليه أن يقبل أن السواد والشرّ والموت أمور موجودة فيه فقط، بل أن يحبّها ويتعامل معها كما يتعامل مع نقيضها.

لا نريد إطالة الشرح عن يونغ وأعماله فهو غنيّ عن التعريف، وقد استفاضت مقدمة الترجمة الإنكليزية بشرح ما يمكن شرحه عن يونغ وأعماله الأخرى، إضافة إلى ما عاناه المترجمون من صعوبات لنقل هذا

الكتاب من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنكليزية، لكننا نودّ هنا أن نقدّم بعض الملاحظات التي تخص هذه النسخة العربية:

1- إن الكتاب الأحمر عبارة عن مخطوطة غير منتهية، ويمكن ملاحظة ذلك من صفحته الأخيرة وصفحة الخاتمة التي انتهت بجملة غير منتهية. وهذا ما أثار إشكالاً بعد وفاته حول اتخاذه القرار بنشر هذا المخطوط، أم أنه أراد الاحتفاظ به كتجربة شخصية لا تخصّ الآخرين، وإن كان قد قرر نشره فكيف سيكون الشكل النهائي له؟

2- يظهر في الكتاب الأول وصفٌ للروح، بالإضافة إلى روحٍ هذا الزمنِ وروح الأعماق وقد تمت مخاطبتها بصيغة المذكّر حيناً والمؤنث حيناً آخر. ولا بدّ من توضيح الفكرة هنا:

يعتبر يونغ أن الروح تمتلك الخصائص التي تكمّل (الشخصية القناع) أو الدور الذي يمثّله المرء خلال حياته، وتحتوي الروح على الخصائص التي يفتقدها الموقف الواعي للمرء، ويُمكن أن نعبّر عنها بما أسماه يونغ (الأنيما و الأنيموس وتعني القرين والقرينة)، ولذلك فإن للرجل روحاً مؤنثة وهي (قرينة الرجل) وللمرأة روحاً مذكّرة وهي (قرين المرأة)، وبما أن يونغ كان يتحدث إلى روحه الخاصة، فقد تمت مخاطبة الروح بصيغة المؤنث.

يتحدث يونغ إلى الجزء العقلاني منه وقد أسماه (روح هذا الزمن) وهي الشخصية التي تمثل كل شيء عقلاني، إنها تصف التلميذ الذي يقرأ الروايات في مدينة بازل، والذي يرغب بدراسة العلوم الطبيعية، أما الشخصية الأخرى فهي (روح الأعماق) وتمثّل كل ما هو روحاني، وهي تصف تأملاته الدينية في حالة من التوحّد مع الطبيعة والكون، وهي ترغب بدراسة العلوم الإنسانية. وفي الحالتين تتم الإشارة إليهما بصيغة المذكر.

3- وكما أشرنا في بداية المقدمة، فإن هذا الكتاب هو نسخة كاملة عن (نسخة طبق الأصل) الأساسية بعد حذف الصور والمخطوطات التي كان يونغ يعمل عليها، وهناك إشارة إلى موقع كل صورة في الكتاب، كما أن هناك تعليقات على البعضٍ منها، وقد قررنا حذف الإشارات إلى الصور التي لا تحمل تعليقاً واضحاً لأنها لا تقدّم أي فائدة للقارئ العربي.

4- سيرى القارئ أنه تمّت العودة في هذا الكتاب إلى الكثير من المصادر التي كان يونغ يعمل عليها مثل مجموعة الكتب السوداء، والمجلد المكتوب بخط فنيّ وغيرها، وأن هناك بعض الهوامش تحتوي على سطور تم شطبها وتصحيحها بقلم يونغ وهي تشير إلى أنه حذف هذه العبارة بعد أن كتبها أو أنه قام بتعديلها في سطر آخر. وقد قٍررنا حذف العبارات المشطوبة مع المحافظة على المعنى، وأذكر مثالاً على ذلك:

" دخل الضيف ~~المعتزل~~ (الغرٍيب) إلى روحي. لكن حياتي المخضرّة غمرتني. (ولهذا تجوّلت متّبعاً طبيعة الماء). ~~نمت العزلة وامتدت حولي. أنا لم أكن أعرف إلى أي حدّ لم تكن العزلة محدودة، وتجولت ونظرت. أردت إدراك أعماق العزلة ومضيت بعيداً حتى مات آخر صوت للحياة" (الصفحة 235)~~".

ولن يخفى على القارئ الإكراهات التي ربما تكون هذه الترجمة قد أخذتها بعين الاعتبار أحياناً.

الكتاب الأحمر

نسخة القارئ: كارل يونغ

كانت تلك السنوات التي حدثتكم عنها، حيث كنت أتعقب الصور الداخلية، أهمّ وقت في حياتي. يمكن اشتقاق كل شيء منها. بدأ الأمر في ذلك الوقت، ولم تعد التفاصيل اللاحقة تهمّ كثيراً. تتألف حياتي كلها من إسهاب ما انفجر من اللاوعي، وغمرني كجدول غامض، وهدّد بتحطيمي. كانت تلك المواد تكفي لأكثر من عمر واحد. كل ما حدث لاحقاً، كان مجرّد تصنيف خارجي وإسهاب علمي، ودمج لها في الحياة. لكن البداية الخارقة للطبيعة، التي احتوت كل شيء، كانت حينها.

كارل يونغ، 1957

مقدمة نسخة القارئ:

ألريتش هورني

مؤسسة أعمال كارل غوستاف يونغ

مرّ أكثر من عقد من الزمن، منذ أن اتخذت جمعية ورثة كارل غوستاف يونغ السابقة، القرار بإصدار الكتاب الأحمر للنشر. طال التفكير في نوع الجمهور الذي سيوجّه إليه هذا الكتاب المتعدد الطبقات: قراء محترفون للأعمال المتعلقة بتاريخ علم النفس؟ القارئ العادي؟ الناس المستقبلون بصرياً والذين يهتمون بالصور؟ محبّو علم الخط؟ جامعو الكتب الجميلة؟ أيَّ مظاهر يجب أن يقدمها المنشور من ناحية الشكل والتصميم؟

لم يكن من السهل الإجابة على هذه الأسئلة، لأنه منذ الظهور الفعلي للأصل الثمين، بدا أنه يحتوي على رسالة. وقد تمت مناقشة الكثير من الاقتراحات ورفضها. وكانت مؤسسة (دبليو دبليو نورتون) للنشر، قد وجدت الحل المناسب في النهاية: نسخة كاملة طبق الأصل، تم تقديمها

في شكلها الأصلي عـام 2009. لقـد أثبـت النجـاح المنقطـع الـنظير أن الناشر كان محقاً. فالعمل انتشر عالمياً بسرعة، وهو متـوفر الآن في تسـع لغات. كان واضحاً أن بالإمكان تصـميم نسـخة لا تفـي الوجـوه المتعـددة للعمل حقها وحسب، بل الأنماط المختلفة للجمهور أيضاً.

إن لائحة الناس الذين يجب أن يُنسب فضل هذا النجاح إليهم طويلة للغايـة. علـى أيـة حـال، هنـاك اسمـان يسـتحقان الـذكر علـى وجـه الخصـوص: جـيم مـيرز مـن مؤسسـة (دبليـو دبليـو نورتـون) وسـونو شامداساني من مؤسسة (فيلمون).

تحتوي نسخة القارئ الحالية على الـنص الكامـل للكتـاب الأصـلي. إنها موجهة بشكل خاص لمن يحبـون التعمـق بـالتوثيق الأدبـي، لتطـوّر يونغ الداخلي. وإن ساعدت هذه النسخة القراء على جعل قراءتهم أكثـر فائدة لتطورهم النفسي، فسيكون هذا متوافقاً مع نيّة يونغ بدون شك.

ألريتش هورني

مؤسسة أعمال كارل غوستاف يونغ

تموز 2012

مقدمة:

ألريتش هورني

مؤسسة أعمال كارل غوستاف يونغ

منذ عام 1962 شاع خبر وجود الكتاب الأحمر لكارل غوستاف يونغ. لكنه لم يصبح متوفراً للجمهور العريض إلا بطبعته الحالية. لقد وُصفت أصوله في كتاب "ذكريات وتأملات وأحلام" لكارل يونغ، وكان موضوعاً لنقاشات لا تحصى في الآداب الثانوية. لذا سأصفه باختصار هنا.

كان عام 1913 محورياً في حياة يونغ. بدأ اختباراته على نفسه، بما أصبح معروفاً بـــ "مواجهاته مع اللاوعي" ودام ذلك حتى عام 1930. خلال هذه التجربة، طور تقنية "لفهم عملياته الداخلية"، "لترجمة العواطف إلى صور"، و"لفهم الخيالات التي كانت تحرك ... (باطن الأرض)". وقد أطلق لاحقاً على هذا المنهج مصطلح " التخيل الفعّال". سجّل هذه الخيالات لأول مرة في كتبه *الكتب السوداء*. ثم نقح

النصوص، وأضاف تأملات عليها، ونسخها في نص مخطوطة يدوية إلى كتاب اسمه *الكتاب الأحمر (ليبر نوفوس)* المغلف بغلاف جلدي أحمر، وأرفقه بلوحاته. لطالما كان معروفاً باسم *الكتاب الأحمر*.

أطلع يونغ زوجته وزملاءه المقربين على تجاربه الداخلية. وفي عام 1925 قدّم تقريراً عن تطوره المهني والشخصي في سلسلة من المحاضرات في نادي علم النفس في زيورخ، حيث ذكر منهج التخيّل الفعال الخاص به. عدا عن ذلك، كان يونغ متحفظاً. مثلاً، لم يتم إعلام أولاده بشأن تجربته الذاتية، ولم يلاحظوا أي شيء غير اعتيادي. من الواضح أنه كان سيجد صعوبة في توضيح ما كان يحدث. وعندما كان يسمح لأحد أولاده بمراقبته وهو يكتب أو يرسم، فهذه علامة على التفضيل. لذلك كان *الكتاب الأحمر* دوماً محاطاً بهالة من السريّة، بالنسبة إلى سلالة يونغ. في عام 1930 أنهى يونغ تجربته ووضع *الكتاب الأحمر* جانباً – دون أن يكمله. وعلى الرغم من مكانه المميز في مكتبته، فقد تركه يرتاح هناك لعقود. في هذه الأثناء، أملت عليه الاكتشافات الداخلية التي حصل عليها من تجربته، كتاباته اللاحقة بشكل مباشر. في عام 1959، وبمساعدة المسودة القديمة، حاول إكمال نسخ النص في *الكتاب الأحمر*، وإكمال لوحة غير مكتملة.

وبدأ أيضاً بكتابة خاتمة، لكن ولأسباب مجهولة، توقّف النص المنسوخ والخاتمة في منتصف جملة.

على الرغم من أن يونغ فكّر جدياً بنشر *الكتاب الأحمر*، لكنه لم يتخذ الخطوات الضرورية لذلك. عام 1916 نشر بشكل شخصي كتاب "العظات السبع عن الموت"، وهو كتاب قصير نشأ من مواجهته للاوعي. حتى مقالته "الوظيفة الإعلائية" التي كتبها 1916، ووصف فيها تقنية التخيّل الفعال، لم تُنشر حتى عام 1958. هناك عدة أسباب دفعته لعدم نشر *الكتاب الأحمر*. قال هو نفسه إنه لم يكن مكتملاً. لقد ألهاه اهتمامه المتزايد بالخيمياء كموضوع بحث، عن هذا الأمر. وفي نظرة إلى

الوراء، وصف العمل المفصّل لخيالاته في *الكتاب الأحمر*، بأنها خيالات ضرورية لكنها "إسهاب جمالي" مزعج. ولم يعلن حتى وقت متأخر في العام 1957 أن *الكتب السوداء* و*الكتاب الأحمر* هي سجلات سيرة ذاتية لم يرغب بنشرها في مجموعة أعماله، لأنها لم تكن ذات صفة ثقافية. ومن باب التنازل، سمح لأنيلا جافيه باقتباس تجارب من *الكتاب الأحمر* و*الكتب السوداء* في كتاب "ذكريات وتأملات وأحلام"ـ وهذا أمر لم تستغلّه هي جيداً.

عام 1961، مات يونغ. أصبحت ممتلكاته الأدبية ملكاً لورثته، الذين أعلموا جمعية ورثة كارل غوستاف يونغ بالأمر. لقد جلب إرث الحقوق الأدبية ليونغ، التزاماً وتحدياً لورثته: فهم النسخة الألمانية لمجموعة أعماله. وكان يونغ قد عبّر في وصيته، عن رغبته ببقاء *الكتاب الأحمر* و*الكتب السوداء* لدى العائلة، لكن دون أن يمنح المزيد من التعليمات المفصّلة. وبما أنه لم يكن من المفترض نشر *الكتاب الأحمر* في المجموعة الكاملة، فإن جمعية الورثة، استنتجت أن هذه هي أمنية يونغ الأخيرة فيما يتعلق بهذا العمل، وأنه أمر شخصي تماماً. لقد حفظت جمعية الورثة كتابات يونغ غير المنشورة كأنها كنز، ولم يتم التفكير بنشر أعمال إضافية. بقي *الكتاب الأحمر* في مكتبة يونغ لعشرين سنة، وأؤتمن عليه فرانز يونغ، الذي حصل على منزل والده.

في عام 1983 وضعت جمعية الورثة *الكتاب الأحمر* في صندوق ودائع، لمعرفتهم أنه كان وثيقة لا يمكن استبدالها. عام 1984 طلبت اللجنة التنفيذية المعينة حديثاً، صنع خمس نسخ مصورة لاستخدام العائلة. للمرة الأولى، حظي أسلاف يونغ بفرصة لإلقاء نظرة مقربة إليه. هذا التعامل الحذر كانت له فوائد. يعود الفضل بالإبقاء على *الكتاب الأحمر* محفوظاً بشكل جيد، بين أمور أخرى، إلى حقيقة أنه نادراً ما تم فتحه لعقود من الزمن.

بعد العام 1990 ، بينما كانت النسخة الألمانية من *الأعمال الكاملة– أعمال مختارة*– تقترب من نهايتها، قررت اللجنة التنفيذية البدء بالبحث في كل الأعمال غير المنشورة، التي يمكن الوصول إليها مع نية نشر أعمال إضافية. وقد توليتُ هذه المهمة، لأن لجنة الورثة حمّلتني في عام 1994 ، مسؤولية الأمور الأرشيفية والتحريرية. وقد تبيّن أن هناك مجموعة كاملة من المسودات والمنوعات المتعلقة بـ*الكتاب الأحمر*. وتبين أن الجزء المفقود من النص المنسوخ يدوياً، كان موجوداً كمسودة، وكان على شكل مخطوطة بعنوان "السبر العميق"، التي تابعت من حيث انتهت المسودة، وتحتوي على "العظات السبع". مع ذلك، بقيت طريقة نشر هذه المواد الهامة وإمكانية تحقيقها، سؤالاً بدون إجابة. عند النظرة الأولى، بدا أنه ليس للأسلوب والمحتوى علاقة وثيقة بأعمال يونغ الأخرى. أمور كثيرة لم تكن واضحة، وفي أواسط التسعينات، لم يبق أحد يمكنه توفير معلومات حصل عليها مباشرة عن هذه النقاط.

لكن منذ زمن يونغ، يزداد تاريخ علم النفس أهمية، ويمكنه الآن تقديم مقاربة جديدة. أثناء العمل على مشاريع أخرى، تواصلتُ مع سونو شامداساني. ناقشنا في حوارات مكثفة بيننا، إمكانية نشر أعمال أخرى ليونغ، بالمعنى العام وفيما يتعلق بـ*الكتاب الأحمر*. لقد ظهر الكتاب ضمن سياق محدد لم يعد قارئ بداية القرن الواحد والعشرين يعرفه. لكن من الممكن لمؤرخ لعلم النفس، أن يقدمه للقارئ المعاصر كوثيقة تاريخية. بمساعدة مصادر أولية، استطاع أن يرسّخه في السياق الثقافي لأصوله، ويضعه ضمن تاريخ العلوم، ويربطه بحياة يونغ وأعماله. عام 1999 ، طوّر سونو شامداساني عرضاً لنشره باتباع هذه المبادئ. على أساس هذا العرض قررت جمعية الورثة في ربيع عام 2000– وليس دون مناقشة الأمر– إطلاق *الكتاب الأحمر* للنشر، وتسليم مهمة التحرير لسونو شامداساني.

سُئلت عدة مرات عن سبب نشر *الكتاب الأحمر* الآن، بعد كل هذه السنوات. لقد لعبت دوراً كبيراً بهذا الأمر، أمورٌ جديدة تمكّنا نحن من فهمها: يونغ نفسه – كما بدا– لم يكن يعتبر *الكتاب الأحمر* سراً. في مناسبات عدة، كان النص يتوجّه بالقول "أصدقائي الأعزاء"، بعبارة أخرى، كان موجهاً لجمهور. بالتأكيد سمح يونغ لأصدقاء مقربين له، بحيازة نسخ من المخطوطات، وناقشها معهم. لم يستبعد أمر النشر كليّاً، لكنه لم يفصل في الأمر وحسب. والأكثر من ذلك، قال يونغ نفسه، إنه حصل على مواد أعماله اللاحقة كلها من مواجهته مع اللاوعي. إن الكتاب الأحمر مركزيّ بالنسبة لأعمال يونغ، كسجلّ لهذه المواجهة، وبشكل يتجاوز الدائرة الشخصية. وقد سمح هذا الفهم لجيل أحفاد يونغ بالنظر إلى الوضع بمنظور جديد. استغرقت عملية اتخاذ القرار وقتاً. ساعدهم الخبراء وبعض المفاهيم والمعلومات، بالتعامل مع الموضوع المشحون انفعالياً بشكل أكثر عقلانية. أخيراً، قررت جمعية الورثة بشكل ديمقراطي، أنه من الممكن نشر *الكتاب الأحمر*. كانت رحلة طويلة منذ اتخاذ القرار وحتى صدور الطبعة الحالية. النتيجة مذهلة. ما كان لهذه الطبعة أن توجد، لولا تعاون كثير من الأشخاص الذين كرسوا مهارتهم وطاقتهم من أجل هدف مشترك.

باسم سلالة كارل غوستاف يونغ، أرغب بالتعبير عن خالص شكري لكل المساهمين فيه.

نيسان 2009

الكتاب الأحمر

لكارل غوستاف يونغ[1]

بقلم: سونو شامداساني

كارل غوستاف يونغ شخص يُشتهر عالمياً كشخصية أساسية في الفكر الغربي المعاصر، وتستمر أعماله بإثارة الجدل. لقد لعب أدواراً هامة في تشكيل علم النفس، والعلاج النفسي، والطب النفسي المعاصر، وهناك عدد كبير من علماء النفس التحليليين العالميين يعملون تحت اسمه. لكن كان لعمله أوسع الأثر خارج الدوائر المحترفة: إن يونغ وفرويد هما الاسمان اللذان يفكر بهما الناس أولاً عند ذكر علم النفس، وقد انتشرت أفكارهما بشكل واسع في الفنون والعلوم الإنسانية والأفلام والثقافة الشعبية. يُعتبر يونغ أيضاً، أحد المحرضين على حركة العصر الحديث (نيو إيج). لكن

[1] التالي مشتق، مباشرة أحياناً، من إعادة بنائي لتشكيل علم نفس يونغ في كتاب "يونغ وصنع علم النفس الحديث: حلم نوع من العلوم" (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2003). لقد أشار يونغ إلى العمل باسمي (ليبر نوفوس) و(الكتاب الأحمر) عندما أصبح معروفاً. ولأن هناك إشارات تفيد أن العنوان الأول هو عنوان الكتاب الحقيقي، فقد أشرت إليه بهذا العنوان طوال الكتا ب لتحقيق الثبات. وتم الإسهاب في عدد من هذه المواضيع بشكل أشمل في كتابي "كارل غوستاف يونغ: سيرة ذاتية في كتب" (نيو يورك: دبليو دبليو نورتون، 2013) وفي كتاب جيمس هيلمان وسونو شامداساني "نحيب على الموتى: علم النفس بعد الكتاب الأحمر ليونغ" (نيويورك: دبليو دبليو نورتون، 2013).

من المفاجئ أن ندرك أن الكتاب الذي يقع في مركز أعماله الكاملة، الذي عمل عليه لأكثر من ستة عشر عاماً، لم يتم نشره إلا الآن.

ليس هناك عدد كبير من الأعمال "غير المنشورة"، التي تركت أثراً كبيراً في التاريخ الاجتماعي والفكري للقرن العشرين مثل "الكتاب الأحمر" ليونغ، أو (ليبر نوفوس) (الكتاب الجديد). لقد قال يونغ عنه إنه يحتوي نواة أعماله اللاحقة، وتم اعتباره لفترة طويلة، المفتاح الأساسي لفهم أصولها. مع ذلك بقي غير متوفّر للدراسة، عدا عن لمحات قليلة مشوّقة.

اللحظة الثقافية

شهدت العقود القليلة الأولى من القرن العشرين قدراً كبيراً من التجارب في الأدب وعلم النفس والفنون البصرية. وقد حاول الكتاب التخلص من محدوديات السنن البيانية لاستكشاف المدى الكامل للتجربة الداخلية– الأحلام، الرؤى والخيالات وتصويرها. جربوا الأشكال الجديدة، واستخدموا الأشكال القديمة بطرق حديثة. فمن الكتابة الآلية للسرياليين إلى الخيالات القوطية لغوستاف ميرينك، اقترب الكتّاب من أبحاث علماء النفس الذين كانوا منغمسين في استكشافات مشابهة. لقد تعاون الفنانون والكتّاب لتجربة أشكال جديدة من الرسوم والطباعة، و تشكيلات جديدة من النص والصورة. وسعى علماء النفس للتغلب على محدوديات علم النفس الفلسفي، وبدأوا استكشاف المجال الذي يستكشفه الكتّاب والفنانون نفسه. لم تكن الخطوط الواضحة التي تفصل بين الأدب والفن وعلم النفس، قد وُضعت بعد، وقد استعار الكتّاب والفنانون من علماء النفس، والعكس بالعكس. لقد كتب عدد من علماء النفس الكبار من أمثال ألفريد بينيه وتشارلز ريشيه، أعمالاً خيالية ودرامية، غالباً تحت أسماء مستعارة، عكست مواضيعها مواضع الأعمال

"العلمية[2]". فقد كتب غوستاف فيشنر، أحد مؤسسي علم النفس البدني وعلم النفس التجريبي، عن روح حياة النباتات والأرض، أنها ملاك أزرق[3]. في هذه الأثناء، قرأ كتّاب مثل (أندريه بريتون) و(فيليب سوبولت) بمواظبة أعمال الباحثين الروحيين وعلماء الظواهر النفسية غير العادية مثل (فريدريك ميرز وثيودور فلورنوي وبيير جانيت) واستخدموها. واستخدم ويليام بتلر ييتس الكتابة الروحية الآلية لتأليف رواية روحية كونيّة شاعرية في كتاب "رؤية"[4]. لقد كان الأفراد من جميع الجوانب، يبحثون عن أشكال جديدة، يصورون بها وقائع التجربة الداخلية في سعي لتحقيق التجديد الروحاني والثقافي. في برلين، كتب هيوغو بول:

يبدو العالم والمجتمع في العام 1913 على الشكل التالي: الحياة محددة ومكبلة بالكامل. يسود نوع من القدرية الاقتصادية، إن كل فرد، سواء كان يقاوم أم لا، مكلّف بدور معين، ولديه اهتماماته وشخصيته. تُعتبر الكنيسة "كمصنع للخلاص" ذات أهمية ضئيلة، ويبدو الأدب كصمام أمان... السؤال الأكثر إلحاحاً ليل نهار هو: هل هناك قوة في أي مكان قوية كفاية لتنهي هذه الحالة؟ وإن لم تكن موجودة، فكيف يمكن للمرء الهرب منه[5]؟

ضمن هذه الأزمة الثقافية، كان يونغ مقتنعاً بالقيام بعملية مطوّلة من الاختبار الذاتي، التي نتج عنها *الكتاب الأحمر*، وهو عمل في علم النفس، بإطار أدبي.

إننا نقف اليوم على الجهة الأخرى من الانقسام بين علم النفس والأدب. أن نفكر *بالكتاب الأحمر* اليوم، يعني أن نتولى عملاً ما، كان

---

[2] راجع جاكلين كاروي، Les personnalités multiples et doubles: entre science et fiction "مضاعفة وانقسام الشخصيات: بين العلم والخيال" (باريس، بي يو إف، 1993).

[3] راجع غوستاف ثيودور فيشنر. "دين العلم" (طباعة وترجمة والتر لوري، نيويورك: بانثيون، 1946).

[4] راجع جان ستاربونسكي "فرويد، بريتو، ميرز" في L'oeuil vivante II: La relation critique "العين الحية: العلاقة الحرجة" (باريس غاليمار، 1970).

[5] هيوغو بول "هرب من الزمن: مذكرات دادا (طباعة جون إيلدرفيلد، ترجمة أي ريمز، بيركلي، مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1996) الصفحة 1.

بالإمكان القيام به قبل أن تترسخ هذه الانقسامات. إن دراسته تساعدنا على فهم طريقة حدوث الانقسام. لكن أولاً، يمكننا أن نسأل: من هو كارل غوستاف يونغ؟

من هو كارل غوستاف يونغ؟

ولد يونغ في كيسويل، على بحيرة كونستانس، عام 1875. انتقلت عائلته إلى لوفن قرب شلالات الراين عندما كان عمره ستة أشهر. كان الابن الأكبر ولديه أخت واحدة. كان والده قساً في كنيسة الإصلاح السويسرية. ومع اقتراب نهاية حياته، كتب يونغ مذكرات بعنوان "من التجارب الأولى في حياتي"، تم إدخالها لاحقاً في كتاب "ذكريات وتأملات وأحلام" في شكل منقح بشدة[6]. لقد روى يونغ الأحداث الهامة التي أدت إلى عمله في علم النفس. إن كتاب "المذكرات"، مع تركيزه على أهمية أحلام الطفولة ورؤاها وخيالاتها، يمكن اعتباره مقدمة *للكتاب الأحمر*.

في حلمه الأول وجد نفسه في مرج، مع حفرة مبطنة بالحجارة في الأرض. عثر على سلم ونزل في الحفرة، ووجد نفسه في غرفة. كان هناك عرش ذهبي مع ما يبدو أنه جذع شجرة مكوّن من اللحم والدم، وعين واحدة في الأعلى. ثم سمع صوت أمه تقول إن هذا هو "آكل الإنسان". لم يكن واثقاً ما إن كانت تعني أن هذا الشكل يلتهم الأطفال فعلاً، أم أنه متطابق مع المسيح. لقد أثّر هذا بعمق على صورته عن المسيح. وبعد سنوات، أدرك أن هذا الشكل كان قضيباً ذكرياً، لكن لاحقاً، أدرك أنه كان في الواقع قضيباً طقسياً، وأن المكان كان معبداً تحت أرضي. فهم أن هذا الحلم هو حفل شعائر قبوله "في أسرار الأرض[7]".

---

[6] عن كيفية إمكانية الخطأ باعتبارها سيرة حياة يونغ الذاتية، راجع كتابي "تعرية يونغ من قبل كاتبي سيرته الذاتية" (لندن، كارناك، 2004)، الفصل الأول (كيف تلتقط طائراً: يونغ وأول مدوني سيرته الذاتية" راجع أيضاً آلان إيلمز "في كشف الحيوات: الحلف القلق بين كتابة السيرة الشخصية وعلم النفس" (نيويورك، مطبعة جامعة أوكسفورد، 1994).

[7] كتاب "المذكرات" الصفحة 30.

اختبر يونغ في طفولته عدداً من الهلوسات البصرية. وقد بدا أيضاً أن لديه القدرة على استحضار الصور إرادياً. وفي محاضرة عام 1935، تذكر صورة شخصية لجدته والدة أمه، التي كان ينظر إليها في صغره إلى أن "يرى" جده ينزل على السلم[8].

في يوم مشرق، عندما كان يونغ في الثانية عشرة، كان يجتاز ساحة الكاتدرائية في بازل، ويُعجب بالشمس المشرقة على قرميد السقف اللامع المرمّم حديثاً للكاتدرائية. ثم شعر باقتراب فكرة خطيئة مريعة، فدفعها بعيداً. وبقي في حالة ضيق لأيام. أخيراً، بعد أن أقنع نفسه أن الله هو من أراده أن يفكر بهذه الفكرة، كما أن الله هو من أراد أن يرتكب آدم وحواء الخطيئة، ترك نفسه يتأمل بالأمر، ورأى الله على عرشه يطلق روثاً ضخماً على الكاتدرائية، ويحطم سقفها ويدمرها.

لقد جعل هذا يونغ يشعر بإحساس من السعادة والراحة لم يختبره من قبل. وشعر أنها كانت تجربة **"الله الحي المباشر الذي يقف بكامل قدرته وحريته فوق الإنجيل والكنيسة"**[9]. كما شعر أنه وحيد أمام الله، وأن مسؤوليته الحقيقية بدأت حينها. لقد أدرك أنها كانت بدقّة تجربة المخلص الحي المباشر الذي يقف خارج الكنيسة والإنجيل، وهي التجربة التي افتقدها والده.

أدى إحساس الاصطفاء لديه، إلى تدمير أخير للأوهام المتعلقة بالكنيسة في مناسبة مناولته الأولى. لقد جعلوه يعتقد أنها ستكون تجربة عظيمة. وبدلاً من ذلك، لم يحدث شيء. فاستنتج التالي: "بالنسبة إلي، كان ذلك غياباً للملخص وانعداماً للدين. أصبحت الكنيسة مكاناً لم أعد أستطيع ارتياده. لم تكن تلك حياة، بل هي موت[10].

بدأ يونغ بالقراءة بنهم في ذلك الوقت، وأكثر ما صدمه كان كتاب "فاوست" لغوته. لقد صدمته حقيقة أن غوته قد أخذ شخصية الشيطان

---

[8] "مفاهيم علم النفس الأساسية" (سي دبليو 18، 397).

[9] "المذكرات" الصفحة 57.

[10] المرجع نفسه. الصفحة 73.

"ميفستوفيليس" بجدية. وأبهره في مجال الفلسفة، الفيلسوف شوبنهاور الذي اعترف بوجود الشرّ ومنح معاناة العالم وبؤسه صوتاً.

كان لدى يونغ أيضاً إحساس بأنه يعيش في قرنين من الزمن، وشعر بحنين قوي للقرن الثامن عشر. واتخذ هذا الإحساس بالثنائية شكل شخصيتين متناوبتين، لقبهما الشخصية 1 والشخصية 2. كانت الشخصية 1 عبارة عن تلميذ المدرسة الذي قرأ الروايات في مدينة بازل، بينما تقوم الشخصية 2 بتأملاتها الدينية في عزلة، في حالة من التوحّد مع الطبيعة والكون. لقد أقامت في "عالم الله". وبدت هذه الشخصية على أنها الأكثر أصالة. وقد رغبت الشخصية 1 بالتحرر من سوداوية الشخصية 2 وعزلتها. وعندما دخلت الشخصية 2، شعر كما لو أن روحاً ميتة منذ زمن بعيد، لكنها حاضرة أبداً، قد دخلت الغرفة. لم يكن لدى الشخصية 2 صفات محددة. كانت متصلة بالتاريخ، وبالعصور الوسطى بشكل خاص. بالنسبة إلى الشخصية 2، كانت الشخصية 1 بفشلها وخرقها، شخصية يجب تحمّلها.

لقد دام هذا التبادل طوال حياة يونغ. كان يظن أننا جميعاً على هذه الحال- جزء منا يعيش في الحاضر، والجزء الآخر مرتبط بالقرون الغابرة.

مع اقتراب الوقت المناسب لاختيار مهنة له، احتدّ النزاع بين الشخصيتين، أرادت الشخصية 1 دراسة العلوم، بينما أرادت الشخصية رقم 2 دراسة العلوم الإنسانية، وراود يونغ حينها حلمان أساسيان. كان في الحلم الأول يسير في غابة مظلمة على طول نهر الراين. صادف قبراً وبدأ الحفر حتى اكتشف بقايا حيوانات من حقبة ما قبل التاريخ. وأيقظ هذا الحلم رغبته بمعرفة المزيد عن الطبيعة. في الحلم الثاني، كان في غابة فيها مجاري مائية. وجد حوضاً دائرياً محاطاً بهشير كثيف. ورأى مخلوقاً جميلاً في هذا الحوض، حيواناً بحرياً مشعّاً. بعد هذين الحلمين استقر رأيه على العلوم. ولحل مشكلة كيفية كسب العيش، قرر دراسة الطب. ثم راوده حلم آخر. كان في مكان مجهول، محاطاً بالضباب، يتحرك ببطء عكس

الرياح. كان يحمي ضوءاً صغيراً من أن يخبو. ورأى جسماً أسود ضخماً يقترب منه بشكل مهدد. استيقظ، وأدرك أن الجسم كان الظل الذي ألقى به الضوء. فكر أنه في حلم، كانت الشخصية 1 هي نفسها تحمل الضوء، وتتبعه الشخصية 2 مثل ظل. وقد اعتبر هذه علامة على أن عليه أن يتابع مع الشخصية 1، ولا يلقي نظره على الشخصية 2 خلفه.

استمر التبادل بين هاتين الشخصيتين طيلة أيام دراسته الجامعية. تابع يونغ بالإضافة إلى دراسته في الطب، برنامجاً مكثفاً من القراءات خارج المنهاج، وبشكل خاص أعمال نيتشه وشوبنهاور وسويندبرغ[11]، وكتّاب آخرين كتبوا عن الروحانية. لقد ترك كتاب نيتشه "هكذا تكلم زارادشت" انطباعاً قوياً لديه، إذ شعر أن شخصيته 2 متوافقة مع زارادشت، وخشي أن تكون هذه الشخصية كئيبة بالقدر ذاته[12]. وشارك في جمعية زوفينيا للمناظرات بين الطلاب، وقدم محاضرات عن هذه المواضيع. لقد أثار الروحانيون بخاصة اهتمامه حيث بدا أنهم يحاولون استخدام الوسائل العلمية، لاستكشاف ما هو خارق للطبيعة، ولإثبات خلود الروح.

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور الروحانية الحديثة التي انتشرت في أرجاء أوروبا وأمريكا كلها. من خلال الروحانية، انتشرت رعاية نوبات الغشي (النشوة) بشدة– مع وجود ظاهرة كلام الغشي، والتفوه بكلام غير مفهوم، والكتابة الآلية، والتحديق بالكرة الكريستالية. وقد جذبت ظاهرة الروحانية اهتمام علماء مهمين مثل كروكس وزولنر ووالاس. كما جذبت اهتمام علماء النفس بمن فيهم فرويد

---

[11] إيمانويل سويدنبرغ (1688-1772) كان عالماً سويدياً وصوفياً مسيحياً. عام 1743، مر بأزمة دينية، وصفها في كتابه "يوميات الأحلام". في عام 1745، راودته رؤية للمسيح. ثم كرس حياته لفهم ما سمعه ورآه في الجنة والنار، وتعلم من الملائكة، وفي تفسير المعنى الداخلي والرمزي للإنجيل. قال سويدنبرغ إن للإنجيل مستويين. وصرح بقدوم "كنسية جديدة" تمثل حقبة روحية جديدة. وحسب أقوال سويدنبرغ، منذ الولادة اكتسب الإنسان الشرور من والديه، وتلك مقحمة في الإنسان الطبيعي، والذي يقف على النقيض تماماً من الإنسان الروحي. إن قدر الإنسان هو دخول الجنة، ولا يمكنه الوصول إلى هناك بدون تجدد وولادة روحية جديدة. ووسيلة القيام بهذا تكمن في الإحسان والإيمان. راجع يوجين تيلور "يونغ عن سويدنبرغ، المولود من جديد" تاريخ يونغ (2، 2، 2007) الصفحة 27-31.

[12] كتاب "المذكرات" الصحفة 120.

وفيرينشي وبلولر، جيمس وميرز وجانيت، وبيرغسون وستانلي هول وشرينك نوتزينغ، مول وديسوار وريشيه، وفلورنوي.

خلال دراسته في الجامعة في بازل، شارك يونغ وزملاؤه الطلبة في جلسات تحضير أرواح. وفي عام 1896، انغمسوا في سلسلة طويلة من الجلسات مع قريبته هيلين بريزويلك، التي بدا أن لديها قدرات وسيطٍ روحي. ووجد يونغ أنها خلال نوبات الغشي، كانت تتقمّص شخصيات مختلفةً، وأنه يستطيع استدعاء هذه الشخصيات عن طريق الإيحاء. وقد ظهر من بين هذه الشخصيات، بعض الأقارب الموتى الذين استطاعت تقمّص شخصياتهم بإتقان. لقد كشفت قصصاً عن تجسّداتها السابقة وتحدثت بفصاحة عن علم الكون الصوفي ممثلاً في ماندالا.[13] واستمرت كشوفاتها الروحية إلى أن أمسكوا بها وهي تحاول تزييف ظهور تجسّدات جسدية، ومن ثم انقطعت جلسات تحضير الأرواح.

عند قراءة كتاب "مرجع الطب النفسي" لريتشارد فون كرافت-إيبينغ عام 1899، أدرك يونغ أن مهنته هي الطب النفسي، التي مثلت التحاماً بين اهتمامات شخصيتيه الاثنتين. وقد مرّ بما يشبه الهداية إلى إطار عمل علمي طبيعي. وبعد دراسته للطب، قبل منصباً كطبيب مساعد في مستشفى برغولزلي في نهاية عام 1900. وكانت برغولزلي مستشفى جامعياً متطوراً تحت إدارة يوجين بلولر. وفي نهاية القرن التاسع عشر، حاولت شخصيات عديدة، العثور على علم نفسي علمي جديد. لقد ساد اعتقاد بأنه من خلال تحويل علم النفس إلى علم، عبر إدخال المناهج العلمية، ستحدث ثورة في الأشكال السابقة للفهم الإنساني كلها. واعتُبر علم النفس الجديد بشيراً ليس أقل من اكتمال الثورة العلمية. وبفضل بلولر وسلفه أوغست فوريل، لعبت أبحاث علم النفس والتنويم المغناطيسي دوراً هاماً في برغولزلي.

---

[13] راجع (الأعمال الكاملة) 1، 66، الرسم 2.

ركّزت أطروحة يونغ الطبية على الأصول النفسية للظاهرة الروحانية، بشكل تحليل لجلسات تحضير الأرواح التي قام بها مع هيلين بريزويرك[14]. وعلى الرغم من أن اهتمامه الأول بحالتها، بدا متعلقاً بصحة تظاهراتها الروحانية، فقد درس أثناء المرحلة الانتقالية أعمال فريديريك ميرز، ووليام جيمس، وعلى وجه الخصوص، ثيودور فلورنوي. وفي نهاية عام 1899 كان فلورنوي قد نشر دراسة عن وسيطة روحية، أسماها هيلين سميث، وحقق الكتاب أرباحاً كبيرة[15]. إن ما كان جديداً في دراسة فلورنوي هو أنه قارب حالتها من زاوية نفسية محضة، كوسيلة لتسليط الضوء على دراسة ما دون الوعي. وقد حدث تغير حرج من خلال أعمال فلورنوي، وفريديريك ميرز، ووِيليام جيمس. لقد قالوا إنه بغض النظر عن كون التجارب الروحية المزعومة صحيحة، فإن تجارب كهذه تمكن من الوصول إلى بصيرة بعيدة المدى عن بنية ما دون الوعي، ومنها إلى علم النفس الإنساني ككل. ومن خلالهم، أصبح الوسطاء الروحيون مواضيع هامة لعلم النفس الجديد. مع هذا التغير، استولى علماء النفس على المناهج التي يستخدمها الوسطاء الروحيون- مثل الكتابة الآلية، وكلام نوبات الغشي، والتحديق بالكرة الكريستالية لمعرفة المستقبل - وأصبحت أدوات بحث تجريبي واسعة الانتشار. وفي العلاج النفسي، استخدم بيير جانيت ومورتون برينس الكتابة الآلية والتحديق بالكرة الكريستالية كمنهجين لكشف الذكريات المخبأة، وأفكار دون الوعي الثابتة. لقد أخرجت الكتابة الآلية شخصيات فرعية إلى النور، وجعلت الحوار معها ممكناً.[16] بالنسبة إلى جانيت وبرينس، كان الهدف من القيام بهذه الممارسات هو إعادة تكامل الشخصية.

---

[14] "عن علم النفس وعلم الأمراض المتعلقة بما يسمى ظاهرة الغيبيات: دراسة طبية نفسية، 1902، (الأعمال الكاملة 1).

[15] ثيودور فلورنوي، "من الهند إلى كوكب المريخ: حالة شخصيات متعددة مع لغات متخيلة". الناشر: سونو شامداساني، الترجمة فيرميلي (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1994/1900).

[16] بيير جانيت، "العصابات والأفكار الثابتة" (باريس: ألكان، 1898): مورتون برينس "الدراسات السريرية والتجريبية في الشخصية" (كامبيريدج، إم أي: علم-فن، 1929)، راجع كتابي "الكتابة الآلية واكتشاف اللاوعي" "ربيع: يوميات عن النماذج البدنية والثقافة" 54 (1993)، الصفحات من 100-131.

ذُهل يونغ بكتاب فلورنوي إلى درجة أنه عرض ترجمته إلى الألمانية، لكن كان لدى فلورنوي مترجمَ له. إن تأثير هذه الدراسات واضح في أطروحة يونغ، حيث قارب الحالة من زاوية علم نفس محضة. لقد كانت أطروحة يونغ قريبة بقالبها من كتاب فلورنوي "من الهند إلى كوكب المريخ"، من ناحية الموضوع وتفسيره للأصول النفسية لرومانسيات هيلين الروحانية. وتشير أطروحة يونغ أيضاً إلى الطريقة التي استخدم فيها الكتابة الآلية كمنهج للاستقصاء النفسي.

في عام 1902، أصبح خطيباً لإيما روزشِينباخ، التي تزوجها وأنجب منها خمسة أولاد. كان يونغ يحتفظ بمفكّرة حتى هذه المرحلة. وقد كتب في إحدى المداخلات الأخيرة في المفكّرة، في أيار 1902: "لم أعد وحدي مع نفسي، ولا يمكنني تذكّر مشاعر الوحدة المخيفة والجميلة إلا بشكل اصطناعي. هذا هو جانب الظل من روعة الحب".[17] بالنسبة إلى يونغ، كان زواجه بداية ابتعاد عن الوحدة التي كان معتاداً عليها.

غالباً ما كان في شبابه، يزور متحف بازل للفنون، وكانت تجذبه على وجه الخصوص أعمال هولباين وبوكلين، إضافة إلى أعمال الرسامين الهولنديين[18]. ومع اقتراب نهاية مرحلة دراسته، أصبح منشغلاً جداً بالرسم لحوالي سنة. لوحاته من هذه الفترة كانت لمناظر طبيعية في أسلوب بياني، وتظهر مهارات تقنية متطورة بشدة وإتقان تقني عال[19]. وفي عامي 1903/1902، ترك يونغ منصبه في بورغولزلي، وذهب إلى باريس ليدرس مع عالم النفس الشهير بيير جانيت، الذي كان يقدم محاضرات في جامعة (كوليج دي فرانس). خلال إقامته، كرّس الكثير من الوقت للرسم وزيارة المتاحف، وزار اللوفر بشكل متكرر. وقد اهتمّ بشكل خاص بالفن القديم والتحف المصرية وأعمال النهضة فرا أنجيلكو، وليوناردو دا فينشي،

---

[17] الكتاب الأسود2، الصفحة 1 (جي إف أي: كل الكتب السوداء من جي إف أي).

[18] (إم بي) الصفحة 164.

[19] راجع غيرهارد وهير "سيرة شخصية مصورة لحياة يونغ: الكلمة والصورة" (برينستون: مطبعة جامعة برينستون/سلسلة بولينجن، 1979) الصفحات 42-43.

وروبنز، وفرانز هالز. كما اشترى لوحات ومنقوشات وطلب نسخ لوحات لفرش منزله الجديد، ورسم بالألوان الزيتية والمائية. وفي كانون الثاني 1903، ذهب إلى لندن وزار متاحفها، وانتبه بشكل خاص إلى المجموعات المصرية والأزتيكية والإنكية في المتحف البريطاني[20].

بعد عودته تولّى منصباً أصبح خالياً في برغولزلي، وكرّس أبحاثه لتحليل الارتباطات اللغوية بالتعاون مع فرانز ريكلن. وقد أجرى بالمشاركة مع زملائه في العمل سلسلة مكثفة من التجارب التي أجروا عليها تحليلاً إحصائياً. يكمن الأساس المفاهيمي لأعمال يونغ المبكرة في عمل فلورنوي وجانيت، التي حاول دمجها مع منهجية الأبحاث لفيلهلم واندت، وإيميل كرابلين. وقد استخدم يونغ وريكلن تجارب التداعي، التي اخترعها فرانسيس غالتون وطورها واندت وكرابلين وغوستاف أشفنبرغ في علم النفس والطب النفسي. كان الهدف من مشروع الأبحاث، الذي أطلقه بلولر، توفير وسائل سريعة وموثوقة للتشخيصات المختلفة. وقد فشل فريق برغولزلي في التوصل إلى هذا، لكنهم صُدموا بأهمية اضطرابات رد الفعل، وأزمنة الاستجابة المتطاولة. وجادل يونغ وريكلن في أن ردود الفعل المضطربة هذه، كانت بسبب وجود عُقَد متوترة عاطفياً، واستخدما تجاربهما لتطوير علم نفس العُقَد العام[21].

رسخ هذا العمل سمعة يونغ كأحد النجوم الناشئة في علم النفس. وفي عام 1906، طبق نظريته الجديدة عن العُقد، على دراسة الأصول النفسية للعته المرضي (الذي أصبح يسمى لاحقاً الشيزوفرينيا أو الفصام)، ولإيضاح سهولة فهم تشكلات الوهم.[22] بالنسبة إلى يونغ وعدد من أطباء النفس، وعلماء النفس الآخرين في ذلك العصر، مثل جانيت وأدولف مير، لم يكن الجنون يُعتبر شيئاً منفصلاً تماماً عن رجاحة العقل، بل هو يقع في الطرف الأقصى من الطيف. وقد قال بعد سنتين: "إن تحسسنا طريقنا إلى الأسرار الإنسانية

[20] (إم بي) الصفحة 164، الرسائل غير المنشورة، (جي إف أي).
[21] "الأبحاث التجريبية على تداعيات الشخص السليم" 1904. (الأعمال الكاملة2).
[22] "عن دراسة علم نفس العته المرضي: محاولة" "الأعمال الكاملة 3".

للشخص المريض، يكشف الجنون أيضاً عن نظامه، ونميز في المرض العقلي مجرد رد فعل استثنائي للمشاكل العاطفية التي ليست غريبة عنا[23]".

تناقص اهتمام يونغ بشكل متزايد بمحدوديات المناهج التجريبية والإحصائية في الطب النفسي وعلم النفس. وقد قدم عروض تنويم مغناطيسي في عيادة المرضى الخارجيين في برغهولزلي. وأدى هذا إلى اهتمامه بعلم المداواة، وإلى استخدام اللقاء السريري كطريقة للبحث. وقرابة العام 1904 أدخل بلولر التحليل النفسي إلى برغهولزلي، وبدأ مراسلة مع فرويد، وطلب مساعدة فرويد في تحليله لأحلامه الخاصة[24]. وفي عام 1906، بدأ يونغ يتواصل مع فرويد. وقد تحولت هذه العلاقة إلى أسطورة. ظهرت أسطورة شخصية فرويد المركزية، التي أظهرته والتحليل النفسي على أنه المصدر الأساسي لعمل يونغ. وقد أدى هذا إلى خطأ كامل بتصنيف أعماله في التاريخ الفكري للقرن العشرين. واحتجّ يونغ على هذا الأمر في مناسبات. مثلاً، في مقالة غير منشورة كُتبت في الثلاثينات بعنوان "الانشقاق في المدرسة الفرويدية" كتب قائلاً: "لا أنبثق حصرياً من فرويد. كان لدي موقفي العلمي ونظرية العُقَد قبل أن ألتقي بفرويد. الأساتذة الذين أثروا بي فوق كل شيء كانوا بلولر، وبيير جانيت، وثيودور فلورنوي[25]". من الواضح أن فرويد ويونغ، قدما من تقليدين فكريين مختلفين تماماً، واجتمعا معاً بسبب الاهتمامات المشتركة في الأصول النفسية للاضطرابات العقلية والعلاج النفسي. وقد كان في نيتهما تشكيل علاج نفسي علمي مبني على علم النفس الجديد، وبالمقابل ترسيخ علم النفس في الاستقصاء السريري العميق لحياة الأفراد.

بقيادة بلولر ويونغ، أصبحت برغولزلي مركز حركة التحليل النفسي. وفي عام 1908، تأسس "الكتاب السنوي لأبحاث علم النفس التحليلي

---

[23] "محتوى الذهان" "الأعمال الكاملة3، 339.

[24] أرشيف فرويد، مكتبة الكونغرس، راجع إرنست فلازدر "قصة علاقة مشوشة: سيغموند فرويد ويوجين بلولر."مجلة طب النفس التحليلي 52 (2007) الصفحات 343- 68.

[25] (جي آي؟).

وعلم النفس المرضي"، وكان بلولر وفرويد رئيسي تحرير، بينما كان يونغ مدير التحرير. وكسب التحليل النفسي بسبب مناصرتهم، سمعة في عالم طب النفس الألماني. وفي عام 1909، تلقى يونغ شهادة فخرية من جامعة كلارك على أبحاثه في التداعيات. في السنة التالية، تم تشكيل مؤسسة عالمية للتحليل النفسي وكان يونغ رئيساً لها. خلال مرحلة تعاونه مع فرويد، كان المهندس المعماري الرئيسي لحركة التحليل النفسي. بالنسبة إلى يونغ، كانت تلك فترة من النشاط المؤسسي والسياسي المكثف. لقد مزّق الانشقاق والخلافات الحادة هذه المؤسسة.

الثمل بعلم الأسطورة

في عام 1908 اشترى يونغ أرضاً على شاطئ بحيرة زيورخ في كاسناخت وطلب بناء منزل حيث كان يخطط ليعيش بقية حياته. عام 1909، استقال من برغولزلي، ليكرّس نفسه لممارسته الطبية الناجحة واهتماماته بالأبحاث. وقد تصادف تقاعده من برغولزلي مع تغير اهتماماته البحثية، وتحولها لدراسة علم الأسطورة والفلكلور والدين، وجمع مكتبة شخصية كبيرة من الأعمال البحثية. وصلت هذه الأبحاث إلى ذروتها في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه"، الذي نُشر على دفعتين عامي 1911 و1912. يمكن اعتبار هذا العمل علامة على عودة يونغ إلى جذوره الفكرية وانشغاله بالثقافة والدين. لقد وجد العمل بعلم الأسطورة مشوقاً ومسكراً. وفي عام 1925 تذكر هذا: "بدا لي أنني كنت أعيش في مصحة للمجانين قمت بصنعها بنفسي. كنت أتسكع مع كل تلك الشخصيات الخيالية: القنطورات والحوريات والآلهة الإغريقية والآلهة والآلهات، كما لو أنها مرضى وكنت أحللها. كنت أقرأ أسطورة يونانية أو زنجية كما لو أن مجنوناً يروي سوابقه المرضية أمامي.[26] لقد

[26] "مقدمة إلى علم النفس اليونغي" الصفحة 24.

شهدت نهاية القرن التاسع عشر انفجاراً في الثقافة العلمية في فرعي علم الأديان المقارن وعلم النفس الإثني المؤسسين حديثاً. وتم جمع النصوص الأولية وترجمتها للمرة الأولى وإخضاعها للدراسة التاريخية في مجموعات مثل "الكتب المقدسة للشرق" لماكس مولر[27]. بالنسبة إلى كثيرين، مثلت هذه الأعمال تعديلاً هاماً للنظرة العالمية للمسيحية.

في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" ميز يونغ نوعين من التفكير. وعبر إلهام من ويليام جيمس وغيره، قارنٍ يونغ بين التفكير الموجّه والتفكيرٍ الخياليٍ. كان الأول شفوياً ومنطقياً، بينما كان الآخر منفعلاً وترابطياً وصورياً. كان يُمثل الأول بالعلم والثاني بالأسطورة. وادعى يونغ أن القدماء كانوا يفتقدون القدرة على التفكير الموجّه، وهو أمر تم اكتسابه حديثاً. لقد حدث التفكير الخيالي عندما توقف التفكير الموجّه. كان كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" دراسة مطولة عن التفكير الخيالي، وعن الحضور المستمر للمواضيع الأسطورية في أحلام الأفراد المعاصرين وأخيولاتهم. كرر يونغ المعادلة الأنثروبولجية لما قبل التاريخي، والبدائي، والطفل. قال إن توضيح التفكير الخيالي المعاصر لدى البالغين، سيلقي الضوء على تفكير الأطفال والمتوحشين، وشعوب ما قبل التاريخ[28]. جمع يونغ في هذا العمل، نظريات القرن التاسعِ عشر عن الذاكرة والإرث واللاوعي، وافترض وجود طبقة في اللاوعي تتعلق بتاريخ تطوّر السلالات، ما تزال موجودة لدى الجميعٍ، وتتألف من الصور الأسطورية. بالنسبة إلى يونغ، كانت الأساطير رموزاً لليبيدو وكانت تصف حركاته النموذجية. وقد استخدم منهج المقارنة للأنثروبولوجيا ليجمع مجموعة كبيرة من الأساطير، ثم أخضعها للتفسير التحليلي. وأطلق لاحقاً على استخدامه للمنهج المقارن اصطلاح "الإسهاب". كما ادعى أنه يجب أن تكون هناك أساطير نموذجية، توافقت مع تطور العقد الإثنية النفسية. وباتباع خطى جيكوب بركهارت، أطلق يونغ على

[27] امتلك يونغ مجموعة كاملة منها.

[28] "علم النفس واللاوعي" ليونغ، الأعمال الكاملة ب 36. في نسخته المنقحة لهذا النص عام 1952، صنفها (رموز التحول، الأعمال الكاملة 5، 29).

هذه الأساطير النموذجية اصطلاح "الصور البدائية". وقد مُنحت أسطورة معينة دوراً هاماً: وهو دور البطل. بالنسبة إلى يونغ، كان هذا يمثل حياة الفرد، الذي يحاول أن يصبح مستقلاً وأن يحرر نفسه من الأم. وقد فسّر دافع السفاح على أنه محاولة للعودة إلى الأم من أجل الولادة من جديد. وبشّر لاحقاً بأن هذا العمل هو علامة على اكتشاف اللاوعي الجمعي، لكن المصطلح نفسه أتى في وقت لاحق[29].

في سلسلة من المقالات من عام 1912، طرح صديق يونغ وزميله ألفونس ميدير فكرة أن للأحلام وظيفة غير تحقيق الأماني، التي كانت وظيفة موازنة أو تعويضية. كانت الأحلام محاولات لحل نزاعات الفرد الأخلاقية. وبهذا لم تكن تدل على الماضي وحسب، بل تمهد الطريق للمستقبل أيضاً. كان ميدير يطور آراء فلورنوي عن مخيلة ما دون الوعي الإبداعية. كان يونغ يعمل على خطوط مشابهة، وتبنى مواقف ميدير. بالنسبة إلى يونغ وميدير، فإن تعديل مفهوم الأحلام، جلب معه تعديلاً لظواهر أخرى ترتبط باللاوعي.

في مقدمته للطبعة المنقحة عام 1952 لكتاب "تحولات الليبيدو ورموزه"، كتب يونغ أن العمل كُتب عام 1911، عندما كان هو في السادسة والثلاثين من العمر: "الوقت حرج، لأنه بداية للنصف الثاني من الحياة، حيث لا تحدث الميتانويا، أو تغيير التفكير، كثيراً"[30]. وأضاف أنه كان واعياً لخسارة تعاونه مع فرويد، وكان مديناً لدعم زوجته. بعد إكمال العمل، أدرك معنى عيش الإنسان دون أسطورة. الإنسان بدون أسطورة "كأنه اقتُلع من جذوره، وليس هناك رابط حقيقي لا مع الماضي ولا مع حياة الأسلاف التي تستمر من خلاله، أو حتى مع المجتمع الإنساني المعاصر[31]"، حيث وصفها بشكل أوسع قائلاً:

---

[29] "خطاب تأسيس معهد كارل غوستاف يونغ في زيورخ في 24 نيسان 1948. الأعمال الكاملة 18، 1131.

[30] الأعمال الكاملة 5. الصفحة26.

[31] المرجع نفسه الصفحة 29.

كنت منقاداً إلى أن أسأل نفسي بكل جدية: "ما هي الأسطورة التي أعيشها؟" ولم أجد جواباً على هذا السؤال، واضطررت للاعتراف بأنني لا أعيش مع أسطورة، أو حتى في أسطورة، بل في غيمة غير مؤكدة من الاحتمالات النظرية التي كنت بدأت أنظر إليها بفقدان ثقة متزايد... لذا، وبالطريقة الأكثر طبيعية، أخذت على عاتقي مهمة معرفة أسطورتي "الخاصة"، واعتبرتها مهمة المهمات، لأنه- هذا ما قلته لنفسي- كيف أستطيع، عند معالجة مرضاي، أن أترك هامشاً مناسباً للعامل الشخصي، من أجل معادلتي الشخصية، التي هي ضرورية جداً لمعرفة الشخص الآخر، إن لم أكن واعياً له؟" [32]

لقد كشفت دراسة الأسطورة ليونغ انعدام الأسطورة لديه. ثم أخذ على عاتقه مهمة معرفة أسطورته، "معادلته الشخصية"[33]. وهكذا نرى أن الاختبار الذاتي الذي قام به يونغ كان استجابة مباشرة جزئياً للأسئلة النظرية التي طرحها بحثه، الذي بلغ ذروته في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه".

تجربتي الأصعب

في عام 1912 راودت يونغ أحلام هامة لم يفهمها. منح أهمية خاصة لهذين الحلمين، اللذين شعر أنهما أظهرا حدود مفاهيم فرويد عن الأحلام. الأول هو التالي:

كنت في بلدة جنوبية، في شارع صاعد ذي رصيف ضيق. كانت الساعة هي الثانية عشرة في منتصف النهار- الشمس مشرقة. مر بي موظف جمارك نمساوي عجوز أو ما يشبهه، تائهاً في أفكاره. قال أحدهم "هذا هو الشخص الذي لا يمكنه أن يموت. لقد مات منذ 30-40 سنة، لكنه لم يتمكن من التفسخ بعد". فوجئت

[32] المرجع نفسه.

[33] "مقدمة إلى علم النفس اليونغي. الصفحة 25.

كثيراً. حينها وصل شخص ملفت للنظر، فارس قوي البنية، يرتدي درعاً مصفراً. بدا صلباً وملغزاً ولا يمكن لشيء أن يبهره. كان يضع على ظهره صليباً مالطياً أحمر. كان موجوداً منذ القرن الثاني عشر وكل يوم بين الساعة 12 والساعة 1 كان يسلك الطريق نفسه. لم يستغرب أحد وجود هذين الطيفين، لكنني شعرتُ بمفاجأة كبيرة.

أمتنع عن استخدام مهاراتي في التفسير. بالنسبة إلى النمساوي العجوز، خطر فرويد على ذهني، وبالنسبة إلى الفارس، أنا نفسي.

في الداخل، كان هناك صوت يصرخ، "كل شيء فارغ ومقزز". يجب أن أتحمله[34].

اعتقد يونغ أن حلمه قمعي ومحير، ولم يتمكن فرويد من تفسيره[35].

بعد حوالي نصف سنة راود يونغ حلم آخر:

حلمت في ذلك الوقت (كان ذلك بعد عيد الميلاد عام 1912 بقليل)، أنني كنت أجلس مع أولادي في شقة في قلعة، رائعة ومفروشة بفخامة- قاعة مفتوحة فيها أعمدة- كنا نجلس إلى طاولة مستديرة، كان سطحها من حجر أخضر غامق بديع. فجأة دخل نورس أو يمامة وحط بخفة على الطاولة. طلبت من الأولاد التزام الصمت، كي لا يخيفوا الطائر الجميل الأبيض. فجأة تحول هذا الطائر إلى طفلة في الثامنة، فتاة شقراء صغيرة، وبدأت تتراكض وتلعب مع أولادي في القاعة الرائعة ذات الأعمدة. ثم تحولت الطفلة إلى نورس أو يمامة. قالت لي التالي: "في الساعات الأولى من الليل فقط أستطيع أن أصبح من

---

[34] الكتاب الأسود2. الصفحات 25-26

[35] عام 1925، قدم التفسير التالي لهذا الحلم: "معنى الحلم يكمن في مبدأ الشخصية السلفية. فالضابط النمساوي ليس شخصية بدنية – كان مناسباً طبعاً للنظرية الفرويدية- بل الآخر، المحارب الصليبي، هو شخصية بدنية، رمز مسيحي يعيش من القرن الثاني عشر، رمز لا يعيش حقاً اليوم، لكن من جهة اخرى ليس ميتاً تماماً أيضاً. إنه يخرج في زمن ميستر إيكهارت، زمن ثقافة الفرسان، عندما ازدهرت افكار عديدة، لكن ليُقتل ثانية، لكنهم يعودون إلى الحياة الآن. على أية حال، عندما راودني الحلم، لم اكن اعرف هذا التفسير". (مقدمة إلى علم النفس اليونغي الصفحة 42).

البشر، بينما يكون ذكر اليمام منشغلاً مع الموتى الاثني عشر". بعد قول هذه الكلمات طار الطائر مبتعداً واستيقظت[36].

في الكتاب الأسود2، أشار يونغ إلى أن هذا الحلم هو الذي جعله يقرر البدء في علاقة مع امرأة التقى بها منذ ثلاث سنوات (توني وولف)[37]. وفي عام 1925، كتب ملاحظة تفيد أن هذا الحلم "كان بداية الاقتناع بأن اللاوعي لا يتألف من مادة خاملة فقط، بل هناك شيء يعيش في تلك الأعماق".[38] وأضاف أنه فكر بقصة (الطاولة الزمردية)، والتلاميذ الاثني عشر، وأبراجٍ دائرة الفلك، وغير ذلك، لكنه "لم يفهم شيئاً من الحلم إلا أن هناك نشاطاً هائلاً للاوعي. لم أكن أعرف أية تقنية لفهم هذا النشاط، كل ما استطعت فعله هو الانتظار، والاستمرار في العيش، ومراقبة الأخيولات"[39]. لقد قادته تلك الأحلام لتحليل ذكريات طفولته، لكن هذا لم يحل أي شيء. أدرك أنه بحاجة لاستعادة النبرة العاطفية للطفولة. تذكر أنه عندما كان طفلاً، كان يحب بناء البيوت والبنى الأخرى، وبدأ يقوم بهذا ثانية.

بينما كان منغمساً في هذا النشاط من التحليل الذاتي، استمر بتطوير عمله النظري. ففي مؤتمر ميونيخ للتحليل النفسي في أيلول 1913، تحدث عن النماذج النفسية. وطرح فكرة أن هناك حركتين أساسيتين

---

36 الكتاب الأسود 2، الصفحات 17-18.

37 المرجع نفسه الصفحة 17.

38 مقدمة إلى علم النفس اليونغي. صفحة 42.

39 المرجع نفسه الصفحات 40-41. علق بينيت على تعليقات يونغ على هذا الحلم: "في البداية اعتقد أن "الرجال الموتى الاثنا عشر" يشيرون إلى الأيام الاثني عشر قبل عيد الميلاد لأنها الفترة المظلمة من السنة، حيث تنشط الساحرات تقليدياً. أن تقول عبارة (قبل عيد الميلاد) فهذا يعني "قبل عودة الشمس إلى الحياة ثانية"، لأن يوم عيد الميلاد هو نقطة تحول في العالم حيث يُحتفى بولادة الشمس في الدين الميثري... لكنه لم يربط الحلم بهرميز واليمامات الاثنتي عشرة إلا لاحقاً" (كتاب لقاءات مع يونغ: حوارات مسجلة من قبل (E. A. Bennet) بين الأعوام 1946-1961. لندن: مطبعة أنكور، 1982. زيورخ: ديمون فيرلاغ، 1985 الصفحة 93). وفي عام 1951 في كتاب "المظاهر السيكولوجية لشخصية كور" قدم يونغ بعض المواد من الكتاب الأحمر (يصفها كلها كجزء من سلسلة أحلام) بصيغة مجهولة الاسم (الحالة زي) متعقباً تحولات القرينة (الأنيما). لقد كتب أن هذا الحلم "يظهر القرينة شبيهة بالجني القزم، أي إنها بشرية جزئياً فقط. ويمكنها أن تكون طائراً، مما يعني أنها ربما تنتمي بالكامل إلى الطبيعة ويمكنها أن تختفي. (أي إنها تصبح غير واعية) من المجال الإنساني (أي الوعي)". راجع أيضاً كتاب الذكريات الصفحة 195-96.

لليبيدو: الانبساط، حيث يكون اهتمام الفرد متوجهاً نحو العالم الخارجي، والانطواء، حيث يكون اهتمام الفرد موجهاً نحو الداخل. انطلاقاً من هذا، افترض وجود نموذجين من الناس، يُصنفون حسب هيمنة إحدى هاتين النزعتين. لقد كانت سيكولوجيات فرويد وآدلر أمثلة على حقيقة ان السيكولوجيات غالباً ما تعتبر ما ينطبق على نموذجها صحيحاً بشكل عام. لذلك كان المطلوب هو سيكولوجيا تفي كلا النموذجين حقه[40].

في الشهر التالي، في رحلة بالقطار إلى شوفهاوزن، اختبر يونغ أثناء الصحو، رؤيةً لأوروبا تتعرض للتدمير بفيضان كارثي، وتكررت الرؤية بعد أسبوعين، في الرحلة نفسها[41]. تعليقاً على هذه التجربة عام 1925، كتب قائلاً: "من الممكن اعتباري أنني سويسرا المحاطة بالجبال، وغرق العالم هو حطام علاقاتي السابقة". لقد قاده هذا إلى التشخيص التالي لحالته: "فكرّت في نفسي، إن كان هذا يعني أي شيء، فهو يعني أنني مريض بشكل لا أمل منه[42]". بعد هذه التجربة، خشي يونغ من أنه سيصبح مجنوناً[43]. وتذكّر أنه اعتقد أولاً أن صور تلك الرؤية، تشير إلى ثورة، لكنه لم يستطع تخيّل هذا، واستنتج أنه كان يتعرض لخطر "الإصابة بالذهان"[44]. بعد هذا، راودته رؤية مشابهة:

في الشتاء التالي كنت أقف عند النافذة ذات ليلة ونظرت إلى الشمال. رأيت توهجاً دموياً أحمر، مثل وهج البحر المشاهد عن بعد، يمتد من الشرق إلى الغرب عبر الأفق الشمالي. وحينها سألني أحدهم

---

[40] "عن أسئلة تتعلق بالنماذج السيكولوجية" الأعمال الكاملة 6.

[41] راجع الصفحة 130.

[42] مقدمة إلى علم النفس اليونغي. الصفحات 47-48.

[43] تذكرت باربرا هانا أن "يونغ كان يقول في السنوات اللاحقة إن شكوكه المعذبة المتعلقة برجاحة علقه كان يجب أن تهدأ بسبب كمية النجاح التي كان يحققها في الوقت نفسه في العالم الخارجي، خاصة في أمريكا". (كارل غوستاف يونغ: حياته وعمله، مذكرات سيرة ذاتية) (نيويورك: بيريجي، 1976) الصفحة 109.

[44] كتاب المذكرات، الصفحة 200.

عن رأيي بأحداث العالم في المستقبل القريب. وقلت إنه ليست لدي أفكار، بل رأيت دماً، أنهاراً من الدم[45].

في السنوات السابقة تماماً لاندلاع الحرب، كانت رؤى نهاية العالم منتشرة بشدة في الفنون والأدب الأوروبي. مثلاً، عام 1912، كتب فاسيلي كادينسكي عن كارثة كونية قادمة. ومنذ 1912- 1914، رسم لودفيغ ميدنر سلسلة من اللوحات المعروفة باسم المناظر الطبيعية الرؤيوية، ذات مشاهد عن مدن مدمرة وجثث واضطراب[46]. كانت النبوءة منتشرة في كل مكان. وفي عام 1899، تنبأت الوسيطة الروحية الأمريكية الشهيرة ليونورا بايبر أنه في القرن القادم قد تحدث حربٌ مريعةٌ في أجزاء مختلفة من العالم تنظف العالم وتكشف الحقائق عن الروحانية. وفي عام 1918، اعتبر أرثر كونان دويل، العالم الروحاني ومؤلف قصص شيرلوك هولمز، ذلك أشبه بحالة النبوءة[47].

في رواية يونغ للأخيولة على القطار في الكتاب الأحمر، قال الصوت الداخلي إن ما صورته الأخيولة سيصبح حقيقياً تماماً. في البداية، فسرها بشكل ذاتي وبأثر رجعي: إنها تصف الدمار الوشيك للعالم. وكان ردّ فعله على هذه التجربة هو القيام بتحقيق نفسي على ذاته. في هذه الفترة، كان الاختبار الذاتي مستخدماً في الطب وعلم النفس. وكان الاستبطان أحد الأدوات الرئيسة في أبحاث علم النفس.

أدرك يونغ أن كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" "يمكن اعتباره "نفسي أنا" وأن تحليله سيؤدي بشكل حتمي إلى تحليل عمليات اللاوعي الخاصة بي"[48]. وكان قد أجرى إسقاطاً لمواده على مواد

---

[45] المسودة. الصفحة 8.

[46] غيردا بروير وآينز (Wagemann, Ludwig Meidner: Zeichner, Maler, Literat)، 1884-1966 (شتوتغارت: فيرلاغ غيرد هاتي، 1991)، المجلد 2، الصفحات 124-49. راجع جاي وينتر، مواقع الذاكرة، مواقع الحداد: الحرب العظيمة في تاريخ الثقافة الأوروبية (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 1995)، الصفحات 145-77

[47] أرثر كونان دويل، "الثورة الجديدة والرسالة الهامة" (لندن: مطبعة سايكيك، 1918)، الصفحة 9

[48] مقدمة إلى علم النفس اليونغي الصفحة 28

الآنسة فرانك ميلر التي لم يلتق بها قط. حتى ذلك الوقت، كان يونغ مفكراً نشطاً وكان يكره الأخيولة: "كشكل من التفكير اعتبرتها غير نقية، نوع من السفاح، غير أخلاقية بالكامل من وجهة نظر فكرية[49]". عاد الآن لتحليل أخيولاته، ويدون ملاحظات عن كل شيء بعناية، واضطر للتغلب على قدر كبير من المقاومة في القيام بهذا: "السماح للأخيولة في داخلي له التأثير نفسه الذي سيحدث عند إنسان إن دخل ورشته ووجد أن كل أدواته تطير في المكان وتقوم بأشياء مستقلة عن إرادته[50]". لقد أدرك يونغ في دراسته لأخيولاته، أنه كان يدرس وظيفة خلق الأسطورة التي يقوم بها العقل[51].

اختار يونغ الدفتر البني، الذي كان قد وضعه جانباً عام 1902، وبدأ يكتب عليه[52]. كتب جِلاَّته الداخلية بطريقة المجاز، كأن يكون في صحراء فيها شمس حارقة لا تُحتمل (أي الوعي). وفي محاضرة 1925، تذكر أنه خطر له أنه يستطيع كتابة تأملاته بشكل متسلسل. كان "يكتب مادة سيرة ذاتية، لكن ليس كتاب سيرة ذاتية[53]". منذ زمن الحوارات الأفلاطونية، أصبح شكل الحوار الثنائي نوعاً مهيمناً في الفلسفة الغربية. عام 387 ميلادية، كتب القديس أوغسطين "مناجاة"، التي قدمت حواراً مطولاً بينه وبين "العقل"، الذي كان يعطيه الإرشادات. وتبدأ بالسطور التالية:

عندما كنت أتأمل أشياء مختلفة بيني وبين نفسي لوقت طويل، وكنت ألتمس لوقت طويل ذاتي الخاصة وما هو خيري الخاص، وما هو الشر الذي يجب تجنبه، فجأة تحدث إلي- ماذا كان؟ أنا نفسي أم

49 المرجع نفسه

50 المرجع نفسه

51 (إم بي) الصفحة 23

52 الدفاتر التالية كانت سوداء، لذلك أشار إليها يونغ باسم "الكتب السوداء"

53 مقدمة إلى علم النفس اليونغي الصفحة 48

شخصٍ آخر، داخلي أم خارجي؟ (هذا هو الشيء الذي أود معرفته تحديداً لكنني لا أعرفه)[54].

بينما كان يونغ يكتب في الكتاب الأسود2

قلت لنفسي "ما هو هذا الذي أفعله، إنه ليس علماً بالتأكيد، ما هو؟" ثم قال لي صوت "هذا فن". ترك هذا أغرب انطباع علي، لأنه لم يكن لدي أي انطباع بأن ما كنت أكتبه هو فن. ثم توصلت إلى هذا "ربما يشكل اللاوعي لدي، شخصية ليست أنا، لكنها تلح على الخروج من خلال التعبير". لا أعرف لماذا بالضبط، لكنني كنت أعرف بشكل مؤكد أن الصوت الذي قال إن كتاباتي كانت فناً يأتي من امرأة... أكدتُ لهذا الصوت أن ما أفعله لم يكن فناً، وشعرت بمقاومة شديدة تنمو داخلي. لكن لم يخرج أي صوت، وتابعت الكتابة. هذه المرة أمسكت بها وقلت: "لا، ليس كذلك". وشعرت كما لو أن جدالاً سيتبع هذا[55].

لقد اعتقد أن هذا الصوت كان "الروح بالمعنى البدائي"، التي سماها الأنيما "**القرينة**" (**وهي الكلمة اللاتينية التي تعني روح**)[56]. وصرّح أنه "بوضع هذه المادة كلها قيد التحليل، كنت أكتب رسائلَ إلى **قرينتي**، وهي الجزء من نفسي الذي لديه وجهة نظر تختلف عن وجهة نظري. حصلت على ملاحظات لشخصية جديدة- كنت في تحليل مع شبح وامرأة"[57].

---

[54] القديس أوغستين "المناجاة وخلود الروح (طباعة وترجمة جيرارج واتسون. وارمينستر: مطبعة آريز أند فيليبس، 1990) الصفحة 23. كتب واتسون أن أوغستين "كان يمر بمرحلة من التوتر الشديد، واقترب من الانهيار العصبي، وكانت المناجاة شكلاً من العلاج، وجهداً منه ليعالج نفسه بواسطة الكلام، أو بالأحرى، الكتابة"

[55] المرجع نفسه. الصفحة 42. في رواية يونغ هنا، يبدو أن هذا الحوار حدث في خريف 1913، رغم أن هذا ليس مؤكداً، لأن الحوار نفسه لا يذكر في الكتب السوداء، ولا في أية مخطوطة أخرى ظهرت إلى النور حتى الآن. إن متابعة هذا التأريخ، وبغياب أية مادة أخرى، سيظهر أن المادة التي يشير إليها الصوت هي مداخل تشرين الثاني - نوفمبر في الكتاب الأسود2، وليس نص الكتاب الأحمر ولا رسوماته التي تلت ذلك.

[56] المرجع نفسه الصفحة 44.

[57] المرجع نفسه الصفحة 46.

باستعادة الأحداث، تذكر أنه كان صوت رسامة هولندية عرفها بين عامي 1912-1918، وهي التي أقنعت طبيباً نفسياً زميلاً له بأن اللاوعي كان فناً، لكن يونغ بقي مصراً على أنه طبيعة[58]. لقد طرحتُ سابقاً فكرة أن المرأة تلك- المرأة الهولندية الوحيدة في دائرة معارف يونغ في تلك الحقبة – كانت ماريا مولتزر، والطبيب النفسي ذاك كان صديق يونغ وزميله فرانز ريكلن، الذي كان يتخلى عن التحليل من أجل الرسم. وفي عام 1913، أصبح طالباً لدى أوغستو جياكوميتي، عم ألبرتو جياكوميتي، ورساماً تجريدياً هاماً[59].

تصف مداخل تشرين الثاني – نوفمبر، في الكتاب الثاني، إحساس يونغ بعودته إلى روحه. لقد سرد أحلامه التي جعلته يختار مهنته العلمية، أحلامه الحديثة التي أعادت إليه روحه. وكما يتذكر في العام 1925، فقد انتهت هذه الحقبة الأولى من الكتابة في تشرين الثاني – نوفمبر: "بدون أن أعلم ما الذي سيأتي لاحقاً، اعتقدتُ أن هناك حاجة لمزيد من الاستبطان... ابتكرت منهجاً مملاً جداً وهو تخيُّلُ أنني أحفر حفرة، وقبول أن هذه الأخيولة كانت حقيقية تماماً"[60]. أول مرة حدثت فيه هذه التجربة كان في 12 كانون الأول 1913[61].

كما أشرنا، كان يونغ قد قام بتجربة مكثفة في دراسة الوسطاء الروحيين في حالة الغشية، كانوا يُشجعون أثناءها على إنتاج الأخيولات والهلوسات البصرية أثناء الصحو، وقد أجرى تجاربَ في الكتابة الآلية.

---

[58] (إم بي) الصفحة 171.

[59] اتبعت لوحات ريكلن عامة أسلوب أوغستو جياكوميتي نصف الرمزي والتجريدي بالكامل، مع ألوان رقيقة. ملكية خاصة. بيتر ريكلن. هناك لوحة واحدة لريكلن من عامي 1916/1915، Verkündigung، في متحف الكانزثوس في زيورخ، تبرعت بها ماريا مولتزر عام 1945. وقد تذكر ياكوميتي أن "اطلاع ريكلن على علم النفس كان مشوقاً بشكل استثنائي وجديد بالنسبة إلي. كان ساحراً معاصراً. كان لدي شعور أنه يستطيع القيام بالسحر" ((Von Stampa bis Florenz: Blätter der Erinnerung) (زيورخ: راشر، 1943) الصفحة 86-87.

[60] مقدمة إلى علم النفس اليونغي 51.

[61] الرؤية التي تبعت هذا توجد لاحقاً في "الكتاب الأول" الفصل 5 "النزول إلى الجحيم في المستقبل" الصفحة 147.

كما استُخدمت ممارسات التصور في تقاليد دينية متنوعة. مثلاً، في التمرين الروحي الخامس للقديس إغناطيوس من ليولا، كان الأفراد يُعطون إرشادات عن طريقة "الرؤية بأعين المخيلة، طول وعرض وعمق الجحيم"، ولاختبار هذا بكامل الوضوح الحسي[62]. انخرط سويدنبرغ أيضاً "بالكتابة الروحية". وفي مذكراته الروحية، نقرأ في أحد المداخل:

26 كانون الأول 1748- الأرواح، إن سُمح لها ذلك، يمكنها أن تسكن من يتحدثون معها بشكل كلي، بحيث تصبح كأنها في العالم بشكل تام، وتظهر بطريقة ما بهذا الشكل، بحيث يمكنها إيصال افكارها من خلال وسيطها، وحتى بالرسائل، لأنها أحياناً، بل غالباً، ما وجهت يدي عندما أكتب، كما لو أنها يدها، واعتقدت أنني لستُ من يكتب، بل هي نفسها[63].

منذ عام 1909 وصاعداً في فيينا، أجرى عالم النفس التحليلي هيربرت سيلبرير تجارب على نفسه في حالات أول الإغفاء. حاول سيلبرير السماح للصور بالظهور. وقد أكّد أن هذه الصور مثلت رسوماً رمزية لسلسلة أفكاره السابقة. تراسل سيلبرير مع يونغ وأرسل له نسخاً من مقالاته[64].

في عام 1912، نشر لودفيغ ستاودنماير (1856-1933)، وهو بروفسور في الكيمياء التجريبية، كتاباً بعنوان "السحر كعلم تجريبي". كان ستاودنماير قد شرع في تجارب ذاتية عام 1901، وبدأ بالكتابة الآلية.

---

[62] القديس إغناطيوس من ليولا، "التمارين الروحية" في "كتابات شخصية" ترجمة جي ميونيتيز وب إيدن (لندن: بنغوين، 1996)، الصفحة 298. عام 1939 و1941، وقد قدم يونغ تعليقاً نفسياً على تمارين القديس إغناطيوس الروحانية في (إي تي إتش) (سلسلة فيليمون، لم تصدر بعد).

[63] هذه الفقرة نسخها ويليام وايت في كتابه (سويدنبرغ: حياته وكتاباته) المجلد 1 (لندن: باث 1867) الصفحة 293-94. في نسخة يونغ من هذا الكتاب، وضع علامة على النصف الثاني من هذه الفقرة بخط في الهامش.

[64] راجع سيلبرير "" Bericht über eine Methode, gewisse symbolische Halluzinations-Erscheinungen hervorzurufen und zu beobachten" (قضية تقرير عن طريقة أن بعض الظواهر الهلوسية رمزية ويمكن ملاحظتها: الكتاب السنوي للبحوث النفسية وعلم النفس 2 (1909) الصفحة 513-25.

وظهرت سلسلة من الشخصيات، ووجد أنه لم يعد بحاجة إلى الكتابة للبدء بحوارات معها[65]. وحرض أيضاً الهلوسات السمعية والبصرية. وكان الهدف من مشروعه هو استخدام تجاربه الذاتية لتقديم تفسير علمي للسحر. طرح فكرة أن مفتاح فهم السحر يكمن في مفاهيم الهلوسات و"ما تحت الوعي"، وأعطى أهمية خاصة لدور التجسدات[66]. وبهذا نرى أن عمل يونغ يشبه إلى حد كبير الممارسات التاريخية والمعاصرة التي كان يعرفها.

منذ كانون الأول 1913 فصاعداً، تابع الإجراء نفسه: تحريض أخيولة في حالة الصحو عمداً، ثم الدخول فيها كما يدخل المرء في تمثيلية. ربما تُفهم هذه الأخيولات كنموذج للتفكير الدرامي في شكل تصويري. عند قراءة أخيولاته، يصبح تأثير دراسات يونغ الميثولوجية واضحاً. بعض من الشخصيات والمفاهيم تُشتق مباشرة من قراءاته، ويشهد الشكل والأسلوب على ولعه بعالم الأساطير والملاحم. في الكتب السوداء، دوّن يونغ أخيولاته في مداخل مؤرخة، مع تأملاته في حالاته الذهنية والصعوبات التي واجهها في فهم الأخيولات. إن الكتب السوداء ليست مذكرات للأحداث، ولم يُكتب فيها إلا قلة قليلة من الأحلام. بالأحرى، إنها سجلات لتجربة. في كانون الأول 1913، أشار إلى الكتاب الأول من الكتب السوداء بأنه "كتاب أصعب تجاربي"[67].

باستعادة الأحداث، تذكر أن سؤاله العلمي كان معرفة ما يحدث عند إيقاف الوعي. لقد أشار مثال الأحلام إلى وجود نشاط في الخلفية، وإلى أنه أراد أن يمنح هذا النشاط إمكانية الظهور، كما يفعل المرء عند تناول الميسكالين[68].

---

[65] ستاوندماير "السحر كعلم تجريبي" (Leipzig: Akademische Verlagsgesellschaft, 1912) الصفحة 19.

[66] كان لدى يونغ نسخة من كتاب ستاوندماير، ووضع علامة على بعض الفقرات فيه.

[67] الكتاب الأسود2، الصفحة 58.

[68] (إم بي) الصفحة 381.

في مدخل كتاب أحلامه في 17 نيسان 1917 كتب يونغ: "منذ ذلك الحين، تمارين متكررة في إفراغ الوعي[69]". لقد كان الإجراء الذي يقوم به متعمداً بشكلٍ واضحٍ- بينما كان هدفه السماح للمحتويات الروحية بالظهور عفوياً. وقد تذكر أن تحت عتبة الوعي، كل شيء كان نشطاً. أحياناً، كان الأمر كأنه سمع شيئاً ما. وفي أحيان أخرى، أدرك أنه كان يهمس لنفسه[70].

منذ تشرين الثاني 1913 حتى تموز التالي، بقي غير واثق من معنى مسعاه وأهميته، وفيما يتعلق بمعنى أخيولاته التي استمرت بالتطور. خلال هذه المدة، ظهر فيلمون، الذي تبين أنه شخصية هامة في أخيولات لاحقة، في حلم. روى يونغ الحلم:

كانت هناك سماء زرقاء كالبحر، مغطاة ليس بالغيوم بل بكتل بنية مسطحة من التراب. بدا كما لو أن الكتل تنقسم، وتصبح مياه البحر الزرقاء مرئية بينها. لكن الماء كان بزرقة السماء. فجأة ظهر من اليمين مخلوق مجنّح يبحر عبر السماء. رأيت أنه رجل عجوز لديه قرنا ثور. كان يحمل مجموعة من أربعة مفاتيح، تمسّك بأحدها كما لو أنه على وشك فتح قفل. كان لديه جناحا سمكة رفراف بألوانها المميزة. بما أنني لم أفهم صورة الحلم، فقد رسمتها كي أطبعها في ذاكرتي[71].

بينما كان يرسم هذه الصورة، وجد سمكة رفراف ميتة (وهذا نادر جداً في محيط زيورخ) في حديقته قرب شاطئ البحيرة[72].

---

[69] "الأحلام" (جي إف أي) الصفحة 9.

[70] (إم بي) الصفحة 145. إلى مارغريت أوستروسكي- ساكس قال يونغ: "تقنيات التخيل الفعال يمكن أن تكون هامة جداً في المواقف الصعبة- حيث تحدث زيارة مثلاً. لا تبدو منطقية إلا عندما يراود المرء شعور بأنه أمام جدار فارغ. اختبرت هذا عندما انفصلت عن فرويد. لم أعرف بماذا فكرت. شعرت فقط أن "الأمر ليس هكذا". ثم تخيلت "التفكير الرمزي" وبعد سنتين من المخيلة الفعالة تسارعت عدة أفكار إلي بحيث بالكاد كنت أستطيع الدفاع عن نفسي. وظهرت الأفكار نفسها ثانية. عملت بيدي وبدأت أحفر الخشب- ثم أصبح طريقي واضحاً" (من حوارات مع كارل غوستاف يونغ) (زيورخ- جوريس دراك فيرلاغ، 1971) الصفحة 18

[71] كتاب المذكرات، الصفحة 207.

[72] المرجع نفسه.

تاريخ هذا الحلم ليس واضحاً. شخصية فيلمون ظهرت لأول مرة في الكتب السوداء في 27 كانون الثاني 1914، لكن بدون جناحي سمكة الرفراف. بالنسبة إلى يونغ، مثّل فيلمون بصيرة سامية، وكان أشبه بمعلم له. كان يجري محادثات معه في الحديقة. لقد تذكّر أن فيلمون تطور من شخصية إيليا، الذي ظهر سابقاً في أخيولاته:

كان فيلمون وثنياً وأحضر معه جواً مصريا –هلينياً مع ألوان غنوصية... هو من علمني الموضوعية الروحية، واقع الوساطة الروحية. من خلال محادثات مع فيلمون، أصبح الفرق بيني وبين موضوع أفكاري واضحاً... نفسياً، كان فيلمون يمثل بصيرة سامية[73].

في 20 نيسان استقال يونغ كرئيس لرابطة التحليل النفسي العالمية. في 30 نيسان استقال من منصبه كمحاضر في كلية الطب في جامعة زيورخ. وقد تذكّر أنه شعر أنه كان في مكان مكشوف في الجامعة، وأنه شعر أن عليه العثور على توجّه جديد، لأنه سيكون من غير المنصف أن يعلّم تلامذته[74]. في حزيران وتموز، راوده حلم تكرر ثلاث مرات يكون فيه في بلد أجنبي وعليه العودة إلى الوطن بسرعة بالسفينة، يتبعه هبوط برد جليدي[75].

في 10 تموز صوتت جمعية علم النفس التحليلي في زيورخ بنسبة 15 إلى 1 للانفصال عن رابطة التحليل النفسي العالمية. وفي المذكّرة، كان السبب الذي أُعطي للرابطة، أن فرويد قد أسس نظاماً أورثوذكسياً أعاق الأبحاث الحرة والمستقلة[76]. وقد تم تغيير اسم المجموعة إلى رابطة علم النفس التحليلي. كان يونغ منخرطاً بشكل فعال في هذه الرابطة، التي اجتمعت بشكل نصف شهري. كانت لديه أيضاً عيادة علاجية محتشدة. بين عامي 1913 و1914، وكانت لديه استشارة

---

[73] المرجع نفسه الصفحة 207-8.

[74] المرجع نفسه الصفحة 219.

[75] راجع لاحقاً الصفحة 124.

[76] (إم زي إس).

إلى تسع استشارات في اليوم، طوال خمسة أيام في الأسبوع، بمعدل عمل بين الساعة الخامسة والسابعة[77].

لا تقدم مذكرة رابطة علم النفس التحليلي أية إشارات إلى العملية التي كان يونغ يمرّ بها. إنه لا يقدم إشارات إلى أخيولاته، ويستمر بمناقشة القضايا النظرية في علم النفس. وينطبق الأمر أيضاً على مراسلاته الباقية خلال تلك الحقبة[78]. كل سنة، كان يستمر بواجبات خدمته العسكرية[79]. وبهذا حافظ على نشاطاته المهنية والعائلية خلال اليوم، وكرس أمسياته لاستكشافاته الذاتية[80]. هناك أدلة على أن التقسيم للنشاطات استمر خلال السنوات القليلة اللاحقة. وقد تذكر يونغ أنه خلال تلك الفترة بقيت عائلته ومهنته "واقعاً سعيداً دوماً وضمانة على أنني كنتُ طبيعياً وموجوداً بالفعل[81]".

مسألة الطرق المختلفة لتفسير أخيولات كهذه، كانت موضوع محاضرة قدمها في 24 تموز أمام جمعية الطب والطب النفسي في لندن، "عن الفهم النفسي". هنا قارن منهج فرويد التحليلي- المختزل، بناء على السببية، مع منهج مدرسة زيورخ الاستدلالي. كانت نقطة ضعف الأول هي أنه من خلال تعقب أشياء تعود إلى عناصر سالفة، كانت تتعامل فقط مع نصف الصورة، وفشلت في فهم المعنى الحي للظاهرة. ولئن حاول شخص فهم فاوست لغوته بطريقة كهذه، فسيكون أشبه بشخص يحاول فهم كاتدرائية قوطية من مظهر علم المعادن فقط[82]. إن المعنى الحي "يمكن فهمه فقط عندما نختبره ومن خلال أنفسنا[83]". ونظراً لأن الحياة جديدة أساساً، فلا يمكن فهمها بطريقة

---

[77] دفاتر مواعيد يونغ (جي اف اي).

[78] هذا مبني على دراسة موسعة لمراسلات يونغ في (إي تي إتش) حتى عام 1930 وفي أرشيفات ومجموعات أخرى.

[79] كانت تلك: 1913، 16 يوم، 1914، 14 يوم، 1915، 67 يوم، 1916، 34 يوم، 1917 117 يوم. (دفاتر الخدمة العسكرية ليونغ، جي إف أي).

[80] راجع لاحقاً الصفحة 137

[81] المذكرات. الصفحة 214

[82] يونغ "عن الفهم النفسي" الأعمال الكاملة 3، 396

[83] المرجع ذاته. 389

استرجاعية فقط. لذلك طرحت وجهة نظر الاستدلالية سؤال "كيف يمكن، من خلال هذه النفس الحاضرة، بناء جسر إلى مستقبلنا[84]". وتقدم هذه المحاضرة ضمنياً تبرير يونغ لعدم الشروع في تحليل سببي واسترجاعي لأخيولاته، ويخدم كتحذير لآخرين يشعرون بإغواء القيام بهذا. إن أسلوب يونغ الجديد في التفسير، المقدم بشكل نقد وإعادة تشكيل للتحليل النفسي، يرتبط ثانية بمنهج سويندبرغ في علم تفسير الروحانيات.

في 28 تموز، قدم يونغ محاضرة عن "أهمية اللاوعي في علم النفس المرضي" في لقاء للرابطة الطبية البريطانية في أبردين[85]. وقد طرح فكرة أنه في حالات العصاب والذهان يتعرض اللاوعي لإغواء معاوضة موقف الوعي الوحيد الجانب. يدافع الفرد غير المتوازن عن نفسه ضد هذا، ويصبح النقيضان أكثر استقطاباً. إن الدوافع التصحيحية التي تقدم نفسها على شكل لغة اللاوعي يجب أن تكون في بداية عملية الشفاء، لكن الشكل الذي تخترق به يجعلها غير مقبولة للوعي.

قبل شهر، في 28 حزيران، تم اغتيال الأرشيدوق فرانز فيرديناند، وريث الإمبراطورية النمساوية المجرية، على يد غافريلو برينسيب، وهو طالب صربي في التاسعة عشرة. في 1 آب، اندلعت الحرب. عام 1925 تذكر يونغ، "راودني شعور بأنني ذهاني مفرط في المعاوضة، ولم أتحرر من هذا الشعور حتى الأول من آب عام 1914[86]. بعد سنوات، قال لمرسيا إيلياد:

كطبيب نفسي أصبحت قلقاً، وأتساءل عما إن لم أكن على وشك أن "أقوم بالفصام" كما كنا نقول في تلك الأيام... كنت أعد محاضرة عن الفصام لأقدمها في اجتماع في أبردين، وكنت أقول لنفسي باستمرار: "سأتحدث عن نفسي! هناك احتمال كبير أن أصاب بالجنون بعد قراءة تلك المحاضرة". ثم حدث الاجتماع في تموز - يوليو 1914-

---

[84] المرجع ذاته 399

[85] الأعمال الكاملة 3.

[86] مقدمة إلى علم النفس اليونغي صفحة 48.

في الفترة نفسها التي رأيت نفسي في ثلاثة أحلام أقوم بِرحلة إلى البحار الجنوبية. في 31 تموز - يوليو، بعد محاضرة تماما، عرفت من الصحف أن الحرب قد اندلعت. فهمت أخيراً. وعندما نزلت في هولندا في اليوم التالي، لم يكن هناك شخص أسعد مني. أصبحت متأكداً الآن أنني لست مهدداً بالإصابة بالفصام. فهمت أن أحلامي ورؤاي راودتني من أساسات اللاوعي الجمعي. ما بقي علي فعله الآن هو تعميق الاكتشاف والتحقق من صحته. وهذا ما كنت أحاول فعله طوال أربعين سنة[87].

في هذه اللحظة، اعتبر يونغ أن أخيولته لم تصف ما يحدث له هو، بل ما يحدث لأوروبا. بعبارة أخرى، كانت استبصاراً لحدث جمعي، وهو ما سماه لاحقاً باسم الحلم "الكبير"[88]. بعد هذا الإدراك حاول معرفة ما إن كان الأمر ينطبق على أخيولات أخرى اختبرها وإلى أي مدى، ولفهم معنى التواصل بين الأخيولات الشخصية والأحداث العامة. يشكل هذا الجهد معظم مادة الكتاب الأحمر. وقد كتب في كتاب "السبر العميق"، أن اندلاع الحرب مكنه من فهم الكثير مما اختبره سابقاً، ومنحه الشجاعة لكتابة الجزء الأول من "الكتاب الأحمر"[89]. وهكذا اعتبر أن اندلاع الحرب أظهر له أن "خوفه" من الجنون كان في غير محله. ليس من المبالغة القول إنه لو لم تندلع الحرب، فهناك احتمال كبير ألا يكون "الكتاب الأحمر" قد جُمع. وفي عامي 56/1955، بينما كان يونغ يناقش المخيلة الفعالة، علق أن "السبب في أن التورّط يبدو شبيهاً جداً بالذهان هو

---

[87] مقابلة كومبات (1952) كارل غوستاف يونغ يتحدث: مقابلات ومواجهات، طباعة (ويليام ماكغواير وأر إف سي هال) (سلسلة بولينجن، برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1977) الصفحات 233-34.

[88] راجع الصفحة 129

[89] راجع الصفحة 498 - 499.

أن المريض يدمج مادة الأخيولة نفسها في حياته ويقع ضحيتها، لأنه لا يستطيع دمجها بل يتم ابتلاعه من قبلها"[90].

من المهم ملاحظة أن هناك حوالي اثنتي عشرة أخيولة منفصلة ربما اعتبرها يونغ استبصاراً:

1-2 (تشرين الأول - أكتوبر 1913)

رؤية متكررة لفيضان وموت الآلاف، وصوت قال إن هذا سيصبح حقيقياً.

3 - (خريف 1913)

رؤية لبحر من الدم يغطي الأراضي الشمالية

4-5 (12، 15 كانون الأول - ديسمبر 1913)

صورة لبطل ميت وقتل سيغفريد في حلم.

6 (25 كانون الأول - ديسمبر 1913)

صورة قدم عملاق تطأ مدينة، وصور لجريمة قتل ووحشية دموية.

7 (2 كانون الثاني - يناير 1914)

صورة لبحر من الدماء وموكب من عدد كبير من الأموات.

8 (22 كانون الثاني - يناير 1914)

تصعد روحه من الأعماق وتسأله إن كان سيقبل الحرب والدماء. تريه صوراً للدمار، والأسلحة العسكرية، والبقايا البشرية، والسفن الغارقة، والملكيات المحطمة، إلخ.

9 (21 أيار - مايو 1914)

صوت يقول إن الأضحيات تتساقط شمالاً ويميناً.

10-12 (حزيران - يونيو، تموز - يوليو 1914)

حلم متكرر لثلاث مرات عن كونه في بلد أجنبية وعليه العودة بسرعة بالسفينة، وهبوط برودة ثلجية[91].

---

[90] "(ميستريوم كوميونيكيوميس: تحقيق في فصل وتركيبة المتناقضات النفسية في الخيمياء) :الأعمال الكاملة 14، 756. عن أسطورة جنون يونغ، التي روج لها الفرويديون في البداية كوسيلة لدحض أعماله، راجع كتابي (تعرية يونغ حتى من قِبَلِ كتّاب سيرته الذاتية).

الكتاب الأحمر

شرع يونغ الآن بكتابة "الكتاب الأحمر". نسخ بأمانة معظم الأخيولات من الكتب السوداء، وأضاف إلى كل منها مقطعاً يشرح فيه معنى كل حادثة، إضافة إلى إسهاب شعري. تشير مقارنة كلمة بكلمة إلى أن الأخيولات نُسخت بأمانة، مع تنقيح بسيط جداً وتقسيم إلى فصول. وهكذا فإن تسلسل الأخيولات في "الكتاب الأحمر" يكاد يتوافق بالضبط تقريباً مع "الكتب السوداء". عندما يشارٍ إلى أن أخيولة معينة حدثت "في الليلة التالية"، إلخ، فهذا دقيق دوماً، وليس أسلوباً في الكتابة. لم يتم تعديل لغة المادة ولا محتواها. حافظ يونغ على "الإخلاص للحدث"، ولا يمكن اعتبار ما كان يكتبه كتابَ خيال. تبدأ المسودة بالتوجه إلى "أصدقائي"، وهذه العبارة تظهر بشكل متكرر. إن الفرق الرئيسي بين "الكتب السوداء" و"الكتاب الأحمر" هو أن الأولى كُتبت لاستخدام يونغ الشخصي، ويمكن اعتبارها سجلات لتجربة، بينما الأخير موجه إلى العامة ومقدم بصيغة ليقرأها الآخرون.

في تشرين الثاني 1914، درس يونغ كتاب "هكذا تكلم زرادشت" لنيتشه دراسة معمقة، وكان قد قرأه لأول مرة في شبابه. وقد تذكر لاحقاً: "ثم فجأة أمسك الروح بي وحملني إلى بلاد صحراوية، قرأت فيها زرادشت"[92]. شكّل الكتاب بنية وأسلوب "الكتاب الأحمر" بقوة. وكما فعل

---

[91] انظر الصفحات 126 – 127 – 154 – 169 – 394 - 492.

[92] جيمس جاريت، طباعة (زارادشت نيتشه: ملاحظات على السيمنار المقدمة عام 1934-9) (سلسلة بولنجن. برينستون: مطبعة جامعة برينستون: 1988)، الصفحة 381. عن قراءة يونغ لنيتشه، راجع بول بيشوب "الذات الديونيزية: تقبل كارل غوستاف يونغ لنيتشه) (برلين: والتر دي غروتر)، مارتن ليبشر، "" Die 'unheimliche Ähnlichkeit.' Nietzsches Hermeneutik der Macht und analytische Interpretation bei Carl Gustav Jung، "في Ecce Opus. Nietzsche-Revisionen im 20. Jahrhundert, eds. Rüdiger Görner and Duncan Larg (لندن/غوتنجن: فاندنهوك وروبرت، 2003) الصفحات 37-50" Jungs Abkehr von Freud im Lichte seiner Nietzsche-Rezeption في Zeitenwende-Wertewende, ed. Renate Reschke (برلين 2001)، الصفحات 255-60، وغراهام باركس "نيتشه ويونغ:

نيتشه في "زارادشت"، قسّم يونغ المادة إلى سلسلة من الكتب التي تشمل فصولاً قصيرة. لكن بينما أعلن زارادشت موت الله، وصف "الكتاب الأحمر" ولادة الله من جديد في الروح. وهناك إشارات أيضاً إلى أنه قد قرأ في ذلك الوقت "الكوميديا الإلهية" لدانتي، والتي ساعدت أيضاً في تشكيل بنية العمل[93]. يصف "الكتاب الأحمر" هبوط يونغ إلى الجحيم. لكن بينما استطاع دانتي استخدام علم أكوان راسخ، كان "الكتاب الأحمر" محاولة لتشكيل علم أكوان فردي. إن دور فيلمون في عمل يونغ، يشبه دور زارادشت في عمل نيتشه، وفيرجيل في عمل دانتي.

في المسودة، حوالي 50 ٪ من المادة مأخوذة مباشرة من "الكتب السوداء". هناك حوالي خمسة وثلاثين مقطعاً جديداً من التعليقات. في هذه المقاطع حاول اشتقاق مبادئ علم النفس العامة من الأخيولات، وفهم مدى تقديم الأحداث المصورة في الأخيولات، بشكل رمزي، تطورات ستحدث في العالم. في عام 1913، كان يونغ قد قدم فرقاً بين التفسير على المستوى الموضوعي حيث تُعامل الأشياء في الحلم كتمثيل لأشياء حقيقية، والتفسير على المستوى الذاتي، حيث يخص كل عنصر الحالمين أنفسهم[94]. وإضافة إلى تفسير أخيولاته على المستوى الذاتي، يمكن للمرء أن يصف الإجراء الذي قام به هنا على أنه محاولة لتفسير أخيولاته على المستوى "الجمعي". إنه لا يحاول تفسير أخيولاته بشكل مختزل، بل يراها على أنها تصف وظيفة مبادئ علم النفس العامة لديه (مثل العلاقة بين الانطواء والانبساط، والتفكير والمتعة، إلخ)، وعلى أنها تصف الأحداث الفعلية أو الرمزية التي

التقديرات المتناقضة" في Nietzsche and Depth Psychology طباعة جيكوب كولومب ويفر سناتانيلو وروناالد لهرر (ألبانيا: مطبعة إس يو إن واي، 1999) الصفحات 69' 213.

[93] في الكتاب الأسود 2، استشهد يونغ ببعض المقاطع من "المطهر" في 26 كانون الأول 1913 (104). راجع في الأسفل الملاحظة 213 ، الصفحة 198.

[94] عام 1913 أشار ميدير إلى "تعبير يونغ الرائع" عن "المستوى الموضوعي" و"المستوى الذاتي" في Über das Traumproblem," Jahrbuch für psychoanalytische und psychopathologische Forschungen 5، (1913) الصفحة 657-58) ناقش يونغ هذا في جمعية التحليل النفسي في زيورخ في 30 كانون الثاني 1914 (إم زي إس).

ستحدث. وبهذا فإن الطبقة الثانية من "المسودة" تمثل المحاولة الكبرى المطولة الأولى لتطوير وتطبيق منهجه الاستدلالي الجديد. إن الطبقة الثانية هي بحد ذاتها تجربة تفسيرية. وبالمعنى النقدي، لا يحتاج "الكتاب الأحمر" إلى تفسير مكمل، لأنه يحتوي على تفسيره الخاص.

عند كتابة "المسودة"، لم يضف يونغ مراجع العلوم الثقافية، رغم وفرة الاستشهادات والإشارات بدون ذكر مراجع إلى أعمال في الفلسفة، والدين، والأدب. لقد اختار بوعي ذاتي أن يترك العلوم الثقافية جانباً. لكن الأخيولات والتأملات بها في "الكتاب الأحمر" هي أخيولات وتأملات عالم ثقافي، وبالتأكيد، فإن كثيراً من الاختبار الذاتي وتأليف "الكتاب الأحمر" حدث في مكتبته. من الوارد جداً أن يضيف مراجع لو أنه قرر نشر الكتاب.

بعد إكمال كتابة "المسودة" يدوياً، طلب يونغ طباعتها، ونقحها. في إحدى المخطوطات، قام بتعديلات باليد (أشير إلى هذه المخطوطة باسم "المسودة المصححة"). وبالحكم من الحواشي، يبدو أنه أعطاها لشخص ما (خط اليد ليس خط إيما يونغ، ولا توني وولف ولا ماريا مولتزر) ليقرأها، وقام هذا الشخص بالتعليق على تنقيح يونغ، مشيراً إلى أن بعض الأقسام التي نوى قطعها يجب استبقاؤها[95]. إن القسم الأول من العمل– غير المعنون، لكن المعروف الآن باسم "الكتاب الأول"– تم تأليفه على مخطوطات رقية. ثم طلب يونغ مصنفاً كبيراً من أكثر من 600 صفحة، مجموعاً بجلد أحمر، من عامل جمع الكتب إيميل سترلي. كان ظهر الكتاب يحمل عنوان "الكتاب الأحمر". ثم أدخل صفحات الرق في المجلد، الذي يستمر "بالكتاب الثاني". وقد نُظم الكتاب كمخطوطة مزخرفة من القرون الوسطى، مع كتابة بخط فني، ومع جدول بالمختصرات. لقد عنون يونغ أول كتاب باسم "الطريق لما هو آت"،

[95] مثلاً عند الصفحة 39 من المسودة المصححة "رائع! لِمَ تقطعها؟" مكتوبة على الهامش. أخذ يونغ بهذه النصيحة وأبقى على الفقرات الأصلية. راجع الصفحة 137.

ووضع تحت هذا بعض الاستشهادات من كتاب أشعيا ومن إنجيل يوحنا. وبهذا تم تقديمه كعمل نبوئي.

في "المسودة"، قسم يونغ المادة إلى فصول. وأثناء عملية النسخ إلى المجلد الجلدي الأحمر، عدّل بعض عناوين الفصول، وأضاف أخرى، ونقح المادة مرة أخرى. كانت الغلبة في الطبقة الثانية من التفسير والإسهاب، للاقتطاعات والتعديلات، وليس لمادة الأخيولة نفسها، واحتوت بشكل رئيس على نصوص قصيرة، وقد أعاد يونغ العمل على هذه الطبقة بشكل مستمر. وفي مخطوطة النص في هذه الطبعة، تمت الإشارة إلى هذه الطبقة الثانية بحيث يصبح الترتيب الزمني والتصنيف مرئيين. وبما أن تعليقات يونغ في الطبقة الثانية، تشير ضمناً إلى أخيولات يتم العثور عليها لاحقاً في النص، فمن المفيد قراءة الأخيولات مباشرة بالتسلسل الزمني، تتبعها قراءة مستمرة للطبقة الثانية. ثم فسرّ يونغ النص من خلال بعض اللوحات، وبعض الحروف الاستهلالية الكبيرة الموجودة في أول كل فقرة، إضافة إلى الحدود المزخرفة والهوامش. في البداية، كانت اللوحات تشير إلى النص مباشرة. وفي مرحلة لاحقة، أصبحت اللوحات أكثر رمزية. إنها مخيلات فعالة بحد ذاتها. ويستحضر مزيج النص والصورة، أعمال ويليام بليك المزخرفة، التي كان يونغ يعرفها بعض الشيء[96].

بقيت هناك مسودة تحضيرية لإحدى صور "الكتاب الأحمر"، وتشير إلى أنها مشكّلة بعناية، مبتدئة بخطوط قلم رصاص، وتمت الاستفاضة بها لاحقاً[97]. من المحتمل أن تشكيل الصور الأخرى قد اتبع الإجراء نفسه. ونجد من لوحات يونغ التي بقيت، أن التغير المفاجئ فيها من

---

[96] عام 1912 استشهد بلوحة بليك "زواج الجنة والجحيم" (الأعمال الكاملة 6. 422 و460): في كتاب "علم النفس والخيمياء" أشار إلى اثنتين من لوحات بليك (الأعمال الكاملة 12 الأشكال 14 و19). في 11 تشرين الثاني- نوفمبر 1948، كتب لبيلو نوفوتي "أجد دراسة بليك معنبة بما أنه جمع الكثير من المعرفة الناقصة أو غير المستوعبة في أخيولاته. حسب فكرتي، إنها إنتاج فني وليست تمثيلاً حقيقياً لعمليات اللاوعي" (الرسائل 2. الصفحات 513-14).

[97] راجع الملحق الأول.

الصور الطبيعية التمثيلية لعامي 1903/1902 إلى الرسم التجريدي ونصف الرمزي منذ عام 1915 فصاعداً، كان مذهلاً.

الفن ومدرسة زيورخ

تحتوي مكتبة يونغ اليوم على كتب عن الفن الحديث، لكن بعضها قد تبعثر على مرّ السنين. كان يمتلك مصنفاً للوحات أوليدون ريدون، إضافة إلى دراسة عنه[98]. وقد صادف أعمال ريدون عندما كان في باريس على الأرجح. وتظهر أصداء قوية للحركة الرمزية في اللوحات الموجودة في "الكتاب الأحمر".

في تشرين الأول- أكتوبر 1910، ذهب يونغ في جولة على الدراجة في شمال إيطاليا مع زميله وولفغانغ ستوكماير[99]. في نيسان- أبريل 1914، زار رافينا، وقد تركت اللوحات الجدارية والفسيفساء هناك انطباعاً قوياً لديه. لقد بدا أن تلك الأعمال تركت أثراً على لوحاته: استخدام الألوان القوية، الأشكال الشبيهة بالفسيفساء، والأشكال ثنائية الأبعاد بدون استخدام المنظور.

من المرجّح أنه زار معرض آرموري عندما كان في نيويورك في عام 1913، لقد كان أول معرض كبير عالمي للفن الحديث في أمريكا (استمر المعرض حتى 15 آذار- مارس، وغادر يونغ إلى نيويورك في 4 آذار- مارس). وأشار إلى لوحة مارسيل دوشامب "عارية تهبط السلم" في مجموعة محاضراته في سمينار 1925، والتي أثارت ضجة كبيرة

---

[98] ريدون، Oeuvre graphique complet (باريس: سكيرتياريات، 1913)، أندريه ماليريو، Odilon Redon: Peintre, Dessinateur et Graveur (باريس: هنري فلوري، 1923). هناك أيضاً كتاب عن الفن الحديث حظي بانتقاد شديد: ماكس رافاييل، Von Monet zu Picasso: Grundzüge einer Ästhetik und Entwicklung der Modernen Malerei (ميونيخ: ديلفين فيرلاغ، 1913).

[99] راجع رسالة يونغ إلى فرويد في 20 تشرين الأول- أكتوبر 1910 (رسائل فرويد/يونغ) طباعة (ويليام ماكغواير، ترجمة آر مانهايم وأر إف سي هال) (برينستون: سلسلة بولنيجن، مطبعة جامعة برينستون 1974) الصفحة 359.

هناك[100]. وأشار هنا أيضاً إلى أنه درس أسلوب لوحات بيكاسو. وبسبب نقص الأدلة على وجود دراسة مطولة، فإن معرفة يونغ بالفن الحديث ربما تكون مأخوذة مباشرة من معارفه المباشرين.

خلال الحرب العالمية الأولى، كان هناك تواصل بين أعضاء مدرسة زيورخ والفنانين. كان كلا الفريقين جزءاً من حركات طليعية ودوائر اجتماعية مشوقة[101]. وفي عام 1913، أتت إيريكا سكليجل إلى يونغ ليجري لها تحليلاً. كانت هي وزوجها يوجين سكليجيل من أصدقاء توني وولف. كانت إيريكا سكليجيل أخت صوفي تاوبر، وأصبحت أمينة مكتب نادي علم النفس. دُعي أعضاء نادي علم النفس إلى بعض مناسبات الدادائيين. في الاحتفال بافتتاح صالة الدادائيين في 29 آذار- مارس 1917، يشير هيوغو بول إلى وجود أعضاء من النادي بين الحضور[102]. وقد تضمن البرنامج ذلك المساء رقصاً تجريدياً أدته صوفي تاوبر، التي درست مع لابان، ونظمت صفاً للرقص لأعضاء النادي مع أرب. وأقيم حفل رقص تنكري أيضاً وصممت هي الأزياء[103]. وفي عام 1918، قدمت مسرحية الدمى المتحركة "كينج دير" في زيورخ، وتم تنظيمها من قِبَل برغولزلي: حيث يتحول فرويد أناليتيكوس، الذي يعارضه الدكتور أوديبوس كومبليكس، إلى ببغاء على يد يور ليبيدو، ويُلقي مواضيع من كتاب "تولات الليبدو ورموزه" بالإضافة إلى نزاعه مع فرويد[104]. لكن العلاقات بين دائرة يونغ وبعض الدادائيين أصبحت متوترة.

---

[100] مقدم إلى علم النفس اليونغي صفحة 59.

[101] راجع راينز زاك Die Surrealisten und C. G. Jung: Studien zur Rezeption der analytischen Psychologie im Surrealismus am Beispeil von Max Ernst, Victor Brauner und Hans Arp (ويمار: في دي جي، 2004).

[102] "الطيران خارج الزمن" الصفحة 102.

[103] غريتا ستوريه "سيرة حياة" في (صوفي تاوبر: 15 كانون الأول- ديسمبر 1989- آذار- مارس 1990، Musée d'art moderne de la ville de Paris (باريس: باريس- متاحف، 1989) الصفحة 124. مقابلة آلان فالانجين، أرشيف يونغ المتعلق بسيرته، مكتبة كاونتواي للطب الصفحة 29.

[104] الدمى موجودة في متحف بيليريف زيورخ. راجع برونو ميكول "" Sur le théatre de marionnettes de Sophie Taeuber-Arp في (صوفي تاوبر: 15 كانون الثاني- يناير 1989- آذار- مارس 1990، Musée d'art moderne de la ville de Paris الصفحات 59-68.

في أيار- مايو 1917، كتبت إيمي هينينغز إلى هوغو بول أن "نادي الجنون" قد زال[105]. وفي عام 1918، انتقد يونغ حركة الدادئيين في مجلة سويسرية، لم تفلت من انتباه الداديين[106]. إن العنصر الأساسي الذي ميز عمل يونغ التصويري عن أعمال الدادئيين كان تأكيده المهيمن على المعنى والمغزى.

لم تحدث استكشافات يونغ الذاتية وتجاربه الإبداعية في حالة فراغ. خلال هذه الفترة، كان هناك اهتمام شديد بالفن والرسم ضمن دائرته. فقد كتب ألفونس ميدير دراسة عن فريدناند هودلر[107] وأجرى مراسلات ودية معه[108]. وفي حوالي عالم 1916، كان ميدير قد حظي بسلسلة من الرؤى أو أخيولات الصحو، التي نشرها تحت اسم مستعار. وعندما أخبر يونغ عن هذه الأحداث أجابه: "ماذا، أنت أيضاً؟"[109]. لقد كتب هانز شميد أيضاً أخيولاته ورسمها في شيء يشبه "الكتاب الأحمر." وكانت مولتزر مصممة على زيادة النشاطات الفنية في مدرسة زيورخ. وشعرت أن هناك حاجة لمزيد من الفنانين في دائرتهم، وفكرت أن تأخذ ريكلن كنموذج[110]. وقد بدأ جي بي لانغ، الذي قام ريكلن بإخضاعه للتحليل، برسم لوحات رمزية. وكان لدى مولتزر كتاب أسمته كتابها المقدس، وضعت فيه صوراً مع كتابات، ونصحت مريضتها فاني بوديتش كاتز أن تقوم بالأمر نفسه[111].

---

[105] هيوغو بول وإيمي هينينغز Damals in Zürich: Briefe aus den Jahren 1915–1917 (زيورخ: داي آرتش، 1978) الصفحة 132.

[106] يونغ "عن اللاوعي" الأعمال الكاملة 10 . 44: (فارماوس، دادا ريفيو، 391 ، 1919)، تريستان تزارا، دادا، 4-5 (1919)

[107] فرديناند هودلر: Eine Skizze seiner seelischen Entwicklung und Bedeutung für die schweizerisch-nationale Kultur (زيورخ: راشر، 1916)

[108] أبحاث ميدير.

[109] مقابة ميدير، آرشيف يونغ المتعلق بسيرته. مكتبة كاونتواي للطب الصفحة 9.

[110] فرانز ريكلن إلى صوفي ريكلن، 20 أيار 1915. أوراق ريكلن.

[111] في 17 آب- أغسطس 1916 كتبت فاني بوديتش كاتز التي كانت تخضع للتحليل معها في ذلك الوقت، في مذكراتها "عن كتابها (أي مولتزر)- كتابها المقدس- صور وكل منها معها كتابة- ويجب أن أفعل هذا أيضاً". حسب أقوال كاتز اعتبر مولتزر لوحاتها "ذاتية تماماً وليست أعمالاً فنية" (31،

في عام 1919، عرض ريكلن بعضاً من لوحاته كجزء من مجموعة "الحياة الجديدة" في متحف كانثاوس في زيورخ، التي وُصفت بأنها مجموعة من الانطباعيين السويسريين، مع هانز آرب، وصوفي تاوبر، وفرانسيس بيكابيا، وأوغستو جياكوميتي[112]. وبعلاقاته الشخصية، كان بوسع يونغ أن يعرض بعضاً من أعماله في موقعٍ كهذا بكل سهولة، لو أنه رغب بذلك. إن رفضه لاعتبار أعماله فناً يحدث في سياق كانت تتوفر فيه إمكانيات حقيقيه له ليسلك هذا الطريق.

في بعض المناسبات، ناقش يونغ الفن مع إيريكا سكليجل. وقد كتبت الحوار التالي:

وضعتُ قلادتي اللؤلؤية (الحلية اللؤلؤية التي صنعتها صوفي لي) في منزل يونغ البارحة. أعجبته كثيراً، ودفعته للحديث بنشاط عن الفن- لحوالي ساعة تقريباً. ناقش ريكلن، أحد تلاميذ أوغسطو جياكوميتي، وأدلى بملاحظة أنه على الرغم من أن أعماله الأصغر فيها قيمة جمالية معينة، فإن لوحاته الأكبر تبددت ببساطة. بالتأكيد، كان قد اختفى تماماً في فنه، مما جعله شخصاً غير محسوس على الإطلاق. كان عمله أشبه بجدار يموج الماء عليه. وبذلك لم يكن بوسعه أن يحلل، حيث أن هذا كان يتطلب شخصاً حاداً ودقيقاً، مثل سكين. كان قد سقط في الفن بشكل مجازي. لكن الفن والعلم لم يعودا أكثر من مجرد خادمين للروح المبدعة، التي يجب أن تتم خدمتها.

يوليو - تموز مكتبة الطب في كاونتواي) في مناسبة أخرى، كتبت كاتز في مذكراتها أن مولتزر "تحدثت عن الفن، الفن الحقيقي، كونه تعبيراً عن الدين" (24 آب- أغسطس 1916). وفي عام 1916، قدمت مولتزر تفسيرات سيكولوجية لبعض لوحات ريلكن في محاضرتها في نادي علم النفس (في كتابي "خيال الطوائف: يونغ وتأسيس علم النفس التحليلي" (لندن: روتليدج، 1998 الصفحة 102). عن لانغ راجع طبعة توماس فيتكنشت "Die dunkle und wilde Seite der Seele": Hermann Hesse. Briefwechsel mit seinem Psychoanalytiker Josef Lang 1916-1944 (فرانكفورت سوهركامف، 2006).

[112] "Das Neue Leben"، "Das Neue Leben," Erst Ausstellung, Kunsthaus Zürich. كتب لانغ عن مناسبة في منزل ريلكن حيث كان يونغ وأغوستو جياكوميتي حاضرين أيضاً (مذكرات، 3 كانون الأول-ديسمبر 1916، الصفحة 9. أوراق لانغ، الأرشيف السويسري الأدبي، برن).

فيما يتعلق بعملي الخاص، كان الحديث عما إذا كان من الممكن اعتباره فناً بحق. الحكايات الخرافية والصور كان لها معنى ديني في العمق. أنا أيضاً، كنت أعرف أنها يجب أن تصل إلى الناس بطريقة ما وبوقت ما[113].

بالنسبة إلى يونغ، يبدو أن فرانز ريكلن كان أشبه بطيف بديل، كان مصمماً على تجنب مصيره. يشير هذا التصريح أيضاً إلى نظرة يونغ إلى حالة الفن والعلم كحالتين نسبيتين، وصل إليها من خلال اختباراته الذاتية.

من هنا، فإن صنع "الكتاب الأحمر" لم يكن بأية طريقة نشاطاً غريباً وشخصياً، ولا نتاجاً لحالة ذهان. إنه يشير بالأحرى إلى التشابكات المتقاربة بين تجارب علم النفس والتجارب الفنية التي كان العديد من الأفراد قد انخرطوا فيها في تلك الحقبة.

التجربة الجمعية

في عام 1915، أجرى يونغ مراسلات مطولة مع زميله هانز شميد حول مسألة فهم النماذج السيكولوجية. لا تعطي المراسلات علامات مباشرة على تجارب يونغ الذاتية، وتشير أن النظريات التي طورها خلال هذه الفترة، لم تنبع فقط من مخيلته الفعالة، بل كانت عبارة عن تنظير نفسي تقليدي جزئياً أيضاً[114]. في 5 آذار - مارس 1915، كتب يونغ إلى سميث إيلاي جيلايف:

ما زلت مع الجيش في بلدة صغيرة حيث أقوم بكثير من العمل الفعلي وركوب الجياد... وريثما اضطررت للانضمام للجيش، كنتُ أعيش بهدوء، وكرست وقتي لمرضاي ولعملي. كنت أعمل بشكل

[113] 11 آذار- مارس 1921. دفاتر. أوراق سكليجل.

[114] مسألة الأنماط السيكولوجية: المراسلات بين كارل غوستاف يونغ وهانز شميد-غوسان، 1915-1916، طباعة جون بيبي وإيرنست فلازيدير، ترجمة إرنست فلازيدر وتوني وولفسون، سلسلة فيلمون، مطبعة جامعة برينستون، لم تصدر بعد.

خاص على نمطين من الأنماط السيكولوجية وحول موضوع تركيبة نزعات اللاوعي[115].

أثناء استكشافاته الذاتية اختبر حالة من الاضطراب. تذكر أنه عاش خوفاً عظيماً، واضطر أحياناً إلى الإمساك بالطاولة ليحافظ على تماسكه[116]، و: "كنتُ أشعر بحالة قلق متكررة بحيث أنني اضطررت إلى إلغاء الانفعالات من خلال تمارين اليوغا. لكن بما أن هدفي كان معرفة ما يحدث داخلي، فقد كنت أقوم بهذا إلى أن أهدئ نفسي وأستطيع البدء ثانيةً بالعمل مع اللاوعي"[117].

لقد تذكّر أن توني وولف أصبحت منجذبة للعملية التي كان منخرطاً فيها، وكانت تختبر تدفقاً مشابهاً من الصور. ووجد يونغ أنه يستطيع مناقشة تجاربه معها، لكنها كانت مشوشة وفي حالة الاضطراب نفسها[118]. وبالمثل، لم تتمكن زوجته من مساعدته في هذا الخصوص. لذلك كتب: "مجرد قدرتي على التحمل كانت بحاجة إلى قوة رهيبة"[119].

كان نادي علم النفس قد تأسس في بداية 1916، من خلال هبة بلغت 360 ألف فرنك سويسري من إيديث ركفيلر ماكورميك، التي أتت إلى زيورخ لتخضع للتحليل على يدٍ يونغ عام 1913. في بداية تأسيسه، كان يضم حوالي ستين عضواً. بالنسبة إلى يونغ، كان هدف النادي دراسة العلاقة بين الأفراد والمجموعة، ولتوفير بيئة طبيعية للمراقبة السيكولوجية للتغلب على محدودية التحليل الفردي، إضافة إلى توفير موقع يمكن للمرضى فيه تعلم التأقلم مع المواقف الاجتماعية. في

115 جون بورنهام، جيليف: محلل نفس أمريكي وطبيب من كتاب مراسلات سيغموند فرويد وكارل غوستاف يونغ، طباعة ويليام ماكغواير (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو 1981)، الصفحات 196-97.

116 إم بي، صفحة 174.

117 المذكرات، الصفحة 201.

118 (إم بي)، صفحة 174.

119 المذكرات، صفحة 201.

الوقت نفسه، تابعت هيئة احترافية من المحللين الاجتماع معاً في رابطة علم النفس التحليلي[120]. وقد شارك يونغ بشكل تام في كلا المنظمتين.

قدمت تجارب يونغ الذاتية أيضاً تغييراً في عمله التحليلي. لقد شجّع مرضاه على الشروع في عمليات مشابهة من التجارب الذاتية. وتم منح المرضى تعليمات عن طريقة القيام بالتخيل الفعال، وإجراء حوارات داخلية، ورسم أخيولاتهم. واعتبر تجاربه الذاتية نماذج. لقد كتب في محاضرات عام 1925: "أخذتُ كل مادتي التجريبية من مرضاي، لكن حل المشكلة أخذته من الداخل، من ملاحظاتي لعمليات اللاوعي"[121].

وتتذكر تينا كيلر، التي كانت تخضع للتحليل على يد يونغ منذ عام 1912، أن يونغ "غالباً ما كان يتحدث عن نفسه وعن تجاربه الخاصة":

في تلك الأيام الأولى، عندما يصل المرء للقيام بساعة التحليل، كان ما يُسمى "الكتاب الأحمر" غالباً ما يكون مفتوحاً على مسند كتب. وكان الدكتور يونغ يرسم فيه أو يكون قد أنهى لوحة. أحياناً كان يريني ما فعله ويعلق عليه. كان العمل الدقيق الذي بذله في هذه الصور وفي النص المرافق لها شهادة على أهمية مسعاه. بهذا أوضح المعلم لتلميذه أن تطور النفس يستحق الوقت والجهد[122].

في تحليلها مع يونغ وتوني وولف، أجرت كيلر تخيلات فعالة ورسمت أيضاً. مواجهات يونغ مع اللاوعي، التي كانت بعيدة جداً عن كونها عملاً منعزلاً، كانت عملاً جمعياً، أخذ فيه مرضاه معه. شكل المحيطون بيونغ مجموعة طليعية منخرطة بالتجارب الاجتماعية التي أملوا أن تغير حياتهم وحياة من حولهم.

---

[120] عن تشكيل هذا النادي، راجع كتاب "خيال الطوائف: كارل غوستاف يونغ وتأسيس علم النفس التحليلي".

[121] مقدمة إلى النفس اليونغي صفحة 35.

[122] "كارل غوستاف يونغ: بعض الذكريات والتأملات" الضوء الداخلي 35 (1972) الصفحة 2. عن تينا كيلر راجع كتاب ويندي سوان "كارل غوستاف يونغ والتخيل الفعال (سواربروكن: في دي إم، 2007).

عودة الموتى

وسط مجزرة الحرب التي لم يسبق لها مثيل، انتشر موضوع عودة الموتى بشدة، كما في فيلم "جاكوز- أنا أتهم"[123] لأبيل غانس. كما أدى عدد الموتى الكبير أيضاً إلى إنعاش الاهتمام بالروحانية. وبعد حوالي سنة، بدأ يونغ بالكتابة ثانية في "الكتب السوداء" عام 1915، بسلسلة جديدة من الأخيولات. كان قد أنجز المسودة المكتوبة بخط اليد من "الكتاب الأول" و"الكتاب الثاني"[124]. وفي بداية 1916، اختبر يونغ سلسلة من الأحداث الباراسيكولوجية (الظواهر السيكولوجية مثل التخاطر والاستبصار وتحريك الأشياء عن بعد التي لا يمكن تفسيرها بالعلم) في منزله. وفي عام 1923، روى هذا الحدث لكاري دي أنغولو (التي أصبحت كاري باينز). وسجلته بالشكل التالي:

ذات ليلة بدأ ابنك بالهذيان أثناء نومه، ورمي نفسه في كل مكان وهو يقول إنه لا يستطيع الاستيقاظ. أخيرا اضطرت زوجتك لاستدعائك لتهدئته ولم تتمكن من القيام بهذا إلا بوضع قماش بارد عليه- هدأ أخيراً وتابع نومه. استيقظ في الصباح التالي ولم يتذكر أي شيء، لكنه بدا منهكاً بشكل كبير، لذا طلبتَ منه عدم الذهاب إلى المدرسة، ولم يسأل عن السبب بل بدا أنه اعتبر الأمر من المسلمات. لكن بشكل غير متوقع إطلاقاً طلب ورقاً وأقلام تلوين وبدأ العمل لرسم الصورة التالية- رجل يصطاد السمك بصنارة وخطاف وسط الصورة. على اليسار كان الشيطان يقول شيئاً للرجل، وكتب ابنك ما قاله. قال إنه قد أتى من أجل الصياد لأنه كان يصطاد أسماكه، لكن على اليمين كان هناك ملاك قال: "لا، لا يمكنك أخذ هذا الرجل، إنه يأخذ

---

[123] راجع الشتاء، مواقع الذكرى ومواقع الحداد، الصفحات 18-69 و133-44.

[124] هناك ملاحظة أضيفت في الكتاب الأسود 5 في ذلك الوقت: "في هذا الوقت تمت كتابة الجزء الأول والثاني (من الكتاب الأحمر). منذ بداية الحرب مباشرة" (الصفحة 86) النص الرئيسي مكتوب بخط يد يونغ و"عن الكتاب الأحمر" عبارة أضيفت من قبل شخص آخر.

الأسماك السيئة فقط ولا يأخذ أياً من الأسماك الجيدة". وبعد أن رسم ابنك هذه الصورة أصبح راضياً تماماً. في الليلة نفسها، اعتقدت اثنتان من بناتك أنهما شاهدتا أشباحاً في غرفتيهما. في اليوم التالي كتبت "عظات للموتى"، وعرفتَ بعد ذلك أنه لن يحدث أي شيء يزعج عائلتك، وهذا ما حدث فعلاً. عرفتُ طبعاً أنك الصياد في صورة ابنك، وأنت قلت لي هذا، لكن الصبي لم يكن يعرف ذلك[125].

في كتاب "المذكرات" كتب يونغ التالي:

حوالي الخامسة عصر يوم أحد قرع جرس الباب الأمامي بشدة... نظر الجميع حالاً ليعرفوا من كان الطارق، لكن لم يكن هناك أحد. كنتُ أجلس قرب جرس الباب، ولم أسمعه لكنني رأيته يتحرك. حدقنا بعضنا بالآخر وحسب. كان الجو كثيفاً، صدقوني! ثم عرفت أنه لا بد أن يحدث شيء ما. المنزل كله كان كما لو أن هناك حشداً حاضراً فيه، كان مليئاً بالأرواح. كانت مكدسة حتى الباب وكان الجو كثيفاً جداً بحيث كان التنفس صعباً جداً. بالنسبة إلي، كنت أرتعش بسؤال واحد: "بحق الله، ما هذا؟" ثم صرخوا كأنهم جوقة، "عدنا من أورشليم حيث لم نجد ما كنا نبحث عنه". كانت تلك بداية كتابة "العظات السبع".

ثم بدأ يتدفق مني، وخلال ثلاث أمسيات تمت كتابة الكتاب. ما إن أخذت القلم، حتى تبخر كل ذلك الحشد الشبحي. هدأت الغرفة وصفا الجو. لم يعد المكان مسكوناً بالأرواح[126].

كان الموتى قد ظهروا في أخيولة في 17 يناير - كانون الثاني 1914، وقالوا إنهم على وشك الذهاب إلى أورشليم ليصلّوا عند أقدس القبور[127]. وقد تبين أن رحلتهم لم تكن ناجحة. وكان كتاب "العظات السبع عن الموت" هو أوج الأخيولات في تلك الحقبة. إنه دراسة كونية نفسية مقدمة بصيغة أسطورة خلق معرفية روحية. في أخيولات يونغ، ولد إله جديد في

---

[125] (سي إف بي).

[126] مذكرات. الصفحات 215-16.

[127] راجع صفحة 354.

روحه، هو ابن الضفادع، أبراكساس. وفهم يونغ هذا بشكل رمزي. لقد رأى أن هذه الشخصية تمثل اتحاداً بين الإله المسيحي مع الشيطان، وبهذا تصف تحولاً للإله — الصورة، الغربي. لم يسهب يونغ في شرح هذا الموضوع أمام الملأ حتى عام 1952 في كتاب "إجابة على العمل".

درس يونغ الأعمال المكتوبة عن الغنوصية أثناء قراءة تحضيرية لكتاب "تحولات الليبيدو ورموزه". وفي يناير – كانون الثاني، وأكتوبر – تشرين الأول 1915، بينما كان في الخدمة العسكرية، درس أعمال الغنوصيين. وبعد كتابة كتاب "العظات السبع عن الموت" في "الكتب السوداء"، أعاد يونغ نسخه بخط اليد في كتاب منفصل، وأجرى تعديلات طفيفة على ترتيب تسلسله. وقد أضاف الكتابة التالية تحت العنوان: "الإرشادات السبعة للموتى. من كتابة باسيليديس في الاسكندرية، المدينة التي يتلامس فيها الشرق والغرب"[128]. ثم طلب طباعته بشكل شخصي، وأضاف إلى الكتابة: "مترجم عن النص اليوناني الأصلي إلى الألمانية". وتشير هذه الأسطورة إلى تأثير مثقفي أواخر القرن التاسع عشر على يونغ. لقد تذكر أنه كتبه بمناسبة تأسيس نادي علم النفس، واعتبره هدية لإيديث روكفيلر ماكورميك لأنها أسست النادي[129]. وقد قدم نسخاً لأصدقائه ومؤتمنيه. وعند تقديمه نسخة لألفونس ميدير كتب:

لم أستطع وضع اسمي عليه، لكنني اخترت اسم أحد أعظم عقول الحقبة المسيحية الأولى التي طمستها المسيحية. لقد وقع بين يدي بشكل غير متوقع كفاكهة ناضجة في وقت ضيق شديد، وأشعل نور الأمل والراحة في داخلي أثناء ساعات أزمتي[130].

[128] كان باسيليديس التاريخي غنوصياً علم في الاسكندرية في القرن الثاني. راجع الملاحظات 81 الصفحات 508-9.

[129] (إم بي) صفحة 26.

[130] 19 كانون الثاني - يناير 1917، الرسائل 1 الصفحات 33-34. عند إرساله نسخة من كتاب "العظات" لجولاند جاكوبي وصفها على أنها "فضول من ورشة عمل اللاوعي" (7 تشرين الأول 1928).

في 16 كانون الثاني- يناير 1916، رسم يونغ ماندالا في "الكتب السوداء". كانت تلك أول لوحة تخطيطية لـ "نظام العالم كله". ثم تابع الرسم. وقد كتب باللغة الإنكليزية على خلفية اللوحة: "هذه أول ماندالا أرسمها في العام 1916 وأنا لا أعرف شيئاً عن معناها". واستمرت الأخيولات في الكتب السوداء. إن "سيستما مونديتوتيوس" هي دراسة كونية تصويرية لكتاب "العظات".

بين 11 حزيران - يونيو و2 تشرين الأول - أكتوبر عام 1917، كان يونغ في الخدمة العسكرية في شاتو دوكس، كقائد لسجناء الحرب الانكليز. حوالي شهر آب - أغسطس، كتب لسميث إيلاي جيليف أن خدمته العسكرية أبعدته تماماً عن عمله، وأنه إبان عودته، يأمل أن يكمل بحثاً طويلاً عن الأنماط. واختتم الرسالة بكتابة: "كل شيء لدينا هادئ ولا يتغير. كل شيء آخر تبتلعه الحرب. الذهان لا يزال يزداد، ويستمر ويستمر"[131].

في هذا الوقت شعر أنه لا يزال في حالة من الفوضى، ولم تبدأ بالصفاء إلا مع دنو نهاية الحرب[132]. منذ بداية آب - أغسطس إلى نهاية أيلول - سبتمبر، رسم سلسلة من سبع وعشرين ماندالا بقلم رصاص في دفتره العسكري، الذي احتفظ به[133]. في البداية لم يفهم هذه الماندالات، لكنه شعر أنها كانت تحمل معاني هامة. ومنذ 20 آب - أغسطس، رسم ماندالا في معظم الأيام. وقد منحه هذا الشعور بأنه قد أخذ صورة فوتوغرافية لكل يوم، ولاحظ كيف تتغير هذه الماندالات. وقد تذكّر أنه تلقى رسالة من "تلك المرأة الهولندية التي وترت أعصابي بشدة"[134]. في هذه الرسالة، هذه المرأة، وهي مولتزر، طرحت فكرة أن "الأخيولات التي تنبع من اللاوعي تملك قيمة جمالية ويجب أن تُعتبر فناً"[135]. وقد

131 جون سي برنهام، (جيليف: محلل نفسي وطبيب أمريكي) الصفحة 199.
132 (إم بي) الصفحة 172.
133 راجع الملحق الأول.
134 المذكرات (الصفحة 220).
135 المرجع نفسه.

كان هذا مزعجاً بنظر يونغ لأنه لم يكن غبياً، والأكثر من ذلك، كان الرسامون المعاصرون يحاولون إنتاج الفن من اللاوعي. لقد أيقظ هذا ريبة لديه في كون أخيولاته عفوية وطبيعية فعلاً. وفي اليوم التالي رسم ماندالا، انكسرت قطعة منها، وبقي التناظر:

الآن فقط بدأت أفهم معنى الماندالا بالتدريج: "تشكل الإبداع الأزلي للعقل الأزلي وتحوله". وكانت هذه هي الذات، كمال الشخصية، التي تكون متناغمة عدما يكون كل شيء على ما يرام، لكنها لا يمكن أن تحمل أي خداع ذاتي. صور الماندالا التي أرسمها كانت رسائل مشفرة عن حالة ذاتي، التي كانت تُسلم إلي كل يوم[136].

يبدو أن هذه الماندالا هي ماندالا 6 آب - أغسطس 1917.[137] السطر الثاني من مسرحية "فاوست" لغوته. الميفيستوفيليس يخاطب فاوست، ويمنحه إرشادات إلى مملكة الأمهات:

ميفيستوفيليس:

سيُظهر لك حامل ثلاثي متوهج أخيراً
أنك في أعمق أعماق الأرض.
بضوئه سترى الأمهات:
واحدة تجلس، والأخريات يقفن ويمشين
كما تشاء الصدف. تشكل، تحول، الإبداع الأزلي للعقل الأزلي.
مغطيات بصور لكل المخلوقات،
إنهن لا يرينَك، بما أنهن لا يرين إلا الظلال.
أمسك قلبك حينها، لأن الخطر عظيم،
وسر مباشرة إلى الحامل الثلاثي،
المسه بالمفتاح![138]

---

[136] المرجع نفسه 221.

[137] راجع الملحق الأول.

[138] فاوست 2 الفصل 1، 6287 ف.

هذه الرسالة لم تظهر إلى النور. لكن في رسالة لاحقة غير منشورة من 21 تشرين الثاني – نوفمبر 1918، بينما كان في شاتو دوكس، كتب يونغ أن "الآنسة مولتزر قد أزعجتني ثانية بالرسائل"[139]. ولقد نسخ الماندالات في "الكتاب الأحمر". وكتب أنه خلال هذه الفترة أتت إليه فكرة الذات لأول مرة: "اعتقدتُ أن الذات كائن أحادي مثلي، وتتطابق مع الطبيعة الكونية المجهرية للروح"[140]. في هذه المرحلة، لم يكن يعرف إلى أين تقود هذه العملية، لكنه بدأ بفهم أن الماندالا تمثل هدف العملية: "لم يحدث إلا بعد أن بدأت برسم الماندالات أن فهمت أن كل الدروب التي سلكتها، والخطوات التي اتخذتها، كانت ترجع إلى نقطة واحدة، وهي المركز. أصبحت الماندالا تعبيراً عن كل الدروب"[141]. في العشرينات تعمّق فهم يونغ لمعنى الماندالا.

احتوت "المسودة" على أخيولات من تشرين الأول – أكتوبر 1913 إلى شباط – فبراير 1914. وفي شتاء 1917، كتب يونغ مخطوطة جديدة تسمى "السبر العميق"، التي بدأت من حيث توقف. ونسخ فيها الأخيولات من نيسان – إبريل 1913 إلى حزيران – يونيو 1916. كما في الكتابين الأولين من "الكتاب الأحمر"، رصع يونغ الأخيولات بتعليقات تفسيرية[142]. وأدخل كتاب "العظات" في هذه المادة، وأضاف الآن تعليقات فيلمون على كل عظة. وقد شدّد فيلمونٍ في هذه العظات على الطبيعة التعويضية لتعاليمه: شدد بشكل متعمد تحديداً على هذه المفاهيم التي افتقدها الموتى. إن كتاب

---

[139] رسائل غير منشورة (جي إف أي) توجد أيضاً لوحة غير مؤرخة لمولتزر يبدو أنها ماندالا مربعة، ووصفتها في موجز مع ملاحظات مثل "تمثيل تصويري التفرّدية أو العملية التفرّدية " (مكتبة، نادي علم النفس، زيورخ).

[140] منكرات (الصفحة 221) يبدو إن المصادر الرئيسية التي اشتق منها يونغ مفهومه عن الذات هو مفهوم أتمان/براهمان في الهندوسية، الذي ناقشه في كتاب "النماذج السيكولوجية" عام 1921، وبعض المقاطع من كتاب زارادشت لنيتشه (راجع الملاحظة 851 الصفحة 502).

[141] المرجع نفسه.

[142] في الصفحة 23 من مخطوطة "السبر العميق"، تمت الإشارة إلى تاريخ "1917/11/27"، مما يوحي أنها كُتبت في النصف الأخير من عام 1917، أي بعد تجربة الماندالا في شاتو ديوكس.

"السبر العميق" يشكّل عملياً "الكتاب الثالث" من "الكتاب الأحمر". وسيكون التسلسل الكامل لهذا النص بهذا الشكل:

الكتاب الأول: الطريق لما هو آت

الكتاب الثاني: صور الضلال

الكتاب الثالث: السبر العميق

خلال هذه الفترة، استمر يونغ بنسخ "المسودة" إلى المجلد المكتوب بخط فني وبإضافة اللوحات. أصبحت الأخيولات في "الكتب السوداء" أكثر تباعداً. لقد صوّر إدراكه لمعنى الذات، الذي حدث في خريف 1917 في كتاب "السبر العميق"[143]. يحتوي هذا الكتاب على رؤية يونغ للإله المولود من جديد، متوجاً بتصوير أبراكساس. لقد أدرك أن الكثير مما أُعطي له في الجزء السابق من الكتاب (أي الكتاب الأول والكتاب الثاني) قد أعطاه له فيلمون[144]. وأدرك أن هناك عجوزاً حكيماً نبوياً فيه، لم يكن متطابقاً معه تماماً. وقد مثّل هذا ضياعاً حرجاً لهويته. في 17 كانون الثاني - يناير 1918، كتب يونغ لجي بي لانغ:

يجب أن يحدث العمل على اللاوعي أولا وأخيراً من أجل أنفسنا. يستفيد مرضانا منه بشكل غير مباشر. يكمن الخطر في وهم النبي الذي غالباً ما يكون نتيجة للتعامل مع اللاوعي. إن الشيطان هو من يقول: ازدر كل المنطق والعلم، أسمى قيم البشر. هذا ليس تصرفا جيدا أبدا بالرغم من أننا مجبرون على الاعتراف (بوجود) ما هو غير منطقي[145].

كانت مهمة يونغ الحرجة في "العمل على" أخيولاته هي التمييز بين الأصوات والشخصيات. مثلاً، في "الكتب السوداء"، "أنا" يونغ هي التي تتلو العظات على الموتى. بينما في كتاب "السبر العميق"، ليست "أنا" يونغ، بل فيليمون من يتحدث إليهم. في "الكتب السوداء"، الشخصية الرئيسية التي يجري يونغ معها الحوارات هي روحه. في بعض مقاطع

---

[143] راجع بداية كتاب السبر العميق.

[144] راجع الصفحة 198 - 499.

[145] مكلية خاصة، ستيفن مارتن. الإشارة إلى تصريح ميفيستوفيليس في فاوست (1، 1851 ف).

"الكتاب الأحمر"، يتغير هذا إلى الأفعى والطائر. وفي أحد الحوارات في كانون الثاني - يناير 1916، أوضحت له روحه أنه عندما لا يكون الأعلى والأدنى متحدين، فهي تتداعى إلى ثلاثة أجزاء- أفعى، الروح الإنسانية، والطائر أو الروح السماوية، التي تزور الآلهة. وهكذا يمكن اعتبار أن تنقيح يونغ يعكس فهمه للطبيعة الثلاثية لروحه[146].

خلال هذه الفترة، استمر يونغ بالعمل على مادته، وهناك بعض الأدلة على أنه ناقشها مع زملائه. في آذار - مارس 1918 كتب لجي بي يونغ الذي أرسل له بعضاً من أخيولاته قائلا:

لن أرغب بقول أكثر من أن أطلب منك متابعة هذه المقاربة، لأنه، كما لاحظت بشكل صحيح بنفسك، من المهم جداً أن نختبر محتويات اللاوعي قبل أن نشكل أية آراء حوله. أتفق معك تماماً أن علينا أن نتصارع مع معرفة محتويات المعرفة الروحية (الغنوصية) والأفلاطونية الجديدة، بما أن هذه أنظمة تحتوي على مواد ملائمة لتشكيل أساس نظرية روح اللاوعي. لقد بدأتُ العمل على هذا بنفسي منذ وقت طويل، وحظيت بفرصة جيدة لأقارن تجاربي مع تجارب الآخرين جزئياً على الأقل. لهذا سررتُ جداً لسماع الآراء نفسها تقريباً منك. أنا سعيد لأنك اكتشفت بنفسك هذا المجال من العمل الذي أصبح جاهزاً للبدء بالعمل فيه. حتى الآن كان ينقصني العاملون. أنا سعيد لأنك تريد ضم جهودك لجهودي. أعتبر أن من المهم جداً أن تنتشل مادتك الخاصة من اللاوعي بدون مساس، بأكبر عناية ممكنة. إن مادتي كبيرة ومعقدة جداً، كما أنها تصويرية للغاية، وتصل لدرجةٍ لا تُفهم فيها من دون إيضاحات. لكن ما ينقصني فعلا هو مادة مُعاصرة من أجل المقارنة. إن زرادشت مشكل بقوة وبطريقة واعية، ويضع ميرنك لمسات جمالية، والأكثر من ذلك، أنا أشعر بأنه يفتقد الأمانة[147].

---

[146] راجع الصفحة 501 – 502.

[147] ملكية خاصة. ستيفن مارتن.

المحتوى

يقدم "الكتاب الأحمر" سلسلة من المخيلات الفعالة مع محاولة يونغ لفهم معناها. وهو يحيط عمله على الفهم هذا بعدد من الخيوط المتشابكة: محاولة لفهم نفسه ودمج مكونات الشخصية المختلفة وتطويرها، محاولة لفهم بنية الشخصية الإنسانية عامة، ومحاولة لفهم العلاقة بين الفرد ومجتمع الزمن الحاضر، وبينه وبين مجتمع الموتى، محاولة لفهم سيكولوجية التأثيرات التاريخية للمسيحية، محاولة لفهم تطور الدين المستقبلي للغرب. ويناقش يونغ عدة مواضيع أخرى في هذا العمل، بما فيها طبيعة معرفة الذات، طبيعة الروح، وعلاقات التفكير والشعور والأنماط السيكولوجية، علاقة الذكورة والأنوثة الداخلية والخارجية، توحيد الأقطاب المتعاكسة، العزلة، قيمة الثقافة والتعلم، حالة العلم، معنى الرموز وكيف يجب فهمها، معنى الحرب، الجنون، الجنون المقدس، الطب النفسي، كيف يجب فهم تقليد المسيح اليوم، موت...، الأهمية التاريخية لنيشته، وعلاقة السحر بالمنطق.

الموضوع الإجمالي للكتاب هو كيف أعاد يونغ اكتساب روحه وتغلب على التوعك المعاصر للاغتراب الروحي. لقد تمّ تحقيق هذا في النهاية من خلال تمكنه من القيام بولادة جديدة لصورة جديدة للمخلّص في روحه، وتطوير نظرة عالمية جديدة، على شكل علم أكوان سيكولوجي ولاهوتي. يقدم "الكتاب الأحمر" النموذج البدئي لمفهوم يونغ عن العملية التفرّدية، التي أوصلها إلى صيغة عالمية من التطور السيكولوجي الفردي. ويمكن فهم "الكتاب الأحمر" بحد ذاته كتصوير للعملية التفرّدية التي قام بها يونغ من جهة، وكإسهاب في هذا المفهوم على شكل مخطط سيكولوجي عام من جهة أخرى. في بداية الكتاب، يجد يونغ روحه ثانية ثم يشرع في سلسلة من مغامرات الأخيولة، التي تشكل سرداً متعاقباً. لقد أدرك أنه حتى ذلك الحين، كان قد خدم روح الزمن، الذي يتميز باستخدام القيمة. إضافة إلى

هذا، يوجد روح الأعماق، الذي أوصل إلى الأمور المتعلقة بالنفس. وفي كتاب "المذكرات" اللاحق ليونغ، تتطابق روح الزمن مع الشخصية رقم 1، وروح الأعماق مع الشخصية 2. وبهذا يمكن اعتبار هذه الفترة كعودة إلى قيم الشخصية 2. وتتبع الفصول صيغة معينة: تبدأ بعرض للأخيولات البصرية الدرامية. يواجه فيها يونغ سلسلة من الشخصيات بمواقع مختلفة ويدخل في حوار معها. يواجه بأحداث غير متوقعة وتصريحات صادمة. ثم يحاول فهم ما كتبه، وصياغة معنى هذه الأحداث والتصريحات بمفاهيم سيكولوجية عامة وحكم. لقد اعتبر يونغ أن معنى هذه الأخيولات ينجم عن حقيقة أنها نبعت من المخيلة الأسطورية المفقودة في العصر العقلاني الحاضر. وتكمن المهمة التفرّدية في تأسيس حوار مع شخصيات الأخيولة- أو محتويات اللاوعي الجمعي- ودمجها في الوعي، وبهذا استعادة قيمة المخيلة الأسطورية التي فقدت في العصر الحديث، ومصالحة روح الزمن مع روح الأعماق. وقد شكلت هذه المهمة لاحقاً فكرة مهيمنة في أعماله البحثية اللاحقة.

"ينبوع جديد للحياة"

في عام 1916 كتب يونغ عدة مقالات وكتاباً صغيراً بدأ فيه بمحاولة ترجمة مواضيع "الكتاب الأحمر" إلى لغة سيكولوجية معاصرة، كما بدأ تأمّل معنى عمومية نشاطه. في هذه الأعمال، قدم الخطوط العريضة الأولى للمكونات الرئيسية لسيكولوجيته الناضجة. ويتجاوز العرض الكامل لهذه التقارير نطاق هذه المقدمة. وسوف يقدم التالي مراجعة للعناصر الرئيسية التي لها العلاقة الأهم بـ"الكتاب الأحمر".

في أعماله بين 1911 و1914، كان مهتماً بشكل رئيسي بتأسيس شرح بنيوي للوظائف الإنسانية العامة ولعلم النفس المرضي. إضافة إلى نظريته الأولى عن العقد، نرى أنه كان قد صاغ مفاهيم اللاوعي المكتسب عن طريق النشوء والتطور الذي تسكنه صور أسطورية لطاقة روحية غير

جنسية، وأنماط عامة للانطواء والانبساط، ووظيفة تعويضية واستبصارية للأحلام، ولمقاربة تركيبية وبنيوية للأخيولات. وبينما كان مستمرّاً بتوسيع هذه المفاهيم وتطويرها بشكل مفصل، ظهر مشروع جديد: محاولة توفير شرح دنيوي للتطور الأسمى، الذي أطلق عليه مصطلح التفرّدية. لقد كانت هذه نتيجة نظرية محورية لاختباراته الذاتية. إن الإسهاب الكامل للعملية التفرّدية، ومقارنتها التاريخية والثقافية، شغلاه لبقية حياته.

في عام 1916 قدّم محاضرة لرابطة علم النفس التحليلي بعنوان "بنية اللاوعي"، التي نُشرت لأول مرة بالترجمة الفرنسية في كتاب "أرشيف علم النفس" لفلورنوي[148]. وقد ميّز هنا بين طبقتي اللاوعي: الأولى، اللاوعي الشخصي، وتتألف من عناصر مكتسبة خلال حياة المرء، وفيها عناصر يمكن أن تكون واعية تماماً[149]، والثانية هي اللاوعي اللاشخصي أو النفس الجمعية[150]. لقد تم تطوّر الوعي واللاوعي الشخصي واكتسابهما خلال حياة المرء، بينما النفس الجمعية موروثة[151]. وفي هذه المقالة، ناقش يونغ الظاهرة المثيرة للفضول التي نتجت عن تشرّب اللاوعي. وكتب أنه عندما دمج الأفراد محتويات النفس الجمعية واعتبروها صفات شخصية، فقد اختبروا حالات قصوى من الفوقية والدونية. واستعار مصطلح "شبيه اللّه" من غوته وألفرد آدلر لوصف هذه الحالة، التي نشأت من دمج الروح الشخصية والجمعية، وكانت إحدى مخاطر التحليل.

كتب يونغ أن التمييز بين الروح الشخصية والجمعية مهمة صعبة. وأحد العوامل التي كان المرء يواجهها هي "البرسونا" — "الشخصية القناع أو "الدور الذي تمثله الشخصية". لقد كانت هذه تمثل جزءاً من النفس الجمعية التي يخطئ المرء ويعتبرها شخصية. عندما يحلل المرء

---

[148] بعد انفصاله عن فرويد وجد يونغ أن فلورنوي كان يقدم دعماً مستمراً له. راجع يونغ في كتاب فلورنوي "من الهند إلى كوكب المريخ) الصفحة 9.
[149] الأعمال الكاملة 7، 444-46.
[150] المرجع نفسه. 449.
[151] المرجع نفسه 459.

هذا، تذوب الشخصية في النفس الجمعية، مما ينتج عنه إطلاق جدول من الأخيولات: "كل كنوز التفكير والشعور الأسطوري يتم فتحها"[152]. ويكمن الفرق بين هذه الحالة والجنون في حقيقة أن هذا متعمد.

لقد نشأ احتمالان: يمكن للمرء أن يحاول استعادة "الشخصية القناع" بشكل رجعي ليعود إلى الحالة السابقة، لكن كان من المستحيل أن يتخلص من اللاوعي. وبدلاً من ذلك، يمكن للمرء قبول حالة الألوهية "الشبه بالله". لكن كانت هناك طريقة ثالثة: العلاج التأويلي للأخيولات المبدعة. وقد نتج عن هذا تركيبة من الفرد مع النفس الجمعية، التي كشفت عن حبل نجاة الفرد. وتلك كانت هي التفرّدية. في نسخة منقحة تالية غير مؤرخة من هذه المقالة، قدم يونغ فكرة الأنيما (القرينة)، كنظير لتلك "الشخصية القناع". واعتبر كلا المفهومين "subject-imago"، أي نماذج بدئية لاواعية للموضوع. هنا، عرّف القرينة على أنها "الطريقة التي يُشاهد بها الموضوع من قبل اللاوعي الجمعي"[153].

إن الوصف المفعم بالحياة لتقلبات حالة التشبه بالله، تعكس بعضاً من حالات يونغ الوجدانية خلال مواجهته مع اللاوعي. وتتوافق فكرة التمييز بين الشخصية القناع وتحليلها، مع المقطع الافتتاحي من "الكتاب الأحمر"، حيث يفصل يونغ نفسه عن دوره وإنجازاته ومحاولاته لإعادة التواصل مع روحه. وقد تبع ذلك تحديداً، إطلاقه للأخيولات الميثولوجية. وكان العلاج التأويلي للأخيولات الإبداعية، هو ما تحتويه الطبقة الثانية من "الكتاب الأحمر". لقد قدّم التمييز بين اللاوعي الشخصي واللاشخصي، فهماً نظرياً لأخيولات يونغ الأسطورية: يقترح هذا أنه لم يعتبر أن تنبع من لاوعيه الشخصي، بل من النفس الجمعية الموروثة. ولئن كان الأمر كذلك، فإن أخيولاته نبعت

---

[152] المرجع نفسه 468.

[153] المرجع نفسه. 521.

من طبقة من النفس، كانت موروثاً إنسانياً جمعياً، ولم تكن فريدة بشخصه ولا كانت اعتباطية.

في تشرين الأول – أكتوبر من العام نفسه، قدم يونغ محاضرتين في نادي علم النفس. كانت الأولى بعنوان "التأقلم". وقد اتخذ هذا التأقلم شكلين: التأقلم مع الظروف الخارجية والداخلية. فُهمت الظروف "الداخلية" بأنها اللاوعي. وأدى التأقلم مع "الظروف الداخلية"، إلى الطلب على الوظيفة التفرّدية، والتي تناقض التأقلم مع الآخرين. لقد أدّت تلبية هذا الطلب، والانفصال عن الحالة التوافقية المنسجم معها، إلى شعور مأساوي بالذنب مما تطلّب كفارة، وحاجة إلى "وظيفة جمعية" جديدة، لأنه كان على الفرد أن ينتج قيماً، يمكن لها أن تعمل كبديل عن غيابه عن المجتمع. ومكّنت هذه القيم الجديدة المرء من القيام بالتعويض للوظيفة الجمعية. كانت الوظيفة التفرّدية موقوفة على قلة من الناس. يجب على من ليسوا مبدعين بما يكفي، أن يعيدوا تأسيس توافقية جمعية مع مجتمع ما. ليس على الفرد إبداع قيم جديدة وحسب، بل قيم يمكن تمييزها في المجتمع، لأن لدى المجتمع الحق "بأن يتقبّل قيماً يمكن إدراكها[154]".

إذا تمت قراءة هذا الكلام مع أخذ حالة يونغ بعين الاعتبار، فهو يوحي بأن انفصاله عن التوافقية الاجتماعية ليتابع عمليته "التفرّدية"، قد أدى به إلى رأي يقول بأن عليه إنتاج قيم يمكن إدراكها اجتماعياً ككفارة. وقد أدى هذا إلى معضلة: هل سيكون الشكل الذي جسّد به يونغ هذه القيم الجديدة في "الكتاب الأحمر" مقبولاً اجتماعياً ومن الممكن إدراكه؟ هذا الالتزام بمتطلبات المجتمع، فصل يونغ عن فوضوية الدادائية.

كانت المحاضرة الثانية عن "الوظيفة التفرّدية، والوظيفة الجمعية"، حيث طرح فكرة أن تينك الوظيفتين متناقضتان وترتبطان بواسطة الذنب. وقد طالب المجتمع بالمحاكاة، فمن خلال عملية المحاكاة، يمكن للمرء الوصول إلى القيم الخاصة به. وفي التحليل: "من خلال المحاكاة، يتعلم المريض

---

[154] الأعمال الكاملة 18، 1098.

الوظيفة التفرّدية، لأنها تعيد تنشيط قيمه[155]". من الممكن قراءة هذا كتعليق على دور المحاكاة في العلاجات التحليلية لمرضاه الذين أصبح يونغ يشجعهم الآن على الشروع في عمليات تطوّر مشابهة. وقد كانت مزاعم أن هذه العملية تحرض القيم الموجودة سلفاً لدى المريض، رداً على تهمة الإيحاء.

في تشرين الثاني - نوفمبر، بينما كان في الخدمة العسكرية في هاريسو، كتب يونغ بحثاً عن "الوظيفة الإعلائية"، التي لم تُنشر إلا في عام 1957. هناك، وصف منهج تحفيز الأخيولات وتطويرها الذي أطلق عليه لاحقاً مصطلح التخيل الفعّال، وشرح منطقه العلاجي. يمكن اعتبار هذا البحث كتقرير عن تطور تجارب يونغ الذاتية، ويمكن اعتباره كمقدمة "للكتاب الأحمر" بشكل مثمر.

كتب يونغ أن الموقف الجديد الذي تم الوصول إليه من التحليل أصبح مهملاً. لقد كانت هناك حاجة لمواد جديدة من اللاوعي، لإكمال الموقف الواعي، ولتصحيح أحاديته. لكن لأن توتر الطاقة كان منخفضاً في حالة النوم، كانت الأحلام تعابير دونية عن محتويات اللاوعي. لذا كان من الضروري اللجوء إلى مصادر أخرى، تحديداً الأخيولات العفوية. ويحتوي كتاب "الأحلام"[156] الذي تمت استعادته مؤخراً، على سلسلة من الأحلام من عام 1917 إلى عام 1925 [157]. وتشير مقارنة دقيقة بين هذا الكتاب و"الكتب السوداء" إلى أن تخيلاته الفعّالة لم تُشتق مباشرة من أحلامه، وأن هذين الجدولين كانا منفصلين عموماً.

وصف يونغ تقنيته لتحفيز أخيولات عفوية كهذه على الشكل التالي: "يتألف التدريب أولاً من تمارين منظّمة لاستبعاد الانتباه الحرج، كي يخلق فراغاً في الوعي[158]". يبدأ المرء بالتركيز على مزاج معين، ومحاولة

---

[155] الأعمال الكاملة 18. 1100.

[156] قام محمود منقذ الهاشمي بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية. وقد نشرت دار الحوار سنة 2013 هذه الترجمة بعد شراء الحقوق. المترجمان.

[157] (جي إف أي).

[158] الأعمال الكاملة 8. 155.

أن يصبح واعياً قدر الإمكان لكل الأخيولات والتداعيات التي تأتي بالترابط معه. وقد كان الهدف هو السماح للأخيولات أن تلعب بحرية، دون الانفصال عن التأثير البدئي في عملية تداعي حر. وأدى هذا إلى تعبير واضح أو رمزي للمزاج، ونتج عن ذلك، تقارب ما بين التأثير والوعي، وبذلك جعله أكثر قابلية للفهم. يمكن للقيام بهذا أن يترك أثراً منشطاً. يمكن للأفراد أن يرسموا، أو ينحتوا، حسب ميولهم:

يمكن للناس من النمط البصري التركيز على توقع ظهور صورة داخلية. كقاعدة عامة فإن هذه الأخيولة- الصورة ستظهر- ربما بطريقة التنويم المغناطيسي- ويجب تدوينها بعناية. إن الناس من النمط السمعي الشفوي يسمعون عادة كلمات داخلية، ربما مجرد شظايا أو جمل تبدو بدون معنى في البداية... يسمع آخرون في أوقات كهذه صوتهم "الآخر"... والأندر من ذلك، لكن له القيمة نفسها، هو الكتابة الآلية، بشكل مباشر أو بلوح البلانشيت[159].

ما إن يتم إنتاج هذه الأخيولات وتجسّدها، حتى تكون هناك مقاربتان ممكنتان: الصياغة الإبداعية والفهم، وتحتاج إحداهما الأخرى، وكلٌّ منهما ضرورية لإنتاج الوظيفة الإعلائية، التي تنشأ من اتحاد محتويات الوعي بمحتويات اللاوعي.

كتب يونغ أنه بالنسبة إلى بعض الناس، كان من السهل ملاحظة الصوت "الآخر" في الكتابة، والإجابة عليه من وجهة نظر الـ "الضمير أنا": "إنه بالضبط كما لو أن حواراً يحدث بين بشر...[160]" وقد أدى هذا الحوار إلى خلق الوظيفة الإعلائية، التي نتج عنها توسيع الوعي. هذا الوصف للحوارات الداخلية ووسائل تحريض الأخيولات في حالة الصحو، يمثل مسعى يونغ الخاص في "الكتب السوداء". إن التأثير المتبادل بين الصيغة الإبداعية والفهم، يتوافق مع عمل يونغ في "الكتاب الأحمر". ولم

---

[159] المرجع نفسه. 170-171. البلانشيت لوح خشبي على سكتين يُستخدم للكتابة الآلية.
[160] المرجع نفسه 186.

ينشر يونغ هذا البحث. وقد علّق لاحقاً أنه لم ينه عمله على الوظيفة الإعلائية قط، لأنه لم يقم بها إلا بشكل تعوزه الحماسة[161].

في عام 1917، نشر يونغ كتاباً قصيراً يحمل عنواناً طويلاً: "سيكولوجيا العمليات اللاواعية: موجز عن النظرية الحديثة ومنهج علم النفس التحليلي". وفي مقدمته المؤرخة بتاريخ 6 كانون الأول 1916، صرّح أن العمليات السيكولوجية المترافقة مع الحرب، جلبت مشكلة اللاوعي الفوضوي إلى صدارة الاهتمام. لكن سيكولوجية الفرد، تتوافق مع سيكولوجية الأمة، ولا يمكن للتجدد الثقافي أن يأتي، إلا بحدوث تحوّل في سلوك الفرد[162]. وقد أوضح هذا الأمر بشكل تفصيلي، الترابط الوثيق بين الأحداث الفردية والجمعية التي كانت مركز "الكتاب الأحمر". بالنسبة إلى يونغ، فإن الجمع بين رؤاه التنبؤية واندلاع الحرب، أوضح الارتباطات اللاوعية بين أخيولات الفرد وأحداث العالم- وبذلك، بيّن سيكولوجيا الفرد وسيكولوجيا الأمة. وما أصبح مطلوباً الآن هو فهم هذا الارتباط بتفاصيل أدق.

كتب يونغ أنه بعد أن يحلل المرء محتويات اللاوعي الشخصي ويدمجها، يمكن أن يواجه الأخيولات الميثولوجية التي نبعت من طبقة النشوء والتطور الخاصة باللاوعي[163]. وقد قدّم كتاب "سيكولوجيا العمليات اللاوعية" عرضاً للاوعي الجمعي المطلق الفوق شخصي- وتم استخدام هذه المصطلحات بالتبادل. وطرح يونغ فكرة أن المرء بحاجة لفصل نفسه عن اللاوعي، بتقديم هذا اللاوعي بشكل مرئي، كشيء منفصل عن المرء. لقد كان من الضروري جداً التمييز بين "أنا" و"اللا

---

[161] (إم بي) الصفحة 380.

[162] الأعمال الكاملة 7 الصفحة 3-4.

[163] في نسخته المنقحة من عام 1943 لهذا العمل، أضاف يونغ أن اللاوعي الشخصي."يتطابق مع شخصية الظل التي ترد كثيراً في الأحلام" (الأعمال الكاملة 7، 103) . وقد أضاف التعريف التالي لهذه الشخصية: "بالظل أفهم الجانب السلبي للشخصية، مجموع كل الخصائص غير السارة المخبأة، الوظائف غير المتطورة تماماً ومحتويات اللاوعي الشخصي" (المرجع نفسه، 193 ن). وقد وصف يونغ هذه المرحلة من العملية التفرّدية بأنها المواجهة مع الظل (راجع الأعمال الكاملة 9، الجزء 2، 13-19).

أنا"، تحديداً النفس الجمعية أو اللاوعي المطلق. وللقيام بهذا، "على الإنسان أن يقف بالضرورة على قدمين ثابتتين في وظيفة أناه، أي إن عليه أن يحقق واجباته تجاه الحياة بالكامل، بحيث يتمكن من العيش كعضو فعال في المجتمع من جميع النواحي[164]". لقد كان يونغ يسعى إلى إنجاز هذه المهام في تلك الفترة.

كانت محتويات اللاوعي هي ما دعاه يونغ في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" بالأساطير النموذجية أو الصور البدائية. وقد وصف هذه "الصور المسيطرة" بالسلطات الحاكمة، الآلهة، أي صور القوانين والمبادئ المسيطرة، واتساق عادي في تعاقب الصور، التي تلقاها الدماغ من تعاقب العمليات الدنيوية[165]". لقد كان المرء بحاجة للانتباه بشكل خاص لهذه الصور المسيطرة. والمهم على وجه الخصوص كان "انفصال المحتويات الميثيولوجية أو الجمعية عن مواضيع الوعي، واندماجها كوقائع سيكولوجية خارج النفس الفردية[166]". وكان هذا يمكّن المرء من فهم البقايا المفعلة لتاريخنا السلفي. وقد نتج عن التمييز بين الشخصي واللاشخصي، إطلاق للطاقة.

تعكس هذه التعليقات أيضاً نشاطه: محاولته التمييز بين الشخصيات المختلفة التي تظهر، و"دمجها كوقائع سيكولوجية". لقد كانت فكرة أن هذه الشخصية لها واقع سيكولوجي بحد ذاتها، وأنها لم تكن مجرد شذرات ذاتية، هي الدرس الرئيسي الذي نسبه إلى شخصية إيليا في الأخيولة: موضوعية النفس[167].

طرح يونغ فكرة أن حقبة العقل والريبة التي دُشنت بالثورة الفرنسية، قد قمعت الدين واللاعقلانية. وأدى هذا بدوره إلى عواقب خطيرة، أدت

---

[164] "سيكولوجيا العمليات اللاواعية" في كتاب يونغ "أبحاث مجموعة عن علم النفس التحليلي، نشر كونستانس لونغ (لندن: بايير، تيندال، وكوكس، 1917 الطبعة الثانية) الصفحات 416-47.

[165] المرجع نفسه الصفحة 432.

[166] المرجع نفسه. الصفحة 435.

[167] "مقدمة إلى علم النفس اليونغي. الصفحة 103.

إلى اندلاع اللاعقلانية الممثل بالحرب العالمية. وبهذا كانت ضرورة تاريخية للاعتراف باللاعقلاني كعامل سيكولوجي. هذا القبول للاعقلانية، شكّل أحد المواضيع المركزية لـ"الكتاب الأحمر".

في كتاب "سيكولوجيا العمليات اللاوعية"، طور يونغ مفهومه عن الأنماط السيكولوجية. وكتب أنه لَتطوّرٌ شائع أن تُدفع الميزات السيكولوجية للأنماط إلى حدودها القصوى. بواسطة ما أطلق عليه مصطلح (الإينانتيودروميا) أو الانقلاب إلى العكس، تدخل الوظيفة الأخرى، وتحديداً، وظيفة الشعور بالنسبة للانطوائي، ووظيفة التفكير بالنسبة للانبساطي. هذه الوظائف الثانوية وُجِدَت في اللاوعي. وقد أدى تطور الوظيفة المناقضة إلى "التفرّدية". وبما أن الوظيفة المناقضة لم تكن مقبولة لدى الوعي، فقد كانت هناك حاجة لتقنيةٍ خاصة لقبولها، إي إنتاج الوظيفة الإعلائية. لقد كان اللاوعي خطراً حين لم يكن المرء متناغماً معه. لكن مع ترسيخ الوظيفة الإعلائية، توقف اختلال التناغم. ومنحت إعادة التوازن هذه مدخلاً إلى المظاهر الإنتاجية والمفيدة للاوعي. احتوى اللاوعي على الحكمة وتجربة الأجيال التي لم تُعرف، وبهذا شكل مرشداً لا يضاهى. يظهر تطوّر الوظيفة المعاكسة في قسم "الأسرار المقدسة" من "الكتاب الأحمر[168]". تتمثّل محاولة اكتساب الحكمة المخزنة في اللاوعي، في كامل الكتاب، حيث يطلب يونغ من روحه أن تخبره عما تراه، وعن معنى أخيولاته. يُعتبر اللاوعي هنا منبعاً للحكمة الأسمى. وقد ختم المقالة بالإشارة إلى الطبيعة الشخصية والتجريبية لمفاهيمه الجديدة: "يسعى عصرنا إلى ينبوع جديد للحياة. لقد وجدتُ واحداً وشربت منه وكان مذاق الماء شهياً[169]".

---

[168] راجع الصفحات 183-216.

[169] الأبحاث المجموعة عن علم النفس التحليلي. الصفحة 444. هذه الجملة ظهرت فقط في الطبعة الأولى من كتاب يونغ.

الطريق إلى الذات

في عام 1918، أنجز يونغ بحثاً بعنوان "عن اللاوعي"، حيث كتب أننا جميعاً نقف بين عالمين: عالم الإدراك الخارجي وعالم إدراك اللاوعي. يصور هذا التمييز تجربته في ذلك الوقت. كما كتب أن فريدريك شيلر قد ادعى بأن تقارب هذين العالمين، يحدث من خلال الفن. على النقيض من ذلك، طرح يونغ فكرة: "أرى أن اتحاد الحقيقة العقلانية واللاعقلانية لا يوجد في الفن، بل في الرمز بحد ذاته، لأن جوهر الرمز هو ما يحتوي العقلاني واللاعقلاني[170]". وقال إن الرموز تنبع من اللاوعي، وإبداع الرموز هو الوظيفة الأهم للاوعي. وبينما وظيفة اللاوعي التعويضية حاضرة دوماً، كانت وظيفة إبداع الرموز حاضرة فقط عندما كنا مستعدين لتمييزها. هنا نراه يستمر بتجنب اعتبار إنتاجه فناً. ليس الفن بل الرموز هي ذات الأهمية الأعلى هنا. إن إدراك واسترداد هذه القدرة على إبداع الرموز موضح في "الكتاب الأحمر". إنه يصف محاولة يونغ لفهم الطبيعة السيكولوجية للرمزية، وللنظر لأخيولاته بطريقة رمزية. لقد استنتج أن ما كان لاوعياً في أية حقبة كان نسبياً فقط، وكان متغيراً. ما أصبح مطلوباً الآن هو "إعادة تشكيل آرائنا وفقاً للقوى النشطة للاوعي[171]". وبهذا كانت المهمة التي تواجهه، هي ترجمة المفاهيم التي اكتسبها من خلال مواجهته مع اللاوعي، وقد تم التعبير عنها بطريقة حرفية ورمزية في "الكتاب الأحمر"، في لغة متوافقة مع المشهد المعاصر.

في السنة التالية، قدم بحثاً بالانكليزية أمام جمعية الأبحاث النفسية، التي كان عضواً فخرياً فيها، عن "الأساسات السيكولوجية للإيمان بالأشباح[172]". لقد فرّق بين الحالتين اللتين يصبح فيهما اللاوعي نشطاً. في الحالة الأولى، ينشط من خلال أزمة في حياة الفرد، وانهيار

---

[170] الأعمال الكاملة 10، 24.
[171] الأعمال الكاملة 10، 48.
[172] الأعمال الكاملة 8.

الآمال والتوقعات لديه. في الحالة الثانية، ينشط في أوقات الثوران العظيم الاجتماعي والسياسي والديني. في لحظات كتلك، فإن العوامل المقموعة بسبب المواقف الحالية، تتراكم في اللاوعي الجمعي. والأفراد الحدسيون بشدة، يصبحون مدركين لها ويحاولون ترجمتها إلى أفكار يمكن إيصالها للآخرين. إن نجحوا في ترجمة اللاوعي إلى لغة يمكن فهمها، فسوف ينجم عن هذا تأثير خلاصي. لقد كان لمحتوى اللاوعي تأثير مزعج. في الحالة الأولى، ربما يحل اللاوعي الجمعي محل الواقع، وهذه حالة مرضية. في الحالة الثانية، ربما يشعر الفرد بعدم التوجّه، لكن الحالة ليست مرضية. يوحي هذا التمييز بأن يونغ اعتبر أن تجربته الخاصة، تقع تحت العنوان الثاني- أي نشاط اللاوعي الجمعي بسبب الثوران الحضاري العام. ومن هنا فإن خوفه الأول من جنون وشيك عام 1913، يكمنُ في فشله في إدراك هذا التمييز.

في عام 1918، قدم سلسلة من السيمنارات لنادي علم النفس عن عمله في دراسة النماذج، وكان منخرطاً في بحث علمي مكثف عن هذا الموضوع حينها. وقد طوّر وأسهب في المواضيع التي تحدثت عنها هذه الأبحاث عام 1921 في كتاب "النماذج السيكولوجية". بالنسبة إلى العمل على مواضيع "الكتاب الأحمر"، كان القسم الأهم من كتاب "النماذج" هو الفصل الخامس الذي يتحدث عن "مشكلة النمط في الشعر". والقضية الأساسية التي تمت مناقشتها هنا، هي كيفية حل مشكلة المتناقضات من خلال إنتاج رمز توحيد أو مصالحة. يشكّل هذا الرمز المواضيع الرئيسية لـ"الكتاب الأحمر". لقد قدم يونغ تحليلاً مفصلاً عن قضية حل مشكلة المتناقضات في الهندوسية والتاوية، ومسيتر إيكهرت، وفي الزمن الحالي، أعمال كارل سبيتلر. يمكن لهذا الفصل أن يُقرأ بطريقة التأمل ببعض المصادر التاريخية التي أملت مفاهيمه في "الكتاب الأحمر" بشكل مباشر. وإعلان إدخال منهج هام. وقد سعى،

بدلاً من مناقشة قضية مصالحة المتناقضات بشكل مباشر في "الكتاب الأحمر"، إلى التشبيهات التاريخية وعلق عليها.

في عام 1921، انبثقت "الذات" كمفهوم سيكولوجي، عرفها يونغ كالتالي:

نظراً لأن "أنا" هي المركز الوحيد لحقل الوعي، فهي ليست متطابقة مع كلية النفس، من حيث كونها مجرد عقدة بين عقد أخرى. لذا أفصل بين "أنا" و"الذات"، بما أن "أنا" هي الموضوع الوحيد لوعيي، بينما "الذات" هي موضوع كليتي: من هنا فهي تتضمن أيضاً النفس اللاوعية. بهذا المعنى فإن الذات هي عظمة مثالية تتقبل "أنا" وتشملها. في أخيولة اللاوعي غالباً ما تظهر الذات على شكل شخصية مفرطة التنسيق أو مثالية، مثل فاوست بالعلاقة مع غوته، وزرادشت بالعلاقة مع نيشته[173].

لقد كافأ يونغ بين الفكرة الهندوسية لبراهمان/أتمان[174] والذات. وفي الوقت نفسه، قدم تعريفاً للروح. وطرح فكرة أن الروح تمتلك خواصاً مكملة للشخصية القناع، وتحتوي تلك الخواص التي يفتقدها الموقف الواعي. هذه الشخصية المكملة للروح تؤثر أيضاً على شخصيتها الجنسية، بحيث أن للرجل روحاً مؤنثة، أو قرينة (أنيما)، وللمرأة روح مذكرة أو قرين (أنيموس)[175]. وقد توافق هذا مع حقيقة أن الرجال والنساء لديهم جميعاً خصائص ذكورية وأنثوية. لقد كتب أن الروح أظهرت الصور التي اعتُبرت عديمة القيمة من وجهة النظر العقلانية. وكانت هناك أربع طرق لاستخدامها:

الإمكانية الأولى لاستخدامها هي فنية، إن كان المرء موهوباً بطريقة ما بهذا المجال، الثانية هي التأمل الفلسفي، والثالثة هي شبه دينية،

---

[173] الأنماط السيكولوجية، الأعمال الكاملة 6، 706.

[174] مفهوم هندوسي يدل على الروح أو الذات الحقيقية غير المادية – المترجمان.

[175] المرجع نفسه. 804-5.

وتؤدي إلى الهرطقة وتأسيس المذاهب، والطريقة الرابعة لتوظيف قوة هذه الصور هي تبديدها في كل شكل من أشكال الفجور[176].

من هذا المنظور، فإن الاستخدام السيكولوجي لهذه الصور سيمثل "طريقة خامسة". كي تنجح، يجب أن تميز السيكولوجيا نفسها عن الفن والفلسفة والدين بوضوح. هذه الضرورة تفسر رفض يونغ للبدائل.

في "الكتب السوداء" التالية، استمر بالإسهاب بـ"مثيولوجيته". لقد تطوّرت الشخصيات وتحولت بعضها إلى الآخر. وترافق تمييز الشخصيات مع اندماجها حيث أصبح يعتبرها مظاهر للمكونات الكامنة للشخصية. في 5 كانون الثاني - يناير 1922، أجرى حديثاً مع روحه يتعلق بمهنته و"الكتاب الأحمر":

أنا: أشعر أن عليّ التحدث إليك. لم لا تسمحين لي بالنوم وأنا متعب؟ أشعر أن الإزعاج يأتي منك. ما الذي يحفزك لإبقائي صاحيا؟

الروح: هذا ليس وقت النوم، بل عليك أن تكون صاحيا وتستعد لأمور هامة في العمل الليلي. سيبدأ العمل العظيم.

أنا: أي عمل عظيم؟

الروح: العمل الذي يجب أن يتم القيام به الآن. إنه عمل عظيم وصعب. ليس هناك وقت للنوم، إن لم تجد الوقت خلال النهار لتبقى في العمل.

أنا: لكنني لم أكن أعرف أن أمراً كهذا يحدث.

الروح: لكن كان بوسعك أن تعرف، لأنني كنت أقلق نومك منذ وقت طويل. كنت غير واعٍ لفترة طويلة من الزمن. عليك الآن أن تصل إلى مستوى أعلى من الوعي.

أنا: أنا مستعد. ما الأمر؟ تكلمي!

الروح: يجب أن تسمع: أن تتوقف عن كونك مسيحياً أمر سهل. لكن ما التالي؟ لأن المزيد سيأتي. كل شيء ينتظرك. وأنت؟ تبقى صامتاً وليس لديك ما تقوله. لكن عليك أن تتكلم. لماذا تلقيت الوحي؟

---

[176] الأعمال الكاملة 6. 426.

يجب ألا تخبئه. أنت تقلق نفسك بشأن الصيغة؟ هل الصيغة مهمة في حالة الوحي؟

أنا: لكنك لا تعتقدين أنني يجب أن أنشر ما كتبتُه؟ سيكون هذا سيئاً. ومن سيفهمه؟

الروح: لا، اسمع. يجب ألا تفسخ زواجاً، أي الزواج بي، يجب ألا يحل أي شخص مكاني.. أريد أن أحكم وحدي.

أنا: إذاً تريدين أن تحكمي؟ منذ متى لديك الحق بادعاء كهذا؟

الروح: لدي هذا الحق لأنني أخدمك أنت ودعوتك. يمكنني أن أقول، أنت أتيت أولاً، لكن دعوتك تأتي أولاً وفوق كل شيء.

أنا: لكن ما هي دعوتي؟

الروح: الدين الجديد وإعلانه.

أنا: رباه، كيف علي أن أفعل هذا؟

الروح: لا تكن قليل الإيمان هكذا. لا أحد يعلم كما تعلم. لا أحد يمكنه قوله كما تستطيع أنت.

أنا: لكن من يعلم، إن كنت تكذبين؟

الروح: اسأل نفسك إن كنت أكذب. أنا أقول الحقيقة[177].

كانت روحه تحفزه بشدة على نشر مادته، التي تقاعس عنها. بعد ثلاثة أيام، أعلمته روحه أن الدين الجديد "يعبر عن نفسه فقط في تحول العلاقات الإنسانية. لا تسمح العلاقات باستبدالها بالمعرفة الأعمق. والأكثر من ذلك فإن الدين الجديد لا يتألف من المعرفة فقط، بل في المستوى المرئي منه يتألف من نظام جديد للعلاقات الإنسانية. من هنا لا تتوقع مني أية معرفة إضافية. أنت تعرف كل ما يمكن معرفته عن الوحي المتجسد، لكنك لا تعيش بعدُ كلَّ ما يمكن عيشه في هذا الوقت". أجابت "أنا" يونغ، "أستطيع فهم وتقبل هذا بالكامل. لكنني لا أفهم

---

[177] الكتاب الأسود 7، الصفحة 92 سي.

كيف يمكن تحويل المعرفة إلى حياة. يجب أن تعلميني هذا". قالت روحه "ليس هناك الكثير ليقال عن هذا. الأمر ليس عقلانياً كما تريد أن تعتقد. الطريق رمزي"[178].

من هنا فإن المهمة التي يواجهها يونغ كانت كيفية إدراك ما عرفه من خلال استقصاءاته الذاتية في الحياة وتجسيده. خلال هذه الفترة، فإن مواضيع سيكولوجيا الدين وعلاقة الأديان بالسيكولوجيا، أصبحت سائدة بشكل متزايد في أعماله، بدءاً من السيمنار الذي قدمه في بولزيث في كورنوال عام 1923. لقد حاول تطوير سيكولوجية عملية صنع الأديان. وبدلاً من ادعاء وحي نبوي جديد، كانت اهتماماته تكمن في سيكولوجيا التجارب الدينية. كانت المهمة وصف ترجمة التجربة الروحية للأفراد إلى رموز، وفي النهاية إلى عقائد ودساتير إيمان للأديان المنظمة، وأخيراً، دراسة الوظيفة السيكولوجية لهذه الرموز. كي تنجح سيكولوجية عملية صنع الدين هذه، كان من الضروري ألا يخضع علم النفس التحليلي لأن يصبح عقيدة، بالرغم من أنه يوفر تأكيداً على الموقف الديني[179].

في عام 1922، كتب يونغ بحثاً عن "العلاقة بين علم النفس التحليلي والأعمال الفنية الشعرية". وميّز بين نمطين من العمل: الأول، الذي نشأ بالكامل من نية المؤلف، والثاني، الذي يمسك بالمؤلف. إن أمثلة على أعمال رمزية كهذه كانت الجزء الثاني من مسرحية فاوست لغوته، وكتاب زارادشت لنيتشه.

---

[178] المرجع نفسه، الصفحة 95. في سيمنار في السنة التالية، تحدث يونغ عن موضوع علاقة العلاقات الفردية بالدين: "لا يمكن لأي فرد أن يوجد بدون علاقات فردية، وهكذا يتم وضع أساس كنيستكم. تضع علاقات الأفراد شكل كنيسة مرئية" (ملاحظات على سيمنار في علم النفس التحليلي قام بها الدكتور كارل غوستاف يونغ، بولزيث، انكلترا، 14 تموز-27 تموز 1923، رتبها أعضاء من الصف، الصفحة 82).

[179] عن سيكولوجيا الدين عند يونغ ، راجع جيمس هازيغ، (إيماجو دي: صورة الله: دراسة لسيكلوجيا الدين عند يونغ) (لوزبيرغ: مطبعة جامعة باكنيل، 1979) ،وكتاب آن لامرز "في ظل الله: التعاون بين فيكتور وايت وكارل غوستاف يونغ (نيو يورك: مطبعة بوليست، 1994)، راجع أيضاً مقالتي "في حالة التطور" مجلة علم النفس التحليلي 44 (1999).

قال إن هذه الأعمال نبعت من اللاوعي الجمعي. في حالات كهذه، فإن العملية الإبداعية تتألف من تنشيط اللاوعي لصورة بدائية. لقد أطلقت النماذج البدئية في داخلنا صوتاً كان أقوى من صوتنا:

من تكلّم بلغة الصور البدائية فهو يتكلم بألف صوت: إنه يَفتنْ ويطغى... إنه يحوّل قَدَرَنا الشخصي إلى قدر البشرية، ويستحضر فينا كل القوة المفيدة التي مكنت البشرية دوماً من العثور على ملاذٍ من كل خطر لنستمرّ بعد أطول الليالي[180].

إن الفنان الذي أنتج أعمالاً كهذه قد ثقّف روح العصر، وعاوض أحادية الحاضر. وقد بدا في وصف أصل الأعمال الرمزية كهذه، أن نشاطات خاصة بيونغ قد حدثت في ذهنه. هكذا، وعلى الرغم من أن يونغ رفض اعتبار "الكتاب الأحمر" عملاً "فنياً"، فإن تأملاته على تأليفه كانت مصدراً نقدياً لمفاهيمه اللاحقة ونظرياته الفنية. والسؤال الضمني الذي طرحه هذا البحث كان ما إن كان بوسع علم النفس الآن القيام بوظيفة تعليم روح العصر هذه ومعاوضة أحادية الحاضر. منذ هذه المرحلة فصاعداً، بدأ يتخيل مهمة سيكولوجيته بهذه الطريقة تحديداً[181].

مفاوضات النشر

منذ العام 1922 فصاعداً، إضافة إلى نقاشاته مع إيما يونغ وتوني وولف، أجرى يونغ نقاشات مكثفة مع كاري باينز وولفغانغ ستوكماير، بما يتعلّق بما يجب فعله بـ"الكتاب الأحمر"، وحول إمكانيته نشره. تُعتبر هذه النقاشات هامة لأنها حدثت بينما كان يونغ لا يزال يعمل به. وقد ولدت كاري فينك عام 1883، ودرست في جامعة فاسار حيث علمتها كريستين مان، التي أصبحت من أوائل أتباع يونغ في الولايات

[180] الأعمال الكاملة 15، 130.

[181] عام 1930، أسهب يونغ في هذا الموضوع، ووصف النمط الأول للعمل على أنه "سيكولوجي"، واللاحق "رؤيوي". "السيكولوجيا والشعر" الأعمال الكاملة 15.

المتحدة. عام 1910، تزوجت جيم دي أنغولو، وأكملت تدريبها الطبي في مستشفى جونز هوبكنز عام 1911. عام 1921، تركته وذهبت إلى زيورخ مع كريستين مان. دخلت التحليل مع يونغ. لم تمارس التحليل مطلقا، واحترم يونغ ذكاءها النقدي بشدة. عام 1927 تزوجت بيتر باينز. تطلقا لاحقاً عام 1931، طلب منها يونغ أن تكتب مخطوطة جديدة من "الكتاب الأحمر"، لأنه أضاف الكثير من المواد منذ المخطوطة السابقة. قامت بهذا في عامي 1924 و1925، عندما كان يونغ في أفريقيا. كانت آلتها الكاتبة ثقيلة، لذا نسخته أولاً باليد ثم طبعته.

هذه الملاحظات تروي نقاشاتها مع يونغ وهي مكتوبة بصيغة رسائل موجّهة إليه، لكنها لم تُرسل قط:

2 تشرين الأول - أكتوبر 1922

في كتاب آخر لمايرينك وهو "الدومينيكاني الأبيض"، قلتَ إنه استخدم الرمزية نفسها التي راودتك في الرؤية الأولى التي كشفت لاوعيك. والأكثر من ذلك، قلت إنه تحدث عن "كتاب أحمر" يحتوي على ألغاز معينة، والكتاب الذي تكتبه عن اللاوعي، سميته "الكتاب الأحمر"[182]. ثم قلت إنك لا تعرف تماماً ما الذي يجب فعله بالكتاب. قلت إن بوسع ميرينك أن يضع مادته في صيغة رواية ولا بأس بذلك، لكنك لا تجيد إلا المنهج العلمي والفلسفي ولا يمكنك صب هذه المواد

---

[182] راجع كتاب ميرينك "الدومينيكاني الأبيض"، ترجمة إم ميتشل (1994/1921) الفصل 7 "الأب المؤسس" الذي يقول لبطل الرواية كريستوفر أن "من يملك الكتاب الأحمر الزاهي، نبتة الخلود، يقظة النفس الروحي، وسر إعادة اليد اليمنى إلى الحياة، سيتحلل مع الجثة... إنه يسمى الكتاب الاحمر الزاهي لأنه، حسب معتقد قديم في الصين، الأحمر هو لون ملابس من وصلوا إلى المرحلة الأسمى من الكمال وبقوا على الأرض من أجل خلاص البشر" (الصفحة 91). كان يونغ مهتماً على وجه الخصوص بروايات ميرينك. عام 1921، عند الإشارة إلى الوظيفة الإعلائية وأخيولات اللاوعي، كتب أن أمثلة على مواد كهذه كانت معرضة للإسهاب الجمالي يمكن العثور عليها في الأدب، و"اريد الإشارة إلى عملين لميرينك لنولي لهما اهتماماً خاصاً: "The Golem and The Green Face"، الأنماط السيكولوجية، الأعمال الكاملة 6، 205. اعتبر أن ميرينك فنان صاحب رؤية (علم النفس والشعر) 1930، الأعمال الكاملة 15، 142، وكان مهتماً بتجارب ميرينك الخيميائية (علم النفس والخيمياء) 1944. الأعمال الكاملة 12. 241.

بهذا القالب. قلتُ إنك تستطيع استخدام صيغة كتاب زارادشت وقلتَ إن هذا صحيح، لكنك كنت سئماً من هذا. وأنا كذلك. ثم قلتَ إنك فكرت بكتابته على شكل سيرة ذاتية. ويبدو لي أن هذا هو الحل الأفضل بكثير، لأنك تستطيع حينها الكتابة كما تتحدث وهي طريقة ملونة للغاية. لكن عدا عن أية صعوبات تتعلق بالصيغة، قلتَ إنك تخشى نشره على الملأ لأن هذا أشبه ببيع بيتك. لكنني عارضتك بقوة وقلتُ إن هذا غير صحيح البتة، لأنك أنت والكتاب أشبه بمجموعة نجوم في الكون، وأن اعتبار الكتاب شخصي محض، يعني أن تطابق نفسك معه وهو أمر لا يمكن أن تسمح لمرضاك بفعله... ثم ضحكنا بسبب أنني أمسكت بك متلبساً بهذا. علق غوته بالمأزق نفسه في الجزء الثاني من فاوست حيث دخل في اللاوعي ووجد صعوبة بصياغته بالشكل المناسب، ومات أخيراً وترك المخطوطة كما هي في درج مكتبه. كما قُلتَ إن الكثير مما اختبرته سيُعتَبَرُ جنوناً محضاً، بحيث أنه لو تم النشر، فلن تخسر كونك عالِماً فقط، بل ستخسر كونك إنساناً أيضاً، لكنني قلت إن هذا غير صحيح، وإن قاربته من زاوية الشعر والحقيقة، يمكن للناس اختيار المواد وتنسيقها بين الأمرين[183]. اعترضت على تقديم أي منه على أنه شعر وأنه حقيقة بكامله، لكن لا يبدو لي من الزيف استخدام هذا القناع لتحمي نفسك من(فيليستيا)- وفي النهاية كما قُلت، إن للفيليستا حقوقها بمواجهة الخيار بينك كمجنون، وبين أنفسهم كحمقى ليس لديهم خبرة، عليهم أن يختاروا الخيار الأول، لكن إن وضعوك بمرتبة شاعر، فسينقذون ماء وجوههم. كثير من موادك التي قلتَ إنها راودتك على شكل رموز (الرون)، ويبدو تفسير هذا الرون هراءً محضاً، لكن هذا ليس مهماً إن كان للمنتج النهائي معنى. في حالتك، قلتُ إنه من الواضح أنك أصبحت تعرف

183 الإشارة هنا إلى سيرة غوته الذاتية، "من حياتي: الشعر والحقيقة" ترجمة (أر هيتنر) (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1994).

من خطوات الإبداع أكثر من أي شخص سبقك. في معظم الحالات يتخلص العقل من المواد غير المهمة آلياً، ويقدم المنتج النهائي، بينما تأتي أنت بكل شيء، عملية البناء والمنتج. ومن الطبيعي أن يكون التعامل معها صعباً إلى درجة مخيفة. ثم انتهت ساعة لقائي بك.

كانون الثاني - يناير 1923

ما أخبرتني به منذ بعض الوقت جعلني أفكر، وفجأة بينما كنت أقرأ كتاب "مقدمة في المسرح" ذات يوم[184]، خطر ببالي أن عليك أنت أيضاً الاستفادة من ذلك المبدأ الذي استخدمه غوته بشكل جميل جداً في كل مسرحية فاوست، أقصد المواجهة بين المبدع والأبدي مع السلبي والعابر. ربما لن تفهم حالاً علاقة هذا بـ "الكتاب الأحمر" لكنني سأشرح لك. كما فهمت، إن هذا الكتاب سيتحدى الناس للنظر إلى أرواحهم بطريقة جديدة، على أية حال، سيكون فيه الكثير مما لن يفهمه الشخص العادي، كما أنك ما كنت ستفهمه بشكل جيد في مرحلة ما من حياتك أنت. بطريقة ما إنه بمثابة "جوهرة" ستقدمها للعالم، أليس كذلك؟ وفكرتي هي أنه بحاجة إلى نوع من الحماية كي لا يُرمى في القمامة، ويأخذه في النهاية يهودي غريب الملبس.

أفضل حماية يمكنك تقديمها كما يبدو لي، هي أن تضع في الكتاب نفسه، شرحاً للقوى التي ستحاول تدميره. إنها واحدة من مواهبك العظيمة، وهي رؤية السواد إضافة إلى البياض في كل موقف، وستعرف أكثر من معظم الناس من سيهاجم الكتاب، وما الذي سيرغبون بتدميره. ألا يمكنك أن تفسد عليهم مسعاهم بكتابة نقدهم بدلاً منهم؟ ربما هذا هو الشيء نفسه الذي فعلته في المقدمة. ربما تستطيع اتخاذ موقف "اقبلوا به أو اتركوه، ولتحل عليكم البركة أو اللعنة، أياً كان ما تفضلونه" حيال العامة. سيكون هذا مناسباً، وأياً كانت الحقيقة فيه

[184] الإشارة هنا إلى بداية مسرحية فاوست: حوار بين المخرج والشاعر وشخص مرح.

فستنجو بأية حال. لكنني أريد أن أراك تفعل الأمر الآخر، إن لم يكن هذا مجهداً جداً بالنسبة إليك.

26 كانون الثاني - يناير 1924

في الليلة السابقة، راودك حلم ظهرتُ فيه متخفية لأعمل على "الكتاب الأحمر" وكنتَ تفكر بهذا طوال اليوم، وأثناء ساعة الدكتورة وارتون التي تسبق ساعتي (وعلي القول إن هذا يسرها)... كما قلتَ، فقد عزمت على تسليمي كل مواد لاوعيك المثلة في "الكتاب الأحمر" لتعرف ماذا سيكون رأيي به كشخص غريب، وكمراقبة غير متحيزة. اعتقدتَ أنني قدمت نقداً جيداً وغير متحيز. قلتَ إن توني لها علاقة شديدة به إضافة إلى أنها لا تهتم بالكتاب نفسه، ولا بتحويله إلى صيغة يمكن الاستفادة منها. قلتَ إنها تائهة في "رفرفة طائر". أما عن نفسك، فقد قلتَ إنك لطالما عرفت ماذا عليك أن تفعل بأفكارك، لكن هنا كنت تشعر بالحيرة. عندما كنت تقاربها، تقع في شركها بالشكل الذي هي عليه، ولا يعود بوسعك التأكد من أي شيء. كنت متأكداً أن لبعض منها أهمية كبيرة، لكنك لم تستطيع العثور على صيغة ملائمة– قلتَ إنها تبدو كتابات شخص في مستشفى المجانين كما هي عليه الآن. ثم قلتَ إن علي تدوين محتويات "الكتاب الأحمر"– طلبتَ نسخه مرة في السابق، لكنك أضفت منذ ذلك الحين الكثير من المواد، لذا أردتَ نسخه ثانية وقلتَ إنك ستشرح لي الأشياء أثناء كتابتي له، لأنك فهمت كل شيء فيه تقريباً. بهذه الطريقة تمكنا من نقاش الكثير من الأشياء التي لم نأتِ على ذكرها في جلسات تحليلي، وتمكنتُ من فهم أفكارك من أساسها. أخبرتني حينها المزيد عن موقفك حيال "الكتاب الأحمر". قلتَ إن بعضاً منه ضار بإحساسك بتلاؤم الأشياء بشكل كبير، وأنك رفضت كتابتها عندما خطرت لك، لكنك بدأت بمبدأ "الطوعية" وهو عدم القيام بأية تصحيحات، والتزمتَ بهذا. كانت بعض الصور طفولية للغاية، لكن كان ذلك هو القصد منها. كانت هناك

شخصيات عدّة تتكلم، إيليا والأب فيلمون..إلخ. لكن يبدو أنها جميعاً مراحل لشخصية اعتقدتَ أنه يجب تسميتها ب "المعلم". كنتَ متأكداً أن هذا الأخير هو نفسه من ألهم بوذا وماني والمسيح و... - كل من يمكن القول إنهم تواصلوا مع الله[185]. لكن الآخرين ماثلوا أنفسهم به. ورفضتَ أنت القيام بهذا تماماً. قلتَ إن هذا لا يناسبك قط، وعليك أن تبقى عالم نفس- الشخص الذي فهم العملية. قلتُ حينها إن ما يجب فعله هو تمكين الناس من فهم العملية أيضاً بدون أن يعتقدوا أنهم وضعوا "المعلم" في قفص، ليكون رهن إشارتهم. كان عليهم اعتباره عموداً من النار، يتقدم إلى الأمام إلى الأبد، ويعصى على فهم البشر دوماً. بينما كنتَ تتحدث، أصبحتُ أكثر إدراكاً لتعذر الإحاطة بالأفكار التي تملؤك. قلتَ إنها تقع في ظل الأبدية واستطعتُ الشعور بصحة هذا[186].

في 30 كانون الثاني - يناير، كتبتْ أن يونغ قال عن حلم أخبرته عنه:

كان هذا تحضيراً "للكتاب الأحمر"، لأن "الكتاب الأحمر" يروي المعركة بين عالم الواقع وعالم الروح. قلتَ إنك أوشكتَ كثيراً على التمزق إرباً في هذه المعركة، لكنك تمكنتَ من إبقاء قدميك على الأرض، وترك أثر على الواقع. قلتَ إن هذا بالنسبة إليك كان اختباراً لأية فكرة، وإنك لا تحترم أية أفكار يجب أن توجد في الفضاء، وليست قادرة على ترك أثر على الواقع[187].

هناك مقطع من مسودة رسالة غير مؤرخة إلى شخص غير محدد، عبرت فيه كاري باينز عن وجهة نظرها بأهمية "الكتاب الأحمر"، وضرورة نشره:

أنا مشدوهة تماماً، مثلاً، عندما قرأت "الكتاب الأحمر" ورأيتُ كل ما كُتب هنا عن "الطريقة المناسبة" لنا في هذا العصر، وعرفتُ أن تونى لم تدعه يؤثر بها. ما كان سيبقى أي جزء لاواعٍ من نفسها لو أنها

---

[185] يشير يونغ هنا إلى صورة موجودة في النسخة طبق الأصل.

[186] (سي إف بي).

[187] المرجع نفسه.

استوعبت من "الكتاب الأحمر" ما قرأتُه، وأعتقد أنه لا يشكل ثلث أو ربع الكتاب. وهناك أمر آخر يصعب علي فهمه، وهو سبب عدم اهتمامها برؤيته ينشر الكتاب. هناك أشخاص في بلادي قرأوه من الغلاف إلى الغلاف، بدون التوقف لالتقاط أنفاسهم، وهو يعيد تخيل الأشياء التي تحيّر اليوم كل من يحاول العثور على معنى للحياة ويوضحها ... لقد صاغها بكل عنفوان خطابه وألوانه، كل المباشرة والبساطة التي تأتي عندما تحترق النار في داخله في كورنوال[188].

ربما يكون الأمر كما قال هو طبعاً، أن نشره كما هو سيبقى في معركة دائمة مع عالم العلم العقلاني، لكن لا بدّ من وجود طريقة للتحايل على هذا، طريقة ليحمي نفسه ضد الغباء، كي لا يضطر الناس الذين سيرغبون بالكتاب، للاستغناء عنه بينما تصبح الغالبية مستعدة لقبوله. لطالما عرفتُ أنه لا بدّ أن يكون قادراً على الكتابة بالنار التي يتحدث بها- وها هو ذا. إن كتبه المنشورة مصممة من أجل العالم عموماً، أو بالأحرى مكتوبة من رأسه، وهذا مكتوب من قلبه[189].

تظهر هذه النقاشات بوضوح عمق المفاوضات التي أجراها يونغ فيما يتعلق بنشر "الكتاب الأحمر"، وإحساسه بمركزية الكتاب في فهم أصول عمله، وخشيته من أن الكتاب سيتعرض لسوء فهم. إن الانطباع الذي سيتركه أسلوب الكتاب على العامة الغافلين أقلق يونغ بشدة. وقد قال لاحقاً لأنييلا جافيه إن العمل لا يزال بحاجة إلى صيغة مناسبة يمكن فيها أن يخرج للعالم لأنه بدا أشبه بنبوءة، وهذا لا يعجبه إطلاقاً[190].

يبدو أن هناك بعض المناقشات المتعلقة بهذه القضايا في دائرة يونغ. في 29 أيار - مايو 1924، كتبت كاري باينز نقاشاً مع بيتر باينز جادل

---

[188] الإشارة هنا إلى سيمنار بولزيث.

[189] أشك أن هذه الرسالة موجهة إلى زوجها السابقة جيم دي أنغولو. في 10 تموز - يوليو 1924 كتب لها: "أجرؤ على القول إنك كنت مشغولة مثلي بمواد يونغ... قرأت رسالتك، تلك التي أعلنت فيها ذلك، وأنذرتني بالا أخبر أحداً، وأضفتِ إنه ما كان عليك إخباري بالأمر، لكنني عرفتُ أنني سأشعر بفخر شديد بك" (سي إف بي).

[190] (إم بي) الصفحة 169.

فيه بأنه لا يمكن أن يفهم "الكتاب الأحمر" إلا شخصٌ يعرف يونغ. وعلى النقيض من ذلك اعتقدت هي أن الكتاب:

كان سجلاً لعبور الكون من خلال روح إنسان، وكما يقف شخص على شاطئ البحر، ويستمع إلى تلك الموسيقى الغريبة والمريعة جداً، ولا يستطيع فهم سبب تألم قلبه، ولِمَ تريد صرخة تمجيد أن تقفز من حنجرته، أعتقد أن الأمر سيكون مشابهاً بالنسبة إلى "الكتاب الأحمر"، وأن الإنسان سيُجبر على التسامي عن ذاته بسبب عظمة الكتاب، والتأرجح في ذرا لم يصل إليها من قبل[191].

هناك علامات أخرى على أن يونغ وزع نسخاً من "الكتاب الأحمر" لمؤتمنيه، وأنه تمت مناقشة المادة مع احتمالات نشرها. أحد هؤلاء الزملاء كان وولفغانغ ستوكماير. التقى يونغ بستوكماير عام 1907. في تأبينه غير المنشور، وصفه يونغ بأنه أول ألماني اهتم بعمله. ذكر أن ستوكماير كان صديقاً حقيقياً. سافرا معاً إلى إيطاليا وسويسرا، ونادراً ما مرت سنة دون أن يلتقيا. علّق يونغ قائلاً:

ميز نفسه من خلال اهتمامه وفهمه العظيمين بعمليات النفس المريضة. وجدت فيه أيضاً مستقبلاً متعاطفاً لوجهات نظري الأوسع، التي كانت لها أهمية في أعمالي السيكولوجية المقارنة اللاحقة[192].

رافق ستوكماير يونغ في "الاختراق القيّم لسيكولوجيتنا" إلى الفلسفة الصينية الكلاسيكية، والتأملات الصوفية للهند واليوغا التانترية[193].

في 22 كانون الأول – ديسمبر 1924 كتب ستوكماير إلى يونغ:

غالباً ما أتوق إلى "الكتاب الأحمر"، وأرغب بالحصول على نسخة مما هو متوفر، لم أفعل ذلك عندما كانت معي، وهذا ما حدث. تخيلتُ

---

[191] (سي إف بي).

[192] تأبين ستوكماير (جي اي).

[193] المرجع نفسه.

مؤخراً نوعاً من يوميات "الوثائق" بصيغة حرة لمواد من "تشكيل اللاوعي"، بكلمات وألوان[194].

يبدو أن يونغ أرسل له بعض المواد. في 30 نيسان – إبريل 1925، كتب ستوكماير إلى يونغ:

في هذه الأثناء راجعنا كتاب "السبر العميق"، وترك لدينا الانطباع نفسه الذي تركه التوهان العظيم[195]. *من المؤكد أن محاولة العثور على سياق مختار له من "الكتاب الأحمر" تستحق عناءها، لكن سيكون تعليقك مطلوباً. بما أن أحد مراكزك المجاورة يقع هنا، فإن إمكانية الوصول إلى المصادر ذات ضرورة كبيرة، بوعي أو بلاوعي. وطبعاً أنا أحلم بالنسخ المطابقة، وهذا أمر ستفهمه: ليست هناك حاجة لتخشى سحر الانبساط مني. للرسم جاذب كبير أيضاً*[196].

ربما كانت مخطوطة يونغ "تعليقات" (راجع الملحق ب) مرتبطة بهذه النقاشات.

كان للأشخاص في دائرة يونغ، آراء مختلفة بما يتعلق بأهمية "الكتاب الأحمر" وما إن كان يجب نشره أم لا، وربما كان لها تأثير على قرارات يونغ النهائية. لم تكمل كاري باينز المخطوطة، ووصلت حتى الصفحات السبع والعشرين الأولى من "السبر العميق". طوال السنوات القليلة التالية، كانت منشغلة بترجمة مقالات يونغ إلى الانكليزية، ثم بترجمة الكتاب الصيني "I Ching".

في مرحلة ما، أقدّر أنها في وسط العشرينات، عاد يونغ إلى المسودة ونقّحها ثانية، وحذف وأضاف مواد على حوالي 250 صفحة. عمل تنقحيه على تحديث اللغة والمصطلحات[197]. كما نقّح بعض المواد التي

---

[194] (جي أي)، رسائل يونغ إلى ستوكماير لم تظهر.

[195] الإشارة هنا إلى الكتاب الثاني من "الكتاب الأحمر"، راجع الملاحظة 504 الصفحة 222.

[196] (جي أي).

[197] مثلاً استبدال كلمة "Zeitgeist بعبارة Geist der Zeit أي روح الزمن، وكلمة Idee أي فكرة بـ Vordenken (التفكير المسبق= التوقع).

كان قد نسخها مسبقاً إلى المجلد المكتوب بخط اليد من "الكتاب الأحمر"، إضافة إلى بعض المواد التي كانت مهملة. من الصعب فهم سرّ قيامه بهذا ما لم يكن يفكر جدياً بنشره.

في عام 1925، قدم يونغ محاضراته عن علم النفس التحليلي لنادي علم النفس (المعروف بسيمنار عام 1925، والمنشور بكتاب "مقدمة إلى علم النفس التحليلي". ناقش يونغ في تلك المحاضرات بعضاً من الأخيولات الهامة في "الكتاب الأحمر". ووصف كيف ظهرت، وأشار إلى أنها شكّلت أساس أفكار كتاب "الأنماط السيكولوجية" ومفتاحاً لفهم نشأتها. لقد نسخت كاري باينز محاضرات السيمنار وحررتها. في تلك السنة ذاتها، أعد بيتر باينز نسخة مترجمة إلى الانكليزية من كتاب "العظات السبع عن الموت"، وتم نشره بشكل شخصي[198]. وقد قدم يونغ نسخاً منه إلى بعض طلابه الذين يتحدثون الانكليزية. وفي رسالة يُفترض أنها جواب على رسالة من هنري موراي يشكره فيها على نسخةٍ وصلته، كتب يونغ:

أنا مقتنع بعمق، أن هذه الأفكار التي تخطر لي، هي أشياء رائعة جداً. يمكنني قول هذا بسهولة، لأنني أعرف كم كنتُ مقاوماً ومتعنتاً بحمق، عندما زارتني لأول مرة، وكم كان هذا مزعجاً، إلى أن استطعتُ قراءة اللغة الرمزية، التي تفوق عقلي الواعي البليد بكثير[199].

من الممكن أن يكون يونغ قد فكر بنشر كتاب "العظات" كتجربة لنشر "الكتاب الأحمر". وقد ادعت باربرا هانا أنه ندم على نشره و"أنه شعر بقوة أنه ما كان يجب أن يُكتب إلا في "الكتاب الأحمر"[200].

في مرحلة ما كتب يونغ مخطوطة بعنوان "تعليقات"، قدمت تعليقاً على الفصول 9 و10 و11 من "الكتاب الأحمر" (راجع الكتاب الثالث).

---

[198] لندن: ستيوارت وواتكنز. 1925.

[199] 2 أيار - مايو 1925، أوراق موري، مكتبة هيوتون، جامعة هارفرد، الأصل بالانكليزية، تذكر مايكل فوردهام أن بيتر باينز أعطاه نسخة عندما وصل إلى مرحلة "متطورة" بشكل مناسب في تحليله، وأنه أجبر على التعهد بالسرية بشأنها (علاقات شخصية، 1991).

[200] كارل غوستاف يونغ: حياته وأعماله. مذكرات سيرته الشخصية. الصفحة 121.

لقد ناقش بعض هذه الأخيولات في سيمنار عام 1925، ودخل في تفاصيل أكثر هنا. أقدّر من خلال الأسلوب والمفاهيم أن هذا النص كُتب في أواسط العشرينات. وربما كتب- أو نوى كتابة- المزيد من "التعليقات" على فصول أخرى، لكنها لم تظهر. وتشير هذه المخطوطة إلى كمية العمل الذي بذله من أجل فهم كل تفصيل من تفاصيل أخيولاته.

لقد قدم يونغ نسخاً من "الكتاب الأحمر" لبعض الأشخاص: كاري باينز، بيتر باينز، أنييلا جافيه، وولفغانغ ستوكماير، توني وولف. وربما أعطى نسخاً لأشخاص آخرين. وفي عام 1937، دمر حريق منزل بيتر باينز، وأصاب نسخته من "الكتاب الأحمر" بالضرر. بعد عدة سنوات، كتب ليونغ وسأله عما إن كانت لديه نسخة أخرى منه وعرض ترجمته[201]. أجاب يونغ: "سأحاول الحصول على نسخة أخرى من الكتاب الأحمر. لا تقلق بشأن الترجمة من فضلك. أنا واثق أن هناك ترجمتين أو ثلاث ترجمات له منذ الآن. لكنني لا أعرف كيف هي ولا من قام بها[202]". يفترض أن هذا الاقتراح مبني على عدد نسخ العمل المتداولة.

سمح يونغ للأشخاص التالية أسماؤهم بقراءة/أو النظر إلى/ "الكتاب الأحمر": ريتشارد هال، تينا كيلر، جيمس كيرش، كزيمينا رولي دي أنغولو (عندما كانت طفلة)، وكيرت وولف. قرأت أنييلا وولف "الكتب السوداء"، وسُمح أيضاً لتينا كيلر بقراءة مقاطع من "الكتب السوداء". على الأرجح عرض يونغ الكتاب أمام زملاء مقربين آخرين، مثل إيميل ميدتنر، وفرانز ريكلن الأب، إيريكا سكليجل، هانز تروب، وماري لويس فون فرانز. يبدو أنه سمح لهؤلاء الناس بقراءة "الكتاب الأحمر" وائتمنهم بالكامل وشعر بأنهم فهموا أفكاره بشكل تام. عدد كبير من تلامذته لم يندرجوا ضمن هذه الفئة.

[201] 23 تشرين الثاني - نوفمبر 1941، (جي أي).
[202] 22 كانون الثاني - يناير 1942. رسائل كارل غوستاف يونغ1، الصفحة 312.

تحوّل العلاج النفسي

لـ"الكتاب الأحمر" أهمية كبيرة في فهم نشوء نموذج يونغ الجديد في العلاج النفسي. لقد اعتبر في عام 1912، وفي كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه"، أن وجود الأخيولات الميثيولوجية - مثل تلك الموجودة في "الكتاب الأحمر"- علامة على تفكك طبقات النشوء والتطور في اللاوعي، وعلامة على الفصام. وقد نقّح من خلال تجربته الذاتية، هذا الموقف بشكل جذري: لم يعد وجود محتوى بحد ذاته، هو ما يعتبره يونغ أمراً أساسياً، بل موقف الفرد حيال هذا المحتوى، وعلى وجه التحديد، ما إن كان الفرد قادراً على دمج هذه المواد في نظرته للعالم. إن هذا يفسّر تعليقه على "الكتاب الأحمر" لاحقاً بأن هذا العمل يبدو، بالنسبة للمراقب السطحي، أشبه بالجنون، وكان من الممكن أن يكون كذلك، لو أنه فشل في احتواء تجاربه واستيعابها[203]. وقد قدّم في "الكتاب الثاني" الفصل 15، نقداً للطب النفسي المعاصر، موضحاً قصوره في التمييز بين التجربة الدينية أو الجنون الإلهي عن علم النفس المرضي. وقال إنه إن لم يكن لمحتوى الرؤى أو الأخيولات قيمة تشخيصية، فمن المهم رغم ذلك تفحصها بعناية[204].

لقد طوّر يونغ من خلال تجاربه مفاهيم جديدة لأهداف العلاج النفسي ومناهجه. فمنذ بدايته في نهاية القرن التاسع عشر، كان الطب النفسي الحديث مهتماً بشكل أساسي بعلاج الاضطرابات العصبية الوظيفية، أو العُصابات، وهو الاسم الذي أصبحت تُعرف به. ولكن منذ زمن الحرب العالمية الأولى فصاعداً، أعاد يونغ صياغة ممارسة العلاج النفسي. ولم يعد منشغلاً بعلاج الأمراض النفسية فقط، بل أصبح العلاج النفسيّ ممارسة، تمكن الفرد من الوصول إلى التطور الأسمى له من خلال تشجيع

[203] راجع في الصفحة 577.

[204] تعليقات كارل غوستاف يونغ بعد خطاب عن سويدنبرغ في نادي علم النفس. أوراق جافيه، (إي تي إتش).

العملية التفرّدية. وكان لذلك نتائج بعيدة المدى ليس فقط على تطوير علم النفس التحليلي بل على الطب النفسي إجمالاً أيضاً.

لإيضاح صحة المفاهيم التي استنتجها في "الكتاب الأحمر"، حاول يونغ إظهار أن العمليات الموصوفة ضمنه، كانت قابلة للتطبيق على الآخرين. وقد جمع لدراسة إنتاج مرضاه، مجموعة كبيرة من لوحاتهم. وكي لا يكون المرضى منفصلين عن صورهم، كان يطلب منهم عامة صنع نسخ منها له[205].

خلال هذه الفترة تابع تقديم الإرشادات لمرضاه، عن طريق حثّ الرؤى في حالة الصحو. وفي عام 1926، أتت كريستيانا مورغان إلى يونغ لتخضع للتحليل. فقد جذبتها أفكاره عندما قرأت كتاب "الأنماط السيكولوجية"، ولجأت إليه طلباً للمساعدة في حل مشاكل علاقاتها واكتئابها. وفي جلسة عام 1926، كتبت مورغان نصيحة يونغ لها عن طريقة إنتاج الرؤى:

إنها مُبهمة جداً بالنسبة لي ولا أستطيع قول الكثير عنها. إنها البداية فقط. استخدمي في البداية فقط، شبكية العين من أجل تشكيل الأشكال. وبعد ذلك، وبدلاً من الاستمرار بمحاولة إجبار الصور على الخروج منك، عليك النظر إلى الداخل. عندما ترين هذه الصور، عليك التمسك بها ومعرفة إلى أين تأخذك- أي كيف تتغير. ويجب أن تحاولي دخول الصورة بنفسك- كي تصبحي أحد الممثلين. عندما بدأتُ القيام بهذا، رأيتُ مناظر طبيعية. ثم تعلمتُ كيف أضع نفسي داخل المنظر الطبيعي، وكانت الشخصيات تتحدث إلي، وكنت أجيبها... قال الناس إن له مزاجاً فنياً. لكن الأمر كان أن لاوعيي يؤرجحني وحسب. أتعلم الآن تمثيل الدراما الخاصة به إضافة إلى دراما الحياة الخارجية، ولم يعد هناك شيء قادر على أذيتي الآن. لقد كتبتُ ألف صفحة من المواد من لاوعيي (رويت رؤية عملاق تحول إلى بيضة)[206].

---

[205] هذه اللوحات متوفرة للدراسة في أرشيف الصور في معهد كارل غوستاف يونغ في كانسناشت.

[206] 8 تموز 1926، دفاتر التحليل، مكتبة الطب في كاونتواي. الرؤية المشار إليها في النهاية توجد في الكتاب الثاني الفصل الحادي عشر.

وصف يونغ تجاربه الخاصة بالتفصيل لمرضاه، وأرشدهم لاتباع خطاه. كان دوره هو الإشراف عليهم في تجاربهم مع تدفق صورهم الخاصة. وقد كتبت مورغان أن يونغ قال:

أشعر الآن كما لو أن عليّ قول شيء ما لك بشأن هذه الأخيولات... تبدو هذه الأخيولات الآن رقيقة ومليئة بتكرار الدوافع نفسها. ليس فيها ما يكفي من النار والحرارة. يجب أن تكون أكثر احتراقاً... يجب أن تكوني فيها أكثر، أي يجب أن تكوني ذاتك الواعية المنتقدة فيها- تفرضين عليها أحكامك وانتقاداتك...أستطيع أن أشرح ما أعنيه بأن أروي لك عن تجاربي الخاصة. كنت أكتب في كتابي وفجأة رأيتُ رجلاً يقف ويراقبني من وراء كتفي. طارت إحدى النقاط الذهبية من كتابي وضربته في عينه. طلب مني نزعها. ورفضت ما لم يخبرني من يكون. قال إنه لن يفعل. كنتُ أعرف هذا. لو أنني فعلتُ ما طلبه، لغاص في لاوعيي ولفاتني معنى ما حدث: لِمَ ظهر من اللاوعي أصلاً؟ أخيراً أخبرني أنه سيخبرني عن معنى بعض الكتابات الهيروغليفية التي حصلتُ عليها منذ أيام قليلة. فعل هذا وأخرجتُ ذلك الشيء من عينه واختفى[207].

لقد بلغ يونغ حدّ اقتراح أن يجهّز مرضاه "كتبهم الحمراء" الخاصة بهم. تذكر مورغان قوله:

عليّ أن أنبهك إلى أن عليك ترتيبه بأجمل شكل ممكن، في كتاب منضد بشكل جميل. سيبدو كما لو أنك تجعلين الرؤى مبتذلة- لكن عليك القيام بهذا- وحينها تتحررين من سلطانها. إن فعلت هذا بهذه الأعين مثلاً فستتوقف عن جذبك. يجب ألا تحاولي إطلاقاً جعل الرؤى تأتي ثانية. فكري بها في مخيلتك وحاولي رسمها. عندما تصبح هذه الأشياء في كتاب ثمين، يمكنك العودة إلى الكتاب وقلب الصفحات، وستكون بالنسبة إليك بمثابة كنيسة- كاتدرائيتك الخاصة- الأماكن الصامتة لروحك،

---

[207] المرجع نفسه. 12 تشرين الأول 1926. الحادثة المشار إليها هنا هي ظهور الساحر "ها" في الفصل الحادي والعشرين من الكتاب الثاني.

حيث ستجدين التجدد. إن قال لك أحد إن هذا مَرَضيّ أو عُصابي وأخذتِ بقوله - فستخسرين روحكِ- لأن روحكِ في ذلك الكتاب[208].

وفي رسالة إلى جي أي جيلبرت عام 1929، علّق على هذا الإجراء: *وجدتُ أحياناً، أنه من المفيد جداً عند علاج حالات كهذه، تشجيعها على التعبير عن محتوياتها الغريبة سواء كان على شكل كتابة أو رسم أو لوحة. هناك العديد من أشكال الحدس غير المفهومة في هذه الحالات، شظايا أخيولة تنشأ من اللاوعي، وليست هناك لغة مناسبة لها. إنني أدع مرضاي يجدون تعابيرهم الرمزية الخاصة، "مثيولوجيتهم" الخاصة*[209].

مقام فيلمون

في العشرينات تحوّل اهتمام يونغ بشكل متزايد من نص "الكتاب الأحمر" والإسهاب في ميثولوجيته في "الكتب السوداء" إلى العمل على برجه في بولينجن. وفي عام 1920 اشترى قطعة أرض على الشواطئ الشمالية لبحيرة زيورخ في بولينجن. في وقت سابق، كان هو وعائلته يمضون الإجازات بإقامة مخيّم عند بحيرة زيورخ. لقد شعر بالحاجة إلى تمثيل أعمق أفكاره بالحجر وبناء مسكن بدائي تماماً: "لكن يبدو أن الكلمات والورق لم تكن كافية تماماً بالنسبة إلي، كانت هناك حاجة إلى شيء آخر"[210]. كان عليه القيام باعتراف في الحجر. كان البرج "تمثيلاً للوظيفة التفرّدية". وعلى مرّ السنين رسم الجداريات وصنع نقوشاً على الجدران. يمكن اعتبار البرج كاستمرار ثلاثي الأبعاد "للكتاب الأحمر": "الكتاب الرابع". وقد كتب في نهاية الكتاب الثاني: "يجب أن أمسك بقطعة من العصور الوسطى- داخل ذاتي. أنهينا فقط العصور الوسطى — للآخرين.

---

[208] المرجع نفسه. 12 تموز - يوليو 1926.

[209] 20 كانون الأول – ديسمبر 1929. (جي أي) (الأصل بالانكليزية).

[210] المذكرات، الصفحة 250.

يجب أن أبدأ باكراً، في تلك الحقبة عندما انتهى عصر النساك"[211]. من الواضح أن البرج قد بُني عمداً كبنية من العصور الوسطى، بدون وسائل الراحة العصرية. كان البرج عملاً مستمراً متطوراً. وقد نَحَتَ نقشاً على جداره: "Philemonis sacrum—Fausti poenitentia" أي "مزار فيلمون– توبة فاوست". (إحدى اللوحات الجدارية في البرج هي صورة لفيلمون). في 6 نيسان – إبريل 1929، كتب يونغ لريتشارد فيلهلم: "لماذا لا توجد أديرة دنيوية للناس الذين يجب أن يعيشوا خارج العصور!"[212].

في 9 كانون الثاني – يناير 1923، ماتت والدة يونغ. في 24/23 كانون الثاني – يناير 1923، راوده الحلم التالي:

أنا في الخدمة العسكرية. أسير مع كتيبة. في غابة عند الأوسينجن صادفتُ عمليات تنقيب عند تقاطع الطرقات: قستُ تمثالاً حجرياً مرتفعاً لضفدع أو شرغوف له رأس. خلفه يجلس صبي له رأس شرغوف. ثم تمثال نصفي لرجل روماني، وهناك مرساة مثبتة في منطقة قلبه. تمثال نصفي آخر من حوالي عام 1640، الموضوع نفسه. ثم جثث محنطة. أخيراً، عربة تجرها الجياد بأسلوب القرن التاسع عشر. تجلس فيها امرأة ميتة، لكنها لا تزال حية. أدارت رأسها عندما خاطبتها بلقب "آنسة"، أنا أعرف أن "الآنسة" لقب نبالة[213].

بعد سنوات، فهم معنى هذا الحلم، وكتب في 4 كانون الأول – ديسمبر 1926:

الآن فقط فهمت أن حلم 24/23 كانون الأول – ديسمبر 1923 يعني موت القرينة (الأنيما) ("لا تعرف أنها ميتة"). يتصادف هذا مع موت أمي... منذ موت أمي أصبحت القرينة صامتة. هذا له معنى كبير![214]

---

[211] راجع الصفحات الثلاث الأخيرة من الكتاب الثاني.
[212] (جي بي).
[213] الكتاب الأسود 7. الصفحة 120.
[214] المرجع نفسه. الصفحة 121.

بعد عدة سنوات أجرى حوارات أخرى مع روحه، لكن مواجهته مع القرينة وصلت إلى خاتمتها في تلك المرحلة. في 2 كانون الثاني - يناير 1927، راوده حلم تقع أحداثه في ليفربول:

كنا أنا وعدة شبان سويسريين عند رصيف الميناء في ليفربول. كانت ليلة مظلمة ماطرة، فيها دخان وغيوم. سرنا حتى الجزء الشمالي من البلدة، حيث يوجد منبسط. وصلنا إلى بحيرة دائرية صغيرة متوضّعة بشكل مركزيّ وسط حديقة. في وسطها توجد جزيرة. تحدث الرجال عن سويسري يعيش هنا في هذه المدينة القذرة المظلمة المليئة بالسخام. لكنني رأيت على الجزيرة شجرة مانيوليا مغطاة بالزهور الحمراء، تضيئها شمس أبدية وفكرت: "أعرف الآن لِمَ يعيش هذا السويسري هنا. يبدو أنه يعرف السبب أيضاً". رأيت خريطة للمدينة:[215].

لقد رسم يونغ حينها ماندالا مبنية على هذه الخريطة[216]. وأعطى لحلمه أهمية كبيرة، وعلق لاحقاً:

هذا الحلم مثل حالتي في ذلك الوقت. ما زلت أرى المعاطف المطرية الرمادية المصفرة، تلمع ببلل المطر. كان كل شيء مزعجاً وأسود وكامداً إلى حد كبير، كما أحسست به. لكنني رأيت رؤية ذات جمال غير أرضي، ولهذا كنت قادراً على العيش أصلاً... رأيتُ أنه تم الوصول إلى الهدف هنا، ما إن تتجاوز المركز. المركز هو الهدف، وكل شيء يتجه نحو المركز. من خلال هذا الحلم فهمت أن الذات هي مبدأ التوجه والمعنى ونموذجه البدئي[217].

وأضاف يونغ أنه هو نفسه كان ذلك السويسري. الـ"أنا" لم تكن الذات، لكن يمكن للمرء من هناك رؤية الأعجوبة الإلهية. كان الضوء الصغير يماثل الضوء العظيم. ومنذئذ توقف عن رسم الماندالات. لقد عبّر الحلم عن عملية تطور اللاوعي، التي لم تكن خطيّة، ووجد أنها مُرضية

---

[215] المرجع نفسه. الصفحة 124. للإيضاح راجع الملحق الأول.

[216] إشارة إلى صورة في النسخة طبق الأصل.

[217] المذكرات، الصفحة 224.

تماماً. وشعر بوحدة شديدة في ذلك الوقت، لأنه كان منشغلاً بشيء عظيم لم يفهمه الآخرون. في الحلم، لم يـر أحـد سـواه الشـجرة. وبينمـا كـانوا يقفون في العتمة، بدت الشجرة مشعة. لو لم يحظ برؤية كهـذه، لفقـدت حياته معناها[218].

لقد أدرك أن الذات هي هدف العملية التفرّديـة وأن هـذه العمليـة لم تكن خطيّة، بل هي طواف حول الذات. ومنحه هذا الإدراك قـوة، وإلا لقادته هذه التجربة هو أو من يحيطون به إلى الجنون[219]. وقـد شـعر أن رسومات الماندالا أظهرت له الذات "في وظيفتها الادخارية" وأن هذا هو خلاصه. أصبحت الآن المهمة الملقاة على عاتقه، هي دمج هذه البصـائر في حياته وعلمه.

في نسخته من عام 1926 لكتاب "سـيكولوجيا عمليـات اللاوعـي"، شدد على أهمية تحول منتصف العمر. وطرح فكرة أن النصـف الأول مـن الحياة يمكن وصفه بالطور الطبيعي، الذي يكون الهدف الرئيسي فيه هو ترسيخ الإنسان لنفسه في العالم، وكسب الدخل، وإنشـاء عائلـة. ويمكـن وصف النصف الثاني من الحياة بالطور الثقافي، الذي يحدث فيـه إعـادة تقييم للقيم الموجودة سابقاً. إن الهـدف في هـذه المرحلـة هـو حفـظ القـيم السابقة مع الإقرار بنقائضها. يعني هذا أن على الأفراد تطوير ما لم يـتم تطـويره، والمظـاهر المهملـة مـن شخصـياتهم[220]. لقـد أصـبحت العمليـة التفرّدية الآن تُعتبر النموذج العام للتطور الإنساني. وقد طرح يونـغ فكـرة أن هناك نقصاً في الإرشاد أثناء هذا التحـول في المجتمـع المعاصـر، ورأى أن علم النفس الذي يقدمه يمـلأ هـذه الثغـرة. خـارج نطـاق علـم الـنفس التحليلي، كانت صيغ يونغ قـد تركـت أثـراً علـى مجـال السيكولوجيا التطورية لدى البالغين. من الواضح أن تجربته التحوّلية شكّلت قالباً لهذا المفهوم عن متطلبات نصفي الحياة. و"الكتاب الأحمر" يصف إعادة تقييم

---

[218] (إم بي)، الصفحات 159-60.
[219] المرجع نفسه. الصفحة 173.
[220] الأعمال الكاملة 7، 114-17.

يونغ لقيمه السابقة، ومحاولته تطوير المظاهر المهملة من شخصيته. وبهذا شكل الأساس لفهمه كيفية القيام بتحول منتصف الحياة بنجاح.

في عام 1928 نشر كتاباً صغيراً: "العلاقات بين الأنا واللاوعي"، وكان إسهاباً عن بحثه من عام 1916 "بنية اللاوعي". هنا، توسع في موضوع "الدراما الداخلية" لعملية التحول، وأضاف مقطعاً يتحدث بالتفصيل عن العملية التفرّدية. وقد كتب أنه بعد أن يكون المرء قد تعامل مع الأخيولات من الدائرة الشخصية، عليه أن يلتقي بأخيولات من الدائرة اللاشخصية. ولم تكن هذه اعتباطية، بل تجمعت من أجل هدف. لذلك يمكن وصف الأخيولات اللاحقة بأنها عمليات التنسيب، وكان هذا أقرب تشبيه لها. ومن أجل أن تحدث هذه العملية، كانت المشاركة الفعالة ضرورية: "عندما يشارك العقل الواعي بشكل فعال، ويختبر كل مرحلة من العملية... تبدأ الصورة التالية دوماً على المستوى الأعلى الذي تم الوصول إليه، وتتطور الهدفية (وجود الهدف)"[221].

بعد استيعاب اللاوعي الشخصي، وتمييز الشخصية القناع، والتغلب على حالة التشبه بالإله، فإن المرحلة التالية هي دمج القرينة بالنسبة للرجال والقرين بالنسبة للنساء. وقد طرح يونغ فكرة أنه كما يكون من الضروري أن يميز الرجل بين ما هو عليه وكيف يظهر أمام الآخرين، من الضروري أيضاً أن يصبح واعياً "لعلاقاته اللامرئية مع اللاوعي" أي تمييز ذاته عن قرينته. وكتب أنه عندما تكون القرينة لاواعية، يتم إسقاطها. فبالنسبة إلى الطفل، إن أول من يحمل الروح–الصورة هو الأم، وبعد ذلك، النساء اللواتي يثرن مشاعر الرجل. على المرء تجسيد القرينة وتوجيه الأسئلة لها، بطريقة الحوار الداخلي أو التخيل الفعال. لقد زعم يونغ أن لدى كل شخص المقدرة على إجراء حوارات مع نفسه — أو نفسها. وبهذا يكون التخيل الفعال شكلاً من الحوار الداخلي، ونمطاً من التفكير الدرامي. وقد كان من الضروري فصل التطابق مع الأفكار التي

[221] المرجع نفسه 386.

تنشأ، والتغلب على افتراض أن المرء أنتجها بنفسه[222]. إن الأكثر أهمية لم يكن تفسير الأخيولات أو فهمها، بل اختبارها. وقد مثّل هذا تحولاً في تشديده على الصياغة الإبداعية والفهم، في بحثه عن الوظيفة الإعلائية. وطرح فكرة أن عليٍ المرء أن يعامل الأخيولات بشكل حرفي تماماً عندما يكون منغمساً فيها، لكن بشكل رمزي عندما يقوم بتفسيرها[223]. لقد كان هذا وصفاً مباشراً لإجراء يونغ في "الكتب السوداء". وكانت مهمة نقاشات كهذه هي تجسيد تأثيرات القرينة، وأن يصبح المرء واعياً للمحتويات المبطنة لها، وبهذا دمجها في الوعي. عندما يصبح المرء مطلعاً على العمليات اللاواعية المنعكسة في القرينة، تصبح القرينة وظيفة للعلاقة بين الوعي واللاوعي، مقارنة بكونها عقدة مستقلة بذاتها. مرة أخرى، كانت عملية دمج القرينة هذه موضوع "الكتاب الأحمر" و"الكتب السوداء". (توضح أيضاً حقيقة أن الأخيولات في "الكتاب الأحمر" يجب أن تُقرأ بشكل رمزي وليس حرفياً. أما الحصول على تصريحات منها أو الاستشهاد بها، فسيكون سوء فهم خطير). وقد كتب يونغ أن هذه العملية لها ثلاثة تأثيرات:

التأثير الأول هو مدى زيادة الوعي بإدخال عدد كبير ومتنوع من محتويات اللاوعي. الثاني هو التحجيم التدريجي للتأثير المسيطر للاوعي. والثالث هو "تعديل في الشخصية"[224].

بعد أن ينجز المرء دمج القرينة، عليه مواجهة شخصية أخرى، هي "شخصية مانا". وقد طرح يونغ فكرة أنه عندما تفقد القرينة "شخصية مانا" خاصتها، أو قوتها، لا بدّ أن الرجل الذي كان يستوعبها قد حصل على هذا، أي أصبح "شخصية مانا"، وكائناً ذا إرادة وحكمة فائقتين. لكن هذه الشخصية كانت *"سائدة* في اللاوعي الجمعي، النموذج البدئي للرجل القوي بشكل بطل أو زعيم أو ساحر أو رجل طب، وقديس، سيد الرجال

[222] المرجع نفسه. 323.
[223] المرجع نفسه. 353.
[224] المرجع نفسه. 358.

والأرواح، صديق الآلهة"[225] وهكذا بدمج القرينة، والحصول على قواها، سيتطابق المرء بشكل حتمي مع شخصية الساحر، ويُواجه المرء بمهمة تمييز نفسه عنها. وقد أضافَ هذا للنساء، وكانت الشخصية المتوافقة هي شخصية الأم العظيمة. إذا تخلّى المرء عن الانتصار على القرينة، فقد توقف الاستحواذ بواسطة شخصية الساحر، وأدرك المرء أن المانا تنتمي بحق إلى "نقطة الوسط في الشخصية"، أي الذات. إن استيعاب مكونات شخصية المانا أدى إلى الذات. إن وصف يونغ للمواجهة مع شخصية المانا والتطابق معها والانفصال عنها، يتوافق مع مواجهته مع فيلمون في "الكتاب الأحمر". وقد كتب يونغ عن الذات: "يمكن تسميتها بالله في داخلنا. يبدو أن بدايات حياتنا النفسية متجذرة بشكل لا ينفصم في هذه النقطة، ويبدو أن أغراضنا الأسمى والأعمق كلها تتوق إليها"[226]. إن وصف يونغ للذات يكشف أهمية إدراكه التالي لحلم ليفربول:

يمكن وصف *الذات* بأنها نوع من المعاوضة في النزاع بين الداخلي والخارجي... الذات أيضاً هي هدف الحياة، لأنها التعبير الأكثر كمالاً عن التركيبة المصيرية (أو القدرية أو المميتة) التي نسميها الفردانية... مع اختبار الذات كشيء غير عقلاني، ككائن يتعذر تعريفه، لا تعارضه "الأنا" ولا تخضع له، بل في علاقة اعتمادية معه، وتدور حوله، كما تدور الأرض حول الشمس – حينها يكون هدف العملية التفرّدية قد تحقق[227].

المواجهة مع العالم

لماذا توقف يونغ عن العمل في "الكتاب الأحمر"؟ في كلماته اللاحقة التي كتبها في عام 1959، قال:

[225] المرجع نفسه، 377.
[226] المرجع نفسه. 399.
[227] المرجع نفسه. 405.

أخذني اطلاعي على الخيمياء في عام 1930 بعيداً عنه. أتت بداية النهاية في عام 1928، عندما أرسل لي (ريتشارد) فيلهلم نص "الزهرة الذهبية"، وهو بحث في الخيمياء. وجدت محتويات هذا الكتاب طريقها إلى الواقع، ولم أعد أستطيع الاستمرار بالعمل عليه[228].

هناك لوحة إضافية كاملة في "الكتاب الأحمر". في عام 1928، رسم يونغ ماندالا لقلعة ذهبية (الصفحة 163 من النسخة طبق الأصل). بدا له بعد الانتهاء من رسمها، أن فيها شيئاً صينياً. بعد ذلك بقليل أرسل له ريتشارد فيلهلم نص "سرّ الزهرة الذهبية"[229]، وطلب منه أن يكتب تعليقاً عليه، وذُهل يونغ بالأمر وتوقيته:

لقد منحني النص مواجهة لم أحلم بها بين أفكاري عن الماندالا، والطواف حول المركز. كان هذا أول حدث خرق عزلتي. أصبحت مدركاً للتشابه، وأستطيع ترسيخ روابط مع شخص ما وشيء ما[230].

وتتم الإشارة إلى أهمية هذه المواجهة في السطور التي كتبها تحت لوحة "القلعة الصفراء"[231]. لقد صُعق يونغ بالتوافق بين صور ومفاهيم هذا النص ولوحاته وأخيولاته الخاصة. وفي 25 أيار - مايو 1929، كتب لفيلهلم: "يبدو أن القدر منحنا دورَ عموديّ جسر، يحملان الجسر بين الشرق والغرب"[232]. لكنه لم يدرك إلا لاحقاً أن الطبيعة الخيميائية للنص كانت هامة.[233] وقد عمل على كتابة تعليقه خلال عام 1929. وفي 10 أيلول - سبتمبر 1929، كتب لفيلهلم قائلاً: "أنا سعيد جداً بهذا النص الذي يقترب كثيراً من لاوعينا[234]".

---

[228] راجع صفحة الخاتمة.

[229] ترجم هذا الكتاب عدنان حسن ونشرت الترجمة دار الحوار سنة 2013 بعد شراء الحقوق- المترجمان.

[230] المذكرات. الصفحات 222-23

[231] إشارة إلى صورة من النسخة طبق الأصل.

[232] (جي أي).

[233] مقدمة الطبعة الألمانية الثانية. "تعليق على كتاب سر الوردة الذهبية"، الأعمال الكاملة 13. الصفحة 4.

[234] قدر فيلهلم تعليق يونغ. في 24 تشرين الأول 1929، كتب له: "ذُهلت مرة أخرى بعمق شديد بتعليقاتك".

كان تعليق يونغ على "سر الزهرة الذهبية" نقطة تحوّل. كان ذلك أول نقاش علني له عن أهمية الماندالا. للمرة الأولى قدّم يونغ ثلاثاً من لوحاته من "الكتاب الأحمر" دون ذكر الرسام، كأمثلة على الماندالات الأوروبية، وعلق عليها[235]. وكتب لفيلهلم في 28 تشرين الأول - أكتوبر 1929، فيما يتعلق بالماندالات في هذا المجلد: "تُضخِّم الصور إحداها الأخرى من خلال تنوعها تحديداً. إنها تعطي صورة ممتازة عن الجهد الذي تبذله الروح الأوروبية اللاوعية لفهم مفهوم الإيمان الشرقي بالآخرة"[236]. هذا الرابط بين "الروح اللاواعية الأوروبية" ومفهوم الإيمان الشرقي بالآخرة، أصبح أحد أهم المواضيع في أعمال يونغ في الثلاثينات، وقام باستكشاف مساهمات أخرى في الموضوع مع عالميّ الهنديات فيلهلم هاور وهاينريش زيمر[237]. وفي الوقت نفسه، كانت صيغة العمل أساسية: فبدلاً من كشف التفاصيل الكاملة لتجربته، أو لتجارب مرضاه، استخدم يونغ التماثلات مع النص الصيني كطريقة مباشرة للحديث عنه، كما بدأ يفعل في الفصل 5 من "الأنماط السيكولوجية". وقد أصبح هذا المنهج المجازي هو صيغته المفضلة الآن. وبدلاً من الكتابة مباشرة عن تجاربه، كان يعلّق على تطوّرات متشابهة في الممارسات السرّية، ومعظمها في خيمياء القرون الوسطى.

بعد ذلك بوقت قصير ترك يونغ العمل على "الكتاب الأحمر" بشكل مفاجئ. إن الصورة الأخيرة التي تملأ الصفحة بالكامل، تُركت غير مكتملة، وتوقف عن نسخ النص. وقد تذكر لاحقاً أنه عندما وصل إلى هذه النقطة المركزية، أو التاو، بدأت مواجهته مع العالم، وبدأ يقدم

---

[235] راجع الصور 105، 159 و163 في طبعة النسخة طبق الأصل. هذه الصور، مع اثنتين إضافيتين، قُدمت دون ذكر الاسم عام 1950 في كتاب يونغ: Gestaltungen des Unbewussten: Psychologischen Abhandlungen المجلد 7 (أشكال اللاوعي: الأبحاث السيكولوجية) (زيورخ: راشر، 1950).

[236] (جي أي).

[237] عن هذا الموضوع راجع "سيكولوجيا يوغا الكاندالايني: ملاحظات من سيمنار مقدمة عام 1932 من قبل كارل غوستاف يونغ، طباعة (سونو شامداساني) (سلسلة بولينجن، برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1996).

العديد من المحاضرات[238]. وهكذا وصلت "المواجهة مع اللاوعي" إلى نهايتها، وبدأت "المواجهة مع العالم". كما أضاف يونغ أنه اعتبر أن هذه النشاطات شكلاً للتعويض عن سنوات الانهماك الداخلي[239].

الدراسة المقارنة للعملية التفرّدية.

كان يونغ يعرف نصوص الخيمياء منذ حوالي 1910. وفي عام 1912، كان ثيودور فلورنوي قد قدم تفسيراً سيكولوجياً للخيمياء في محاضراته في جامعة جنيف، وفي عام 1914، نشر هيربرت سيلبرر عملاً مكثفاً عن الموضوع[240]. لقد تبعت مقاربة يونغ للخيمياء عمل فلورنوي وسيلبرر، فيما يتعلق بالخيمياء من وجهة نظر سيكولوجية. وكان فهمه لها مبنياً على فرضيتين أساسيتين: أولاً، أنه من خلال التأمل في النصوص والمواد في مختبراتهم، كان الخيميائيون يمارسون في الواقع نوعاً من التخيّل الفعال. ثانياً، أن الرمزية في النصوص الخيميائية تتوافق مع العملية التفرّدية التي انخرط فيها يونغ مع مرضاه.

في الثلاثينات تحوّل نشاط يونغ من العمل على أخيولاته في "الكتب السوداء" إلى العمل على دفاتره في الخيمياء. وقدم فيها مجموعة موسوعية من المقتطفات من أدب الخيمياء وكتباً لها علاقة بها، والتي شكّل الفهرس لها بناءً على المواضيع والكلمات الأساسية. وقد شكلت هذه الدفاتر أساس كتاباته عن سيكولوجية الخيمياء.

---

[238] (إم بي) الصفحة 15.

[239] في 8 شباط - فبراير 1923، كتبت كاري باينز نقاشاً مع يونغ في الربيع السابق، وكان له تأثير على هذا: قلتَ (أي يونغ) إنه مهما كان الفرد الذي يتمتع بمواهب خاصة متميزاً عن الحشد، إلا أنه لن ينجز كل واجباته، وأقصد من الناحية السيكولوجية، ما لم يتمكن من العمل بنجاح بشكل جمعي. بالعمل بشكل جمعي عنينا كلانا ما يُعرف عادة بـ "الامتزاج" مع الناس بطريقة اجتماعية، وليس العلاقات المهنية أو علاقات الأعمال. لقد كانت فكرتك أنه إن بقي الفرد بعيداً عن هذه العلاقات الجمعية، سيكون قد فقد شيئاً لا يمكنه تحمل فقدانه" (سي إف بي).

[240] "مشاكل الصوفية ورمزيتها، ترجمة إس إي جيليفي. (نيويورك: موفات يارد: 1917).

بعد عام 1930 وضع يونغ "الكتاب الأحمر" جانباً. وعلى الرغم من أنه كان قد توقف عن العمل عليه بشكل مباشر، فقد بقي في مركز نشاطه. وفي عمله العلاجي، استمر في محاولة تشجيع تطورات مماثلة لدى مرضاه، وفي تحديد المظاهر الفردية في تجربته الخاصة، والمظاهر التي لها صفات عامة ويمكن تطبيقها على الآخرين. وفي أبحاثه الرمزية، كان يونغ مهتماً بالأشياء التي تشابه صور ومفاهيم "الكتاب الأحمر". والسؤال الذي بحث عن إجابته كان التالي: هل هناك شيء شبيه بالعملية التفرّدية يمكن العثور عليه في جميع الحضارات؟ إن كان الأمر كذلك، فما هي العناصر المشتركة والعناصر المختلفة؟ من هذا المنظور، يمكن اعتبار أعمال يونغ بعد عام 1930، كإسهاب موسّع لمحتويات "الكتاب الأحمر"، ومحاولة لترجمة محتوياته إلى شكل مقبول لدى المشهد المعاصر. وتتوافق بعض التصريحات الموجودة في "الكتاب الأحمر" بشكل كبير مع مواقف أفصح عنها يونغ في أعماله المنشورة لاحقاً، وقدم أول صياغات لها[241]. من جهة أخرى، لم يجد الكثير منها طريقه إلى "الأعمال الكاملة"، أو تم تقديمه على شكل تخطيطي، أو من خلال تورية وتلميح غير مباشر. وبهذا يقدم "الكتاب الأحمر" حتى اليوم توضيحاً غير متوقع لمعظم المظاهر الصعبة من "الأعمال الكاملة" ليونغ. لا يمكن للمرء استيعاب منشأ أعمال يونغ الأخيرة، ولا الفهم الكامل لما كان يحاول تحقيقه، دون دراسة "الكتاب الأحمر". في الوقت نفسه، يمكن اعتبار "المجموعة الكاملة" بشكل جزئي، تعليقاً غير مباشر على "الكتاب الأحمر". إن كلاً منهما يفسّر الآخر بشكل تبادلي.

اعتبر يونغ "مواجهته مع اللاوعي" مصدر أعماله الأخيرة. وقد ذكر أن كل أعماله وكل ما حققه بعد ذلك، ينبع مباشرة من تلك التخيلات. لقد عبّر عن الأمور بأفضل شكل ممكن بلغة خرقاء معوقة. غالباً ما شعر كما لو أن:

[241] تمت الإشارة إليها في حواشٍ في النص.

"كتلاً ضخمة من الحجارة تنهمر علي (ه). عاصفة رعدية تتلو أخرى". شعر بالذهول لأن هذا لم يحطمه كما فعل بالآخرين، مثل شريبر[242].

عندما سأله كيرت وولف عام 1957 عن العلاقة بين أعماله البحثية وملاحظاته المتعلقة بأحلامه وأخيولاته، أجاب يونغ:

تلك كانت الأشياء الأساسية التي أجبرتني على العمل عليها، وعملي هو محاولة ناجحة إلى حد ما في دمج تلك المادة الوهّاجة في النظرة العالمية لعصري. كانت التخيلات والأحلام الأولى أشبه بحجر بازلت ناري منصهر، تبلور منه الحجر، واستطعت العمل عليه[243].

وأضاف أن هذا "احتاج مني إلى 45 سنة لأتحدث، ولأصوغ الأشياء التي اختبرتها مرة، ودونتها في صيغة عملي العلمي[244]".

حسب تعبير يونغ نفسه، يمكن اعتبار "الكتاب الأحمر"، بين أشياء أخرى، أنه يحتوي سرداً لمراحل عمليته التفرّدية. وفي أعماله اللاحقة، حاول الإشارة إلى العناصر العامة التخطيطية المشتركة التي يمكن أن يجد لها مماثلات لدى مرضاه وفي البحث المقارن. وبهذا، تمثل أعماله اللاحقة مخططاً، أو رسماً أساسياً، لكنها لم تحتوِ على التفاصيل. وفي استعادة للأحداث، وصف "الكتاب الأحمر" كمحاولة لصياغة الأشياء بطريقة الوحي. وكان قد أمل أن هذا سيحرره، لكنه وجد أنه لم يفعل. ثم أدرك أن عليه العودة إلى الجانب الإنساني والعلم. وكان عليه القيام باستنتاجات من البصائر. لقد كان الإسهاب في المادة في "الكتاب الأحمر" أساسياً، لكن كان عليه أيضاً فهم الالتزامات الأخلاقية. وعند القيام بهذا، دفع الثمن بحياته وعلمه[245].

---

[242] المذكرات. الصفحة 201 (إم بي) الصفحة 144.

[243] Erinnerungen, Träume, Gedanken von C. G. Jung طباعة أنييلا جافيه (أولتن: والتر فيرلاغ، 1988). الصفحة 201.

[244] المرجع نفسه.

[245] (إم بي)، الصفحة 148.

في عام 1930 شرع بسلسلة من المحاضرات (السيمنارات) عن الرؤى الأخيولية لكريستيانا مورغان في نادي علم النفس في زيورخ، والتي يمكن اعتبارها بشكل جزئي، تعليقاً غير مباشر على "الكتاب الأحمر". وقد كان عليه، لإيضاح الشرعية التجريبية للمفاهيم التي اشتقها من الكتاب، أن يُظهر أن العمليات الموصوفة فيه ليست فريدة.

في محاضراته عن اليوغا الكاندالينية عام 1932، بدأ يونغ بدراسة مقارنة للممارسات السرّية، مركزاً على التمارين الروحية لإغناطيوس من لايولا، وتعاليم يوغا باتانجالي، وممارسات التأمل البوذية، وخيمياء القرون الوسطى، التي قدمها في سلسلة مكثفة من المحاضرات في المعهد الفيدرالي السويسري للتكنولوجيا (إي تي إتش[246]). كانت البصيرة الهامّة التي مكنته من القيام بهذه المقارنات والروابط، هي إدراكه أن هذه الممارسة كانت كلها مبنية على أشكال مختلفة من التخيل الفعال– وأنها كلها وضعت هدفاً أمامها وهو تحوّل الشخصية– التي فهمها بشكل العملية التفرّدية. وبهذا تقدمُ محاضراته في المعهد الفيدرالي السويسري للتكنولوجيا تاريخاً مقارناً للتخيّل الفعال، وهي الممارسة التي شكّلت أساس "الكتاب الأحمر".

في عام 1934 نشر أول وصف مطوّل لحالة من العملية التفرّدية، وكانت حالة كريستين مان، التي رسمت سلسلة مكثفة من المانداﻻت. وقد أشار إلى مسعاه الخاص قائلاً: استخدمتُ هذا المنهج عليَّ نفسي طبعاً، وأستطيع التأكيد أن بوسع المرء رسم صور معقدة جدا دون أن تكون لديه أية فكرة عن معناها. وأثناء رسمها، تبدو الصورة كأنها تتطور تلقائياً وغالباً بشكل يعاكس نوايا المرء الواعية[247].

[246] يتم إعداد هذه المحاضرات حالياً للنشر. لمزيد من التفاصيل راجع .www.philemonfoundation.org

[247] "دراسة للعملية التفرّدية ". الأعمال الكاملة 9، 1، 622.

لقد أشار إلى أن العمل الحالي ملأ ثغرة في وصفه للمناهج العلاجية، لأنه لم يكتب الكثير عن التخيل الفعال. وكان قد استخدم هذا المنهج منذ عام 1916، لكنه وضع مخططاً أولياً له فقط في "العلاقات بين الأنا واللاوعي" عام 1928، وكانت المرة الأولى التي ذكر فيها الماندالا في عام 1929، في تعليقه على "سرّ الزهرة الذهبية":

طوال ثلاث عشرة سنة على الأقل، لم أتحدث عن نتائج هذه المناهج كي أتجنّب أي إيحاء. أردت أن أؤكد لنفسي أن هذه الأشياء- خاصة الماندالات- تُنتج عفوياً بالفعل، ولم تكن أخيولتي هي من توحي بها لمرضاي[248].

من خلال دراساته التاريخية، أقنع نفسه أنه تم إنتاج الماندالات في كل مكان وزمان. وقد أشار أيضاً إلى أنها أُنتجت من قبل مرضى في العلاج النفسي لم يكونوا من تلامذته. ويشير هذا أيضاً إلى فكرة ربما جعلته يمتنع عن نشر "الكتاب الأحمر": أن يقنع نفسه، ونقاده، بأن تطوّرات مرضاه وخاصة صور الماندالات التي يرسمونها لم تكن نتيجة إيحاء وحسب. قال إن الماندالا تمثل أحد الأمثلة عن شموليّة النموذج البدئي. وفي عام 1936، أشار أيضاً إلى أنه هو نفسه، استخدم منهج التخيّل الفعال لمدة طويلة من الزمن، ولاحظ العديد من الرموز التي لم يتكمن من التحقق منها إلا بعد سنوات في نصوص لم يكن يعرفها[249]. لكن من ناحية إثبات هذا، بسبب سعة علوم يونغ، لم تكن المواد الخاصة به مثالاً مقنعاً عن فرضيته أن الصور انبعثت عفوياً من اللاوعي الجمعي بدون معرفة سابقة بها.

في "الكتاب الأحمر"، تحدث يونغ عن فهمه للتحولات التاريخية للمسيحية، وتاريخية الأشكال الرمزية. واستخدم هذا الموضوع في كتاباته عن سيكولوجية الخيمياء وعن سيكولوجيا العقيدة المسيحية، والأهم في

---

[248] المرجع نفسه. 623.

[249] " المظاهر السيكولوجية لشخصية كور" الأعمال الكاملة 9، 1، 334.

كتاب "جواب للعمل". وكما رأينا، كانت وجهة نظر يونغ أن رؤاه السابقة للحرب كانت رؤى نبوية أدت إلى تأليف "الكتاب الأحمر". وفي العام 1952، من خلال تعاونه مع عالم الفيزياء الحائز على جائزة نوبل وولفغانغ بولي، طرح يونغ فكرة أن هناك مبدأ "التزامنية السببية acausal orderedness" وهو السبب الكامن تحت "المصادفات ذات المعنى"، التي يسميها التزامنية[250]. وزعم أنه تحت ظروف معينة، فإن مجموعة من النماذج البدئية، أدّت إلى تشكّل نسبية الزمان والمكان، التي فسرت كيفية حدوث أحداث كهذه. لقد كانت تلك محاولة لتوسيع الفهم العلمي ليشمل أحداثاً مثل رؤاه من عامي 1913 و1914.

من المهم ملاحظة أن العلاقة بين "الكتاب الأحمر" وكتابات يونغ البحثية العملية لم تتبع ترجمة مباشرة وحرفية. ومنذ عام 1916، سعى يونغ لكشف بعض نتائج تجاربه بلغة بحثية علمية، بينما استمر في الإسهاب في أخيولاته. من الأفضل اعتبار "الكتاب الأحمر" و"الكتب السوداء" تمثيلاً لعمل شخصي يسير متوازياً مع عمله البحثي العلمي العام، ورغم أن الأخير مشتق من السابق، فقد بقيا عملين منفصلين. وقد تابع، بعد التوقف عن العمل في "الكتاب الأحمر"، الإسهاب في عمله الشخصي- مثيولوجيته الخاصة، في عمله على البرج، وفي نقشه ولوحاته على الحجر. هنا، كان "الكتاب الأحمر" بمثابة مركز توليد، ويرتبط عدد من لوحاته ونقوشه به. وفي العلاج النفسي، سعى يونغ لتمكين مرضاه من استعادة إحساس بمعنى الحياة من خلال تسهيل تجاربهم الذاتية وإبداعهم للرموز، وإشرافه على ذلك. وفي الوقت نفسه حاول الإفاضة في علم النفس العام العلمي.

---

[250] راجع سي أي مير، "الذرة والنموذج البدئي: رسائل بولي/يونغ، مع مقدمة بيد بيفرلي زاريسكي، ترجمة د. روسكو (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 2001).

نشر الكتاب الأحمر

على الرغم من أن يونغ توقف عن العمل مباشرة في "الكتاب الأحمر"، فقد بقيت مسألة ماذا عليه أن يفعل به، وبقيت مسألة نشره النهائي، مفتوحة، وفي 10 نيسان - إبريل 1942، أجاب يونغ ماري ميلون فيما يتعلق بطباعة كتاب "العظات" قائلاً: "فيما يتعلق بطباعة كتاب "العظات السبع عن الموت"، أتمنى أن تنتظري قليلاً. إنني أفكر بإضافة بعض المواد، لكنني ترددت لسنوات في القيام بهذا. ولكن في مناسبة كهذه يمكن أن يخاطر المرء بهذا"[251]. وفي عام 1944، أصيب بنوبة قلبية واسعة ولم يكمل هذه الخطة.

في عام 1952 قدمت لوسي هير مشروع كتابة سيرة حياة يونغ. ومع اقتراح أولغا فروب وإلحاح يونغ، بدأت كاري باينز التعاون مع لوسي هير في هذا المشروع. فكرت كاري باينز بكتابة سيرة حياة يونغ بناء على "الكتاب الأحمر"[252]. وقد أصيب يونغ بخيبة أمل لدى انسحابها من المشروع. وبعد عدة سنوات من المقابلات مع لوسي هير، أوقف يونغ مشروع سيرة حياته عام 1955، لأنه لم يكن راضياً عن تطور عملها. وفي عام 1956، اقترح كرت وولف مشروع سيرة حياة آخر، وهو ما أصبح كتاب "المذكرات والأحلام والتأملات". وفي مرحلة ما، قدم يونغ لأنييلا جافيه نسخة من مسودة "الكتاب الأحمر"، التي نسختها توني وولف. وقد سمح يونغ لجافيه بالاستشهاد من "الكتاب الأحمر" و"الكتب السوداء" في كتاب "المذكرات والأحلام والتأملات"[253]. وفي مقابلاته مع أنييلا جافيه، ناقش يونغ الكتاب الأحمر وتجربته الذاتية. لسوء الحظ، لم تقدم كل تعليقاته.

---

[251] (جي بي)، من المرجح أن يونغ كان يفكر بتعليقات فيلمون- راجع في الأسفل الصفحات 514-36.

[252] أولغا فروب - كابتين لجاك باريت. 6 كانون الثاني - يناير 1953. أرشيف بولينجن، مكتبة الكونغرس.

[253] يونغ إلى جافيه، 27 تشرين الأول 1957، أرشيف بولينجن، مكتبة الكونغرس.

في 31 تشرين الأول – أكتوبر 1957، كتبتْ جافيه لجاك باريت من مؤسسة بولينجن بخصوص "الكتاب الأحمر"، وأعلمته أن يونغ اقترح منحه هو و"الكتب السوداء" لمكتبة جامعة بازل مع منع نشره لـ50 سنة أو 80 سنة أو أكثر، لأنه "يكره فكرة أن يقرأ أحد هذه المادة دون معرفة علاقتها بحياته... إلخ". وأضافت أنها قررت عدم استخدام الكثير من هذه المادة في كتاب "المذكرات"[254].

في إحدى المخطوطات الأولى لكتاب "المذكرات"، أدخلت جافيه نصاً من المسودة المطبوعة لمعظم "الكتاب الأول"[255]. لكن تم حذفه من المخطوطة النهائية، ولم تستشهد من "الكتاب الأحمر" أو "الكتب السوداء". وفي الطبعة الألمانية لكتاب "المذكرات"، أدخلت جافيه خاتمة يونغ "للكتاب الأحمر" كملحق. لقد كان تردد يونغ في تحديد موعد لنشر "الكتاب الأحمر" مشابهاً لما فعله بما يتعلق بنشر مراسلاته مع فرويد[256].

في 12 تشرين الأول – أكتوبر 1957، أخبر يونغ جافيه أنه لم ينه "الكتاب الأحمر" قط[257]. وحسب أقوال جافيه، في ربيع عام 1959، بدأ يونغ العمل في "الكتاب الأحمر" من جديد، بعد توعك صحته لمدة طويلة من الزمن، لينجز الصورة الأخيرة غير المكتملة. ومرة أخرى، بدأ بنسخ المخطوطة في مجلد الخط الفني. وقد كتبت جافيه: "لم يستطع بعد

---

[254] أرشيف بولينجن، مكتبة الكونغرس. روت جافيه رواية مشابهة لكرت وولف، وذكرت 30 أو 50 أو 80 سنة كاحتمال منع نشر (رسالة غير مؤرخة، تم تلقيها في 30 تشرين الأول - أكتوبر 1957)، أوراق كرت وولف، مكتبة بينيك. جامعة ييل. عند قراءة المقاطع الأولى من مسودات مقابلات أنييلا جافيه مع يونغ، كتبت كاري باينز ليونغ في 8 كانون الثاني 1958 أنه "المقدمة المناسبة للكتاب الاحمر، ويمكنني الموت بسلام بعد هذه النتيجة" (سي إف بي).

[255] أوراق كرت وولف، مكتبة بينيك، جامعة ييل. لقد تم حذف المقدمة، وأعطيت عنوان الفصل الأول "Der Wiederfindung der Seele" (استعادة الروح). وتم تنقيح نسخة أخرى من هذا القسم بشدة بيد شخص غير معروف، وربما يكون ذلك جزءاً من عملية إعداده للنشر في هذا الوقت (جي إف أي).

[256] قد يلاحظ المرء أن نشر كتاب "رسائل فرويد/يونغ" رغم أنه كان أساسياً بحد ذاته - بينما الكتاب الأحمر ومجموعة مراسلات يونغ الأخرى بقيت غير منشورة - قد شدد نظرة مركزية فرويد لدى يونغ غير الصحيحة، وكما نرى في "الكتاب الأحمر"، كان يونغ يتحرك في كون أبعد ما يمكن عن التحليل النفسي.

[257] (إم بي) الصفحة 169.

أو لم يرغب بعد بإكماله. لقد أخبرني أن للأمر علاقة بالموت"[258]. تتوقف المخطوطة المكتوبة بخط فني وسط جملة، وقد أضاف يونغ خاتمة توقفت أيضاً وسط جملة. إن الحاشية، ومناقشات يونغ للتبرع بها للأرشيف، توحي بأن يونغ كان مدركاً أنه ستتم دراسة العمل في مرحلة ما في النهاية. بعد موت يونغ، بقي "الكتاب الأحمر" مع عائلته، حسب وصيته.

في محاضرتها عام 1971 في إيرانوس، "مراحل الإبداع في حياة يونغ"، استشهدت جافيه بفقرتين من مسودة "الكتاب الأحمر"، مشيرة إلى أن "يونغ وضع نسخة المخطوطة تحت تصرفي مع الإذن بالاقتباس منه عند الحاجة"[259]. لقد كانت تلك المرة الوحيدة التي تفعل بها هذا. وقد عُرضت أيضاً صور من "الكتاب الأحمر" في وثائقي أنتجته (البي بي سي) عن يونغ مع تعليق لورنز فان دير بوست عام 1972. وسببت الصورة اهتماماً واسعاً به. وفي عام 1975، بعد نشر كتاب "رسائل فرويد/يونغ" الذي لقي استحساناً كبيراً، كتب ويليام ماكغواير، ممثلاً مطبعة جامعة برينستون، إلى محامي ممتلكات يونغ، هانز كارر، مقترحاً نشر "الكتاب الأحمر" ومجموعة صور لنقوش يونغ الحجرية ولوحاته والبرج. لقد اقترح طبع نسخة طبق الأصل، ربما بدون النص. وكتب "نحن لا نعرف عدد صفحاته، وكمية النص والصور النسبية، ومحتويات ومواضيع النص"[260]. لم يكن شخص في المطبعة قد رأى أو قرأ العمل أو عرف الكثير عنه. وتم رفض الطلب.

---

[258] يونغ/جافيه، Erinnerungen, Träume, Gedanken von C. G. Jung (أولتن: والتر فيرلاغ)، 1988) الصفحة 387، تعليقات جافيه الأخرى هنا غير دقيقة.

[259] جافيه "مراحل الإبداع في حياة يونغ" الربيع: سنوية لسيكولوجية النماذج البدئية والفكر اليونغي" 1972، الصفحة 174.

[260] أوراق ماكغواير، مكتبة الكونغرس. في عام 1961، عرضت أننيلا جافيه "الكتاب الأحمر" على ريتشارد هال، مترجم يونغ، وكان قد كتب انطباعاته لماكغواير: "أظهرت (أننيلا جافيه) لنا الكتاب الأحمر الشهير، مليئاً برسومات وتعليقات جنونية في نص رهباني، لا أشعر بالمفاجأة لأن يونغ أبقاه موصداً. وعندما أتى ورآه على الطاولة- كان مغلقاً لحسن الحظ- انفجر في وجهها وقال Das soll nicht hier sein. Nehmen Sie's weg!' (أي يجب ألا يكون هذا هنا. خذيه من هنا!). ورغم أنها كتبت لي سابقاً أنه منح الإذن بأن أراه. لقد ميزت عدداً من الماندالات الموجودة في كتاب "عن الرمزية في الماندالا". وسيكون طبع نسخة طبق الأصل – رائعاً. لكنني لم أشعر أن من الحكمة إثارة

في عام 1975، تم عرض بعض النسخ من المجلد الفني "للكتاب الأحمر" في معرض يخلد مئوية يونغ في زيورخ. وفي عام 1977، نُشرت تسع لوحات من "الكتاب الأحمر" من قبل جافيه في كتاب "كارل غوستاف يونغ: كلمة وصورة". وفي عام 1989، نُشرت لوحات أخرى من قبل جيرهارد ويهر في سيرة حياة يونغ المرفقة بالصور[261].

في عام 1984 تم تصوير "الكتاب الأحمر" بشكل حرفي، وتم إعداد خمس نسخ طبق الأصل. وأُعطيت لخمس عائلات من سلالة يونغ المباشرة. وفي عام 1992، شرعت عائلة يونغ، التي دعمت نشر "الأعمال الكاملة" ليونغ بالألمانية (تم إنجازها عام 1995)، في تفحص مواد يونغ غير المنشورة. ونتيجةً لأبحاثي، وجدت مخطوطة ومخطوطة جزئية من "الكتاب الأحمر" وقدمتهما لورثة يونغ عام 1997. وفي الوقت نفسه تقريباً، تم تقديم مخطوطة أخرى للورثة من قبل ماري- لويز فون فرانز. وقد دُعيتُ لتقديم تقارير عن الموضوع وما إن كان مناسباً للنشر، وقدمت عرضاً عن الموضوع. بناء على هذه التقارير والنقاشات، قرر الورثة في أيار - مايو 2000 إطلاق العمل للنشر.

لقد كان العمل في "الكتاب الأحمر" مركز تجارب يونغ الذاتية. إنه ليس أقل من كونه الكتاب المركزي في مجموعة أعماله الكاملة. ومع

، الموضوع، أو اقتراح تضمين الرسومات في السيرة الذاتية (التي حثتني السيدة جافيه على القيام بها). يجب أن يشكّل جزءاً من عمله: كما أن السيرة الذاتية مكمل ضروري لكتاباته الاخرى، كذلك هو الكتاب الأحمر بالنسبة إلى السيرة الذاتية. لقد ترك الكتاب الأحمر انطباعاً قوياً علي، ليس هناك شك في أن يونغ قد مر بكل ما يمر به شخص مجنون، وأكثر. قال يونغ عن التحليل الذاتي: إن يونغ يسير إلى المصحة العقلية بقدميه! الفرق الوحيد بينه وبين النزيل العادي فيها هو مقدرته المذهلة على الانفصال عن واقع رؤاه المرعب، ليراقب ويفهم ما يحدث، وأن ينتج من تجربته نظاماً علاجياً فعالاً. لكن بالنسبة إلى هذا الإنجاز الفريد، سيصبح مجنوناً تماماً. وتشبه المادة الخام لتجربته عالماً شريراً، لكن من خلال قدرته على الملاحظة والانفصال، ومن خلال رغبته بالفهم، يمكن أن نقول عنه ما قاله كولريدج في "دفاتره" عن الميتافيزيقي العظيم (وكم سيكون شعاراً رائعاً للسيرة الذاتية!): نظر إلى روحه الخاصة بمقراب. ما بدا غير متنظم، رآه كمجموعات جميلة وأضافه إلى عوالم الوعي المخبأة ضمن الكلمات. (17 آذار - مارس 1961، أرشيف بولينجن، مكتبة الكونغرس). لقد استُخدم الاستشهاد من كولريدج فعلاً كشعار كتاب "المذكرات والأحلام والتأملات".

[261] أنييلا جافيه، "كارل غوستاف يونغ: كلمة وصورة" الصور 52، 57، 77، 79، مع صورة الشكل 59 في كتاب جير هارد ويهر: سيرة حياة يونغ المرفقة بالصور، الصفحات 40، 140-41

نشره، يمكن للمرء دراسة ما حدث هناك على أساس التوثيق البِدئي بدلاً من الخيال والشائعات والتخمينات التي شكلت الكثير مما كُتب عن يونغ، ولفهم نشأة أعمال يونغ اللاحقة وتشكيلها. ولم يكن بالإمكان القيام بقراءة كهذه خلال قرن تقريباً، كما أن ما ظهر من الأدب الواسع المتعلق بحياة يونغ وأعماله، كان يفتقد الوصول إلى أهم مصدر توثيقي على الإطلاق. إن هذا النشر يمثّل نقطة تحوّل، ويفتح الإمكانيات لحقبة جديدة في فهم أعمال يونغ. إنه يوفر نافذة فريدة إلى طريقة استعادة روحه، ويقوم بعمل كهذا بتشكيل سيكولوجيا.

لا تنتهي هذه المقدمة بخاتمة، بل بوعد ببداية جديدة.

الكتاب الأحمر

الكتاب الأول:

الطريق لما هو آت

[(fol. i(r][262]

يقول أشعيا: مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَن اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ نَبتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْض يَابسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاس، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَن، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ.. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. سفر أشعيا الإصحاح53/1-4[263]

---

[262] المخطوطة المتعلقة بالقرون الوسطى، كانت مرقّمة بمجلدات، بدلاً من الصفحات. الجهة الأمامية من المجلد، هي (القسم الأيمن من كتاب مفتوح)، والجهة الخلفية هي (القسم الأيسر من كتاب مفتوح). لقد اتبع يونغ هذه الطريقة في الكتاب الأول، وانقلب إلى الترقيم العادي في الكتاب الثاني.

[263] في العام 1921، استشهد يونغ بهذه الآيات الثلاث (من أنجيل لوثر) مشيراً إلى: "ولادة المخلص. يحدث تطوّر الرمز المتعلّق بالخلاص حيث لا يتوقعه المرء، وتحديداً من المكان الذي يكون فيه الحلّ غير وارد" (من كتاب النماذج السيكولوجية، لكارل يونغ).

لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. (سفر أشعيا الإصحاح 9 : 6)[264]

يقول يوحنا: وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّ. إنجيل يوحنا 1 : 14.

يقول أشعيا: تَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالأَرْضُ الْيَابِسَةُ، وَيَبْتَهِجُ الْقَفْرُ وَيُزْهِرُ كَالنَّرْجِسِ. يُزْهِرُ إِزْهَارًا وَيَبْتَهِجُ ابْتِهَاجًا وَيُرَنِّمُ. يُدْفَعُ إِلَيْهِ مَجْدُ لُبْنَانَ. بَهَاءُ كَرْمَلَ وَشَارُونَ. هُمْ يَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ، بَهَاءَ إِلهِنَا. شَدِّدُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ، وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ ثَبِّتُوهَا، قُولُوا لِخَائِفِي الْقُلُوبِ: تَشَدَّدُوا لاَ تَخَافُوا. هُوَذَا إِلهُكُمُ. الانْتِقَامُ يَأْتِي. جِزَاءُ اللهِ. هُوَ يَأْتِي وَيُخَلِّصُكُمْ. حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ الأَخْرَسِ، لأَنَّهُ قَدِ انْفَجَرَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مِيَاهٌ، وَأَنْهَارٌ فِي الْقَفْرِ. وَيَصِيرُ السَّرَابُ أَجَمًا، وَالْمَعْطَشَةُ يَنَابِيعَ مَاءٍ. فِي مَسْكِنِ الذِّئَابِ، فِي مَرْبِضِهَا دَارٌ لِلْقَصَبِ وَالْبَرْدِيِّ. وَتَكُونُ هُنَاكَ سِكَّةٌ وَطَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا: «الطَّرِيقُ الْمُقَدَّسَةُ». لاَ يَعْبُرُ فِيهَا نَجِسٌ، بَلْ هِيَ لَهُمْ. مَنْ سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى الْجُهَّالُ، لاَ يَضِلُّ.(سفر أشعيا الإصحاح 35 : 1-8)[265]

(كانت المقاطع السابقة مكتوبة بخط يد كارل غوستاف يونغ، في منزله في كوسناشت، زيورخ في العام 1915).

إن تحدثتُ بروح هذا الزمن[266]، فعليّ أن أقول: لا أحد، ولا شيء يستطيع تبرير ما يجب أن أعلنه لك. ليس التبرير ضرورياً بالنسبة لي

---

[264] في عام 1921، استشهد يونغ بهذا النص مشيراً إلى: "طبيعة رمز الخلاص التي للطفل، هي الشبه بالطفل أو عدم التسليم بالموقف المنتمي للرمز والوظيفة. هذا الموقف "الشبيه بالطفل" يجلب بشكل ضروري معه مبدأ قائداً آخر في مكان الإرادة الذاتية والاهتمامات العقلية، التي يكون "شبهها بالألوهية" هو مرادف "للتفوق". وبما أنه من طبيعة لا عقلانية، يظهر المبدأ القائد بشكل إعجازي. ويعبّر المسيح عن ارتباطه بشكل جيد جداً (9: 5).... هذه العناوين المشرّفة تُنتج الصفات الجوهرية لرمز الخلاص. إن معيار "الشبه بالإله" يؤثر في القوة التي لا يمكن مقاومتها لنبضات اللاوعي". (كتاب النماذج السيكولوجية الأعمال الكاملة 6).

[265] أشار يونغ في العام 1955/ 1956 إلى أن اتحاد متضادات القوى المدمرة والاستنتاجية للاوعي، يتوازى مع الحالة المسيحية للإنجاز، الممثلة في هذه الفقرة. (وحدة الأسرار المقدسّة).

[266] في كتاب (فاوست) لغوته، يقول فاوست لفاغنر: "ما تسميه روح الأيام هو بشكل أساسي، ذهنية الإنسان النبيل الشخصية، وما ينعكس الزمن فيه.

لأنه ما من خيار لدي، لكن عليّ القيام بذلك. لقد تعلّمت أنه بالإضافة لروح هذا الزمن، لا يزال هناك روح يعمل، وأعني ذلك الذي يقود أعماق كل شيء معاصر[267]. يرغب روح هذا الزمن، بأن يسمع عن الاستخدام والقيمة. أنا فكرت بهذه الطريقة أيضاً، ولا تزال إنسانيتي تفكر بهذه الطريقة. لكن مع ذلك، يجبرني الروح الآخر على الكلام، بما يتجاوز التبرير والاستخدام والمعنى. مليئاً بفخر الإنسان، ومُصاباً بالعمى بسبب الروح المغرور لهذا الزمن، سعيت منذ فترة طويلة إلى إبعاد ذلك الروح الآخر عني. لكني لم أعتبر أن روح الأعماق يمتلك منذ الأزل وإلى الأبد، قوة أعظم من روح هذا الزمن، الذي يتغير من جيل إلى جيل. يُخضِع روح الأعماق الغرور والغطرسة كلها إلى سلطة المحاكمة. لقد سلبني إيماني بالعلم، وسرق مني متعة الشرح وطلب الأشياء، وترك الإخلاص إلى رموز هذا الزمن، يموت في داخلي، وهوى بي إلى آخر الأشياء وأبسطها.

لقد أخذ مني روح الأعماق فهمي ومعرفتي كلها ووضعها في خدمة التناقض، وما لا يمكن تفسيره. لقد أفقدني القدرة على قول أي شيء أو كتابة أي شيء لا يكون في خدمته، وأعني ذوبان المنطق والهراء الذي ينتج المعنى الفائق، نتيجة امتزاجهما معا.

لكن المعنى الفائق هو المر، هو الطريق والجسر إلى ما هو آت. إنه المخلّص الذي لم يأتِ بعد. ليس ما يظهر بالمعنى الفائق[268] هو الأعلى القادم نفسه، بل صورته. المخلّص صورة، وأولئك الذين يعبدونه، عليهم أن يعبدوه في صورة المعنى الفائق.

المعنى الفائق ليس معنى، وليس شيئاً منافياً للمنطق، إنه صورة وقوة في شيء واحد، جاذبية وقوة معا.

---

[267] يتابع في المسودة: "وعندها، قال لي الشخص الذي لم أكن أعرفه، والذي كان واضحاً أن لديه معرفة كهذه: (يا لها من مهمّة غريبة لك! عليك أن تكشف أعماقك وخفاياك). قاومتُ هذا لكوني لم أكن أكره شيئاً أكثر من الشيء الذي يبدو لي فاسقاً ووقحاً" (الصفحة 1).

[268] في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" الصادر عام 1912، فسّر يونغ الأعلى كرمزٍ لليبيدو. وشدد بقوة في عمله اللاحق، على التفريق ما بين صورة المخلّص ووجوده الميتافيزيقي "تمت إضافة فقرات إلى الطبعة المنقحة الصادرة في العام 1952، والتي صدرت بعنوان "التحولات والرموز".

المعنى الفائق هو البداية والنهاية. إنه الجسر "للعبور" والإنجاز[269].

توفيت الآلهة الآخرى لكونها محدودة بالزمن، ولم يمت المعنى الفائق بعد، لقد تحوّل إلى المعنى، وبعدها إلى منافاةٍ المنطق، ومن خلال التصادم بين النار والدمٍ، يظهر المعنى الفائق متجدداً ومنتعشاً.

لدى صورة المخلّص ظل. المعنى الفائق حقيقي ويلقي ظلاً. لأنه هل من شيء حقيقي وجسدي وليس له ظل؟

الظل هراء. إنه يفتقر إلى القوة، وليس له وجود مستمرّ من تلقاء نفسه. لكن الهراء جزء لا يتجزأ، وهو الأخ الذي لا يموت للمعنى الفائق.

ينمو الناس كالنباتات تماماً، البعض في الضوء والبعض الآخر في الظلال. هناك العديد من الناس الذين يحتاجون الظلٍ ولا يحتاجون الضوء.

تلقي صورة المخلّص بظل عظيم كظله تماماً.

المعنى الفائقِ عظيم وصغير، إنه واسع سعة السماء المليئة بالنجوم، وضيق جدا مثل خلية الجسد الحي.

في داخلي، يريد روح هذا الزمن، إدراك عظمة المعنى الفائق واتساعه، لكنه لا يريد ضآلته. لكن روح الأعماق، قهر هذه الغطرسة، وكان عليّ ابتلاعٍ الضئيل كوسيلة لشفاء ما هو خالد بي. لقد أحرق أحشائي بالكامل، نظراً لأنها كانت شائنة وغير بطولية. كانت مقززة وثورية أيضاً. لكن كمّاشة روح الأعماق أطبقت عليّ، وكان علي شرب أمرّ المرارة.[270]

---

[269] إن مصطلح (hinübergehen) الذي يعني "العبور"، ومصطلح (Übergang) الذي يعني المعنى ذاته، ومصطلح (Untergang) الذي يعني "النزول، ومصطلح (Brücke) الذي يعني الجسر، هي مصطلحات ظهرت في كتاب "هكذا تكلم زرادشت" لفريدريك نيشته، وتشير جميعها إلى عبور الإنسان من حالته كإنسان إلى حالة "السوبرمان" أو الإنسان الخارق الذي أشار إليه نيتشه. كمثال: "ما هو عظيم في الإنسان أنه **جسر** وليس هدفاً: ما يمكن عشقه في الإنسان **أنه عبور وهبوط**. أحب أولئك الذي لا يعرفون كيف يعيشون، إلا إن كانت حيواتهم **تسير نحو الأسفل**. لأنهم هم الذين يعبرون.

[270] يبدو وكأن يونغ يشير إلى الحوادث التي حدثت لاحقاً في الكتاب: شفاء (إزدوبار) الفصل **الثاني**، المقطع التاسع. وتناول الشراب اللاذع الذي قام الناسك بتحضيره.

أغواني روح هذا الزمن بفكرة أن هذا ينتمي إلى ظل صورة المخلّص. هذا من شأنه أن يكون خداعاً خبيثاً، نظراً لكون الظل هراء. لكن الصغير والضيق والتافه ليس هراء، بل هو أحد جوهري الألوهية.

قاومت إدراك أن كل يوم ينتمي إلى صورة الألوهية. هربت من هذه الفكرة، وخبأت نفسي خلف نجوم أعلى وأكثر برودا.

لكن روح الأعماق لحق بي، ودسّ الشراب اللاذع بين شفتيّ[271].

همس لي روح هذا الزمن وقال: "هذا المعنى الفائق، صورة المخلص هذه، هذا الذوبان معاً للساخن والبارد، هذا أنت، وأنت فقط". لكن روح الأعماق تحدث معي وقال: "[272]أنت صورة للعالم الذي لا نهاية له، تعيش فيك كل ألغاز الصيرورة والعبور. إن لم تمتلك هذا كله، فكيف لك أن تعرف؟"

من أجل ضعفي البشري، أعطاني روح الأعماق هذه الكلمة. مع أن هذه الكلمة غير مجدية أيضاً، لأني لا أنطق بها بحرية، لكن يجب عليّ ذلك. أنا أتكلم لأن الروح يسلبني المتعة والحياة إن لم أتكلم[273]. أنا التابع الذي يأتي بشيء، ولا يعرف ما الذي يحمله بيديه. سوف يحرقه إن لم يضعه حيث أمره معلمه أن يضعه.

تحدث روح زمننا معي وقال: "ما هو الشعور الملحّ الرهيب الذي أجبرك على قول كل هذا؟" كان ذلك إغواءً مروعاً. أردت أن أتأمل بهذا المأزق الداخلي، أو الخارجي، الذي أقحمني به، ولكوني لم أجد ما يمكنني الإمساك به، كنت قريباً من اختلاق واحد. لكن بهذا، كاد روح زماننا أن يتسبب تقريباً بأن أفكّر ثانية بالأسباب والشروحات بدلاً من التحدث. لكن روح الأعماق تدخّل قائلاً: "فهم الشيء عبارة عن جسر

---

[271] يتابع في المسودة: "من يشرب هذا الشراب، لن يشعر بالعطش أبداً، لا في هذا العالم ولا في الحياة الأخرى، لأنه يشرب العبور والاكتمال. يشرب نهر الحياة الحار المذاب، الذي تجمّد إلى خامة صلبة في روحه، وينتظر ذوباناً ومزجاً جديداً".

[272] في المجلد المكتوب بخط اليد: هناك عبارة "هذا المعنى الفائق" وهي مشطوبة.

[273] يتابع في المسودة الأصلية: "ذاك الذي يعرف، يفهمني ويرى أني لا أكذب. أتمنى أن يسأل كل شخص أعماقه ما إن كان بحاجة لما أقوله".

وإمكانية للعودة إلى الطريق. إن شرح المسألة أمر اعتباطي، ويشبه جريمة القتل أحياناً. هل أحصيت القَتَلة من بين المثقفين؟"

قفز روح الزمن إليّ وطرح أمامي كمية مجلدات كبيرة، احتوت كامل معرفتي. كانت أوراقها مصنوعة من المعدن الخام، ونقش عليها قلم الحبر كلمات لا ترحم، وأشار الروح إلى تلك الكلمات التي لا ترحم وقال لي: "ما تقوله عبارة عن جنون".

هذا صحيح، هذا صحيح، ما أقوله هو عظمةُ الجنون وسُكرُه وبشاعته.

لكن روح الأعماق تقدم مني وقال: "ما تقوله موجود، العظمة موجودة، الثمل موجود، اليوميات الحقيرة المريضة التافهة، موجودة. إنها تسير في الطرقات كلها، تعيش في البيوت كلها، وتتحكم بيوم البشرية كله. حتى النجوم الأبدية عادية. إنها حبيبة المخلّص العظيمة وجوهره الوحيد. يضحك المرء منها والضحك موجود أيضاً، أتعتقد يا إنسان هذا الزمن، أن الضحك أقل مستوى من العبادة؟ أين هو المقياس أيها القيّاس الزائف؟[274] يتقرر مجمل الحياة بالضحك والعبادة، وليس في محاكمتك".

عليّ أيضاً أن أقول ما هو سخيف. أيها القادمون! سوف تدركون المعنى الفائق من خلال حقيقة أنه ضحك وعبادة، ضحك دموي وعبادة دموية. دم الأضاحي يربط القطبين. من يعرف ذلك، يضحك ويتعبّد باللحظة ذاتها.

بعد هذا، اقتربت مني إنسانيتي وقالت: "أية عزلة، أية برودة ناتجة عن خراب، تضعها على عاتقي عندما تقول شيئاً كهذا! فكّر بدمار الكائن وأنهار الدم المتدفقة، من التضحية الرهيبة التي تريدها الأعماق"[275].

لكن روح الأعماق قال: "لا أحد يستطيع، أو لا يجب على أحد أن يوقف التضحية. التضحية ليست تدميراً، التضحية حجر الأساس لما هو آت. أليس لديك أديرة؟ أليس هناك آلاف لا تُحصى ذهبت إلى الصحراء؟

---

[274] الكلمة كما وردت بالألمانية هي (Vermessener) وهي أيضاً تحمل دلالة على الصفة (Vermessen)، أي، الافتقار إلى المقياس أو فقدانه بالكامل، وهذا يعني الثقة المطلقة أو الغرور.

[275] إشارة إلى الرؤيا اللاحقة.

عليك أن تحمل الدير في نفسك. تدعوك الصحراء في داخلك وتشدّك، وإن قيّدك عالم هذا الزمن بالحديد، فسيكسر نداء الصحراء القيود كلها. بالفعل، أنا أعددتك من أجل العزلة".

بعد ذلك، بقيت إنسانيتي صامتة. حدث شيء ما لروحي، أسمّيه الرحمة.

كلامي غير كامل. ليس لرغبتي بالتألق بالكلمات، لكن بسبب استحالة إيجادها، أتكلم عبر الصور. لا يمكنني التعبير عن الكلمات الموجودة في الأعماق، من خلال أي شيء آخر.

منحتني الرحمة التي أُعطيت لي إيماناً وأملاً وجرأة كافية، ليس لمقاومةٍ أكبر لروح الأعماق بل لنطق كلمته. لكن قبل أن أتمكن من لملمة شتاتي للقيام بذلك فعلاً، احتجت إلى إشارة مرئية تريني أن روح الأعماق في داخلي، كان في الوقت نفسه حاكم أعماق شؤون العالم.

[276]حدث هذا في تشرين الأول - أكتوبر من العام 1913 بينما كنت مسافراً وحدي، في يومٍ سيطرت عليّ فيه هذه الرؤية فجأة في وضح النهار: رأيت فيضاناً مرعباً غطى الأراضي الشمالية والمنخفضة، ما بين بحر الشمال وجبال الألب. وصل من انكلترة وحتى روسيا، ومن ساحل بحر الشمال وصولاً إلى جبال الألب. رأيت أمواجاً صفراء وأنقاضاً طافية، وشهدت موت آلاف لا تعدّ ولا تحصى.

استمرّت الرؤية ساعتين، وقد أربكتني وجعلتني مريضاً. لم أكن قادراً على تفسيرها. مر أسبوعان، ومن ثم عادت الرؤيا، وكانت أكثر عنفاً مما سبق، وتحدث إليّ صوت داخلي: "انظر إلى هذا، إنه حقيقي بالكامل، وسيحصل. لا يمكنك التشكيك بهذا". صارعت لساعتين مع هذه الرؤيا، لكنها أمسكتني بسرعة. تركتني منهكاً ومشوشاً. واعتقدت أني أُصِبت بالجنون[277].

---

[276] في المسودة: "بدأت" الصفحة 7.

[277] ناقش يونغ هذه الرؤيا في مناسبات عديدة، مؤكداً على تفاصيل مختلفة: الأولى في كتاب "مقدمة إلى علم النفس التحليلي" المتضمن سمينار العام 1925، وأخرى في كتاب "ذكريات". لقد كان يونغ،

من حينها ولاحقاً، استمر القلق بخصوص الحدث المريع الذي وقف أمامنا بشكل مباشر، بالعودة. ومرة رأيت أيضاً بحراً من الدماء فوق الأراضي الشمالية.

في شهر حزيران – يونيو من العام 1914، في بداية الشهر ونهايته، وفي بداية شهر تموز – يوليو، رأيت الحلم ذاته مرات ثلاثاً: كنت في بلد غريب، وفجأة، وبين ليلة وضحاها وفي منتصف الصيف، هبط برد مرعب من الفضاء. وغطى الجليد الأنهار والبحار، وتجمدت جميع النباتات الخضراء.

كان الحلم الثاني مشابهاً تماماً للأول. لكن الحلم الثالث في بداية شهر تموز – يوليو، سار على النحو التالي:

كنت في أرض بريطانية نائية[278]. كان ضرورياً أن أعود إلى وطني بسفينة سريعة وبأقصى سرعة ممكنة[279]. وصلت بسرعة إلى البيت[280]. وجدت أني في منتصف الصيف في بلادي، يهطل برد مرعب من الفضاء، وقد أحال كل شيء حي إلى جليد. تنتصب هناك شجرة تحمل أوراقاً، لكنها دون ثمار، وقد تحولت أوراقها إلى عنب حلو مليء بعصارة شافية، يسببها الصقيع[281]. قطفت بعض ثمار العنب وأعطيتها للحشد العظيم المنتظر[282].

والآن، يسير الأمر في الواقع على هذا النحو: عندما بدأت الحرب العظيمة بين شعوب أوروبا، وجدت نفسي في اسكوتلندا،[283] مُجبراً

، حينها في طريقه إلى شافهاوسن، لحضور عيد ميلاد حماته الخامس والسبعين في 17 تشرين الثاني - نوفمبر. كانت الرحلة بالقطار وقد تحدث عنها لمدة ساعة.

[278] يتابع في المسودة: "مع صديق، وكنت في الواقع قد انتبهت إلى بعد النظر لديه".

[279] يتابع في المسودة: "على أية حال، أراد صديقي العودة بسفينة أبطأ وأصغر، وهذا ما اعتبرته غباء وطيشاً".

[280] يتابع في المسودة: "وهناك وجدت، بغرابة شديدة، صديقي الذي تبين أنه ركب السفينة السريعة ذاتها، دون أن ألحظ ذلك".

[281] يُصنع النبيذ المتجمد من ترك العنب على الكرمة حتى يتجمد بفعل الصقيع. يُعصر بعدها ويذوب الجليد تاركاً نبيذاً حلواً لذيذاً عالي التركيز.

[282] يتابع في المسودة: "كان هذا حلمي. وقد تلاشت جهودي كلها لفهمه. كافحت ليومين. ترك انطباعاً قوياً على أية حال". روى يونغ هذا الحلم في كتاب الذكريات أيضاً.

[283] انظر المقدمة، صفحة 28

بسبب الحرب، على اختيار السفينة الأسرع، والمسار الأقصر نحو الوطن. واجهت أشد الطقوس برودة، وكان قد جمد كل شيء. تواجهت مع فيضان بحر الدماء، ووجدت شجرتي العارية التي أحال الصقيع أوراقها إلى دواء. قطفت الفاكهة ناضجة وأعطيتها لكم، ولا أعرف ما سكبته لكم، أي شراب سام مرّ– حلو، ترك مذاق الدم على ألسنتكم.

صدقوني:[284] أنا لا أعطيكم تعاليم ولا إرشادات. على أي أساس، أفترض أني قادر على تعليمك؟ أنا أعطيك شرحاً عن طريق هذا الرجل، لكن ليس عن طريقك. دربي ليست دربك، ولذلك لا أستطيع تعليمك[285]. الطريق بداخلنا، وليس في الآلهة ولا في التعاليم ولا القوانين. يكمن في داخلنا الطريق والحق والحياة.

الويل لأولئك الذين يعيشون عبر الأمثلة! الحياة ليست معهم. إن عشت بما يتناسب مع مثال، فأنت تعيش حياة هذا المثال، لكن من عليه أن يعيش حياتك الخاصة، إن لم يكن أنت ذاتك؟ هكذا عيشوا حيواتكم[286].

سقطت المعالم، امتدّت أمامنا طرقات غير مضاءة[287]. لا تكن طمّاعاً لالتهام فاكهة الحقول الغريبة. ألا تعرفون أنكم أنتم أنفسكم، الأراضي الخصبة التي تحمل كل الأشياء التي تفيدكم؟

لكن من يعرف هذا في هذه الأيام؟ من يعرف الطريق إلى الأقاليم المثمرة دائماً للروح؟ أنت تبحث عن الطريق عبر المظاهر فقط، تدرس في الكتب، وتعطي أذنك لكل أنواع الآراء. ما الهدف من كل ذلك؟ هناك طريق واحد فقط، وهو طريقك[288].

---

[284] في المسودة، هذا موجّه "لأصدقائي"، صفحة 9

[285] بالتناقض مع إنجيل يوحنا: "قال له المسيح: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي".

[286] يتابع في المسودة: "هذا ليس قانوناً، بل هو إشعار حول حقيقة أن زمن المثال والقانون، والخط المستقيم المرسوم مسبقاً، أصبحت ذابلة".

[287] يتابع في المسودة: "سوف يُشلّ لساني إن خدمت القوانين، أو ثرثرت لكم حول التعاليم. من يبحث عن شيء كهذا، سيغادر مائدتي جائعاً".

هل تبحث عن الطريق؟ أنا أحذركم، ابتعدوا عن طريقي. من الممكن أيضاً أن أكون الطريق الخاطئ بالنسبة لكم.
أتمنى لكل شخص أن يسير في طريقه الخاص.

لن أكون المنقذ ولا المشرّع ولا المعلّم عليكم. أنتم لم تعودوا أطفالاً[289].

يصبح منح القوانين وتحسين الأمور وجعلها أسهل، جميعها أموراً خاطئة وشريرة. أتمنى من كل شخص أن يبحث عن طريقه. يقود الطريق إلى حبّ متبادل في المجتمع. سيصل الناس إلى رؤية التشابه والقواسم المشتركة لطرقهم والإحساس بها.

تجبر القوانين والتعاليم الموجودة لدى العامة، الناس على العزلة، بشكل ربما يهربون من ضغوط التواصل غير المرغوب فيه، لكن العزلة تجعل الناس عدائيين وحقودين.

لذلك، اعطِ الناس الكرامة ودع كلاً منهم يتميز، على نحوٍ ربما يجد فيه كلٌ منهم علاقة صداقته الخاصة ويحبها.

القوة تقف ضد القوة، الاحتقار ضد الاحتقار، والحبّ ضد الحبّ. اعطِ الإنسانية الكرامة، وكن على ثقة أن الحياة سوف تجد الطريق الأفضل.

العين الواحدة للأعلى عمياء، الأذن الواحدة للأعلى صماء، وتخترق الفوضى نظام كائناته. لذلك كن صبوراً على عجز العالم، ولا تبالغ بتقدير جماله الباهر[290].

---

[288] يتابع في المسودة: "هناك قانون واحد موجود، وهو قانونك. هناك حقيقة واحدة موجودة وهي حقيقتك".

[289] يتابع في المسودة: "ليس على المرء أن يحوّل الناس إلى خراف، بل الخراف إلى بشر. يطلب منا هذا روح الأعماق الموجود خلف الحاضر والماضي. تحدثْ واكتبْ إلى أولئك الذين يريدون القراءة والإصغاء. لكن لا تركض خلف الناس، كي لا تلوّث كرامتها – هذا نادراً ما يُجدي. الموت الحزين بكرامة أفضل من شفاء من دون كرامة. من يُرد أن يكون طبيباً للروح، يرَ الناس على أنهم مرضى. هو يهين كرامة الإنسان. من الوقاحة القول إن الإنسان مريض. من يريد أن يكون راعي الأرواح، يعامل الناس كخراف. هو ينتهك كرامة الإنسان. من الوقاحة القول إن الناس خراف. من أعطاك الحق بالقول إن الإنسان مريض وخروف؟ اعطِ الإنسان كرامته حتى يجد سموّه أو انحداره بطريقته".

[290] يتابع في المسودة: "يا أصدقائي الأعزاء، هذا كل ما يمكنني قوله حول أسس رسالتي وأهدافها. أشعر بأني مُثقل بها كحمار صبور، يسعده الآن أن يُرفع هذا الحمل عنه".

الفصل الأول:

إعادة إيجاد الروح[291]

عندما حلمت برؤيا الفيضان تلك، في شهر تشرين الأول – أكتوبر من عام 1913، حدث ذلك في وقت مهمّ جداً بالنسبة لي كرجل. كنت في ذلك الوقت في الأربعين من عمري، وقد أنجزت كل ما رغبت به لنفسي. حققت الاحترام والسلطة والثروة والمعرفة وكل ما يسعد الإنسان. وبعدها توقفت رغبتي بزيادة تلك الزخارف، انحسرت الرغبة عني ومن ثم ملأني الرعب[292]. استولى عليّ حلم الفيضان ذاك وشعرت بروح الأعماق، لكني لم أفهمه[293]. ومع ذلك قادني مع توق داخلي لا يمكن مقاومته وقلت:

---

[291] في هذا النص، يعرف يونغ الطائر الأبيض على أنه الروح (soul). من أجل محاضرة يونغ عن الحمام في الخيمياء، أنظر إلى (وحدة الأسرار المقدسّة) المنشور في العام (1955 / 1956).

[292] في النسخة المكتوبة بخط اليد يقول: "أصدقائي الأعزاء". وفي هذه المحاضرة في 14 حزيران من عام 1935، أشار يونغ إلى أن "في مرحلة من حياتي، في الخامسة والثلاثين من عمري تقريباً، عندما بدأت الأمور تتغير، إنها اللحظة الأولى من جانب الظلال من الحياة، المتجه نحو الموت. كان واضحاً أن (دانتي) وجد هذه اللحظة، وأولئك الذين قرؤوا (هكذا تكلم زرادشت) سوف يعرفون أن (نيتشه) أيضاً قد اكتشفها. عندما تأتي لحظة التحول تلك، يقابلها الناس بعدة طرق: البعض يهرب منها، والبعض الآخر ينغمس بها، وشيء مهم يحدث للبعض الآخر من الخارج. إن لم نرَ شيئاً أقدم القدر على فعله بنا". (باربرا هانا، في كتاب السيكولوجيا الحديثة: ملاحظات على محاضرات قدمها يونغ، في شهر تشرين الأول - أكتوبر من العام 1933 في زيورخ).

[293] في 27 تشرين الأول - أكتوبر من العام 1913، كتب يونغ رسالة إلى فرويد يقطع بها العلاقة معه ويستقيل من عمله كمحرر لمجلة (Jahrbuch für Psychoanalytische und Psychopathologische Forschungen).

"يا روحي، أين أنتِ؟ هل تسمعينني؟ أنا أتكلم، أناديكِ — هل أنتِ هنا؟ لقد عدتُ، أنا هنا مجدداً. لقد أزلتُ غبار الأرض كلها عن أقدامي، وأتيتُ إليكِ، أنا معكِ. بعد سنوات طويلة من التجوال، عدتُ إليك مجدداً. هل عليّ أن أخبرك بكل ما رأيته واختبرته وسكِرت بـه؟ أمْ أنكِ لا ترغبين بسماع ضجيج الحياة كله وضجيج العالم؟ لكن شيئاً واحداً عليكِ معرفته: الشيء الوحيد الذي تعلمته هو أن على المرء أن يعيش هذه الحياة.[294]

هذه الحياة هي الطريق، الطريق المرغوبة منذ مدة طويلة، والتي ندعوها السماوية[295]. ليس هناك من طريق آخر، جميع الطرق الأخرى، طرق زائفة. لقد وجدتُ الطريق الصحيح، وقد قادني إليكِ، إلى روحي. لقد عدتُ خفيفاً ونقياً. هل لازلتِ تعرفينني؟ كم استمرّ الانفصال! أصبح كل شيء مختلفاً. وكيف وجدتكِ؟ كم كانت رحلتي غريبة! ما هي الكلمات التي عليّ استخدامها لأخبركِ عن الطرق الملتوية، التي قادتني النجمة الخيّرة بها إليكِ؟ اعطيني يدكِ يا روحي المنسية تقريبا. يا لهذا الدفء الذي تمنحني إياه متعة لقائكِ مجدداً أيتها الروح التي تبرأتُ منها طويلاً. أرجعتني الحياة إليك. دعينا نشكر الحياة التي عشتها، على ساعات السعادة كلها وساعات الحزن كلها، على كل بهجة وكل تعاسة. يا روحي، يجب أن تستمر رحلتي معك. سأهيم معك وأرتقي إلى عزلتي"[296].

أجبرني روح الأعماق على قول هذا، وفي الوقت نفسه، أجبرني على الخضوع ضد نفسي، حيث لم أكن أتوقع ذلك حينها. لا زلتُ أجاهد بشكل خاطئ، تحت سيطرة روح هذا الزمن، وأفكر بشكل مختلف بما

---

[294] في 12 تشرين الثاني - نوفمبر من العام 1913. وبعد "التوق" تتابع المسودة "في بداية الشهر الحالي، أمسكت قلمي وبدأت كتابة هذا".

[295] حدث هذا التأكيد عدة مرات في مؤلفات يونغ اللاحقة، وكمثال على ذلك: ما كتبته (جين برات، ملاحظات على حوار مع يونغ: هل علم النفس التحليلي هو دين؟".

[296] وصف يونغ لاحقاً تحوله الشخصي في تلك اللحظة، كمثال عن بداية مرحلته الثانية من الحياة، التي تميزت في كثير من الأحيان بالعودة إلى الروح، بعد أن تحققت الأهداف والطموحات في النصف الأول من حياته (انظر إلى كتاب "الرموز والتحولات" الصادر عام 1952، وانظر أيضاً إلى "نقطة التحول في الحياة" الصادر عام 1930.

يخص روح الإنسان. فكرت كثيراً بالروح وتحدثت عنها. عرفت الكثير من الكلمات المعروفة عنها . حاكمتها وحولتها إلى موضوع علمي[297]. لم أعتبر أن روحي لا يمكنها أن تكون موضوعاً لمحاكمتي ومعلوماتي، بل إن محاكمتي ومعلوماتي هي التي تكون مواضيع لروحي[298]. وهكذا أجبرني روح الأعماق على التحدث مع روحي، لأستدعيها ككيان حي وموجود بحد ذاته. كان عليّ أن أصبح مدركاً لكوني فقدت روحي.

من هنا نعرف كيف ينظر روح الأعماق إلى "الروح": يراها ككيان حي موجود بحد ذاته، وبهذا يتعارض مع روح هذا الزمن الذي تكون "الروح" بالنسبة له، شيئاً يعتمد على الإنسان، وتركت نفسها تخضع للمحاكمة والترتيب، كما يمكننا فهم ظروفها. كان عليّ القبول بأن من أسميتها سابقاً روحي، لم تكن أبداً "روحي"، بل كانت نظاماً ميتاً[299]. ومن هنا، كان عليّ الحديث مع روحي كشيء بعيد جداً ومجهول، وليست موجودة بداخلي، بل أنا موجود فيها.

من تبتعد رغبته عن الأشياء الخارجية، يصل إلى مكان الروح[300]. إن لم يجد الروح، فسوف يسيطر عليه رعب الخواء، يقوده الخوف بسوط يلسع الوقت، في مسعىً يائس ورغبة عمياء، نحو أمور العالم الجوفاء. يصبح أبله بسبب رغبته التي لا تنتهي، وينسى الطريق إلى روحه، ولا يجدها مجدداً. سوف يجري خلف كل شيء، ويمسك بكل شيء، لكنه لن يجد روحه، لأنه لن يجدها إلا في داخله فقط. إن روحه موجودة حقاً في البشر والأشياء، والأعمى يستولي على البشر والأشياء، لكن روحه ليست في البشر والأشياء. ليس لديه أية معرفة بروحه. كيف يمكنه تمييزها عن البشر والأشياء؟

---

[297] يشير يونغ هنا إلى أعماله السابقة. كمثال، لقد كتب في العام 1905 "من خلال تجربة التداعيات، فإننا على الأقل، حصلنا على الوسائل لتمهيد الطريق للأبحاث التجريبية لألغاز الروح المريضة".

[298] في كتاب "النماذج السيكولوجية" الصادر عام 1921، أشار يونغ إلى أنه في السيكولوجيا، تكون المبادئ "نتاج مجموعة المواضيع النفسية للباحث". وقد شكّل هذا الفعل الانعكاسي، موضوعاً مهماً في أعماله اللاحقة.

[299] تتابع المسودة: "النظام الميت الذي اخترعته بنفسي، وجمعته مما يسمى التجارب والمحاكمات".

[300] في العام 1913، دعا يونغ هذه العملية "انطواء الليبيدو" (الأعمال الكاملة: عن مسألة النماذج السيكولوجية).

يمكنه إيجادها في الرغبة نفسها، لكن ليس في مواضيع الرغبة. إن سيطر على رغبته ولم تسيطر رغبته عليه، فسيضع يده على روحه، بما أن رغبته هي صورة عن روحه وتعبير عنها[301].

إذا ما سيطرنا على صورة الشيء، نكون قد سيطرنا على نصف الشيء.

صورة العالم هي نصف العالم. من يسيطر على العالم وليس على صورته، يسيطر على نصف العالم فقط، لكون روحه فقيرة ولا تمتلك شيئاً. توجد ثروة الروح في الصور[302]. من يسيطر على صورة العالم، يسيطر على نصف العالم، حتى لو كانت إنسانيته فقيرة ولا تمتلك شيئاً[303]. لكن الجوع يجعل الروح وحشاً يلتهم ما لا يُحتمل، ويجعلها مسمّمة به. يا أصدقائي، من الحكمة تغذية الروح، وإلا فسوف تتكاثر التنانين والشياطين في قلوبكم[304].

---

[301] كتب يونغ في العام 1912: "إنه خطأ شائع، محاكمة التوق من ناحية جودة الموضوع.... تكون الطبيعة جميلة فقط على حساب التوق والحب الذي منحه الإنسان لها. تُطبّق السمات الجمالية المنبثقة عن ذلك أولاً وقبل كل شيء، على (الليبيدو)، الذي يقيّم وحده جمال الطبيعة". (كتاب تحولات الليبيدو ورموزه).

[302] في كتاب النماذج السيكولوجية، طرح يونغ هذه الأولوية للصورة من خلال فكرته عن القرينة. علّقت (كاري باينر) في مفكرتها على هذه الفقرة: "ما صدمني بشكل خاص، كان ما تقوله عن كون الصورة هي نصف العالم. هذا هو الشيء الذي جعل الإنسانية بهذا المستوى من البلادة. لقد فقدوا فهم ذلك الشيء. العالم هو الشيء الذي يجعلهم منفصلين، وهم لن يفكروا بـ"الصورة" بشكل جدّي أبداً، ما لم يصبحوا شعراء". (مفكرة كاري باينر في 8 شباط من العام 1924)

[303] يتابع في المسودة:"من يسعَ من أجل الأشياء فقط يغرق في الفقر، بينما الثروة الخارجية تكبر، وسوف تعاني روحه من حالة مرضية مديدة".

[304] يتابع في المسودة: "هذا الرمز حول إعادة إيجاد الروح، يا أصدقائي، يُقصد به أن اريكم أنكم رايتموني كنصف إنسان فقط، لأن روحي قد اضاعتني. أنا متأكد من أنكم لم تلحظوا ذلك، لأنه من منكم لديه روحه اليوم؟ ومع أنه من دون الروح، ليس هناك من طريق يرشدكم إلى ما وراء هذا الزمن". وقد علقت (كاري باينر) في مفكرتها على هذه الفقرة: "في 8 شباط - فبراير من العام 1924، أتيت لحوار مع روحك. كل ما قلته، قد قلته بطريقة صحيحة وبصدق. ليس هناك من بكاء على الإنسان الشاب الذي يصحو على الحياة، لكن على البالغ الذي عاش بشكل كامل وبثراء دنيوي، ويشعر أنه فقد جوهرة ذات ليلة. أتت الرؤيا في ذروة قوتك، عندما كنت تستطيع الاستمرار، كما كنت في نجاح دنيوي مثالي. أنا لا أعرف كيف كنت قوياً بما يكفي لتمنحها الاهتمام. أنا بالفعل مع كل شيء تقوله، كما أنني أفهمه. كل شخص فقد الاتصال بروحه أو عرف كيف يعطيها الحياة، يجب أن يحظى بالفرصة ليرى هذا الكتاب. تعيش كل كلمة من أجلي، وتقويني تماماً عندما أشعر بالضعف، لكن كما قلت أنت، العالم بمزاج اليوم، بعيد جداً عن هذا. هذه ليست مشكلة كبيرة، يستطيع هذا الكتاب، إن تمت كتابته بالنار والدم، أن يهز العالم كله".

الفصل الثاني:

الروح والمخلّص[305]

في الليلة التالية ناديت روحي[306]:

"أشعر بالملل يا روحي، لقد طالت كثيراً فترة توهاني، وبحثي عن ذاتي خارج ذاتي. مضيت الآن عبر الأحداث، ووجدتكِ خلف كل حدث منها. لأني قمتُ باستكشاف أخطائي من خلال الأحداث والإنسانية والعالم. وجدتُ البشر. ووجدتكِ أنتِ يا روحي من جديد، أولاً في الصور بين البشر، وبعدها أنت بحد ذاتك. وجدتكِ في أقلِّ مكان أتوقع وجودكِ فيه. قفزتِ من رمح الظلام. أعلنتِ لي عن نفسكِ مسبقاً في الأحلام[307]. احترقتِ في قلبي، ودفعتني نحو أكثر التصرفات جرأة، وأجبرتني على رفع نفسي عالياً. لقد تركتني أرى حقائق، لم يكن لدي تلميحات سابقة لها. تركتني أقوم برحلات، كان سيخيفني مداها، لو لم تكن معرفتها مستقرّة فيكِ.

---

[305] في العام 1945، علّق يونغ على رمزية الطائر والأفعى بما يتعلق بالشجرة، "كتاب الشجرة الفلسفية".

[306] في 14 تشرين الثاني من العام 1913.

[307] تتابع المسودة: التي كانت مظلمة أمامي، والتي سعيت لفهمها بطريقة خاصة لكنها غير كافية".

تجولتُ لعدة سنوات، ونسيت لفترةٍ أن لي روحاً[308]. أين كنتِ طوال ذلك الوقت؟ أي عالم ما ورائي آواكِ ومنحكِ ملاذاً آمناً؟ أوه، عليكِ التحدث من خلالي، حيث أنا وكلامي هما رمزكِ وتعبيرك! كيف لي أن أحل رموزك؟

من أنتِ أيتها الطفلة؟ مثّلتك أحلامي كطفلة وعذراء[309]. أنا جاهل تماماً بألغازك[310]. اعذريني إن تكلمت كما لو كنت في حلم، مثل سكران — هل أنت الأعلى؟ هل الأعلى طفلة، وعذراء؟[311] سامحيني إن ثرثرت. ليس هناك من شخص آخر يسمعني. اتحدثُ إليكِ بهدوء، وأنتِ تعرفين أني لست سكران ولا مختلاً، وأن قلبي يلتوي من ألم الجرح الذي تقول عتمته كلاماً مليئاً بالسخرية: "أنت تكذبُ على نفسك! أنت تقول هذا لتخدع الآخرين، وتجعلهم يؤمنون بك. أنت تريد أن تكون نبياً، وتطارد طموحك". لا زال الجرح ينزف، وأنا بعيد جداً عن كوني قادراً على التظاهر بأني لا أسمع السخرية.

كم يبدو غريباً لي أن أناديكِ بالطفلة، أنت التي لا تزالين تمسكين بكل ما لا نهاية له بيدك[312]. مشيتِ على طريق النهار، وسرتِ بخفاء معي، واضعة القطع معاً بحيث يصبح لها معنى، وتركتني أرى الكل في كل جزء.

---

[308] تتابع المسودة: كنت أنتمي للبشر والأشياء. لم أكن أنتمي إلى ذاتي". في الكتاب الأسود الثاني، أعلن يونغ أنه تجول لمدة أحد عشر عاماً. وتوقف عن الكتابة في هذا الكتاب في العام 1902، وعاد إليه مرة أخرى في خريف العام 1913.

[309] يتابع في الكتاب الأسود الثاني: "ووجدتك مرة أخرى فقط عبر روح المرأة"

[310] يتابع في الكتاب الأسود الثاني: "انظري، احتملت الجرح الذي لم يلتئم حتى الآن: طموحي لترك انطباع".

[311] يتابع في الكتاب الأسود الثاني: يجب أن أقول لنفسي بوضوح: هل يستخدم صورة الطفل الذي يعيش في روح كل إنسان؟ ألم يكن (حورس، تاغس، والمسيح) أطفالاً؟ (ديونيسوس، وهيراقليس) كانا أيضاً طفلين سماويين. ألم يسمِّ المسيح، إله البشر، نفسه بابن الإنسان؟ ما هي فكرته العميقة في تصرفه هذا؟ هل ينبغي أن يكون "ابنة الإنسان" اسماً لله؟".

[312] تتابع المسودة: "كم كانت العتمة الأولى كثيفة! كم كان شغفي متهوراً وأنانياً، كان خاضعاً لشياطين الطموح، الرغبة بالمجد، الطمع، اللا تسامح، والتعصب! كم كنت جاهلاً في ذلك الوقت! مزّقتني الحياة، وأبعدتني عن قصد عنك، وفعلت هذا طوال هذه السنوات. أدركت كم كان كل ذلك جيداً. لكن اعتقدت أنك ضعتِ، بالرغم من أني اعتقدت في بعض الأحيان أنني ضعت. لكن لم تكوني ضائعة. مشيت على طريق النهار. وسرت معي بشكل غير مرئي ووجهتني خطوة خطوة، واضعة القطع معاً بحيث يصبح لها معنى".

أبعدتِ ما فكرتُ بالتمسك به، وأعطيتني حيث لم أكن أتوقع أي شيء، ومراراً وتكراراً، أحدثتِ قَدَرَاً من أماكن جديدة وغير متوقعة. حيث أزرع، تسلبينني المحصول، وحيث لا أزرع، تمنحينني الثمار مئة ضعف. ومراراً وتكراراً، فقدتُ طريقي ووجدته مرة أخرى حيث لا أتوقع ذلك. عززتِ إيماني، عندما كنت وحيداً وقريباً من اليأس. تركتني أؤمن بذاتي في كل لحظة حاسمة".

كتائه متعب لم يبحث في هذا العالم عن شيء منفصل سواها، سوف أقترب أكثر من روحي. سوف أتعلّم أن روحي توجد خلف كل شيء، وإن عبرتُ هذا العالم، فأنا أعبره لإيجاد روحي بنهاية المطاف. حتى أحبائي، ليسوا بحدّ ذاتهم هدفاً ولا نهاية للحب المستمر بالبحث، إنهم رموز لأرواحهم الخاصة.

هل تحزرون يا أصدقائي، إلى أي عزلة نصعد؟

عليّ أن أتعلّم أن رواسب تفكيري وأحلامي، هي كلام روحي. علي أن أحمله في قلبي، وأعود إليه ذهاباً وإياباً في عقلي، ككلمات أعزّ الناس علي. الأحلام هي الكلمات الموجّهة للروح. لماذا لا أحب أحلامي من الآن فصاعداً، وأجعل من صورها المنهمرة، مواضيع تفكيري اليومية؟ أنتم تعتقدون أن الحلم أحمق وسَمج. ما هو الجميل؟ ما هو السمج؟ ما هو الذكي وما هو الأحمق؟ روح هذا الزمن هو مقياسك، لكن روح الأعماق يتفوّق في كلا الاتجاهين. روح هذا الزمن فقط، يعرف الفرق ما بين الكبير والصغير، لكن هذا الفرق غير موجود، كما الروح الذي يدركه.

علّمني روح الأعماق أن أعتبر أن تصرفاتي وقراراتي تعتمد على الأحلام. ترصف الأحلام طريق الحياة، وتحدد طريقك دون أن تفهم لغتها[313]. يرغب المرء بتعلّم هذه اللغة، لكن من يستطيع أن يتعلمها ويعلّمها؟ العملية البحثية

---

[313] في العام 1912، أيد يونغ فكرة (مايدر) عن الوظيفة المستقبلية للحلم. وقال يونغ في مناقشة تمت في النادي السيكولوجي للتحليل النفسي في 31 كانون الثاني – يناير من العام 1913: "الحلم ليس فقط تحقيقاً لرغبة طفولية، بل هو أيضاً ترميز للمستقبل..... يزودنا الحلم بإجابات من خلال الرمز الذي على المرء فهمه".

وحدها غير كافية، هناك معرفة في القلب تمنح بصيرة أعمق[314]. المعرفة الموجودة في القلب، ليست في كتاب، ولا ينطقها فم أي مدرّس، لكنها تخرج منك كالبذرة الخضراء من الأرض العاتمة. تنتمي العملية البحثية إلى روح هذا الزمن، لكن هذا الروح لا يملك طريقة لفهم الحلم، بما أن "الروح" موجودة في كل مكان لا توجد فيه المعرفة البحثية.

لكن كيف أستطيع الوصول إلى معرفة القلب؟ يمكنك تحقيق هذه المعرفة فقط من خلال عيش حياتك للحد الأقصى. أنت تعيش حياتك بالحد الأقصى فقط، عندما تعيش ما لم تعشه حتى الآن، لكنك تركت للآخرين العيش والتفكير[315]. سوف تقول: "لكني لا أستطيع أن أعيش أو أفكر بكل ما يعيشه الآخرون ويفكرون به". لكن يجب عليك أن تقول" "الحياة التي لازلتُ أستطيع عيشها، يجب أن أعيشها، والأفكار التي لازال بمقدوري أن أفكر بها، عليّ أن أفكر بها". يبدو كما لو أنك تريد الهروب من ذاتك حتى لا تضطر لعيش ما بقي غير معيش حتى الآن[316]. لكن لا يمكنك الهروب من ذاتك. هي معك طوال الوقت، وتطلب الإنجاز. إن تظاهرت بأنك أعمى وأبكم عن هذه المطالب، فتظاهرْ بأنك أعمى وأصمّ أمام نفسك. لن تصل إلى المعرفة التي بقلبك عبر هذه الطريقة.

المعرفة التي بقلبك هي كيف يكون قلبك.
ستعرف المكر من القلب الماكر.
ستعرف الخير من القلب الخير.

---

[314] هذا تكرار لتصريح (بليز باسكال) الشهير: "للقلب مبرراته التي لا يعرف عنها العقل شيئاً"، نسخة يونغ من كتاب باسكال، تحتوي على عدد من الملاحظات الهامشية.

[315] في العام 1912، ناقش يونغ بأن العملية البحثية كانت غير كافية إن أراد المرء أن يصبح "عارفاً بروح الإنسان". للقيام بذلك، على المرء أن "يعلّق العلم الصرف ويبعد ثوب الباحث، ويودّع مكتبته ويهيم بقلب الإنسان عبر العالم، عبر الخوف من السجون، ومصحات المجانين والمستشفيات، عبر مومسات الحانات في الضواحي، وفي أوكار القمار والدعارة، عبر صالونات المجتمع الأنيق، البورصات، اللقاءات الاجتماعية، الكنائس، الانتعاش والنشوة للفرق أو الطوائف، عليه اختبار الحب، الكراهية والشغف بكل شكل له وبجسد المرء نفسه" (المؤلفات الكاملة: طرق جديدة للسيكولوجيا).

[316] في العام 1931، علّق يونغ على العواقب المَرَضيّة للحياة غير المعيشة للأهل على أطفالهم: "ما له أشد تأثير نفسي على الطفل هو الحياة التي لم يعشها الأهل.

بهذا الشكل يصبح فهمك مثالياً، افترضْ أن قلبك خيّر وشيطاني معاً. تسأل: "ماذا؟ هل عليّ أن أعيش حالة الشرّ؟"

يطلب روح الأعماق: "الحياة التي لا زلت تستطيع عيشها، عشها. الرفاه يقرر، ليس رفاهك، وليس رفاه الآخرين، بل الرفاه وحسب".

الرفاه هو بيني وبين الآخرين في المجتمع، أنا أيضاً، عشت ما لم أعشه من قبل، وعشت ما لازلت أستطيع عيشه. عشت في الأعماق، وبدأت الأعماق بالكلام. علمتني الأعماق الحقيقة الأخرى. وبهذا وحّدت الأمرين، الهامّ والهراء في داخلي.

كان عليّ إدراك أني مجرد تعبير للروح ورمز لها. بمنطق روحِ الأعماق، أنا كما أنا في هذا العالم المرئي، ورمز لروحي، وأنا تابع تماما، مقهور تماماً، ومطيع بالكامل. علمني روح الأعماق أن أقول: "أنا خادم طفلة". عبر هذا القول المأثور، تعلمت قبل كل شيء، التواضع الأكثر تطرّفاً، الأمر الذي أنا بأشدّ الحاجة له.

سمح لي روح هذا الزمن بالطبع، أن أؤمن بعقلي. تركني أرى نفسي بصورة القائد بأفكار ناضجة. لكن روح الأعماق علمني أنني خادم، في الواقع، خادم طفلة. هذا القول المأثور كان بغيضاً بالنسبة لي وكرهته. لكن كان عليّ أن أدرك بأن روحي هي طفلة وأن الله في داخل روحي هو طفل وأتقبّله[317].

إن كنتم فتياناً، فإلهكم امرأة
إن كنتنّ نساء فإلهكنّ صبّي.

---

[317] في سمينار عام 1925، شرح يونغ أفكاره في ذلك الوقت: " تلك الأفكار عن القرين والقرينة قادتني أبعد نحو مشاكل ميتافيزيقية، وأشياء كثيرة تسللت إلي من أجل إعادة اختبارها. كنت أتبع في ذلك الوقت فلسفة (كانط) وكانت هناك أشياء ليس بالإمكان حلها، وبناء عليه لا يمكن تخمينها، لكن بدا لي أنه إن استطعت إيجاد أفكار واضحة حول القرينة، فمن الجدير بالاهتمام تماماً محاولة صياغة مفهوم عن الله. لكن لم يكن باستطاعتي الوصول إلى شيء مُرضٍ واعتقدت لبعض الوقت بأن شخصية القرينة هي الإله. قلت في نفسي: ربما كان للرجال آلهة إناث أصلاً، ولكونهم سئموا من كونهم محكومين من النساء، قاموا بإسقاط هذه الآلهة. ألقيتُ عملياً المشكلة الميتافيزيقية بكاملها في القرينة وتخيّلتُ أنها الروح المهيمنة على النفس. بهذه الطريقة دخلت في نقاش سيكولوجي مع ذاتي حول مشكلة الله." (كتاب: مقدمة إلى علم النفس التحليلي).

إن كنتم رجالاً فإلهكم عذراء.
يكون الأعلى بالشكل الذي لا تكون عليه أنت.
وهكذا: من الحكمة أن يكون للمرء إله، يساعد هذا على تحقيق كمالك.
العذراء هي المستقبل الحامل.
الصبي هو المستقبل الزارع.
المرأة هي: حدوث الولادة
الرجل هو: حدوث الزرع.
إذن: إن كنتم كائنات تشبه الأطفال الآن، فإلهكم سينزل من أعالي النضج إلى التقدم بالعمر والموت.
لكن إن كنتم كائنات متطورة، وقد زرعتم أو أنجبتنّ، في الجسد أو الروح، فإن إلهكم يرتقي من المهد المتألق، إلى سمو المستقبل الذي لا يقدّر، إلى نضج الزمن القادم وكماله.
من لا تزال الحياة أمامه يكون طفلاً.
من يعش الحياة في الحاضر، فهو متطور.
إن عشت الحياة بكل ما تستطيع، فأنت متطور.
من يكن طفلاً في هذا الوقت، فإلهه يموت.
من يتطور في هذا الوقت، فإلهه مستمر بالعيش.
يُعلّمُ روح الأعماق هذا اللغز.
المزدهر والحزين هو ذلك الذي يتطوّر إلهه!
المزدهر والحزين هو الذي إلهه لا يزال طفلاً!
ما الأفضل، أن يكون للإنسان حياة أمامه، أم أن يكون للأعلى حياة أمامه؟
أنا لا أعرف جواباً. عش، وما لا يمكن تجنّبه سيتخذ القرار

علمني روح الأعماق أن حياتي محاطة بالطفل السماوي[318].
يأتيني من يديه كل ما هو غير متوقع، كل شيء حي.
هذا الطفل هو ما أشعر به، يبثّ الشباب بي إلى الأبد[319].
في الرجال الطفوليين، تشعر بالأمور العرضية الميئوس منها. كل ما رأيته يمر، لم يصل بعد إليه. مستقبله مليء بالأمور العرضية.
لكن الأمور العرضية التي تأتي نحوك، لم تختبر المعنى الإنساني حتى الآن. استمرارك بالعيش هو عيشٌ نحو الأمام. تزرع وتلد ما سيأتي، أنت خصب، وتعيش متقدماً نحو الأمام.
الطفولي لا ينجز شيئاً، ما سيأتيه هو ما وُلِدَ سلفاً وما ذبل سلفاً. هو لا يعيش متقدماً للأمام[320].

إلهي طفل، لذلك لا عجب بأن روح هذا الزمن في داخلي، مليء بالسخط والسخرية. ليس هناك من شخص سيهزأ بي أكثر مما هزئت من نفسي.

لا يجب أن يكون مخلّصك رجل سخرية، بل كن أنت نفسك رجل السخرية. عليك أن تسخر من نفسك وأن ترتقي فوق هذا. إن كنت لم تتعلم هذا من الكتب المقدسة القديمة، فاذهبْ إلى هناك واشرب الدم وتناول جسده الذي تعرّض للسخرية[321] والعذاب من

---

[318] في العام 1940، قدم يونغ دراسة عن فكرة الطفل السماوي، بالتعاون مع الكلاسيكي الهنغاري (كارل كيريني) (انظر كتاب سيكولوجيا نموذج الطفل البدني). كتب يونغ أن فكرة الطفل تظهر بشكل متكرر في العملية التفرّدية. لا تمثل طفولة الشخص الحرفية، حيث يتم التركيز عليها بطبيعتها المثيولوجية. إنها تعوض عن أحادية الجانب للوعي، وتمهد الطريق لتطور مستقبلي للشخصية. في بعض حالات النزاع، تنتج النفس اللاواعية رمز يوحّد المتضادات. الطفل هو أحد هذه الرموز. إنه يسبق الذات التي يتم إنتاجها من خلال تركيبة العناصر الواعية واللاوعية للشخصية. المصائر النموذجية التي تصيب الطفل، تشير إلى نوع الأحداث النفسية المرافقة لنشأة الذات. الميلاد الرائع للطفل، يشير إلى أن هذا يحدث نفسياً وليس جسدياً.

[319] كتب يونغ في العام 1940: "الجانب الأساسي لفكرة الطفل هو ميزاته المستقبلية. الطفل هو مستقبل محتمل". (سيكولوجيا نموذج الطفل البدني، الأعمال الكاملة 9 – 1)

[320] يتابع في المسودة: "أصدقائي، كما ترون، تُعطى الرحمة للمتطور، وليس للطفولي. أشكر الله على هذه الرسالة. لا تدعوا التعاليم المسيحية تخدعكم! إن تعاليمها جيدة للعقول الناضجة من الزمن المنصرم. وهي تخدم الآن العقول غير الناضجة. لم تعد المسيحية تعدنا بالنعمة، ولازلنا نحتاج الرحمة. ما أقوله لكم هو الطريق لما هو آت، طريقي إلى الرحمة". الصفحة 27

[321] كتاب "رمزية التحوّل في القدّاس" (النشور 1942، الأعمال الكاملة 11)

أجل خطايانا، بحيث تصبح طبيعته بالكامل، انكره تماماً أنه منفصل عنك، يجب أن تكون إياه ذاته، ليس "المسيحيون" بل "المسيح" وإلا فلن تكون مفيداً للأعلى القادم.

هل هناك بينكم، من يؤمن بأن باستطاعته أن يتجنّب الطريق؟ هل يمكنه الاحتيال وعدم الخضوع لآلام المسيح؟ أنا أقول: "شخص كهذا يخدع نفسه، ويشكل ضرراً لنفسه. ينام على الأشواك والنار. ليس هناك من شخص يستطيع تجنّب طريق المسيح، طالما أن هذا الطريق يقود لما هو آت. على كل شخص منكم أن يكون "مسيحاً"[322].

أنت لا تتغلّب على التعاليم القديمة عبر قيامك بما هو أقل، بل عبر بذل جهد أكبر. كل خطوة أقترب بها من روحي، تثير الضحك الساخر لشياطيني، أولئك الهامسين ومازجي السموم. لقد كان من السهل عليهم أن يضحكوا بما أني كنت أقوم بأمور غريبة.

[322] في بحث "إجابة على العمل" كتب يونغ: "من خلال إقامة الشخص الثالث المقدس في الإنسان، تحديداً الروح القدس، يصبح الكثير من الناس مسيحيين". (الأعمال الكاملة 2)

الفصل الثالث:

عن خدمة الروح

[323]في الليلة التالية، كان علي تدوين جميع الأحلام التي أستطيع تذكرها، بحسب ما وردت به ودون أي تغيير[324]. كان معنى هذا التصرّف غامضاً بالنسبة لي. لماذا كل هذا؟ سامحيني على هذا الهيجان الذي ظهر بداخلي. مع ذلك تريدينني أن أقوم بذلك. ما هذه الأمور الغريبة التي تحدث معي؟ أعرف تماماً أن عليّ ألا أنظر إلى الجسور المتأرجحة التي أعبرها. إلى أين تقودينني؟ اعذريني على الإدراك المفرط والمعرفة الفائضة. تتردد قدماي باللحاق بكِ. إلى أيّ غشاوة وأي ظلمة يقودني طريقكِ؟ هل عليّ أيضاً تعلّم القيام بما لا معنى له؟ إن كان هذا ما تطلبينه، فليكن ذلك. تعود هذه الساعة لكِ. ماذا هناك، حيث ليس هناك أي معنى؟ يبدو لي مجرّد جنون أو هراء. هل هناك أيضاً معنى فائق؟ هل هو معناكِ يا روحي؟ أعرجُ خلفك على عكازين من الفهم. أنا إنسان وأنتِ تسيرين مثل الأعلى. يا له من تعذيب! عليّ العودة إلى ذاتي، إلى أموري الأقل أهمية. أرى

---

[323] في 15 تشرين الثاني - نوفمبر من عام 1913

[324] في الكتاب الأسود الثاني، كتب يونغ الحلمين المحوريين اللذين حلم بهما عندما كان في التاسعة عشرة من عمره، واللذين جعلاه يتحول إلى علم الطبيعة، وهما موصّفان في كتاب الذكريات، صفحة 105.

أشياء روحي صغيرة، صغيرة بشكل يُرثى له. أنتِ تجبريني على رؤيتها كبيرة، وجعلها كبيرة. هل هذا هدفكِ؟ أنا أتبعكِ، لكن ذلك يرهبني. اسمعي شكوكي، وإلا، فلا يمكنني أن أتبعكِ، بما أن معناكِ معنى فائق، وخطواتك خطوات الأعلى.

أنا أفهم، وليس علي التفكير أيضاً، هل يجب أن يُلغى التفكير أيضاً؟ عليّ أن أمنح نفسي بالكامل بين يديكِ – لكن من أنتِ؟ ألا أثق أبداً؟ هل هذا حبي لك وفرحي بك؟ ألم أثق بكل رجل شجاع، وليس بك أنت يا روحي؟ تضعين يديك الثقيلتين عليّ، لكني سأفعل وسأفعل. ألم أسعَ إلى حبّ الناس والثقة بهم، أليس عليّ القيام بذلك معكِ؟ انسي شكوكي، أعرف أنه من الحقارة الشك بكِ. تعرفين كم هو صعب عليّ التخلي عن فخر المتسول الذي أشعر به حيال أفكاري. نسيت أنك واحدة من أصدقائي أيضاً، ولديك أول حق بنيل ثقتي. هل عليّ أن أعطيهم شيئاً ليس لك؟ أنا أدرك ظلمي. يبدو لي وكأني استخفيت بك. إن سعادتي بإيجادكِ مرة أخرى لم تكن أصيلة. أدرك أيضاً أن الضحك الساخر في داخلي كان صحيحاً.

علي أن أتعلّم أن أحبك[325]. هل عليّ أن أتخلى عن محاكمة الذات؟ أنا خائف. عندها تحدثتْ الروح معي وقالت: "هذا الخوف يشهد ضدي!" هذا صحيح أنه يشهد ضدكِ. إنه يقتل الثقة المقدسة بيني وبينك.

كم هوِ القَدَر صعب! إن قمت بخطوة نحو روحك، فسوف تفقد المعنى أولاً. سوف تؤمن بأنك تغطس بما لا معنى له، إلى الفوضى أبدية. ستكون على حق! لا شيء يحررك من الفوضى واللامعنى، بما أنها النصف الآخر من العالم.

---

[325] في الكتاب الأسود الثاني أشار يونغ: "هنا، يقف شخص إلى جانبي ويهمس في أذني أشياء مرعبة: "أنت تكتب، لتطبع الكتب وتنتشر بين الناس. تريد أن تسبب الإثارة من خلال ما ليس عادياً. فعل نيتشه ذلك بشكل أفضل منك. أنت تقلّد القديس أوغسطين". بالإشارة إلى كتاب "اعترافات" للقديس أوغسطين، وهو كتاب تعبّدي كتبه عندما كان في الخامسة والأربعين من العمر، وكان يروي فيها هدايته إلى المسيحية بطريقة السيرة ذاتية. كانت الاعترافات موجهة لله، كما أنها تروي سنوات من ارتحاله عن الله وطريقة عودته إليه. يشبه هذا الموضوع المقاطع الافتتاحية من (الكتاب الأحمر)، وقد وجّه يونغ الكلام لروحه، وسرد سنوات ابتعاده عنها، وأسلوب عودته إليها. في أعماله المنشورة، استشهد يونغ بشكل متكرر بأوغسطين، وأشار إلى "اعترافاته" عدة مرات، في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه".

إلهكَ طفل، طالما أنك لست شبيهاً بالأطفال. هل نظام الطفل معنى؟ أم الفوضى والنزوة؟ الفوضى واللامعنى هما والدة النظام والمعنى. النظام والمعنى هما الشيئان اللذان أصبحا، ولن يصبحا بعد الآن.

أنت تفتح بوابات الروح لتسمح لفيضان الفوضى القاتم بالتدفق إلى نظامك ومعناك. إن زوجت المنظّم من الفوضى، تُنتج الطفل الإلهي والمعنى الفائق، وراء المعنى واللامعنى.

هل تخشى فتح الباب؟ أنا كنتُ خائفاً أيضاً، بما أننا نسينا بأن الله مريع. علّمنا المسيح: الله محبة[326]. لكن يجب أن تعرف أن الحبّ مريع أيضاً.

تحدثت إلى الروح المُحِبّة، وبينما كنت أقترب منها، كنت تحت سيطرة الرعب، وبنيت جداراً من الشكّ، ولم أتوقع بهذا أني أردت حماية نفسي من روحي المخيفة.

أنت تخشى الأعماق، يجب أن تخيفك، بما أن الطريق لما هو آت، يمرّ عبرها. عليك أن تتحمل إغواء الخوف والشك، وفي الوقت نفسه، تعترف حتى العظم بأن خوفك مبرر وشكك منطقي. وإلا، كيف يمكن أن يكون إغواءً حقيقيا وتغلّبا حقيقيا؟

تغلّب المسيح بالكامل على إغواء الشيطان، وليس على إغواء الله بالخير والمنطق[327]. وهكذا خضع المسيح للعنة[328].

لا زال عليك أن تتعلم هذا، حتى لا تخضع للإغواء، بل لتفعل كل شيء بإرادتك الخاصة، عندها ستكون حراً وتتجاوز المسيحية.

---

[326] رسالة يوحنا الأولى: ""اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ"." رسالة يوحنا الرسول الأولى، الإصحاح 4: 16

[327] بقي المسيح خاضعاً لإغواء الشيطان طيلة أربعين يوماً أمضاها في الصحراء، (إنجيل لوقا، الإصحاح 4: 1-13).

328 إنجيل متى 21: 18 - 20 "وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ جَاعَ، فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ وَرَقًا فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا: «لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!». فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ. فَلَمَّا رَأَى التَّلاَمِيذُ ذلِكَ تَعَجَّبُوا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ؟. وفي العام 1944 كتب يونغ: "المسيحي – المسيحي بحسب رأيي – لا يعرف صيغ اللعنة، في الواقع، هو لا يجيز لعن شجرة التين البريئة من قِبَلِ الحاخام المسيح". (لماذا لم أعتمد الحقيقة الكاثوليكية؟) (الأعمال الكاملة 18).

كان عليّ إدراك أنه عليّ الخضوع لما أخشاه، نعم، والأكثر من ذلك، أن عليّ حتى أن أحبّ ما يرعبني. علينا أن نتعلّم هذا من القديسة التي شعرت بالاشمئزاز من وباء الطاعون، وشربت صديد حويصلات الطاعون وأدركت أن رائحته تشبه رائحة الورود. لم تكن تصرفات القديسة عبثاً[329].

أنت تعتمد على روحك بكل ما يتعلّق بخلاصك وحصولك على الرحمة. لذا، ليس هناك من تضحية لا يمكنك القيام بها. إذا عرقلتك فضائلك عن الخلاص، تخلّصْ منها، بما أنها أصبحت شريرة بالنسبة لك. يجد عبد الفضيلة الطريق ضيقة كما يجدها عبد الرذيلة[330].

إن كنت تؤمن أنك سيد روحك، فكن عبدها. إن كنت عبدها، فاجعل نفسك سيدها بما أنها تحتاج لأن تُحكَم. يجب أن تكون هذه خطواتك الأولى.

خلال ستة ليال لاحقة، كان روح الأعماق صامتاً في داخلي، منذ أن تأرجحتُ ما بين الَخوف والدفاع، وبين الاشمئزاز، وكان طريدة شغفي بشكل كامل. لم أستطع الاستماع للأعماق ولم أرغب بذلك. لكن في الليلة السابعة، كلمني روح الأعماق وقال: "انظر إلى أعماقك، صلِّ لأعماقك، أيقظ الموتى[331]".

لكني وقفت عاجزا ولم أعرف ماذا يمكنني أن أفعل. نظرت إلى نفسي، والشيء الوحيد الذي وجدته فيها، كان ذاكرة عن أحلام سابقة، دوّنتها كلها ولم أعرف ما الجدوى من ذلك. أردت التخلص من كل شيء والعودة إلى ضوء النهار. لكن الروح أوقفني وأجبرني على العودة إلى ذاتي.

---

[329] يتابع في المسودة: "ربما ساعدت هذه التصرفات على خلاصك". صفحة 34.

[330] في كتاب "هكذا تكلم زرادشت" كتب نيتشه: "حتى عندما يمتلك المرء الفضائل كلها، يبقى هناك شيء واحد ليتذكره: أن ترسل هذه الفضائل للنوم في الوقت المناسب". (عن فضيلة المسيح، صفحة 56). في عام 1939، علّق يونغ على الفكرة الشرقية حول التحرر من الفضائل والرذائل (تعليقات على "الكتاب التيبيتي حول التحرر العظيم" الأعمال الكاملة 11).

[331] في 22 تشرين الثاني - نوفمبر عام 1913 في الكتاب الأسود الثاني، هذه الجملة مكتوبة كالتالي: "يقول صوت" صفحة 22. وفي 21 تشرين الثاني - نوفمبر من عام 1913، قدم يونغ محاضرة لنادي زيورخ السيكولوجي بعنوان "صيغ حول سيكولوجيا اللاوعي."

الفصل الرابع:

الصحراء

[332]الليلة السادسة. تقودني روحي إلى الصحراء، إلى الصحراء الموجودة في ذاتي. لم أكن أعتقد أن روحي عبارة عن صحراء، صحراء قاحلة حارة، مليئة بالغبار ولا ماء فيها. تقودني الرحلة عبر رمال حارة، أخوضها ببطء دون هدف واضح آمل برؤيته. كم هي مخيفة هذه الأرض القاحلة. تبدو لي أن الطريق يقود بعيداً جداً عن البشرية. سِرتُ في طريقي خطوة تلو أخرى، ولا أعرف كم ستدوم رحلتي.

لماذا تكون ذاتي عبارة عن صحراء؟ هل عشتُ كثيراً خارج ذاتي بين البشر والأحداث؟ لماذا تجنّبتُ ذاتي؟ ألم أكن عزيزاً على ذاتي؟ لكني كنت أتجنبُ مكان روحي. كنتُ أفكاري، بعد أن توقفتُ عن كوني أحداثاً وبشراً آخرين. لكني لم أكن ذاتي في مواجهة أفكاري. عليّ أيضاً أن أرتقي فوق أفكاري إلى ذاتي. تمضي رحلتي إلى هناك، ولهذا تبعدني عن البشر والأحداث إلى العزلة. هل هي عزلة أن يكون المرء مع ذاته؟ تكون العزلة صحيحة فقط عندما تكون الذات صحراء[333]. هل عليّ أيضاً أن أكوّن حديقة من خلال الصحراء؟ هل عليّ أن أجعل أرضاً قاحلة، مأهولة؟ هل أفتحُ

[332] في 28 تشرين الثاني - نوفمبر من عام 1913.

[333] يتابع في الكتاب الأسود الثاني: "سمعت الكلمات: (الناسك في صحرائه). خطر ببالي الرهبان في الصحراء السورية"، صفحة 33.

حديقة البريّة السحرية الواسعة؟ ما الذي يقودني إلى الصحراء، وماذا سأفعل هناك؟ هل هو خداع لم أعد بسببه، أستطيع الثقة بأفكاري؟ الحياة وحدها الصحيحة، والحياة وحدها تقودني إلى الصحراء، بالفعل ليس تفكيري من يرغب بالعودة إلى الأفكار، إلى البشر والأحداث، بما أنه يشعر بالغربة في الصحراء. ماذا يجب أن أفعل هنا يا روحي؟ لكن روحي تحدثت معي وقالت: "انتظر". سمعت كلمة قاسية. ينتمي العذاب للصحراء[334].

عبرَ منحِ كل ما أستطيع منحه لروحي، وصلتُ إلى مكان الروح ووجدتُ أنَ هذا المكان كان صحراء حارة مهجورة وقاحلة. ليس هناك من ثقافة كافية في العقل لصنع حديقة من روحك. لقد قمتُ بحراثة روح هذا الزمن في داخلي، وليس روح الأعماق الذي يهتم بالأمور المتعلقة بالروح، بعالم الروح. للروح عالمها الخاص الغريب. والذات وحدها تدخل هناك، أو الإنسان الذي أصبح ذاته بالكامل، الذي لا يكون في البشر ولا في الأحداث ولا في أفكاره. من خلال إبعاد رغبتي عن الأشياء والبشر، أبعدتُ ذاتي عن الأشياء والبشر، وهكذا بالضبط أصبحتُ فريسة لأفكاري، نعم، أصبحتُ أفكاري بالكامل.

كان عليّ أيضاً فصل ذاتي عن أفكاري عبر إبعاد رغبتي عنها. وفي الحال، لاحظت أن ذاتي أصبحت صحراء، حيث اتقدت شمس الرغبة القلقة وحدها. كنت مرتبكاً بالقحط الذي لا نهاية له لهذه الصحراء. حتى لو استطاع شيء ما الازدهار هنا، فإن القوة الإبداعية للرغبة كانت لاتزال غائبة. أينما وُجِدَتْ القوة الإبداعية للرغبة، تنبت بذور التربة ذاتها. لكن لا تنسَ الانتظار. ألم ترَ أنه عندما تحوّلت قوة الإبداع لديك نحو العالم، كم من الأشياء الميتة تحركت تحته أو من خلاله، كيف نمت وازدهرت، وكيف تدفقت الأفكار كأنهار غامرة؟ إن تحولت قوتك

---

[334] يتابع في الكتاب الأسود الثاني: "فكرت بالمسيحية في الصحراء. فعلياً، ذهب أولئك القدماء إلى الصحراء. هل دخلوا أيضاً إلى ذواتهم الخاصة؟ وهل كانت ذواتهم قاحلة ومقفرة مثل ذاتي؟ هناك تصارعوا مع الشيطان. أنا أتصارع مع الانتظار. لا يبدو لي أقل عذاباً بما أنه جحيم حار بالفعل". صفحة 35.

الإبداعية إلى مكان الروح، فسوف ترى كيف تصبح روحك خضراء، وكيف تحمل حقولها ثماراً رائعة.

لا أحد يمكنه تجنب الانتظار، ويكون معظم الناس غير قادرين على تحمّل هذا العذاب، بل سوف يعيدون ذواتهم بجشعٍ إلى البشر والأشياء والأفكار، وسيكونون عبيدهم من تلك اللحظة فصاعداً. منذ تلك اللحظة، سيكون مؤكداً بشكل واضح أن هذا الشخص غير قادر على تحمّل ما وراء الأشياء والبشر والأفكار، وسيصبحون من هنا أسياده وسيكون هو تابعهم، بما أنه لا يستطيع التخلي عنهم، ولا حتى بعد أن تصبح روحه حقلاً مثمراً. أيضاً، من تكون روحه حديقة، يحتاج الأشياء والبشر والأفكار، لكنه يكون صديقاً لهم وليس عبدهم وتابعهم.

كل ما هو آتٍ، كان في الصور مسبقاً: سار القدماء في الصحراء لإيجاد أرواحهم[335]. هذه صورة. عاش القدماء رموزهم، بما أن العالم لم يكن قد أصبح واقعاً بالنسبة لهم. وهكذا دخلوا في عزلة في الصحراء ليُعلِمونا أن مكان النفس هو صحراء وحيدة. وجدوا هناك فائضاً من الرؤى، ثمار الصحراء، أزهار الروح الرائعة. فكّر بجهد بالصور التي تركها القدماء خلفهم. لقد أوضحوا لنا الطريق لما هو آت. انظر خلفك إلى انهيار الإمبراطوريات، إلى النمو والموت، إلى الصحراء والمعتزلات، إنها صور لما هو آت. كل شيء تم التكهّن به. لكن من يعرف كيفية تفسيره؟

عندما تقول إن مكان الروح غير موجود، فهو إذن غير موجود. لكن إنْ قلت إنه موجود، فسوف يصبح موجوداً. لاحظ ما قاله القدماء في الصور: الكلمة هي تصرّف خلّاق. قال القدماء: في البدء كانت الكلمة[336]. تأمل بهذا وفكّر به.

---

[335] حوالي العام 285 ميلادية، ذهب القديس أنطونيو للعيش كناسك في الصحراء المصرية، وتبعه نسّاك آخرون، وقام هو و (باشوميوس) بتنظيمهم في مجتمع. شكّل هذا الأمر الأساس للرهبانية المسيحية، التي امتدت إلى الصحراء الفلسطينية والسورية. في القرن الرابع، كان هناك آلاف الرهبان في الصحراء المصرية.

336 من إنجيل يوحنا: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ".

الكلمات التي تتذبذب ما بين الهراء والمعنى الفائق، هي الأقدم والأكثر صحّة.

التجربة في الصحراء

[337]بعد صراع مرير، وصلتُ إلى جزء من الطريق الأقرب إليكِ. كم كان ذلك الصراع قاسياً! وقعتُ تحت شجيرات الشكّ والتشوش والاحتقار. أدركتُ أن عليّ أن أكون وحدي مع روحي. أتيت إليك يا روحي بأيدٍ فارغة. ماذا تريدين أن تسمعي؟ لكن روحي تحدثت إلي وقالت: "إن أتيت لصديق فهل تأتي لتأخذ؟" عرفت أنه لا يفترض أن يكون الأمر بهذا الشكل، لكن يبدو لي أني فقير وفارغ. أرغب بالجلوس قربكِ والشعور على الأقل بأنفاس حضورك المنعش. طريقي رمال حارة. طوال اليوم، طرقات مغبرّة. يتضاءل صبري أحياناً، يئستُ من ذاتي كما تعلمين.

أجابت روحي وقالت: "أنت تتحدث معي كما لو أنك طفل يشتكي لوالدته. أنا لست والدتك". أنا لا أرغب بالشكوى، لكن دعيني أقلْ لك إن طريقي كان طويلاً ومغبراً. أنت بالنسبة لي كشجرة وارفة الظلال في البريّة. أودّ أن أستمع بظلك. لكن روحي أجابت: "أنت تسعى للمتعة. أين صبرك؟ لم يحن وقتك بعد. هل نسيت لماذا دخلت إلى الصحراء؟"

إيماني ضعيف، وجهي لا يُبصر بسبب الوميض الساطع الناتج عن شمس الصحراء. قلبي يُثقل عليّ كالرصاص. العطش يعذبني، لا أجرؤ على التفكير كم كان طريقي طويلاً ولا نهاية له، وقبل كل شيء، لم أر شيئاً أمامي. لكن الروح أجابتني: "أنت تتحدثُ كما لو أنك ما تعلمتَ شيئاً. ألا يمكنك الانتظار؟ هل يجب أن يقع كل شيء في حضنك ناضجاً وجاهزاً؟ أنت ممتلئ، نعم، أنت تعجّ بالأهداف والرغبات! —

[337] في 11 كانون الأول - ديسمبر من عام 1913.

ألا زلت غير عارفٍ بأن الطريق إلى الحقيقة يكون مفتوحاً فقط لأولئك الذين لا هدف لديهم؟"

أعرف كل ما تقولينه يا روحي، هو تفكيري أيضاً. لكني لا أعيش وفقاً له. قالت الروح: "قل لي كيف تعتقد إذن أن أفكارك ستساعدك؟" أرغبُ دائماً بالإشارة إلى حقيقة أني إنسان، مجرد إنسان ضعيف، ولا يقدم أفضل ما لديه في بعض الأحيان. لكن الروح قالت: "هل هذا ما تعتقد ما يعنيه أنك أنسان؟" أنتِ قاسية يا روحي، لكنكِ على حق. كم ما زلنا نلتزم بعيش القليل من الحياة. يجب أن نكبر مثل الشجرة التي لا تعرف قانونها. نقيد ذواتنا بالأهداف، غير منتبهين لحقيقة أن الهدف عبارة عن حدود، نعم، استبعاد للحياة. نحن نؤمن أن باستطاعتنا إضاءة الظلمة من خلال هدف، وبتلك الطريقة يسبق الهدف الضوء[338]. كيف لنا أن نفترض بأننا نعرف مسبقاً من أين سيأتي الضوء إلينا؟

دعيني أقدّم لك شكوى واحدة: أنا أعاني من الاحتقار، احتقاري لذاتي. لكن روحي قالت لي: "هل تقلّل من قدر نفسك؟" أنا لا أعتقد ذلك. أجابت روحي: "اسمعْ إذن، هل تقلّل من قيمتي؟ هل لازلت لا تعرف أنك لا تكتب كتاباً لتغذية غرورك، بل تتحدث معي؟ كيف لك أن تعاني من الاحتقار إن كنت توجّه لي تلك الكلمات التي أعطيها لك؟ هل تعرف إذن، من أنا؟ هل استوعبتني، هل عرّفتني وجعلتَ مني صيغة ميتة؟ هل قِستَ أعماق هاوياتي، واستكشفتَ جميع الطرقات التي لازلتُ أقودك فيها؟ لا يمكن للاحتقار أن يتحدّاك إن لم تكن فارغاً حتى النخاع". صراحتك قاسية. أريد أن ألقي بغروري أمامك بما أنه يعميني. أترين، لهذا اعتقدت أن يديّ فارغتان عندما جئتُ إليك اليوم. لم أعتبر

[338] في تعليق على كتاب "سر الزهرة الذهبية" الصادر عام 1929، انتقد يونغ النزعة الغربية لتحويل كل شيء إلى وسائل وأهداف. إن الدرس الرئيسي، كما تم تقديمه بالنصوص الصينية ومن خلال ميستر إكهارت، كان بالسماح للأحداث النفسية بالحدوث على طريقتها: "ترك الأمور تحدث من خلال اللافعل، ترك الذات على سجيتها". إن ميستر إيكهارت، أصبح بالنسبة لي، المفتاح الذي نجح بفتح الباب المؤدي إلى الطريق: على المرء أن يكون قادراً نفسياً على ترك الأمور تحدث".

أنكِ أنتِ من تملأين الأيدي الفارغة إن أرادت أن تمتد، مع أنها لا تريدُ بذلك. لم أعرف أنني وعاؤكِ، فارغٌ من دونكِ، لكنه يطفح بك.

كانت تلك ليلتي الخامسة والعشرين في الصحراء. احتاجت روحي إلى كل هذا الوقت، للاستيقاظ من حالة كينونة مظلمة إلى حياة خاصة بها، إلى أن استطاعت مقاربتي ككيان حرّ منفصل عني. تلقّيتُ منها كلمات قاسية لكنها مفيدة. احتجتُ لأن تمسك بيدي بما أنني لم أستطع التغلّب على الاحتقار في داخلي.

يعتبر روح هذا الزمن نفسه ذكياً بإفراط، مثل كل روح لزمن. لكن الحكمة ساذجة وليست بسيطة وحسب. لهذا يسخر الإنسان الذكي من الحكمة بما أن السخرية سلاحه. يستخدم سلاحاً سامّاً مدبباً، لأنه يُصدم بالحكمة الساذجة. إن لم يُصدم، فلن يحتاج إلى السلاح. في الصحراء فقط، نصبح مدركين لسذاجتنا المرعبة، لكننا نخاف الاعتراف بها. "لهذا نكون مُحتَقَرين. لكن السخرية لا تحقق السذاجة. تقع السخرية على الساخر، وفي الصحراء، حيث لا أحد يسمع ويجيب، يختنقُ باحتقاره الخاص.

كلما كنتَ أكثر ذكاءً، تكون سذاجتك أكثر غباءً. الأذكياء تماماً هم الأغبياء بالكامل في سذاجتهم. لا نستطيع حماية أنفسنا من ذكاء روح هذا الزمن من خلال زيادة ذكائنا، بل من خلال قبول أكثر ما يكرهه ذكاؤنا، أي السذاجة. ومع ذلك، نحن لا نريد أن نكون أغبياء مزيفين لأننا نسقط في السذاجة، بدل من أن نكون أغبياء أذكياء. هذا يؤدي إلى المعنى الفائق. يضاعف الذكاء ذاته بالهدف. السذاجة لا تعرف هدفاً. يحتل الذكاء العالم، لكن السذاجة تحتل الروح. لذلك تبنّى فقر روح هذا الزمن بغية المشاركة في الروح[339].

---

[339] وعظ المسيح: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ". (إنجيل متى 5: 3). في بعض المجتمعات المسيحية. ينذر بعض الناس الفقر. وفي عام 1934 كتب يونغ: "تماماً كما في المسيحية، النذر بالفقر الدنيوي، أبعد العقل عن ثروات هذه الأرض، كذلك يسعى الفقر الروحي لنبذ الغنى الزائف

مقابل هذا ظهر احتقار الذكاء[340]. سيهزأ العديدون بغبائي. لكن ما من أحد سيهزأ بي أكثر مما هزئت بنفسي.

هكذا تغلّبتُ على الازدراء. لكن عندما تغلّبتُ عليه، كنتُ قريباً من روحي، واستطاعتْ التحدث إلي، وكنت قريباً من رؤية الصحراء وهي تتحول إلى اللون خضراء.

للروح، من أجل أن ينسحب ليس فقط من البقايا المؤسفة – الذين يدعون أنفسهم اليوم "الكنائس البروتستانتية" – للماضيْ العظيم، لكن أيضاً من كل مغريات الروائح الغريبة، من أجل العودة أخيراً إلى ذاتها، حيث في الضوء البارد للوعي، يصل العقم الفارغ للعالم حتى إلى النجوم نفسها".

[340] يتابع في المسودة: "هذه أيضاً، صورة للقدماء، الذين عاشوا في الأشياء رمزياً: تخلوا عن الثروة من أجل المشاركة بالفقر الطوعي لأرواحهم. وهكذا اضطررت إلى أن أمنح لروحي الفقر والحاجة في حدّها الأقصى. وانبثق احتقار ذكائي في مواجهة ذلك".

الفصل الخامس:

النزول إلى الجحيم في المستقبل

[341]في الليلة التالية، كان الهواء مليئاً بأصوات متنوعة. قال صوت مرتفع: "أنا أسقط". وأثناء ذلك ظهرت أصوات أخرى وصرخت في حالة تشوّش وحماس: إلى أين؟ ماذا تريد؟" هل عليّ أن أعهد بذاتي لهذا التشوش؟ ارتعشت. إنه عمق مرعب. هل تريد مني أن أترك ذاتي للصدفة، لجنون عتمتي الخاصة؟ إلى أين؟ إلى أين؟ أنت تسقط، وأريد السقوط معك كائناً من كنت.

فتح روح الأعماق عينيّ والتقطتُ ومضة للأشياء الداخلية، لعالم روحي المتغير المتعدد الأشكال.

أرى واجهة صخرة رمادية، أغطس قربها في الأعماق العظيمة[342]. أقف في تراب أسود يصل حتى كاحليّ في كهف مظلم. تزحف الخيالات فوقي.

---

[341] يتابع في الكتاب الأسود الثاني: "كانت المعركة اللاحقة معركة مع الاحتقار. رؤيةٌ سببت لي ثلاث ليال من عدم النوم وثلاثة أيام من العذاب، جعلتني أشبه غوتفريد كيللر، الصيدلاني من تشاموني (من البداية إلى النهاية). أنا أعرف هذا النموذج وأعترف به. لقد تعلمت أن على المرء أن يعطي قلبه للناس، و يعطي عقله لروح الإنسانية، الله. عندها، يمكن لعمله أن يتجاوز الغرور، بما أنه ليس هناك عاهرة منافقة أكثر من العقل، عندما يحل محل القلب" صفحة 41. (غوتفريد كيللر (1819 – 1890) كاتب سويسري. إنظر:

Der Apotheker von Chamounix: Ein Buch Romanzen," in Gottfried Keller, Gesammelte Gedichte: Erzählungen aus dem Nachlass(Zürich: Artemis Verlag, 1984), pp. 351–417.

[342] يتابع في المسودة: "وقف أمامي قزم يرتدي ملاس جلدية، يعاين المدخل" صفحة 48.

يعتريني الخوف، لكني أعرف أن عليّ الدخول. أزحف عبر صدع ضيق في الصخر وأصل إلى كهف داخلي، يغطي قاعه ماء أسود. لكن لمحت وراء هذا حجراً لامعاً أحمر عليّ أن أصل إليه. خضت طريقي في ماء طيني. يمتلئ الكهف بأصوات صراخ مرعبة[343]. التقطت حجرا كان يغطي فتحة مظلمة في الصخرة. أمسكت الحجر بيدي، ونظرت حولي مستطلعاً. لم أكن أريد الإصغاء إلى الأصوات، إنها تُبقيني بعيداً[344]. لكني أريد أن أعرف. يوجد هنا شيء يريد أن يُقال. وضعت أذني على الفتحة. سمعت صوت تدفق ماء جوفي. رأيت على سطح الماء المتدفق المظلم، رأساً دامياً لرجل ذبيح، يطفو هناك. تشرّبت هذه الصورة لمدة طويلة، وفجأة. مرّ جُعلٌ أسود عملاق، طافياً أمامي على جدول الماء الأسود.

في أعمق مكان في مجرى الماء المتدفق، تسطع شمس حمراء مشعّة عبر الماء العاتم. وبينما يسيطر الرعب عليّ، رأيت فوق جدران الصخرة العاتمة، أفاعٍ صغيرة تكافح للوصول إلى الأعماق، حيث تسطع الشمس. تحتشد آلافُ الأفاعي في المكان وتحجب أشعة الشمس. هبط ليل عميق. انبثق نهر من الدم الكثيف الأحمر وتلاطم لفترة طويلة ومن ثم انحسر. أطبق الخوف عليّ، ما الذي رأيته[345]؟

---

[343] يتابع في المسودة المصححة: "لا بد من انتزاع الحجر، إنه حجر من الضوء الأحمر". وفي المسودة المصححة أيضاً: "إنه عبارة عن بلورة سداسية الأوجه، يعطي ضوءاً شاحباً أحمر". يشير ألبرشت ديتريتش إلى تمثيل العالم السفلي في كتاب الضفادع لأريستوفان (الذي اعتقد أنه من أصل أورفي) بوجود بحيرة ومكان مليء بالأفاعي (Nekyia: Beiträge zur Erklärung der neuentdeckten Petrusapokalypse[Leipzig: Teubner, 1893], p. 71). وضع يونغ خطاً تحت هذه المواضيع في نسخته. أشار ديتريتش إلى وصفه ثانية في الصفحة 83، التي وضع يونغ علامة على هامشها، ووضع خطاً تحت "الظلمة والطين". أشار ديتريتش أيضاً إلى تمثيل أورفي لجدول من الوحل في العالم السفلي، صفحة 81. في لائحة مراجعة في آخر نسخته، كتب يونغ "81، وحل".

[344] يتابع في الكتاب الأسود الثاني: "هذا الثقب المظلم – أريد أن أعرف إلى أين يقود وماذا يقول؟ هل هو وسيط روحي؟ هل هو مكان (بيثيا)؟" (صفحة 43).

[345] روى يونغ هذه الحكاية في سيمنار عام 1925 مشدداً على تفاصيل مختلفة. وعلّق قائلاً: " عندما خرجتُ من الأخيولة ادركتُ أن آليتي قد عملتْ بشكل رائع جداً، لكني كنت مشوشاً بشكل كبير بشأن معنى كل تلك الأشياء التي رأيتها. الضوء في الكهف من قطعة الكريستال كان باعتقادي حجر الحكمة. لم أستطع فهمَ قتلِ البطل. عرفت الخنفساء بالطبع، فهي رمز الشمس القديم، وغروب الشمس - القرص المنير الأحمر – وقد كان نموذجاً بدئياً. اعتقدت أن الأفاعي مرتبطة بمادة مصريّة. لم أستطع أن أدرك بعدها أنها كانت جميعها نماذج بدئية، لم يكن هناك حاجة للبحث عن الروابط. كنت

اشفي الجراح التي ألحقها الشكّ بي يا روحي. عليّ التغلّب على هذا الأمر أيضاً، كي أستطيع إدراك معناكِ الفائق. كم هو بعيد كل شيء، وكيف عدت! روح هذا الزمن هي روح العذاب، إنها تمزّق تأملي إرباً، إنها تفكك كل شيء وتمزّقه إرباً. لا زلتُ ضحية تفكيري. متى أستطيع إصدار الأمر له بالصمت، بحيث تزحف أفكاري، تلك الكلاب الجامحة، تحت قدميّ؟ كيف لي أن آملَ بسماع صوتكِ عالياً ورؤية وجهكِ واضحاً، بينما أفكاري كلها تعوي؟

أصابني الذهول، لكني أريد أن أكون مذهولاً، بما أنني أقسمتُ لك يا روحي، أن أثق بك حتى إن قدتني إلى الجنون. كيف لي أن أسير تحت شمسكِ، إن لم أرتشف جرعة النوم المريرة حتى الثمالة؟ ساعديني كي لا أختنق بمعرفتي التي يهددني الامتلاء بها بالانهيار. لديها آلاف الأصوات، جيش يزأر كالأسود، يرتجف الهواء عندما تتكلم، وأنا هناك ضحية مسالمة. ابقي علم هذا الذكي العارف[346] بعيداً عني، هذا السجّان السيئ الذي يقيد الروح ويسجنها في زنزانة مظلمة. لكن قبل كل شيء، احميني من أفعى الأحكام، التي تظهر فقط على شكل أفعى شافية، مع أنها في أعماقك سمّ لعين وموت معذّب. أودّ النزول إلى أعماقك طاهرا بملابس بيضاء، ولست مندفعا كلصّ، خاطفاً ما أستطيع وشاعراً باللهفة. دعيني أثابر بدهشة سماوية[347]، لأني مستعد لرؤية الأعاجيب. دعيني أتكئ برأسي على حجر أمام بابك لأني مستعدٌّ لتلقي نورك.

عندما تبدأ الصحراء بالإزهار، تطرح نباتات عجيبة. ستفترض نفسك مجنوناً، وبمعنى ما ستكون مجنوناً في الواقع[348]. تفتقد مسيحية هذه

قادراً على ربط الصور ببحرِ الدمِ الذي كنتُ قد تخيّلته سابقاً. رغم أنني لم أستطع فهم الدلالة المتعلقة بالبطل القتيل حينها، فقد انتابني بعدها بوقت قليل الحلم الذي قُتِلَ فيه (Siegfried) على يديّ. لقد كانتْ حالةَ تدميرِ مثالِ البطل المجسّد لجدارتي. كان يجب التضحية به من أجل القيام بتأقلم جديد، وهو باختصار مرتبط بالتضحية (بالوظيفة الفوقيّة) للوصول إلى الليبيدو اللازم لتنشيط (الوظائف الدونية).

[346] في المسودة المصححة: كلمة "علم" ممسوحة (صفحة 37).

[347] في المسودة المصححة: "بركة أكثر" حلّت محلها، صفحة 38،

[348] في المسودة المصححة: تم استبدال هذه الجملة بعبارة: "يكبر الجنون"، (صفحة 38).

الأيام الجنون بالمدى نفسه الذي تفتقد فيه الحياة الإلهية. انتبه لما علّمه القدماء لنا في الصور: الجنون الإلهي[349]. لكن لأن القدماء عاشوا هذه الصور بشكل ملموس في أحداث، فقد أصبحت خداعاً بالنسبة لنا، منذ أن أصبحنا سادة واقع هذا العالم. ما من شكّ في هذا الأمر: إن دخلتَ عالم الروح، فأنت تشبه المجنون، وسوف يعتبرك الطبيب مريضاً. ما أقوله هنا يمكن أن يُرى كحالة مَرَضية، لكن لا أحد يستطيع أن يراه حالة مرضية، أكثر مما أراه أنا.

هكذا تغلّبت على الجنون. إن لم تكن تعرف ما هو الجنون الإلهي، أجّلِ المحاكمة وانتظر الثمار[350]. لكن كن على علم بأن هناك جنوناً عُلْوِيّاً، وهو ليس إلا تغلّب روح الأعماق على روح هذا الزمن. تحدثْ حينها عن الوهم المَرَضي، عندما لا يعود روح الأعماق قادراً على البقاء في الأسفل ويجبر الإنسان على التحدث بلغات غريبة بدلاً من كلام البشر، وتجعله يصدّق أنه هو بذاته روح الأعماق. لكن تحدث أيضاً عن الوهم المَرَضي عندما لا يترك روح هذا الزمن الإنسان، ويجبره على رؤية الظاهر فقط، لينكرِ روح الأعماق ويسلّم نفسه إلى روح هذا الزمن. ليس روح هذا الزمن إلهيّاً، ولا روح الأعماق أيضاً، التوازن وحده هو الإلهي.

لأني حوصِرت في روح هذا الزمن، وبالتحديد، ما حدث معي في هذه الليلة، كان لا بدّ لهذا أن يحدث لي، بمعنى أن روح الأعماق ثار بقوة،

---

[349] عبارة "الجنون الإلهي" لها تاريخ طويل. أكثرها معرفة وموثوقية، كانت في بحث بعنوان "الجنون" لسقراط: "بشرط أن يأتي إلينا كهدية من السماء، إنه قناة نتلقى عبرها البركات العظيمة". لقد ميّز سقراط أربعة أنواع من الجنون الإلهي: (1) النبوءة المستوحاة، كالنبية في دلفي. (2) حالات معينة، عندما تثير الخطايا القديمة متاعب لدى الأفراد، حيث يتنبأ به أشخاص ويحرضون على الصلاة والعبادة. (3) الوقوع تحت سيطرة المُلهمات، بما أن الماهر من الناحية التقنية، والذي لا يلمسه جنون المُلهمات، لن يصبح شاعراً أبداً. (4) العاشق. في عصر النهضة، استُخدِمت عبارة "الجنون الإلهي" بسبب الأفلاطونيين الجدد من أمثال (مارسيليو فيسينو)، والإنسانيين مثل (إيراسموس). بحث إيراسموس مهم بشكل خاص، إذ دمج ما بين المسيحية والفهوم الأفلاطوني الكلاسيكي. بالنسبة لإيراسموس، كانت المسيحية النموذج الأرقى للجنون المستوحى.

[350] تطبيقاً لفكرة (وليام جيمس) حول القاعدة البراغماتية. قرأ يونغ كتاب جيمس "البراغماتية" في العام 1921، وكان له تأثير قوي على تفكيره. وأثناء تقديمه لمحاضرات في جامعة فوردهام، صرّح يونغ بأنه اتخذ القاعدة البراغماتية لجيمس، كمبدأ توجيهي.

وأبعد روح هذا الزمن بموجة هائلة. لكن روح الأعماق كان قد اكتسب هذه القوة، لأني تحدثتُ إلى روحي خلال خمس وعشرين ليلة في الصحراء، وأعطيتها كل حبي وطاعتي. لكني خلال خمسة وعشرين يوماً، منحتُ حبي وطاعتي كلها للأشياء والبشر، ولأفكار هذا الزمن. لم أذهب للصحراء سوى في الليل فقط.

وهكذا يمكنك تمييز الوهم المَرَضي عنِ الوهم الإلهي. ومن يفعّل أحدهما ولا يفعل الآخر، ربما يُسمّى مريضاً كونه يكون مختلّ التوازن.

لكن من يستطيع تحمّل الخوف عندما يأتيه الثمل والجنون السماويان؟ الحب والروح والأعلى، أشياء جميلة ومرعبة. جلب القدماء بعضاً من جمال اللّه إلى هذا العالم، وأصبح هذا العالم جميلاً جداً، بحيث ظهر لروح هذا الزمن على أنه إنجاز، وأفضل من حضن الألوهة. تبقى قسوة العالم ورعبه في أعماق قلوبنا طي الكتمان. إن أمسك بك روح الأعماق، فستشعر بالقسوة وتصرخ بعذاب. روح الأعماق حبلى بالنار والحديد والموت. أنت محق بخوفك من روح الأعماق، فهو مليء بالرعب.

سترى في تلك الأيام ما يحمله روح الأعماق. أنت لا تؤمن به، لكنك ستكون قد عرفته لو عملت بنصيحة خوفك[351].

شعّ الدم عليّ من ضوء الحجر الكريستالي الأحمر، وعندما التقطته لاستكشاف لغزه، ظهر الرعب مكشوفاً أمامي: تكمن جريمة قتل في أعماق ما هو آت. يتمدد بطل أشقر مذبوح. كانت الخنفساء السوداء هي

---

[351] يتابع في المسودة: "كان روح الأعماق غريباً جداً عني لدرجة احتجت فيها إلى خمس وعشرين ليلة لاستيعابه. وحتى عندها، كان لا يزال غريباً لدرجة لم أستطع فيها أن ارى ولا أن اسأل. كان عليه ان يأتي إليّ كغريب من مكان بعيد لم يسمع به إنسان. كان عليه الاتصال بي. لم أستطع مخاطبته أو معرفته أو تحديد طبيعته. أعلن عن نفسه بصوت عالٍ، كما في اضطراب الحرب في هذا الزمن، حيث تضجّ أصوات متعددة. انبثق روح هذا الزمن بداخلي ضد هذا الغريب، واطلق صرخة معركة موحدة مع أتباعه. سمعت صوت هذه المعركة تملأ الفضاء. وعندها اندفع روح الأعماق وقادني إلى الموقع الأعمق. لكنه قلّص روح هذا الزمن إلى قزم، وكان ذكياً وهانجاً مع انه قزم. أظهرت لي الرؤيا روح هذا الزمن مصنوعاً من جلد مضغوط بعضه فوق بعض، وذابلاً لا حياة فيه. لم يستطع منعي من دخول العالم السفلي المظلم لروح الأعماق. ولدهشتي، أدركت أن قدميّ غاصتا في الماء الطيني الموحل، لنهر الموت". وأضاف في المسودة المصححة عبارة: "لأن الموت كان هناك" (صفحة 41). كان لغز البلورة الحمراء اللامعة، وجهتي التالية.

الموت الضروري من أجل التجدّد، وبعد ذلك، توهّجت شمس جديدة، شمس الأعماق، المليئة بالألغاز، شمس الليل. وكما تنشّط شمس الربيع المشرقة الأرض الميتة، نشّطت شمس روح الأعماق الميت، وهكذا بدأ الصراع المرعب بين الضوء والظلام. وقد انبثق من خلال ذلك نبع الدم القوي الذي لا ينضب. كان هذا ما هو آت، الذي تختبره الآن في حياتك، بل هو أكثر من ذلك حتى. (ظهرت لي هذه الرؤيا في 12 كانون الأول – ديسمبر من عام 1913).

لا بدّ من اندماج السطح مع الأعماق لتستطيع حياة جديدة أن تتطور، رغم أن هذه الحياة الجديدة، لن تتطور خارجنا، بل داخلنا. إن ما يحدث خارجنا في هذه الأيام، هو الصورة التي يعيشها الناس في أحداث، لتوريثها على شكل صورة قديمة لأزمنة بعيدة قادمة، بحيث ربما يتعلمون منها، ليعيشوا طرقهم الخاصة، تماماً كما نتعلم نحن من الصور التي تركها القدماء لنا في أحداث.

لا تأتي الحياة من الأحداث، بل تأتي منا. كل ما يحدث في الخارج، موجود سلفاً.

وبالتالي، من يفكر بالحدث من الخارج، يرى أنه كان موجوداً دائماً، وكان نفسه دائماً. لكن من ينظر إلى الداخل، يعرف أن كل شيء جديد. الأحداث التي تحدث، هي نفسها دائماً. لكن أعماق الإنسان المبدعة ليست ذاتها دائماً. ليست الأحداث دلالة على شيء، إنها دلالة في داخلنا فقط. نحن نخلق المعنى من الأحداث. المعنى زائف وكان دائماً زائفاً. نحن من قام بتشكيله.

لهذا نحن نبحث في ذواتنا عن معنى الأحداث، بحيث يصبح طريق ما هو آت ظاهراً، ويمكن لحياتنا أن تتدفق مجدداً.

أياً كان ما تريده فهو يأتي من نفسك، وأعني بهذا معنى الحدث.

إن معنى الأحداث ليس معناها الخاص. يوجد المعنى الخاص في كتب تعلمتها. لكن ليس للأحداث معنى.

معنى الأحداث هو طريق الخلاص الذي خلقته أنت. يأتي معنى الأحداث من إمكانية الحياة التي تخلقها أنت في هذا العالم. إنها براعة هذا العالم، وإصرار روحك فيه.

معنى الأحداث هو المعنى الفائق، وهو ليس في الأحداث، وليس في الروح، بل في الله الواقف بين الأحداث والروح، إنه الوسيط في الحياة، الطريق، الجسر والعبور[352].

ما كنت سأصبح قادراً على رؤية ما سيأتي، لو لم أستطع رؤيته في ذاتي. لهذا شاركت في ذلك القتل، سطعت شمس الأعماق فيّ بعد إتمام عملية القتل، ظهرت آلاف الأفاعي التي تريد التهام الشمس في داخلي أيضاً. أنا نفسي القاتل والمقتول، المضحي والمضحى به[353]. تنبع أمواج الدم المتدفق مني.

جميعكم شركاء في القتل[354]. ستحدث فيكم إعادة الولادة من جديد، وستشرق شمس الأعماق، وستظهر آلاف الأفاعي من مادتكم الميتة وتغطي الشمس وتخنقها. سوف يتدفق دمك. يبين الناس هذا في الوقت الحاضر بتصرفات لا تُنسى، وستُكتَبُ بالدم في كتب لا تُنسى من أجل الذاكرة الأبدية[355].

لكني أسألك، متى يهجم البشر على إخوتهم بسلاح عظيم وتصرفات دموية؟ يقومون بذلك عندما لا يعرفون أنهم هم أنفسهم هؤلاء الأخوة. هم أنفسهم عبارة عن تضحياتهم، لكنهم بشكل متبادل، يقومون بخدمة التضحية. على كلٍ منهم أن يضحي بالآخر، طالما أن الوقت لم يحن، ليضع

---

[352] يتابع في المسودة: "روحي هي المعنى الفائق، صورتي عن الله، ليس الله بذاته ولا المعنى الفائق. أصبح الله ظاهراً في المعنى الفائق للمجتمع البشري". (صفحة 58).

[353] في بحث "رمزية التحوّل في القدّاس" الصادر عام 1942 علّق يونغ على فكرة مطابقة المضحي والمضحى به بإشارة خاصة إلى رؤاه حول (زوزيموس من بانابوليس)، الفيلسوف والخيميائي الطبيعي من القرن الثالث. وكتب يونغ: "ما أضحي به هو مطالبتي الأنانية، وبقيامي بهذا أتخلى عن نفسي. ولهذا، فإن كل تضحية هي تضحية بالذات، بأي درجة كانت". (الأعمال الكاملة 11).

[354] فصّل يونغ موضوع الذنب الجمعي في "ما بعد النكبة" (1945، الأعمال الكاملة 10).

[355] الإشارة هنا إلى أحداث الحرب العالمية الأولى. خريف عام 1914 (عندما كتب يونغ هذا القسم) رأى معركة "المارن" وأول معركة في "يبرس".

الإنسان السكين الدامية في ذاته، كي يضحي بالشخص الذي يقتله في أخيه. لكن من يقتل الناس؟ إنهم يقتلون النبيل والشجاع والبطل. يصوّبون على هؤلاء وهم غير مدركين أنهم يقصدون أنفسهم عبر هؤلاء. عليهم التضحية بالبطل في أنفسهم، ولأنهم لا يعرفون هذا، يقتلون أخاهم الشجاع.

لم يحن الوقت بعد. لكن يجب أن يحين من خلال هذه التضحية الدموية. طالما أنه من الممكن قتل الأخ بدلاً قتل المرء لذاته، فإن الوقت لم يحن. لا بدّ من حدوث أشياء مرعبة ليصل الناس إلى مرحلة النضج. ليس هناك من شيء آخر، يساعد على نضج البشرية. ومن هنا يُفترض بكل ما يحدث في هذه الأيام أن يحدث، ليفسح الطريق لقدوم التجديد. بما أن منابع الدم التي تتبع تغطية الشمس، هي أيضاً منابع الحياة الجديدة[356].

كما يتمثل مصير الناس لك في أحداث، يحدث كذلك في قلبك. إن ذُبح البطل فيك، فستشرق شمس الأعماق بداخلك، متوهجة من مكان بعيد مروّع. لكن رغم ذلك، إن كل ما يبدو ميتاً فيك حتى الآن، سيعود للحياة ويتحوّل إلى أفاعٍ سامة تغطي وجه الشمس، وستهوي في ليل مظلم وفي تشوّش. سيتدفق دمك من جراح عديدة تحظى بها من هذا الصراع المرعب. ستكون صدمتك وشكوكك عظيمين، لكن من خلال هذا ستولد حياة جديدة. الولادة دم وعذاب. ستعود عتمتك التي لم تكن تتوقع أنها كانت ميتة، مجدداً للحياة، وستشعر بانسحاق كامل للشرور، ولنزاعات الحياة التي لا تزال مدفونة في مادة جسدك. لكن الأفاعي هي الأفكار والمشاعر الشريرة المرعبة.

أتعتقد أنك تعرف تلك الهاوية؟ يا لك من ذكي! إن اختبارها أمر مختلف تماماً. سيحدث كل شيء معك. فكّر بكل تلك الأمور الشيطانية

---

[356] في محاضرته في المعهد الاتحادي السويسري للتكنولوجيا (ETH) في 14 حزيران - يونيو من العام 1935، علق يونغ (جزئياً في إشارة إلى هذه الأخيولة، التي أشار لها دون أن يذكر اسم من حلم بها): "فكرة الشمس ظهرت في عدة أماكن وأوقات، والمعنى كان دائماً ذاته – وهو الوعي الجديد الذي وُلِد. إنه إشعاع الضوء الذي يسقط في الفراغ. هذا حدث سكولوجي، ومصطلح "هلوسة" الطبي لا معنى لها في علم النفس. لعبت (الكاتاباسيس – وهي هبوط نموذج ما أو انحداره، كهبوط الشمس أو الرياح، النزول إلى العالم السفلي)، دوراً هاماً جداً في العصور الوسطى، وتخيل المعلمون حينها شروق الشمس في هذا (الكاتاباسيس) كما لو أنه ضوء جديد، أو جوهرة، أو اللازورد". (كتاب السيكولوجيا الحديثة).

المرعبة التي يُلحقها البشر بإخوتهم. يجب أن يحدث هذا الأمر معك، في قلبك. عانِ منه بنفسك وعلى يدك أنت، واعلم أنها يدك الشنيعة الشيطانية هي من تلحَق المعاناة بك، وليس أخوك من يتصارع مع شياطينه[357].

أريدكم أن تروا ما يعنيه البطل القتيل. هؤلاء الرجال المجهولون، والذين قتلوا أميراً في أيامنا هذه، هم أنبياء عميان، يثبتون في أحداث ما هو صالح فقط للروح[358]. سنتعلم عبر قتل الأمراء، أن الأمير في داخلنا، "البطل"، يتعرض للتهديد[359]. ينبغي ألا يُقلقنا ظهور هذا الأمر بشكله الجيد أم السيء. ما هوٍ مرعب الآن سيصبح جيداً بعد مئة سنة، وبعد مئتي سنة سيعود سيئاً مرة أخرى. لكن علينا فهم ما يحدث: هناك أشخاص مجهولون فيك، يهددون أميرك، الحاكم الوراثي.

لكن حاكمنا هو روح هذا الزمن، الذي يحكم ويقود كل شيء فينا. إنه الروح العامة التي نفكر اليومٍ من خلالها ونتصرف. لدى روح هذا الزمن قوة مخيفة، بما أنه جلب خيراً لا حدود له إلى هذا العالم، وسحر الناس بمتعة لا تُصدّق. إنه مرصّع بأكثر فضائل البطولة جمالاً، ويريد دفع الناس عالياً إلى المرتفعات الشمسية الأشد لمعاناً، في حالة من الصعود الأبدي[360].

يريد البطل فتح كل شيء ممكن. لكن روح الأعماق المجهول، يحرّض كل شيء لا يستطيع الإنسان تحريضه. يعيقُ العجزُ المزيدَ من الصعود.

---

[357] يتابع في المسودة: "أعرف يا أصدقائي أني أتحدث بالألغاز. لكن روح الأعماق منحني رؤية للكثير من الأمور ليساعد استيعابي الضعيف. أود إخباركم المزيد عن رؤاي بحيث تفهمون بشكل أفضل، أي الأشياء يريدك روح الأعماق أن تراها. أتمنى أن يصبح القادرون على رؤية هذه الأشياء بحال أفضل! ولا بدّ لغير القادرين على رؤيتها، أن يعيشوها بمصير أعمى، في صور" صفحة 61.

[358] في بحث "العلاقة ما بين الأنا واللاوعي في العام1927"، أشار يونغ إلى أن الجوانب الفوضوية المدمرة التي ظهرت في المجتمعات، قد سنّها أشخاص ينزعون إلى النبوة، من خلال جرائم كبيرة كقتل الملك، (الأعمال الكاملة 7).

[359] تكررت الاغتيالات السياسية في بداية القرن العشرين. الحدث الخاص المشار إليه هنا هو اغتيال (الأرشيدوق فرانتز فرديناند). وصف (مارتن جيلبيرت) هذا الحدث الذي لعب دوراً حدياً في الأحداث التي قادت إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى "بنقطة التحول في تاريخ القرن العشرين". (كتاب تاريخ القرن العشرين، المجلد الأول، وليام مورو، 1977).

[360] يتابع في المسودة: "عندما كنت أطمح إلى قوتي العالمية الأعلى، أرسل لي روح الأعماق أفكاراً ورؤى مجهولة، وأزال الطموح البطولي في داخلي كما يفهمه زمننا الحالي". الصفحة 62.

يتطلب السمو الأعظم، فضيلةً أعظم لا نمتلكها نحن. علينا خلقها في البداية، من خلال تعلم العيش مع عجزنا. علينا منحه الحياة، وإلا فكيف له أن يتطور إلى مقدرة؟

لا يمكننا قتلِ عجزنا والسمو فوقه. لكن هذا ما أردناه على وجه التحديد. سيتغلّب العجز علينا ويطالب بحصته من الحياة. سوف تهجرنا قدرتنا، وسوف نعتقد بأنها خسارة بحسب مفهوم روح هذا الزمن. إنها ليست خسارة بل ربحاً، كما أنها ليست ربحاً يتعلّق بالأمور الخارجية السطيحة، بل للمقدرة الداخلية على أية حال.

الإنسان الذي يتعلم العيش مع عجزه، يكون قد تعلّم الكثير. يقودنا هذا إلى تقدير الأمور الصغيرة والحدود الحكيمة التي تطلبها الذرا الأعلى. إن زالت البطولية، فسوف نسقط من جديد في التعاسة البشرية، وإلى ما هو أسوأ منها. ستعلق أساساتنا بالإثارة لأن توترنا الأعلى "الذي يخصّ ما يكمن خارجنا" سيهزّها. سنسقط في بالوعة عالمنا السفلي، بين أنقاض القرون الموجودة فينا كلها[361].

البطولية فيك هي حقيقة أنك مقود بفكرة أن هذا أو ذاك جيد، وأنه لا غِنى عن هذا التصرّف أو ذاك، أو أن علينا تحقيق هذا الهدف أو ذاك في سعي متهوّر، علينا قمع تلك السعادة أو تلك، من دون رحمة ومهما كلّف الأمر. وهكذا، أنت ترتكب خطيئة ضد عجزك. لكن العجز موجود. لا يجب إنكار ذلك أو البحث عن عيوبه أو إخراسه بالصراخ[362].

---

[361] يتابع في المسودة: "سينتعش كل شيء قد نسيناه، كل شغف إنساني وسماوي، الأفاعي السوداء وشمس الأعماق المتوهجة" (صفحة 64).

[362] في 9 حزيران - يونيو من العام 1917 كان هناك محاضرة حول سيكولوجية الحرب العالمية، في جمعية علم النفس التحليلي. لقد طرح يونغ فكرة: "نظرياً، من الممكن رفع الحرب العالمية إلى مستوى ذاتي. وبالتفصيل، يشتبك المبدأ الاستبدادي (القيام بالفعل على أساس المبادئ) مع المبدأ العاطفي. ويدخل اللاوعي الجمعي بحلف مع العاطفي". وبما يتعلق بالبطل قال: "البطل – الشخصية المحبوبة للناس، يجب أن تسقط. يُسقط جميع الأبطال أنفسهم عبر حمل المواقف البطولية خلف حدود معينة، وبهذا يفقدون مواطئ أقدامهم". إن التفسيرات السيكولوجية للحرب العالمية الأولى بالمستوى الذاتي، تشرح ما تطوّر في هذا الفصل. إن الاتصال ما بين السيكولوجيا الفردية والجمعية، التي يصفها هنا، تشكّل واحدة من الأفكار المهيمنة على أعماله اللاحقة، (الحاضر والمستقبل، 1957، الأعمال الكاملة 10).

الفصل السادس:

انفصال الروح

لكني صرخت في الليلة الرابعة: "الرحلة إلى الجحيم تعني أن يصبح المرء جحيماً بذاته[363]. كان هذا مشوشاً ومخيفاً ومتداخلاً. لم يكن على هذا الطريق الصحراوي رمل متوهج فقط، بل كان هناك كائنات مرعبة غير مرئية تعيش فيها. لم أكن أعرف ذلك. تبدو الصحراء خاوية، الطريق واضحاً ظاهرياً فقط، لأنها مأهولة كما يبدو، بكائنات سحرية تصلق نفسها بي وتغيّر شكلي بشكل شيطاني. من الواضح أني اتخذتُ هيئة وحشية بالكامل، لم أعد أستطيع التعرّف على نفسي. يبدو وكأنني اتخذت شكل حيوان مسخي استبدلت إنسانيتي به. يحيط بالطريق سحر جهنميّ، ألقى عليّ حبالاً غير مرئية وأوقعني في الشرك".

لكن روح الأعماق اقترب مني وقال: "انزلْ إلى أعماقك، اغطس!"

لكني كنت ساخطاً عليه فقلت: "كيف لي أن أغطس؟ لست قادراً على ذلك بنفسي".

نطق عبارة بدت سخيفة لي إذ قال: "اجلس، وكن هادئاً".

---

[363] في 16 كانون الأول - ديسمبر من عام 1913. قال نيتشه في كتاب "ما وراء الخير والشر": أي شخص يتصارع مع الوحوش، عليه الانتباه كي لا يصبح وحشاً أثناء هذه العملية. إن حدّقت طويلاً في الهاوية، فستحدّق الهاوية بك".

صرختُ بسخط: "كم هذا مخيف، يا له من هراء، هل تطلب هذا أيضاً مني؟ لقد أطحت بالآلهة القوية التي تعني الكثير لنا. أين أنت يا روحي؟ هل سلّمت نفسي لحيوان أحمق، هل أترنح كالمخمور إلى القبر، هل أتأتئ حماقات كالمختلين؟ هل هذا هو طريقك يا روحي؟ يغلي الدم بداخلي، وسوف أخنقك إن أمسكت بك. أنت تنسجين الظلمات الكثيفة، وأنا كالمجنون عالق في شباكك. لكني أتوق كي تعلميني".

لكن روحي تحدثت إلي قائلة: "طريقي هو النور".

ومع ذلك أجبت بسخط: "هل تطلقين اسم النور على ما نسميه نحن البشر ظلمة؟ هل تسمين الليل نهاراً؟"

ولهذا نطقت روحي كلمات رفعت من مستوى غضبي: "نوري ليس من هذا العالم".

صرختُ: "لا أعرف سوى هذا العالم".

أجابت الروح: "إن كنت لا تعرف عنه شيئاً فهل يعني ذلك أنه غير موجود؟" قلت أنا: "هل معرفتنا أيضاً لا تحمل الخير لك؟ ماذا تكون إذن إن لم تكن معرفة؟ أين الأمان؟ أين الأرض الصلبة؟ أين الضوء؟ ظلمتكِ ليست أشد عتمةً من الضوء فقط، بل لا قاع لها أيضاً. إن لم تكن معرفة، فربما ستتصرف من دون كلمات ولا خطابات؟"

روحي: "لا كلام".

أنا: "سامحيني، ربما من الصعب عليّ السمع، ربما أسأتُ فهمكِ، ربما أوقعتُ نفسي في شرك الخداع الذاتي والأعمال المشبوهة، وأنا عبارة عن وغد أبتسم لنفسي في المرآة، غبيّ في مصحتي الخاصة. ربما تعثرتِ بحماقتي".

روحي: "أنت تضللُ ذاتكَ ولا تضللني. أنت تكذبُ بكلماتك على ذاتك وليس عليّ".

أنا: "هل أتخبطُ في هراءٍ مستعر، وأُنجِبُ السخافة والرتابة المنحرفة؟"

روحي: من يعطيك الكلمات والأفكار؟ هل صغتها بنفسك؟ ألستَ أنتَ تابعي المتلقي، الذي يستلقي أمام بابي ويلتقطُ صدقتي؟ وتجرؤ على

التفكير بأن ما تبتكره وتقوله عبارة عن هراء؟ ألا تعرف حتى الآن أنه أتى مني ويعود إليّ؟"

صرخت بمنتهى الغضب: "لكن حينها، يكون سخطي آتٍ منك أيضاً، وأنت تسخطين بداخلي ضد نفسك". عندئذٍ قالت روحي كلمات غامضة: "تلك هي الحرب الأهلية"[364].

كنت متألماً وغاضباً فقلت لها: كم يؤلمني سماعك تتلفظين بكلمات جوفاء، أنا أشعر بالغثيان. إنها كوميديا وتفاهة — لكنني أتوق. أستطيع الزحف عبر الطين وأكثر التفاهات احتقاراً أيضاً. أستطيع أكل الغبار، هذا جزء من الجحيم. أنا لم أخضع، أنا جريء. تستطيعين الاستمرار بابتكار العذاب، وحوش بأرجل عنكبوت، مشاهد مسرحية مرعبة بشعة وسخيفة. اقتربي، أنا مستعد أيضاً. مستعد لأتصارع معك يا روحي، يا أيتها الشيطان. ارتديتِ قناع الله، وقد عبدتكِ. والآن ترتدين قناع شيطان مخيف، قناع التفاهة والرداءة الأبدية! أريد خدمة واحدة منك! اعطيني لحظة واحدة لأعود إلى الوراء وأنظر! هل الصراع مع هذا القناع يستحقّ العناء؟ هل يستحقّ قناع الله التبجيل؟ لا أستطيع القيام بذلك، تتقد الشهوة للمعركة في أطرافي. لا، لا أستطيع مغادرة ساحة المعركة مهزوماً. أريد الإمساك بك وسحقك، أيتها القردة البلهاء، الكارثة إن لم تكن العركة عادلة، وأمسكت يداي الهواء. لكن ضرباتك هي أيضاً هواء، أنا ألاحظ الخداع".

أجد نفسي مرة أخرى على طريق الصحراء. كانت رؤية صحراوية، رؤية عن عزلة تاهت بطرقات طويلة. يكمن هناك لصوص غير مرئيين، وقتلة ورماة سهام مسمومة. افترض أن سهماً قاتلاً أصاب قلبي؟

وكما تنبأت لي الرؤية الأولى، ظهر القاتل من الأعماق، وأتى إلي كما يظهر مصير الناس المجهول في هذه الأيام، وصوّب سلاح القتل نحو الأمير[365].

---

[364] في الكتاب الأسود الثاني: "هل أنت عُصابي؟ هل نحن عُصابيون؟" (صفحة 53).

شعرت بنفسي أتحول إلى وحش بشع. حملق قلبي بغضب ضد العالي والمحبوب، ضد أميري وبطلي، تماماً كشخص من عامة الناس يندفع نحو أميره العزيز، مقوداً بالجشع للقتل. لأني أحمل القاتل في داخلي، فقد تنبأت به[366].

لأني أحمل الحرب في داخلي فقد تنبأت بها. شعرت بأن ملكي خانني وكذب عليّ. لماذا شعرت هذا الشعور؟ لم يكن ملكي كما تمنيته أن يكون، كان مختلفاً عما توقعته. كان عليه أن يكون ملكاً بالمعنى الذي أعرفه وليس بالمعنى الذي يعرفه هو. يجب أن يكون ما أسميه أنا مثالياً. بدت روحي جوفاء لا طعم لها ولا معنى. لكن في الواقع، ما فكرت به عنها كان صالحاً لمثاليتي.

كانت رؤيا خاصة بالصحراء، تصارعتُ مع صوري المنعكسة في المرآة. كانت حرباً أهلية بداخلي. أنا نفسي كنت القاتل والقتيل. استقر السهم القاتل في قلبي، ولم أعرف ما يعنيه ذلك. كانت أفكاري عبارة عن قتل وخوف من موت، أفكارٌ انتشرت كالسمّ في كل مكان من جسدي.

وهكذا كان مصير الناس: كان مقتل شخص واحد هو السهم المسموم الذي طار إلى قلوب البشر وأوقد الحرب العنيفة. كانت جريمة القتل هذه عبارة عن سخط العجز مقابل الإرادة، خيانة يهوذا التي يرغب المرء بأن يرتكبها شخص آخر[367]. نحن لازلنا نبحث عن النعجة التي ستحمل خطايانا[368].

---

[365] انظر الهامش رقم 359 صفحة 162.

[366] يتابع في المسودة: "يا أصدقائي، لو عرفتم فقط ما هي أعماق المستقبل الذي تحملونه في دواخلكم! من ينظر إلى أعماقه الخاصة، يرى ما هو آت".

[367] يتابع في المسودة: "لكن كما كان ليهوذا رابط قوي بسلسلة العمل على الخلاص، كذلك خيانة يهوذا الخاص بنا، للبطل، هي أيضاً معبر ضروري للخلاص". في (كتاب تحولات الليبيدو ورموزه، 1912)، ناقش يونغ وجهة نظر (أبيه أويغر) في قصة (حديقة أبيقور، لكاتبها أناتول فرانس) الذي قال: إن الله قد اختار يهوذا كوسيلة لإتمام عمل المسيح بالخلاص، (الأعمال الكاملة).

[368] من الكتاب المقدس، سفر اللاويين: 16: 7 – 10: " وَيَأْخُذُ التَّيْسَيْنِ وَيُوقِفُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ . وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسَيْنِ قُرْعَتَيْنِ: قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعَزَازِيلَ. وَيُقَرِّبُ هَارُونُ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ، لِيُكَفِّرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.

كل شيء يصبح قديماً جداً، يصبح شريراً، والشيء نفسه يصلح للأسمى. تعلم من معاناة المصلوب أن بإمكان المرء أن يخدع إلها ويصلبه، وأعني إله السنة القديمة. إن توقف عن أن يكون طريق الحياة، فيجب أن يسقط بسرّية[369].

يصبح المخلّص مريضاً إن تجاوز أعلى الذرا. ولهذا أخذني روح الأعماق عندما قادني روح هذا الزمن إلى القمة[370].

---

[369] يتابع في المسودة: "هذا ما علمنا إياه الأسلاف" (صفحة 72).

[370] يتابع في المسودة: "أولئك الذين يهيمون في الصحراء، يختبرون كل شيء ينتمي إلى الصحراء. لقد شرح الأسلاف هذا الأمر لنا. نستطيع أن نتعلم منهم. افتحوا كتب الأسلاف وتعلموا ما سيأتيكم في العزلة. كل شيء سيعطى لكم ولن تُرحموا من أي شيء، الرحمة والعذاب" (صفحة 72).

الفصل السابع:

قتل البطل[371]

في الليلة التالية، رأيت حلماً[372]: كنت برفقة شاب في الجبال العالية. كان الوقت قبل الفجر وكانت السماء الشرقية مضاءة سلفاً. صدح صوت بوق سيغفريد مبتهجاً من أعالي الجبال[373]. عرفنا أن عدونا اللدود قادم. كنا مسلحين بجانب الممر الصخري الضيق، نترصده لقتله. وبعدها، رأيناه قادماً من أعلى الجبل على عربة مصنوعة من عظام الموتى. كان يقود بجرأة رهيبة فوق الصخور شديدة الانحدار، ووصل إلى الممر الضيّق حيث ننتظره مختبئين. عندما وصل إلى المنعطف أمامنا، أطلقنا النار عليه باللحظة نفسها وأرديناه قتيلاً. وعلى الفور، استدرت لألوذ بالفرار، وهطلت أمطار غزيرة مرعبة. لكن بعد ذلك[374]، دخلت بحالة من العذاب

---

[371] يشير هذا إلى الحِداد على موت البطل.

[372] في 18 كانون الأول – ديسمبر من العام 1913. في الكتاب الأسود الثاني: "كانت الليلة التالية مرعبة. صحوت بسرعة من حلم مرعب" (صفحة 56). في المسودة: "ظهر من الأعماق حلم قوي جداً" (صفحة 73).

[373] كان سيغفريد أميراً بطولياً يظهر في الملاحم الألمانية والإسكاندنافية القديمة. ويوصف كما يلي: " في القرن الثاني عشر، كم كان رائعاً أسلوب ركوب سغفريد للجياد، كان يحمل رمحاً عظيماً، قوي القصبة وعريض الرأس، وصل رمحه الجميل إلى مهمازيه، والبوق الجميل الذي كان يحمله هذا السيد، كان ذهبياً قانياً، (ترجمة إي هاتو، لندن: بنغوين 2004، صفحة 129. تم خداع زوجته برون هيلد، لتكشف المكان الوحيد الذي يمكن إصابته وقتله منه. أعاد فاغنر كتابة هذه الملاحم في أوبرا خاتم نيبلونغ. وفي عام 1912، في كتاب "تحولات الليبدو ورموزه" قدم يونغ تفسيراً سيكولوجياً لسغفريد، كرمز لليبدو، واستشهد بشكل أساسي، بأوبرا سغفريد لفاغنر، (الأعمال الكاملة).

[374] يتابع في المسودة: "بعد هذا الحلم الرؤيا" (صفحة 73).

المميت، وكنت على يقين بأن عليّ أن أقتل نفسي، إن لم أستطع حلّ لغز قتل البطل[375].

بعدها جاء روح الأعماق إليّ وقال هذه الكلمات:

"تتطابق الحقيقة الأسمى تماماً مع السخف". هذه العبارة أنقذتني، ومثل المطر بعد حر طويل، مسح كل شيء متوتر بقوة في داخلي.

بعدها كان لي رؤيا أخرى[376]: رأيت حديقة بهيجة، وفيها أشكال ترتدي الحرير الأبيض، الكل مغطى بأضواء ملونة، بعضها محمر، وبعضها مزرق والبعض الآخر مخضر[377].

أعرف أني خطوت عبر الأعماق. ومن خلال الذنب أصبحت المولود جديد[378].

نحن أيضاً نعيش في أحلامنا، لا نعيش فقط في النهار. أحياناً ننجز أعظم أعمالنا في الأحلام[379].

---

[375] في الكتاب الأسود الثاني كتب يونغ: "مشيت بخفة على طريق بغاية الانحدار، وساعدت زوجتي التي "الحقت بي بوتيرة أبطأ" على الارتقاء. سخر البعض منا، لكني لم أكترث، بما أن هذا يُظهر أنهم لم يعرفوا بأنني قد قتلت البطل" (صفحة 57). وقد روى يونغ هذا الحلم في سمينار عام 1925، مشدداً على تفاصيل مختلفة. وقد سبقه بالملاحظات التالية: لم يكن (سيغفريد) شخصية تهمني بشكل خاص، ولا أعرف لماذا أصبح لاوعيي مستغرقاً به. إن (سيغفريد) في أوبرا فاغنر هو بشكل خاص، سطحيّ بشكل مبالغ فيه ويكون سخيفاً في بعض الأوقات. أنا لم أحبّه أبداً. ومع ذلك فقد أظهره حلمي على أنه بطلي. لم أستطع أن أفهم العاطفة القوية التي كانت لدي في ذلك الحلم". وبعد رواية الحلم، اختتم يونغ: "أحسست بشفقة كبيرة عليه، كما لو أن النار قد أطلِقَت عليّ. كان لا بدّ لي حينها من بطل غير معجب به، وكان ما قتلته هو مثلي الأعلى للقوة والجدارة. لقد قتلت فكري، وساعد على القيام بهذا الفعل تجسيد الرجل القصير الأسمر الذي قام به اللاوعي الجمعي. بكلمات أخرى، لقد تخلّصت وظيفتي الفوقيّة...... المطر الذي انهمر كان رمزاً للتخلّص من التوتر، ويعني تحرير قوى اللاوعي. عندما يحدث هذا يتولّدُ الشعور بالارتياح. وقد تم التكفير عن الجريمة لأنني حالما تم التخلّص من الوظيفة الرئيسة، كان هناك فرصة لولادة جوانب أخرى من الشخصية". إنه (كتاب مقدمة إلى علم النفس التحليلي). في الكتاب الأسود الثاني، وفي أعماله اللاحقة حول هذا الحلم، وفي كتاب (الذكريات) (صفحة 204)، قال يونغ إنه شعر بأن عليه أن يقتل نفسه إن لم يستطع حل هذا اللغز.

[376] يتابع في المسودّة: "نمت مجدداً. وظهرت الرؤيا الثانية بداخلي" (صفحة 73 – 74).

[377] يتابع في المسودة: "هيمنت تلك الأضواء على عقلي ومشاعري. ومرة أخرى، نمت كمن في نقاهة". وقد روى يونغ هذا الحلم لـ (أنيلا جافيه)، وقال، بعد مواجهته للظل، كما في حلم سيغفريد، إن هذا الحلم قد عبّر عن فكرة أنه كان شيئاً مختلفاً وشخصاً مختلفاً في الوقت ذاته. يصل اللاوعي إلى ما وراء المرء مثل هالة القديس. كان الظل مثل الهالة الملونة اللامعة التي تحيط بالناس. اعتقد أن هذه كانت رؤيا من الماوراء، حيث الناس كاملون.

[378] يتابع في المسودة: "العالم المتوسط هو عالم الأشياء الأبسط. ليس عالم الأهداف والواجبات، بل العالم القائم على الصدفة، وغير محدود الإمكانية. هنا تكون الطرق القادمة كلها ضيقة وليست عريضة، ليست طرقاً سريعة واسعة، وليس هناك من جنة فوقها، ولا جحيم تحتها". في تشرين الأول - أكتوبر من عام 1916، قدم يونغ بعض المحاضرات لنادي علم النفس" التكيّف والتفرّدية والجمعية" وفيها علّق على أهمية الذنب: "الخطوة الأولى في التفرّدية هي الذنب المأساوي. لقد تراكم الشعور بالذنب يتطلب التكفير عنه".

في تلك الليلة كانت حياتي مهددة، لقد كان عليّ قتل (الأعلى)، ليس في معركة واحدة، هل من بين البشر من يستطيع قتل (الأعلى) في مبارزة؟ لا يمكنك الوصول إلى (الأعلى) إلا كقاتل[380]، إن أردت التغلب عليه.

لكن هذا الأمر هو الأشد مرارة للبشر الفانين: تريد آلهتنا أن تُهزم لأنها تحتاج إلى ولادة جديدة. إذا قَتَلَ البشر أمراءهم، فهم يفعلون هذا لأنهم لا يستطيعون قتل آلهتهم، ولأنهم لا يعرفون أن عليهم قتل آلهتهم "في" أنفسهم.

إن كبر الأعلى بالعمر، يصبح خيالا وهراءً ويسقط. تصبح الحقيقة الأعظم هي الكذبة الأعظم، ويصبح النهارٍ الأشد ضياءً، هو الليل الأشد قتامة.

وكما يتطلب الليل نهارا ويتطلب النهار ليلاً، يتطلب المعنى سخافة وتتطلب السخافة معنى.

لا يوجد النهار بذاته، ولا الليل بذاته.

الواقع الذي يوجد بذاته هو الليل والنهار.

وكذلك الحقيقة، هي معنى وسخافة.

منتصف النهار لحظة، منتصف الليل لحظة، ينبثق الصباح من الليل، ويتحول المساء إلى ليل، لكن المساء يأتي من النهار، والصباح يتحول إلى نهار.

وهكذا فالمعنى مجرد لحظة، وانتقال من سخافة إلى سخافة، والسخافة مجرد لحظة وانتقال من معنى إلى معنى[381].

كان يجب على هذا السغفريد الأشقر ذي العينين الزرقاوين، البطل الألماني، أن يسقط على يديّ الأكثر ولاءٍ وشجاعة! لديه بنفسه كل شيء قدّرته على أنه الأعظم والأكثر جمالاً، كان قوتي وجرأتي وكبريائي. كنت سأُهزم في المعركة ذاتها، وبهذا لم يبقَ لي سوى القتل. لو أردت الاستمرار بالحياة، لكان ذلك ممكناً من خلال الخداع والمكر فقط.

---

[379] تحوي المسودة الإضافة التالية: "هل تبتسم؟ يريدك روح هذا الزمن أن تؤمن بأن الأعماق ليس لها عالم وليس لها واقع" (صفحة 74).

[380] يتابع في المسودة: "يهوذا" (صفحة 75).

[381] يتابع في المسودة: "أظهرت لي الرؤيا، أنني لم أكن وحدي عندما اقترفت هذا الفعل. لقد ساعدني ذلك الشاب، وهذا يعني، شخصاً كان أكثر شباباً مني، نسخة متجددة الشباب عني" (صفحة 76).

لا تدينوا! فكّر بالمتوحش الأشقر في الغابات الألمانية، الذي عليه خيانة الرعد الملوّح بالمطرقة، من أجل الإله الشاحب الشرقي المسمّر على الخشب كالدجاجة. لقد تغلّب على الشجعان احتقارٌ معيّن لذواتهم. لكن قوة الحياة لديهم، ساعدتهم على الاستمرار بالحياة، وخانوا آلهتهم الجميلة البرية وأشجارهم المقدسة ورهبتهم من الغابات الألمانية[382].

ما الذي يعنيه سيغفريد للألمان! ما الذي نعرفه من معاناة الألمان من موت سيغفريد! لهذا فضّلت تقريباً قتل نفسي لتجنيبه ذلك. لكني أردت الاستمرار بالحياة مع إله جديد[383].

بعد الموت على الصليب، دخل المسيح إلى العالم السفلي وأصبح الجحيم. وهكذا اتخذ شكل عدو المسيح، التنين. صورة عدو المسيح التي وصلتنا من الأسلاف، أعلنت الإله الجديد الذي توقّع الأسلاف قدومه.

لا يمكنك أن تتجنب الإله. كلما هربت منه، كان مآلك إليه محتوماً.

المطر تيار عظيم من الدموع، سيسقط على الناس، إنه الفيضان الناتج عن تحرر الإجهاد، بعد أن أعاق انقباض الموت البشرَ بقوة مروّعة. إنه الحداد على الميت بداخلي، الحداد الذي يسبق الدفن وإعادة الولادة. المطر تخصيب للأرض، إنه يُنبت القمح الجديد، ينبت الشباب، إنه إله الإنبات[384].

---

[382] يتابع في المسودة: "كان على سيغفريد أن يموت، تماماً مثل ووتان". وفي العام 1918 كتب يونغ عن تأثيرات إدخال المسيحية في ألمانيا: "قسمت المسيحية البربري الألماني إلى نصفيه الأعلى والأدنى، ومكّنته عبر كبت الجانب المظلم، من تدجين الجانب المشرق وجعله يتناسب مع الثقافة. لكن النصف المظلم الأدنى، لا يزال يترقب الخلاص والتدجين الثاني. حتى ذلك الحين، سيبقى مرتبطاً بآثار ما قبل التاريخ، مع اللاوعي الجمعي، الذي يجب أن يشير إلى نشاط متزايد وغريب للاوعي الجمعي". ("عن اللاوعي"، الأعمال الكاملة 10).

[383] في المسودة، نقرأ هذه الجملة على الشكل التالي: "نريد الاستمرار بالحياة مع إله جديد، بطل يتجاوز المسيح" (صفحة 76). وروى يونغ لـ (أنيلا جافيه) أنه فكّر بنفسه كبطل منتصر، لكن الحلم أشار إلى أن على البطل أن يُقتل. كانت هذه المبالغة بالرغبة، ممثلة بالألمان في ذلك الحين، تماماً مثل مسار سيغفريد. قال الصوت بداخله: إن لم تفهم الحلم، فعليك قتل نفسك!" (كتاب الذكريات). مسار سغفريد الأصلي كان مساراً دفاعياً أسسه الألمان في شمال فرنسا في العام 1917 (كان ذلك في الواقع، الجزء الفرعي من خط هيندنبيرغ).

[384] يحتل موضوع موت الإله وإعادة إحيائه، مكانة بارزة في كتاب "الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين" للكاتب (جيمس فريزر) الصادر عام 1911، والذي لفت يونغ النظر إليه في كتابه الصادر عام 1912 "تحولات الليبيدو ورموزه".

الفصل الثامن:

مفهوم الإله

في الليلة التالية وما بعدها، تحدثتُ مع روحي وقلت: "يظهر العالم الجديد لي ضعيفاً وزائفاً. الزائف كلمة سيئة، لكن بذرة الخردل التي تنمو لتصبح شجرة، الكلمة التي تم الحمل بها في رحم عذراء، أصبحت الأعلى الذي خضعت الأرض له[385]".

وبينما أتحدث، ثار روح الأعماق فجأة. ملأني ثملاً وضباباً وقال لي بصوت قوي: ""*لقد تلقيتُ برعمك، أيها القادم!*

لقد تلقّيته بأشدّ حالاته عَوزاً وتواضعاً.

غطّيته بأقمشة رثة، وتركته ينام على كلمات هزيلة.

بجّلت السخرية طفلك، طفلك المدهش، طفل من هو آت، الطفل الذي يجب أن يعلن عن الآب، ثمرةٌ أقدم عمراً من الشجرة التي نضجتْ عليها. بالألم سوف تحبلْ، ومُبهجةٌ ولادتك.

الخوف رسولك، يقف الشكّ إلى يمينك، وخيبةُ الأمل إلى يسارك

نمرّ بتفاهتنا ولاعقلانيتنا عندما نلمح نظرة منك.

كانت عيوننا عمياء، وصارت معرفتنا خرساء، عندما وصلنا إشعاعك.

---

[385] في 20 كانونْ الأول - ديسمبر من عام 1913. إشارة إلى قول المسيح المأثور حول بذرة الخردل. انجيل متى 13: 31-32 "يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَل أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُذُورِ. وَلكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا".

أنت الشرارة الجديدة لنار أبدية، في أي ليلة كانت ولادتك؟

سوف تنتزع الصلاة الصادقة من المؤمنين بك، ويجب أن يتحدثوا عن مجدك بلغات غريبة يعتبرونها آثمة.

سوف تأتي فوقهم في ساعة عارهم، وستصبح معروفاً بالنسبة لهم بما يكرهونه ويخافونه ويمقتونه[386].

صوتك، أندر الأصوات السارة، سيُسمع وسط لعثمات التعساء والمنبوذين وأولئك المدانين بأن لا قيمة لهم.

ستلمس مملكتك أيدي أولئك الذين عبدوا من قبل، أحطّ الانحطاطات، والذين قادهم توقهم عبر مدّ من الوحل الشرير.

ستهب عطاياك لأولئك الذين صلوا لك برعب وشك، وسيشع ضياؤك على أولئك الذين يجب أن تنحني ركبهم أمامك دون رغبة منهم، والمليئين بالاستياء.

حياتك مع من تغلّب على نفسه. ومن تبرأ من تغلّبه على الذات[387].

أعرف أيضاً أن الخلاص بالرحمة، يُمنح فقط للذين يؤمنون بالأعلى، ويخونون ذواتهم بكفر مقابل ثلاثين قطعة من الفضة[388].

هؤلاء الذين يلطخون أيديهم النقية، ويخدعون أفضل معرفة لديهم، ويأخذون فضائلهم من قبر القتيل، مدعوون إلى مأدبتك العظيمة.

نجم ولادتك، نجمٌ متغيّرٌ ومريض.

يا طفلٍ ما هو آت، تلك هي الأعاجيب التي ستحمل الدليل على أنك المخلّص حقاً".

عندما سقط أميري، فتح روح الأعماق بصيرتي وجعلني مدركاً لولادة المخلّص الجديد.

---

[386] بحسب إنجيل مرقص 16: 17، ذكر المسيح ان اولئك الذين يؤمنون "وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ".

[387] موضوع التغلب على الذات، موضوع هام في أعمال نيتشه. في كتاب "هكذا تكلم زرادشت"، كتب نيتشه: "أعلمك أن تكون سوبرمان. الإنسان شيء يجب أن يُقهر. ماذا فعلت لتتغلب عليه؟ جميع المخلوقات حتى اليوم، قد خلقت شيئاً يتجاوزها: **وهل تريد ان تكون الجذر لهذا المدّ العظيم، وتعود إلى الحيوانات بدل أن تتغلب على الإنسان؟** (من مقدمة كتاب زرادشت، وتم وضع الخط في السطر الأخير كما كان في نسخة يونغ).

[388] أقدم يهوذا على خيانة المسيح مقابل ثلاثين قطعة من الفضة (إنجيل متى 26: 14-16).

وصل الطفل السماوي إليّ عبر الغموض الرهيب، الجميل- الكريه، الطيب - الشرير، الجديّ - الهزلي، المُعافى - المريض، الإنساني - البربري، الإلهي - اللا إلهي[389].

فهمتُ أن الأعلى[390] الذي نبحث عنه في المطلق، لا وجود له في الجمال المطلق ولا الخير ولا الجدّية ولا في السمو، ولا في الإنسانية ولا حتى في الألوهية المطلقة.

فهمتُ أن المخلّص الجديد سيكون في النسبي وليس في المطلق. إن كان الأعلى هو الجمال والخير المطلقان، فيكف له تطويق امتلاء الحياة، الجميلة والكريهة، الخيّرة والشريرة، الهزلية والجادة، الإنسانية والبربرية؟ كيف يستطيع الإنسان العيش في رحم الأعلى إن كانت تهتم بنصفٍ واحد منه فقط[391]؟

إن ارتفعنا مقتربين من ذرا الخير والشرّ، فسيقبع السيئ والكريه فينا، في أقصى حالات العذاب. إن عذاب الإنسان عظيم جداً، الهواء في الذرا ضعيف جداً لدرجة لا يعود بإمكانه العيش فيها. يتجمد الخير والجميل بجليد فكرة المطلق[392]، يصبح السيئ والكريه بركة طينية مليئة بالحياة المجنونة.

---

[389] في العام 1940، قدم يونغ دراسة عن فكرة الطفل السماوي، بالتعاون مع الكلاسيكي الهنغاري (كارل كيريني) (أنظر كتاب سيكولوجيا نموذج الطفل البدئي). كتب يونغ أن فكرة الطفل تظهر بشكل متكرر في العملية التفرّدية. إنها لا تمثل طفولة الشخص الحرفية، حيث يتم التركيز عليها بطبيعتها المثيولوجية. إنها تعوض عن أحادية الجانب للوعي، وتمهد الطريق لتطور مستقبلي للشخصية. وفي بعض حالات النزاع، تنتج النفس اللاواعية رمزاً يوحّد المتضادات. الطفل هو أحد هذه الرموز. إنه يسبق الذات التي يتم إنتاجها من خلال تركيبة العناصر الواعية واللاوعية للشخصية. إن المصائر النموذجية التي تصيب الطفل، تشير إلى نوع الأحداث النفسية المرافقة لنشأة الذات. والميلاد الرائع للطفل، يشير إلى أن هذا يحدث نفسياً وليس جسدياً.

[390] تطوّر هذا المفهوم عن الطبيعة الشاملة للإله الجديد بشكل كامل، في القسم الثالث من الكتاب الأحمر، الذي يحمل عنوان "السبر العميق" (العظة 2)

[391] لقد لعب موضوع الاندماج ما بين الألوهية والشرّ دوراً هاماً في أعمال يونغ، انظر (أيون، 1951، الأعمال الكاملة 9، وكذلك في إجابة على العمل، 1952، الأعمال الكاملة 11).

[392] لقد تطوّر مفهوم فكرة المطلق على يد (هيغل). لقد فهمها على أنها التتويج ووحدة التمايز الذاتي للتسلسل الجدلي الذي يعطي الرفعة للكون. (من كتاب منطق هيغل) وقد أشار يونغ إلى هذا في كتابه "النماذج السيكولوجية".

ولهذا كان على المسيح بعد موته أن يرحل إلى الجحيم، وإلا لأصبح الصعود إلى الجنة مستحيلاً عليه. كان على المسيح أولاً أن يصبح عدو مسيحه، أخاه في العالم السفلي.

لا أحد يعرف ما الذي حدث خلال الأيام الثلاثة التي كان فيها المسيح في الجحيم. لقد اختبرت ذلك[393]. رجال الأيام الخوالي قالوا إنه وعظ الأموات هناك[394]. ما قالوه صحيح، لكن هل تعرف كيف حدث ذلك؟

كانت حفلة الجحيم التنكرية الوحشية لأقدس الأسرار، عملاً سخيفاً وأحمقاً. كيف يمكن للمسيح بطريقة أخرى أن يخلّص شخصية عدو المسيح الأخرى له؟ اقرأ الكتب المجهولة للأسلاف، وستتعلم الكثير منها. لاحظ أن المسيح لم يبق في الجحيم، بل ارتقى إلى الذرا في الماوراء[395].

إن قناعتنا بقيمة الخير والجمال أصبحت قوية لا تهتز، ولهذا يمكن للحياة أن تمتد إلى الماوراء، وتحقق كل شيء يبقى مقيداً وبحالة توق. لكن المقيّد الذي بحالة توق، كريه وسيئ أيضاً. هل لا زلت ساخطاً على الكريه والسيئ؟

---

[393] هذه الجملة قُطِعَت من المسودة المصححة، واستُبدِلت بعبارة "لكن يمكن تخمين هذا:" (صفحة 68).

394 رسالة بطرس الرسول الأولى، الإصحاح 4: 6 "فَإِنَّهُ لأَجْلِ هذَا بُشِّرَ الْمَوْتى أَيْضًا، لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ، وَلكِنْ لِيَحْيَوْا حَسَبَ اللهِ بِالرُّوحِ ".

[395] برز موضوع هبوط المسيح إلى الجحيم في العديد من الأناجيل المنحولة. تذكرُ "قصص الرسل" أنه هبط إلى الجحيم. وفي اليوم الثالث، قام من بين الأموات". وقد علّق يونغ على هذا الموضوع في خيماء القرون الوسطى بكتاب "السيكولوجيا والخيمياء الصادر عام 1944" وكان أحد المصادر التي أشار إليها يونغ هي كتاب "Nekyia" لمؤلفه "ألبريخت ديتريش" الذي علّق على جزء رؤيوي من رسالة القديس بطرس، الذي يعطي فيه المسيح وصفاً مفصلاً عن الجحيم. وتحتوي نسخة يونغ عن هذا العمل، العديد من الإشارات في الهوامش، ويوجد في الجزء الخلفي منه ورقتان إضافيتان مع قائمة بالصفحات والملاحظات. وفي العام 1951 قدم التفسير السيكولوجي التالي حول موضوع نزول المسيح إلى الجحيم: "نطاق الدمج تم اقتراحه من قِبَلِ "النزول إلى الجحيم" هبوط روح المسيح إلى الجحيم والذي يشكّل فعل الخلاص، والإحاطة بالموتى أيضاً. إن المكافئ السيكولوجي لهذا التصرّف، يشكّل دمج اللاوعي الجمعي الذي يمثل جزءاً أساسياً من "التفرّدية". وقد كتب في العام 1938: "تصف أيام الهبوط الثلاثة إلى الجحيم أثناء الموت، غوص القيمة المتلاشية في اللاوعي، حيث بهزيمة قوة الظلام، تؤسس نظاماً جديداً، ومن ثم ترتقي إلى السماء مجدداً، أي تحقق صفاءً خارقاً للوعي". (من كتاب السيكولوجيا والدين). كتب الأسلاف المجهولة، تشير إلى "الأناجيل المنحولة".

يمكنك من خلال ذلك إدراك مدى عظمة قوتها وقيمتها من أجل الحياة. هل تظن أن هذا ميت فيك؟ يستطيع هذا الميت أيضاً أن يتحول إلى أفاع[396]. ستحطّم تلك الأفاعي أمير أيامك.

هل رأيت الجمال والبهجة التي نزلت على البشر، عندما أطلقت الأعماق العنان لأعظم حرب؟ كم كانت بداية مرعبة[397].

إن لم يكن لدينا أعماق، فكيف سيكون لدينا ذرا؟ ومع ذلك فأنتم تخافون الأعماق، ولا تريدون الاعتراف بأنكم تخافونها. لكن من الجيد أنكم تخافون من أنفسكم، قولوا بصوت عال إنكم تخافون من أنفسكم. من الحكمة أن يخاف المرء من ذاته. الأبطال فقط يقولون إنهم لا يخافون. لكنك تعرف ما حدث للبطل.

مع الخوف والارتعاش، والنظر حولكم غير واثقين، ادخلوا إلى الأعماق، لكن لا تقوموا بهذا وحدكم، فوجود اثنين أو ثلاثة، أكثر أمناً، بما أن الأعماق مليئة بالقتل. اضمنوا لأنفسكم طريق العودة. اذهبوا بحذر كما لو أنكم جبناء، حيث تَستَبقون قتلة الروح[398]. تريد الأعماق افتراسكم جميعاً وخنقكم في الطين.

[396] يتابع في المسودة: "لكن الأفعى حياة أيضاً. في الصور التي زودنا بها الأسلاف، وضعت الأفعى نهاية للروعة الطفولية للفردوس، وقالوا أيضاً إن المسيح نفسه كان أفعى". وقد علّق يونغ على هذا الموضوع في عام 1950 في "أيون"، (الأعمال الكاملة 9).

[397] يتابع في المسودة المصححة: "بداية الجحيم" (صفحة 70). في العام 1933 ذكر يونغ: "لدى اندلاع الحرب، كنت في إنفرنيس، وعدت عبر هولندا وألمانيا. مررت مباشرة وسط الجيوش المتجهة غرباً، وكان لدي شعور بأن هذا ما يمكن تسميته بالألمانية "Hochzeitsstimmung" مزاج الزفاف، عيد الحبّ في ألمانيا كلها. كان كل شيء مزيناً بالأزهار، كان انفجاراً للحب، أحبّ الجميع أحدهم الآخر وكان كل شيء جميلاً. نعم، كانت الحرب مهمة، قضية كبيرة، لكن الشيء الأساسي كان الحب الأخوي في البلد كله، كل منهم كان أخاً للجميع، يمكن لأي فرد الحصول على أي شيء يملكه شخص آخر، ليس هناك من مشكلة. ترك الفلاحون مخازنهم مفتوحة ووزعوا كل ما لديهم. حدث ذلك حتى في المطعم والبوفيه الموجودة في محطة سكة الحديد. كنت جائعاً جداً، لم أكن قد تناولت شيئاً منذ ما يقارب الأربع والعشرين ساعة، وكان لديهم بعض السندويشات الباقية، وعندما سألت عن السعر، قالو: "لاشيء، خذها وحسب!" وفي بداية عبوري الحدود إلى ألمانيا، تم إدخالنا إلى خيمة هائلة مليئة بالبيرة والنقانق والخبز والجبنة، ولم ندفع أي شيء، كان أكبر عيد للحب. كنت مذهولاً بالمطلق".

[398] تم استخدام عبارة "قاتل الروح" من قِبَلِ "الوثر وزوينغلي" ومؤخراً من قِبَلِ "دانيال بول شريبر" في عمله الصادر عام 1903 "ذكريات مرضي العصبي". وقد ناقش يونغ هذا العمل في العام 1907 في "عن سيكولوجيا العته المبكّر" ولفت انتباه فرويد له. وفي نقاش يخص "شريبر" في "رابطة علم

من يسافر للجحيم فسوف يصبح جحيماً أيضاً. لهذا، لا تنسوا من أين أتيتم. الأعماق أقوى منا، لذلك لا تكونوا أبطالاً، كونوا أذكياء وتخلّصوا من بطوليتكم، بما أن لا شيء أشد خطورة من لعب دور البطل. تريد الأعماق الإبقاء عليكم. إنها لم تُرجع الكثيرين حتى الآن، ولهذا يهرب الناس من الأعماق ويهاجمونها.

ماذا يحصل إن حوّلت الأعماق الآن نفسها إلى موت، بسبب الاعتداء؟ لكن الأعماق في الواقع قد غيرت نفسها إلى موت. لهذا، عندما استيقظتم، سببتم موتاً أكبر بألف مرة[399]. لا نستطيع قتل الموت، بما أننا أخذنا منه مُسبقاً كل الحياة. إن كنا لا نزال نرغب بالتغلّب على الموت، فعلينا إنعاشه وإعادته للحياة.

وهكذا، تأكد في رحلتك هذه، من حملك كؤوساً ذهبية مليئة بشراب الحياة الحلو، النبيذ الأحمر، وقدمها للمادة الميتة لتكتسب الحياة من جديد. ستتحول المادة الميتة إلى الأفاعي السوداء. لا تخف، ستعمل الأفاعي السوداء فوراً على إخماد شمس أيامك، وسيغطيك الليل بخصلات شعره الرائعة[400].

تلقَّ الألم لتوقظ الموتى. احفر مناجم عميقة والقِ بها عطايا الأضاحي، حيث تصل إلى الأموات. فكّر بالشيطان بقلب طيِب، تلك هي طريق الصعود، كل شيء عبارة عن ليل وجحيم.

ما رأيك بجوهر الجحيم؟ يكون الجحيم عندما تأتي الأعماق إليك مع كل ما لم تعد أنت عليه، أو ما لم تصبح قادراً عليه بعد. يكون الجحيم عندما لا تعود قادراً على إنجاز ما تستطيع إنجازه. الجحيم عندما يكون عليك التفكير والشعور والقيام بكل شيء تعرف أنك لا

النفس التحليلي" من 9 إلى 16 حزيران - يونيو عام 1915 وبعد محاضرات قدمها "شنايتر"، لفت يونغ الانتباه إلى التشابه بين صور "شريبر" والغنوصية.

[399] إشارة إلى مذبحة الحرب العالمية الأولى.

[400] تعود الإشارة هنا إلى الرؤيا في الفصل الخامس، "الهبوط في الجحيم في المستقبل" كتب يونغ في العام 1940: "يشير تهديد ذات المرء الأعمق من التنانين والثعابين، إلى خطر أن يتم ابتلاع الوعي المكتسب مؤخراً مرة أخرى من قِبَلِ الروح الغريزية، من قِبَلِ اللاوعي"، (سيكولوجيا نموذج الطفل البدئي، الأعمال الكاملة 9).

تريده. الجحيم هو عندما تعرف أن اضطرارك للقيام بهذا، هو رغبة بذلك أيضاً، وأنك وحدك مسؤول عنه. الجحيم عندما تعرف أن كل شيء جدّي قد خططت له مع نفسك، هو مضحك أيضاً، وأن كل شيء رقيق، هو قاس أيضاً، وأن كل جيد سيء، وكل عالٍ منخفض، وكل ممتع مخجل.

لكن الجحيم الأعمق يكون، عندما تدرك أن الجحيم ليس جحيماً أيضاً، بل جنّة مبهجة، ليس جنّة بحد ذاتها، بل بهذا المعنى جنّة وبذاك المعنى جحيم.

ذلك هو غموض الأعلى: لقد خُلِق من غموض مظلم، وارتقى إلى غموض ساطع. ما لا لبس فيه هو البساطة، وهي تقود إلى الموت[401]. لكن الغموض هو طريق الحياة[402]. إن لم تتحرك القدم اليسرى، عندها تتحرك اليمنى، وتتحرك أنت. يريد الله ذلك[403].

أنت تقول: الإله المسيحي واضح، إنه المحبّة[404]. لكن ما هو الأكثر غموضاً من المحبّة؟ المحبّة طريق الحياة، لكن حبّك يكون على طريق الحياة فقط، إن كان لديك يمين ويسار.

لا شيء أسهل من اللعب في الغموض، ولا شيء أكثر صعوبة من العيش في الغموض. ذلك الذي يلعب، عبارة عن طفل إلههُ عجوز يموت. ومن يعش، عبارة عن واعٍ، وإلهه شابّ مستمرّ بالحياة. من يلعب، يختبئ من الموت الداخلي. ومن يعش، يشعر بالتقدم والخلود. لذلك، تخلّ عن اللعب للاعبين. ليهبط من يريد أن يهبط،

---

[401] يوجد بدلاً منها في المسودة المصححة: "إلى النهاية" (صفحة 73).

[402] في العام 1952، كتب يونغ إلى (زوي ويربلوسكي) مستفسراً عن الغموض المتعمد في تلك الكتابات: "اللغة التي أتحدث بها يجب أن تكون مبهمة، أي غامضة، لنعطي الطبيعة النفسية حقها بمظهرها المزدوج. أسعى بوعي وتعمّد إلى التعابير الغامضة، لأنها أسمى مما لا لبس فيه، وتتوافق مع طبيعة الوجود"، (الرسالة الثانية، صفحة 70 – 71).

[403] يتابع في المسودة: "انظر إلى صور الآلهة التي تركها الأسلاف خلفهم: طبيعتها غامضة ومشكوك فيها" (صفحة 87).

[404] رسالة يوحنا الأولى الإصحاح 4: 16 "اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ".

إن أوقفت ذلك، فسوف يرميك بعيداً. هناك حبّ حقيقي لا يُلهي نفسه بالجيران[405].

عندما قُتِلَ البطل وتم إدراك المعنى في السخف، عندما اندفع التوتر كله هاطلاً من الغيوم الحبلى، عندما أصبح كل من أصبح جباناً، يتطلع إلى نجاته الشخصية، أصبحتُ مدركاً لولادة المخلّص.[406] بالمقابل، انغمس الإله في قلبي عندما كنت أتخبط بالسخرية والعبادة، بالحزن والضحك، بالرفض والقبول.

لقد ظهر الواحد من ذوبان الاثنين معاً. وُلِدَ كطفل من روحي البشرية التي حبلتْ به بمقاومة عذراء. وهكذا تطابق مع الصورة التي تركها الأسلاف لنا[407]. لكن عندما كانت الأم، التي هي روحي، حاملاً به، لم أكن أعرف ذلك. حتى أنها بدت لي كما لو أن روحي ذاتها كانت الأعلى، بالرغم من أنه عاش في جسدها وحسب[408].

وبالتالي تحققت صورة الأسلاف: لاحقتُ روحي لتقتل الطفل فيها. لأني أنا أيضاً، أسوأ عدو لإلهي[409]. لكني أدركت أيضاً أنه تم الإقرار بأن عدوي فيه. إنه السخرية والكراهية والغضب، بما أن هذه كانت أيضاً طريق الحياة.

عليّ القول إن الأعلى لم يستطع الوصول إلى حيّز الوجود قبل أن يُقتل البطل. البطل كما نفهمه، أصبح عدو الله، بما أن البطل هو الكمال. تحسد الآلهة كمال الإنسان، لأن الكمال ليس بحاجة للآلهة. لكن بما أنه لا وجود لشخص كامل، فنحن نحتاج الآلهة. تحبّ الآلهة الكمال لأنه الطريق الكليّ للحياة. لكن الآلهة ليست مع الإنسان الذي يرغب بأن يكون كاملاً، لأنه تقليد عن الكمال[410].

---

[405] يتابع في المسودة: "من يقلب هذه الكلمة والكلمات الأخرى التي أقولها، هو عبارة عن لاعب، لأنه لا يحترم الكلمة المنطوقة. اعرفْ أنك تحقق ذاتك مما تقرأه في كتاب. تقرأ في الكتاب مثلما تقرأ خارجه" (صفحة 88).

[406] في المسودة: "(مفهوم) الله"، (الصفحة 74).

[407] الإشارة هنا إلى مريم العذراء.

[408] انظر الهامش رقم 57 من هوامش الكتاب الأول.

[409] يشير هنا إلى إلى جرح (إزدوبار) في الكتاب الثاني، الفصل الثامن. "اليوم الأول".

[410] إن أهمية الكلّية فوق الكمال، موضوع مهم في أعمال يونغ اللاحقة، كتاب (Aion) المنشور عام 1951، الأعمال الكاملة 9 – 2. وكتاب (وحدة الأسرار المقدسة) عام 1955 – 1956، الأعمال الكاملة 14.

كان التقليد طريق حياة عندما كان البشر بحاجة للنموذج البدئي البطولي[411]. طريقة القرد هي طريقة الحياة بالنسبة للقرود، وهي كذلك بالنسبة للإنسان، بما أنه يشبه القرد. لوقت طويل، استمرّت قردية الإنسان بشكل مرعب، لكن سيأتي الزمن الذي سيسقط فيه ذلك الجزء القردي منه.

سيكون ذلك زمن الخلاص والحمامة والنار الأبدية، وسوف يأتي الخلاص.

لن يعود هناك من بطل، ولا من يستطيع تقليده. لأنه منذ ذلك الحين فصاعداً، يكون التقليد بغيضاً بكل أشكاله. يضحك الأعلى على التقليد وعلاقة التلمذة (المعلم والمريد). هو لا يريد التقليد ولا التلاميذ. هو يجبر الناس من خلال ذاته. الأعلى هو تابع نفسه في الإنسان، هو يقلّد ذاته.

نعتقد بوجود فردية داخلنا، وجماعية خارجنا. خارجنا يكون الجماعي في علاقة مع الخارجي، بينما تعود الفردية لنا. يكون كل منا فرداً، إن كان في ذاته، لكننا جماعيون في علاقتنا مع ما يوجد خارجنا. لكن إن كنا خارج ذواتنا، نكون منفردين وأنانيين في الجماعي. إن كنّا خارج ذواتنا، تعاني الذوات من الحرمان، وهكذا ترضي حاجاتها للجماعية. وبناء عليه، تتحرّف الجماعية إلى فردية. إن كنا داخل ذواتنا، نحقق حاجة الذات ونزدهر، وعبر هذا نصبح مدركين لحاجات الجماعية ونستطيع تحقيقها[412].

أن وضعنا إلهاً خارج ذواتنا، يفصلنا عن ذاتنا لأن الله أقوى منا. تسقط ذواتنا في الحرمان. إن اندغم الأعلى في ذواتنا، فهو ينتزعنا مما هو خارجنا[413]. نصل

---

[411] في عام 1916 كتب يونغ: "لدى الإنسان مقدرة واحدة، وبالرغم من أن فائدتها العظمى للغايات الجماعية، هي الأكثر ضرراً بالتفرّدية، وهي التقليد. لا يمكن السيكولوجيا الجمعية الاستغناء عن التقليد" (بنية اللاوعي، الأعمال الكاملة 7). في بحث "عن سيكولوجيا نموذج الطفل البدئي" في العام 1940، كتب يونغ حول خطورة التطابق مع البطل: "يكون هذا التطابق عنيداً بإفراط على الأغلب، وخطير على توازن الروح. إن كان باستطاعة التطابق إذابة شخصية البطل عبر تخفيض الوعي إلى مستوى إنساني، فيمكن تدريجياً أن يتمايز إلى رمز للذات"، (الأعمال الكاملة 9).

[412] بحث يونغ مسألة الصراع ما بين التفرّدية والجمعية في محاضرة "التفرّدية والجمعية في العام 1916 (الأعمال الكاملة 18).

[413] علق يونغ في محاضرة " التفرّدية والجمعية" بأن على الفرد أن يقوي نفسه بفصل نفسه عن الأعلى، بحيث يصبح ذاته كاملاً.. وهكذا، وبالوقت نفسه، يفصل نفسه عن المجتمع، ينغمس خارجياً في العزلة، وداخلياً في الجحيم بعيداً عن الأعلى"، (الأعمال الكاملة 18).

إلى الفردية في ذواتنا. وهكذا يصبح الأعلى جماعياً بما يتعلق بما هو خارجنا، لكنه فردي في العلاقة معنا. لا أحد لديه إلهي، لكن إلهي لديه كل شخص، بمن فيهم أنا. آلهة كل من البشر الفردانيين، لديها دائماً جميع البشر بمن فيها ذاتي. وبالتالي هو دائماً إله واحد على الرغم من تعدديته. تصل إليه بذاتك فقط، ويمسك بك عبر ذاتك. هو يمسك بك في تقدم حياتك.

على البطل أن يسقط من أجل خلاصنا، بما أنه النموذج ويتطلّب التقليد. لكن مقياس التقليد قد أُنجز[414]. يجب أن نتصالح مع العزلة في ذواتنا، ومع الأعلى خارجنا. إذا ما دخلنا العزلة في ذواتنا، فسوف تبدأ حياة الأعلى. إن كنا في ذواتنا، يكون الفضاء حولنا رحباً، لكنه مليء بالألوهية.

تسير علاقتنا بالناس عبر هذا الفضاء الفارغ، وعبر الأعلى أيضاً. لكنها كانت تمرّ في السابق عبر ذواتنا لأننا كنا خارجها. وهكذا تنبأ لي روح الأعماق بأن برودة الفضاء الخارجي، ستنتشر عبر الأرض[415]. وبهذا أظهر لي بالصورة، أن الأعلى سيقف بين البشر ويوجّه الجميع إلى دفء موقده الرهباني، بسوط من الجليد. لأن الناس كانوا بحالة من الإثارة الشديدة، يسيرون نحو المسرّات كالمجانين.

ترغب الرغبة الأنانية بذاتها في نهاية المطاف. تجد نفسك في رغبتك، وبالتالي لا تقول أن تلك الرغبة فارغة. إن رغبت بذاتك، فإنك تَلِدُ ابناً سماوياً عبر قبولك ذاتك. رغبتك هي والده، وذاتك هي والدته، لكن الطفل هو المخلّص الجديد، معلّمك.

إن عانقتَ ذاتك، فستظهر لك كما لو أن العالم أصبح بارداً وفارغاً. يتحرك المخلّص القادم في هذا الفراغ.

إن كنت في عزلتك، وكل الفضاء حولك أصبح بارداً وشاسعاً، تكون قد انتقلتَ بعيداً عن البشر، وبالوقت نفسه، اقتربت منهم كما لم تفعل سابقاً. لقد قادتك الرغبة الأنانية إلى البشر ظاهرياً فقط، لكنها في الواقع،

---

[414] هذا تفسير لمقتل سيغفريد في الكتاب الأول، الفصل السابع، مقتل البطل".

[415] يشير هذا إلى الحلم المذكور في المقدمة الكتاب الأول.

قادتك بعيداً عنهم في الواقع، وفي النهاية إلى ذاتك، التي كانت بالنسبة لك وللآخرين، الأكثر بعداً. لكن الآن، إن كنت في عزلة، يقودك إلهك إلى إله الآخرين، وعبره إلى الجار الحقيقي، إلى جار الذات في الآخرين.

إن كنت في ذاتك، تصبح مدركاً لعجزك. سترى ضآلة مقدرتك على التشابه مع الأبطال، وصعوبة أن تكون بطلاً أنت نفسك. وهكذا لن تعود أيضاً لإجبار الآخرين على أن يصبحوا أبطالاً. إنهم يعانون العجز مثلك. يريد العجز أيضاً أن يعيش، بل سوف يهزم آلهتك.

الفصل التاسع:
الأسرار المقدسة. المواجهة

في الليل عندما فكرت بماهية المخلّص، أصبحت مدركاً لصورة: أنا ممدد في عمق مظلم. يقف رجل عجوز أمامي. بدا مثل واحد من الأنبياء القدماء[416]. تقبع أفعى سوداء عند قدميه. على مسافة بعيدة قليلاً، رأيت بيتاً بأعمدة. خرجت عذراء جميلة من الباب. كانت تسير بتردد ولاحظت أنها عمياء. أشار الرجل العجوز بيده لي، وتبعته إلى بيته عند أسفل جدار هائل من الصخور. زحفت الأفعى خلفنا. تسود العتمة داخل البيت. نحن في قاعة عالية السقف بجدران متألقة. يظهر في الخلف، جحر ساطع بلون المياه. بينما أنظر في الانعكاس، ظهرت لي صور حواء والشجرة والأفعى. لمحت بعدها مشهداً لأوديسيوس ورحلته في البحار العالية. وفجأة انفتح الباب اليميني على حديقة تملأها أشعة الشمس اللامعة. خرجنا من الباب وسألني العجوز: "هل تعرف أين أنت؟"

أنا: "أنا غريب هنا وتبدو الأشياء غريبة أمامي، أنا مشوّش كما لو كنت أحلم. من أنت؟"

[416] في 21 كانون الأول - ديسمبر من العام 1913، في الكتاب الأسود الثاني، كتب يونغ: "وله لحية رمادية ويرتدي عباءة شرقية"، (صفحة 231).

هو: "أنا إيليا[417]، وهذه ابنتي سالومي[418]".

أنا: "ابنة هيرودس، المرأة المتعطشة للدماء؟"

إيليا: "لماذا تطلق أحكاماً هكذا؟ أنت ترى أنها عمياء. إنها ابنتي، ابنة النبي."

أنا: "أية معجزة جمعتكما؟"

إيليا: "ليست معجزة، كان كذلك منذ البداية. إن حكمتي وابنتي هما واحد".

أنا مصدوم، وغير قادر على فهم هذا.

إيليا: "فكر بهذا: جعلنا العمى الذي لديها، وبصيرتي، مترافقين للأبد".

أنا: "اعذرني لدهشتي، هل أنا في العالم السفلي فعلاً؟"

سالومي: "هل تحبني؟"

أنا: "كيف لي أن أحبك؟ كيف يخطر هذا السؤال ببالك؟ أرى شيئاً واحداً فقط، أنت سالومي، النمر، يداك ملطختان بدم شخص مقدس. كيف يمكن أن أحبك؟"

سالومي: "سوف تحبني".

أنا: "أنا؟ أحبك؟ من أعطاك الحق بالتفكير بهذا الشكل؟"

سالومي: "أنا أحبك".

أنا: "دعيني وشأني، أنا أخشاك، أنت وحش".

---

[417] كان إيليا واحداً من رسل العهد القديم. ظهر أولاً في سفر الملوك – الإصحاح 17، حاملاً رسالة من الله إلى أخآب، ملك إسرائيل. في العام 1955، كتب الراهب الكرملي (بيير برونو) رسالة إلى يونغ يسأل فيها كيف يمكن للمرء أن يثبت وجود نموذج بدني. أجاب يونغ: من خلال اتخاذ إيليا كمثال، واصفاً إياه بالشخصية الأسطورية للغاية، الأمر الذي لم يمنعه ربما من أن يكون شخصية تاريخية. وقد وصفه يونغ، مشتقاً الأوصاف من التاريخ، بأنه "النموذج البدني الحي" الذي مثّل اللاوعي الجمعي والذات. وأشار إلى أن نموذجاً بدنياً ساطعاً كهذا، أبرز أشكالاً جديدة من الاستيعاب، ومثّل تعويضاً عن جزء من اللاوعي، (الأعمال الكاملة 18).

[418] كانت سالومي ابنة هيروديا وابنة فيليبس أخو الملك هيرود الذي تزوج من هيروديا بعدما وضع أخاه في السجن. وفي إنجيل متى الإصحاح 14، أخبر يوحنا المعمدان الملك هيرود أنه ليس شرعياً أن يتزوج من زوجة أخيه، فوضعه هيرود في السجن. وسالومي (التي لم يكن لها اسم، بل تسمى ببساطة ابنة هيروديا) رقصت أمام هيرود في عيد ميلاده، ووعدها أن يعطيها أي شيء ترغب به، فطلبت رأس يوحنا المعمدان، الذي قُطِعَ رأسه حينها. وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فتنت شخصية سالومي الكتّاب والرسامين بمن فيهم (غيوم أبولينر، غوستاف فلوبير، ستيفان مالارم، غوستاف موري، أوسكار وايلد وفرانز فون ستوك، وبرزت في العديد من الأعمال.

سالومي: "أنت تُخطئ بحقي. إيليا هو والدي، وهو يعرف أعمق الألغاز. جدران منزله مصنوعة من الحجارة الثمينة. آباره تحتوي الماء الشافي، وترى عيناه المستقبل. ما الذي لا تعطيه، مقابل نظرة واحدة في اللا نهاية، تكشف لك عما هو آت؟ ألا يستحق هذا خطئية منك؟"

أنا: "إغواءك شيطاني. أتوق إلى العودة إلى العالم العلوي. الأمر مخيف هنا. كم الهواء ثقيل هنا!"

إيليا: "ماذا تريد؟ الخيار خيارك".

أنا: "لكني لا أنتمي إلى الأموات. أنا أعيش في ضوء النهار. لماذا عليّ أن أعذّب نفسي هنا مع سالومي؟ ألا أملك ما يكفي من حياتي الخاصة لأتعامل معها؟"

إيليا: "سمعت ما قالته سالومي".

أنا: "لا يمكنني أن أصدق، تستطيع أنت النبي، أن تراها كابنة وشريكة لك. ألم تولد هي من بذرة السوء؟ أليست هي الجشع المتعجرف والشهوة القاتلة؟

إيليا: "لكنها أحبّت رجلاً مقدساً".

أنا: "وسفكت دمه الثمين بشكل مخز".

إيليا: "لقد أحبّت النبي الذي أعلن الإله الجديد للعالم. أحبّته، هل تفهم هذا؟ لأنها ابنتي".

أنا: "هل تظن أنه لكونها ابنتك، أحبّت النبي في يوحنا، الأب؟"

إيليا: "يجب أن تعرفها من خلال حبّها".

أنا: "كيف يمكن أن تحبّه؟ هل تسمي هذا حبّاً؟"

إيليا: "ما عساه يكون؟"

أنا: "أنا مرتعب. من لا يرتعب إن أحبته سالومي؟"

إيليا: "هل أنت جبان؟ فكر بهذا، كنّا أنا وابنتي واحداً منذ الأزل".

أنا: "أنت تصوغ ألغازاً مرعبة. كيف يمكن أن تكون هذه المرأة الآثمة، وأنت نبي الله، واحداً؟"

إيليا: "لماذا تستغرب؟ لكنك ترى هذا، نحن معاً".

أنا: "ما تراه عيناي هو تماماً ما لا أستطيع فهمه. أنت، إيليا، النبي، الناطق بلسان الله، وهي، الرعب المتعطش للدماء. أنتما رمز لذروة التناقض".

إيليا: "نحن حقيقيان ولسنا رموزاً".

أرى كيف تتلوى الأفعى السوداء فوق الشجرة، وتختبئ بين الأغصان. يصبح كل شيء كئيباً ومشكوكاً به. يظهر إيليا، أتبعه ونرجع بصمت عبر القاعة[419]. مزقني الشك إلى أجزاء. كل شيء يظهر بعيداً عن الواقع، ومع ذلك بقي جزء من توقي في الخلف. هل سأعود مجدداً؟ تحبني سالومي، فهل أحبّها؟ أسمع موسيقى غريبة، نقر على الدف، ليلة قمرية حارة، رأس متألق نازف لشخص مقدس[420] — يسيطر الخوف علي. اندفعت إلى الخارج. أنا محاط بالليل الحالك. السواد الداكن يحيط بي. من قتل البطل؟ هل لهذا السبب أحبتني سالومي؟ هل أحبّها، وهل لهذا قتلت البطل؟ هي والنبي عبارة عن واحد، هي ويوحنا عبارة عن واحد، لكن هل تشكّل واحداً معي أيضاً؟ ويلاه إن كانت هي يد الله؟ أنا لا أحبّها، بل أخافها. عندها تحدث معي روح الأعماق وقال: "أنت بهذا تقرّ لها بالقوة الإلهية". هل عليّ أن أحبّها[421]؟

---

[419] يتابع في الكتاب الاسود الثاني: "لمعت كرة الكريستال بشكل خافت. فكرت مجدداً بصورة أوديسيوس، كيف عبر جزيرة سيرينوس الصخرية في ملحمته الطويلة. هل علي أن أعبرها، أم لا؟" (صفحة 74).

[420] إشارة إلى راس يوحنا المعمدان.

[421] في كتاب (مقدمة إلى علم النفس التحليلي المتضمن سمينار عام 1925) يذكر يونغ: "الشيء التالي الذي حدث لي كان رؤية خياليّة أخرى. استخدمت تقنية النزول ذاتها لكنني ذهبت أعمق بكثير هذه المرة. يمكن القول إنني وصلتُ في المرة الأولى إلى عمق ألف قدم، لكنه كان في هذه المرة بأبعاد كونيّة. إنه مشابه للذهاب إلى القمر. أو إنه مشابه للشعور المرافق للنزول في فسحة فارغة. أولاً كانت الصورة عن فوهة بركان أو سلسلة حلقيّة من الجبال، وكان تداعي الشعور لدي كذلك الذي لرجل ميّت، وكأن الإنسان كان ضحيّة. كان الجو مشابهاً لجو عالم الآخرة. كان بإمكاني رؤية شخصين، رجل عجوز بلحية بيضاء وفتاة شابة جميلة جداً. افترضتُ أنهما حقيقيان واستمعتُ إلى ما يقولانه. قال الرجل العجوز أنه إيليا، وكنت مصدوماً تماماً، لكنها كانت أكثر إثارة للإزعاج لأنها كانت سالومي. قلت لنفسي إنه مزيج غريب: سالومي وإيليا، لكن إيليا أكّد لي أنه وسالومي كانا معاً منذ الأزل. أزعجني هذا أيضاً. كانت معهما حيّة سوداء وكانت مولعة بي. بقيت مع إيليا لكونه الأكثر حكمة من الكل، لقد بدا عاقلاً. كنتُ مفرط الشكّ بسالومي. بعدها كان هناك حديث مطوّل لكنني لم أفهم منه شيئاً. بالطبع اعتقدت أن تفسير وجود شخصيات كهذه لديّ هو أن والدي كان رجل دين. ماذا بشأن الرجل

[422]المسرحية التي شاهدتها، مسرحيتي وليست مسرحيتك. إنها سّري وليست سرّك. لا يمكنك تقليدي. يبقى سري عذرياً وألغازي محرمة، إنها تعود لي ولا يمكن أن تعود لك. لديك أسرارك وألغازك الخاصة[423].

من يدخل في ذاتهِ، عليه أن يتلمّس ما في اليد، ما تقع عليه يده، عليه أن يتحسس طريقه من حجر إلى حجرٍ. يجب أن يقبل ما لا قيمة له، وما هو قيّم بالحبٍ ذاته. الجبال ليست شيئاً، وحبة الرمل تحتوي الملكوت، أو اللاشيء أيضاً. يجب أن تسقط الأحكام منك، حتى الطعم، لكن الأهمّ هو إسقاط الكبرياء، حتى إن كان مبنياً على الاستحقاق. ادخل عبر البوابة بأشد الفقر والتعاسة والذل والإهمال. حوّلْ غضبك إلى ذاتك، طالما أنك أنت فقط، تمنع نفسك عن البحث والحياة. المسرحية الغامضة ناعمة مثل الهواء والدخان الخفيف، وأنت المادة الخام الثقيلة بشكل مقلق. لكن دع

العجوز إذن؟ لم يكن بالإمكان التفكير بأي شيء عن سالومي. كان متأخراً جداً أن اكتشفت أن علاقتها مع إيليا كانت طبيعية تماماً. متى قمتَ برحلات كهذه تجدُ فتاة شابّة مع رجل عجوز". ويشير يونغ إلى الكثير من الأمثلة على وجود شخصيتين مماثلتين في أعمال لـ (ميلفيل، مايرنك، رايدر هاغرد) في التقاليد الغنوصية لسيمون ماغوس، في بارسيفال لفاغنر، وفي كتاب بعنوان (الحلم والحب والنزاع) للراهب فرانشيسكو كولونا من القرن الخامس عشر. وفي كتاب "ذكريات" أشار يونغ إلى أنه: "في الأساطير، الثعبان هو النظير المتكرر للبطل. هناك روايات عديدة عن صلتهما.... ولهذا كان حضور الأفعى إشارة إلى بطل الأسطورة". وفي كتاب "مقدمة إلى علم النفس التحليلي" قال يونغ عن سالومي: هي شخصية القرينة وهي عمياء لأنها بالرغم من كونها تربط الوعي واللاوعي فهي لا ترى العملية الخاصة باللاوعي. إن إيليا هو التجسيد للعنصر الإدراكي، وسالومي من الشهوة. إيليا هو شخصية النبي القديم المليء بالحكمة. يمكن للإنسان أن يتحدث عن هاتين الشخصيتين كتجسيد للوغوس والإيروس. هذا عمليّ من أجل البحث الفكري، لكن بما أن اللوغوس والإيروس هما مصطلحان تأمليان، وليسا علميين بأي معنى على الإطلاق، بل غير عقلانيين، فمن الأفضل بكثير ترك الشخصيات كما هي، أي كأحداث، تجارب". ولأسباب نفسية بحتة، حاولت في مكان آخر، مساواة الوعي الذكوري مع مفهوم اللوغوس، والوعي الأنثوي مع مفهوم الإيروس. أعني باللوغوس، التمييز والمحاكمة والبصيرة، وأعني بالإيروس علاقة الأشياء ببعضها".

[422] في المسودة المصححة: توجد عبارة "انعكاس مُرشد" (صفحة 86). في المسودة والمسودة المصححة، توجد عبارة: "هذا يا صديقي، مسرحيتي الغامضة، التي جعلني روح الأعماق أشارك بتمثيلها. أدركت (المفهوم)، ولهذا سمح لي روح الأعماق بالمشاركة بطقوس العالم السفلي الاحتفالية، التي يفترض أن ترشدني إلى نوايا المخلّص وأعماله. من خلال تلك الطقوس، يفترض بأني دخلت في ألغاز الافتداء". (المسودة المصححة صفحة 86).

[423] يتابع في المسودة: "في العالم المتجدد، لا تستطيعون الحصول على ملكية خارجية، ما لم تخلقوها من خلال ذواتكم. يمكنكم الدخول إلى ألغازكم الشخصية فقط. لروح الأعماق أشياء أخرى يعلمها لكم أكثر مني. ليس لدي سوى أن أجلب البشرى لكم عن الاعلى الجديد وعن الطقوس الاحتفالية لخدمته وأسرارها. لكن هذا هو الطريق. هذه هي البوابة إلى الظلام" (الصفحة 100).

أملك، الذي هو الخير والمقدرة الأسمى، يفتح الطريق لك، ويعمل كمرشد في عالم الظلمة، بما أنه يشبه مادة أشكال هذا العالم[424].

كان مشهد المسرحية الغامضة مكاناً مظلماً مثل فوهة بركان. داخلي العميق عبارة عن بركان يقذف الحمم المنصهرة النارية، مما هو غير متشكِل ولا متمايز. وهكذا منح داخلي الحياة لأطفال الفوضى، الأم الأصلية. من يدخل فوهة البركان يصبح أيضاً مادة فوضوية، يذوب. ينحل ما قد تشكّل فيه في داخله، ويربط نفسه من جديد بأطفال الفوضى وقوى الظلام الحاكمة المغرية، الدافعة والجاذبة، الإلهية والشيطانية. تمتد تلك القوى إلى ما وراء يقيني وحدودي من جميع الجهات، وتربطني بالأشكال كلها وبالكائنات والأشياء البعيدة، التي تتطور عبرها البشائر الداخلية لكياناتها وشخصياتها في داخلي.

لأني وقعتٍ في مصدر الفوضى، في البداية الأصلية، فقد أصبحت أنا نفسي مصهوراً من جديد، في علاقة مع البداية الأصلية، وهي في الوقت نفسه ما كان وما أصبح. وصلت أولاً إلى البداية الأصلية فيٍ نفسي. لكن لكوني أنا جزء من مادة العالم وتشكيله، فقد وصلت أيضاً إلى البداية الأصلية للعالم في المقام الأول. لقد شاركت بالحياة بالتأكيد، كشخص متشكّل محدد، لكن فقط عبر وعيي المتشكل والمحدد، ومن خلاله، في قطعة متشكلة ومحددة من العالم بأسره، لكن ليس من خلال المظاهر غير المتشكلة وغير المحددة من العالم، التي أعطيت لي بالقدر نفسه. ومع ذلك فقد أُعطيتْ لأعماقي فقط وليس لسطحي، الذي هو وعيٌ محدد ومتشكّل.

[424] يتابع في المسودة: "جرت المسرحية الغامضة في الطبقة الأعمق من داخلي، التي كانت ذلك العالم الآخر. عليك أن تحمل هذا في ذهنك، إنه عالم أيضاً وواقعيته كبيرة ومخيفة. أنت تبكي وتضحك وترتجف وأحياناً يتدفق منك عرق بارد خوفاً من الموت. تمثل المسرحية الغامضة ذاتي، ومن خلالي يتمثل العالم الذي أنتمي إليه. وهكذا يا أصدقائي، أنتم تتعلمون الكثير عن العالم، وتتعلمون من خلاله عن أنفسكم، من خلال ما أقوله لكم هنا. لكنكم لم تتعلموا أي شيء عن غموضكم بهذه الطريقة، بالتأكيد، طريقكم أشد ظلمة مما كان سابقاً، بما أن مثالي سوف يقف عائقاً في طريقكم. ربما تتبعوني، ليس على طريقي، بل على طرقكم الخاصة"، (صفحة 102).

إن قوى أعماقي سعادة وقدر محتوم[425]. القدر المحتوم أو التفكير المُسبق[426] هو (بروميثيوس)[427]، الذي يجلب الفوضى للشكل والتعريف، دون أفكار محددة[428]، الذي يحفر القنوات ويضع الهدف قبل المتعة. التفكير المُسبق يأتي أيضاً قبل الفكرة. لكن المتعة هي القوة التي ترغب بالأشكال وتدمرها دون شكل وتعريف. إنها تحبّ الشكل الذي تمسك به بذاته، وتدمّر الأشكال التي لا تمسكها. الدارس مُبصر، لكن المتعة عمياء. هي لا تتنبأ، لكنها ترغب بما تلمسه. التفكير المُسبق ليس قوياً بذاته، ولهذا لا يتحرك. لكن المتعة قوة، وهي تتحرك. يحتاج التفكير المُسبق إلى متعة ليستطيع الوصول إلى شكل. المتعة تحتاج إلى تفكير مُسبق لتصل إلى الشكل الذي تطلبه[429]. إن افتقدت المتعة التشكّل، فسوف تذوب في التشعّب، وتصبح مقسمة وعاجزة في انقسام لا نهاية له، وتضيع إلى ما لا نهاية. إن لم يحتوِ الشكل المتعة ويكثفها داخل ذاته، فهو لا يستطيع الوصول إلى الأعلى، بما أنه يهطل دائماً من الأعلى إلى الأسفل كالماء. عندما تُترَك المتعة كلها وحدها، تسقط في بحر عميق، وتنتهي بسكونٍ مميت، لتشتتها في الفضاء الذي لا ينتهي. ليست المتعة أقدم من التفكير المُسبق، والتفكير المُسبق ليس أقدم من المتعة. كلاهما بالعمر نفسه ومن طبيعة واحدة بشكل وثيق. فقط في الإنسان، يصبح الوجود المنفصل لكلا المبدئين واضحاً.

عدا عن إيليا وسالومي، وجدت أن الأفعى عبارة عن مبدأ ثالث[430]. هو غريب عن كلا المبدئين بالرغم من ارتباطه بالاثنين. علمتني الأفعى الفرق

---

[425] هذا تفسير ذاتي عن شخصية إيليا وسالومي.

[426] يتابع في المسودة المصححة: "القدر المحتوم أو المدروس" يتم استبدالهما بـ "الفكرة". ويحدث هذا الاستبدال خلال ما تبقى من هذا القسم، (صفحة 89).

[427] في الميثولوجيا الإغريقية، خلق برومثيوس الإنسان من الطين. يستطيع التنبؤ بالمستقبل واسمه يدل على "المدروس". في عام 1921 كتب يونغ تحليلاً مطولاً عن ملحمة كارل سبيتلر الشعرية "برومثيوس وماثيوس" الصادرة عام (1881) وقصيدة "برومثيوس" التي ألفها غوته عام (1773)، انظر "النماذج السيكولوجية"، (الأعمال الكاملة 6).

[428] في المسودة الأصلية: "حدود"، (صفحة 89).

[429] يتابع في المسودة: "ولهذا، تقدم مني صاحب التفكير المُسبق على شكل إيليا النبي، والمتعة على شكل سالومي"، (صفحة 103).

[430] يتابع في المسودة: "حيوان الرعب القاتل، الموجود بين آدم وحواء" (صفحة 105).

غير المشروط في الجوهر ما بين المبدئين في داخلي. إذا نظرت مباشرة من التفكير المسبق إلى المتعة، فإنني أرى أولاً الأفعى السامة المعيقة. إن شعرتُ انطلاقاً من المتعة وبشكل مباشر إلى التفكير المسبق، فإنني أشعر بالمثل، بالأفعى القاسية الباردة[431]. الأفعى هي الجوهر الأرضي للإنسان، الجوهر الذي لا يكون مدركاً له. تتغير شخصيتها بحسب الناس والمناطق، بما أن اللغز هو ما يتدفق إلى الإنسان من الأرض المزودّة بالغذاء، الأم[432].

تفصل الألوهية المحلية الأرضية، التفكير المسبق عن المتعة في الإنسان، لكن ليس فيها نفسها. للأفعى ثِقل الأرض بذاتها، لكن لديها أيضاً قابليتها للتغيير والإنبات، التي ينبثق منها كل شيء. هي دائماً الأفعى التي تجعل الإنسان مستعبداً لمبدأ حيناً، ولمبدأ آخر في حين آخر، بحيث يصبح خطأ. لا يستطيع المرء العيش مع التفكير المسبق وحده، أو مع المتعة وحدها. أنت تحتاج الاثنين. لكن ليس باستطاعتك أن تكون في التفكير المسبق وفي المتعة بالوقت ذاته. عليك أن تنقل نفسك ما بين التفكير المسبق والمتعة، مطيعاً القانون السائد، وبكلمات أخرى، دون إخلاص للآخر. لكن البشر بفضلون هذا أو ذاك. يحبّ البعض التفكير المسبق وتأسيس فن الحياة عليه. يمارسون التفكير وأخذ الحيطة، حيث يفقدون متعتهم. لهذا هم عجائز ولديهم وجه حادّ. يحبّ الآخرون المتعة، ويمارسون شعورهم وحياتهم، وينسون التفكير المسبق. ولهذا فهم شبّان وعميان. أولئك الذين يفكرون، يؤسسون العالم على الفكر، وأولئك الذين يشعرون، يؤسسونه على الشعور. أنت ترى الصواب والخطأ في كليهما.

---

[431] يتابع في المسودة المصححة: "الأفعى ليست فاصلاً بين المبدئين فقط، بل هي توحيد لهما أيضاً" (صفحة 91).

[432] عند التعليق على هذا الموضوع في سمينار عام 1925، أشار يونغ إلى أنه كان هناك العديد من الروايات الهامة في المثيولوجيا للعلاقة ما بين البطل والأفعى، ولهذا فإن ظهور الأفعى يشير إلى أنه: "ستكون مجدداً مثيولوجيا بطل". وقد أظهر مخططاً فيه خطان متقاطعان كصليب يوجد في طرفه الأعلى (العقلاني، التفكير / إيليا)، وفي الأسفل (الشعور/ سالومي)، وعن اليسار (اللاعقلاني، الحدسي / الفوقية)، وعن اليمين (الإحساس، الدونية/الأفعى). وقد فسّر الأفعى السوداء على أنها الليبيدو المنطوي" : تقود الأفعى الحركة السيكولوجية بشكل واضح إلى الضلال في مملكة الظلام، صور خاطئة وميتة، لكن إلى الأرض أيضاً، إلى التجسيد..... وبقدر ما تقود الأفعى إلى الظلال، يكون لديها وظيفة القرينة، إنها تقودك إلى الأعماق، باتصال ما بين الأعلى والأسفل... الأفعى هي رمز الحكمة أيضاً".

يتلوّى طريق الحياة كالأفعى من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، من التفكير إلى المتعة ومن المتعة إلى التفكير. وهكذا، فالافعى هي خصم للعدو ورمز له، لكنها أيضاً جسر الحكمة الذي يربط اليمين واليسار عبر التوق، الذي نحتاجه كثيراً في حياتنا[433].

إن المكان الذي يعيش فيه إيليا وسالومي، مكان مظلم ومضيء أيضاً. المكان المظلم هو مكان التفكير المُسبق. إنه مظلم، لذلك فمن يعش هناك يحتاج إلى قدرة بصرية[434]. هذا المكان محدود، ولذلك فإن التفكير لا يقود إلى مسافة طويلة، بل إلى أعماق الماضي والمستقبل. حجر الكريستال هو الفكرة المتشكّلة التي تعكس ما هو آت، عبر ما قد مضى. إن حواء والأفعى، تجعلانني أرى أن خطوتي التالية تقودني نحو المتعة، ومن هناك مرة أخرى، في توهان طويل مثل أوديسيوس. لقد ضلّ طريقه عندما قام بخدعته في طروادة[435]. الحديقة المشرقة في مكان المتعة. الذي يعيش هناك لا يحتاج إلى رؤيا[436]، هو يشعر باللانهاية[437]. المفكّر الذي يغرق في تفكيره، يجد الخطوة التالية تقوده إلى حديقة سالومي. وبالتالي، يخشى المفكر من فكرته، بالرغم من أنه يعيش على أساس التفكير. السطح المرئي أكثر أماناً من باطن الأرض. يحمي التفكير من طريق الخطأ، ولهذا يقود إلى التحجّر.

يجب أن يخاف المفكّر من سالومي، بما أنها تطلب رأسه، وبخاصة إن كان رجلاً مقدساً. لا يمكن للمفكّر أن يكون مقدساً، وإلا فسوف يفقد

---

[433] يتابع في المسودة: "بلحاقي بإيليا وسالومي، لحقت المبدأين الموجودين في داخلي، ومن خلالي، في العالم الذي أنا جزء منه"، (صفحة 106).

[434] يتابع في المسودة: "أي من التفكير. وبدون تفكير لا يستطيع المرء استيعاب فكرة"، (صفحة 92).

[435] يتابع في المسودة: "كيف كانت ستبدو الأوديسة من دون توهانه؟" (صفحة 107). أضاف في المسودة المصححة: "لن تكون هناك أوديسة" (صفحة 92).

[436] يتابع في المسودة المصححة: "بل المتعة ليستمتع بالحديقة" (صفحة 92).

[437] يتابع في المسودة: "من الغريب أن تكون حديقة سالومي قريبة جداً من قاعة الأفكار السرّية المقدسة والمبجّلة. هل يشعر المفكر بالرهبة، أم ربما حتى الخوف من الفكرة، بسبب قربها من الفردوس"؟ (صفحة 92).

رأسه. لا يمكن إخفاء الذات في الفكر. عندها يسيطر عليك التصلّب. عليك العودة إلى التفكير الأمومِي لتحقيق التجدد. لكن التفكير يقود إلى سالومي.

لأنني كنت مفكراً[438]، ولمحت من خلال التفكير مبدأ المتعة المعادي، فقد بدا لي على هيئة سالومي. لو كنت من أولئك الذين يشعرون، وتلمست طريقي نحو التفكير، عندها كان سيظهر لي كشيطان على هيئة ثعبان ملتفّ، إن كنت بالواقع قد رأيته. لكنني كنت سأبدو أعمى. ولهذا ما كنت سأشعر إلا بأشياء زلقة ميتة خطيرة تافهة مثيرة للغثيان، وكنت سأتراجع بالرِعدة نفسها التي شعرتها عندما ابتعدت عن سالومي.

شغف المفكر سيء، ولهذا لا يكون سعيداً. أفكار المرء الذي يشعر،[439] سيئة، ولهذا ليس لديه أفكار. من يفضَل التفكير على الشعور[440]، يترك شعوره[441] ليتعفّن في الظلام. لا ينضج أبداً، بل ينتج في العفونة محاليق مريضة لا تصل إلى الضوء. من يفضّل الشعور على التفكير، يترك تفكيره في الظلام، حيث يغزل شباكه في أماكن مظلمة، شبكات مقفرة يقع فيها البعوض والناموس. يشعر المفكر بالقرف من الشعور، بما أن الشعور لديه مثير للاشمئزاز أساساً. يفكر المرء الذي يشعر باشمئزاز من التفكير، بينما التفكير لديه مثير للاشمئزاز بشكل رئيسي. وهكذا توجد الأفعى بين المفكّر والشخص الذي يشعر، كلٌ منهما سمّ الآخر وعلاج له.

في الحديقة، أصبح من الواضح بالنسبة لي أنني أحببت سالومي. هذا الاعتراف يصدمني، بما أني لم أفكر به. يعتقد المفكّر أن ما لا يفكر به، لا وجود له. يتولد لديك حس داخلي بالكليّة، عندما تتقبّل المبدأ النقيض لمبدئك، بما أن الكليّ ينتمي إلى المبدأين اللذين ينضِجان من الجذر نفسه[442].

---

[438] يتابع في المسودة: "كنت مفكراً. ما الذي يثير دهشتي أكثر من الاجتماع الحميمي للتفكير المُسبق والمتعة، هذين المبدئن المتناقضين؟" (صفحة 108).

[439] في المسودة المصححة: "من لديه متعة" (صفحة 94).

[440] في المسودة المصححة: "متعة" (صفحة 94).

[441] في المسودة المصححة: "متعة" (صفحة 94).

[442] يتابع في المسودة: "وكما قال أحد شعرائكم: يحمل المحور قطعتي حديد"، (صفحة 110).

قال إيليا: "عليك أن تراها من خلال حبها!" أنت لا تبجّل الموضوع فقط، بل يبجّلك الموضوع أيضاً. أحبّت سالومي النبي، وهذا جعلها مقدّسة. أحب النبي الله، وهذا جعله مقدساً. لكن سالومي لم تحبّ الله، وهذا يدنّسها. والنبي لم يحب سالومي، وهذا يدنّسه. وهكذا كان كلٌ منهما سمّ الآخر وموته. على الشخص المفكّر القبول بهذه المتعة، وقبول الشخص صاحب الشعور بفكره الشخصي. هذا يوجّه المرء على طول الطريق[443].

[443] في العام 1913 قدم يونغ هذه المقالة: "حول مسألة النماذج السيكولوجية"، وفيها أشار إلى ان الليبدو أو الطاقة النفسية في الفرد، كانت توجهه على نحو مميز، نحو الموضوع (الانبساط) أو نحو الذات (الانطواء)"، الأعمال الكاملة 6. في بداية صيف العام 1915 بدأ مراسلات مكثفة مع (هانس شيمد) حول هذه المسألة، التي يبين فيها أن وظيفة التفكير تهيمن على (الانطوائيين) ووظيفة الشعور على (الانبساطيين). وأن الانبساطيين يقعون تحت هيمنة آلية (الألم – سعادة)، ويلتمسون حب الموضوع، ويلتمسون بشكل غير واعٍ، قوة الطغيان. يسعى (الانطوائيون) بشكل غير واعٍ، إلى متعة دنيوية، وعليهم أن يروا أن الموضوع كان أيضاً رمزاً لمتعتهم. في 7 آب من العام 1915. كتب إلى (شميد): "يجب أن تتساوى الأضداد في الفرد ذاته". هذه الصلة بين التفكير والانطواء من جهة والشعور والانبساط من جهة أخرى، بقيت مستمرة في مناقشته حول هذا الموضوع حتى العام 1917 في "سيكولوجيا العمليات اللاواعية". وفي كتاب "النماذج السيكولوجية"، توسع هذا النموذج ليشمل نوعين من السلوك الانبساطي والانطوائي اللذين يتفرعان إلى أقسام أخرى، حسب سيطرة إحدى الوظائف السيكولوجية الأربع، وهي التفكير والشعور والإحساس والحدس.

الفصل العاشر:

التعليمات

في الليلة التالية[444]، تم توجيهي إلى صورة جديدة: أنا أقف في عمق صخري يبدو لي كفوهة بركان. أرى أمامي بيتاً له أعمدة. أرى سالومي تمشي على طول الجدار نحو اليسار، تلامس الجدار كشخص أعمى. الأفعى تلحق بها. الرجل العجوز يقف عند الباب ويلوّح بيده لي. اقتربت بتردد. وطلب من سالومي أن تعود. تبدو كشخص يعاني. لم أستطع رؤية أي دنس في طبيعتها. كانت يداها بيضاوين، وعلى وجهها تعبير لطيف. تزحف ًالأفعى أمامهما. وقفتُ أمامهما بشكل أخرق وكأني صبي غبي، واقع تحت سيطرة الغموض وعدم اليقين. رمقني العجوز بتفحّص وقال: ما الذي تريده هنا؟"

أنا: "اعذرني، لا يقودني إلى هذا المكان رغبةُ اقتحامٍ ولا غرور. أنا هنا بمحض الصدفة، لا أعرف ماذا أريد. أحضرني التوقُ الذي بقي في بيتك ليلة البارحة. وكما ترى أيها النبي، أنا متعب، رأسي ثقيل كالرصاص. أنا تائه في جهلي. لقد عبثت بنفسي بما فيه الكفاية. مثّلت أدواراً منافقة مع نفسي، واشمأزّ الجميع مني. ليس من الذكاء أن نؤدي

[444] في 22 كانون الأول - ديسمبر من العام 1913، قدّم يونغ مناقشة "عن سيكولوجيا اللاوعي" في جمعية زيورخ للتحليل النفسي.

الدور الذي يتوقعه الآخرون منا، في عالم البشر. يبدو لي وكأني كنت واقعياً أكثر هنا. ومع ذلك لا أحب أن أكون هنا".

بدون أية كلمة، دخل إيليا وسالومي إلى البيت. تبعتهما على مضض. يعذبني شعور بالذنب. أهو ضمير سيئ؟ أرغب بالعودة لكنني لا أستطيع. وقفت أمام الضوء المتراقص في البلورة الكريستالية. أرى بروعة والدة المخلص مع الطفل. يقف بطرس أمامها بإعجاب – وبعدها، بطرس وحيداً مع المفتاح – البابا مع تاج ثلاثي – بوذا جالس بشكل صارم وسط دائرة النار – إلهة دموية متعددة الأذرع[445] – إنها سالومي تفرك يديها بيأس[446] – تقبض عليّ، إنها روحي، والآن أرى إيليا في صورة الحجر.

يقف إيليا وسالومي مبتسمين أمامي.

أنا: "هذه الرؤى مليئة بالعذاب، ويخفى عليّ معنى هذه الصور، أرجوك يا إيليا، الق بعض الضوء".

ابتعد إيليا بصمت، وأخذ طريقه نحو اليسار. دخلت سالومي نسق الأعمدة إلى اليمين. قادني إيليا إلى غرفة أشد ظلمة. مصباح أحمر مضاء يتدلى من السقف. جلست منهكاً. وقف إيليا أمامي منحنياً فوق أسد من الرخام في وسط الغرفة.

إيليا: "هل أنت قلق؟ جهلك هو المسؤول عن شعورك بالذنب. عدم المعرفة ذنب، لكنك تؤمن بأن الحث على المعرفة المحرمة هو ما يسبب شعورك بالذنب. ما سبب وجودك هنا برأيك؟"

أنا: "لا أعرف. لقد غرقت في هذا المكان عندما حاولت دون معرفة مني، مقاومة ما لا أعرفه. والآن أنا هنا مندهش ومشوش، وغبي جاهل. أختبر أشياء غريبة في بيتك، أشياء ترعبني، ومعناها غير واضح بالنسبة لي".

إيليا: "إن لم يكن قانونك أن تكون هنا، فكيف لك أن تكون هنا؟"

---

[445] في المسودة الأصلية: "كالي، Kali"، (صفحة 113).

[446] يتابع في الكتاب الأسود الثاني: "والآن، الشكل الأبيض لفتاة بشعر أسود – روحي– والشكل الأبيض لرجل، والذي يظهر لي أيضاً بالوقت نفسه – إنه يشبه تمثال موسى الذي نحته مايكل أنجلو – إنه إيليا" (صفحة 84). تمثال موسى هذا هو في كنيسة سان بيترو في فينكولي، في روما. وقد كان موضوعاً لدراسة قام بها فرويد ونشرها في العام 1914 (النسخة الأصلية من الأعمال الكاملة لسيغموند فرويد).

أنا: "أنا أعاني من ضعف قاتل يا أبتي".

إيليا: "أنت مراوغ. لا يمكنك تحرير نفسك من قانونك".

أنا: "كيف أحرر نفسي مما لا أعرفه ولا أستطيع الوصول إليه لا بالشعور ولا بالحس الداخلي؟".

إيليا: "أنت تكذب. ألا تعرف أنك أنت نفسك تدرك ما يعنيه أن سالومي تحبك؟"

أنا: "أنت على حق. ظهرت فكرة مريبة وغير مؤكدة بداخلي. لكني نسيتها مجدداً".

إيليا: "أنت لم تنسها. بل احترقت عميقاً في داخلك. هل أنت جبان؟ أم أنك لا تستطيع تمييز هذه الفكرة عن ذاتك الشخصية، بما يكفي بحيث تمنيت أن تنسبها لنفسك؟"

أنا: "بالنسبة لي، كانت الفكرة مبالغاً فيها بشكل كبير، وأنا أتجنّب الأفكار البعيدة الاحتمال. إنها خطيرة، بما أنني إنسان، وأنت تعرف كم هم البشر معتادون على رؤية الأفكار على أنها أفكارهم الخاصة تحديداً، بحيث أنهم يخطئون بينها وبين أنفسهم.

إيليا: "هل تختلط الأمور عليك ما بين نفسك وبين شجرة أو حيوان، لأنك تنظر إليها ولأنك موجود معها في العالم ذاته؟ هل يجب عليك أن تكون أفكارك، لأنك في العالم نفسه مع أفكارك؟ لكن الأفكار هي خارج ذاتك تماماً كما أن الشجرة أو الحيوان خارجِ جسدك"[447].

أنا: "أفهم هذا. عالم أفكاري كان بالنسبة لي كلاماً أكثر منه عالماً. أنا فكرت بعالم أفكاري: إنه أنا".

إيليا: "هل تقول للعالم الإنساني وكل مخلوق خارجك: أنت أنا؟".

---

[447] أشار يونغ إلى هذه المحادثة في كتاب "مقدمة إلى علم النفس التحليلي" وقال: "عندها فقط تعلمت الموضوعية السيكولوجية. عندها فقط استطعت أن أقول لمريضٍ لدي: "كن هادئاً، هناك شيء ما يحدث." هناك أشياء وكأنها فئران في منزل. لا يمكنك أن تقول إنكَ على خطأ عندما يكون لديك فكرة. من أجل فهم اللاوعي علينا أن نرى أفكارنا كأحداث، كظواهر ".

أنا: "يا أبتي، لقد دخلت منزلك بخوف طالب المدرسة. لكنك علمتني حكمة مفيدة[448]: يمكنني أيضاً أن اعتبر أفكاري ككائنات خارجة عني. هذا يساعدني بالعودة إلى تلك النتائج المرعبة التي تردد لساني بالتعبير عنها. فكرت أن سالومي تحبني لأني أشبه يوحنا أو أشبهك. بدت لي تلك الفكرة غير قابلة للتصديق. لهذا رفضت ذلك وفكّرت أنها تحبني لأني في الواقع، على النقيض تماماً منك، وفكّرت أنها تحب خبثها من خلال خبثي. كانت تلك الفكرة مدمّرة".

إيليا صامت. يُطبق ثقلٌ عليّ. دخلت سالومي، اقتربت مني ووضعت ذراعها على كتفي. أخطأتْ واعتقدتْ أني والدها لأنني أجلس في كرسيه. لم أتجرأ على الحركة أو الكلام.

سالومي: "أعرف أنك لست والدي. أنت ابنه، وأنا أختك".

أنا: "أنت، سالومي، أختي؟ هل تصدر هذه الجاذبية المريعة عنك؟ هذا الرعب الذي لا يوصف، منك ومن لمستك؟ من كانت والدتنا؟

سالومي: "مريم".

أنا: "أهذا حلم جهنمي؟ مريم، أمنا؟ أي جنون يتربص بكلامك؟ والدة المخلّص هي والدتنا؟ عندما عبرتُ عتبتك اليوم، تنبأتُ بكارثة. يا للأسف! لقد جاءتْ. هل جُننت يا سالومي؟ يا إيليا، يا حامي القانون السماوي، أجب: هل هذا سحر شيطاني ألقاه المرفوضون؟ كيف يمكنها أن تقول شيئاً كهذا؟ أو هل كلاكما مُصابان بالجنون؟ أنتما رمزان، ومريم رمز. أنا مشوش ولا أستطيع الرؤية من خلالكما".

إيليا: "يمكنك أن تقول إننا رمزان، للسبب نفسه الذي يمكنك به أن تقول إن رفاقك البشر رموز أيضاً، إن شئت ذلك. لكننا واقعيان تماماً كما هم رفاقك البشر. أنت لا تُبطِل شيئاً ولا تحلّ شيئاً بتسميتنا رمزين".

أنا: "أنت أوقعتني بتشوش فظيع. هل تريد أن تكون واقعياً؟"

[448] يوجد في المسودة كلمة بديلة وهي "الحقيقة" (الصفحة 100).

إيليا: "نحن بالتأكيد ما تسميه واقعاً. نحن هنا، وعليك القبول بنا. الخيار خيارك".

أنا صامت. سالومي ذهبت. أنظر حولي دون يقين. تتألق خلفي شعلة حمراء ذهبية مرتفعة حول مذبح دائري. طوّقت الأفعى الشعلة. عيناها تومضان بانعكاسات ذهبية. اتجهت نحو المخرج مترنحاً. ما إن خرجت إلى القاعة، حتى رأيت أسداً قوياً يتجه نحوي. وفي الخارج، كانت ليلة باردة واسعة مليئة بالنجوم.

[449]ليس اعتراف المرء بتوقه مسألة صغيرة. على كثيرين أن يبذلوا جهداً ليكونوا صادقين ويتمكنوا من القيام بهذا. لا يريد الكثيرون معرفة مكمن توقهم، لأنه سيبدو بالنسبة لهم مستحيلاً أو مزعجاً. ومع ذلك فالتوق هو طريق الحياة. إن لم تعترف بتوقك، فلن تتبع ذاتك، بل تستمر بطرقات غريبة أشار لك الآخرون بها. وبالتالي لا تعيش حياتك إلا كشخص غريب. لكن من يجب أن يعيش حياتك إن لم تكن أنت؟ ليس من الغباء فقط أن تستبدل بحياتك الخاصة حياة غريب، بل هي لعبة نِفاق أيضاً، لأنك لا

---

[449] في المسودة المصححة: "الانعكاس المرشد (صفحة 103). في المسودة والمسودة المصححة هناك فقرة مطولة. ما يتبع هنا هو إعادة صياغة: أتساءل ما إن كان هذا واقعياً، عالم سفلي، أو واقع آخر، وما إن كان الواقع الآخر هو من أجبرني على القدوم إلى هنا. أرى هنا أن سالومي، متعتي، تتحرك إلى اليسار، الجانب الدنس والسيئ. هذه الحركة تتبع الأفعى، التي تمثل المقاومة والعداوة ضد هذه الحركة. تخرج المتعة من الباب. التفكير المسبق (المسودة المصححة: "الفكرة"، في كامل هذه الفقرة) يقف عند الباب، يعرف المدخل إلى الألغاز. وهكذا تذوب الرغبة في الكثرة، إن لم يوجهها التفكير المُسبق ويحركها تجاه هدفها. إذا التقى المرء بشخص يرغب فقط فسيجد مقاومة ضد رغبته خلفها، تكسب الرغبة الكثير بدون التفكير المُسبق، لكنها لا تحتفظ بشيء، لهذا فإن رغبته مصدر خيبة أمل مستمرة. لذلك يطلب إيليا من سالومي العودة. إن اتحدت المتعة مع التفكير المُسبق، فسوف تتمدد الأفعى أمامهما. للنجاح بأمر ما، عليك أولاً التعامل مع المقاومة والصعوبة، وإلا غادر الفرح خلف الألم وخيبة الأمل. لذلك اقتربت. كان علي أولاً التغلّب على الصعوبة والمقاومة لكسب ما رغبت به. عندما تتغلب الرغبة على الصعوبة، تصبح مُبصرة وتتبع التفكير. لذلك أرى أن يدي سالومي نقيتان، وليس عليهما أثر لجريمة. رغبتي نقية، إن تغلّبت أولاً على الصعوبة والمقاومة. إن تأملت بالمتعة والتفكير المُسبق، أكون مثل أحمق، يتبع توقه بشكل أعمى. إن تبعت تفكيري، فإنني أتخلى عن متعتي. قال القدماء في صور، إن الأحمق يجد الطريق الصحيح، للتفكير المُسبق الكلمة الأولى، لذلك سألني إيليا ماذا أريد. عليك دائماً أن تسأل نفسك ما الذي ترغب به، لأن الكثيرين جداً لا يعرفون ماذا يريدون. لم أكن أعرف ماذا أريد. عليك أن تعترف بتوقك وبما تتوق إليه بنفسك. وبهذا، ترضي متعتك وتغذي تفكيرك بالوقت نفسه "المسودة المصححة (103 – 104).

تستطيع فعلاً عيش حياة الآخرين، يمكنك التظاهر بهذا فقط، خادعاً نفسك والآخرين، بما أنك تستطيع عيش حياتك فقط.

إن تخليت عن ذاتك، فسوف تعيشها في الآخرين، وبهذا، تصبح أنانياً مع الآخرين، أي تخدعهم. وبالتالي يعتقد الجميع أن حياة كهذه ممكنة. لكنها ليست إلا تقليداً قردياً. أنت تُعدي الآخرين عبر الاستسلام لشهيتك القردية، لأن القرد يحفّز الصفات القردية. ولهذا تحوّل نفسك والآخرين إلى قرود. ومن خلال التقليد المتبادل، تعيش الحياة وفق التوقع العام. لقد وُضِعت صورة البطل أمام الجميع، وفي كلِ عصر، عبر الميل الفطري للتقليد. ولذلك يُقتل البطل، لأننا جميعاً نحوله إلى قرد. هل تعرف لماذا لا تستطيع التخلّي عن الصفات القردية؟ بسبب الخوف من الهزيمة والوحدة.

أن تعيش ذاتك، يعني: أن تصبح أنت عبارة عن مهمّتك الخاصة. لا تقل أبداً إن من الممتع أن تعيش ذاتك. لن يكون الأمر مفرحاً بل سيكون معاناة طويلة، لأن عليك أن تصبح خالق نفسك حينها. إن كنت تريد خلق ذاتك، فلا تبدأ بالأفضل والأسمى، بل بالأسوأ والأعمق. لذلك قل إنك تعارض عيش ذاتك. إن التدفق مع جدول الحياة مؤلم وليس مُفرحاً، لأنه قوة ضد قوة، لأنه ذنب، لأنه يشتت ما هو مقدّس.

صورة والدة المُخلّص مع الطفل التي أتوقعها، تعني لغز التحوّل بالنسبة لي[450]. إن اتحدت المتعة بداخلي مع التفكير المُسبق، فسيظهر الثالث منهما، الطفل السماوي[451]، المعنى الخارق، الرمز، العبور إلى خلق جديد. أنا نفسي لم أصبح المعنى الفائق أو الرمز، لكن الرمز أصبح في داخلي بحيث أصبحت له مادته الخاصة، وأصبحت لي مادتي الخاصة. وهكذا أقف مثل بطرس متعبداً أمام معجزة التحوّل، وقد تجسّد الأعلى بداخلي.

على الرغم من أني لست ابن الرب أنا نفسي، لكنني أمثّله كشخص كان أماً للمخلّص، وبهذا مُنِح حرية الحل والربط باسم الرب. الحل والربط يحدث في

[450] في المسودة المصححة: "في مظهره الخارجي، في معاناة الواقع الدنيوي" (الصفحة 107).
[451] يوجد بدلاً منها في المسودة المصححة: "ابن الله"، (الصفحة 107).

داخلي[452]. لكن بقدر ما يحدث بداخلي، وأنا جزء من العالم، فهو يحدث من خلالي في العالم، وما من أحد يستطيع إعاقته. لا يحدث وفق إرادتي بل بشكل لا يمكن تجنّبه. أنا لست سيداً عليكم، بل كينونة الأعلى في داخلي. لقد أقفلت على الماضي بمفتاح واحد، وأفتح المستقبل بالآخر. يحدث هذا من خلال تحوّلي. تسيطر معجزة التحوّل. أنا خادمها، تماماً كما هو البابا خادمها. أنت ترى كم يصعب تصديق شيء كهذا عن المرء[453]. لا يمكن تطبيقه عليّ، بل على الرمز. يصبح الرمز ربي والقائد الذي لا يخطئ. سيعزز سلطته ويحوّل نفسه إلى صورة ثابتة وملغّزة، يتحول معناها بشكل كامل داخلياً، وتشعّ السعادة منها إلى الخارج كالنار الملتهبة[454]، بوذا في اللهب[455]. لأني أغرق في رمزي إلى هذا المدى، يغيرني الرمز من جانبي الأول إلى الجانب الآخر، وتلك الإلهة القاسية الموجودة بداخلي، متعتي الأنثوية، جزئي الآخر، المعذَّبة المعذِّبة، والتي ستتعذب. لقد فسرت هذه الصور، بأفضل ما أستطيع، بكلمات ضعيفة.

في[456] لحظة ذهولك، اتبع تفكيرك وليس رغبتك العمياء، بما أن التفكير يقودك إلى المتاعب التي يجب دائماً أن تأتي أولاً. إنها تأتي مع ذلك. إن نظرت

---

452 إنجيل متى 18: 18: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ".

[453] يتابع في المسودة، والمسودة المصححة: "أصبح البابا في روما صورة بالنسبة لنا (...) يصبح المعنى الفائق إلهي والقائد المعصوم، مع ذلك ليس فقط في داخلي، بل ربما في العديد من الناس الآخرين الذين لا أعرفهم". (المسودة المصححة صفحة 108 – 109).

[454] في المسودة المصححة: "وهكذا أصبحت، مثل بوذا جالساً في اللهب" (صفحة 109)

[455] يتابع في المسودة المصححة: "حيث تكون الفكرة، تكون المتعة موجودة أيضاً. إن كانت الفكرة في الداخل، فالمتعة في الخارج. ولهذا فإن جواً من المتعة الشريرة يطوقني. تعطيني (....) فاسقة متعطشة للدماء هذا الإحساس الزائف. يحدث هذا لأن عليّ أن أعاني من تجسد الإله، وبهذا لا يمكن فصله عن ذاتي أولاً. لكن ما دام غير مفصول عني، فإنني أقع تحت سيطرة الفكرة التي أنا هي، وبناء عليه أنا أيضاً المرأة المرافقة للفكرة من البداية. وبهذا، أستقبل الفكرة وأمثلها في أسلوب بوذا، تشبه متعتى (كالي) الهندية، بما أنها الجانب الآخر لبوذا. على أية حال، (كالي) هي سالومي، وسالومي هي روحي". (صفحة 109).

[456] في المسودة، تظهر فقرة طويلة هنا، وهي إعادة صياغة للتالي: تشبه اللامبالاة الموت. احتجت إلى تحوّل كامل. من خلال هذا دخل معناي إلى الداخل بالكامل كما حدث لبوذا. ثم حدث التحول. وبعدها انتقلت نحو المتعة، حيث كنت مفكراً. كمفكر، رفضت شعوري، بل رفضت جزءاً من الحياة. وبعدها أصبح شعوري نبتة سامة، وعندما استيقظ، كان شهوانية بدلاً من المتعة، الشكل الأدنى والأعمّ من المتعة. ويتمثل هذا بـ (كالي). سالومي هي صورة متعته، التي تعاني الألم، بما أنها كانت سجينة لزمن طويل. وبذلك أصبح ظاهراً أن سالومي، كمثال، متعتي، كانت روحي. عندما أدركت هذا، تغير تفكيري وارتقي إلى الفكرة، وبعدها ظهرت صورة إيليا. وجعلني هذا مستعداً لمسرحية غامضة،

نحو اليمين، تسقط أولاً في ظلمة أشدّ عتمة. في هذه الظلمة تجد ضوءاً مع شعلة ضعيفة، تعطيك ضياءً باهتاً وحسب، لكنها كافة لرؤية جارك. من المرهق الوصول إلى هذا الهدف الذي لا يبدو هدفاً. وهكذا فهو جيد: أنا مشلول وبالتالي مستعد للقبول. يستقر تفكيري على الأسد، قوتي[457].

تمسكت بالشكل المقدّس، ولم أرغب بالسماح للفوضى باختراق سدودها. آمنت بنظام العالم، وكرهت كل شيء غير منظم وغير متشكل. ولهذا، وقبل كل شيء، كان عليّ أن أدرك أن قانوني الشخصي قد أوصلني إلى هذا المكان. وبما أن الله تطوّر في داخلي، فقد اعتقدت أنه كان جزءاً من ذاتي. اعتقدت أن "أنا"ي تشمله، ولهذا اخطأت به واعتبرته فكرتي. لكنني اعتبرت أيضاً أن أفكاري كانت جزءاً من "أنا"ي. وهكذا دخلت إلى أفكاري، وإلى التفكير بالله، وبهذا، اخطأت واعتبرته جزءاً من ذاتي.

على حساب أفكاري تركت ذاتي، وبهذا أصبحت ذاتي جائعة وحوّلت الأعلى إلى فكرة أنانية. إن تركت ذاتي، فسيقودني جوعي إلى العثور على ذاتي في هدفي، أي في فكرتي. ولهذا أنت تحبّ الأفكار المنطقيّة والمنظّمة، بما أنك لا تستطيع تحمّل أن تكون ذاتك في حالة فوضى، أي أفكاراً غير مناسبة. من خلال رغبتك الأنانية، تُخرج من أفكارك كل شيء لا تعتبره منظّماً، وهذا يعني، ما هو غير

وأرتني سلفاً طريق التحول الذي كان علي اجتيازه في (الأسرار المقدسة). يؤدي تدفق التفكير والمتعة معاً، إلى ولادة المخلّص. أدركت أن الأعلى في داخلي يريد أن يصبح إنساناً، لقد أخذت هذا بعين الاعتبار ونفذته، وأصبحت خادم الله، لكن ليس من أجل أي شخص آخر غيري. (المسودة المصححة: سيكون من الجنون افتراض أني قمت بهذا أيضاً من أجل الآخرين. لقد غرقت في تأمل عجيبة التحول، وانتقلت أولاً إلى سوية أخفض من متعتي، وبعدها ومن خلال ذلك، أدركت روحي. أشارت لي ابتسامات إيليا وسالومي بسعادتهما بوجودي، مع أني كنت في ظلمة عميقة. عندما كان الطريق مظلماً، كذلك كانت الفكرة التي تعطي الضوء. عندما تسمح الفكرة في لحظة التشوش، المجال للكلمات وليس للتوق الأعمى، عندها تقودك الكلمات نحو المتاعب. حيث أنها تقودك نحو اليمين. ولهذا اتجه إيليا يساراً، إلى الجانب غير المقدس والشرير، بينما اتجهت سالومي يميناً، إلى الجانب الخيّر والصحيح. هي لم تذهب إلى الحديقة، مكان المتعة، بل بقيت في بيت الأب (صفحة 120 – 102).

[457] في المسودة الأصلية، تظهر فقرة، إعادة توضيح لما سيأتي: إن كنتُ قوياً، فكذلك هي أهدافي وافتراضاتي المُسبقة أيضاً. يضعف تفكيري الشخصي ويذهب إلى الفكرة. تصبح الفكرة قوية، إنها مدعومة بقوتها الخاصة. أدرك هذا من حقيقة أن إيليا مدعوماً من قِبَلِ الأسود. الأسد من الحجر. متعتي ميتة وتحولت إلى حجر، لأني لم أحب سالومي. أعطى هذا فكرتي برودة الحجر، ومن هذا اتخذت الفكرة صلابتها، التي تحتاجها لإخضاع فكرتي. لقد احتاجت إلى أن تكون خاضعة بينما تكافح ضد سالومي، بما أنها بدت سيئة بالنسبة لها. (صفحة 128).

مناسب. أنت تخلق نظاماً بحسب ما تعرفه، أنت لا تعرف أفكار الفوضى، ومع ذلك فهي موجودة. أفكاري ليست ذاتي، و "أنا"ي لا تتقبّل الفكرة. لدى فكرتك هذا المعنى أو ذاتك، ليس فكرة واحدة، بل عدة معان. لا أحد يعرف كم عددها.

أفكاري ليست ذاتي، بل هي تشبه الأشياء في العالم، حيّة وميتة[458]. وكما أنني لست معطوباً بسبب العيش في عالم فوضوي جزئياً، كذلك لست معطوباً إن عشت في عالم أفكاري الفوضوي جزئياً. الأفكار أحداث طبيعية أنت لا تملكها، وأنت فقط تدرك معناها بشكل ناقص[459]. تنمو الأفكار في داخلي مثل غابة، مسكونة بحيوانات مختلفة. لكن الإنسان مستبدّ بتفكيره، ولهذا يقتل متعة الغابة ومتعة حيواناتها البرية. الإنسان عنيف برغبته، وهو نفسه يصبح غابة وحيوان غابة. وكما أن لدي الحرية في العالم، لدي الحرية بأفكاري. الحرية مشروطة.

عليّ أن أقول لأشياء معينة في العالم: لا يجب أن تكوني هكذا، بل عليكِ أن تكوني مختلفة. لكني أنظر في البداية إلى طبيعتها بعناية، وإلا لن أستطيع تغييرها. أنا أعمل بالطريق نفسه مع أفكار محددة. أنت تغير تلك الأمور التي تعرّض صالحك للخطر، لأنها ليست مفيدة بحد ذاتها. تعامل مع أفكارك بالطريقة ذاتها. لا شيء كامل، وهناك الكثير من الأمور المتنازع عليها. إن التحوّل طريق الحياة، وليس الاستبعاد. أن تكون بحالة جيدة هي حكمٌ أفضل من القانون.

كما أصبحتُ مدركاً للحرية في عالم التفكير، قبلَتني سالومي وأصبحت نبياً، بما أني قد وجدت المتعة في البداية الأصلية، في الغابة والحيوانات البرية. من المنطقي جداً بالنسبة إلي، أن أضع نفسي بالتساوي مع رؤاي، وأن أستمتع بالرؤية. أنا في خطر الاعتقاد بأني هامّ

---

[458] كتب يونغ في العام 1921: "الواقع الغريب لمحتويات اللاوعي، يعطينا الحق نفسه بتوصيفها كمواد تشبه الأشياء الخارجية" (النماذج السيكولوجية – الأعمال الكاملة 6).

[459] في المسودة، والمسودة المصححة: "سيكون أكثر من كونه تبايناً، إن اعتقدت بأني قد أنتجت أفكار الأسرار المقدسة" (المسودة المصححة، صفحة 115).

بحد ذاتي. لأنني أرى الهام. هذا سوف يقودنا إلى الجنون دوماً، ونحن نحول الرؤية إلى غباء وعبث، بما أننا لا نستطيع الكف عن التقليد[460].

وكما كان تفكيري ابن "التفكير المُسبق"، فإن متعتي هي ابنة "الحب"، ابنة أم المخلص البريئة الحامل. إضافة إلى المسيح، ولدت مريم سالومي. ولذلك فإن المسيح في إنجيل المصريين يقول لسالومي: "كلي كل عشب، لكن لا تأكلي العشب المرّ". وعندما أرادت سالومي أن تعرف، قال المسيح لها: "إن سحقتِ غطاء العار، وعندما يصبح الاثنان واحداً، والذكر مع الأنثى، ليسا ذكراً ولا أنثى"[461].

التفكير المُسبق مانحٌ، والحبّ متلق[462]. كلاهما يتجاوزان هذا العالم. هنا الفهم والمتعة، نحن نرتاب بالآخرِ وحسبٍ. سيكون من الجنون التصريح بأنهما موجودان في هذا العالم. كثيرة جداً هي الحلقات الماكرة والملغّزة حول هذا الضوء. لقد كسبتُ القوة مجدداً من الأعماق، وذهبت أمامي مثل أسد[463].

---

[460] يتابع في المسودة: "أدركت الأب لأني كنت مفكراً، وبهذا لم أعرف الأم، لكن رأيت الحب في مظهر المتعة، وأسميته متعة، وهكذا كانت سالومي بالنسبة لي. عرفت الآن أن مريم هي الأم البريئة المتلقية للحب، وليس المتعة التي تحمل بذرة الشرّ في طبيعتها الشغوفة المغوية. إن كانت سالومي، المتعة الشريرة، هي أختي، عندئذٍ لا بدّ أن أكون قديساً مفكرا، ويلقى فكري مصيراً محزناً. عليّ التضحية بعقلي والاعتراف لكم بأن ما قتله لكم عن المتعة، أي إنها المبدأ المعاكس للتفكير، هو مبدأ ناقص ومتحيز. أنا راقبت كمفكر من الموقع الأفضل لتفكيري، وإلا، لكنت استطعت أن أدرك أن سالومي، كابنة لإيليا، هي ذرية الفكر وليست المبدأ ذاته الذي تظهر به مريم، الأم العذراء البريئة".

[461] إنجيل المصريين هو أحد الأناجيل المنحولة التي تُقدم حواراً ما بين المسيح وسالومي. يصرح المسيح بأنه وصل إلى إبطال عمل الأنثى، أي الشهوة والولادة. أجاب المسيح على سؤال سالومي عن المدّة التي سيسود فيها الموت، أجاب المسيح: طالما أن النساء يحملن أطفالاً. وهنا يشير يونغ إلى الفقرة التالية: "قالت: إذن فعلت حسناً بأن لم أنجب أطفالاً" متخيلة بأنه غير مسموح إنجاب الأطفال، أجاب الرب: كلي من جميع الأعشاب، ولا تأكلي عشباً مراً". ويستمر الحوار: "عندما سألت سالومي متى سيُعلن هذا، أجاب الرب: "عندما تسحقين تحت قدمك غطاء العار، وعندما يُصبح الاثنان واحداً، ويصبح الذكر والأنثى، لا ذكراً ولا أنثى". وقد استشهد يونغ بهذا القول المأثور الذي أصبح متوفراً لديه من (كليمنت في كتاب ستروماتيس) كمثال عن اتحاد المتضادات في (الرؤى)، 1932 المجلد الأول، صفحة 524، وكمثال على الاتحاد بين الذكر والأنثى في "عن سيكولوجية نموذج الطفل البدئي" (1940، الأعمال الكاملة 9 – 1، واتحاد الأسرار المقدسة، 1955 – 1956، الأعمال الكاملة 14.

[462] يتابع في المسودة والمسودة المصححة: "عندما أظهرت لي المسرحية الغامضة هذا، لم أفهم، بل اعتقدت أني أنتجت فكرة مذهلة. ولهذا كنت تحت سيطرة الخوف، وأردت شرح أفكاري الاعتباطية لإيليا وسالومي، وبالتالي إضعافها". صفحة 118

[463] يتابع في المسودة: صورة الليلة الباردة المرصعة بالنجوم، تفتح عيني على لا نهائية العالم الداخلي، الذي أشعر به كرجل لديه رغبة، بأنها باردة جداً. لا أستطيع جذب النجوم إليّ، بل مراقبتها فقط. وهكذا فإن رغبتي المتهورة تشعر بأن العالم ليليّ وبارد. صفحة 135

الفصل الحادي عشر:

الحلّ[464]

[465]في الليلة الثالثة، سيطر عليّ توقٌ عميق لإكمال اختبار الألغاز. كان الصراع ما بين الشكّ والرغبة كبيراً في داخلي. لكن فجأة، رأيت أني أقف أمام جبل شديد الانحدار في أرض قاحلة. كان يوماً مشرقاً متألقاً. لمحت النبي في الأعلى فوقي. أشار إليّ بالابتعاد، وتخليت عن قراري بالصعود. انتظرت في الأسفل محدقاً للأعلى. أنظر: إلى اليمين ليل مظلم، وإلى اليسار نهار مشرق. تفصل الصخرة ما بين الليل والنهار. يوجد من الجانب المظلم أفعى سوداء كبيرة، ومن الجانب المشرق أفعى بيضاء. دفعت كلٌ منهما رأسها نحو الأخرى توقاً لمعركة. وقف إيليا على الذروة فوقهما. انقضّت إحداها على الأخرى واندلع صراع مرعب. تبدو الأفعى السوداء أقوى إذ تراجعت الأفعى البيضاء. ارتفعت كميات هائلة من الغبار من مكان الصراع. لكن حينها: رأيت الأفعى السوداء تنسحب متراجعة من جديد، وقد تحوّل القسم الأمامي من جسدها إلى اللون الأبيض. التفت كل أفعى على نفسها، واحدة في الضوء والأخرى في الظلام[466].

---

464 هذا يصور مشهداً في الأخيولة التي تلت.

465 في 25 كانون الأول - ديسمبر من العام 1913.

466 قال يونغ في كتاب "مقدمة إلى علم النفس التحليلي": " بعد بضع أمسيات، شعرت أن الأمور يجب أن تستمر، ومرة أخرى حاولت أن أتبع الإجراءات نفسها، لكن الغوص في اللاوعي لم يحدث. بقيت على السطح. أدركت بعدها أنه لديّ صراع مع نفسي حول الغوص في العمق، لكن لم أستطع أن أستوضح ما هو، شعرت فقط أن هناك مبدأين مظلمين يصارع أحدهما الآخر، اثنتين من الأفاعي".

إيليا: "ما الذي رأيته؟"

أنا: "رأيتُ قتالاً بين زوج من الأفاعي الهائلة. بدا لي وكأن الأفعى السوداء ستتغلب على البيضاء، لكن انظر، الأفعى السوداء انسحبت وتحوّل رأسها والنصف الأمامي من جسدها إلى اللون الأبيض".

إيليا: "هل فهمت ذلك؟"

أنا: "اعتقدت أن الأمر انتهى، ولم أستطع أن أفهمه. هل يعني أن قوة النور الخيّر ستصبح عظيمة بحيث يصبح الظلامٍ الذي يقاومه مضاءً به؟"

يتسلّق إيليا الذرا أمامي إلى ذروة عالية جداً، أتبعه. على القمة وصلنا إلى مبنى حجري مصنوع من قوالب هائلة. إنها سدود تحيط بالقمة[467]. يوجد فناء كبير في الداخل، وفي وسطه صخرة هائلة مثل مذبح. وقف النبي على هذه الصخرة وقال: "هذا معبد الشمس. هذا المكان عبارة عن وعاء، إنه يجمع ضوء الشمس".

نزل إيليا عن الصخرة، أصبح شكله أصغر أثناء نزوله، وأخيراً أصبح مثل قزم، لا يشبه نفسه.

أسأل أنا: "من أنت؟"

"أنا ميم[468]، وسوف أريك المنابع. يصبح الضوء المجموع هنا ماءً، ويتدفق بعدة ينابيع من القمة إلى وديان الأرض". وبعدها يتسرب للأسفل عبر شقّ. تبعته إلى كهف مظلم. سمعت صوت تدفّق نبع ماء. سمعت صوت القزم من الأسفل: "هنا تقع منابعي، من يشرب منها يصبح حكيماً".

لكن لم أستطع الوصول للأسفل. فقدت الشجاعة. أغادر الكهف مرتاباً، أخطو خطوة إلى الأمام وأخرى إلى الخلف في ساحة الفناء. يبدو كل شيء

---

[467] في سيمنار 1925، أضاف يونغ: "فكرت، أوه، إنه مكان مقدس (درويدي – الدرويد هو كاهن في فترة ما قبل المسيحية للعرق السلتي الذي يشكل الفرنسيين والبريطانيين والإيرلنديين القدماء)" (كتاب مقدمة إلى علم النفس التحليلي).

[468] في أوبرا فاغنر (خاتم النيبلونج – سلالة أقزام النيبلونج)، القزم النيبلونجي "ميم" هو أخو ألبيرش وسيد الحرفيين. سرق ألبيرتش (رين غولد) من (الرين ميدنز). وكان قادراً من خلال إنكاره للحب، على صنع خاتم يحتوي قوى غير محدودة. في أوبرا سيغفريد، "ميم" ، الذي يعيش في كهف، ربّى سيغفريد كي يقتل (فافنر) العملاق، الذي تحول إلى تنين ولديه الخاتم الآن. ذبح سيغفريد (فافنر) بسيف لا يُقهر، كان قد صنعه "ميم" ثم قتل "ميم" الذي كان ينوي قتله بعد أن يستعيد الخاتم.

غريباً وغير قابل للفهم. يوجد هنا عزلة شديدة وصمت مميت. الهواء بارد ونقي كما يكون على الذرا العالية، فيضان رائع من ضوء الشمس في كل مكان، أحاط الجدار العظيم بي. تزحف الأفعى فوق الحجر. إنها أفعى النبي. كيف خرجت من العالم السفلي إلى العالم العلوي؟ تبعتها ورأيت كيف تزحف على الجدار. أشعر بغرابة كل هذا: ينتصب هنا بيت صغير فيه رواق من الأعمدة، وحرف صغير يتكئ على الصخرة. أصبحت الأفعى صغيرة جداً. أشعر كما لو أني أنا أتقلّص أيضاً. تَضخّمتْ الجدران لتصبح جبلاً هائلاً، وأرى نفسي في الأسفل على قاعدة فوهة البركان في العالم السفلي، أقف أمام بيت النبي[469]. خرج النبي من باب منزله.

أنا: "ألاحظ يا إيليا، أنك أريتني أنواع الأشياء الغريبة كلها وتركتني أختبرها، وسمحت لي اليوم بالمثول أمامك. لكني أعترف أن هذا كله مبهم بالنسبة لي. يظهر عالمك اليوم أمامي بضوء جديد. الآن فقط كان كما لو أنني انفصلت لمسافة كبيرة جداً عن منزلك الذي لا زال لدي رغبة بالوصول إليه اليوم. لكن انظر: يبدو وكأنه المكان ذاته".

إيليا: "رغبتَ بشدّة المجيء إلى هذا المكان. أنا لم أخدعك، أنت خدعت نفسك. من يريد أن يرى لا يرى بوضوح، لقد بالغت بتقدير نفسك".

أنا: "هذا صحيح، كنت أتوق بفارغ الصبر للوصول إليك، لأسمع المزيد. أجفلتني سالومي وقادتني نحو الحيرة. شعرت بالدوار، لأن ما قالته بدا لي شنيعاً وأشبه بالجنون. أين سالومي؟"

---

469 في كتاب "مقدمة إلى علم النفس التحليلي"، فسر يونغ هذه الحادثة كما يلي: " إن تفسير تلك الأحلام هو على هذا الشكل: أولاً، الصراع بين الأفعيين: البيضاء تعني الانتقال إلى النهار، والسوداء إلى مملكة الظلام، مع الجوانب الأخلاقية أيضاً. كان هناك صراع حقيقي بداخلي، مقاومة للغوص بالعمق. كانت نزعتي الأقوى هي للصعود. لأنني كنت متأثراً جداً في اليوم السابق بوحشية المكان الذي كنت قد رأيته، كان لدي بالفعل نزعة لإيجاد طريق نحو الوعي بالصعود إلى الأعلى. كما فعلت في الجبل... كان إيليا قد قال إن الوضع هو نفسه في الأسفل أو الأعلى. يمكن مقارنته (بجحيم دانتي). يعبّر الغنوصيون عن الفكرة ذاتها من خلال رمز الأشكال المخروطية المعكوسة. وهكذا فإن الجبل وفوهة البركان مشابهان لها. لم يكن هناك شيء من بنية الوعي في تلك الأخيولات، كانت مجرّد أحداث وقعت. أعتقد أن (دانتي) قد حصل على أفكاره من النماذج البدئية نفسها.

إيليا: "كم أنت متهور! ما الذي يحدث معك؟ اقترب من الكرة الكريستالية وهيئ نفسك في ضيائها".

يتوهج إكليل من النار حول الحجر. يسيطر عليّ الخوف مما أراه: حذاء فلاح خشن؟ قدم عملاق تسحق مدينة كاملة؟ رأيت الصليب وإزالة الصليب والحِداد. كم هو مؤلم هذا المشهد! لم أعد أتوق — أرى الطفل السماوي، مع الأفعى البيضاء في يده اليمنى، والسوداء في اليسرى. أرى الجبل الأخضر وصليب المسيح فوقه، ونهر من الدم يتدفق من ذروة الجبل — لم أستطع النظر أكثر من ذلك، هذا غير محمول — أرى الصليب والمسيح فوقه في ساعة عذابه الأخيرةِ — تلتف الأفعى السوداء على نفسها عند قاعدة الصليب — لقد لفت نفسها حول قدمي — أمسكتني بسرعة وفتحت ذراعي على اتساعهما. اقتربت سالومي. لقد لفّت الأفعى نفسها حول جسدي كله، وأصبحت ملامحي ملامح أسد.

تقول سالومي: "كانت مريم والدة المسيح، هل تفهم هذا؟"

أنا: "أرى أن قوة مرعبة وغير مفهومة تجبرني على تقليد الرب في عذابه الأخير. لكن كيف لي أن أجرؤ على مناداة مريم (أمي)؟"

سالومي: "أنت المسيح".

وقفت بذراعين ممدودين، كشخص مصلوب، جسدي متوتر ومتشابك بشكل مرعب بسبب الأفعى: "أنت يا سالومي، تقولين أني أنا المسيح[470]؟"

---

[470] روى يونغ في كتاب "مقدمة إلى علم النفس التحليلي" أنه وبعد تصريح سالومي بأنه كان المسيح: "بالرغم من اعتراضي فقد استمرت بذلك. قلت: "هذا جنون،" وأصبحت ممتلئاً بمقاومة تتضمن شكوكاً". وقد فسر هذه الحادثة كما يلي: مقاربة سالومي وعبادتها لي هي بشكل واضح ذلك الجانب من الوظيفة الدونية المحاطة بهالة من الشر. شعرت بتلميحاتها كأكثر التعويذات شراً. يُصاب المرء بالخوف من أن يكون هذا جنوناً. تلك هي الطريقة التي يبدأ بها الجنون، إنه جنون.... لا يمكنك الحصول على الوعي من حقائق اللاوعي بدون أن تَهبَ نفسك لها. إن كان بمقدورك أن تتغلب على الخوف من اللاوعي وتستطيع أن تجعل نفسك في الأسفل، فسوف تعيش إذن تلك الحقائق حياتها على هواها. يمكن أن تقع بقبضة تلك الأفكار بشكل تصبح فيه مجنوناً بالفعل، أو بشكل تقريبي. تلك الصور فيها الكثير من الواقعيّة بحيث يمكنها أن تكون مُقنِعة وفيها معنى استثنائي بحيث يعلق المرء. إنها تشكّل جزءاً من الأسرار القديمة، في الواقع، إن شخصيات كهذه هي التي صنعت الأسرار. يمكن مقارنتها بأسرار (إيزيس) كما رواها (أبوليوس) مع طقوس التلقين وتأليه المُلَقّن.... يسيطر على الإنسان شعور غريب من أن يوضع في طقوس تلقينٍ كهذه. إن الجزء المهم الذي يُمهّد إلى التأليه كان،

كما لو أني وقفت وحدي على جبل عال بذراعين ممدودين متصلّبين. تعصر الأفعى جسدي بلفاتها المرعبة ويتدفقً الدم من جسدي، منزلقاً عن حافة الجبل. انحنت سالومي عند قدمي، وطوقتهما بشعرها الأسود. بقيت هكذا لفترة طويلة. وبعدها صَرَختْ: "أرى الضوء!" بالفعل إنها ترى، عيناها مفتوحتان. تسقط الأفعى عن جسدي وتتمدد بوهن على الأرض. خطوتُ فوقها وركعتُ عند قدمي النبي، اتقدتْ هيئته كشعلة.

إيليا: "لقد أنجزت عملك هنا. الأمور الأخرى ستأتي. اسعَ بلا كلل، وقبل كل شيء، اكتب ما تراه تماماً".

تنظر سالومي منتشية في الضوء الذي يتدفق من النبي. تحوّل إيليا إلى شعلة هائلة من ضوء أبيض. لفت الأفعى نفسها حول قدمها، كما لو أنها مشلولة. ركعت سالومي أمام الضوء بإخلاص شخص أذهلته أعجوبة. انسكبت الدموع من عينيّ وأسرعت نحو الليل، كشخص ليس له دور في مجد السرّ. قدماي لا تلمسان سطح هذه الأرض، وأبدو كما لو أني أذوب في الهواء[471].

[472]قادني توقي إلى نهار ساطع جداً[473]، كان ضياؤه على النقيض تماماً من مكان التفكير المظلم[474]. المبدأ المعاكس، كما أظنّ أني فهمته، هو الحبّ السماوي، الأم. يبدو أن سبب الظلمة المحيطة بالتفكير المُسبق[475]، حقيقة

ۦ الأفعى الملتفة حولي. إن أداء سالومي كان تأليهاً. الوجه الحيواني الذي شعرت أنني تحوّلتُ إليه كان (ديوس الشهير برأس الأسد) في الأسرار الميثريّة، الشخصية التي تم تمثيلها بأفعى ملتفة حول الرجل، رأس الأفعى يرتاح على رأس الرجل، ووجه الرجل هو وجه أسد... في سرّ التأليه هذا أنت تحوّلۦ نفسك إلى آنية، آنية الخلق التي تتصالح فيها المتضادّات". وأضاف: " كلُ هذا رمزية ميثرية من البداية وحتى النهاية".

[471] في بحث "المظاهر السيكولوجية لشخصية (كور - تمثال يوناني قديم لامرأة شابة تقف مرتدية ثياباً فضفاضة طويلة)"، وصف يونغ هذه الأحداث كما يلي: "في بيت تحت الأرض، بل في العالم السفلي، يعيش هناك ساحر عجوز ونبي، مع "ابنته". لكنها ليست ابنته في الواقع، بل هي راقصة، شخصية خليعة جداً، لكنها عمياء تبحث عن علاج".

[472] في الكتاب الأسود الثاني، نسخ يونغ الاستشهادات التالية من كتاب "الكوميديا الإلهية" لدانتي بنسختها الألمانية: "وقلت له: أنا شخص، عندما يقترب منه الحب، فهو يلاحظ، وأقول كلماتي بالطريقة التي يمليها علي" (المطهر 24، 52 – 54). " وبعدها، مثل اللهب الذي يتبع النار بأي شكل تتخذه، فإن الشكل الجديد يتبع الروح تماماً" (المطهر 25، 97 – 99).

[473] في المسودة: "أحييت الأم نبأ الرغبة" صفحة 143.

[474] يتابع في المسودة المصححة: "عن الصورة الأصلية" صفحة 127.

[475] يتابع في المسودة المصححة: "الفكرة أو الصورة الأصلية" (صفحة 127).

أنها غير مرئية في الداخل وتحدث في الأعماق.[476] لكن يبدو أن ضياء الحب قادمٌ من حقيقة أن الحبّ حياة وتصرّف مرئيين. كانت متعتي مع التفكير، ولديها هنا حديقة مرح محاطة بالليل والظلام. نزلتُ إلى متعتي، لكني ارتفعتُ إلى حبي. رأيت إيليا في الأعلى فوقي: هذا يشير إلى أن التفكير أكثر اقتراباً من الحبّ، مني أنا، كرجل. قبل أن أرتفع للحبّ، هناك شرط يجب تحقيقه، وقد تمثّل بصراع بين زوج الأفاعي. اليسار هو النهار، واليمين هو الليل. مملكة الحب هي النور، ومملكة التفكير هي الظلام. فصلَ المبدأان نفسيهما بصرامة، وعادى أحدهما الآخر، واتخذا شكل زوج من الأفاعي. يشير هذا إلى الطبيعة الشيطانية لكلا المبدئين. ألاحظ في هذا القتال تكرار الرؤية، حيث رأيت القتال ما بين الشمس والأفعى السوداء[477].

انتهى الضوء العطوف في ذلك الوقت، وبدأ الدم ينسكب. كانت تلك هي الحرب الكبرى. لكن روح الأعماق[478]، أراد لهذا القتال أن يكون مفهوماً كصراع موجود في الطبيعة الشخصية لكل إنسان[479]. لأنه وبعد موت البطل، لن يعود دافع العيش لدينا يزيف أي شيء، وبالتالي يتجه إلى أعماق كل إنسان، ويثير صراعاً ما بين قواها[480]. التفكير المُسبق هو

---

[476] يتابع في المسودة المصححة: "تعيش" صفحة 127.

[477] إشارة إلى الفصل الخامس: "الهبوط إلى الجحيم في المستقبل".

[478] في المسودة: "الروح" صفحة 127.

[479] يتابع في المسودة: "وبناء عليه، يقول الجميع إنهما يتقاتلان من أجل الخير والسلام، لكن لا يمكن للبشر أن يقاتل أحدهما الآخر من أجل الخير. لكن بما أن البشر لا يعرفون أن الصراع يكمن بداخلهم، فإن الألمان اعتقدوا بأن الإنكليز والروس مخطئون، لكن الإنكليز والروس قالوا إن الألمان هم المخطئون. ليس بمقدور أحد أن يحاكم التاريخ بمصطلحات الصحيح والخاطئ. لأن نصف الجنس البشري مخطئ، كل إنسان نصفه مخطئ. ولذلك، ينشأ الصراع في ذاته. لكن الإنسان أعمى ويعرف دائماً نصفه فقط. يوجد في نفس الألماني، الإنكليزي والروسي اللذين يتصارع معهما خارج ذاته. وبشكل مشابه، يوجد لدى الإنكليزي أو الروسي في داخله، الألماني الذي يصارعه. لكن الإنسان يرى الصراع الخارجي، وليس ما يجري بداخله، حيث أنه لوحده، منبع الحرب الكبرى. لكن قبل أن يستطيع الإنسان الصعود إلى الضوء والحب، هناك حاجة لهذه المعركة" صفحة 145.

[480] في كانون الأول - ديسمبر من عام 1916، كتب يونغ في مقدمة كتاب "سيكولوجيا العمليات اللاواعية": "العمليات السيكولوجية التي رافقت الحرب الحالية، وقبل كل الوحشية التي صدرت عن الرأي العام، والافتراء المتبادل والدمار غير المسبوق وفيضان الأكاذيب المرعب، وعجز الإنسان عن الدعوة لوقف هذا الشيطان الدموي - كانت مناسبة أكثر من أي شيء آخر، لأن تدفع بقوة أمام أعين المفكرين، مشكلة النوم القلق للاوعي المشوش، تحت العالم المنظّم للوعي. لقد أظهرت هذه الحرب،

الوحدة، والحبّ هو الثنائية. يحتاج كل منها الآخر، ومع ذلك يقتل أحدها الآخر. بما أن البشر لا يعرفون أن الصراع يحدث في ذواتهم، فإنهم يصبحون مجانين، ويضع أحدهم اللوم على الآخر. إن كان نصف البشر مخطئين، فإن نصف كل إنسان مخطئ أيضاً. لكنه لا يرى الصراع في ذاته، التي تُعتَبَرُ منبع الكوارث الخارجية على أية حال. إن كنت غاضباً من أخيك، فكّر بأنك غاضب من الأخ الموجود في ذاتك، أي غاضب مما يشبه أخاك فيك.

أنت كإنسان، جزء من البشرية، وبالتالي لديك شراكة مع البشرية كلها كما لو أنك أنت البشرية كلها. إن تغلبت على رفيقك الإنسان المناقض لك وقتلته، فقد قتلتَ ذلك الشخص في ذاتك، وقتلتَ جزءاً من حياتك. تلاحقك روح هذا الإنسان الميت، ولا تبقي على سعادة في حياتك. أنت بحاجة إلى الكليّة لتسير قُدُماً.

إن أيدّت أنا نفسي، المبدأ الصرف، فأنا أخطو إلى جانب واحد، وأعيش وحيد الاتجاه. وبذلك يصبحُ تفكيري المُسبق في مبدأ[481] الأم السماوية، قزماً بشعاً يعيش في كهفٍ مظلم، كالجنين في الرحم. أنت لا تتبعه، حتى لو قال لك أنك سوف ترتشف الحكمة من منابعها. لكن هناك، يظهر لك التفكير المُسبق[482] وكأنه ذكاء قزمي، زائف ومن الليل، تماماً كما تظهر لي الأم السماوية في الأسفل على هيئة سالومي. إن ما ينقص في المبدأ الصرف، يظهر على هيئة أفعى. يسعى البطل نحو الأقصى في المبدأ الصرف، وبالتالي يسقط تحت رحمة الأفعى. إن ذهبتَ إلى التفكير[483]، فخذ قلبك معك. إن ذهبت إلى الحب، فخذ رأسك معك. الحب فارغ من دون تفكير، والتفكير أجوف من دون حب. تربض

بلا رحمة، للإنسان الحضاري أنه لا يزال بربرياً... لكن سيكولوجيا الفرد تتوافق مع سيكولوجيا الأمة. إن ما تفعله الأمة، يفعله كل فرد أيضاً، وطالما أن الفرد يفعله، فسوف تفعله الأمة أيضاً. ليس هناك بداية لتغيير سيكولوجيا الأمة إلا بتغيير سلوك الفرد".

[481] في المسودة المصححة: "النبي، تجسيد الفكرة" صفحة 131.

[482] في المسودة المصححة: "الفكرة" صفحة 131.

[483] في المسودة المصححة: "فكرة" وتم استبدالها في كامل هذه الفقرة صفحة 131.

الأفعى خلف المبدأ الصرف. وبذلك فقدتُ الشجاعة حتى وجدتُ الأفعى التي قادتني في الحال إلى المبدأ الآخر. وأثناء نزولي أصبحت أصغر.

عظيم من هو واقع في الحبّ، بما أن الحبّ هو الفعل الحاضر للخالق العظيم واللحظة الحالية لوجود هذا العالم وانتكاسته. عظيم هو من يحبّ. لكن من يبعد نفسه عن الحبّ، يشعر بنفسه قوياً.

تدركُ في تفكيرك المُسبق بطلان وجودك كأصغر نقطة بين لا نهائية ما قد مرّ وما سيأتي. المفكّر صغير، يشعر بالعظمة إنْ أبعد نفسه عن التفكير. لكن إن تحدثنا عن المظاهر، فالعكس صحيح. إلى كل شخص واقع في الحبّ، الشكل تافه. لكن مجال الرؤية لديه ينتهي مع الشكل المُعطى له. بالنسبة إلى كل من يفكّر، من غير الممكن تجاوز الشكل، وهو بارتفاع السماء. لكنه يرى في الليل عوالم متنوعة لا تعدّ ولا تُحصى، ودوراتها التي لا تنتهي. كل شخص واقع في الحبّ، عبارة عن وعاء ممتلئ يفيض بما فيه، وينتظر العطاءً. وكل من في التفكير المُسبق، عميق ومجوّف وينتظر الامتلاء.

الحب والتفكير المُسبق في مكان واحد. لا يستطيع الحب البقاء من دون التفكير المُسبق، ولا يستطيع التفكير المُسبق البقاء من دون حب. يتعلّق الإنسان دوماً بأحدهما أو بالآخر. يأتي هذا مع طبيعة الإنسان. يبدو أن الحيوانات والنباتات لديها ما يكفي من كل شيء، والإنسان فقط، يترنح ما بين الكثير جداً والقليل جداً. إنه يتردد، وهو غير متأكد من كمية ما عليه تقديمه هنا وما عليه تقديمه هناك. إن مقدرته ومعرفته غير كافيتين، ومع ذلك لا يزال عليه أن يفعل ذلك بنفسه. لا ينضج الإنسان فقط من داخل ذاته، لأنه مُبدِعٌ[484] أيضاً من داخل ذاته. يكشف الأعلى عن نفسه فيه[485]. طبيعة الإنسان قليلة الخبرة بما هو سماوي، ولهذا، يتذبذب ما بين الكثير جداً والقليل جداً[486].

---

[484] أضاف في المسودة المصححة: " الوعي" ومسح عبارة "من داخل ذاته" صفحة 133.

[485] في المسودة والمسودة المصححة: يوجد بديل عنها وهو: "تصبح قوة الإبداع السماوية (فيه) (وعياً شخصياً) من "اللاوعي الجمعي" صفحة 133 – 134).

[486] في المسودة والمسودة المصححة: "لكن تسأل لماذا تظهر (الفكرة) فيك، مموهة بهيئة نبي يهودي، (والمتعة) بهيئة سالومي الوثنية؟ لا تنسَ يا صديقي، أني أنا أيضاً من يفكر بروح هذا الزمن ويريده، وأني تحت سحر الأفعى بالكامل. الآن فقط ومن خلال طقوس التلقين إلى اسرار الروح،

يديننا روح هذا الزمن لكي نسرع. إن كنت تخدمه، فلن يكون لديك المزيد من المستقبل ولا من الماضي. نحتاج حياة الخلود. نحن نحمل الماضي والمستقبل في الأعماق. المستقبل عجوز، والماضي شابّ. أنت تخدم روح هذا الزمن، وتؤمن أنك قادر على الهرب من روح الأعماق. لكن الأعماق لن يتردد لوقت طويل وسوف يدفعك نحو أسرار المسيح[487]. في هذا السرّ، لا يحصل الإنسان على الخلاص من خلال البطل، بل يصبح مسيحاً هو نفسه. مثال القديسين، يعلّمنا هذا الأمر رمزياً.

من يريد الرؤية، يرى بشكل سيئ. كانت إرادتي هي من خدعتني. كانت إرادتي هي من أثار الاهتياج الهائل بين الشياطين. هل يجب أن أمتنع عن الرغبة بأي شيء من أجل ذلك؟. لقد فعلت، وحققتُ رغبتي قدر ما أستطيع، وبهذا غذّيت كل ما سعى بداخلي. وفي النهاية، وجدت أني أردت ذاتي بكل شيء، لكن دون البحث عن ذاتي. وبالتالي لم أعد أريد البحث عن ذاتي خارج ذاتي، بل في داخلها. بعدها أردت فهم ذاتي، وأردت المتابعة مرة أخرى دون معرفة ما أريد، وبهذا سقطتُ في اللغز.

هل يجب أن امتنع عن الرغبة بأي شيء بعد الآن؟ أنت أردت هذه الحرب. هذا جيد. إن لم تكن تريدها فسيكون شرّ هذه الحرب صغيراً[488]. لكن مع رغبتك بها، تجعل الشرّ كبيراً، إن لم تنجح بإنتاج الشرّ الأعظم من هذه الحرب، فلن تتعلم صناعة العنف أبداً، ولن تتعلم التغلب على قتال ما يحدث خارجك[489]. ولهذا، من الجيد أنك أردت هذا الشرّ الأعظم من كل

أوشك ألا أنبذ تماماً كل العراقة التي يفتقدها من يفكرون بروح هذا الزمن، بل لأعيد تبنيها في كيان الإنسانية، لأجعل حياتي كاملة. لأني أصبحت فقيراً وبعيداً جداً عن الله، عليّ الأخذ بالسماوي والدنيوي، بما أن روح هذا الزمن، ليس لديه شيء آخر يمنحني إياه، بل على العكس، فقد أخذ القليل الذي أملكه من حياتي الواقعية. لكن بشكل خاص، جعلني جشعاً ومتسرعاً، بما أنه الحاضر وحسب، وأجبرني على البحث عن كل ما هو حاضر لكي أملأ اللحظة" صفحة 134 – 135).

[487] في المسودة والمسودة المصححة: "كما وقف (الأسلاف) أمام أسرار المسيح المقدسة، أقف أنا أمام هذه الأسرار المقدسة، (بقدر ما استعدت الماضي) بالرغم من أني أعيش بعد ألفي سنة، وفي وقت ما، اعتقدت أنني مسيحي. لكني لم أكن مسيحاً أبداً" صفحة 136.

[488] كتب نيتشه في كتاب "هكذا تكلم زرادشت": "أن تفتدي الماضي وتحول كل "كان" إلى عبارة "أردت هذا"، هذا وحده ما أسميه الخلاص!" (كتاب "عن الخلاص" صفحة 161).

[489] في 11 شباط - فبراير من العام 1916، قال يونغ في محاضرة في "رابطة علم النفس التحليلي": "نحن نسيئ استخدام الإرادة، يتم إخضاع النمو الطبيعي للإرادة.... تعلمنا الحرب أن: الإرادة لا

قلبك[490]. أنتم مسيحيون وتركضون خلف الأبطال، وتنتظرون المخلّصين الذين سيتحملون عنكم العذاب، ويوفّرون عليكم (الجلجلة) تماماً. وبذلك، تراكمون جبلاً من الصُلبان فوق أوروبا كلها[491]. إن نجحتم في جعل هذه الحرب شرّاً رهيباً، وألقيتم عدداً لا يُحصى من الضحايا في هذه الهاوية، فهذا جيد، بما أنها تجعل كل واحد منكم مستعداً للتضحية بنفسه. لأنه، ومثلي، تقتربون من إتمام سرّ المسيح المقدس.

تشعرُ سلفاً بقبضة حديدية على ظهرك. إنها بداية الطريق. إن امتلئ هذا العالم بالدم والنار وصرخات الأسى، فستدرك ذاتك في أفعالك: اشربوا ما تستطيعون من فظائع الحرب الدموية، أقيموا وليمة على القتل والتدمير، بعدها ستنفتح أعينكم، سترون أنكم أنتم أنفسكم، حَمَلَة هذه الثمار[492]. أنتم على الطريق، إن رغبتم بذلك كله. الرغبة تخلق العمى، ويقود العمى إلى الطريق. هل يجب أن نرغب بالخطأ؟ يجب ألا يحدث هذا، لكنكم ترغبون بذلك الخطأ الذي تعتبرونه أفضل حقيقة، كما فعل البشر دوماً.

يشير رمز الكريستال إلى قانون الأحداث الذي يأتي من ذاته ويكون غير قابل للتغيير. أنت تفهم من هذه البذرة ما هو آتٍ. رأيت شيئاً مرعباً وغامضاً. (كان ذلك في ليلة عيد الميلاد من العام 1913). رأيت أحذية الفلاحين المطاطية، إشارة إلى أهوال حرب الفلاحين[493]، القتل والحرق والقسوة الدموية. عرفت تفسير هذه العلامة، وأن هناك شيئاً دموياً مرعباً حقيقياً يكمن أمامنا. رأيت قدم عملاق تسحق مدينة بأكملها. كيف أستطيع تفسير هذه الإشارة بطريقة أخرى؟ رأيت أن طريق التضحية بالذات يبدأ هنا. سيصبح الجميع مبتهجين بتلك

جدوى منها – سنرى إلى أين يقود هذا. نحن نخضع تماماً إلى السلطة المطلقة لما هو قادم". (MAP, vol. 1, p. 106).

[490] في المسودة والمسودة المصححة: طالما (أننا) لا نزال داخلياً، يهوداً وثنيين قدماء، بآلهة غير مقدسة" صفحة 137.

[491] يتابع في المسودة المصححة: "نحن بأنفسنا" (صفحة 138).

[492] في المسودة المصححة: "ونسمي أنفسنا مسيحيين، متشبهين بالمسيح. أن تكون مسيحاً، يعني أن يتبع المرء المسيح بشكل حقيقي" صفحة 139.

[493] ربما يشير هذا إلى ثورة الفلاحين الألمان في العام 1525.

التجربة الهائلة، وسيرغبون في حالة العمى لديهم، بفهمها كأحداث خارجية. إنه أمر يحدث بالداخل، تلك هي الطريق نحو كمال سرّ المسيح المقدس[494]، وهكذا يتعلم الناس التضحية بالذات.

لعل الرعب يصبح هائلاً جداً بحيث يستطيع تحويل عيون البشر نحو الداخل، وهكذا لا تعود رغبتهم تبحث عن الذات في الآخرين، بل في ذواتهم[495]. رأيت هذا، أعرف أنها الطريق المناسبة. رأيت موت المسيح ورأيت النحيب عليه. شعرت بالحزن على موته العظيم. رأيت المخلّص الجديد، الطفل الذي أخضع الشياطين بيده[496]. يمسك المبدأين المنفصلين بقوته، ويوحدهما. يتطور من خلال اتحاد المبدأين في داخلي، إنه اتحادهما.

إن أردت أحد المبدأين، فسوف تكون فيه، لكنك بعيد عن كونك الآخر. إن أردت المبدأين معاً، الأول والثاني، فأنت تثير الصراع بينهما، بما أنك لا تريدهما في الوقت ذاته. من هنا تظهر الحاجة، ويظهر المخلّص، يأخذ رغبتيك المتصارعتين بيده، يد الطفل الذي تكون رغبته بسيطة ومتجاوزة للصراع. لا يمكنك تعلّم هذا، من الممكن فقط أن يتطوّر هذا في داخلك وحسب. لا يمكنك الرغبة بهذا، إنه يأخذ الرغبة من يدك ويرغب بذاته. ارغبْ بذاتك فهذا يرشدك إلى الطريق[497].

---

[494] في عام 1918، وفي مقدمته للطبعة الثانية من كتاب "سيكولوجيا العمليات اللاواعية" كتب يونغ: "مشهد هذه الكارثة، أعاد الإنسان لذاته من خلال جعله يشعر بعجزه الكامل، لقد حوّله نحو الداخل، ومع تأرجح كل شيء، يلتمس شيئاً يضمن له ثباته. لا يزال الكثيرون يبحثون في الخارج.... لكن قلة قليلة جداً تبحث في الداخل، وأقل منها يسألون أنفسهم ما إن كانت غايات المجتمع البشري تُخدَم بشكل أفضل، إن حاول كل إنسان القضاء على النظام القديم في داخله، وممارسة هذه المبادئ في شخصه وفي داخله، تلك الانتصارات التي يعظ بها في كل زاوية شارع، بدل أن يتوقع هذه الأشياء من أخيه الإنسان" (الأعمال الكاملة 7).

[495] في المسودة: "إن لم يحدث هذا، فلن يتغلّب المسيح، وسيصبح الشرّ أعظم حتى. لذلك يا أصدقائي، أقول هذا لكم لتستطيعوا إبلاغ أصدقائكم، وبحيث يمكن للكلمة أن تنتشر بين الناس".

[496] يتابع في المسودة: "رأيت أن إلهاً جديداً خرج من المسيح الرب، هيرقل شاب".

[497] في المسودة والمسودة المصححة، تقع هنا فقرة طويلة، نعيد منها صياغة التالي: "يحمل الأعلى الحب بيمينه، والتفكير المُسبق بيساره. الحب على الجانب المفضّل لنا، والتفكير على الجانب غير المفضّل. ينبغي أن يوصيك هذا بالحب، بقدر ما أنت جزء من هذا العالم، وبخاصة إن كنت مفكراً. إن اتحادهما هو الأعلى. يتطوّر الأعلى من خلال اتحاد المبدأين (في داخلي). (أنا) لم أصبح الأعلى من خلال ذلك، ولم أصبح سماوياً، لكن الأعلى أصبح إنساناً. أصبح ظاهراً فيك ومن خلالك، كطفل. أنت لم تتغلب عليه من خلال إبعاده ولا من خلال طاعة (روح العصر/ ليست روح الزمن بل،

لكن بشكل أساسي، أنت ترهب ذاتك، ولهذا، تفضل الذهاب إلى الآخرين جميعهم إلا ذاتك. رأيت جبل التضحية، وانسكب الدم في جداول من جوانبه. عندما رأيت كيف يُشبع الغرور والقوة البشر، كيف بثّت عيون النساء الجمال عندما اندلعت الحرب، عرفت أن البشرية كانت على طريق التضحية بالذات.

أطبقَ روح الأعماق[498] على قدر الإنسان كما أطبق على قدري. قاد البشرية عبرٍ نهر من الدماء إلى السرّ، في السرّ يصبح الإنسان نفسه المبدئين معاً الأسد والأفعى.

لأني أريد أيضاً كنونتي الأخرى، عليّ أن أصبح مسيحاً. تم تحويلي إلى مسيح، عليّ أن أعاني هذا. وهكذا، تدفق دم الخلاص. عبر التضحية بالذات، تغيرت متعتي وارتقت إلى مبدأ أعلى. للحب بصيرة لكن المتعة عمياء. هذان البدأان هما واحد في رمز الشعلة. يجرّد المبدأان نفسيهما من شكل الإنسان[499].

Zeitgeist). إن روح هذا الزمن يترنح بين الموافقة وعدم الموافقة مثل ثَمِل (طالما أنه يمثل عدم تأكيد الوعي العام الحاضر). تستطيع أن تتغلب على الأعلى القديم بأن تصبح أنت بنفسك "هو"، وتختبر المعاناة والموت بنفسك. تتغلب عليه وتصبح ذاتك، كشخص يلتمس ذاته ولا يعود للتشبّه بالأبطال. تحرر نفسك، عندما تحرر ذاتك من الأعلى القديم ونموذجه. عندما أصبحت النموذج، لم تعد بحاجة إلى نموذجه. (يوحّد الأعلى التعارض بين الحب والفكرة، ويمسكهما بيديه). الحب والتفكير موجودان منذ الأزل، لم يظهرا بالإرادة. يريد الجميع دائماً روح هذا الزمن الذي يفكر ويرغب. من يريد روح الأعماق، يريد الحب والتفكير. إن أردت الاثنين، تصبح الأعلى. إن فعلت ذلك، يولد الأعلى ويحكم سيطرته على إرادة البشر، ويمسك إرادته بيد طفله. الحب والتفكير هما في عالم الماوراء، طالما لم ترغب بهما (وتركتهما رغباتك منفصلين). إن رغبت بالاثنين، فسوف يندلع الصراع فيك ما بين رغبة الحب ورغبة الإدراك، سترى أنك لا تستطيع الرغبة بالاثنين في الوقت نفسه. وبهذه الحاجة سيولد الأعلى، وسيأخذ الإرادة بيديه، بيدي طفل، إرادته بسيطة ولا يمكن أن تنقسم. ما هي رغبة الطفل السماوي؟ لا تستطيع تعلّمها من خلال الوصف، يمكن لها أن تصبح فيك وحسب. ولا تستطيع أيضاً أن ترغب بها. لا يمكنك أن تتعلمها أو تفهمها مما أقوله لك.

[498] في المسودة المصححة: "الروح العظيم" (صفحة 146).

[499] في المسودة المصححة: تظهر فقرة طويلة هنا، ونعيد منها صياغة ما يلي: "بينما ملأ الغرور والقوة البشر، وكما انسكب الجمال من عيون الإنسان عندما سيطرت الحرب على الناس، كان الجنس البشري على الطريق. عرفت أنت أن هذه الحرب لم تكن مجرد مغامرة وتصرفات إجرامية وقتل، بل كانت سرّ التضحية بالذات. لقد أمسك الروح بالإنسانية ودفعها في الحرب من أجل التضحية بالذات. لقد قاد الناس إلى نهر الدم، تماماً كما قادني. لقد اختبرت في السرّ المقدس، تضحية المسيح بذاته. لقد اكتمل السرّ المقدس أمام عيني. تقف الفكرة فوقي)، وتجبرني على هذا، لكني قاومت. أردت مقاومة الرغبة الغامضة بالتضحية بالذات. وهكذا كنت كأسد تطوّقه أفعى (صورة للقدر الذي يجدد نفسه إلى الأبد). أتت سالومي إلي من اليمين، الجهة المفضّلة. اختبرتُ أن متعتي تأتي إلي عندما أنهي التضحية بالذات. سمعتُ أن (ماريا – مريم) هي أيضاً أمي، طالما أن الحب أيضاً أنجب المسيح. يجلب الحب المضحي بذاته والتضحية بالذات. الحب هو أيضاً أم تضحيتي بذاتي. في سماعي لهذا وقبولي به، اختبرت أني أصبحت المسيح، بما أني أدركت أن،

أوضحَ لي السرّ المقدّس في صور، ما سوف أعيشه فيما بعد. أنا لا أمتلك أياً من تلك الهدايا التي أراني إياها السرّ المقدس، لأنه لا يزال عليّ أن أستحقّها كلها[500].

نهاية الكتاب الأول.

ِالحب حولني إلى مسيح. لكن لا زلت أشكك، بما أن من المستحيل تقريباً بالنسبة لمفكر أن يفرق ذاته عن فكرته، ويقبل أن ما يحدث في فكره، شيء يحدث خارجه أيضاً. قالت لي (سالومي)، متعتي، "أني أنا المسيح"، لأن الحب الأعلى من المتعة، والذي لا يزال مختبئاً في المتعة في داخلي، قادني إلى التضحية بالذات، وحولني إلى مسيح. اقتربت المتعة مني، أحاطتني بحلقات ودفعتني لاختبار عذاب المسيح، وإراقة دمي من أجل العالم. رغباتي، التي خدمت في البداية (روح العصر)، نزلت إلى روح الأعماق، وتماماً كما كان محدداً مسبقاً من قِبَلِ روح هذا الزمن، أصبح الآن محدداً من قِبَلِ روح الأعماق، بالتفكير (الفكرة) والمتعة. لقد حددني من خلال الرغبة بالتضحية بالذات، وإراقة دمي، جوهر حياتي. لاحظ أن متعتي السيئة التي قادتني إلى التضحية بالذات. أعمق أعماقها هو الحب الذي سيتحرر من المتعة عبر التضحية. هنا حدثت الأعجوبة بأن أصبحت متعتي العمياء سابقاً، مُبصرة. كانت متعتي عمياء، وكانت الحب. بما أن رغبتي الأقوى أرادت التضحية بالذات، فقد تغيرت متعتي، وتحولت إلى مبدأ أعلى، حيث تكون في الأعلى متحدة مع التفكير. الحب يبصر لكن المتعة عمياء. تريد المتعة الأقرب دائماً، وتشعر من خلال التعددية، ذاهبة من واحد إلى آخر دون هدف، تبحث فقط ولا تُشبع. يريد الحب ما هو أبعد، الأفضل والمُشبِع. وقد رأيت شيئاً أبعد، أي إن التفكير في داخلي قد اتخذ شكل نبي قديم، والذي أظهر أن التفكير كان قبل المسيحية، وحوّل نفسه إلى المبدأ الذي لم يعد يظهر بشكل إنساني، بل بالشكل المطلق للضوء الأبيض النقي. لقد اتحد التفكير في داخلي مع المتعة بشكل جديد، ظهرت الرغبة في داخلي غريبة وخطيرة، رغبة روح الأعماق، رغبة الشعلة المتألقة. أصبحت واحداً مع رغبتي. حدث هذا في داخلي، (كما في مسرحية). لكني اكتشفت أن كل شيء مثير للريبة. شعرت كما لو أنه كان يذوب في الهواء، بما أن أرض (تلك الروح) كانت لا تزال غريبة علي. لكن تلك الصورة عن سالومي المبصرة، التي ركعت بنشوة أمام الشعلة البيضاء، كانت شعوراً قوياً أتى إلى جانب رغبتي، وقادني إلى كل شيء أتى بعدها. ما حدث كان عبارة ارتحالي مع نفسي، التي كان عليّ أن أستحقّها من خلال معاناتها.

[500] روى (جيلز كويسبل) أن يونغ قال للشاعر الهولندي (رولاند هورست) إنه قد كتب كتاب "النماذج السيكولوجية" مرتكزاً على ثلاثين صفحة من "الكتاب الأحمر". (استشهاداً بقول ستيفان هويلر، يونغ الغنوصي والعظات السبع للموتى، 1985). من المحتمل أنه كان يفكّر في تلك الفصول الثلاثة عن "السر المقدس". ما يتم تقديمه هنا يطوّر الفكرة العامة عن الصراع بين الوظائف المتضادة، التطابق مع الوظيفة الرائدة، وتطوّر رمز المصالحة كحل لنزاع الأضداد، وهي المواضيع الأساسية في الفصل الخامس من كتاب "النماذج السيكولوجية" وهو بعنوان "مشكلة النموذج في الشعر". في كتاب (مقدمة إلى علم النفس التحليلي) قال يونغ: " اكتشفت أن اللاوعي يستنبط أخيولات جمعيّة كثيرة. وكما كنت في السابق مهتماً بشغف بفهم المثيولوجيا، أصبحت الآن مهتماً بالمقدار نفسه بمادة اللاوعي. هذا في الواقع هو الطريق الوحيد للدخول في تكوين الأسطورة. وهكذا فإن الفصل الأول من كتاب (سيكولوجيه اللاوعي) أصبح حقيقة أكثر صحّة. لقد راقبتُ حدوث خلق الأساطير، وأمعنت النظر في بناء اللاوعي، مشكلاً المفهوم الذي يلعب دوراً كبيراً في كتاب النماذج. لقد أخذتُ جميع المواد التجريبية من مرضاي، أما حلّ المشكلة فقد أخذته من الداخل، من مراقبتي لعمليات اللاوعي. لقد حاولت دمج هذين التيارين في التجربة الداخلية والخارجية في كتاب النماذج وأسميت عملية الدمج لهذين التيارين بالوظيفة الإعلائية".

`الكتاب الثاني:

صور الضلال[501]

[HI 1][502]

[503]nolite audire verba prophetarum, qui prophetant vobis et decipiunt vos: visionem cordis sui loquuntur, non de ore Domini. audivi quae dixerunt prophetae prophetantes in nomine meo mendacium, atque dicentes: somniavi, somniavi. usquequo istud est in corde prophetarum vaticinantium mendacium et prophetantium

---

[501] المسودة المكتوبة بخط اليد: "مغامرات الهائم" صفحة 353.

[502] في مقالته عن بيكاسو في عام 1932، وصف يونغ اللوحات الشيزوفرينية – وتعني هنا، فقط الاضطراب النفسي الذي يؤدي ربما إلى أعراض فُصامية، بدلاً من الناس الذي عانوا من تلك الحالات – كما يلي: "الميزة الرئيسة من وجهة نظر رسمية بحتة، هي (التشظي)، الذي يعبّر عن ذاته فيما يسمى خطوط التكسر، أي إنه نوع من الشرخ النفسي الذي يقطع الصورة بالكامل " (الأعمال الكاملة 15)

[503] لقد استشهد يونغ بهذه الفقرة اللاتينية من الكتاب المقدس، العهد القديم، في كتابه "النماذج السيكولوجية" (من إنجيل لوثر)، وعرض معها الملاحظات التالية: "أصبح الشكل الذي عرض به المسيح محتويات لاوعيه للعالم، مقبولاً بالنسبة للجميع. ومن ذلك الحين أصبحت الأخيولات الفردية عقيمة لا فائدة لها، حيث تعرضت للاضطهاد والاتهام بالهرطقة، وأصبح مصيرها كمصير الغنوصية والبِدع اللاحقة كلها. يتحدث النبي أرميا بهذا المزاج، فقط عندما يحذّر". (الأعمال الكاملة 6)

seductionem cordis sui? qui volunt facere ut obliviscatur populus meus nominis mei propter somnia eorum, quae narrat unusquisque ad proximum suum: sicut obliti sunt patres eorum nominis mei propter Baal. propheta, qui habet somnium, narret somnium et qui habet sermonem meum, loquatur sermonem meum vere: quid paleis ad triticum? dicit dominus.

النص اللاتيني السابق، هو نصّ من الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أرميا 23: 16 – 28 وهو مترجم على الشكل التالي:

16- هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: لاَ تَسْمَعُوا لِكَلاَمِ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَتَنَبَّؤُونَ لَكُمْ، فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَكُمْ بَاطِلاً. يَتَكَلَّمُونَ بِرُؤْيَا قَلْبِهِمْ لاَ عَنْ فَمِ الرَّبِّ. 17- قَائِلِينَ قَوْلاً لِمُحْتَقِرِيَّ: قَالَ الرَّبُّ: يَكُونُ لَكُمْ سَلاَمٌ! وَيَقُولُونَ لِكُلِّ مَنْ يَسِيرُ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ: لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ شَرٌّ. 18- لأَنَّهُ مَنْ وَقَفَ فِي مَجْلِسِ الرَّبِّ وَرَأَى وَسَمِعَ كَلِمَتَهُ؟ مَنْ أَصْغَى لِكَلِمَتِهِ وَسَمِعَ؟ 19- هَا زَوْبَعَةُ الرَّبِّ. غَيْظٌ يَخْرُجُ، وَنَوْءٌ هَائِجٌ. عَلَى رُؤُوسِ الأَشْرَارِ يَثُورُ 20- لاَ يَرْتَدُّ غَضَبُ الرَّبِّ حَتَّى يُجْرِيَ وَيُقِيمَ مَقَاصِدَ قَلْبِهِ. فِي آخِرِ الأَيَّامِ تَفْهَمُونَ فَهْمًا. 21- لَمْ أُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ بَلْ هُمْ جَرَوْا. لَمْ أَتَكَلَّمْ مَعَهُمْ بَلْ هُمْ تَنَبَّؤُوا. 22- وَلَوْ وَقَفُوا فِي مَجْلِسِي لأَخْبَرُوا شَعْبِي بِكَلاَمِي وَرَدُّوهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيءِ وَعَنْ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ. 32- أَلَعَلِّي إِلهٌ مِنْ قَرِيبٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلَسْتُ إِلهًا مِنْ بَعِيدٍ. 24- إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ 25- قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَهُ الأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ تَنَبَّؤُوا بِاسْمِي بِالْكَذِبِ قَائِلِينَ: حَلِمْتُ، حَلِمْتُ. 26 – حَتَّى مَتَى يُوجَدُ فِي قَلْبِ الأَنْبِيَاءِ الْمُتَنَبِّئِينَ بِالْكَذِبِ؟ بَلْ هُمْ أَنْبِيَاءُ خِدَاعِ قَلْبِهِمِ! 27 – الَّذِينَ يُفَكِّرُونَ أَنْ يُنسُوا شَعْبِي اسْمِي بِأَحْلاَمِهِمِ الَّتِي يَقُصُّهَا الرَّجُلُ عَلَى صَاحِبِهِ، كَمَا نَسِيَ آبَاؤُهُمُ اسْمِي لأَجْلِ الْبَعْلِ. 28 – اَلنَّبِيُّ الَّذِي مَعَهُ حُلْمٌ فَلْيَقُصَّ حُلْمًا، وَالَّذِي مَعَهُ كَلِمَتِي فَلْيَتَكَلَّمْ بِكَلِمَتِي بِالْحَقِّ. مَا لِلتِّبْنِ مَعَ الْحِنْطَةِ، يَقُولُ الرَّبُّ؟

(هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: لاَ تَسْمَعُوا لِكَلاَمِ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَتَنَبَّؤُونَ لَكُمْ، فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَكُمْ بَاطِلاً. يَتَكَلَّمُونَ بِرُؤْيَا قَلْبِهِمْ لاَ عَنْ فَمِ الرَّبِّ). (سفر أرميا 23: 16).

(25- قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَهُ الأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ تَنَبَّؤُوا بِاسْمِي بِالْكَذِبِ قَائِلِينَ: حَلِمْتُ، حَلِمْتُ. 26 - حَتَّى مَتَى يُوجَدُ فِي قَلْبِ الأَنْبِيَاءِ الْمُتَنَبِّئِينَ بِالْكَذِبِ؟ بَلْ هُمْ أَنْبِيَاءُ خِدَاعِ قَلْبِهِمْ! 27 - الَّذِينَ يُفَكِّرُونَ أَنْ يُنسوا شَعْبِي اسْمِي بِأَحْلاَمِهِم الَّتِي يَقصّهَا الرَّجُلُ عَلَى صَاحِبِهِ، كَمَا نَسِيَ آبَاؤُهُمْ اسْمِي لأَجْلِ الْبَعْلِ. 28 - اَلنَّبِيُّ الَّذِي مَعَهُ حُلْمٌ فَلْيَقُصّ حُلْمًا، وَالَّذِي مَعَهُ كَلِمَتِي فَلْيَتَكَلَّمْ بِكَلِمَتِي بِالْحَقِّ. مَا لِلتِّبْنِ مَعَ الْحِنْطَةِ، يَقُولُ الرَّبُّ؟) (سفر أرميا 23: 25 – 28).

الفصل الأول:

الأحمر [504]

[HI 2][505]

تم إغلاق باب الأسرار المقدسة خلفي. أشعر بأن إرادتي مشلولة، وروح الأعماق يسيطر عليّ. لا أعرف شيئاً عن الطريق. ولا يمكنني بالتالي أن أرغب بهذا أو ذاك، لأنه ليس هناك من شيء يشير إلى رغبتي بهذا أو ذاك. أنا أنتظر، دون أن أعرف ما الذي أنتظره. لكن في ذلك الحين، وفي الليلة التالية، شعرتُ بأنني وصلت إلى نقطة ثابتة[506].

[507]وجدت أنني أقف على أعلى برج في قلعة. يقول لي الهواء ما يلي: أنا بعيد جداً في الزمن الغابر. تجول نظرتي على نطاق واسع بحثاً عن ريف منعزل متداخل مع الحقول والغابات. أنا حارس البرج. أحدّق في البعيد. أرى نقطة حمراء تقترب على الطريق المتعرج، تختفي لفترة في الغابات ومن ثم تظهر من جديد: إنها فارس يرتدي معطفاً أحمر، الفارس الأحمر. هو قادم إلى قلعتي: بدأ يعبر البوابة. أسمع خطواته تُصدِر صريراً على الدرج، طرق الباب واعتراني خوف غريب، هناك

---

[504] في المسودة المصححة: " يشير الرمز اللاتيني (V) إلى التوهان العظيم، بينما يشير الرمز (I) إلى التوهان الأحمر". الصفحة 157.

[505] هذا يصف "أنا" يونغ في المشهد الافتتاحي لهذه الأخيولة.

[506] الفقرة السابقة تمت إضافتها إلى المسودة (صفحة 167).

[507] في 26 كانون الأول - ديسمبر من عام 1913.

يقف الأحمر بهيئته الطويلة المُغطاة بالكامل بالأحمر، حتى شعره كان أحمر. أعتقد أنه سيتحول في النهاية إلى شيطان.

الأحمر: "أرحّب بك أيها الرجل القابع في أعلى البرج. رأيتك من مسافة بعيدة تنظر وتنتظر؟ انتظارك استدعاني".

أنا: "من أنت؟"

الأحمر: "من أنا؟ هل تظنني شيطاناً؟ هل تُقيم محكمة هنا؟ لا تصدر حكماً. ربما تستطيع أن تتحدث معي دون أن تعرف من أنا. أي نوع من الرفاق المؤمنين بالخرافات أنت؟"

أنا: "إن لم تكن لديك مقدرات خارقة، فكيف استطعت أن تشعر بأني أقف منتظراً على برجي وأبحث عن كل مجهول وجديد؟ حياتي بائسة في هذه القلعة لأنني أجلس دائماً وحدي ولا أحد يصعد إلي".

الأحمر: "ما الذي تنتظره إذن؟"

أنا: "أنتظر أشياء مختلفة، وتحديداً، أنتظر أن يصلني بعض ثراء العالم الذي لا نراه هنا".

الأحمر: "إذن، فقد أتيتُ إلى المكان الصحيح تماماً. لقد تجوّلتُ في هذا العالم لوقت طويل باحثاً عن أشخاص مثلك، يجلسون على أبراج عالية، بحثاً عن أشياء غير مرئية".

أنا: "أنت تقلقني. تبدو وكأنك من سلالة نادرة، كما أن هيئتك غير عادية، بالإضافة لذلك – اعذرني – يبدو لي أنكَ جلبت معك هواء غريباً، شيئاً دنيوياً، شيئاً وقحاً أو غزيراً، أو – في الواقع – شيئاً وثنياً".

الأحمر: "أنت لا تُغضبني بل على العكس، لقد أصبت تماماً. لكني لست وثنياً عجوزاً كما يبدو لك".

أنا: "لا أريد الإصرار على هذا، لكنك أيضاً، لست مغروراً ولاتينياً بما فيه الكفاية. لا يوجد فيك أي شيء كلاسيكي. تبدو وكأنك ابن زمننا الحالي، لكن لا بدّ لي من الإشارة إلى أنك غريب إلى حدّ ما. أنت لست وثنياً حقيقياً، لكن نوع من الوثنيين الذين يسيرون جنباً إلى جنب مع ديننا المسيحي".

الأحمر: "أنت بالفعل عرّاف جيد بالألغاز. أنت تُبلي أفضل من الكثيرين الذين أخطؤوا بالكامل بشأني".
أنا: "تبدو بارداً وساخراً. ألم ينفطر قلبك أبداً على أقدس أسرار ديننا المسيحي؟"
الأحمر: "أنت شخص جدّي ومسبب للضجر بشكل كبير. هل أنت لجوج بهذا الشكل دائماً؟"
أنا: "أردت دائماً أن أكون بهذه الجدّية أمام الله، وأن أكون صادقاً مع نفسي كما أحاول أن أفعل. بالتأكيد سيصبح هذا صعباً بحضورك على أية حال. أنت تُحضر معك مناخاً يذكّر بالمشنقة، لا بدّ أنك من مدرسة (ساليرنو)[508] السوداء، حيث يُعلّم الوثنيون والمتحدرون عنهم، الفنون المُهلكة".
الأحمر: "أنت ألماني جداً وتؤمن بالخرافات، كما أنك تأخذ ما تقوله الكتب المقدسة بحرفيّة، وإلا لما كنت تحاكمني بهذه القسوة".
أنا: "المحاكمة القاسية هي آخر شيء أرغب به. لكن أنفي لا يخدعني. أنت مراوغ ولا تريد الكشف عن نفسك. ما الذي تخفيه؟"
(يبدو الأحمر أكثر احمراراً، تشع ملابسه كالحديد المتوهج).
الأحمر: "لا أخفي شيئاً عنك، يا صاحب الروح الصادقة. أنا أسلّي نفسي بجدّيتك الثقيلة وصدقك الكوميدي. هذا نادر جداً في زمننا، وخاصة في البشر القادرين على الفهم".
أنا: "أنا مقتنع بأنك لن تستطيع في نهاية الأمر أن تفهمني. من الواضح أنك تتحداني بتلك الأمور التي تعرفها. لكن عليّ أن أقول لك، ومن أجل الحقيقة فقط، بأني لا أنتمي إلى هذا الزمن ولا إلى هذا المكان. فمنذ سنوات طويلة، نفاني سحرٌ ما إلى هذا الزمن وهذا المكان. أنا لست ما تراه أمامك فعلاً".
الأحمر: "تقول أشياء مذهلة. من أنت إذن؟"
أنا: "هذا لا يرتبط بالموضوع. أنا أقف أمامك كما أبدو. ولا أعرف سبب وجودي هنا أو لماذا أبدو بهذا الشكل. لكنني أعرف أن عليّ أن

---

[508] ساليرنو هي مدينة أسسها الرومان في الجنوب الغربي من إيطاليا. ربما كان يونغ يشير إلى (أكاديميا سيغريتا) التي تأسست في العام 1540 وشجّعت الخيمياء.

أكون هنا لأُثبت ذاتي بما يتناسب مع أفضل ما لدي من معرفة. أنا أعرف القليل عنك كما تعرف أنت القليل عني".

الأحمر: "يبدو هذا غريباً جداً. هل أنت قديس بشكل ما؟ أنت لست فيلسوفاً بما أنك لا تمتلك الكفاءة اللغوية الجديرة بعالم. لكن قديس؟ هذا مؤكد. تفوح رائحة التعصّب من وقارك. لديك من البساطة والأخلاق ما يجعلك تتلمّظ بكسرة خبز يابسة وبقيّة ماء سيء المذاق".

أنا: "لا أستطيع الإجابة بنعم أو لا: أنت تتحدث بلهجة إنسانٍ أسير روح هذا الزمن. يبدو لي أنك لا تفهم المقارنة".

الأحمر: "ربما درستَ في مدرسة الوثنيين؟ تشبه إجابتك إجابة سفسطائيٍ[509]. كيف يمكنك أن تُخضعني للمقياس المعتمد للدين المسيحي إن لم تكن قديساً؟"

أنا: "لقد وقعتَ في شركِ عالمك الخاص. لكنك تعتقد بالتأكيد، أن بوسع المرء تقييم أهميّة المسيحية بشكل صحيح دون أن يكون قديساً حقيقياً".

الأحمر: "هل أنت المُجاز في اللاهوت، الذي يتفحّص المسيحية من الخارج ويقدّر قيمتها تاريخيا، وبالتالي يكون سفسطائياً في النهاية؟"

أنا: "أنت عنيد. ما أقصده أنه من غير الممكن أن يكون تحوّل العالم كله إلى الدين المسيحي، مجرّد صدفة. أنا أؤمن أيضاً بأنها كانت مهمّة الرجل الغربي أن يحمل المسيح في قلبه، وأن يكبر من خلال معاناته وموته وقيامته".

الأحمر: "حسناً، هناك اليهود أيضاً، البشر الخيّرون، على الرغم من أنهم ليسوا بحاجة إلى أناجيلك الرسمية".

أنا: "أنت لا تقرأ الناس جيداً كما يبدو لي: هل لفتَ نظرك يوماً أن اليهودي نفسه يفتقد شيئاً ما — إنه عبارة عن شخص ما في عقله، وشخص آخر في قلبه، وأنه هو نفسه يشعرُ بأنه يفتقد شيئاً ما؟

---

[509] كان السفسطائيون فلاسفة إغريقيين في القرن الرابع والخامس قبل الميلاد، كان مركزهم في أثينا، وينتمي إليهم شخصيات من أمثال بروتاغوراس وغورغياس وهيبياس. كانوا يلقون المحاضرات ويُعلّمون تلاميذهم مقابل أجر معين، ويهتمون بالبلاغة والخطابة بشكل خاص. كان هجوم أفلاطون عليهم في عدد من حواراته، سبباً لنشوء المفهوم السلبي الحديث لهذا المُصطلح واعتباره توصيفاً للشخص الذي يتلاعب بالكلمات.

الأحمر: "بالتأكيد أنا لست يهودياً، لكن عليّ أن أدافع عن اليهودي: يبدو أنك تكره اليهود".
أنا: "أنت تتحدث الآن مثل أولئك اليهود الذين يتهمون أي شخص بمعاداة اليهودية، إن لم يكن لديه الحكم المناسب لهم، بينما يختلقون هم أنفسهم أكثر النكات دموية عن جنسهم اليهودي. بما أنهم يشعرون بشكل واضح بذلك النقص الخاص بهم، على الرغم من أنهم لا يعترفون به، فهم حساسون جداً للنقد. هل تؤمن بأن المسيحية لم تترك أية علامة على أرواح البشر؟ وهل تؤمن بأن المرء الذي لم يختبر هذه الألفة العظمى، لا زال باستطاعته المشاركة بثمرتها؟"[510]
الأحمر: "أنت تناقش قضيتك بشكل جيد. لكن ماذا عن وقارك؟! تستطيع جعل الأمور أسهل على نفسك. إن لم تكن قديساً، فأنا لا أعرف فعلاً، لماذا عليك أن تكون وقوراً بهذا الشكل. إنك تفسدُ المرح كلياً. أي شيطان يقلقك؟ تستطيع المسيحيةٍ وحدها مع حزنها، أن تجعل الناس يهربون من الألم، إنها ثقيلة جداً وكئيبة".
أنا: "أنا أعتقد أنه لا يزال هناك أمور أخرى تحتاج إلى الجديّة".
الأحمر: "أوه، أعرف، أنت تقصد الحياة. أعرف هذه العبارة ولا آخذها على محمل الجدّ. لا تتطلّب الحياة جديّة، بل على العكس، من الأفضل عيش الحياة بالرقص"[511].
أنا: "أعرف كيف أرقص. نعم، لماذا لا نعيش حياتنا من خلال الرقص! يتماشى الرقص مع موسم التزاوج. أعرف من هم بحالة إثارة دائمة، كما أعرف أولئك الذين يريدون الرقص من أجل آلهتهم. يسنّ البعض شرائع الأسلاف بدلاً من الاعتراف بعجزهم المطلق عن القيام بهذا النوع من التغيير.

---

[510] يتابع في المسودة: "لا أحد يستطيع الاستهزاء بالتطوّر الروحاني لعدة قرون ويحصد ما لم تزرعه القرون" صفحة 172.
[511] في كتاب نيتشه "هكذا تكلم زرادشت". يذكّر زرادشت بقهر روح الجاذبية ويحثّ قائلاً: "أيها الإنسان الأسمى، أسوأ ما فيكم، هو أن أحداً منكم لم يتعلّم الرقص كما يجب على الإنسان أن يرقص، أي أن يرقص بشكل يتجاوز فيه نفسه!" (الإنسان الأسمى، صفحة 306).

الأحمر: "أنا أرفعُ قناعي الآن يا صديقي العزيز. لقد أصبحتُ أكثرَ جدّية بما أن هذا يخصّ عالمي. من الممكن أن أتصوّر أن هناك شيئاً ثالثاً يمكن للرقص أن يكون رمزاً له".

تحوّل لون الفارس الأحمر إلى لون الجسد الطبيعي المحمرّ الناعم. وأنظر بعدها إلى نفسي – إنها معجزة – لقد تبرعمت أوراق أشجارٍ من ملابسي الخضراء.

أنا: "ربما يظهر فرحٌ أمام الربّ أيضاً بحيث يستطيع المرء أن يدعوه رقصاً. لكنني لم أجد هذا الفرح حتى الآن. أنا أنتظر ما لم يأتِ بعد. لقد وصلت أشياء معينة لكن الفرح لم يكن بينها".

الأحمر: "ألم تعرفني، يا أخي؟ أنا الفرح!"

أنا" "هل يمكن أن تكون أنت الفرح؟ أنا أراك كما أرى من خلال غيمة. صورتك تتلاشى. دعني أمسك يدك يا حبيبي، من أنت، من أنت؟"

فرح؟ هل كان الفرح؟

بالتأكيد كان هذا الأحمر هو الشيطان، لكنّه كان شيطاني. أي إنه كان فرحي، كان فرح الشخص الجديّ الذي يستمرّ بالمراقبة وحده من أعلى البرج – لونه الأحمر وعطره الأحمر وفرحه الأحمر المتألق الدافئ[512]. ليس هو الفرح السرّي الموجود في أفكار الشخص الجدّي ومظهره، بل هو ذلك الفرح الغريب الذي يأتي دون توقّع، كما تأتي الريح الجنوبية الدافئة بالأزهار العَبِقة وسهولة العيش. أنت تعرف هذه الجدّية من شعرائك عندما ينظرون بترقّب إلى ما يحدث في الأعماق، إلى الأشياء التي بحث عنها الشيطان أولاً، بسبب فرحها الشبيه بالربيع[513]. إنه يرفع

---

[512] في سمينار العام 1939، ناقش يونغ التحوّل التاريخي لشخصية الشيطان قائلاً: "عندما يظهر الشيطان أحمر اللون، يكون نارياً، مما يعني طبيعة شغوفة تُسبب الفسق والكراهية أو الحبّ الجامح". أنظر: أحلام الأطفال: ملاخظات من سمينار 1936 – 1940، المحرران، لورينز يونغ، ماريا ماير غريس (مطبعة جامعة برنغتون / سلسلة فيلمون، 2008).

[513] يتابع في المسودة: "لقد سمعت من "فاوست" كيف يسيطر هذا النوع من السعادة" (صفحة 175)، الملحق هو كتاب "فاوست" لغوته.

الناس كموجة ويدفعهم إلى البعيد. من يتذوق هذا الفرح، ينسَ نفسه.[514] وليس هناك ما هو أكثر حلاوة من نسيان الذات. وليسوا قلّة من نسوا من هم. لكنْ هناك أناس أكثر منهم قد رسّخوا جذورهم بشدّة بحيث لا تستطيع حتى موجة وردية أن تقتلعهم. إنهم متحجرون وثقيلون جداً، بينما الآخرون خفيفون جداً.

لقد واجهتُ شيطاني بصدق، وتصرّفت معه كما لو أنه شخص حقيقي. لقد تعلّمت في الأسرار المقدسة: أن أتعامل بجدّية مع كل هائمٍ مجهول يسكن في العالم الداخلي وذلك لأنه حقيقي ومؤثر[515]. لن يساعدنا ما نقوله في روح هذا الزمن: ليس هناك من شيطان. لقد حدث هذا معي، كان هناك واحد معي. قمت بما يمكنني القيام به واستطعت الحديث معه. المحادثة الدينية حتمية مع الشيطان بما أنه يطلبها، إلا إذا رغب المرء بالاستسلام له دون شروط. إن الدين هو بالتحديد، ما لا نستطيع أنا والشيطان الاتفاق عليه. كان لا بدّ من مواجهة الأمر معه، بما أنه لا يمكنني أن أتوقع منه كشخصية مستقلة، قبول وجهة نظري دون إثارة المزيد من اللغط.

سأكون مُتهرباً لو لم أحاول الوصول معه إلى تفاهم. إن حصلتَ يوماً على فرصة نادرة للحديث مع الشيطان، فلا تنسَ مواجهته بكل جدّية. إنه شيطانك قبل كل شيء. الشيطان عبارة عن خصم، وهو وجهة نظرك الأخرى، إنه يغويك ويضع الحصى في طريقك، حيث لا تريدها أبداً.

لا يعني أن تأخذ الشيطان بجدّية، أن تقف إلى جانبه، لأنك عندئذٍ تصبح شيطاناً حينها. إن هذا يعني أن تصل إلى تفاهم معه، وتقبل بالتالي، وجهة نظرك الأخرى. عندئذٍ سوف يختلّ توازن الشيطان وتوازنك أنت أيضاً. ربما يكون هذا أمراً جيداً.

---

[514] في المسودة: "كما عرفتم من فاوست، هناك الكثيرون ممن نسوا من كانوا لأنهم تركوا أنفسهم ينجرفون". (صفحة 175)

[515] لقد توسع يونغ بهذه النقطة في العام 1928 بينما كان يعرض طرق التخيل الفعّال: "وكمعارض لهذا، طورتْ العقيدة العلمية في زمننا رُهاب الخرافات حول الأخيولة. لكن الحقيقي هو ما يكون فعّالاً. إن أخيولات اللاوعي تعمل – ليس هناك من شك بهذا" (العلاقة بين الأنا واللاوعي) الأعمال الكاملة 7.

على الرغم من أن الشيطان يَمقت الدين كثيراً بسبب جدّية الدين وصراحته، فقد أصبح واضحاً أنه بإمكانك الوصول إلى تفاهم معه من خلال الدين تحديداً. لقد صدمهُ ما ذكرته عن الرقص، لأني تحدثت عن شيء ينتمي إلى مجاله الشخصي. إنه يتصرّف دون جدّية في الأمور التي تهمّ الآخرين فقط، وهذه خاصية الشياطين كلهم. لقد وصلت إلى جديّته بهذه الطريقة، ووصلنا هنا إلى عامل مشترك كان التفاهم عليه ممكناً. كان الشيطان مُقتنعاً بأن الرقص ليس شهوة ولا جنوناً، بل هو حالة من التعبير عن الفرح الذي لا يناسب الشهوة ولا الجنون. عندها اتفقت مع الشيطان، ومن ثمّ أَنْسَنَ نفسه أمام عينيَّ. لكني تحوّلت حينئذٍ إلى لون أخضرَ يشبه شجرة في فصل الربيع.

ومع ذلك، سواء أكان الفرح هو الشيطان، أم الشيطان هو الفرح، فهذا أمرٌ يسبب القلق لك. تأملت في هذا الأمر لأكثر من أسبوعٍ وأخشىَ أنه لم يكن كافياً. أنت تشكك بحقيقة أن فرحك هو شيطانك، لكن بدا دائماً وكأن هناك شيئاً شيطانياً في الفرح. إن لم يكن الفرح شيطاناً بالنسبة لك، فمن الممكن أن يكون كذلك بالنسبة لجيرانك، بما أنه هو اخضرار الحياة وإزهارها الأعظم. يتغلّب هذا الأمر عليك، ويفرض عليك أن تبحث عن طريق جديد، بما أن ضوء هذه النار السعيدة قد انطفأ تماماً بالنسبة لك. أو أن فرحتك تبعد جارك عن الطريق، بما أن الحياة مثل النار العظيمة التي تشعل كل شيء في جوارها. لكن النار هي عنصر الشيطان.

عندما عرفت أن الشيطان هو الفرح، أردت إقامة معاهدة معه بالتأكيد. لكن لا يمكنك إقامة معاهدة مع فرحٍ لأنه يختفي في الحال. كما أنه ليس بإمكانك أن تأسر الشيطان أيضاً. إن عدم قابليته للأسر هي جزء من جوهره. يكون غبياً إن ترك نفسه يقع في الأسر. وعلاوة على ذلك، لا يمكنك أن تكسب شيئاً من امتلاك شيطان غبي آخر، يسعى الشيطان دوماً إلى أن يقطع الغصن الذي تجلس عليه. إن هذا الأمر مفيد، يحميك من النوم ومن الرذائل التي تأتي معه.

الشيطان هو عنصرٌ شريرٍ، أما الفرح؟ إن سعيت وراء الفرح، فسوف ترى أنه يحتوي الشرّ أيضاً، لأنك ستصل حينئذٍ إلى المتعة، وتذهب من المتعة إلى الجحيم بشكل مباشر، تذهب إلى جحيمك الخاص الذي يختلف بين شخص وآخر[516].

أثناء وصولي إلى تفاهم مع الشيطان، قَبِلَ هو بعض جدّيتي وقبلت أنا بعض فرحه، ومنحني هذا الأمر شجاعة. لكن إن حصل الشيطان على جديّة أكثر، فعلى المرءِ أنِ يستجمع نفسه ويستعد[517]. إن قبول الفرح أمر محفوف بالمخاطر دائماً، لكنه يقودنا إلى الحياة وخيبة أملها التي يأتي منها كمال حياتنا[518].

[516] يتابع في المسودة: "يعرف كل شخص مهتمّ جحيمه، لكن لا يعرف الجميع شياطينهم. ليس هناك فقط شياطين فرح، هناك شياطين حزن أيضاً". صفحة 178.

[517] يتابع في المسودة: "اكتشفت في مغامرة لاحقة، كم تناسب الجديّة الشيطان. على الرغم من أنها تجعله أكثر خطراً عليك بالتأكيد، فهي لا تتوافق معه، صدقني".

[518] يتابع في المسودة: "مع هذا الفرح المكتسب حديثاً انطلقت في مغامرات عديدة دون معرفة المكان الذي سيقودني الطريق إليه. وعلى الرغم من أنني ربما كنت أمتلك أفكاراً ذكية كمفكر، فلم يكن الأمر كذلك في الحياة. لقد كنت فيها أحمقَ ومتحاملاً ومستعداً تماماً للوقوع في فخ الثعلب". (صفحة 179).

الفصل الثاني:

القلعة في الغابة[519]

[520]في الليلة التالية، كنت أسير وحدي في غابة مظلمة، ولاحظت بأنني ضللت طريقي[521]. تتعثر خطاي في الظلام على طريق خاصّ بالعربات. وصلت أخيراً إلى مُستنقع ماء عاتم تماماً، تنتصب في وسطه قلعة قديمة صغيرة. اعتقدت أنه من الجيد أن أسأل عن مكان أقيم هذه الليلة فيه. طرقت الباب وانتظرت طويلاً، وبدأت السماء تمطر. كان عليّ أن أطرق الباب مرّة أخرى. سمعت وقع خطوات شخص قادم ثم انفتح الباب. كان خادماً بملابس عتيقة الطراز وقد سألني عمّا أريد. عبّرت له عن حاجتي إلى مكان أقضي الليل فيه. تركني أدخل في ردهة مظلمة. أرشدني بعدها إلى الأعلى عبر دَرَجٍ قديمٍ متهالك. وهناك، دخلت إلى فُسحة تشبه بهواً عالياً مُحاطاً بجدران بيضاء تستند عليها خزائن سوداء وملابس.

بعد ذلك يدعوني الخادم إلى غرفة تشبه غرفة استقبال تحتوي أثاثاً منجّداً قديم الطراز، ويضيئها مصباح عتيق بضوء خافت جداً. طرق الخادم باباً جانبياً ثم فتحه بهدوء. اختلست النظر بسرعة: ربما كانت مكتباً لباحث، لاحظت وجود رفوف مليئة بالكتب على جدرانها الأربعة

---

[519] المسودة المنسوخة بخط اليد تحتوي على العنوان التالي: "المغامرة الثانية" صفحة 383.

[520] 28 كانون الأول - ديسمبر من العام 1913.

[521] يبدأ مقطع "الجحيم" لدانتي بكتابه "الكوميديا الإلهية"، بشاعر يضيع في غابة مظلمة. هناك قصاصة ورق في نسخة يونغ عند هذه الصفحة.

إضافة إلى مكتب كبير يجلس إليه رجلٌ عجوز يرتدي ثوباً طويلاً أسود. أشار إلي كي أدخل. كان الهواء في الغرفة ثقيلاً وبدا العجوز مُثقلاً بالهموم. لم يكن شخصاً قليل الوقار، بل كان يبدو من أولئك الأشخاص الذين يستحقون أكبر قدر من الاحترام. كانت لديه تلك الهيئة المتواضعة المخيفة للعلماء الذين انسحقوا من كثرة معرفتهم. اعتقدتُ أنه عالِمٌ حقيقي تعلّم التواضع العظيم أمام ضخامة المعرفة، كما منح نفسه بالكامل إلى العلم والبحث، وبدأ يقيّم الأمور باهتمام ورصانة، لكأن عليه شخصياً أن يمثّل الحقيقة العلمية.

حياني بحرج، كما لو كان شارداً ومتحفظاً. لم أتساءل عن السبب لأنني كنت أبدو مثل أي شخص عادي. كان يستطيع بصعوبة أن يزيح نظره عن عمله، وقد أجابني عندما كررت مطلبي أمامه قائلاً: "هكذا إذن، تريد النوم، تصرّف كما يحلو لك". لاحظت أنه كان شارداً فطلبت إليه أن يكلّف الخادم بأن يرشدني إلى حجرتي، فعلّق قائلاً: "أنت ملحّ، انتظر، لا أستطيع أن أترك ما بين يديّ!" ومن ثم غرق مجدداً في كتابه. انتظرت قليلاً فرفع نظره إلى الأعلى بعد فترة وقال مندهشاً: "ما الذي تريده هنا؟ أوه، المعذرة، نسيت أنك تنتظر هنا، سأستدعي الخادم حالاً". أتى الخادم وأرشدني إلى حجرة صغيرة ذات جدران بيضاء عارية وسرير كبير، ثم تمنى لي ليلة سعيدة وخرج.

ولأني متعب، خلعت ملابسي فوراً وأطفأت الشمعة ودخلت في فراشي. كانت ملاءات السرير خشنة بشكل غير مألوف، كما كانت الوسادة قاسية. لقد قادني فقداني لطريقي إلى هذا المكان الغريب: قلعة قديمة صغيرة يُمضي مالكها المثقف خريف عمره وحيداً مع كتبه. لا يبدو أن هناك شخصاً آخر في المنزل غير هذا الخادم الذي يعيش في الأعلى في البرج. فكّرت بأن حياة هذا العجوز مع كتبه حياة مثاليّة لكنها مليئة بالوحدة. فكّرت بالأمر طويلاً حتى لاحظت أن هناك فكرة أخرى ترفض أن تتركني، وأعني أن هذا العجوز المثقّف يُخفي ابنته الجميلة هنا —

فكرة شائعة بالنسبة لرواية، لكنها تافهة ومهترئة – لكن من الممكن الشعور بالرومانسية في جميع جوانبها، إنها فكرة روائية حقيقية، هناك قلعة في الغابة، وليلة عزلة، وعجوز تحجّر في كتبه ويحمي كنزه الثمين ويخفيه بحسدٍ عن العالم كله. يا لهذه الأفكار السخيفة التي تراودني! هل هو جحيم أم مَطهر، أن يكون عليّ إبداع أحلامٍ طفوليةٍ كهذه في توهاني؟ لكنني كنت أشعر بالعجز عن رفع مستوى أفكاري إلى شيء أقوى أو أجمل. أفترض أن عليّ أن أسمح لهذه الأفكار بالقدوم. ما الفائدة من إبعادها إن كانت ستعود مرة أخرى؟ من الأفضل ابتلاع هذا الشراب العفِن بدلاً من الإبقاء عليه في الفم. إذاً كيف تبدو هذه البطلة المضجرة؟ بالتأكيد، شقراء، ذات وجه شاحب وعيون زرقاء، تتأمل بلهفة كل جوَّال تائه ليكون منقذها من السجن الأبوي. أوه، أعرف أن هذا عبارة عن هراء مُبتذل – أفضّل أن أنام – لكن لِمَ عليّ أن أزعج نفسي بخيالات فارغة كهذه، بحق الشيطان؟

لم أستطع النوم. إنني أتقلب في الفراش ولا يزال النوم بعيداً، هل عليّ في النهاية أن أُسكِنَ هذه الروح غير الآمنة في داخلي؟ أليست هي التي لا تتركني أنام؟ هل لدي تلك الروح الروائية؟ هذا كل ما كنت أحتاجه، سيكون هذا الأمر سخيفاً لدرجة تدعو للرثاء. ألا يمكن لهذا الكأس المرّ أن ينتهي؟ لا بدّ أنني في منتصف الليلِ ولم يأتِ النوم بعد. ما الذي يمنعني من النوم إذن؟ هل هو شيء يتعلّق بهذه الحجرة تحديداً أم أن السرير مسحور؟ يستطيع الأرق أن يوجّه الإنسان إلى ما هو مرعب جداً، وقد يقوده إلى نظريات سخيفة وخرافية. يبدو الطقس لي بارداً وأشعر بأنني أتجمّد، ربما كان هذا ما يمنعني من النوم، الأمر مُذهل بالفعل، والله يعلم ما الذي يجري هنا. وفجأة، ألم تكن هذه أصوات خطوات؟ لا، لا بدّ أنها في الخارج، أتكوّر على نفسي وأغلق عينيّ بإصرار، عليّ أن أنام وحسب، ألم يكن ذلك صوت الباب؟ يا إلهي، شخص ما يقف

هنا! هل أرى بشكل جيد؟ وقفت أمام الباب فتاة نحيلة شاحبة كالموت، بحق السماء، ما هذا؟ إنها تقترب!

سألتني بهدوء: "هل جئت أخيراً؟" مستحيل، هناك خطأ ما، تريد هذه الرواية أن تصبح حقيقة. هل ستتحوّل إلى قصة بلهاء عن الأشباح؟ أي لعنة أصابتني؟ هل روحي هي من تحمل هذه الموهبة الروائية؟ هل على هذا أن يحدث لي أيضاً؟ أنا في الجحيم فعلاً — إن الصحوة الأسوأ بعد الموت هي التي تُبعَث من جديد في مكتبة إعارة! هل كنت أزدري أناس زمني وأذواقهم لدرجة يكون عليّ أن أعيش في جحيم وأكتب روايات بصقتُ عليها سلفاً ومنذ زمن طويل؟ هل يتطلّب النصف الأدنى من معدّل ذوق الإنسان أيضاً، حصانة وقداسة بحيث لا نستطيع أن نقول أي كلمة سيئة عنه دون أن نضطر إلى التكفير عن خطيئتنا في الجحيم؟

قالت: "أوه، أنت أيضاً تشكّ بأنني حقيقية؟ هل تركت نفسك تنخدع بالوساوس البائسة، وبأنني أنتمي إلى رواية؟ هل أنت أيضاً من أمِلتُ منه ألا يهتم بالمظاهر ويسعى نحو جوهر الأمور؟

أنا: "اعذريني، لكن هل أنت حقيقية؟ إن لم أفترض أنك نِتاج بائس لدماغي المحروم من النوم، فسوف يشبه هذا الأمر تلك المشاهد البالية الحمقاء في الروايات، هل يتأكد شكّي بموقف مطابق تماماً لرواية عاطفية؟"

هي: "يا لك من بائس! كيف يمكنك الشكّ بأني حقيقية؟"

ركعت قرب سريري تنتحب وتغطي وجهها بيديها. يا إلهي! هل هي حقيقية بالفعل، وأنا أعاملها بإجحاف؟ لقد استيقظت شفقتي.

أنا: "لكن بحق السماء، أخبريني أمراً واحداً: بكل جدية، هل عليّ أن أفترض أنك حقيقية؟"

كانت تبكي ولم تجب على سؤالي.

أنا: "من أنت إذن؟"

هي: "انا ابنة الرجل العجوز. إنه يأسرني هنا بسجن لا يُحتمل، وهذا ليس بدافع الحسد أو الكراهية، بل بدافع الحبّ، ولأنني ابنته الوحيدة، والصورة الباقية عن أمي التي ماتت بعمر الشباب".

حككت رأسي: أليس هذا نوعاً من السخافة الجحيمية؟ إنها تُطابق رواية خياليّة من مكتبة استعارة الكتب كلمة كلمة! أيتها الآلهة، أي مكان جلبتني إليه؟ هذا كافٍ ليجعل المرء يضحك، كما أن وجود شخص جميل يعاني، وجود شخص محطّم بشكل بائس، يكفي ليجعل المرء يبكي، لكن أن يصبح المرء قرداً، أيتها الآلهة العظيمة والجميلة؟ بالنسبة لك، لا يمكن أن يكون السخف المُبتذل والتفاهة الكاملةُ هديّةً من السماء توضع بين يديّ شخص يصلي.

لكنها لا تزال تبكي أمامي، وأتساءل حتى الآن، ماذا لو كانت حقيقية؟ سوف تستحقّ حينها أن أشعر بالأسف نحوها، سيشعر كل إنسان بالشفقة عليها. لو كانت فتاة حصينة، ما الذي سيدفعها للدخول إلى غرفة رجل غريب! وإلى أن تحاول أن تتغلّب على خجلها بهذه الطريقة؟

أنا: "يا طفلتي العزيزة، على الرغم من كل شيء، أنا أصدّق أنك حقيقية. ما الذي أستطيع أن أقوم به من أجلك؟"

هي: "أخيراً، أخيرا، كلمة من فم إنسان!"

تنهض ويشعّ وجهها، وأرى أنها جميلة. يسكن محياها نقاء عميق، ولديها روح جميلة ترغب بأن تدخل عالمِ الواقع، ترغب بأن تأتي إلى كل الواقع الذي يستحقّ الشفقة، إلى حمّام القذارة هذا. يا لجمال الروح هذا! أن تراها تنزل إلى عالم الواقع السفلي، يا له من مشهد!

هي: "ماذا يمكنك أن تفعل من أجلي؟ لقد فعلت الكثير حتى الآن. لقد قُلتَ كلمة الخلاص عندما لم تعد تضع التفاهة بيني وبينك. اعرفْ إذن: لقد سحرتني التفاهة".

أنا: "يا للمصيبة، أصبحت تشبهين الآن حكاية خرافية".

هي: "كن منطقياً يا صديقي العزيز، ولا تتعثّر الآن بالخرافات، لطالما كانت الحكايات الخرافية هي الأم العظيمة للرواية، كما كانت لديها

صلاحية عالمية أكثر من معظم الروايات المقروءة بجشع في زمنك. أنت تعرف الآن أن ما كان على شفتي كل شخص منذ آلاف السنين، وعلى الرغم من التكرار الذي لا ينتهي، فإنه لايزال الأكثر قرباً إلى حقيقة الإنسان المطلقة. لذلك لا تدع الخرافات تدخل بيننا[522]".

أنا: "أنت ذكية، ولا يبدو أنك ورثت حكمة والدك. لكن أخبريني، ما رأيك بألوهية ما يُسمى بالحقائق المطلقة؟ أجد أن من الغريب جداً البحث عنها في الابتذال. أرى أنه من المُفترض وفقاً لطبيعتها أن لا تكون مألوفة تماماً. فكّري فقط بفلاسفتنا العظماء".

هي: "كلما كانت الحقائق الأسمى أقلّ ألفةً، كان من الواجب أن تكون لا إنسانية أكثر، وكانت أقل قيمة ومعنى بما يخص جوهر الإنسان والوجود. إن ما هو إنساني، وما تسميه سخيفاً ومبتذلاً فقط، هو الذي يحتوي الحكمة التي تبحث عنها. إن الخرافات لا تتحدث ضدّي بل لصالحي، وهي تثبت كم أنا إنسانة عالميّة، وكيف أنني لا أحتاج الخلاص وحسب، بل أستحقّه أيضاً. لأنني أستطيع العيش في عالم الواقع مثل بنات جنسي تماماً، أو حتى أفضل من العديد منهنّ".

أنا: "أنت مذهلة أيتها الصبية الغريبة، عندما رأيت والدك، أمِلت أن يدعوني إلى حوار ثقافي. لكنه لم يفعل، وكنت مضطهداً أمامه بسبب ذلك، بما أن إشاحة نظره المُربك عني، جرحتْ كرامتي. لكنني وجدت الوضع أفضل بكثير معك. منحتنني أمراً أفكر به. أنت غير عادية".

هي: "أنت مخطئ، أنا عادية جداً".

---

[522] في بحث "رغبة الإنجاز والرمزية في الحكايات الخرافية" (1908). ناقش فرانز ريكلين، صديق يونغ، بأن الحكايات الخرافية كانت الاختراعات العفوية للنفس الإنسانية البدائية، والنزعة العامة لتحقيق الإنجاز (كتاب مراجعة في التحليل النفسي، صادر عام 1913، صفحة 95). وفي كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" أوضح يونغ أن الحكايات الخرافية مشابهة للميثولوجيا من حيث تمثيل الصور البدائية. وقد بيّنها على أنها تعبير عن النماذج البدئية في عمله اللاحق: "عن النماذج البدئية والاوعي الجمعي" (الأعمال الكاملة 9). وقد طوّرت تلميذة يونغ (ماري لويس فون فرانز) التفسير السيكولوجي للحكايات الخرافية في سلسلة من الأعمال. أنظر كتاب (تفسيرات الحكايات الخرافية) (بوستون: شامبالا، 1996).

أنا: "لا أستطيع تصديق ذلك. كم هو جميل ذلك التعبير عن روحك في عينيك، ويستحقّ الاحترام. كم سيكون سعيداً ومحسوداً ذلك الرجل الذي سيحررك".

هي: "هل تحبني؟"

أنا: "أقسم على أنني أحبك، لكنني متزوج لسوء الحظ".

هي: "إذن — كما ترى: حتى الواقع السخيف هو مخلّص. أشكرك يا صديقي، وأنا أنقل لك تحيات سالومي".

مع تلك الكلمات، اختفت هيئتها في الظلام، واخترق الغرفة ضوء قمر باهت. هناك شيء يشبه الظل في المكان الذي كانت تقف فيه، إنها أضمومة من ورود حمراء[523].

[524] إن لم تحدث معك مغامرة خارجية، فلن تحدث مغامرة داخلية أيضاً. إن جانب الفرح الذي تبنّيته من الشيطان هو من يقودك إلى المغامرة. سوف تجد حدودك الدنيا وحدودك العليا أيضاً في هذا الطريق. من الضروري بالنسبة لك أن تعرف حدودك. وإن لم تعرفها فسوف تصادف حواجز مزيّفة من صنع مخيّلتك حيناً، ومما يتوقعه الناس منك حيناً آخر. لكن حياتك لن تتقبّل أن تحدّها بحدود مصطنعة أو زائفة، وسترغب الحياة بالقفز فوق الحواجز، كما أنها ستفترق عن ذاتك.

---

[523] في بحث "عن الجوانب السيكولوجية لشخصية كوري" عام 1951، وصف يونغ هذه الفقرة كما يلي: "كان هناك بيت منعزل في غابة يعيش فيه رجل عجوز مثقف. وفجأة، ظهرت ابنته مثل شبح، وكانت تتذمر من الناس الذين لا يستطيعون رؤيتها إلا كأخيولة فقط" (الأعمال الكاملة 9). وقد علّق يونغ (متابعاً ملاحظاته المتعلقة بقصة إيليا وسالومي والموجودة في الكتاب الأول): "يعرض الحلم الثالث الموضوع ذاته، لكنه كان من سويّة أكثر شبهاً بالقصص الخيالية. وتظهر القرينة هنا ككائن شبحي".

[524] في المسودة الأصلية: "أنتم يا أصدقائي، لا تعلمون شيئاً عن حياتي المرئية الخارجية. إنكم تسمعون فقط عن حياتي الداخلية المناظرة لحياتي الخارجية. بالتالي إن اعتقدتم أن لديّ حياة داخلية فقط، وأنها هي حياتي كلها فأنتم مخطئون. عليكم أن تعرفوا أن حياتكم الداخلية لا تزداد غنى على حساب حياتكم الخارجية، بل تصبح أشدّ فقراً. إن لم تعيشوا في الخارج، فلن تصبحوا أغنياء من الداخل، بل ستصبحون مُثقلين أكثر وحسب. إن هذا ليس لمصلحتكم وهو بداية الشرّ. كما أن حياتكم الخارجية لن تصبح أغنى وأكثر جمالاً على حساب حياتكم الداخلية، بل أفقر أيضاً. سوف تجد الطريق من خلال التوازن". الصفحة 188.

ليست الحواجز هي حدودك الحقيقية بل حدود تعسّفية تسبب لك ألماً لا ضرورة له. وبناء عليه، حاول أن تجد حدودك الحقيقية. أنت لن تعرف حدودك الحقيقية مُسبقاً لكنك ستراها وتفهمها عندما تصل إليها فقط، ولن يحدث هذا معك إلا إن وصلت إلى التوازن. إنك من دون هذا التوازن، تتجاوز حدودك دون أن تلاحظ ما الذي يحدث معك. على أية حال، سوف تصل إلى التوازن إن احتضنت متضاداتك، وهذا الأمر بغيض بالنسبة لك في عمق نواتك الداخلية لأنه ليس عملاً بطولياً.

تأمّلَ روحي بكل شيء نادر وغير مألوف، ودخل بفضول إلى احتمالات غير صحيحة، وفي طرق تقود إلى ما هو مُختبئ، وقد قادني نحو أضواء تشعّ في الليل. وعندما قام روحي بهذا العمل، تضرر كل شيء عادي بداخلي دون أن ألاحظ ذلك، وبدأ يتوق إلى الحياة لأنني لم أعشها، ولهذا حدثت تلك المغامرة. لقد فتنتني الرومانسية التي هي خطوة إلى الوراء. لكي يصل المرء إلى الطريق، عليه أحياناً أن يخطو بعض الخطوات إلى الوراء أيضاً[525].

اختبرت في المغامرة ما كنت قد شهدته في الأسرار المقدّسة. ما رأيته هناك في هيئة إيليا وسالومي، أصبح في الَحياة رجل عجوز وابنته الشاحبة السجينة. أصبح ما أعيشه هنا شَبَهاً محرّفاً عن الأسرار المقدّسة. لقد وصلت عبر اتباع الطريق الرومانسي إلى مصاعب تفاهة الحياة وحياديتها حيث تلاشت أفكاري وكدت أنسى نفسي تقريباً. ما كنت قد أحببته سابقاً، أصبح عليّ اختباره الآن كشيء ضعيف وضائع، وما كنت قد سخرت منه سابقاً، أصبح عليّ أن أحسده كشيء طاغٍ أتوق إليه بيأس. لقد قبلتُ سخافة المغامرة. لم يكد ينتهي هذا الأمر حتى شاهدت كيف حوّلت الفتاة نفسها، وأشارت إلى معنىً مستقل. يتساءل المرء عن الرغبة بالسخف، وكان هذا كافياً لها لتتغير.

---

[525] يتابع في المسودة: "عدت إلى قروني الوسطى، حيث كنت لا أزال رومانسياً، وهناك اختبرت المغامرة". صفحة 190

ماذا عن الذكورة؟ هـل تعـرف كـم يفتقـد الرجـل مـن الأنوثـة مـن أجـل الكمال؟ هل تعرف كم تفتقد المرأة من الـذكورة مـن أجـل الكمـال؟ أنـت تبحث عن الأنوثة في النساء، وتبحث عـن الـذكورة في الرجـال. وبهـذا، يكون لديك دائماً رجال ونساء فقط. لكن أين النـاس؟ لـيس عليـك أيهـا الرجل أن تبحث عن الأنوثة في النساء بل ابحث عنها في ذاتك وأدركها بما أنك تمتلكها منذ البداية. يحلو لك العيش واللعب ضمن إطار الرجولة لأنها ترتحل على طريق قديم وبال. وأنت أيتها المـرأة، لـيس عليـك أن تبحثي عن الرجولة في الرجالً بل التمسيها في ذاتك، بما أنك تمتلكينها منذ البداية. لكن يروق لك ويكون من السهل عليك أن تعيشي ضمن إطار الأنوثة، وبالنتيجة، يحتقرك الرجل لأنه يحتقـر الأنثـى الموجـودة فيـه. لكن الجنس البشري ليس مجرّد رجل وامرأة بـل هـو عبـارة عـن ذكـورة وأنوثة. لا تستطيع أن تسـأل الـروح عـن جنسـها. وإن أبـديت اهتمامـاً أكثر، سوف ترى أن أكثر الرجال ذكـورة، لـديهم روحٌ أنثويـة، كمـا أن أكثر النساء أنوثة لديهنّ روح ذكورية. كلما كنـت أكثـر ذكـورة، أبعـدت عنك ما هي المرأة فعلياً، بما أن الأنوثة في داخلك، غريبة ومُحتقرة[526].

إن أخذت بعض الفرح من الشيطان وانطلقت به في مغامرات فسوف تقبل متعتك. لكن المتعة تثير كل شيء كنت ترغب به عندها، عليك أن تقـرر فيما إذا كانت تُفسِدك أم تعزّزك. إن كنت مع الشيطان، فسوف تـتلمّس التعدد في الرغبة العمياء وسوف تُضاعف من ضياعك. لكن إن بقيـت مـع ذاتك، أي إن كُنت ذاتك ولم تكن مع الشـيطان، فعنـدها سـوف تتـذكر إنسانيتك. أنت لن تتصرف مع المرأة بحدّ ذاتها علـى أنـك رجـل، بـل

---

[526] كتب يونغ في العام 1921، في كتاب "النماذج السيكولوجية": "إن لدى المرأة الأنثوية جداً، روحاً ذكورية، ولدى الرجل الذكوري جداً، روحاً أنثوية. يعود هذا التباين إلى الحقيقة التالية: لا يكون الرجل ذكورياً بالكامل في أي شيء، بل يكون لديه بعض الصفات الأنثوية أيضاً. كلما كانت مواقفه الخارجية أكثر ذكورية، أصبحت صفاته الأنثوية مغمورة، ومن ثم تظهر هذه الصفات في اللاوعي" (الأعمال الكاملة 6). لقد حدد يونغ الروح الأنثوية للرجل بالأنيما (القرينة) والروح الذكورية للمرأة بالأنيموس (القرين)، وشرح كيف يُسقط الأفراد صورة أرواحهم على أفراد من الجنس الآخر. صفحة 805.

سوف تتصرف كإنسان، أي كما لو أنك من الجنس ذاته مثلها. سوف تتذكر أنوثتك. ربما يظهر الأمر لك حينئذٍ كما لو أنك غبيّ أنثوي أو مخنّث كما يُقال. لكن عليك القبول بهذا السخف وإلا فسوف تعاني من الضيق، وسيأتي يوم تصبح فيه قليل الانتباه، ثم ينقلب السخف عليك فجأة، وتصبح سخيفاً. من المؤلم للرجل الأكثر ذكورة قبول أنثويته، بما أنها تظهر له سخيفة عاجزة ورخيصة.

نعم، سيبدو الأمر كما لو أنك تفقد كل الفضائل، كما لو أن كرامتك تُنتقص. وسيبدو الأمر ذاته بالنسبة للمرأة التي تتقبّل ذكورتها[527]. نعم، سيبدو الأمر لك وكأنه استعباد. أنت عبدٌ لما تحتاجه في روحك. يحتاج أكثر الرجال ذكورة إلى النساء، وبناء عليه، يكون عبدهنّ. كن امرأة في ذاتك[528] وسوف تحمي نفسك من أن تكون عبداً لامرأة. بما أنك لا تستطيع بالرغم من كل رجولتك، أن تدرأ السخرية عنك، فأنت مَرميٌّ لامرأة، ومن دون رحمة. من الجيد بالنسبة لك أن ترتدي ألبسة نسائية مرة، قد يضحك الناس عليك لكنك من خلال كونك امرأة، تحقق الحرية من النساء ومن استعبادهنّ لك. يؤدي قبول الأنوثة إلى الاكتمال، ويصحّ الأمر ذاته على المرأة التي تقبل ذكورتها.

يرتبط الأنثوي في الرجال بالشرّ. وأنا أجده في طريق الرغبة. ويرتبط الذكوري في النساء بالشرّ أيضاً. وهكذا يكره الإنسان قبول الآخر الخاص به. لكن إن قَبِلت به، فسوف يتحقق ذلك الذي يرتبط بكمال الرجال: ما أعنيه هو أنه عندما تُصبح الشخص الذي يُسخَر منه، فإن الطائر الأبيض للروح يأتي طائراً. لقد كان بعيداً جداً لكن إذلالك قد

---

[527] بالنسبة ليونغ، كان اندماج (القرينة) بالنسبة للرجل و(القرين) بالنسبة للمرأة، ضرورياً من أجل تطوّر الشخصية. وفي العام 1928 وصف هذه العملية التي احتاجت إلى سحب جميع الإسقاطات من أشخاصٍ من الجنس المعاكس، والتمايز عنها وأن يصبحوا مدركين لها في كتاب (العلاقات ما بين الأنا واللاوعي، الجزء الثاني، الفصل الثاني، الأعمال الكاملة 7). انظر أيضاً كتاب "Aion" الصادر عام 1951، الأعمال الكاملة 9.

[528] يوجد في المسودة المصححة بدلاً من هذه العبارة: "لكن إن قَبِلَ الرجل الأنثوي في ذاته، فهو يحرر نفسه من عبودية المرأة". صفحة 178.

جذبه[529]. يقترب اللغز منك، وتحدث حولك أشياء كالمعجزات. يضيء بريق ذهبي، بما أن الشمس قامت من قبرها. أنت كرجل، ليس لديك روح، بما أنها موجودة في المرأة، وأنتِ كامرأة، ليس لديك روح، بما أنها موجودة في الرجل. لكن إن أصبح كلٌ منكما إنساناً، فسوف تعود روحك إليك.

إن بقيت ضمن الحدود الموضوعة اعتباطياً واصطناعياً، فسوف تسير كما لو أنك بين جدارين عاليين، ولن ترى ضخامة العالم. لكن إن حطّمت الجدران التي تحدّ الرؤية، وإن جعلتك ضخامته ولا يقينيته خائفاً، فسيصحو بداخلك النائم العتيق الذي يكون الطائر الأبيض مرساله. ستحتاج حينئذٍ رسالة مروّض الفوضى القديم. هناك في دوّامة الفوضى، يسكن العجب الأبدي. ويصبح عالمك رائعاً. لا ينتمي الإنسان إلى العالم المنظّم فقط، بل ينتمي أيضاً إلى عالم العجب الخاص بروحه. وهكذا، عليك أن تجعل عالمك المنظم مريعاً بحيث يزعجك أن تكون خارج نفسك أكثر مما يجب.

لدى روحكم حاجة عظيمة لأن القحط يُثقل كاهل عالمها. إن نظرتم خارج ذواتكم، ترون الغابات والجبال البعيدة، ويصعد بصركم فوقها إلى عوالم النجوم. وإن نظرتم داخل ذواتكم، فسوف فسوف ترون من ناحية أخرى، بالقرب منكم، ما هو بعيد ولا نهائي، لأن عالم الداخل لا نهائي كما هو العالم الخارجي. وكما تصبحون جزءاً من الجوهر المتشعّب للعالم من خلال أجسادكم، تصبحون جزءاً من الجوهر المتشعب للعالم الداخلي، من خلال أرواحكم. هذا العالم الداخلي لا نهائي بالفعل، ومن المستحيل أن يكون أفقر من العالم الخارجي. يعيش الإنسان في عالمين. ويعيش الأحمق هنا أو هناك، لكن ليس هنا وهناك معاً.

[529] كتب (ألريتش ديتريش): في كثير من الأحيان، يعتبرُ المعتقد الشائع الروح طائراً منذ البداية". Abraxas. Studien zur Religionsgeschichte des spätern Altertums[Leipzig, 1891]، صفحة 184.

[530]ربما تعتقد أن الإنسان الذي يكرّس حياته للبحث، يعيش حياة روحانية، وتعيش روحه بمعيار أعلى من أي شخص آخر. لكن هذه الحياة خارجية أيضاً، وتشبه تماماً الإنسان الذي يعيش من أجل أشياء خارجية. وبشكل مؤكد، فإن باحثاً كهذا لا يعيش من أجل أشياء خارجية بل من أجل أفكار خارجية، وليس من أجل ذاته بل من أجل موضوعه. إن قُلتَ عن رجل ما إنه أضاع نفسه بالكامل وأهدر سنوات عمره من أجل الخارج، فعليك أيضاً أن تقول الشيء نفسه عن هذا الرجل العجوز. لقد رمى نفسه في كتب الآخرين وأفكارهم، وأصبح لدى روحه حاجة عظيمة، وأصبح عليها أن تذّل نفسها وتدخل غرفة كل شخص غريب، لتتسول الانتباه الذي فشل في منحهِ لها.

لذلك ترى أولئك الباحثين العجائز الذين يهرولون خلف نيل التقدير بطريقة سخيفة خالية من الوقار. إنهم يستاؤون إن لم تُذكر أسماؤهم، ويغتمّون عندما يقول شخص ما الشيء ذاته بطريقة أفضل. هم لا يتسامحون مع شخص يقوم بتعديل وجهات نظرهم بأقل قدر ممكن. تستطيع الذهاب إلى اجتماعات الباحثين البائسين وسوف تراهم بفضائلهم العظيمة وأرواحهم الخاوية، جائعين للتقدير ولا يمكن إطفاء ظمئهم. إن الروح تطلب حماقتك ولا تطلب حكمتك.

لذلك، ولأنني أرتقي فوق الذكورة الخاصة بنوع الجنس، ولا أتخطى حدود الإنسان، حوّلتْ الأنوثة المزدراة في داخلي نفسها إلى كائن مهمّ. إن الأكثر صعوبة هو أن تتجاوز نوع الجنس وتبقى داخل الإنسان. إن ارتقيت فوق جنسك بمساعدة قاعدة عامة، فستصبح تماماً مثل القاعدة وتتخطى الإنسان. وبناء عليه، تصبح جافّاً وقاسياً ولا إنساني.

باستطاعتك أن تتجاوز نوع الجنس لأسباب إنسانية وليس من أجل قاعدة عامة تبقى على حالها في أكثر المواقف تنوّعاً. وبالتالي، لن

[530] في المسودة، وفي المسودة المصححة: "بقدر ما كنت هذا العجوز المدفون في الكتب، الذي يقيّم فقط وينتزع حبات الرمل من صحراء لا نهاية لها، فقد عانت ذاتي بشكل كبير" (الصفحة 180).

تحصل أبداً على صلاحيّة مثالية لكل حالة بمفردها. إن تصرّفت من خلال إنسانيتك، فسوف تتصرّف من خلال ذلك الوضع الخاص، وليس من خلال مبدأ_عام، أي تتصرّف مع ما ينسجم مع الوضع فقط. وهكذا فإنك ربما تُنصِف الحالة على حساب قاعدة عامة. وسيكون هذا مؤلماً جداً بالنسبة لك لأنك لست القاعدة. هناك شيء آخر إنساني، شيء مفرط بإنسانيته، وكل من انتهى هناك، عليه أن يتذكر نعمة القاعدة العامة[531]، لأنه يوجد للقاعدة العامة معنىً أيضاً وهي لم توضع للتسلية. إنها تحتوي على الكثير من العمل المبجّل للروح البشرية. إن أشخاصاً كهؤلاء، ليسوا قادرين على اتباع مبدأ عام يفوق نوع الجنس، لكن مخيلاتهم فقط قادرة على ما قد فقدوه. لقد أصبحوا عبارة عن مخيلاتهم، وهذا ما يؤذيهم. يحتاجون تذكّر نوع الجنس الذي ينتمون إليه بحيث يستيقظون من أحلامهم إلى الواقع.

أمرٌ مؤلمٌ كليلة لا نوم فيها أن نصل من حالتنا الراهنة إلى الماوراء، وأعني إلى الآخر المعاكس لي في ذاتي. إنه ينسلّ مثل الحمّى ومثل الضباب السام. وعندما تُثار حواسك وتمتدّ إلى الحد الأقصى، يأتي الشيطان كشيء رثّ وتافه وبسيط جداً وسخيف، وهذا ما يجعلك مريضاً. هنا سوف تتوقف بسرور عن محاولة الشعور بالماوراء. تتوق لعودة الجماليات السماوية لعالمك المرئي وأنت خائف ومشمئز. تشتم وتبصق على كل شيء يتجاوز عالمك الجميل، بما أنك تعرف أن حثالة الحيوان الإنساني وقرفه ونفايته هو ما يُقحِمُ نفسه في الأماكن المظلمة، وما يزحف على الأرصفة ويتشمم كل زاويةٍ مباركة، ويستمتع من المهد إلى اللحد، فقط بما كان موجوداً سلفاً على شفتي كل شخص.

لكن لا يجب أن تتوقف هنا، ولا تضع قرفك بين عالمك الراهن وعالمك الماورائي. يمرّ الطريق إلى عالمك الماورائي من خلال الجحيم، بل في واقع

---

[531] "الإنسان المفرط بإنسانيته" هو عنوان كتابٍ لنيتشه تم نشره على ثلاث دفعات من العام 1879. وقد وصف المشاهدة السيكولوجية على أنها انعكاس لـ "الإنسان المفرط بإنسانيته".

الأمر، من خلال جحيمك الكليّ الخاص الذي يتكوّن قاعه من أنقاض عميقة تصل حتى الرُكب، وهواؤه نِتاج أنفاس الملايين، وشياطينه شاخصات طرق وهميّة.

إن جحيمك الخاص هو كل شيء بغيض ومُثير للاشمئزاز. كيف له أن يكون شيئاً آخر؟ كان كل جحيم آخر مستحقاً للرؤية على الأقل، أو كان مليئاً بالفرح. لكن هذا ليس جحيماً. إن جحيمك مصنوع من كل الأشياء التي أخرجتها من حَرَمِك المقدّس بشتيمة أو ركلة قدم. عندما تدخل إلى جحيمك، لا تظن أنك قادم كشخص يعاني بجمال، أو كمنبوذ متكبّر، بل أنت تأتي كغبي وأحمق وفضولي، تحدّق بعجب في الفُتات الذي كان قد سقط عن طاولتك[532].

تريد فعلاً أن تغضب، لكنك ترى في الوقت نفسه، كم يليق بك الغضب. إن سخافتك الجهنمية تمتد أميالاً. من الجيد بالنسبة لك أن تستطيع أن تشتم! سترى أن الألفاظ النابية تحفظ الروح. وبهذا، إن سرت عبر الجحيم فعليك أن لا تنسى أن تعطي انتباهك لأي شيء يمرّ بطريقك. انظر بهدوء إلى كل شيء يُثير احتقارك أو غضبك، وبالتالي تُكمل المعجزة التي اختبرتها أنا مع الصبية الشاحبة. إنك تعطي روحاً لما ليس له روح، وبهذا يتحوّل اللاشيء المريع إلى شيء، ومن ثم تعيد نصفك الثاني إلى الحياة. تريد قيمكَ أن تُبعدك عما أنت عليه حالياً، تريد أن تجعلك تتقدم على نفسك لتصل إلى ما وراءها. لكن كينونتك تسحبك نحو القاع كقطعة رصاص. لا تستطيع عيش الحالتين بالوقت ذاته طالما أن إحداهما تستبعد الأخرى. لكن على الطريق، تستطيع عيش الاثنتين. يخلّصك هذا من الطريق. لا تستطيع أبداً أن تكون على الجبل وتكون في الوادي في الوقت نفسه، لكن الطريق يقودك من الجبل إلى الوادي، ومن الوادي إلى الجبل. هناك أشياء كثيرة تبدأ بطريقة مسلّية وتنتهي في الظلام. الجحيم له سويات[533].

---

[532] في تشرين الأول - أكتوبر من العام 1916، وفي حديث أمام نادي علم النفس حول "التفرديّة والجمعية"، أشار يونغ إلى أنه من خلال التفرّدية: "على الفرد الآن أن يدمج نفسه عبر قطع نفسه عن السماوي، ومحاولة أن يصبح نفسه بالكامل. إنه بهذه الطريقة يفصل نفسه أيضاً عن المجتمع. هو يبدو منغمساً في العزلة ظاهرياً، لكنه في الجحيم داخلياً، كما أنه بعيد عن الرب" (الأعمال الكاملة 18).

[533] في كتاب الكوميديا الإلهية لدانتي، "للجحيم تسعة مستويات".

الفصل الثالث:

أحد الوضيعين[534]

في الليلة التالية[535]، وجدت نفسي تائهاً مرة أخرى في منطقة ريفية بسيطة مغطاة بالثلج، ويحجب الشمس طقسٌ مسائيّ بارد. لقد انضمّ إليّ شخص لا يبدو أنه موثوق. كان أكثر ما يلفتُ النظر فيه، عينه الواحدة وبعضُ الندبِ على وجهه. كان فقيراً ومتشرداً بثيابٍ متسخة، وله لحية سوداء شعثاء لم تمسها شفرة الحلاقة منذ وقت طويل، وكنتُ أحمل عكّازاً خيزرانياً جيداً تحسّباً لأي طارئ. علّق بعد فترة قائلاً: "يا له من برد لعين"! وأهزّ رأسي موافقاً. وبعد توقف أطول سألني: "إلى أين أنت ذاهب؟"

أنا: "أنا ذاهب إلى القرية التالية، حيث قررت قضاء الليلة فيها".

هو: "أودّ القيام بذلك أيضاً، لكن من الصعب أن أتدبّر أمر الحصول على سرير".

أنا" "أليس لديك مال؟ حسناً، لنرَ. أليس لديك عمل؟"

هو: "نعم، إن الظروف سيئة. كنتُ أعمل لدى صانعٍ أقفال حتى وقتٍ قريب. لكن لم يعد لديه عمل. وأنا الآن أسافر بحثاً عن عمل".

أنا: "لماذا لا تعمل لدى مزارع؟ هناك نقص دائم بعمال المزارع".

---

[534] في المسودة المكتوبة بخط اليد: "المغامرة الثالثة" (الصفحة 440)، وفي المسودة المصححة: "المخادع" والتي تمت تغطيتها بورقة (صفحة 186).

[535] 29 كانون الأول - سبتمبر عام 1913.

هو: "لا يناسبني العمل لدى مزارع. يتطلّب هذا العمل الاستيقاظ مبكّراً، كما أن العمل صعبٌ والمردود قليل".

أنا: "لكن الوضعَ أجمل دائماً في الريف منه في البلدة".

هو: "الوضع مملّ في الريف، لا يقابلِ الإنسان أحداً".

أنا: "حسناً، لكنْ هناك قرويون أيضاً".

هو: "ليس هناك تحفيزٌ ذهنيّ في الريف، والفلاحون بليدون".

أنظرُ إليه بذهول وأتسائل: ألا زال يريد محفزاً ذهنيّاً؟ الأفضل له أن يكسب قوته بشرف. يستطيع بعدها أن يفكّر بالتحفيز.

أنا: "لكن أخبرني، أي نوع من التحفيز الذهنيّ تراه في المدينة؟"

هو: "تستطيع أن تذهب إلى صالة السينما في المساء، إنه أمر رائع ورخيص. يمكنك رؤية كل ما يحدث في العالم".

كان عليّ أن أفكّر بالجحيم، حيث يوجد هناك أيضاً صالات سينما لأولئك الذين يستخفون بهذه المؤسسة على الأرض، وهم لا يهتمون بها لأن الآخرين وجدوها تناسبُ ذوقهم.

أنا: "ما أكثر ما يثيرُ اهتمامك في السينما؟"

هو: "يرى المرء أنواع الأعمال البطولية المدهشة كلها. هناك رجل يقفز على أسطح المنازل، وآخر يحمل رأسه تحت ذراعه، وآخر يقف وسط النار ولا يحترق. نعم، ما يستطيع الناس فعله، أمر مدهش".

هذا ما كان يسمّيه هذا الرفيق تحفيزاً ذهنيّاً! لكن انتظر، لا يبدو هذا مدهشاً: ألا يحمل القديسون أيضاً رؤوساً تحت أذرعهم؟[536] ألم يرفع القديس فرنسيس والقديس أغناطيوس جسديهما في الهواء — وماذا عن الرجال الثلاثة في الفرن الناري؟[537] أليست فكرة كافرة اعتبار (Acta

---

[536] يحملُ شعار مدينة زيورخ رمزَ هذه الفكرة، مبيّناً شهداء أواخر القرن الثالث (فليكس، ريغولا، إكسوبيرانتيوس).

[537] تظهر هنا إشارة إلى "شادراش، ميشاش، أبيدنيغو" في سفر دانيال 3، حيث أمر (نبوخذ نصر) بأن يوضعوا في الفرن بسبب رفضهم عبادة الرمز الذهبي الذي أنشأه، لكنهم خرجوا سالمين من النار، مما جعل (نبوخذ نصر) يُصدر أمراً بأنه من الآن فصاعداً، سيقطع رأس أي شخص يتحدث ضد إلههم.

Sanctorum) سينما تاريخية؟[538] أوه، إن معجزات اليوم تقنيّة إلى حدّ ما، أكثر منها خرافية. لقد تأملتُ رفيقي بشعور أنه – يعيش تاريخ العالم – بينما آنا؟

أنا: "إنها أعمال جيدة بالتأكيد. هل رأيتَ أي شيء آخر؟"

هو: "نعم، رأيت كيف قُتِلَ ملك اسبانيا".

أنا: "لكنه لم يُقتل إطلاقاً".

هو: "حسناً، هذا ليس بالأمر المهمّ، لقد كان في تلك القضيّة أحد الملوك الرأسماليين الملاعين، وقد أمسكوا واحداً منهم على الأقل. لو تم القبضُ عليهم جميعاً، لكان البشر أحراراً".

لم أستطع قول كلمة أكثر جرأة: (فلهيلم تيل)، عمل لفريدريك تشيلر – إن هذا الرجل يُساند الحقّ بشدة في سلسلة من القصص البطولية. إنه الشخص الذي أعلن مقتل الطاغية لأشخاص نيام[539].

وصلنا إلى نُزل، وكان هناك حانة ريفية – ردهة نظيفة بشكل معقول – ومجموعة رجال يشربون الجعة في الزاوية. نظروا إليّ كرجل "ذي هيبة – جنتلمان" وتم إرشادنا إلى ركن أفضل فيه طاولة مُغطاة بقماش يشبه رقعة الشطرنج. جلسَ الآخر على الجهة البعيدة من الطاولة، وقررتُ أن أمنحه وجبة مسائية جيدة. إنه سلفاً ينظر إليّ بعينه الواحدة مغموراً بالترقّب والجوع.

أنا: "أين فقدت عينك؟"

هو: "في مشاجرة. لكني غرزت سكيني بشكل جيد فيه. وبعد ذلك، حصل هو على ثلاثة أشهر في السجن، وحصلت أنا على ستة أشهر.

---

[538] (أعمال القديسين، Acta Sanctorum) هي تجميع لقصص حياة القديسين وأساطيرهم، وقد تم ترتيبها بما يتناسب مع أيام أعيادهم. لقد نشرها اليسوعيون في بلجيكا، وهم معروفون باسم الآباء البولنديين، نسبة إلى الأب جون فان بولاند. لقد بدأت في العام 1643، واستمرت في ثلاثة وستين مجلداً.

[539] في "فلهيلم تيل"، في العام 1805، أنتج فريدريك تشيلر عملاً دراميا عن ثورة الكانتونات السويسرية ضدّ الامبراطور النمساوي (هابسبيرغ) في بداية القرن الرابع عشر، مما أدى إلى تأسيس الكونفيدرالية السويسرية. وفي الفصل الرابع، المشهد الثالث، يقتلُ فلهيلم تيل، المفوّض الإمبراطوري غيسلر، ويصرخ الحارس (ستوسي) قائلاً: "طاغية الأرض ميت. من الآن فصاعداً لن نعاني من الاضطهاد. نحن رجال أحرار".

لكنه كان سجناً جميلاً. كان المبنى جديداً بالكامل في ذلك الوقت، وعملت في صناعة الأقفال. لم يكن هناك الكثير لتقوم به، ومع ذلك كان هناك ما يكفي من الطعام. السجن بالفعل، ليس بذلك السوء".

نظرت حولي لأتأكّد من أنه ما من أحدٍ يسمعني أتحدث إلى سجين سابق، ولا يبدو لي أن هناك من يسمع. يبدو أني حصلتُ على رفقة غنية. هل هناك سجون في الجحيم لأولئك الذين لم يُسجنوا أثناء حياتهم؟ ألا يجب أن يكون شعوراً مميزاً وجميلاً أن يصل المرء إلى القاع في الواقع، مرّة على الأقل، وبحيث لا يبقى هناك إمكانية للنزولِ أكثر، ولا يبقى سوى إشارات نحو الأعلى والأفضل فقط؟ أليس جميلاً أن يقف المرء لمرة واحدة أمام ذرا الواقع كلها؟

هو: "وبعد هذا كله، ها أنا ذا في الشارع حيث أبعدوني. وذهبت بعدها إلى فرنسا، وكنت محبوباً هناك".

يا للأشياء التي يطلبها الجمال! يمكن أن تتعلّم شيئاً ما من هذا الرجل.

أنا: "لماذا دخلتَ في ذاك الشجارٍ؟"

هو: "من أجل امرأة كانت حاملاً منه بابن زنا، لكنني أردت الزواج منها. كان موعدٍ إنجابها قد حان. وبعدها لم تعد ترغب بذلك أبداً. أنا لم أسمع خبراً عنها بعد ذلك".

أنا: "كم عمرك؟"

هو: "سأكمل الخامسة والثلاثين في الربيع القادم. وحالما أجد عملاً مناسباً، نستطيع أن نتزوج في الحال. سوفٍ أجد عملاً مناسباً. أنا أعاني من مشكلة في رئتيَّ، لكنني سأتحسن قريباً وسيصبح الوضع جيداً من جديد".

أُصيبَ بنوبة سُعال، وظننتُ أن الاحتمالات غير جيدة، كما أنني أُعجِبتُ في سرّي بتفاؤل الشيطان المسكين الذي لا يتزعزع.

بعد العشاء، ذهبتُ لأنام في غرفة بائسة، وسمعتُ كيف استقرّ الآخر في مخدعه في الغرفة المجاورة. هاجمهُ السعال عدة مرات، ومن ثم هدأ. وفجأة، استيقظتُ مذعوراً مرة أخرى لأنني سمعتُ تأوّهات فظيعة

وخرخرة ممزوجة بسعال نصف مختنق. أصغيت متوتراً، إنه هو بلا شك، يبدو الأمر خطيراً. قفزتُ من السرير ووضعت شيئاً ما عليّ. فتحتُ باب غرفته ورأيت ضوء القمر يملأ الغرفة. كان الرجل مستلقياً فوق كومة قشّ وهو لا يزال مرتدياً ملابسه كلها، ويتدفّق من فمه سيل من الدم القاتم مشكّلاً بركة على الأرض. تأوه مختنقاً وبصق دماً، ثم حاول النهوض لكنه سقط مرة أخرى. أسرعت لمساندته، لكني رأيت أن يد الموت تتكئ عليه. لقد تزايد الدم الذي يلوثه وكانت يداي مغطاتين بدمه. ومن ثم صدرت عنه أصوات حشرجة، وتراخت عضلاته المتصلّبة وأصابت أطرافه رجفات خفيفة. وبعدها هدأ كل شيء كجثة.

أين أنا؟ هل هناك في الجحيم حالات موتاً لأولئك الذين لم يفكّروا بالموت أبداً؟ نظرت إلى يديّ الملطختين بالدماء كما لو أني أنا القاتل... أليس الدم الملتصق بيديّ، دم أخي؟ لقد رسمَ القمر على الجدران البيضاء للحجرة، ظلاً أسود لي. ما الذي أفعله هنا؟ لماذا هذه الدراما المريعة؟ نظرتُ متسائلاً إلى القمر كشاهد. كيف للقمر أن يهتمّ بهذا؟ ألم يرَ من قبل ما هو أسوأ؟ ألم يسطعْ مئة ألف مرة بعيون كسيرة؟ بالتأكيد، شخصٌ آخر زيادة أو نقصاناً، لن يشكّل فرقاً بالنسبة لبراكينه الأبدية. ألا يكشف الموتُ خداعَ الحياة المرعب؟ إذن، ربما لا يهتمّ القمر بمسألة متى وكيف يموت شخص ما. نحن فقط من نثير ضجيجاً بشأن هذا الموضوع — بأي حق؟

ما الذي فعله هذا الشخص؟ لقد عملَ وتكاسلَ، وضحكَ وشربَ وأكلَ ونامَ، وخسرَ عينه من أجل المرأة التي أحبّها، ومن أجلها خسر سمعتهُ، والأكثر من ذلك، عاش أسطورة الإنسان بعد انتهاء موضتها، وأُعجِبَ بصانعي المعجزات، وأشادَ بموت الطاغية، وحلمَ، بالتباس، بحريةِ البشر. وبعدها، مات بشكل بائس كأي شخص آخر. إن هذا قانونيٌّ بشكل عام. لقد جلست على الأرض. وأي ظلال على الأرض! لقد خبتْ جميع الأضواء بسبب اليأس والوحدة. لقد دخل الموت ولم يبق هناك من أحدٍ ليحزن. إن الموت هو الحقيقة الأخيرة وليس لغزاً. أي تضليل يجعلنا نؤمن بالألغاز؟

نقف على حجارة مدببة من البؤس والموت.

يرافقني العَوَز ويريد مدخلاً إلى روحي. أين كان عَوَزي عندما لم أعشه؟ لقد كنت لاعباً بالحياة، وكنت شخصاً فكر جدياً بالحياة، وعاشها بسهولة، وكان العَوَز بعيداً ومنسياً. لقد أصبحت الحياة أصعب وأشدّ قتامة. إن الشتاء مستمرّ، ويقف المَعوز في الثلج والجليد. لقد ضممت نفسي له بما أنني أحتاجه. هو يجعل العيش خفيفاً وسهلاً. إنه يقود نحو الأرض والأعماق، حيث أستطيع رؤية الارتفاعات. لن يكون لديّ مرتفعات من دون وجود أعماق. ربما أكون على المرتفعات، لكنني وبسبب ذلك تحديداً، لا أصبحُ مدركاً لها. ولهذا، أنا أحتاجُ الأدنى لإعادة بعثي. عندما أكون دائماً على المرتفعات، أستنزفها ويصبحُ الأفضل شنيعاً بالنسبة لي.

لكن لأنني لا أريد الامتلاك، أصبحَ أفضل ما لديّ مرعباً بالنسبة لي. وبسبب هذا، أصبحتُ أنا نفسي رعباً، أصبحتُ رعباً لنفسي وللآخرين، وروحاً سيئاً من العذاب. كنْ محترماً واعلمْ أن أفضل ما لديك أصبح رعباً، أنت بهذا تحفظ نفسك والآخرين من عذاب لا معنى له. إن الإنسان الذي لم يعد بمقدوره النزول من ذراه، إنسانٌ مريض، وهو يودي بنفسه وبالآخرين إلى العذاب. إن وصلتَ إلى أعماقكَ، فسوف ترى ذراك تتألق فوقك بابتهاج، هي بعيدة وتستحقّ الرغبة، كما لو أنها شيء لا يمكن الوصول إليه، بما أنك تفضّل سرّاً ألا تصل إليها لأنها تبدو صعبة المنال. كما أنك عندما تكون في الأسفل، تحبّ الإشادة بذراك، وإخبار نفسك بأنك كنتَ قد تركتها بألم، وأنك لن تعيش طويلاً طالما أنك تفتقدها. إنه أمرٌ جيد أنك أصبحت الطبيعة الأخرى التي تجعلك تتحدث بهذه الطريقة. لكن عندما تكون في القاع، تعرف أن هذا ليس صحيحاً تماماً.

أنت لم تعد في تلك النقطة المنخفضة مميزاً عن الكائنات الأخرى. كما أنك لا تشعر بالخجل ولا تندم على هذا، بما أنك بقدر ما تعيش حياة الكائنات الأخرى وتنزل إلى وضاعتها، تتسلقُ الجدول المقدّس للحياة

العامة، حيث لم تعد فردانياً على جبل عالٍ، بل سمكة بين الأسماك، وضفدعاً بين الضفادع.

إن ذراك هي جبلك الخاص الذي ينتمي إليك وحدك. تكون هناك فرداً مستقلاً، وتعيش حياتك الخاصة جداً. إن عشتَ حياتك الخاصة، فأنت لا تعيش الحياة العامة التي تكون دوماً مستمرّة ولا تنتهي، أنت لا تعيش حياة تاريخ الجنس البشري ومنتجاته وأعبائه الحاضرة دوماً والتي لا يمكن تغييرها. أنت تعيش أبديّة الكينونة وليس الصيرورة. تنتمي الصيرورة إلى الأعالي، وهي مليئة بالعذاب. كيف لك أن تصير إن لم تكن شيئاً أبداً؟ وبالتالي، تحتاج إلى قاعك الأدنى لأنك **تكون** هناك. لكنك تحتاج أيضاً إلى ذراك، بما أنك **تصير** هناك.

إن عشتَ الحياة العامة في أدنى حالاتك، فسوف تصبحُ مدركاً لذاتك. أما إن كنتَ على ذراك، فستكون بأفضل حالاتك، ولن تدركُ إلا أفضل ما لديك، لكنك لن تدركَ ما أنت عليه ككائن في الحياة العامة. لا أحد يعرف ما يكونه المرء، وما يصير عليه. عندما تكون في الذرا، تكون المخيّلة في أقوى حالة لها، لأننا نتخيّل أننا نعرف من نحن ككائنات متطورة، والأكثر من ذلك، نريد أن نعرف الأقل عما نحن ككائنات. وبسبب ذلك لا نحبّ ظروفنا المتدنية على الرغم من أنه، أو بالأحرى لأننا هناك فقط، نصل بالضبط إلى معرفة واضحة عن ذواتنا.

إن كل شيء بمثابة لغز للشخص الذي يصير، لكن ليس للشخص الذي يكون. ومن يعاني من الألغاز، عليه أن يفكر بأسوأ حالة له، إننا نحلّ تلك الألغاز التي نعاني منها وليس الألغاز التي تُمتعنا.

أن تكون ما أنت عليه، ذلك هو مغطس الولادة الجديدة. ليست الكينونةُ في الأعماق استمرارية مطلقةً بل نموٌ بطيءٌ أبديٌ. أنت تعتقد أنك تقفُ ساكناً كمستَنقع ماء، لكنك تتدفّق ببطء إلى البحر الذي يغطي أعماق الأرض العظمى، والواسع لدرجة تبدو فيه الأرضُ الراسخةُ مجرّد جزيرة مطمورة في رحم البحر اللامحدود.

أنت كقطرة في المحيط، تشتركُ في عملية المدّ والجزر. تزبدُ ببطء على الأرض، وتغطسُ ببطء عائداً بحركاتِ تنفّس بطيئة. أنت تهيمُ لمسافة شاسعة في التيار الضبابي، وتنجرفُ إلى شطآن غريبة غير عارفٍ كيف وصلتَ إلى هناك. تعتلي أمواج العاصفة الضخمة وتعودُ راجعاً إلى الأعماق، ولا تعرف كيف يحدث هذا معك. لديك فكرة بأن حركتك تصدر عنك، وأنك تحتاج لقراراتك وجهودك بحيث تسيرُ وتحرز تقدماً. لكن مع كل جهد ممكن، ما كنت لتحصل على تلك الحركة، ولَمَا وصلتَ إلى تلك المناطق التي جلبك إليها البحر والرياح العاتية.

أنت تسقط من الامتداد الأزرق اللا متناهي إلى الأعماق. يجذبكَ السمك البرّاق، وتلتفّ الأغصان المدهشة فوقك. تنزلقُ على الأعمدة والنباتات الملتفّة المتعرجة القاتمةِ الأوراق، ويأخذكَ البحر في المياه الخضراء الفاتحة إلى شطآن رملية بيضاء، وترميكَ موجةٌ مزبدةٌ على الشاطئ وتبتلعكَ ثانية، وترفعكَ موجة كبيرة برفق وتقودكَ إلى مناطقَ جديدةٍ، وإلى النباتات الملتفّة، وإلى حيوانات بحريةٍ لزجةٍ تزحفُ ببطء، وإلى المياه الخضراء والرمال البيضاء والأمواج المتكسرة.

لكن من البعيد، تتألقُ مرتفعاتكَ فوق البحرِ بضياءٍ ذهبي مثل القمر الذي يظهرُ من المدّ، وتصبح مدركاً لذاتك من بعيد. يستولي عليك التوق والرغبة بحركة خاصة بك، وتريد العبور من الكينونة إلى الصيرورة، بما أنك أدركتَ أنفاس البحر وتدفقه الذي يقودكَ هنا وهناك دون أن تلتزم أبداً. لقد أدركتَ موجتهُ التي حملتكَ إلى شطآن غريبة وأعادتك، وتمضمضتْ بك.

لقد رأيتَ أن هذا كان حياة الكليّ وموت كل فرد. شعرتَ بنفسك مشتبكاً في الموت الجمعي، من الموت في أعمق مكان في الأرض، ومن الموت في أعماقك الخاصة المتنفسة بغرابة. أوه — أنت تتوق إلى الماوراء، ويسيطر عليك الإحباط والخوف الأبدي في هذا الموت الذي يتنفس ببطء وينساب جيئة وذهاباً إلى الأبد. كل هذا الضياء والعتمة، والماء الحار والفاتر والبارد، كل تلك الحيوانات المشابهة للنباتات الملتفة المتموجة المتمايلة،

والنباتات البرية، وكل تلك الأعاجيب الليلية، تصبحُ رعباً بالنسبة لك، وتتوقُ إلى الشمس، إلى الهواء الجاف الخفيف، إلى حجارة ثابتة، إلى مكان ثابتٍ وخطوط مستقيمة، إلى تحكّم ثابت بإحكام، إلى قوانينَ وأهداف موضوعة مُسبقاً، إلى الفرديّة وغايتك الخاصة.

لقد وصلتني معرفة الموتِ في تلك الليلة من الموت الذي يجتاح العالم. رأيتُ كيف نعيش قُدُماً باتجاه الموت، كيف أن سنابل القمح الذهبية المتمايلة، تهوي معاً تحت مِنجل الحصّاد، مثل الموجة الناعمة على شاطئ البحر. من يمتثلْ للحياة المَشتركة، يصبحْ واعياً للموت بخوف. وهكذا، يقوده الخوف من الموت نحو الوحدة. هو لا يعيش هناك، بل يصبح مدركاً للحياة والسعادة، بما أنه في الوحدة، يكون هو الشخص الذي يصبحُ، الشخص الذي تغلّبَ على الموت. إنه يتغلّب على الموت من خلال التغلب على الحياة العامة. هو لا يعيش تلك الحياة الفردية، بما أنه ليس ما هو عليه، بل ما يصير.

من يصرْ، يصبح مُدركاً للحياة، لكن من يوجد ببساطة لن يفعل ذلك أبداً بما أنه موجود في وسط الحياة. إنه يحتاج الذرا والوحدة ليصبح مدركاً للحياة. لكنه يصبحُ في الحياةِ مدركاً للموت. ومن الجيد أن تصبح مدركاً للموت الجمعي، بما أنك تعرف حينها لماذا تكون وحدتك وذراك جيدة.

إن ذراك تشبه القمر الذي يتجوّل متألقاً وحده، ويبدو من خلال الليل نقياً دوماً. إنه يغطي نفسه أحياناً، لكن عندها، تصبحُ في ظلام الأرض الدامس لبعض الوقت فقط، ومن ثمّ يملأ نفسه بالضياء من جديد. إن موت الأرض غريب بالنسبة له. وبما أنه ساكن ورائق، فهو يرى حياة الأرض من بعيد، من دون سديم المحيطات المتدفّقة والملتفّة. لقد كانت هيئته غير المتبدلة، ثابتة منذ الأزل. إنه ضوء الليل الصافي المنعزل، والكائن الفردي، والجزء القريب من الأبدية.

إنك تطلُّ من هناك بارداً ساكناً ومشعاً. وتنسكب في الرعب البعيد مع الضوء الفضي الغيبي والشفق الأخضر. أنت تراه، لكن نظرتك واضحة

وباردة. يداك حمراوان من الدم الحيّ، لكن ضوء نظرتك المقمرة ساكن. إنه دم الحياة لأخيك، نعم إنه دمك أنت، لكن نظرتك تبقى مشعّة تعانق الرعب كله واستدارة الأرض. تستقرُّ نظرتك على البحور الفضية والذرا الثلجية والوديان الزرقاء، ولا تسمع عواء الحيوان الإنساني وتأوهاته.

القمر ميت. لقد ذهبتْ روحك إلى القمر، إلى حافظ الأرواح[540]. وهكذا تحركتْ الروح نحو الموت[541]. لقد ذهبتُ نحو الموت الداخلي ورأيتُ الموت الخارجي أفضل من الموت الداخلي. وقررتُ أن أموت في الخارج وأعيش في الداخل. ولهذا السبب ابتعدتُ[542]، وسعيتُ نحو مكمن الحياة الداخلية.

---

[540] في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" الصادر عام 1912، استشهد يونغ بمعتقدات من ثقافات مختلفة، وقال إن القمر كان مركز تجمّع الأرواح الراحلة (الأعمال الكاملة B). وفي كتاب "وحدة الأسرار المقدسة" الصادر عام (1955 / 1956)، علّق يونغ على هذا الموضوع في الخيمياء (الأعمال الكاملة 14).

[541] يتابع في المسودة: "لقد قَبِلتُ المتشرّد، وعشت معه ومتّ. وبما أني عشت به، فقد أصبحت قاتله، بما أننا نقتل ما نعيشه" (صفحة 217).

[542] يتابع في المسودة المصححة: "من الموت" صفحة 200.

الفصل الرابع:

الناسك - اليوم الأول[543]

في الليلة التالية[544]، وجدت نفسي على دروب أخرى، وتدفّق حولي هواء حار جاف، ورأيت صحراءً ورمالاً صفراء في كل مكان، تكدّست في أمواجِ شمس غاضبة مرعبة، وسماء تبدو بزرقتها كمعدن باهت، وقد تلألأ الهواء فوق الأرض. وكان على جانبي الأيمن وادٍ سحيق ومجرى نهر جاف وبعض الأعشاب الواهنة والعليق المغبر. رأيت على الرمال آثار أقدام عارية متجهة

---

[543] (اليوم الأول). في النسخة المكتوبة بخط اليد يوجد عبارة: المغامرة الرابعة: اليوم الأول" صفحة 476). في النسخة المصححة: "اليوم الأول. مساءً (الصفحة 201).

[544] 30 كانون الأول - يناير عام 1913. كتب يونغ في الكتاب الأسود الثالث: "الأشياء كلها توّجهني بعيداً عن نشاطي العلمي الذي اعتقدت أنني التزمت به بحزم. لقد رغبتُ بخدمة الإنسانية من خلاله، والآن يا روحي، أنت توجهينني إلى هذه الأشياء الجديدة. نعم، إنه العالم البيني غير المطروق، والألق المتشعّب. لقد نسيت أنني قد وصلت إلى عالم جديد، بدا لي غريباً في السابق. أنا لا أرى درباً ولا ممراً. لا بدّ أن ما اعتقدته عن الروح سيصبح صحيحاً هنا، وأعني أنها تعرف طريقها أفضل مني، وليس هناك من هدف يمكنه أن يفرض عليها طريقاً أفضل. أشعر أن جزءاً كبيراً من العلم قد انفصل. لقد افترضت أن الأمر يجب أن يكون على هذا النحو، من أجل الروح وحياتها. لقد وجدت الفكرة التي تقوم على أن هذا يجب أن يحدث معي فقط، فكرة معذّبة، وأنه ربما لا أحد سيستفيد من عملي. لكن روحي كانت تطالب بهذا الإنجاز. عليّ الآن أن أكون قادراً على القيام بهذا من أجل ذاتي ودون أمل – من أجل الله فقط. إنه طريق صعب بالفعل. لكن ما الشيء الآخر الذي قام به نسّاك القرون الأولى من المسيحية؟ وهل كانوا أسوأ أو أقل قدرة من أولئك الذين يعيشون؟ هذا غير ممكن، بما أنهم وصلوا إلى أصعب الاستنتاجات القاسية، بالنظر إلى الضرورة الفلسفية لزمنهم. لقد تركوا الزوجة والأولاد والثروة والمجد والعلم، واتجهوا نحو الصحراء، من أجل الله. فليكن ذلك" (الصفحة 1-2).

من الوادي الصخري نحو الهضبة، وقد تبعتها على طول الكثيّب الرملي. حيث كانت تنتهي الكثبان، كانت الآثار تنتقل إلى الجهة الأخرى. تبدو وكأنها آثار جديدة. كان هناك آثار أقدام بعيدة قليلاً ونصف عارية تسير على التوازي معها. اقتفيت أثرهما بانتباه: ومرة أخرى تبعتا انحدار الكثيب، ومن ثم اندفعتا في مجموعة أخرى من آثار الأقدام — لكنها المجموعة نفسها التي اتبعتها أنا مُسبقاً، تلك التي صعدت من الوادي.

تابعتُ آثار الأقدام نزولاً مندهشاً، وسرعان ما وصلت إلى حجارة حمراء حارّة متآكلة بفعل الرياح. تضيع آثار الأقدامٍ على الصخرة، لكنني أرى الصخرة تنحدرُ بسويات متناقصة فأتبعها نزولاً. اتقد الهواء وأحرقت الصخرة أخمص قدمي. لقد وصلت الآن إلى القاع، وظهرت آثار الأقدام من جديد. تابعت طريقي على طول تعرجات الوادي، إلى مسافة قصيرة. وفجأة، وقفت أمام كوخ صغير مصنوع من الطوب الطيني ومُغطى بالخيزران. كان الباب عبارة عن لوح خشبي مقلقل رُسِمَت عليه إشارة الصليب باللون الأحمر. فتحت الباب بهدوء ورأيت رجلاً مُنهكاً يجلس على حصير صغير ويلفّ نفسه بستارة كتّانية بيضاء ويتكئ بظهره إلى الحائط. كان يضع على ركبتيه كتاباً من الرقّ النفيس الأصفر، وكان مكتوباً بخط يدٍ أسود جميل، إنه إنجيل لاتيني من دون شكّ. لقد كنت مع ناسك الصحراء الليبية[545].

أنا: "هل أقاطعك يا أبتي؟"

الناسك: "أنت لم تقاطعني. لكن لا تنادِني أبتي. أنا رجل مثلك. ما هي رغبتك؟"

---

[545] في الفصل التالي، تم تحديد هوية الناسك، وكان اسمه (أمونيوس). في رسالة في 31 كانون الأول - ديسمبر 1913، كتب يونغ أن الناسك أتى من القرن الثالث. هناك ثلاث شخصيات تاريخية تسمّى أمونيوس في الإسكندرية من تلك الحقبة: أمونيوس، الفيلسوف المسيحي في القرن الثالث، ويُعتقد بمسؤوليته عن تقسيمات الأناجيل في القرون الوسطى. وأمونيوس ساتوس، الذي وُلِد مسيحياً لكنه تحوّل إلى الفلسفة الإغريقية، وتمثّل أعماله تحولاً من الأفلاطونية إلى الأفلاطونية الجديدة. وأمونيوس الأفلاطونية الجديدة في القرن الخامس، الذي حاول التوفيق ما بين فلسفة أرسطو والإنجيل. وقد كان في الإسكندرية توافق ما بين الأفلاطونية الجديدة والمسيحية، وتحوّل بعض تلاميذ أمونيوس لاحقاً إلى المسيحية.

أنا: "ليس لدي رغبة محددة، لقد وصلت صدفة إلى هذا المكان في الصحراء، وتبعت آثار أقدام على الرمال هناك، فقادتني إليك".
الناسك: "لقد وجدت آثار أقدامي على الدرب الذي أسير عليه فجراً وأثناء الغروب".
أنا: "عذراً إن كنت أعيق تعبّدك، إنها فرصة نادرة أن أكون معك. لم أرَ ناسكاً من قبل".
الناسك: "هناك الكثير من النسّاك الآخرين، ويمكنك أن تراهم إن نزلت أعمق في هذا الوادي. لدى بعضهم كوخ كهذا، ويعيش بعضهم الآخر في قبور حفروها في الصخور. أنا أعيش في القسم الأعلى من الوادي لأنه الأكثَر هدوءاً والأفضل عزلة، ولأني أكون أقرب إلى سلام الصحراء هنا".
أنا: "هل تُقيم هنا منذ وقت طويل؟"
الناسك: "أنا أعيش هنا منذ ما يقارب عشر سنوات، لكني لم أعد أتذكر المدة بالضبط. أستطيع البقاء بضع سنوات أخرى. الوقت يمرّ بسرعة".
أنا: "يمرّ الوقت بسرعة؟ هل هذا ممكن؟ لا بدّ أن تكون حياتك رتيبة بشكل مخيف".
الناسك: "الوقت يمر بسرعة بالنسبة لي بالتأكيد، بل بسرعة كبيرة جداً. يبدو أنك وثني؟"
أنا: "أنا؟ لا — ليس تماماً. لقد نشأت على الديانة المسيحية".
الناسك: "حسناً إذن، كيف لك أن تسأل إن كنتُ أشعرُ بطول الوقت؟ يجب أن تعرف ما يشغل الإنسان الذي يكون بحالة حزن. يشعر الكسالى فقط بالملل".
أنا: " اعذرني مرة أخرى، إن فضولي كبير جداً، ما الذي تشغل نفسك به؟"
الناسك: "هل أنت طفل؟ بادئاً ذي بدء، أنت ترى أني أقرأ، وأنا أقرأ في ساعات منتظمة".
أنا: "لكنني لا أرى أي شيء يمكنك أن تشغل نفسك به هنا. لا بدّ أنك قرأت هذا الكتاب من الغلاف إلى الغلاف أكثر مما يجب. وإن كان كتابك هو الإنجيل كما أتوقع، فأنا متأكد من أنك تحفظه عن ظهر قلب".

الناسك: "يا لهذا الكلام الطفولي! إنك تعرف أن بإمكان المرء أن يقرأ كتاباً في أي وقت، وربما كنت تعرفه عن ظهر قلب تقريباً، لكن مع ذلك، من الممكن أن تعيد النظر فيه، قد ترى أشياء جديدة، وقد تخطر بذهنك أفكار لم تكن لديك سابقاً. يمكن لكل كلمة منه أن تخترق روحك. وأخيراً، إن تركتَ الكتاب لأسبوع فقط، ثم ألقيتَ نظرة جديدة عليه، بعد أن يختبرَ روحك بعض التغيرات، فسوف ترى أشياء جديدة لم ترها من قبل".

أنا: "أجد صعوبة باستيعاب هذا. يبقى الكتاب هو ذاته، وهو عميق بشكل مذهل وسماوي بالتأكيد، لكنه ليس بالغنى الكافي ليملأ فراغ سنوات لا تُحصى".

الناسك: "أنت مثير للدهشة. كيف تقرأ هذا الكتاب المقدّس إذن؟ هل ترى المعانيَ نفسها دائماً فيه؟ من أين أتيت؟ أنت حقّاً وثني".

أنا: "أرجوك، لا تقلب الأمر ضدّي إن كنتُ أقرأ الكتاب كوثني. دعني أتحدث معك. أنا هنا لأتعلّم منك. اعتبرني تلميذاً جاهلاً، وأنا جاهل بالفعل في هذه المسائل".

الناسك: "لا تعتبر الأمر مهيناً إن وصفتك بالوثني. لقد اعتدت أن أكون وثنياً أيضاً، وكما أذكر جيداً، كنت مثلك تماماً. إذن، كيف يمكنني أن ألومك على جهلك؟"

أنا: "أشكرك على صبرك. لكنّ ما تقرأه في هذا الكتاب وتفهمه، يعني الكثير بالنسبة لي".

الناسك: "ليس من السهل الإجابة على سؤالك، بل إن توصيف الألوان لشخص أعمى هو أسهل. عليك أن تعرف شيئاً واحداً قبل كل هذا: لا تحوي سلسلة مترابطة من الكلمات على معنى واحد فقط. لكن البشر يعملون بجهد على تحديد معنى واحد لها، بُغية الوصول إلى لغة واضحة بيّنة. إنه جهدٌ دنيوي محدود وينتمي للطبقة الأعمق من التنظيم الإلهي الخلّاق. لكن في طبقات أعلى من التبصّر في الأفكار الإلهية، تُدرك أن هناك أكثر من معنى واحد لسلسلة مترابطة من الكلمات. لقد مُنِح كليّ

المعرفة فقط، معرفةَ معاني سلاسل الكلمات كلها. ونحن نفهم الآن بعض المعاني الأخرى بشكل متزايد.

أنا: "إن كنت أفهمك بشكل صحيح، فأنت تعتقد أن الكتابات المقدّسة للعهد الجديد، تحتوي ازدواجية أيضاً، هناك معنى ظاهري وآخر باطني، أي كما يعتبر بعض اليهود المثقفين، كتبهم المقدسة".

الناسك: "إن هذه الخرافات السيئة بعيدة عني. ألاحظُ أنّ لا خبرة لديك بالأمور الإلهيةً أبداً".

أنا: "عليّ أن أعترف بجهلي الكبير بتلك الأمور. لكنني أتوق لاختبار ما تفكّرُ فيه حول المعاني المتعددة لسلاسل الكلام وفهمها".

الناسك: "لسوء الحظ، أنا لستُ في موقع يخوّلني بأن أخبرك عن كل شيء أعرفه عنها. لكن سأحاول على الأقل، أن أجعل المفاهيم واضحة لك. وبسبب جهلك، سأبدأ من أماكن أخرى في هذه المرة: ما يجبُ أن تعرفه هو أنني قبل أن أصبحَ متآلفاً مع المسيحية، كنتُ خطيباً وفيلسوفاً في مدينة الإسكندرية. كان لدي حشد كبير من التلاميذ، ومن بينهم الكثير من الرومان، وبعض البرابرة، بالإضافة إلى آخرين من بلاد الغال (الفرنسيين) وبعض البريطانيين. لم أعلّمهم فقط تاريخ الفلسفة الإغريقية، بل الأنظمة الجديدة، ومن بينها نظام "فيلو" الذي نسميه "جوديوس أو اليهودي"[546]. لقد كان عقلاً ذكياً، لكنه كان تجريدياً بتعصّب، كما اعتاد اليهود أن يكونوا عندما يخترعون أنظمة. والأكثر من ذلك أنه كان عبداً لكلماته الخاصة. لقد أضفتُ كلماتي الخاصة، ونسجتُ شبكة

---

[546] فيلو جوديوس، ويُدعى أيضاً فيليو الإسكندرية (من 20 قبل الميلاد وحتى 50 ميلادية)، كان فيلسوفاً يهودياً يتكلم الإغريقية . وتطرح أعماله اندماج الفلسفة الإغريقية واليهودية. وبالنسبة إلى فيلو، فإن الإله الذي أشار إليه بالمصطلح الأفلاطوني "الواحد"، كان غير معروف وكان يتجاوز الوجود المادي. لقد نزلت بعض القوى من الإله إلى العالم. وهناك جانب من الإله قابل للمعرفة عبر المنطق وهو (اللوغوسْ السماوي). لقد كان هناك الكثير من الجدل حول العلاقة الدقيقة ما بين مفهوم فيلو عن اللوغوس وإنجيل يوحنا. وفي 23 حزيران - يونيو من العام 1954، كتب يونغ إلى جيمس كيرش: "إن الغنوصية التي انبثقت عن المبشّر يوحنا، هي يهوديّة بالتأكيد، لكن أساسها في الهلنستية وفي نموذج فيلو جوديوس، مؤسس تعاليم اللوغوس".

شنيعة من الكلمات التي ورّطتُ فيها نفسي بالإضافة إلى من يستمعون إلي. لقد قمنا بمشاغبات مرعبة بين الكلمات والأسماء التي أعتبرها مخلوقاتنا التعسة، كما منحناها قوة إلهية. نعم، حتى أننا صدّقنا أنها حقيقية، وصدقنا أننا نمتلكُ الإلوهيّة ونسبناها للكلمات".

أنا: "لكن فيلو جوديوس، إن كان هذا من تتحدث عنه، كان فيلسوفاً جادّاً ومفكّراً عظيماً. وقد أدخل الرسول يوحنا بعضاً من أفكاره إلى الإنجيل".

الناسك: "أنت على حق. يُنسب إلى فيلو أنه أسّس لغة مثل الكثير من الفلاسفة الآخرين. إنه ينتمي إلى فناني اللغة. يجب ألّا تصبح الكلمات آلهة"[547].

أنا: "لم أفهمك في هذه النقطة. ألم يُذكر في إنجيل يوحنا: وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللّهَ. إن هذه الكلمة التي رَفَضتها أنت الآن للتو، واضحة جداً".

الناسك: "احترس من أن تكون عبداً للكلمات. هذا هو الإنجيل: إقرأ من تلك الفقرة التي تقول: فيهِ كانَتِ الحياة. ما الذي يقوله يوحنا هنا؟[548]"

أنا: "**فيهِ كانَتِ الحياة والحَياةُ نورُ النَّاس، والنُّورُ يَشرقُ في الظُّلُمات ولَم تُدرِكه الظُّلُمات. ظَهرَ رَجُلٌ مُرسَلٌ مِن لَدُن الله اِسْمُه يوحَنَّا، جاءَ شاهِدا لِيَشهَدَ لِلنُّور فَيُؤمِنَ عن شَهادتِه جَميعُ النَّاس. لم يَكُنْ هو النُّور بل جاءَ لِيَشهَدَ لِلنُّور. كان النُّورُ الحقّ الَّذي يُنيرُ كُلَّ إنْسان آتِياً إلى العالَم كانَ في العالَم وبه كانَ العالَم والعالَمُ لم يَعرِفهُ**". — هذا ما أقرَأه هنا. لكن ما الذي تفهمه من هذا؟"

---

[547] في العام 1957، كتب يونغ: "حتى الآن، لم يُلحظ بشكل حقيقي وجوهري أن عصرنا هذا، وعلى الرغم من انتشار عدم التديّن إن جاز التعبير، مشحونٌ فطرياً بتحقيق الحقبة المسيحية، وأعني تحديداً "سموّ الكلمة أو هيمنتها" التي يعرضها "اللوغوس" الذي هو العنصر المركزي في الإيمان المسيحي. لقد أصبحت الكلمة لفظياً إلهنا وبقيت هكذا" (الحاضر والمستقبل، الأعمال الكاملة 10).

[548] إنجيل يوحنا1: 1 – 10: " في البَدءِ كانَ الكَلِمَة والكَلِمَةُ كانَ لَدى الله والكَلِمَةُ هوَ الله. كانَ في البَدءِ لَدى الله. به كانَ كُلُّ شَيء وبدونِه ما كانَ شَيءٌ مِمَّا كان. فيهِ كانَتِ الحَياة والحَياةُ نورُ النَّاس والنُّورُ يَشرِقُ في الظُّلُمات ولَم تُدرِكْه الظُّلُمات. ظَهَرَ رَجُلٌ مُرسَلٌ مِن لَدُنِ الله اِسْمُه يوحَنَّا جاءَ شاهِداً لِيَشهَدَ لِلنُّورِ فَيُؤمِنَ عن شَهادتِه جَميعُ النَّاس. لم يَكُنْ هو النُّور بل جاءَ لِيَشهَدَ لِلنُّور. كان النُّورُ الحَقّ الَّذي يُنيرُ كُلَّ إِنْسان آتِياً إِلى العالَم، كانَ في العالَم وبِه كانَ العالَم والعالَمُ لَم يَعرِفْهُ.

الناسك: "أنا أسألك، هل كان هذا اللوغوس عبارة عن مفهوم، أم كلمة؟ لقد كان نوراً، بل كان رجلاً وعاش بين الناس. أترى، لقد أعارَ (فيلو) الكلمة ليوحنا وحسب، بحيث تكون كلمة لوغوس تحت تصرفه جنباً إلى جنب مع كلمة نور، ليصف ابن الإنسان. لقد منح يوحنا البشر الأحياء معنى اللوغوس، لكن فيلو قدّم اللوغوس كمفهوم ميّت مسلوب الحياة، بل مسلوبَ الحياة الإلهية أيضاً. لن يكتسب الميت الحياة من خلال هذا، بل ويُقتل الحيّ أيضاً. لقد كان هذا خطئي الشنيع أيضاً".

أنا: "أفهم ما تعنيه. هذه الفكرة جديدة بالنسبة لي، وتبدو أنها تستحقّ التفكير. حتى الآن، بدا لي دائماً كما لو أن هذا تماماً ما كان مهماً في إنجيل يوحنا، وأعني بذلك أن ابن الإنسان هو اللوغوس، وهو بهذا قد رفع الروح المتدنيّة إلى روح سامية، إلى عالم اللوغوس. لكنك وجّهتني الآن كي أرى المسألة بشكل مقلوب، أعني أن يُنزِل يوحنا معنى اللوغوس إلى إنسان".

الناسك: "لقد تعلمتُ أن أرى أن يوحنا قد قام في الواقع بخدمة عظيمة برفعه معنى اللوغوس إلى إنسان".

أنا: "لديك وجهات نظر مميزة تزيد من فضولي إلى حده الأقصى. كيف هذا؟ هل تعتقد أن موقع الإنسان أعلى من موقع اللوغوس؟"

الناسك: "أريد الإجابة على هذا السؤال ضمن مجال فهمك: لو لم يصبح إله البشر مهمّاً وفوق كل شيء، لما ظهرَ كابن في الجسد، بل في "اللوغوس"[549].

أنا: "يبدو هذا منطقياً بالنسبة لي، لكنني أعترف أن وجهة النظر هذه فاجأتني. إن ما أذهلني بشكل خاص، هو أنك أنت، الناسك المسيحي، قد وصلتَ إلى وجهات نظر كهذه. لم أكن أتوقع هذا منك".

الناسك: "كما أوضحت مُسبقاً، لديك فكرة خاطئة تماماً عني وعن جوهري. دعني أعطيك مثالاً صغيراً عن انشغالي. لقد أمضيت سنوات

---

[549] إنجيل يوحنا 1: 14 "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا."

طويلة أحاول وحدي محو معرفتي. هل محوت أي شيء تعلّمتَه؟ حسناً، إذن فأنت تعرف كم تحتاج تلك العملية. لقد كنتُ معلماً ناجحاً. وكما تعرفْ، من الصعب جداً على هؤلاء الناس أن يمحوا معرفتهم، بل هو أمر مستحيل. لكني رأيتُ أن الشمس قد غابت، وسرعان ما سيخيّم الظلام. الليل هو فترة الصمت. أريد أن أريك المكان الذي ستقضي الليل فيه. سأكون مشغولاً في الصباح، لكن يمكنك المجيء ثانية بعد منتصف النهار إن رغبت بذلك. وحينها سنكمل حوارنا".

أخرجني من الكوخ، وكان الوادي مغطّى بالظلال الزرقاء بينما النجوم الأولى تلمع في السماء. لقد أرشدني إلى زاوية صخرة: نحن نقف أمام مدخل قبر محفور في الصخر[550]. دخلنا إليه. وليس بعيداً عن المدخل، يوجد كومة من الخيزران مُغطاة بحصير، وبالقرب منها ابريق ماء وبعض حبّات التمر الجاف وخبز أسود فوق قطعة ملابس بيضاء.

الناسك: "هذا مكانك، وهذا عشاؤك. نم جيداً ولا تنسَ صلاتك عندما تُشرق الشمس".

يعيش الزاهد في صحراء لا نهاية لها، صحراء مليئة بالجمال المخيف. إنه ينظر إلى الكلّ، وإلى المعنى الداخلي أيضاً. هو يمقتُ التعددية المتشعّبة إن كانت قربه، بينما ينظرُ إليها بكليّتها من بعيد. وبالتالي، يعمل اللمعان الفضيّ والجمال والبهجة على تغطية التعددية بالنسبة له. يجب أن يكون القريب منه بسيطاً وبريئاً، بما أن المتشعّب والمُعقّد يخترق اللمعان الفضيّ في القرب. ليس مسموحاً أن توجد غيوم في السماء ولا الغشاوة ولا السديم من حوله، وإلا فلن يستطيع النظرَ إلى التشعّب البعيد بشكل كليّ. وهكذا، يحبّ المعتزل الصحراء أكثر من كل شيء، لأن كل ما هو قريب يكون بسيطاً، ولا وجود لشيء عكرٍ أو مشوشٍ بينه وبين البعيد.

---

[550] في المسودة: "مصري" (صفحة 227). وفي سياق الكلام عن مصر، يتم توفير المياه والتمر والخبز للميت.

تكون حياة المعتزل باردة لولا الشمس الهائلة التي تجعل الهواء والصخور تلمع. يستبدل المعتزل دفء حياته الشخصية بالشمس ولمعانها الأبدي.
يتوقُ قلبه إلى الشمس.
يرتحلُ إلى بلاد الشمس.
يحلم بوميض الشمس اللامع، ويحلم بالصخور الحمراء الحارة المنتشرة في وسط النهار، وبالأشعة الحارة الذهبية للرمل الجاف.
إنه يسعى إلى الشمس، وليس هناك من شخص آخر مستعدّ ليفتح قلبه كما هو مستعدّ. ولذلك، هو يحبّ الصحراء أكثر من كل شيء، بما أنه يحبّ صمتها العميق.
يحتاج إلى القليل من الطعام، بما أن الشمس تغذّيه باتقادها. وهكذا يحبّ الصحراء أكثر من كل شيء، لأنها الأم بالنسبة له، إنها تمنحهُ الطعام والدفء المنشّط في ساعات منتظمة.
يتحرر المعتزل في الصحراء من القلق وبهذا، ويحوّل حياته كلها إلى حديقة روحه المتبرعمة التي يمكنها الازدهار تحت حرارة الشمس فقط. وتنمو الثمار الحمراء اللذيذة في حديقته وتحمل تحت قشرتها الرقيقة حلاوة وافرة.
أنت تعتقد أن المعتزل فقير. ولا ترى أنه يتنزّه تحت أشجار مُثقلة بالثمار، وأن يده تلمس الحبّة المتضاعفة مئة مرة. يوجد تحت الأوراق العاتمة أزهار محمرّة ممتلئة تفيض نحوه ببراعم وفيرة. تعطيه الثمار عُصارة متدفق. يتقطّر الصمغ من أشجاره، وتحت أقدامه تنتشُ البذور.
إن غاصتِ الشمس خلف البحرِ كطائر مُنهك، فالمعتزل يغلّفُ نفسه ويمسك أنفاسه. يبقى هادئاً دون حِراك، ويصبح في حالة ترقّب نقيّ حتى تظهرَ معجزة إعادة تجدد ضوء الشمس من الشرق.

يوجد في المُعتزل ترقّب مُترعٌ لذيذ[551].
يحيط به رعب الصحراء، والتبخّر الذي يزوي، ولا تستطيع أنت أن تفهم كيف يستطيع المُعتزل أن يعيش.
تقعُ عينه على الحديقة، وتصغي أذناه للمنبع، وتلمس يده الأوراق والثمار المخمليّة، ويستنشق عطوراً عذبة من الأشجار الغنية بالأزهار.
لا يستطيع إخبارك، بما أن بريق حديقته غامر جداً. إنه يتلعثم عندما يتحدث عن هذا، ويظهر أمامك بأنه فقير الروح والحياة. لكنكَ لا تعرفُ إلى أين يجب أن تمتدّ يده في كل هذا الامتلاء الذي لا يوصف.
هو يعطيك الثمرة التافهة الصغيرة التي سقطت عند قدميه وحسب. إنها تبدو بلا فائدة بالنسبة لك، لكن إن فكّرت بها، فسترى أن نكهتها تشبهُ شمساً لا يمكنك أن تحلم بها. إنها تعطيك عطراً يشوش حواسك ويجعلك تحلم بحدائق ورود، ونبيذ حلو، وهمسات أشجار بلح. أنت تحمل ثمرة واحدة بيدك، وتحلم بالشجرة التي تنمو منها، وبالحديقة التي تنتصبُ فيها هذه الشجرة، وبالشمس التي أخرجت هذه الحديقة.
وتريد أنت نفسك أن تكون ذلك المُعتزل الذي يتجوّل تحت أشعة الشمس في حديقته، وتستقرُّ نظرته على أزهار متدليّة، وتلامس يده الحبّةٍ المتضاعفة مئة مرةٍ، وتتشرّب أنفاسه عطر ألف وردة.
متبلداً من الشمس، وثملا من النبيذ المعتّق، تستلقي في قبور قديمة تردد جدرانها صدى أصوات وتعكس ألواناً لألف سنة شمسية.
وعندما تنضج، ترى أن كل شيء يعيش من جديد كما كان. وعندما تنام، تستريح مثل كل شيء كان، وتُرجِعُ أحلامك بنعومة، صدى أناشيد المعبد البعيد.

---

[551] في المسودة: "أنا أسير في متاهة، ويصادف أنني أعود إلى نفسي وإليه. إنه هذا المُعتزِل الذي يعيش في الأعماق في الأسفل، مختبئاً من الضوء، ويقبع بأمان في الحضن الدافئ للصخر، وتوجد فوقه صحراء متوهّجة، وسموات برّاقة حادة" (صفحة 229).

أنت تنام خلال ألف سنة شمسية، وتصحو خلال ألف سنة شمسية، وتزيّن أحلامك المليئة بالمعرفة القديمة، جدران مخدعك.
أنت ترى نفسك بكليّتك أيضا.

تجلس وتتكئ إلى الجدار، وتنظر إلى الكليّة الملغزة الجميلة. يستلقي (السوما)[552] أمامك مثل كتاب، ويسيطر عليك جشع لا يوصف لالتهامه.

وهكذا تتكئ وتتيبّس وتجلس لفترة طويلة. أنت عاجز تماماً عن فهمه. هناك وميضٌ يتألقُ هنا وهناك، وثمارٌ تسقطُ من أشجار عالية يمكنك التقاطها هنا وهناك، وتصطدمُ قدمك بالذهب هنا وهناك. لكن ما هو هذا الشيء إن قارنته مع الكليّة التي تنتشر بشكل ملموس قريباً منك؟ تمدّ يدك نحوه لكنها تبقى عالقة بأشراكٍ غير مرئية. أنت ترغب بأن تراها تماماً كما هي، لكن شيئاً غامضاً كامداً يحشرُ نفسه بينكما تماماً. تريد أن تمزق قطعة منه، لكنه ناعم ومنيع كالفولاذ المصقول. ولهذا، تتكئ ثانية إلى الجدار. وبعدها تزحف عبر كل البوتقات الساخنة المتوهّجة لجحيم الشك، تجلس مرة أخرى وتتكئ، وتنظر إلى أعجوبة (السوما) الذي يمتدّ أمامك. يوجد وميض متألق هنا وهناك، وثمار تسقط هنا وهناك. كل هذا قليلٌ جداً بالنسبة لك. لكن يبدأ في نفسك إحساس بالإشباع ولا تُعير اهتماماً للسنوات التي تمضي. ما هي السنوات؟ ما هو الوقت المتسارع بالنسبة لمن يجلس تحت شجرة؟ إن وقتك يمرّ مثل دفقة هواء، وأنت تنتظر الضوء التالي والثمرة التالية.

إن سطور الكتاب موجودة أمامك وهي تقول الشيء نفسه دائماً إن كنتَ تؤمن بالكلمات. لكن إن كُنت تؤمن بما يقف خلف السطور، فلن تصل إلى النهاية أبداً. ومع ذلك، عليك أن تسير في طريق لا نهاية، له بما أن الحياة لا تتدفق بطريق محدود فقط، بل تسير بطريق غير محدود أيضاً. لكن غير المحدود يجعلك[553] متوتراً لأنه يرعبك، ويجعل

[552] السوما هي الكلمة اللاتينية المرادفة لكلمة "الكليّة".

[553] يوجد في المسودة: "تجعلك"، وفي المسودة المصححة: "تجعلني" (الصفحة 232). خلال هذا الفصل، استبدلت المسودة المصححة "الضمير أنا" بالضمير "أنت" (صفحة 214).

إنسانيتك تثور ضدّه. وهكذا، فأنت تلتمس الحدود والقيود بحيث لا تفقد ذاتك وتضيع في اللا متناهي. يصبح القيد ضرورياً لك. أنت تصرخُ طالباً الكلمة التي لديها معنىً واحد وليس لديها سواه، وتهرب من غموض غير المحدود. وهنا تصبح الكلمة إلهك بما أنها تحميك من احتمالات التفسير المتعددة. إن الكلمة سحرٌ يحمي من ديمونات اللامتناهي التي تمزّق روحك وتبعثرك مع الرياح. تستطيع أن تكون بأمان إن استطعت أن تقول في النهاية: إن الأمر هكذا، وهو هكذا فقط. أنت تقول الكلمة السحرية ويتلاشى غير المحدود أخيراً. ولهذا السبب، يلتمس البشر الكلمات ويصوغونها[554].

من يكسر جدار الكلمات، يطيح بالآلهة ويدنّس المعابد. إن المُعتزِل قاتل. إنه يقتل الناس لأنه يفكّر بهذه الطريقة، ويحطّم الجدرانَ المقدّسة القديمة. إنه يستحضر ديمونات اللا محدود. ويجلس متكئاً ولا يسمعُ تأوّهات البشر الذين سيطرَ عليهم دخانٌ ناريٌّ مخيف. ومع ذلك، لا يمكنك أن تجد الكلمات الجديدة إن لم تحطّم القديمة. لكن ليس على أي شخص أن يحطّم الكلمات القديمة ما لم يجد الكلمة الجديدة التي تحتوي على حياة فيها أكثر من الكلمة القديمة، وتكون مِتراساً راسخاً أمام اللامحدود. إن الكلمة الجديدة هي عبارة عن إله جديد بالنسبة للعجائز. يبقِي الإنسان على حاله حتى لو خلقتَ له نموذج إله جديد. إنه يبقى مُقلداً. إن ما كان كلمة، سيصبح الآن إنساناً، إن الكلمة خلقت العالم وجاءت قبله. إنها تتألق كالضوء في الظلام، ولا يستطيع الظلام استيعابها[555]. وهكذا يجب أن تصبح الكلمة ما تستطيع الظلمة فهمه، لأنه لن تكون هناك فائدة من الضوء إن لم يستطع الظلام أن يستوعبه. لكن يجب على عتمتكَ أن تستوعب الضوء.

---

[554] في العام 1940 علّق يونغ على سحر الكلمة الواقية في كتاب "رمزية التحول في القدّاس" (الأعمال الكاملة 11).

[555] انظر الهامش 548 صفحة 260.

إن إله الكلمات بارد ومميت ويشعّ من بعيد مثل القمر، إنه يشعّ بشكل غامض ولا يمكن الوصول إليه. دعِ الكلمة تعود إلى خالقها، دعها تعود إلى الإنسانٍ، وبهذا ترتفعِ الكلمة في الإنسان. يجب على الإنسان أن يكون ضوءاً وحدوداً ومقياساً، عسى أن يكون ثمرتكَ التي تبحثُ عنها بشوق. إن الظلمة لا تستوعب الكلمة، بل الإنسان، إنها تسيطر عليه في الواقعٍ، بما أنه بحدّ ذاته قطعة من الظلام. لا يكون ما تستوعبه الظلمة نزولاً من الكلمة إلى الإنسان، بل صعوداً من الكلمة إلى الإنسان. إن الظلمة هي والدتك، وهي جديرة بأن تُبجّل لأن الأم خطيرة. لها سلطانٌ عليك بما أنها أنجبتكَ. احترم الظلمة كما تحترم الضوء، وسوف تنيرُ ظلمتك.

إن فهمتَ الظلمة، فسوف تسيطر عليك. سوف تغمركَ كالليل بظلال سوداءَ ونجوم متألّقة لا حصر لها. وإن بدأت تفهمُ الظلمةَ، فسوف يغمرك السكون والسلام. يخاف الليل من لا يفهم الظلمة فقط. ومن خلال فهم الليل وما لا يُسبَرُ غوره فيك، تصبح بسيطاً تماماً، وتستعدّ للنوم عبر الألفيات مثل أي شخص آخر. تنام في رحم الألفيات، وتردد جدرانك صدى صوت أناشيد المعبد القديم لأن البساطة هي ما كان دائماً. ينتشر فوقك السلام والليل الأزرق، بينما أنت تحلمُ داخل قبر الألفيات.

الفصل الخامس:

الليلة الثانية[556]

[HI 22][557]

استيقظتُ[558]، وكان النهار يلوّنُ الشرق بالأحمر. وتقبعُ خلفي في أعماقِ الزمن البعيدِ، ليلةٌ رائعة. بأي فضاء بعيد كنتُ؟ بماذا حلمتُ؟ بحصانٍ أبيضَ؟ يبدو لي وكأني رأيتُ ذلك الحصان الأبيض في السماء الشرقيةً فوق الشمس المشرقة. تكلم الحصان معي: ماذا قال؟ قال: "أحيي من هو في الظلمة، بما أن النهار فوقه". كان هناك أربعةٌ من الأحصنة البيضاء، ولكل واحد منها جناحان ذهبيان. إنها تقودُ عربة الشمس التي يقف عليها (هيليوس) بتاجه الناريّ[559]. وقفتُ أنا في الوادي مندهشاً وخائفاً. زحفتْ آلاف الأفاعي السوداء بسرعة إلى جحورها. وحلّق هيليوس إلى الأعلى نحو دروب السماء الواسعة. ركعتُ ورفعتُ يدي متوسلاً ودعوت: "أعطنا نورك أيها المُحاط باللهب، والمصلوب والمبعوث، أعطنا نورك، نورك!" تلك الصرخة أيقظتني. ألم يقل (أمونيوس) البارحة مساءً: "لا

---

[556] في المسودة المصححة: "(الناسك). اليوم الثاني. صباحاً" (الصفحة 219).

[557] كتب يونغ في كتاب "الشجرة الفلسفية" الصادر عام (1945): "الإنسان المتجذّر في الأسفل كما في الأعلى، أشبه بشجرة منتصبة ومقلوبة رأساً على عقب. ليست الذرا هي الهدف بل المركز" (الأعمال الكاملة 13 الصفحة 333). كما علّق على "الشجرة المقلوبة" في (الصفحة 410).

[558] الأول من كانون الثاني - يناير عام 1914.

[559] في المثيولوجيا الإغريقية، كان هيليوس إله الشمس، يركب عربة عبر السماء يقودها أربعة أحصنة.

تنس صلاتك عندما تشرق الشمس". اعتقدتُ أن من الممكن أنه يعبد الشمس سرّاً.

في الخارج، هبّت ريح صباحية منعشة. يرشحُ رمل أصفر في عروق ناعمة على الصخور. ويتسع الاحمرار في السماء، وأرى الأشعة الأولى ترتفع إلى السماء. هناك هدوء وعزلة رهيبة من جميع الجهات. تقبعُ عظاءة ضخمة على حجر منتظرة شروق الشمس. وأقف كالمفتون، وأتذكّر بمشقّة كل شيء من الليلة الماضية، وخاصة ما قاله (أمونيوس). لكن ما الذي قاله؟ أن سلاسل الكلمات لها معان متعددة، وأن يوحنا جلب (اللوغوس) للإنسان. لكن هذا لا يبدو مسيحًياً بشكل صحيحٍ. هل يمكن أن يكون غنوصياً[560]؟ لا، يبدو الأمر بالنسبة لي مستحيلاً بما أنهم كانوا فعلاً أسوأ المبجّلين للكلمات، كما كان سيقول على الأرجح.

إنها الشمس. لكن ما الذي يملؤني بهذا الوقار الداخلي؟ يجب ألاّ أنسى صلاتي الصباحية. أين ذهبت صلاتي الصباحية؟ عزيزتي الشمس، ليس لدي ما أتلوه أمامك كصلاة، بما أنني لا أعرف كيف يجب أن يتوجّه الإنسان إليك. هل صلّيتُ سلفاً للشمس؟ لكن (أمونيوس) قَصَدَ فعلاً أنني يجب أن أصلي لله فجراً. ربما كان لا يعرف أنه لم يعد لدينا صلوات. كيف يمكنه أن يعرف عن فقرنا وعُرينا؟ وما الذي حصل لصلواتنا؟ أنا أفتقدها هنا. لا بدّ أن السبب هو الصحراء. يبدو كما لو أنه من المفترض القيام بصلوات هنا. هل الصحراء بهذا السوء؟ أعتقد أنها ليست أسوأ من مدننا. لكن لماذا لا نصلي هناك؟ عليّ أن أنظر نحو الشمس، كما لو أن لها علاقة بهذا. واحسرتاه – لا يستطيع المرء أن يهرب من الأحلام القديمة للبشرية.

ما عساي أفعل في هذا الصباح الطويل؟ لا أفهم كيف استطاع أمونيوس أن يتحمّل هذه الحياة حتى لسنة واحدة. أسيرُ جيئة وذهاباً على مجرى

[560] خلال هذه الفترة، كان يونغ منشغلاً بدراسة النصوص الغنوصية التي وجد فيها تناظراً مع تجربته الشخصية. انظر كتاب ألفريد ريبي: "البحث عن الجذور: كارل يونغ والتقاليد الغنوصية، تقديم لانس أوينز، ترجمة دون ريفيو (لوس أنجلوس: كتب أرشيف الغنوصية، 2013).

النهر الجاف، وأجلسُ أخيراً على حجر. هناك بعض الأعشاب الصفراء أمامي. وهناك خنفساء قاتمة تدبّ دافعة كرة أمامها، إنها جُعل[561]. عزيزي الحيوان الصغير، ألا زلتَ تكدحِ من أجل عيش أسطورتك الجميلة؟ كم كان يعملُ بجدّية ونشاط! ليتكَ كنتَ تدركُ أنك كنتَ تؤدي أسطورة قديمة، لكنتَ نَبذتَ أخيولاتك على الأرجح، كما تخلينا نحن البشر عن لعبِ دور في الأسطورة.

إن عدم الواقعية يقزّز المرء. ويبدو ما أقوله في هذا المكان غريباً جداً، وبالتأكيد لن يوافق أمونيوس الطبيب عليه. ما الذي أفعله هنا بالفعل؟ لا، أنا لا أريد إدانته مُسبقاً، بما أني لا زلت لا أفهم ما الذي يعنيه بالفعل. لديه الحق بأن يُسمع. وبالمناسبة، فكّرتُ البارحة بشكل مختلف. وكنتُ حتى ممتناً جداً له، لأنه أراد أن يعلّمني. لكنني أصبحت مُنتقداً ومتعالياً مرة أخرى، ولن أتعلّم شيئاً على الأرجح. إن أفكاره ليست بهذا السوء أبداً، بل هي جيدة أيضاً. لا أعرف لماذا أريد أن أقلل من قَدر هذا الرجل دوماً.

عزيزي الجُعل، إلى أين ذهبتَ؟ لم أعد أستطيع رؤيتك — أوه، لقد وصلتَ إلى هناك مع كرتك الأسطورية. هذه الحيوانات الصغيرة تلتزم بالأشياء، بعكسنا تماماً — بدون شكوك أو تغيّر بالرأي وبلا تردد. هل تفعل هذا لأنها تعيش مثيولوجيتها؟

يا عزيزي الجعل، يا أبي، أنا احترمك وأقدّر عملك — للأبد — آمين.

ما هذا الهراء الذي أتلفّظ به؟ أنا أعبدُ حيواناً! — لا بدّ أنني أفعل هذا بسبب الصحراء. تبدو وكأنها تطالب بالصلوات بشكل مؤكد.

---

[561] في كتاب (In Synchronicity as a Principle of Acausal Connection – التزامن كمبدأ للرابطة السببية) عام (1952)، كتب يونغ: الجُعل هو رمز كلاسيكي للبعث. وبحسب التوصيف في الكتاب المصري القديم (Am-Tuat، ما الموجود في العالم الآخر)، يحوّل ابن إله الشمس نفسه في المحطّة العاشرة إلى (Khepri – الإله خبري في الديانة المصرية القديمة)، أي الجُعل، كمطيّة على شكل قارب في المحطّة الثانية عشرة، التي ترفع الشمس المنبعثة إلى شمس الصباح" (الأعمال الكاملة 8).

كم المكان جميل هنا! إن لونَ الحجارة المحمرّ رائع، وهي تعكس توهّج مئات آلاف الشموس الماضية — تدحرجت حبات الرمل الصغيرة في محيطات بدئية خرافية، وسبح فوقها مسوخ خرافية بأشكال لم تُرَ من قبل. إين كنت أيها الإنسان في تلك الأيام؟ يسكنُ أسلافك الحيوانات الخرافيّة الطفولية في هذه الرمال، كما يسكنُ الأطفال الصغار في أحضان أمهاتهم.

أيتها الأم الحجر، أنا أحبك، أنا استلقي أمام جسدك الدافئ، وأنا طفلك المتأخر. كوني مباركة أيتها الأم العتيقة.

لك قلبي، لك المجد والقوة — آمين.

ما الذي أقوله؟ يكمنُ السبب في الصحراء. كم تبدو لي الأشياء نشيطة وحيّة! هذا المكان مرعب بالفعل. هل تلك الحجارةِ هي حجارة؟ تبدو لي وكأنها تكدّست هنا عن عمد. واصطفّت مثل ثلّة من الجنود. لقد نظموا أنفسهم بحسب الحجم، الضخم منهم يقف منفرداً، والصغارُ رصّوا صفوفهم في مجموعات تتقدمُ على الضخام. تشكّل الحجارة هنا دولاً.

هل أحلمُ أم إنني مستيقظ؟ الطقس حار، وتستقرّ الشمس في الأعلى، كيف مرّ الوقت! أوشك الصباح على نهايته بالفعل، وكم كان مثيراً للدهشة! أكانت الشمس أم تلك الحجارة الحيّة أم أنها الصحراء، هي من تسببُ هذا الطنين في رأسي؟

سرتُ في الوادي وسرعان ما وصلتُ إلى كوخ الناسك. كان يجلسُ على بساطه غارقاً بأفكار عميقة.

أنا: "أنا هنا يا أبي".

الناسك: "كيف أمضيت صباحك؟"

أنا: "كنت متفاجئاً عندما قلتَ البارحة إن الوقت يمضي بسرعة بالنسبة لك. لن أستفهمَ منك بعد الآن، ولم يعد هذا الأمر مفاجئاً لي. لقد تعلّمت الكثير. لكن هذا جعلَ منك لغزاً أكبر مما كان سابقاً. أيها الرجل الرائع، لماذا تميلُ جميع الأشياء التي نختبرها في الصحراء، إلى التحدّث معك".

الناسك: "يسعدني أنك تعلّمتَ أن تفهم شيئاً عن حياة الناسك. سيجعلُ هذا مهمتنا الصعبة أسهل. لا أريد التطفلَ على أسرارك، لكني أشعرُ أنك أتيتَ من عالم غريب لا علاقة له بعالمنا".

أنا: "أنت مُحقّ. أنا غريبٌ هنا، غريبٌ أكثر من أي شخص رأيته على الإطلاق، لدرجة يكون فيها شخصٌ جاء من أبعد الشواطئ البريطانية، أقربُ إليك مني. لذلك كن صبوراً أيها المعلّم، ودعني أشرب من منبع حكمتك. على الرغم من الصحراء العطشى المحيطة بنا، يتدفّقُ هنا جدول ماء حيّ غير مرئي".

الناسك: "هل تلوتَ صلواتك؟"

أنا: "سامحني أيها المعلّم: حاولتُ أن أفعل، لكنني لم أجد أي صلاة أتلوها. ومع ذلك، حلمتُ بأنني أصلي للشمس المشرقة".

الناسك: "لا تقلق بهذا الشأن. إن قلتَ كلمة واحدة، فقد وجدتْ روحك كلماتٍ تفوق الوصف لتحيّة الفجر".

أنا: "لكنها كانت صلاة وثنية لهيليوس".

الناسك: "دعها تكون كافية بالنسبة لك".

أنا: "لكن يا معلّم، أنا لم أصلِّ للشمس في الحلم فقط، بل صليتُ للجُعل والأرض، في حالة من شرود الذهن".

الناسك: لا تندهشْ من أي شيء، ولا ترفض أي حالة أو تدينها. دعنا نمضي بالعمل. هل تريد الاستفسار عن أي شيء بما يخص حوار البارحة؟"

أنا: "لقد قاطعتكَ البارحة عندما تحدثتَ عن (فيلو). أريد أن تشرح لي توصيفكَ للمعاني المختلفة لسلاسل الكلمات الخاصّة".

الناسك: "حسنا، سأكمل توصيفي حول كيفيّة تحرري من مأزق صياغة الكلمات الشنيع. لقد أتى إليّ رجلٌ كان والدي قد حرره يوماً وكنت متعلّقاً به منذ طفولتي، وحدثني قائلاً:

"يا أمونيوس، هل أنت بخير؟"، قلت له: "بالتأكيد، كما ترى، لقد تعلّمت ونِلتُ نجاحاً عظيماً".

هو: "أعني، هل أنتَ سعيد ومليء بالحياة؟"
ضحكتُ أنا وقلت: "كما ترى، الجميع بخير".
أجاب الرجل العجوز: "لقد رأيتكَ كيف تُحاضر، لقد بدوتَ متشوّقاً لمعرفة محاكمة مستمعيك لك. لقد أدخلتَ نكاتاً ذكيةً في المحاضرة لتسعدهم، وراكمت تعابيرك المنمّقة لتبهرهم. كنت مضطرباً ومتسرعاً، كما لو أنك لا زلت مندفعاً لتحصل على المعرفة كلها. أنت لست متمركزاً في ذاتك".
على الرغم من أن كلماته بدتْ في البداية مضحكة لي، فلا زال لها تأثير عليّ، وكان عليّ أن أعترف على مضض بفضل هذا العجوز، لأنه كان محقّاً.
ثم قال: "يا عزيزي أمونيوس، لديّ بشائر مُبهجة لك: لقد أصبح الرب جسداً في ابنه وجلبَ لنا الخلاص كله". صرخت أنا: "ما الذي تقوله، ربما كنت تقصد أوزيريس[562]، الذي سيظهر بجسد خالد؟"
أجاب: "لا، لقد عاش هذا الرجل في اليهودية ووُلِدَ من عذراء".
ضحكت وقلت: "أعرف مُسبقاً عن هذا الأمر، لقد أحضر تاجر يهودي بشائر عن ملكة عذراء لليهود، والتي تظهر صورتها على جدران المعابد، وقد أُشيع ذلك كحكاية خرافية.
أصرّ العجوز: "لا، كان ابن الرب".
أجبته: "إذن أنت تعني (حورس)[563]، ابن أوزيريس، أليس كذلك؟"
"لا، ليس (حورس)، بل رجل حقيقي، وعُلّق على الصليب".
"أوه، لكن لا بدّ أن يكون ذلك (ست) بالتأكيد، الذي وصف قدماؤنا عقوباته كثيراً".
لكن الرجل العجوز أصرّ على قناعته وقال: "لقد مات، وقام في اليوم الثالث".
أجبت نافد الصبر: "حسناً، إذاً لا بدّ أنه أوزيريس".

---

[562] كان أوزيريس إله الحياة والموت والخصب لدى المصريين القدماء. وكان (ست) إله الصحراء. قُتِلَ أوزيريس على يد أخيه (ست) وتم تقطيعه.استطاعت زوجته استرجاع أجزائه ووضعتها معاً وبُعث من جديد. ناقش يونغ موضوع أوزيريس وست في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" الصادر عالم (1912) (الأعمال الكاملة B).
[563] حورس ابن أوزيريس، كان إله السماء لدى المصريين. وقاتل ضدّ (ست).

صرخ: "لا ، إنه يُدعى يسوع المسيح".

"فهمت ، أنت تقصدُ فعلاً إله اليهود الذي يبجّله الفقراء في الميناء ، ويحتفلون بأسراره النجسة في الخمارات".

قال العجوز محدّقاً في وجهي باهتمام: "كان إنساناً ومع ذلك كان ابن الرب".

قلت له: "هذا كلام فارغ أيها العجوز العزيز، وأشرتُ له بالتوجّه نحو الباب. لكن عادت الكلمات لي مثل صدىً راجع يصطدم بصخرة بعيدة: إنسان ومع ذلك ابن الرب. بدت هذه العبارة ذات مغذى بالنسبة لي، وكانت هي ما وجّهني نحو المسيحية.

أنا: "لكن ألا تعتقد بأنه من الممكن أن تكون المسيحية في النهاية، تحوّلٌ لتعاليمك المصرية القديمة؟"

الناسك: "إن كنت تقولُ إن تعاليمنا القديمة كانت تعابير أقل كفاءة من المسيحية، فعندها يزيد احتمالُ أن أوافق معك".

أنا: "نعم، لكن هل تفترضُ حينها أن تاريخ الأديان يتوجّه نحو هدف نهائي؟"

الناسك: "اشترى والدي مرّة عبداً أسود في السوق، من منطقة منابع النيل. لقد جاء من بلد لم تسمعٍ بأوزيريس ولا بأي إله آخر، وقد أخبرني أشياء كثيرة بلغةٍ بسيطةٍ جداً، تقول الشيء نفسه الذي آمنّا به عن أوزيريس والآلهة الأخرى. لقد تعلّمت أن أفهم أن هؤلاء الزنوج الجاهلين، لديهم سلفاً معظم ما طوّرته أديان الشعوب المثقفة بمذاهبها الكاملة، دون أن يعرفوا. إن أولئك القادرين على قراءة تلك اللغة بشكل صحيح، يمكنهم أن يدركوا فيها، ليس المذاهب الوثنية فقط، بل أيضاً مذهب يسوع المسيح. وبهذا أنا أشغل نفسي. أن أقرأ الإنجيل وألتمس معانيه التي لم تصل بعد. نحن نعرف معانيها كما وُضِعَت أمامنا، لكننا لا نعرف المعاني المخفيّة التي تشير إلى المستقبل. من الخطأ الاعتقاد بأن الأديان تختلف بجوهرها الأساسي. وأقول بحزم، كانت جميعها الشيء نفسه، وهي عبارة عن دين واحد. إن كلّ شكل لاحق لدين، عبارة عن معنى لما سبقه".

أنا: "هل اكتشفت المعنى الذي لم يأتِ بعد؟"

الناسك: "لا، ليس بعد، هذا صعب جداً، لكن آمل أن أنجح بذلك. أحياناً يبدو لي أنني أحتاج التنشيط من الآخرين، لكني فهمتُ أن ذلك عبارة عن إغواء من الشيطان".

أنا: "ألا تعتقدون أنكم كنتم ستنجحون لو كنتم بشراً اجتماعيين؟"

الناسك: "ربما أنت على حق".

نظر إلي فجأة وكأنه مليء بالشكّ والالتباس وتابع: "لكنني أحبّ هذه الصحراء المتوهّجة الصفراء، هل تفهم هذا؟ أستطيع هنا أن أرى شروق الشمس كل يوم. يمكنك أنت وحدك، أن ترى مجد هيليوس – لا، هذا تعبير وثني، ماذا يحدث لي؟ أنا مشوّش، هل أنت شيطان، لقد تعرّفت عليك. اظهرْ أيها الخصم!"

قفز من مكانه ثائراً يريد أن يطعنني. لكنني كنت بعيداً في القرن العشرين[564].

من ينام في قبر الألفية، يحلمُ حلماً رائعاً، يحلمُ حلماً قديماً بدئياً. ويحلمُ بالشمس المشرقة.

إن نمتَ نوماً كهذا وحلمتَ حلماً كهذا، في هذا الوقت من العالم، فستعرف أن الشمس ستشرق أيضاً في هذا الوقت. لأننا لا نزال في هذه اللحظة في الظلام، لكن النهار مُقبلٌ علينا.

من يحتوِ الظلام في ذاته، يكن الضوء قريباً منه. ومن ينزل في ظلمته، يصل إلى سُلّم الضوء، إلى هيليوس صاحب التاج الناريّ.

تصعدُ عربته التي يجرّها أربعة أحصنة، ولا يحمل صليباً على ظهره، وليس لديه جرح في جنبه، لكنه آمنٌ ورأسه يستعر بالنار.

---

[564] يتابع في المسودة المصححة: "وأنا لست حقيقياً بالنسبة لذاتي كما في الحلم" (صفحة 228). كان النسّاك المسيحيون دوماً على أهبة الاستعداد ضدّ ظهور الشيطان. حدث مثال الإغواء الشهير من الشيطان في حياة القديس (الأثيني) أنطونيو. وفي العام 1921 كتب يونغ أن القديس أنطونيو، حذّر الرهبان لديه "من ذكاء الشيطان وقدرته على إخفاء نفسه ليتمكن من الإيقاع بالرجال المقدسين. إن الشيطان بشكل طبيعي، هو صوت اللاوعي الخاص بالناسك، والذي يظهر بسبب القمع القسري لطبيعته" (كتاب النماذج السيكولوجية، الأعمال الكاملة 6). لقد كانت تجارب القديس أنطونيو مُفصّلة من قِبَل (فلوبيرت) في كتابه "إغواء أنطونيو"، العمل الذي كان يونغ يعرفه في كتابه (السيكولوجيا والخيمياء، الأعمال الكاملة 12).

هو ليس رجل السخرية، بل رجل القوة والروعة التي لا نِزاع عليها.
لا أعرف ما الذي أتكلمُ عنه، أنا أتكلمُ في المنام. اسندوني لأنني أترنّح في حالة ثمَل من النار، لقد شربتُ النار هذه الليلة، بما أني نزلتُ عبر القرون وغَصتُ في الشمس حتى القاع. وارتفعتُ ثملاً بها، بملامح محترقة ورأس يشتعل.
أعطني يدكَ البشرية كي تحملني إلى الأرض، لأن ألسنة النار الملتفّة تقتلعني، ويشدّني التوقُ المبتهج نحو الذروة.
لكنّ نهار هذا العالم يوشكُ أن يبدأ. لقد بقيتُ مستتراً في باطن الأرض، وحيداً وفي الأعماق، وفي الظلال المعتمة للوادي. هذا هو ظل الأرض وثقلها.
كيف أستطيع الصلاة للشمس التي تشرق بعيداً فوق الصحراء؟ لماذا يجبُ أن أصلي لها؟ أنا أتشرّب الشمس في داخلي، فلماذا يجب أن أصلي لها؟ لكن الصحراء في داخلي تطلبُ الصلوات، بما أنها تريد أن تُشبعَ نفسها بما هو حي. أريد التوسّل لإله من أجلها، سواء كانت الشمس أم أي خالد آخر غيرها.
أنا أتوسّل لأني فارغ وشحاذ. ونسيتُ في نهار هذا العالم، أنني شربتُ الشمس وثملتُ من ضوئها الفعّال وقوتها الحارقة. لكنني دخلتُ إلى ظلال الأرض، ورأيتُ أنني كنت عارياً وليس لدي ما أستر به عَوَزي. أنت لا تكاد تلمس الأرض إلا وتنتهي حياتك الداخلية، إنها تهرب منك نحو الأشياء.
تظهرُ حياة العجبِ في الأشياء. ما كنت تظنّه ميتاً وجامداً، يُبدي حياةً وصمتاً سريّاً وتصميماً لا يلين. لقد عَلِقتَ في الهرج والمرج، حيث يسير كل شيء بطريقه الخاص بإيماءات غريبة، بجانبك وفوقك وتحتك، وخلالك، حتى الحجارة تتحدثُ معك، تنسج خيوطاً سحرية منك نحو الأشياء، ومن الأشياء نحوك. يعملُ البعيد والقريب فيك، وأنت تعملُ بطريقة مظلمة في القريب والبعيد. وستكون على الدوام طريدة عاجزة.
لكن إن راقبتَ عن قرب، فسترى ما لم تره من قبل، وأعني بذلك أن الأشياء تعيشُ حياتك، وتقتاتُ منك: تحملُ الأنهار حياتك إلى الوادي،

ويسقطُ الحجر فوق الآخر بتأثير قوتك، تنمو النباتات والحيوانات خلالك وتكون سبب موتك. ترقص ورقة نباتٍ في الرياح معك، ويخمّن الحيوان غير العاقل فكرتك[565]، ويمثّلك. وتمتص الأرض كلها الحياة منك، وينعكس كل شيء إليك مرة أخرى.

لا شيء يحدث إلا وأنت متورّط فيه بطريقة سريّة، لأن كل شيء قد نظّم نفسه حولك، وهو يلعب في أعماقك. لا شيء فيك مخفيّ عن الأشياء، ليس مهماً كم هو بعيد أو ثمين أو سرّي. إنه ملازم للأشياء وهو من صفاتها الأساسية. يسرقُ كلبك منك والدك الذي مات منذ وقت طويل، وينظرُ إليك كما كان يفعل. تُمثّل البقرة في المرج أمكّ بطريقة حدسيّة، وتجتذبك بهدوء وأمان كاملين. تهمسُ النجومُ لك بأعمقِ أسرارك، وتنقذكَ وديان الأرض العميقة وتضعكَ في رحم أمومي.

أنت تقفُ بشكل يدعو للرثاء، مثل طفل شارد بين الأقوياء الذين يمسكون بخيوط حياتك. تصرخُ طلباً للمساعدة وتتعلّقُ بأول شخص يأتي بطريقك. ربما باستطاعته تقديمُ النصيحة لك، ربما لديه الفكرةً التي ليست لديك والتي امتصّتها جميع الأشياء منك.

أعرفُ أنك تريد أن تسمع بشارة قدوم شخص لم تعشهُ الأشياء، بل عاش وحقق ذاته. ولأنك ابن الأرض، فقد جفّفتك الأرض التي ترضع، والتي لا تستطيع أن ترضعُ أي شيء من ذاتها، لكنها ترضعُ من الشمس فقط. ولهذا، ترغبُ بسماعٍ بشائر قدوم ابن الشمس الذي يشعّ ولا يرضع.

ترغبُ أن تسمع خبرا عن ابن الرب الذي أشرقَ وأعطى، والذي أنجبَ، وَوُلِدّت الحياة من أجله مرّة أخرى، لأن الأرض تحمل أولاد الشمس الخضر الملونين.

أنت تريد أن تسمع عن المخلّص ذي الوجه المشع، الذي قطع شِباكَ الأرض لأنه ابن الشمس، والذي قطع الخيوط السحرية وحرّر أولئك

[565] توصيف معاكس لتعريف أرسطو للإنسان على أنه (حيوان عاقل).

المُستعبدينِ، والذي مَلَكَ نفسه، ولم يكن خادماً لشخص آخر، والذي لم يمتصّ أحداً حتى الجِفاف، ولم يُستنزفَ كنزه.

ترغب بأن تسمع شيئاً عن الذي لم تعتّمه ظلال الأرض، بل زادته ألقاً، والذي رأى أفكار الجميع ولم يخمّن أفكاره أي شخص، والذي يتملكُ معنى كل الأشياء في ذاته ولا شيء يستطيع التعبير عن معناه.

أفلتَ المعتزلُ من العالم وأغلق عينيه وأصمّ أذنيه ودفن نفسه في كهف داخل ذاته، لكن بدون جدوى. امتصّته الصحراء ... وعبّرت الحجارة عن أفكاره، وردد الكهف صدى مشاعره بحيث أصبح هو ذاته صحراء وحجارة وكهفاً. كانت جميعها صحراء وخواء وعجزاً وقحلاً، بما أنه لم يلمع، وبقي ابن الأرض الذي يمتصّ كتاباً حتى الجفاف، وامتصّته الصحراء حتى الجفاف. كان رغبة وليس إشراقاً وروعة، كان أرضاً بالكامل وليس شمساً.

وهكذا كان في الصحراء كقدّيس ذكيّ عَرفَ أنه خلافاً لذلك، ليس هناك من فرق بينهُ وبين أبناء الأرض الآخرين. إن كان قد ثَمِلَ من ذاته فسيكون قد شرب ناراً.

ذهب المُعتزل إلى الصحراء ليجد نفسه. لكنه لا يريد إيجاد نفسه، بل بالأحرى، يريدُ أن يجدَ المعنى المتشعّب للكتاب المقدس. يمكنك أن تمتصّ عَظَمَةَ الصغير والكبير في ذاتك، وسوف تصبحُ أكثر خواء بكثير، بما أن الامتلاء الضخم والخواء الضخم هما الشيء ذاته[566].

أراد أن يجدَ ما احتاجَ إليه في الخارج. لكنك تجدُ معاني متشعبة في نفسك فقط وليس في الأشياء، بما أن تشعّب المعاني ليس شيئاً يُعطى في الوقت ذاته، بل هو تعاقب المعاني. إن المعاني التي يتبع أحدها الآخر غير موجودة في الأشياء، بل فيك أنت الخاضع للعديد من التغيرات، بقدر ما تشارك في الحياة. إن الأشياء تتغير أيضاً، لكنك لا تلاحظ ذلك إن لم تتغير أنت. لكن إن تغيرتْ، فستتغير هيئة العالم. إن المعنى

---

[566] انظر توصيف يونغ لـ (Pleroma، البليروما) الصفحة 509.

المتشعب للأشياء هو معناك المتشعب، ومن غير المفيد أن تعرفه في الأشياء. ربما يشرح هذا سبب ذهاب المعتزل إلى الصحراء ومعرفة الأشياء، لكن ليس معرفة نفسه.

وبناء عليه، ما حدث لكل معتزل توّاق، حدث أيضاً له: جاء الشيطان إليه بلسان ناعم ومنطق واضح، وعرفَ الكَلمة المناسبة في اللحظة المناسبة. لقدً استدرجهُ إلى رغبته. وكان عليّ أن أبدو له كشيطان، بما أنني قبلتُ بعتمتي. لقد أكلتُ الأرض وشربتُ الشمس وأصبحتُ شجرة مخضرّة تقف وحدها وتنمو[567].

[567] في المسودة والمسودة المصححة: "لكني رأيت العزلة وجمالها، ورأيت حياة الجماد، ومعنى ما لا معنى له. وفهمت أيضاً هذا الجانب من تشعبي. وبهذا، نمت شجرتي في عزلة وسكون، تأكل الأرض بجذور تذهب عميقاً في الأرض وتشرب الشمس بأغصانها العالية. دخل الضيف المعتزل (الغريب) إلى روحي. لكن حياتي المخضرّة غمرتني. (ولهذا تجوّلت متّبعاً طبيعة الماء)، (الصفحة 235).

الفصل السادس:

الموت[568]

في الليلة التالية[569]، تجوّلتُ في الأراضي الشمالية ووجدت نفسي تحت سماء رمادية في جو رطب بارد ضبابي. سعيتُ إلى تلك المناطق المنخفضة، حيث الجداول الضعيفة تلمع في مرايا واسعة، تتجه نحو البحر، حيث تصبح سرعة التدفّق كلها أكثر بطئاً، وحيث تتحد القوة والسعي مع الامتداد اللامتناهي للبحر. تصبحُ الأشجار متفرقة، وتترافق مروج المستنقعات الواسعة مع الماء الراكد العَكِر، وتكسو الأفقَ الذي لا نهاية له، غيوم رمادية. ومن ثم ببطء وبضبط للنفس، ومع توقّع مشوش وعظيم لشخص ينزلق في المنحدر بعنف على الزبد، ويسكب نفسه في اللانهاية، تَبعتُ أخي، البحر. إنه يتدفّق بهدوء وبشكل غير محسوس تقريباً، ومع ذلك نقترب باستمرار من العناق الفائق، وندخل إلى رحم المنبع، إلى الاتساع غير المحدودِ والأعماق التي لا نهاية لها. ترتفع هناك هضاب صفراء أكثر انخفاضاً. تتسع بحيرة شاسعة ميتة عند أقدامها. تجولنا بهدوء على طول الهضاب التي تنفتح على الأفق البعيد المكفهرّ الذي لا يوصف، حيث تندمج السماء مع البحر في اللانهاية.

---

[568] في المسودة المكتوبة بخط اليد: "المغامرة الخامسة: الموت" (صفحة 557).

[569] في 2 كانون الثاني من عام 1914.

هناك على الكثيّب الأخير، يقف شخص يلبسُ معطفاً مجعداً أسود، إنه يقف بلا حراك وينظر في المدى. صعدت إليه وكان هزيلاً، فقلت له بنظرة عميقة جدّية:
"دعني أقف إلى جانبك لفترة أيها القاتم. لقد رأيتك من مسافة بعيدة. هناك شخص واحد فقط يقف بهذه الطريقة، وهو منعزل جداً وفي آخر زاوية من العالم".
أجاب: "أيها الغريب، يمكنك أن تقف إلى جانبي إن لم يكن الجو بارداً جداً بالنسبة لك. وكما ترى، أنا أشعر بالبرد، وقلبي لا ينبض".
"أعرفُ أنك الجليد والنهاية، وأنت الصمت البارد للحجارة، والثلج الأعلى على الجبال، والصقيع الأكثر تطرّفاً للفضاء الخارجي. لا بدّ أن أشعر بذلك، ولهذا أقف بجانبك".
"ما الذي جاء بك إليّ أيها المادة الحيّة؟ لا يُستضاف الأحياء هنا. يمرّ الجميع من هنا بحشود كثيفة، ومن رحلوا لم يعودوا مرة أخرى. لكن الأحياء لا يأتون إلى هنا. ما الذي تبحث عنه؟
"لقد أوصلني طريقي الغريب وغير المتوقع إلى هنا، لقد اتّبعت بسعادة تدفّق الأحياء. وهكذا وجدتك. أنا أفهم أن هذا مكانك الحقّ"
"نعم، لقد وصلتَ إلى اللا متمايز، حيث لا معنى للمساواة أو اللا مساواة، بل يتحد كل شيءٍ مع الآخر. هل ترى ما الذي يقترب هناك؟"
"أنا أرى شيئاً يشبه جداراً قاتماً من الغيوم يسبحُ نحونا مع المدّ".
"انظر بدقّة أكثر، ما الذي تراه؟"
"أرى جموعاً بشرية مكتظّة بكثافة، ورجالاً عجائز ونساء وأطفالاً. وأرى بينهم أحصنة وثيراناً وحيوانات أصغر، وهناك سحابة من الحشرات، تطيرُ حول الحشد. وهناك غابة تسبح قريباً، وأزهار باهتة لا حصر لها، وصيف ميت تماماً. لقد اقتربوا بالفعل، وكم يبدو عليهم التيبّس والبرودة، إن أقدامهم لا تتحرك، وليس هناك ضوضاء في صفوفهم المتقاربة. إنهم يشابكون أنفسهم معاً بقوة بأيديهم وأذرعهم، وينظرون إلى

الماوراء ولا يكترثون بنا — إنهم جميعاً يعبروننا بجدول هائل. هذه الرؤية شنيعة أيها القاتم".

أتريد أن تبقى بجانبي، تماسك إذاً وانظر!"

أنا: "لقد وصلت الأنساق الأولى إلى النقطة حيث يتدفق الجدول والأمواج معاً بعنف. تبدو كما لو أن موجة الهواء كانت تواجهُ جدولاً من الموتى مترافقاً مع ارتفاع البحر، حيث يرفعهم عالياً ويرمي بهم على شكل شظايا سوداء، ويذيبهم في أمواج عكرة من الضباب. إن الموجة تصلُ إثر الموجة، وتذوب أسراب جديدة متتالية في الهواء القاتم. أخبرني أيها القاتم، هل هذه هي النهاية؟"

"انظر!"

يتكسر البحر المظلم بشكل ثقيل، وينتشر توهّج محمرّ فيه، إنه يشبه الدم. يزبد بحر الدم عند قدميّ وتتوهّج أعماق البحر — كم هو غريب ما أشعر به — هل قدماي عالقتان؟ هل هذا بحر أم أنها السماء؟ لقد اختلط الدم والنار معاً في كرة، وثار من كفنها الدخاني وميضٌ أحمر. لقد أفلتت شمس جديدة من بحر الدم، وترنحت بوميضها نحو الأعماق القصوى، واختفتت تحت قدمي[570].

نظرت حولي ورأيتُ أنني وحدي. لقد انسدل الليل. ما الذي قاله أمونيوس؟ الليل هو وقت الصمت.

نظرت حولي ورأيت أن العزلة تمتدّ بشكل غير متناه، واخترقتني ببرودة مرعبة. لا تزال الشمس تتوهج بداخلي، لكن أستطيع أن أشعر بنفسي أني أدخل في الظل العظيم. اتبعت التيار الذي يشقّ طريقه ببطء إلى الأعماق، إلى أعماق ما هو آت.

وهكذا خرجت في هذه الليلة (كانت الليلة الثانية من عام 1914)، وملأني ترقّب قلق. لقد خرجت لتقبّل المستقبل. كان الدرب شاسعاً، وما هو آت شنيعاً. لقد كان الاحتضار الهائل، وبحر الدم. لقد أشرقت منه

---

[570] هذه الرؤية موجودة في الكتاب الأول، المقطع الخامس "الهبوط إلى الجحيم في المستقبل.

شمسٌ جديدة تعاكس بشكل مريعٍ ما نسمّيه نهاراً. لقد أطبقنا على الظلامَ وسوف تشرق شمسه علينا دموية ومحرقة مثل انهيارٍ عظيم.

عندما استوعبتُ ظلمتي، غمرتني ليلة رائعة فعلاً، وغاص حلمي في أعماق الألفية، وبزغ منها طائر الفينيق.

لكن ما الذي حصل لنهاري؟ لقد اشتعلت المشاعل وثارُ غضبٌ وصراعات دموية. وكما أطبقت العتمة على العالم، تكشّفت الحرب المرعبة، ودمّرت العتمة ليل العالم، بما أنها لم تكن مفهومة بالنسبة للظلمة، ولم تعد مُجدية. وهكذا كان يجب أن نتذوّق طعم الجحيم.

لقد رأيت نحو أية رذائلَ تحوّلت فضائل هذه الأيام، وكيف تحولت وداعتك إلى قساوة، وتحول صلاحك إلى همجية، وحبك إلى كره، وكيف تحوّل وعيك إلى جنون. لِمَ أردتَ استيعاب العتمة! لقد كان عليك ذلك وإلا فسوف تسيطر هي عليك. سعيد هو الإنسان الذي يكون سبّاقاً بأن يحوز عليها.

هل فكرت يوماً بالشرّ الموجود فيك؟ أوه، لقد تحدثتَ عنه وأشرتَ إليه واعترفتَ به بابتسامة، كذنب بشري عموماً أو كسوء فهم متكرر. لكن هل تعرفُ ما هو الشرّ؟ وهل تعرف أنه يقف تماماً خلف فضائلك؟ وأنه هو فضائلك ذاتها أيضاً، وكأنه مادتها التي لا مفرّ منها[571]؟ لقد سجنتَ الشيطان في هاوية الألفية وعندما انتهت الألفية، ضحكتَ عليه بما أنه أصبح حكاية خرافية طفولية[572]. لكن إن رفع العظيم المخيف رأسه، فسيجفل العالم. وتقترب البرودة الأكثر تطرّفاً.

سوف ترى برعبٍ أنك من دون حماية، وأن جيش رذائلك يركع على ركبته عاجزاً. ومع قوة الشياطين، أنت تستحوذُ على الشرّ وتعبرُ فضائلك إليه. أنت وحيد تماماً في هذه المعركة، بما أن آلهتك قد أصبحتْ صمّاء.

---

[571] كتب يونغ في العام 1940: "الشرّ أمر نسبي، إنه قَدَريّ جزئياً ومن الممكن أن نتجنّبه جزئياً، والشيء نفسه ينطبق على الفضيلة، ولا يعرف المرء غالباً إيهما أسوأ" (محاولة في التفسير السيكولوجي لعقيدة الثالوث) (الأعمال الكاملة 11).

[572] في المسودة المصححة، تم استبدال هذه الجملة بعبارة: "الشر نصف العالم، أحدهما يرجّح كفة الميزان" (صفحة 242).

أنت لا تعرف أي الشياطين أعظم، رذائلك أم فضائلك. لكنك متأكد من أمر واحد وهو أن تلك الفضائل والرذائل أخوة.

[573]نحن نحتاجُ برودة الموتِ من أجل الرؤية بوضوح. تريد الحياة أن تعيشَ وتموت، وأن تبدأ وتنتهي[574]. أنت لستَ مجبراً على أن تعيشَ أبدَ الدهر، لكن باستطاعتك أن تموت أيضاً بما أن لديك رغبة بداخلك من أجل الاثنين. يجب أن يحقق الموت والحياة التوازن في وجودك[575].

يحتاج البشر اليوم شريحة كبيرة من الموت بما أن الكثير من الفساد يعيش فيهم، والكثير من الاستقامة تموت فيهم. إن الصحيح هو ما بقي متوازناً، والفاسد هو ما يخلخلُ التوازن. لكن إن تم تحقيق التوازن، فإن ما يُبقي عليه هو الفساد وما يخلخله هو الصحيح. إن التوازن هو الحياة والموت في آن واحد. من أجل استكمال الحياة يكون التوازن مع الموت هو المناسب. إن تقبّلتُ الموت، فعندها تخضرّ شجرتي، بما أن الموت يزيد من الحياة. وإن غرقت في الموت الذي يشمل العالم، فعندها تتفتح براعمي. كم تحتاج حياتنا للموت!

فقط عندما تتقبّل الموت، تبتهج بأصغر الأشياء التي تصلك. لكن إن سعيت بجشع من أجل كل ما لا زلت تستطيع عيشه، فليس هناك من شيء عظيم بما يكفي من أجل متعتك، والأشياء الصغيرة المستمرّة

---

[573] يتابع في المسودة: "في هذه المعركة الدامية يقفز الموت إليك، تماماً مثل هذا اليوم حيث القتل الجماعي والموت يملأ العالم. برودة الموت تنفذ إليك. عندما تجمدت حتى الموت في عزلتي، رأيت بوضوح، ورأيت ما كان قادماً، بالوضوح الذي أستطيع فيه رؤية النجوم والجبال البعيدة في ليلة باردة" (صفحة 260).

[574] في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه (1921)" ناقش يونغ بأن الليبيدو لم يكن فقط دافع حياة شوبنهاور، بل احتوى كفاحاً معاكساً نحو الموت داخل الذات (الأعمال الكاملة B).

[575] يتابع في المسودة: "أن تعيش ما هو صحيح، وتترك ما هو خاطئ يموت، هذا هو فن العيش" (صفحة 261). وكتب يونغ في العام 1934: "الحياة عملية مفعمة بالحيوية مثل أي شيء آخر. لكن كل عملية حيوية هي في المبدأ، غير قابلة للعكس، ولهذا فهي تتوجّه بشكل قاطع نحو هدف، الهدف هو حالة الراحة..... يبقى حياً بعد منتصف الحياة، من يكون مستعداً للموت مع الحياة. بما أن ما يحدث في الساعة السريّة من منتصف نهار الحياة، هو الاتجاه الآخر بحركة (القطع المكافئ)، أي ولادة الموت...إن عدم الرغبة بالعيش مطابق لعدم الرغبة بالموت. أن تصبح وأن تموت هما المنحني ذاته" ("الروح والموت" الأعمال الكاملة 8). انظر "(الفسحة غير المحدودة): تأملات يونغ عن الحياة والموت" كوادرانت: مجلة مؤسسة كارل يونغ لعلم النفس التحليلي 38 (2008).

بالإحاطة بك لم تعد مبهجة. ولهذا أنظرُ إلى الموت، بما أنه يعلّمني كيف أعيش.

إن قَبِلتَ الموت، يكون كله مثل ليلة صقيعية وتوجّس قلق، لكنه ليلة صقيعية في كرم مليء بالعنب الحلو[576]. ينضجِ الموت، وسرعان ما ستستمتع بثروتك. يحتاج المرء الموت ليكون قادراً على جني الثمار. من دونه ستكون الحياة بلا معنى، بما أن طويل الأمد يظهرُ من جديد، وينكرُ معناه الخاص. أنت تحتاج الموت لتكون ولتستمتع بكينونتك، وسوف تمكنك الحدود من تحقيق كينونتك.

عندما أرى التأوهات وهراء الأرض ودخول الموت برأس مُغطى، سيتحوّل كل شيء أراه إلى جليد بالتأكيد. لكن الآخر ظهرَ في العالم الظلّي، إنها الشمس الحمراء[577]. لقد أشرقت بسريّة وبشكل غير متوقع، وبدأ عالمي يدور مثل ظهورٍ شيطاني. اشتبهت بالدم والقتل. لا يزال الدم والقتل ممجدين ولهما جمالهما الغريب، يستطيع المرء أن يتخيّل جمال التصرفات الدموية للعنف.

لكن ما ظهر من داخلي كان غير المقبول والمنفّر بشكل البغيض، والذي رفضتُهُ دوماً. لأنه إن انتهى فقر هذه الحياة وبؤسها، فسوف تبدأ حياة أخرى في ما هو معاكس لي. إنه معاكس إلى الحدّ الذي لا يمكنني تصوّره. لأنه ليس معاكساً بحسب قوانين العقل فقط، بل بحسب طبيعة العقل الخاصة أيضاً. نعم، ليس معارضاً فقط، بل بشعاً بشكل قاس وغير مرئي، شيء يقطع الأنفاس ويسلبني قوتي العضلية ويشوش أحاسيسي، ويلدغني لدغة سامة في كعب قدمي، ويضرب دائماً حيث لا أتوقّع وجود نقطة ضعف[578].

---

[576] يُصنع النبيذ المتجمد من ترك العنب على الكرمة حتى يتجمد بفعل الصقيع. يُعصر بعدها ويذوب الجليد تاركاً نبيذاً حلواً لذيذاً عالي التركيز.

[577] إشارة إلى حلم سابق.

[578] في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" (1912)، علّق يونغ على موضوع الكعب المجروح، (الأعمال الكاملة B).

إنه لا يواجهني كعدو قوي رجوليّ وخطير، بل أنهارُ على كومة من الروث، بينما الدجاجات تقوقئ حولي بسلام، وتضع بيوضها بذهول ودون وعي. يمرّ كلب ويرفع ساقه فوقي، ومن ثم يهرول مبتعداً بهدوء. لعنت ساعة مولدي سبع مرات، وإذا كنت لم أختر قتل نفسي على الفور، فقد تهيأت لاختبار ساعة ولادتي الثانية. قال الأسلاف: "Inter faeces et urinas nascimur"[579]. لثلاث ليال متتالية، كان رعب الولادة يهاجمني. في الليلة الثالثة، جلجلَ ضحك شبيه بالأدغال، بدأت الحياة الحراك مجدداً.

[579] "إننا نولد بين البول والغائط"، مقولة تُنسب لأشخاص مختلفين، وللقديس أوغسطين على نحو واسع.

الفصل السابع:

آثار المعابد القديمة[580]

[HI 32][581]

[582]ومع ذلك حدثت مغامرة جديدة: ينتشر أمامي مرج واسع فيه بساط من الأزهار وتلالٌ ناعمة، وفي البعيد هناك غابة خضراء نضرة. مررتُ باثنين من العمال المَهَرة، من المحتمل أنهما التقيا بمحض الصدفة: راهب عجوز ورجل نحيل وطويل بمشية صبيانية وملابس حمراء كامدة. وبينما كانا يقتربان، أدركتُ أن الطويل يشبه الفارس الأحمر. كيف تغيّر هكذا! لقد أصبح أكبر سنّاً، وأصبح شعره الأحمر رمادياً، واهترأت ملابسه الحمراء النارية وأصبحت رثة بالية. والآخر؟ لديه كرش، ولا يبدو أنه قد مرّ بأوقات عصيبة. لكن وجهه يبدو مألوفاً: بحق الآلهة كلها، إنه أمونيوس!

ما الذي يتغير! ومن أين جاء هؤلاء الناس المختلفون بالكامل؟ وصلتُ إليهم وألقيت عليهم التحية. نظرا إليّ بخوفٍ ورسما إشارة الصليب.

---

[580] في المسودة المكتوبة بخط اليد يوجد عنوان: "المغامرة السادسة" (صفحة 586). ويوجد في المسودة المصححة عبارةُ: "المُثل المنحطّة" (صفحة 247).

[581] شكل الموزاييك هنا مشابه لشكل الموزاييك في (رافينا) التي زارها يونغ في العام 1913، 1914 والتي تركت انطباعاً دائماً.

[582] في 5 كانون الثاني - يناير من العام 1914.

حثّني الرعب البادي على وجهيهما على النظر إلى نفسي. كنتُ مُغطى بالكامل بأوراق خضراء تنمو من جسدي. حييتهم مرة أخرى ضاحكاً.

هتفَ أمونيوس مرتعباً: "Apage, Satanas !"[583]

الأحمر: "اللعنة على رُعاع الوثنية!"

أنا: "لكن يا صديقيَّ العزيزين، ما المشكلة بكما؟ أنا الغريب الهايبربورياني الذي زاركما، لقد زرتكَ في الصحراء يا أمونيوس[584]. وأنا حارس البرج الذي زرته مرّة أيها الأحمر".

أمونيوس: "لقد عرفتكَ، أنت الشيطان الخارق. لقد بدأ سقوطي بك".

نظر إليه الأحمر مؤنباً، ثم نكزه على صدره، فتوقف الراهب بخجل. والتفت الأحمر شامخاً نحوي.

الأحمر: "منذ ذلك الوقت، لم أستطع منع نفسي من التفكير بأنك تفتقر للنبل، بالرغم من جديّتك المنافقة. وتظاهرك المسيحي اللعين".

وفي تلك اللحظة، نكزه أمونيوس على صدره، فصمتَ الأحمر شاعراً بالإحراج. وهكذا وقف كلاهما أمامي، يشعران بالخجل والسخافة بشكل يُرثى له.

أنا: "من أين أنتَ أيها المتديّن؟ أي قدر سيئ جاء بك إلى هنا، ناهيك عن صحبة الأحمر؟"

أمونيوس: "أفضّل ألا أقول لك. لكن الأمر لا يبدو تدبيراً من الله لا يمكن للمرء الهروب منه. أعرفُ الآن أنك قمتَ بعمل رهيب معي يا روح الشرّ. لقد أغويتني بفضولك البغيض رافعاً رأسي برغبة إلى ما وراء الأسرار السماوية، بما أنك جعلتني واعياً لتلك الفترة الزمنية التي لم أعرف شيئاً عنها بالفعل. إن ملاحظتك بأنني ربما احتجتُ أن أقتربَ من البشر كي أصل إلى الأسرار الأعلى، قد صعقتني وكأنها سمّ شيطاني. وبعد ذلك بوقت قصير، استدعيتُ الأخوة في الوادي وأعلنتُ لهم بأن

---

[583] "اذهب أيها الشيطان" – تعبير شعبي كان سائداً في العصور الوسطى.

[584] كان الهايبربوريانيون في المثيولوجيا الإغريقية، أحد الأعراق التي عاشت في أرض الشمس المشرقة، وراء الرياح الشمالية، ويعبدون أبولو. وفي مناسبات عديدة، أشار نيتشه للهايبربوريانيين بالأرواح الحرة، (كتاب عدو المسيح، وكتاب أفول الأصنام).

رسولاً من الله قد جاء إليّ، وطلب مني تأسيس ديرٍ مع الأخوة. لقد أعميتني بطريقة سيئة جداً.

"وعندما اعترض الأخ فيليتس، طردتُهُ بإشارة إلى نصّ الكتاب المقدّس الذي يقول أنه من غير الجيد للإنسان أن يكون وحيداً[585]. وهكذا بنينا الدير قرب نهر النيل، حيث يمكننا منه رؤية السفن العابرة.

"زرعنا حقولاً خصبة، وكان هناك الكثير مما نفعله إن ضاعت الكتب المقدسة في غياهب النسيان. لقد أصبحنا شهوانيين، وفي يوم ما، غمرني ذلك التوق لرؤية الإسكندرية مرة أخرى. فأقنعتُ نفسي بأنني أرغب بزيارة الأسقف هناك. لكنني كنتُ ثملاً جداً بالعيش على مركب، وكذلك بالحشود الكبيرة في شوارع الإسكندرية، بحيث أصبحت ضائعاً تماماً.

"وكما في حلم، ركبتُ سفينة ضخمة تتجه نحو إيطاليا. وشعرت بجشعٍ ضخم لرؤية العالم. لقد شربتُ النبيذ ورأيت أن النساء كنّ جميلات. وانغمست في الملذّات وتحوّلت إلى حيوان بشكل كامل. وعندما نزلت على شاطئ نابولي، وقف الأحمر هناك، وعرفتُ أني وقعتُ بين يدي الشرّير".

الأحمر: "اصمت أيها العجوز الغبي، لو لم أكن حاضراً، لأصبحتَ خنزيراً كاملاً. لقد تراجعتَ عندما رأيتني، ولعنتَ النساء والشراب، وعدتَ إلى الدير.

"اسمع حكايتي الآن أيها الغول اللعين: لقد وقعتُ أنا أيضاً في أشراكك، وأغوتني فنونك الوثنية. فبعد محادثتنا في ذلك الوقت، حيث أمسكتَ بي في فخ الثعلب، عبر ملاحظتك عن الرقص، أصبحتُ جدّياً جداً، ومن ثم ذهبت إلى الدير وصمتُ وصليت، وتحوّلت بالكامل.

"في حالة العمى لديّ، أردتُ أن أصححَ شعائر الكنيسة، وأدخلتُ الرقص بموافقة الأسقف.

---

[585] إشارة إلى سفر التكوين: "وقال الرَّبُّ الإلهُ: لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ". هناك إشارة واحدة إلى فيليتس في الإنجيل، في رسالة تيموناوس الثاني، الآيات 16 – 18، "وَأَمَّا الأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ الدَّنِسَةُ فَاجْتَنِبْهَا، لأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَكْثَرِ فُجُورٍ، وَكَلِمَتُهُمْ تَرْعَى كَآكِلَةٍ، الَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَفِيلِيتُسُ، اللَّذَانِ زَاغَا عَنِ الْحَقِّ، قَائِلَيْنِ: «إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ صَارَتْ» فَيَقْلِبَانِ إِيمَانَ قَوْمٍ".

"أصبحتُ رئيس دير الرهبان. وبهذا، أصبحتُ الوحيد الذي لديه الحق بالرقص أمام المذبح، كما رقص داود أمام تابوت العهد[586]. لكن شيئاً فشيئاً بدأ الأخوة يرقصون أيضاً. وبالفعل، حتى المؤمنين المتجمهرين رقصوا، ورقصت المدينة كلها في نهاية المطاف.

"لقد كان ذلك مرعباً. وبعدها لجأت إلى العزلة ورقصتُ طوال النهار حتى انهرت، لكن الرقص المجنون بدأ مجدداً في الصباح.

"سعيت إلى ذاتي من خلال التجوّل هائماً ليلاً. وبقيت في النهار بعيداً، ورقصت وحدي في الغابات والجبال المهجورة. وهكذا، وبشكل تدريجي، أتيتُ إلى إيطاليا. وبالنزول هنا في الجنوب، لم يعد لديّ الشعور الذي كنت أشعر به في الشمال. أنا أستطيع الاختلاط بالناس. استطعت في نابولي فقط، أن أجد طريقي مرة أخرى، وفيها أيضاً وجدتُ هذا العجوز المسكين، رجل الله. لقد أعطاني ظهوره القوة. واستطعت من خلاله استعادة صحتي. كنتَ قد سمعتَ كيف اكتسب الشجاعة مني، وقد وجد طريقه مجدداً أيضاً".

أمونيوس: "يجب أن أعترف بأنني لم أحقق نتائج سيئة جداً مع الأحمر، إنه نموذج مُخفف من الشيطان".

الأحمر: "يجب أن أضيف أن الراهب ليس النموذج المتعصّب، على الرغم من أن أنه أصبح لدي اشمئزاز عميق ضد الدين المسيحي برمّته، منذ تجربتي في الدير".

أنا: "صديقيَّ العزيزين، يطيب لقلبي رؤيتكما تسعدان نفسيكما معاً".

كلاهما: "لسنا سعداء أيها المستهزئ الخصم، اذهب من هنا أيها السارق الوثني".

أنا: "لكن لماذا تسافران معاً، إن لم يكن أحدكما يسعد الآخر برفقته وصداقته؟"

---

[586] في سفر أخبار الأيام 1: 15، النبي داود يرقص أمام تابوت العهد. سفر صموئيل الثاني، الإصحاح السادس 14-15: "وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب، وكان مُتنطِّقاً بِأَفودٍ من كتَّان، وأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت العهد بالهتاف وصوت البوق.

أمونيوس: ما الذي يمكننا فعله؟ حتى الشيطان ضروري، وإلا فلن يكون هناك مع المرء شخص يفرض الاحترام عند الناس".

الأحمر: "حسناً، أريد أن أصل إلى اتفاقية مع رجال الدين. وإلا فسوف أخسر زبائني".

أنا: "إذن فإن ضرورات الحياة جمعتكما معاً! وبالتالي دعونا نُقِمْ سلاماً ونصبح أصدقاء".

كلاهما: "لكن لا يمكننا أن نكون أصدقاء أبداً".

أنا: "فهمت، هناك خلل ما في النظام. ربما تريدان أن تختفيا أولاً؟ دعاني أمرّ الآن أيها الشبحان العجوزان!"

عندما رأيت الموت والوقار المريع المتراكم حوله، أصبحتُ أنا نفسي جليداً وليلاً، وانفجرتْ حياةٌ من الغضب والزخم في داخلي. بدأ عطشي لماء المعرفة العميقة المتدفق[587]، يقعقع مع كؤوس النبيذ، وسمعتُ من بعيدٍ أصوات ضحكات مخمورة، ونساء ضاحكات وضوضاء شارع، وكان هناك موسيقى راقصة، وينسكب تخبّطٌ وتهليلٌ من كل مكان. لقد تدفّق عليّ زنخ الحيوان البشري بدلاً من الريح الجنوبية العابقة برائحة الورود. سمعت أصوات بغايا فاسقات شهيّات يقهقهن، كما اقتربت أبخرة المطابخ ورائحة النبيذ وثرثرة التجمعات البشرية الغبية، على شكل سحابة. امتدّت نحوي أيدٍ حارة لزجة طريّة، وكنتُ ملتحفاً بأغطية سرير سميكة. لقد وُلِدتُ في هذه الحياة من الأسفل، وكبرتُ كما يكبر الأبطال خلال ساعات وليس خلال سنوات. وبعد أن كبرت، وجدت نفسي في الأرض الوسطى، ورأيت الفصل قد أصبح ربيعاً.

لكنني لم أعد الإنسان الذي كنت عليه، لأن كياناً غريباً قد نضجَ في داخلي. كان ذلك كيان الغابة الضاحك، وشيطان الأوراق الخضراء، وغول الغابة والمخادع الذي عاش وحده في الغابة، وكان بذاته كيان شجرة تزداد خضرة، ولم يحب شيئاً إلا الاخضرار والنمو، ولم يكن ميّالاً للناس ولا غير

[587] في المسودة المصححة: هناك كلمة "الحكمة" بدلاً من "المعرفة العميقة" (صفحة 251).

ميّال، كان مليئاً بالمزاجية والحظ، مطيعاً قوانين غير مرئيـة، ويخضرّ مـع الأشجار ويذوي معها، ليس جميلاً ولا بشعاً، وليس سـيئاً ولا جيـدا، بـل يعيش وحسب، كان عجوزا بدئياً ومع ذلك كان شابّاً بالكامل، كـان عاريـاً ومع ذلك كان مكسواً بشكل طبيعي، لم يكن إنساناً بل طبيعة، كان خوّافـاً وكوميدياً وقوياً وطفولياً وضعيفاً ويَخدَعُ ويُخدَع، كان متقلباً وسطحياً تماماً، لكنه يصل إلى الأعماق، ويصل إلى نواة العالم.

لقد تشرّبت حياة صديقيّ كليهمـا، ونمـتْ شـجرة خضـراء مـن أنقـاض المعبد. هما لم يصمدا أمام الحياة، وقد أصبح لهما عبثهما الخاص بسبب إغواء الحياة لهما. لقـد علِقـا في الوحـل، ولهـذا سمّيـا الشـخص الحـيّ شيطاناً وخائناً. لأن كلاً منهما آمن بنفسه وبطيبته بطريقته الخاصة، وفي نهاية المطاف، أصبحا غارقين في المقبرة النهائية الطبيعية للمُثُل القديمة. إن الأفضل والأكثر جمالاً مشابهٌ للأسوأ والأكثر قباحة، وينتهي يومـاً مـا بمكان هزلي في الحياة، محاطاً بثوب فاخر ومقوداً من الحمقى، ويمضـي إلى حفرة من القذارة وهو مصاب بالذعر.

بعد الشتائم يأتي الضحك، وهذا ما يحفظ الروح من الموتى.

إن المُثُل مرغوبة، إنها توجد إلى هذا الحدّ، لكـن إلى هـذا الحـدّ فقـط. ومعٍ ذلك لا يمكن أن نُنكِر وجودها المؤثر. من يـؤمن بأنـه يعـيش مُثُلـه فعلا، أو يـؤمن أن باستطاعته أن يعيشـها، يعـاني مـن أوهـام العظمـة ويتصرّف كمعتوه ينصّب نفسه كمثال. لكـن البطـل قـد سـقط. إن المُثُـل فانية وعلى المرء أن يعدّ نفسه لنهايتها: وفي الوقت نفســه، مـن الممكـن أن يكلفك الأمر حياتك. ألم ترَ أنك أنـت مـن أعطيـت المعنـى والقيمـة والقوة المؤثرة لمثالك؟ إن أصبحت ضحيّة المثال، فسوف يمكن أن ينفـتح هـذا المِثـال ويلعـب في الكرنفـال معـك ويـذهب إلى الجحـيم في أربعـاء الرماد[588]

[588] (أربعاء الرماد: هو اليوم الأول من الصوم الكبير في الكنيسة المسيحية الغربية، يتميز بخدمات التوبة - المترجمان).

إن المثال أداةٌ يمكن للمرء أن يضعها جانباً في أيّ وقت يريد، كمشعل في الدروب المظلمة. لكن يكون غبياً من يسير حاملاً المشعلَ في النهار. كمْ سقطتْ مُثُلي، وكم اخضرّتْ شجرتي من جديد!

[589]عندما تحولّتُ إلى اللون الأخضر، وقفت هناكَ أطلالُ المعابد القديمة الحزينة وحدائق الورود، وأدركتُ صلتهما الداخلية. بدا لي أنهما قد أقاما تحالفاً غير لائق. لكنني فهمتُ أن تحالفهما كان موجوداً منذ زمن طويل. في ذلك الوقت، عندما كنت لا أزال ادّعي أن مقدساتي كانت بنقاء الكريستال، وعندما قارنتُ صديقيّ بعطر ورود (فارس)[590]، شكّل كلاهما تحالفاً من الصمت المتبادل. كانا يبدوان مفترقين لكنهما يعملان معاً بشكل سرّي. لقد أبعدني صمتُ العزلة في المعبد عن البشر، وجذبني نحو الأسرار الخارقة للطبيعة التي ضعتُ فيها حتى التخمة. وبينما كنتُ أصارع الربّ، كان الشيطان يعدّ نفسه لاستقبالي وتحويلي قدر المستطاع إلى جانبه. هناك أيضاً، لم أجد حدوداً غير الشراهة والتقزز. لم أعش، بل كنت مقوداً وكنتُ عبداً لمُثُلي[591].

وهكذا وقفت الأطلال هناك، يشتبكُ أحدها مع الآخر غير قادر على التصالح مع بؤسهما المشترك. لقد أصبحتُ واحداً في داخلي ككيان طبيعي، لكنني كنتُ غولاً[592] يخيف الهائم المعتزل ويتجنّب أماكن البشر. لكنني ازددت اخضراراً وأزهرتُ من داخل ذاتي. لم أصبح مرة أخرى الإنسان الذي حملَ في داخله الصراع ما بين التوق للعالم الدنيوي والتوق للروح. لم أعش أياً من هذين التوقين، لكنني عشت ذاتي وكنت شجرة مخضرّة بمرح في غابة الربيعِ النائية. وهكذا تعلمت أن أعيش من دون العالم والروح، وكنت مندهشاً: كم كنتُ أجيد العيش بهذا الشكل!

---

[589] في المسودة والمسودة المصححة: "لقد أصبحت ضحية مقدساتي، ومتُّ تعيساً ومُحبطاً (وهكذا أتاني الموت)" (صفحة 254).

[590] يتم تقطير بتلات الورود المسحوقة من أجل صناعة زيت الورد الذي يُصنع منه العطر.

[591] في العام 1926، كتب يونغ: الانتقال من الصباح إلى المساء، هو إعادة تقييم للقيم السابقة. من هنا تأتي أهمية تقدير قيمة نقيض المُثُل السابقة وإدراك الخطأ في الحقيقة السابقة والشعور بكمية العداء والكراهية فيما اعتبرناه حباً" (اللاوعي في الحياة النفسية الطبيعية والمريضة، الأعمال الكاملة 7).

[592] في المسودة المصححة: "مخلوق أخضر" (صفحة 255).

لكن ماذا عن الناس؟ ماذا عن الجنس البشري؟ لقد وقف هناك الجسران البشريان المهجوران اللذان يؤديان إلى الجنس البشري: يوجّه الأول من الأعلى إلى الأسفل، وينزلقُ البشر عليه مستمتعين. ويوجّه الثاني من الأسفل إلى الأعلى، ويئنّ الجنس البشري بينما يصعد عليه. إنه يسبب المتاعب لهم. نحن نقود رفاقنا البشر إلى المتاعب والمتعة. إن كنتُ أنا نفسي لا أعيش، بل أتسلّق وحسب، وهذا يعطي الآخرين متعة لا يستحقونها. إن استمتعت وحسب، فهذا يسبب للآخرين متاعب لا يستحقونها. إن عشتُ وحسب، فأنا أبتعد عن البشر كثيراً. هم لم يعودوا يرونني، وعندما يرونني، يصدمون ويندهشون. أنا نفسي أعيش بهدوء وبساطة، وأخضرّ وأزهر وأذوي، وأقف مثل شجرة في النقطة ذاتها دوماً، وأترك معاناة البشر وأفراحهم تعبر فوقي بوقار. ومع ذلك، أنا الإنسان الذي لا يستطيع إبعاد نفسه عن نزاعات قلب الإنسان.

لكن يمكن لكلابي أيضاً أن تكون آلهتي التي لا يزعجني نباحها وشجارها. غير أني، على الأقل، أكون عندئذٍ كلباً سيئاً وطيباً بالنسبة للإنسان. لكنني لم أصل حتى الآن إلى ما يجب أن يكون، بمعنى أن أعيش وأبقى إنسان. يبدو لي أن العيش كإنسان مستحيل تقريباً. أنت تستطيع أن تعيش بقدر ما تكون غير مدرك لذاتك، لكن إن أصبحتَ مدركاً لذاتك، فسوف تسقط من قبر إلى آخر. من الممكن لحالات بعثك الجديد كلها[593] أن تجعلك[594] مريضاً في نهاية المطاف. لهذا تخلّى بوذا أخيراً عن إعادة الولادة، لأنه كان قد اكتفى من الزحف عبر الأشكال البشرية والحيوانية كلها[595]. أنتَ تبقى بعد

---

[593] في المسودة المصححة: "حالات إعادة بعثي" (صفحة 257).

[594] في المسودة المصححة: "أن تجعلني" (صفحة 257).

[595] يتابع في المسودة المصححة: "مثل الحرباء" صفحة (258). يوجد في المسودة إعادة صياغة لما يتبعه: إنها طبيعتنا الشبيهة بالحرباء، والتي تجبرنا من خلال تلك التحولات. منذ وقت طويل ونحن (كالحرباء)، نحتاج إلى رحلة سنوية في طريق إعادة الولادة. وبالتالي، نظرت برعب إلى فقدان صلاحية رموزي بما أنني أحببت اخضراري الطبيعي، ولم أثق بجلد الحرباء الذي يغير لونه بما يتناسب مع البيئة المحيطة. تقوم الحرباء بهذا الأمر ببراعة. ويُطلِق المرء على هذا التغيير اسم، التقدّم من خلال إعادة الولادة. وهكذا تختبر 777 إعادة ولادة. لم يحتجْ بوذا تماماً لوقت طويل ليرى،

إعادة الولادات كلها، كالأسد الذي يسير على الأرض، تبقى حرباء، شخصاً معرضاً لتغيّر الألوان، سحليّة متلألئة زاحفة، لكن بدقّة، لست أسداً ترتبط طبيعته بالشمس، ويستمدّ قوته من داخله، ولا يزحف متخذاً لحماية نفسه ألواناً تتناسب مع البيئة المحيطة، ولا يدافع عن نفسه من خلال التخفّي. لقد عرفتُ الحرباء، ولم أعد أريد أن أزحفَ على الأرض وأغيّر ألواني وأعود إلى الولادة من جديد، أردتُ بدلاً من ذلك أن أكون موجوداً من خلال قوتي الشخصية، مثل الشمس التي تعطي الضوء ولا تمتصّه. ينتمي هذا إلى الأرض. لقد استدعيتُ طبيعتي الشمسية وأرغبُ أن أُسرِعَ بالشروق. لكن الأطلال[596] تقف في طريقي. إنها تقول: "بالنسبة للإنسان، يجب أن تكون هذا أو ذاك". ينتفضُ جلدي الحربائي. تتطفّل الأطلال عليّ وتريد أن تلوّنني. لكن يجب ألّا يحصل هذا. ليس على الخير أن يكون معلمي ولا على الشرّ أيضاً. لقد أبعدتُ المخلّصَين الهزليَين جانباً، ومن ثم تابعت طريقي الذي يقودني نحو الشرق. لقد أصبحتْ القوى المتصارعة التي وقفتْ لوقت طويل بيني وبين ذاتي، خلفِي الآن.

أنا وحيد تماماً من الآن وصاعداً. لم أعد أستطيع أن أقول لك: "اسمع!" أو "عليك كذا" أو "بإمكانك أن" لكنني أتحدث الآن إلى نفسي وحسب. ليس باستطاعة أحد الآن أن يفعل أي شيء لي، مهما كان صغيراً. لم يعد لديّ أي واجب تجاهك، ولم يعد لديكم أية واجبات نحوي، بما أنني تلاشيت منك، وتلاشيت مني. لم أعد أسمع مطالباً، ولم أعد أطلب. أنا لا أتصارع معك ولا أتصالح، بل أضع الصمت بيني وبينك.

يتلاشى نداؤك في المدى، ولا تستطيع إيجاد آثار قدميّ. لقد رحلتُ عبر الريف الأخضر برفقة الرياح الغريبة التي تأتي من جهة المحيط، وأصبحت أطوف في الغابات، وألوي العشب اليانع، وأتحدثُ مع

أنه حتّى إعادة الولادة عبارة عن عبث (صفحة 275 – 276). كان هناك اعتقاد سائد بأن على الروح المرور بـ 777 حالة تناسخ (إرنيست وود، الثيوصوفية الجديدة) (صفحة 41).

[596] في المسودة، يوجد بدلاً منها عبارة: "ذرة من مثالي" (صفحة 277).

الأشجار وحيوانات الغابة البرّية، وتبين الحجارة لي الطريق. عندما أعطش ولا يأتي النبع إليّ، أذهب أنا إلى النبع. عندما أجوع ولا يصل الخبز إلي، أبحثُ عن الخبز وأتناوله أينما وجدته. لا أتزوّد بأية مساعدة ولا أحتاج أية مساعدة. إن واجهتني حاجة في أي وقت، فلا ألتفت حولي لأرى إن كان في الجوار من يساعدني، بل أقبل الحاجة وأميل وأتلوّى وأقاتل، وأضحك وأبكي وأشتم، لكنني لا أنظر حولي أبداً.

ليس هناك من أحد يسير خلفي على هذا الطريق، ولا أسير أنا على طريق أحد. أنا وحيد، لكنني أملأ عزلتي بحياتي. أنا إنسان بما يكفي، أنا صوتٌ ومحادثةٌ وراحةٌ ومساعدٌ بما يكفي لذاتي. وهكذا أهيم نحو الشرق البعيد. لا يعني هذا أنني أعرف أي شيء عما يمكن أن يكون عليه هدفي البعيد. أرى آفاق زرقاء أمامي: إنها كافية بالنسبة لي كهدف. أسرع نحو الشرق وشروقي — أريد شروقي. [Image 36][597]

[597] أسطورة الصورة: "تم تصوير هذه الصورة في ليلة عيد الميلاد في العام 1915". تصوير إزدوبار يشابه بشدة تصويراً له في كتاب فلهيلم روشر (Ausführliches Lexikon der Griechischen und Römischen Mythologie)، الذي حصل يونغ على نسخة منه. كان إزدوبار الاسم الأول الذي أُعطي لشخصية معروفة الآن باسم (جلجامش). كان هذا بناءً على خطأ في النسخ. في عام 1906 كتب (بيتر جينسن): "أصبح من المثبت الآن أن جلجامش هو بطل الملحمة وليس إزدوبار أو (جيستشوبار) كما كان يُفترض سابقاً" (Das Gilgamesch-Epos in der Weltliteratur (Strassburg: Karl Trübner, 1906], p. 2). وكان يونغ قد وصف ملحمة جلجامش في العام 1912، في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه"، مستخدماً الشكل الصحيح، واستشهد بعمل (جينسن) عدة مرات.

الفصل الثامن:

اليوم الأول[598]

لكن في الليلة الثالثة[599]، أغلقت مجموعة من الجبال المقفرة الطريقَ أمامي، ومع ذلك سمح لي وجود ممرٍ ضيق في الوادي بالدخول. يقود الطريق حكماً ما بين واجهتين صخريتَين عاليتين. إن قدميَّ عاريتان وقد أثخنتهما الصخورُ الناتئةُ بالجراح. يصبحُ الطريقُ زلقاً هنا. إن نصفَ الطريق أبيض، والنصفُ الآخرُ أسود. لقد دخلتُ إلى الجانب الأسود من الطريق وانكفأت مرتعباً: إنه حديدٌ حارّ. دخلت النصف الأبيض: إنه جليد. لكن هكذا يجب أن يكون. انطلقتُ قُدُماً، واتسع الوادي أخيراً على شكل حوض صخريّ هائل. يلتفّ الطريق الضيق صعوداً على طول الصخور الشاقولية نحو قمة الجبل.

ما إن وصلت القمة، حتى دوّى هدير صوت هائل من الجهة الأخرى للجبل، كان أشبه بمعدن يُطرق. ومن ثم تضخّم الصوت تدريجاً، وتردّد مدوّياً في الجبال. وبينما وصلت إلى الممر، رأيت رجلاً ضخماً جداً يصل من الجهة الأخرى.

---

[598] يوجد في النسخة المكتوبة بخط اليد عبارة "المغامرة السابعة، اليوم الأول" بدلاً من هذا الرمز. وفي المسودة المصححة: "7. المواجهة العظيمة. اليوم الأول. البطل من الشرق" (صفحة 262).

[598] في 8 كانون الثاني - يناير من العام 1914.

[599] في 8 كانون الثاني - يناير من العام 1914.

يرتفع قرنا ثور من رأسه الضخم، ويغطي صدره درع يُصدر صوت جلجلة، وله لحية سوداء كثّة جداً ومزخرفة بحجارة خلّابة. يحمل العملاق بيده فأساً مزدوجاً لامعاً، كتلك الذي تُستعمل لضربِ الثيران. وقبل أن أستطيع أن أشفيٍ من خوفٍ الهائل، كان العملاق يقف أمامي. نظرت إلى وجهه ورأيته باهتاً وشاحباً ومجعّداً بعمق. نظر إليّ مندهشاً بعينيه اللوزيتين وسيطرَ الخوف عليّ: إنه إزدوبار، إنه الاندماج ما بين الثور والإنسان. وقف بدوره ونظرَ إليّ: كان وجهه يعبّر عن خوف داخليّ مُستنزفٍ، وكانت يداه وركبتاه ترتعشان. إزدوبار، الثور القوي يرتعش؟ هذا مخيف؟ لكنني قلت له:

"إزدوبار، أيها الأعظم قوة، أنقذ حياتي وسامحني لأنني ظهرتُ كدودة في طريقك".

إزدوبار: "أنا لا أريد حياتك. من أين أتيت؟"

أنا: "لقد جئت من الغرب".

إزدوبار: "أتيت من الغرب؟ هل تعرف الأراضي الغربية؟ هل هذا هو الطريق الصحيح إلى الأراضي الغربية؟"[600]

أنا" "لقد جئت من الأراضي الغربية التي يغسل شاطئها البحر الغربي العظيم".

إزدوبار: "هل تغرب الشمس في ذلك البحر؟ أم إنها تلامس الأرض اليابسة في انحسارها؟"

أنا: "إنها تغرب بعيداً وراء البحر".

إزدوبار: "وراء البحر؟ ماذا يوجد هناك؟"

أنا: "ليس هناك سوى الفضاء الفارغ. إن الأرض كروية كما تعرف، والأكثر من ذلك، إنها تدور حول الشمس".

إزدوبار: "أنت شخص لعين، من أين حصلت على معلومات كهذه؟ إذن ليس هناك من أرض خالدة تغوصُ الشمس فيها لتولدَ من جديد؟ هل ما تقوله هو الحقيقة؟".

---

[600] في المثيولوجيا المصرية، الأراضي الغربية (الضفة الغربية من نهر النيل) حيث تكون أرض الموتى.

أومضت عيناه بالغضب والخوف. واقترب بخطوات هادِرة وقد ارتعشتُ خوفاً.

أنا: "إزدوبار، يا صاحب القوة الأعظم، سامحني على تعجرفي، لكنني أقول الحقيقة فعلاً. لقد جئت من أرض فيها هذا الأمر مُثبتٌ علمياً، كما يعيش الناس فيها ويسافرون حول العالَم بسفنهم. يعرف باحثونا من خلال القياسات، كم هو بعد الشمس عن كل نقطة عن سطح الأرض. إنها جرم سماوي موجود في الفضاء الخارجي البعيد الذي لا نهاية له".

إزدوبار: "هل تقول (لا نهاية له)؟ هل فضاء العالم لا نهاية له، ولا نستطيع الوصول إلى الشمس؟".

أنا: "يا صاحب القوة الأعظم، بمقدار ما أنت فانٍ، لا تستطيع الوصول إلى الشمس أبداً".

أنا أراه يقع تحت سيطرة خوف خانق.

إزدوبار: "أنا فان – وأنا لن أصل إلى الشمس أبداً، ولن أصل إلى الخلود؟"

حطّم فأسه بضربَة قويةٍ مجلجلةٍ على الصخر.

إزدوبار: "إلى الجحيم أيها السلاح البائس. لم يعد هناك فائدة منك. كيف يمكن أن يكون لك فائدة ضد اللانهاية، وضد الفراغ الأبدي، وضد غير القابل للتجديد؟ لم يبقَ أحد أمامك لتقهره. حطّم نفسك، لا قيمة لك!"

(وفي الغرب، تغطس الشمس في حضن الغيوم في لمعان قرمزي).

"ارحلي من هنا أيتها الشمس، أيتها الإلهة الملعون ثلاث مرات، ودثّري نفسك بخلودك!"

(والتقط قطعة من فأسه المحطّم من الأرض وقذفها نحو الشمس).

"هذه ضحيتكِ هنا، ضحيتك الأخيرة!"

انهار إزدوبار وبكى مثل طفل، ووقفتُ أنا مرتعشاً لا أتجرأ على القيام بحركة واحدة".

إزدوبار: "أيها الدودة البائسة، من أين رضعتَ هذا السمّ؟"

أنا: "يا صاحب القوة الأعظم، ما تسميّه سمّاً هو علم. نحن نتغذى عليه في بلادنا في فترة الشباب، وربما كان هذا أحد أسباب عدم نموّنا

الصحيح، وأننا نبقى أقزاماً. وعلى أية حال، عندما رأيتك، بدا لي وكأننا جميعاً مسمومون بطريقة ما"[601].

إزدوبار: "لم يتمكن مني أي كائن، ولم يقاوم قوتي أي مخلوق. لكن السمّ الذي وضعته في طريقي أيها الدودة التافهة، اخترقني حتى النخاع. إن سمّك السحري أقوى من جيش تُعامة"[602]. (ثم تمدّد على الأرض كما لو أنه مشلول الحركة). "ساعديني أيتها الآلهة، هنا يرقد ابنك صريعاً بسبب لدغة أفعى سامة في كعب قدمه. أوه، لو أني سحقتكَ عندما رأيتكَ، ولم أسمع منك كلمة واحدة".

أنا: "أيها العظيم المثير للشفقة، لو كنتُ أدركُ أن معرفتي ستؤذيك، لكنت أمسكت لساني. لكنني أردتُ قول الحقيقة وحسب".

إزدوبار: "أتسمّي السمّ حقيقة؟ هل السمّ حقيقة؟ أم أن الحقيقة سمّ؟ ألم يَقلْ منجمونا وقساوستنا الحقيقة؟ ومع ذلك لم يكن تأثير حقيقتهم كتأثير السمّ".

أنا: "يا إزدوبار، سيهبط الليل وسيكون الجو بارداً هنا في الأعلى. هلا جلبتُ لك بعض المساعدة من البشر؟"

إزدوبار: "دع هذا الأمر وأجبني بدلاً من ذلك".

أنا: "لكن لا يمكننا القيام بجدال فلسفي هنا، من بين كل الأماكن. إن وضعكَ التعيس يتطلّب مساعدة".

إزدوبار: "أقول لك دع هذا الأمر. إن كان يُفترض أن أهلك هذه الليلة، فليكن ذلك. اعطني جواباً وحسب".

أنا: "أنا خائف، كلماتي ضعيفة وتأثيرها الشافي ضعيف".

إزدوبار: "لا يمكنها القيام بشيء أكثر من إرسالي إلى القبر. لقد وقعت الكارثة سلفاً. لذلك قل لي ما تعرف. ربما يكون لديك أيضاً كلمة سحرية يمكنها تعطيل مفعول السمّ".

---

[601] في كتاب "العلم المرح"، ناقش نيتشه أن التفكير نشأ من خلال الزراعة، جامعاً عدة دوافع كان لها تأثير السموم: دافع الشك، والإلغاء، والانتظار، والجمع، والانحلال ("عن عقيدة التسمم"، والتر كوفمان، نيويورك: 1974، الكتاب الثالث، الفصل 113).

[602] في المثيولوجيا البابلية، تعامة، أم الآلهة، شنت حرباً بجيش من الشياطين.

أنا: "كلماتي، يا صاحب القوة الأعظم، بسيطة وليس لديها قوة سحرية".

إزدوبار: "ما من مشكلة، تكلم!"

أنا: "ما من شكّ بأن قساوستك يقولون الحقيقة. إنها الحقيقة بالتأكيد، لكنها تسير بعكس حقيقتنا وحسب".

إزدوبار: "هل هناك نوعان من الحقيقة إذن؟"

أنا: "يبدو الأمر هكذا بالنسبة لي. إن حقيقتنا هي تلك التي تأتي إلينا من معرفة الأمور الخارجية. بينما حقيقة قساوستك هي ما يأتي من الأمور الداخلية".

إزدوبار (نصف منتصب): "كانت تلك كلمة مفيدة".

أنا: "أنا محظوظ لأن كلمتي الضعيفة قد خففت عنك. ليتني أعرفُ شيئاً آخر يمكنه مساعدتك. لقد أصبح الجو بارداً ومظلماً. سأشعل ناراً لتدفئنا".

إزدوبار: "افعل ذلك، لربما يساعد". (جمعت بعض الحطب وأشعلت ناراً كبيرة). "تمنحني النار المقدّسة دفئاً. والآن أخبرني، كيف صنعتَ هذه النار بتلك السهولة والغموض؟"

أنا: "كل ما أحتاجه هو عود ثقاب. انظر، إنها قطعة خشب صغيرة مع مادة معيّنة على الرأس. تشتعل النار من خلال حكّها على العلبة".

إزدوبار: "هذا مذهل، أين تعلّمت هذا الفن؟"

أنا: "لدى الجيمع عيدان ثقاب في المكان الذي أتيتُ منه. لكن هذه هي نهايته. يمكننا الطيران أيضاً بمساعدة آلات مفيدة".

إزدوبار: "يمكنك الطيران مثل الطيور؟ لو لم تحتوِ كلماتك سحراً قوياً كهذا، كنت سأقول إنك تكذب".

أنا: "أنا لا أكذب بالتأكيد. انظر، لدي ساعة أيضاً، وهي تحدد لك زمناً محدداً من اليوم".

إزدوبار: "هذا رائع. من الواضح أنك أتيت من أرض غريبة ومدهشة. لقد أتيتَ بالتأكيد من الأراضي الغربية السعيدة. هل أنت خالد؟"

أنا: "أنا — خالد؟ ليس هناك من شيء فانٍ أكثر منا".

إزدوبار: "ماذا؟ أنت لست خالداً، ومع ذلك تفهم فنوناً كهذه؟"
أنا: "لسوء الحظ، حتى الآن، لم تنجح علومنا بإيجاد طريقة تعارض الموت".
إزدوبار: "من علّمك إذن هذه الفنون؟"
أنا: "قام الإنسان خلال القرون الماضية بالكثير من الاكتشافات، من خلال المراقبة المتقنة، وعلوم الأشياء الخارجية".
إزدوبار: "لكن هذا العلم عبارة عن سحر شنيع، وقد شلّني. كيف يمكن لك أن تبقى على قيد الحياة على الرغم من أنك تشربُ من هذا السمّ يومياً؟"
أنا: "أصبحنا معتادين على هذا مع الوقت، لأن البشر يعتادون على كل شيء. لكننا لا نزال مشلولين بطريقة ما. ومن جهة أخرى، لهذا العلم ميزات عظيمة كما رأيت. ما فقدناه من القوة، أعدنا اكتشافه عدة مرات عبر السيطرة على قوة الطبيعة".
إزدوبار: "أليس مثيراً للشفقة أن تكون جريحاً؟ من جهتي، أنا أحصل على قوتي الخاصة من قوة الطبيعة. لقد تركت القوة السريّة للمشعوزين الجبناء والسحرة المخنثين. إن حطّمت جمجمة شخص آخر بشكل كامل، فهذا سوف يبطل سحره الشنيع".
أنا: "لكن ألم ترَ كيف كان تأثير سحرنا عليك؟ كان مريعاً كما أظن".
إزدوبار: "أنت محقّ لسوء الحظ".
أنا: "ربما ترى الآن أنه لم يكن لدينا خيار. كان علينا ابتلاع سمّ العلم. وإلا كنا سنلاقي مصيرك ذاته: كنا سنصبح مشلولين بالكامل، إن واجهناه غافلين وغير مستعدين. هذا السمّ قوي بشكل كبير، بحيث أن كل شخص، وحتى الأقوياء، وحتى الآلهة الخالدة، تهلك بسببه. إن كانت حياتنا عزيزة علينا، نفضّل التضحية بجزء من قوة حياتنا بدل أن نتركَ ذواتنا للموت المحتّم".
إزدوبار: "أنا لم أعد أعتقد بأنك أتيت من الأراضي الغربية السعيدة. لا بدّ أن وطنك فاسد، مليء بالشلل والنكران. أنا أتوق إلى الشرق، حيث تتدفق المنابع التي تمنحُ الحياة".

جلسنا بصمت قرب النار المشتعلة. كان الليل بارداً وكان إزدوبار يحدّق في السماء المليئة بالنجوم ممتعضاً.

إزدوبار: "هذا أشدّ الأيام رعباً في حياتي، إنه يوم طويل جداً ولا ينتهي، وهذا الفن السحريّ التعيس الذي لا يعرفُ قساوستنا عنه شيئاً، وإلا لكانوا أمّنوا الحماية لي منه. تقول أنت: حتى الآلهة تموت. ألم يعد لديكم آلهة؟"

أنا: "لا، الكلمات هي كل ما لدينا".

إزدوبار: "لكن هل هذه الكلمات قوية؟"

أنا: "هكذا تدّعي، لكن لا يرى المرء شيئاً من هذا".

إزدوبار: "لم نرى أياً من الآلهة، ومع ذلك نؤمن أنها موجودة. لقد رأينا أعمالها في أحداث طبيعية".

أنا: "لقد سَلَبَنا العلمُ القدرةَ على الإيمان"[603].

إزدوبار: "ماذا، هل فقدتم ذلك أيضاً؟ كيف تعيشون إذن؟"

أنا: "نحن نعيش هكذا، قدمٌ في البرد والأخرى في الحرّ، وبالنسبة لما تبقى، ليحدث ما يحدث!"

إزدوبار: "أنت تعبّر عن نفسك بشكل مُبهم".

أنا: "الأمر نفسه بالنسبة لنا، إنه مُبهم".

إزدوبار: "هل تستطيع احتمال هذا؟"

أنا: "ليس بشكل جيد. أنا شخصياً، لا أجد نفسي مرتاحاً مع هذا الأمر. ولهذا السبب انطلقت نحو الشرق، إلى أرض شروق الشمس، كي أبحثَ عن الضوء الذي نفتقده. من أين تشرق الشمس؟"

إزدوبار: "الأرض كروية تماماً كما تقول أنت. ولهذا لا تشرق الشمس من أي مكان".

أنا: "أعني، هل لديكم الضوء الذي نفتقده؟"

---

[603] كانت مسألة العلاقة بين العلم والإيمان، مسألة إشكالية في كتابه: "سيكولوجيا الدين" الصادر عام 1938، (الأعمال الكاملة 11).

إزدوبار: "انظر إليّ: لقد ترعرعت أنا في ضياء العالم الشرقي. تستطيع من هنا قياس خصوبة هذا الضياء. لكن إن جئتَ من تلك الأرض المظلمة، فكن حذراً من ضوء غامر كهذا. من الممكن أن تصبح أعمى، تماماً كما نحن عميان بطريقة ما".

أنا: "إن كان ضوءكم خيالياً مثلك، فعندها سأكون حذراً".

إزدوبار: "حسناً تفعل".

أنا: "أتوق إلى حقيقتك".

إزدوبار: "أنا أحذّرك بمقدار توقي إلى الأراضي الغربية".

يسود الصمت. كان الوقت متأخراً ليلاً. وقد غفونا قرب النار المشتعلة.

مشيت نحو الجنوب ووجدت حرارة لا يمكن احتمالها لعزلتي مع ذاتي. مشيت نحو الشمال ووجدت الموت البارد الذي يموت العالم بسببه. تراجعت نحو أرضي الغربية، حيث البشر أغنياء بالعمل والمعرفة، وبدأتُ أعاني من الظلام الفارغ للشمس. تخلصّت من كل شيء لديّ واتجهت نحو الشرق، حيث يظهر الضوء يومياً. ذهبت إلى الشرق مثل طفل. لم أطرح أي سؤال، وإنما انتظرت ببساطة.

غمرت دربي مروجٌ مُزهرة بهيجة، وغابات الربيع الجميلة. لكن في الليلة الثالثة، جاء الثقل. لقد وقفَ أمامي كسلسلة من الجروف الصخرية المليئة بالعزلة الحزينة، وحاول كل شيء أمامي، أن يردعني عن متابعة طريق حياتي. لكنني وجدتُ المدخل والطريق الضيّق. كان العذاب عظيماً، بما أنه لم يكن من أجل لا شيء، لكن لأني دفعت هذين الاثنين الفاجرين الفاسقين بعيداً عني لسبب وجيه. أنا من دون شكّ، أمتصّ ما أرفضهُ دون أن أنتبه. ويدخل ما أقبله إلى الجزء الذي لا أعرفه من روحي، أنا أقبل ما أفعله لنفسي، لكنني أرفض ما يتم فعله لي.

وهكذا قادني طريق حياتي خلف المتناقضات المرفوضة والمتحدة في جانبي الطريق الذي يمتدّ أمامي. لقد مشيت عليهما لكنهما أحرقا أخمصي قدميّ وجمداهما، وهكذا، وصلت إلى الجانب الآخر. لكن سمّ

الأفعى، التي سحقتَ رأسها، دخل إليك عبر جرح في كعب قدمك، وبهذا أصبحت الأفعى أكثر خطورة مما كانت عليه. وبما أن كل شيء أرفضهُ يكون على الرغم من ذلك في طبيعتي، فقد اعتقدتُ أنه كان في الخارجِ وأنني أستطيع تدميره. لكنه يسكنُ في داخلي وقد اتخذَ شكلا خارجياً عابراً وأتى نحوي. لقد دمّرت شكله وآمنتُ أنني كنت منتصراً، لكنني لم أتغلب على نفسي حتى الآن.

إن الخصمِ الخارجي هو صورة لخصمي الداخلي. وعندما أدركُ هذا، أبقى صامتاً وأفكر بهوّة الخلاف داخل روحي. من السهل أن أتغلّب على الخصوم الخارجيين، إنهم موجودون بالتأكيد، لكن على الرغم من ذلك، تستطيع أن تبقى متحداً مع ذاتك. سوف يحرقون كعبي قدميك ويجمدونهما، لكن كعبيك فقط. إنه مؤلم لكنك تستطيع أن تتابع وتنظر نحو الأهداف البعيدة.

لكن عندما صعدتُ إلى أعلى نقطة وأراد أملي أن يتطلّع إلى الشرق، حدثت معجزة: بينما كنت أسير باتجاه الشرق، أسرع شخص من الشرق نحوي وناضل للوصول إلى الضوء المشرف على الغرق. أردتُ الضوء وأرادَ الليل. أردتُ الصعود وأراد الغرق. كنت محجّماً كطفل بينما كان ضخماً كبطل قوي. لقد أقعدتني المعرفة بينما كان مُصاباً بالعمى بسبب الامتلاء بالضوء. وهكذا أسرع أحدنا باتجاه الآخر، هو قادم من جهة الضوء وأنا قادم من جهة الظلمة، هو قوي وأنا ضعيف، هو الأعلى وأنا الأفعى، هو القديم وأنا الجديد تماماً، هو الجاهل وأنا العارف، هو الأسطوري وأنا العاقل، هو الشجاع القوي وأنا الجبان الماكر. لكننا كنّا مندهشَين لرؤية أحدنا الآخرِ على الحدود ما بين الصباح والمساء.

كنت طفلاً وكبرتُ مثل شجرة تزدادُ خضرةً، وتركتُ الرياحِ وصيحاتِ المتناقضاتِ وجلبتها، تهبّ بهدوء عبر أغصاني، كنت صبيا أسخرُ من الأبطال الساقطين، وكنت شاباً أُبعِد عني قبضاتهم المُطبقة يميناً وشمالاً، لذلك لم أترقّب مجيء الخالد والأعمى القوي الذي كان هائماً بتوق

للوصول إلى الشمس المشرفة على الغروب، والذي أراد شقّ المحيط إلى القاع بحيث يستطيع النزول إلى منابع الحياة. ذلك الذي يُسرع نحو الصعود صغير جداً، وذلك الذي يريد الهبوط عظيم. إذن، فقد كنتُ صغيراً لأنني ببساطة، أتيتُ من أعماق هبوطي. لقد كنتُ في المكان الذي تاق للوصول إليه. عظيمٌ هو من يهبط، وكان من السهل عليه أن يسحقني. إن المخلّص الذي يبدو مثل الشمس لا يطاردُ الدود. لكن الدودة تطمحُ كي تصل إلى كعبِ القوي، لتعدّه من أجل الهبوط الذي يحتاج إليه. إن قوته عظيمة وعمياء، والنظر إليه رائع ومرعب. لكن الأفعى تجد المكان المناسب، وبالقليل من السمّ فقط، يسقطُ العظيم. إن كلمات المرء الذي يصعد ليس لها أي صوت، كما أن مذاقها مرّ. إنه ليس سمّاً حلو المذاق بل هو سمّ قاتل للآلهة كلها.

وا حسرتاه، إنه صديقي الأعزّ والأجمل، هو من يندفع ويقتفي أثر الشمس، ويريد أن يوحّد نفسه مع الأم اللامتناهية، كما تفعل الشمس. كم الشبه قريب، وكم يكون المرء أفعى ومُخلّصاً بالفعل! لقد أصبحت الكلمة التي كانت مخلّصنا، سلاحاً فتاكاً، لقد أصبحت الأفعى التي تلدغ خلسة.

لم يعد الخصوم الخارجيون يقفون في طريقي، لكن خصمي الخاص يتّجه إلي ويرتفع بعظمة أمامي، ويقفُ كلٌ منا في طريقِ الآخر. لقد أحبطت كلمة الأفعى الخطر بالتأكيد، لكن طريقي بقي محظوراً بما أنه كان عليّ أن أسقط من حالة الشلل إلى حالة العمى، تماماً كما سقط العملاق القوي في الشلل ليهرب من العمى. لا يمكنني أن أصل إلى القوة العمياء للشمس، تماماً كما لا يمكن للعملاق القوي أن يصل إلى روح الظلام المثمر أبداً. بدا أنني أفتقر إلى القوة بينما كان هو محروماً من إعادة الولادة، لكنني هربت من العمى الذي يأتي مع القوة، وهرب هو من الفراغ الذي يأتي مع الموت. تحطّم أملي بأن أمتلئ بالضوء، تماماً كما تحطّم توقه إلى الحياة اللامحدودة. لقد صرعتُ الأقوى، ونزل المخلّص إلى الحالة البشرية.

سقط الشديد البأس، وهو ممدّد على الأرض[604].
يجب أن تهدأ القوة من أجل الحياة.
يجب تصغير محيط حياتنا الخارجية.
مزيد من السرّية، نيران العزلة والنار، والكهوف والغابات البرية المظلمة، المستوطنات قليلة السكان، التيارات المتدفقة بهدوء، ليالي الصيف والشتاء الصامتة، السفن والعربات الصغيرة، والنادر والنفيس موجود في أمان المنزل.
يسير الهائمون من البعيد على طول الطرقات المعزولة، وينظرون هنا وهناك.
يصبح الإسراع مستحيلاً، وينضج الصبر.
يسقط ضجيج أيام العالم في الصمت، وتتّقد النار الحارقة في الداخل.
نجلس قرب النار، وتنتحبُ بهدوء ظلال أولئك الذين ذهبوا سابقاً، وتقدّمُ الأخبار عن الماضي.
تعالوا أيها العميان المشلولون إلى النار المعزولة، واسمعوا عن نموذجيّ الحقيقة كليهما: الأعمى سيصبح مشلولاً، والمشلول سيصبح أعمى، ومع ذلك، تدفئ النار المشتركة كليهما في الليلة الطويلة.
تتقد نار قديمة سرّية بيننا، مانحة ضوءاً إضافياً ودفئاً غامراً.
سوف تشتعل النارُ البدائية التي تقهر كل ضرورة من جديد، بما أن ليل العالم رحب وبارد، والحاجة عظيمة.
النار المحمية جيداً، تجمع معاً أولئك القادمين من البعيد وأولئك الذين يشعرون بالبرد، أولئك الذين لا يرى أحدهم الآخر ولا يستطيع أحدهما الوصول للآخر، وهي تُخضِع المعاناة وتمزّق الحاجة.
الكلمات الملفوظة حول النار مُبهمة وعميقة، وتُظهرُ الطريق الصحيح للحياة.

[604] يتابع في المسودة: "هذا ما رأيته في الحلم" (صفحة 295).

يجب أن يصبح الأعمى مشلولاً، بحيث لا يسقط في الهاوية، ويجب أن يصبح المشلول أعمى، بحيث لا ينظر إلى أشياء بعيدة عن مناله بتوق وازدراء.

ربما يصبح كلاهما مدركاً لعجزه العميق بحيث يحترمان النار المقدّسة من جديد، فضلاً عن الظلال الجالسة إلى النار المستعرة، والكلمات التي تطوّق اللهب.

سمّى الأسلاف الكلمة المُنقِذة، (اللوغوس)، تعبيراً عن المنطق السماوي[605]. لقد كان هناك الكثير من اللا منطق في الإنسان بحيث احتاج إلى المنطق ليتم إنقاذه. إن انتظر المرء لمدة طويلة، فسوف يرى كيف تغيّرت الآلهة إلى أفاعٍ وإلى تنانين العالم السفلي في نهاية الأمر. وهذا هو مصير اللوغوس أيضاً: إنه يسمّمنا جميعاً في النهاية. ومع الوقت، أصبحنا جميعاً مسمومين، لكننا، ودون أن ندري، حافظنا على صاحب القوة الأعظم، والمتجول الأبدي فينا، بعيداً عن السمّ. لقد نشرنا السمّ والشلل حولنا لأننا نريد أن نُقنع العالم كله من حولنا بالمنطق.

لدى البعض منطق بالتفكير، ولدى البعض الآخر منطق بالشعور. كلاهما خدمُ اللوغوس، وأصبحا في السرّ عبيد الأفعى[606].

يمكنك أن تُخضعَ ذاتك وأن توثِقَ نفسك بالحديد، وأن تسوط نفسك بشكل دموي يومياً: لقد سحقتَ نفسك لكنك لم تتغلّب عليها. من خلال ذلك تحديداً، تكون قد ساعدتَ صاحب القوة الأعظم فيك، وعزّزت شللك ورفعت من مستوى العمى لديك. هو يرغب بأن يرى ذلك في الآخرين، ويريد أن يصيبه به، ويرغب بأن يفرضَ اللوغوس عليك وعلى الآخرين بلهفة واستبداد، مع التعنت الأعمى والعناد الأحمق. امنحه مذاق اللوغوس. إنه خائف، وهو يرتعش سلفاً من بعيد، بما أنه يشكّ

---

[605] انظر الفصل الرابع من الكتاب الثاني (صور الضلال).

[606] في كتاب "النماذج السيكولوجية" (1921)، اعتبر يونغ أن التفكير والشعور وظيفتان عقلانيتان (الأعمال الكاملة 6).

بأنه أصبح فاقد الصلاحية، وأن تلك القطرة الصغيرة من سمّ اللوغوس سوف تشلّه. لكن لأنه أخوك المحبوب الجميل، فسوف تتصرف باستعباد معه، وسترغب بالحفاظ عليه كما لم تفعل مع أي شخص من رفاقك البشر. إنك لم توفّر وسيلة مبهجة وقوية لإطلاق السهم المسموم على رفاقك البشر. إن الحيوان المشلول ليس طريدة تستحق العناء. إن الصياد القوي الذي يصارع الثور ويطرحه أرضاً ويمزّق الأسد إلى أشلاء ويضرب جيش تعامة، هو هدف قوسك الذي يستحقّ العناء[607].

إن عشتَ كما أنت بحقيقتك، سيأتي مندفعاً خلفك بشكل طائش، ولا يمكن أن تُخطئ إصابته. سيكون عنيفاً معك ويفرض عليك العبودية، إذا لم تتذكّر سلاحك المريع الذي استخدمته دوماً لصالحه ضدّ ذاتك. ستكون ماكراً ومرعباً وبارداً، إن تركتَ الجميل والأكثر محبّة بالنسبة إليك، يسقط. لكن ليس عليك أن تقتله، حتى وإن كان يعاني ويتألم بعذاب لا يُحتمل. أوثقْ (سيباستيان) المقدّس إلى شجرة، وأطلقْ السهم تلو الآخر ببطء وعقلانية، على جسده المرتعش[608]. عندما تقوم بهذا، ذكّر نفسك بأن كل سهم تُطلقه عليه، يحمي شخصاً من أخوتك المشلولين الأقزام. ربما تطلق العديد من السهام. لكن هناك سوء فهم يحدث في حالات كثيرة، ويتعذّر استئصاله تقريباً: يريدُ البشرُ دوماً أن يدمّروا الجزء الخارجي الجميل والأكثر محبّة من ذواتهم، لكن ليس داخل ذواتهم.

هو الجميل والمحبوب قد أتى إلي من الشرق، وتماماً من المكان الذي كنت أسعى للوصول إليه. وقد رأيتُ قوته وعظمته بشكل ساحر، وأدركتُ أنه كان يكافح من أجل ما كنتُ قد تخليتُ عنه، وأعني، اعتراضاتي

---

[607] يتابع في المسودة: "مثل داود، ربما تقتل جالوت، بمقلاع ماكر ووقح" (صفحة 299). في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" (الأعمال الكاملة B)، ناقش يونغ أسطورة الخلق البابلية، التي تصارع فيها مردوخ، إله الربيع، مع تعامة وجيشها، قتل مردوخ تعامة وخلق العالم منها. وهكذا اتفق "الصياد شديد البأس" مع مردوخ.

[608] كان القديس سيباستيان شهيداً مسيحياً اضطهده الرومان، وكان قد عاش في القرن الثالث الميلادي. وغالباً ما يتم تصويره مربوطاً إلى شجرة وتُطلَق عليه السهام. وأول تمثيل له كان في (كاتدرائية سانت أبولينير نوفا في رافينا).

البشرية الكثيرة المظلمة. لقد أدركت الجهل والعمى لكفاحه الذي يعمل ضد رغبتي، وفتحتُ عينيه وأصبتُ بلدغةٍ سامّةٍ، أطرافه بالشلل. وتمدد باكياً مثل طفل، أصبح كالطفل الذي كان عليه، الطفل البدائي الذي نما وكان بحاجة إلى اللوغوس الإنساني. وهكذا تمدد مخلّصي الأعمى أمامي عاجزاً مشلولاً ونصف مُبصر. وسيطرت الشفقةُ عليّ، بما أنه كان واضحاً بالنسبة لي أنه ليس عليّ أن أتركه يموت، هو من وصل إليّ من الشروق، من ذلك المكان الذي يمكنه أن يكون به بحالة جيدة، لكنه المكان الذي لا يمكنني أن أصل إليه. ما كنتُ أسعى إليه، أصبحتُ أمتلكه الآن. لا يمكن للشرق أن يعطيني أي شيء سوى هذا المريض المنهار.

أنت تحتاج لاجتياز نصف الطريق وحسب، وسوف يتولّى هو النصف الآخر منه. إن تجاوزته فسوف يصيبك العمى، وإن تجاوزكَ فسوف يصيبه الشلل. ولذلك، وبما أن أسلوب الآلهة هو تجاوز الفانين، فهم يصبحون مشلولين وعاجزين كالأطفال. يجب أن تُحفظ الألوهية والإنسانية إن كان الإنسان سيبقى أمام الإله، وسيبقى الإله أمام الإنسان. إن الشعلة الملتهبة العالية هي الطريق الأوسط الذي يمتدّ ساطعاً ما بين البشري والإلهي.

إن القوة البدائية عمياء بما أن وجهها أصبح إنسانياً. إن الإنسان هو وجه الألوهة. إن اقترب المخلّص منك فاطلب الإبقاء على حياتك بما أن المخلّص هو الرعب المحبّ. قال الأسلاف: مُريع هو الوقوع بين يدي المخلّص الحي[609]. قالوا هذا لأنهم يعرفون، بما أنهم كانوا لا يزالون قريبين من الغابة القديمة، وتحولوا إلى الاخضرار مثل الأشجار بطريقة طفولية، وارتقوا بعيداً نحو الشرق.

وهكذا وقعوا بين يدي المخلّص الحي. تعلموا الركوع والانبطاح ووجوههم للأسفل، تعلّموا توسّل الرحمة والعيش بخوف مذّل وهم ممتنّون لكن من رآه، من رأى صاحب الجمال المخيف بعينيه المخمليتين

---

[609] يشير هذا إلى رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين 10: 31: "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ! ".

السوداوين ورموشه الطويلة – العينين اللتين لا تريان بل تنظـران بمحبـة وخوف وحسب – يكون قد تعلّم الصراخ والتأوه، بحيـث يسـتطيع علـى الأقل أن يصل إلى أذن الألوهية. لا يمكن أن توقفَ المخلّـص إلا بصـرخة رعبك. عندها ترى أنه يرتعشُ أيضاً، بما أنه يقف متحدياً وجهه ونظرته المراقبة فيك، ويشعر بقوة مجهولة. المخلّص خائف من الإنسان.

إن كـان المخلّـص مشـلولاً، فعلـيّ أن أقـف إلى جانبـه، بمـا أنـني لا أستطيع أن أتخلّى عن الحبّ الكبير. أشعر أنه ...... أخي، الذي التزم بالضوء وكبر فيه، بينما كنت في الظلمة وغذّيت نفسي بالسمّ. من الجيـد أن تعرف أشياء كهذه: إن كنت مُحاطاً بالليل، فإن أخانا يقف في امتلاء الضوء، ويقوم بأعماله العظيمة ممزقاً الأسد وقـاتلاً التـنين. يسـدد قوسـه ضد أهداف أكثر بعداً، حتى يدرك أن الشـمس تتجـول عاليـاً في السـماء ويريد الإمساك بها. لكنه عندما يكتشفُ طريدته الثمينة، يستيقظُ توقـك للضوء أيضاً. تتجاهلُ قيـودك وتجرجـر نفسـك إلى مكـان سـطوع الضـوء. وبهذا يندفع أحدكما نحو الآخر. هو آمن بأنه يستطيع ببساطة الإمسـاك بالشمس ومواجـهة دودة الظلال. واعتقدتَ أنت بأنك تستطيع أن تشـرب من منابع الضوء في الشرق، وأن تقبض على العمـلاق ذي القـرون، الـذي ركعتَ أمامه على ركبتيك. إن جوهرهُ عبارةٌ عن تـوق مُفـرِط أعمـى وقـوة شديدة. وجوهري هو رؤية الحدود وعجز الذكاء. إن لديه وفرة مما أفتقد. وهكذا أيضاً، لن أترك الإله الثور يرحل، الإله الذي جرح ورك يعقوب، والذي أصبته الآن بالشلل[610]. لقد أردتُ أن أحوّلَ قوته إلي.

لذا، من الحكمة أن أبقي على المعاناة الشـديدة، بحيـث تسـتمرّ قوتـه لمساندتي. نحن لا نفتقد شيئاً أكثر من القوة الإلهية. نحن نقول: "نعـم،

---

[610] يشير هذا إلى صراع يعقوب مع الملاك في سفر التكوين 32: 24-29: "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ انْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَاى انَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «اطْلِقْنِ لانَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: "لا اطْلِقُكَ انْ لَمْ تُبَارِكْنِي". فَسَالَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ اسْرَائِيلَ لانَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ». وَسَالَهُ يَعْقُوبُ: «اخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْالُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ.

بالتأكيد، هكذا يجب أن تكون، أو يمكن أن تكون. يجب أن نصل إلى هذا أو ذاك". نحن نقول هذا ونقف هكذا، وننظر حولنا بإحراج، لنرى ما إن كان شيئاً ما سيحدث بطريقة ما. ويجب أن يحدث شيء ما، فننظر ونقول: "نعم، بالتأكيد، نحن نفهم، إنه هذا أو ذاك، أو إنه مشابه لهذا أو ذاك". وهكذا نتكلم ونقف وننظر حولنا لنرى حدوث شيء ما بطريقة ما. يحدث شيء ما دائماً، لكننا لا نحدث بما أن مُخلّصنا مريض. لقد رأيناه ميتاً ولديه نظرة عظاءة (البازيليسك)[611] الحاقدة على وجهه، وفهمنا أنه ميت. علينا أن نفكّر بطريقة لشفائه. ومع ذلك، أشعر مرة أخرى، أنه من الواضح تماماً أن حياتي قد انقسمت، وأنني فشلت في شفاء مخلِّصي. وبالتالي، والتزمتُ به بليلة طويلة باردة.

الفصل التاسع:

اليوم الثاني

لم يمنحني أي حلم الكلمة المُنقذة[612]. يستلقي إزدوبار صامتاً ومتصلّباً طوال الليل وحتى الفجر[613]. مشيت الهوينى على حافة الجبل متأملاً، ونظرت خلفي إلى الأراضي الغربية حيث كان هناك الكثير من المعرفة، وإمكانية كبيرة للمساعدة. لقد أحببتُ إزدوبار ولم أرغبْ بأن يمضي بتعاسة. لكن من أين ستأتي المساعدة؟ لن يسير أحد على الطريق الساخن البارد؟ وأنا خائف من العودة إلى الطريق. وفي الشرق؟ هل هناك من مساعدة ممكنة؟ لكن ماذا عن المخاطر غير المعروفة التي تلوح هناك؟ أنا لا أريد أن أصبح أعمى، وما الفائدة التي سيحصل عليها إزدوبار؟ كما أنني لا أستطيع أن أحمل هذا المُقعد إن كنت شخصاً أعمى. وكنتُ سأفعل ذلك، لو كنتُ قوياً مثله. لكن ما فائدة العلم هنا؟

وعند المساء تقريباً، ذهبتُ إلى إزدوبار وقلت له: "اسمع يا أميري إزدوبار! لن أدعك تمضي. أصبحنا الآن في الليلة الثانية، وليس لدينا طعام، ولا بدّ أن نموت

[612] يوجد في المسودة المكتوبة بخط اليد بدلاً من هذه العبارة: "لقد نمتُ لبعض الوقت، وأزعجتني أحلام غير واضحة أكثر مما حثّته بداخلي كلمة الافتداء" (صفحة 686).

[613] في 9 كانون الثاني – يناير 1914.

هنا إن لم أجدْ مساعدة. لا يمكننا أن نتوقّع أي مساعدة من الغرب، لكنها ممكنة في الشرق. هل قابلتَ أي شخص في طريقك يمكننا أن نطلب المساعدة منه؟"

إزدوبار: "ليكن ذلك، عسى أن يأتي الموت عندما يشاء".

أنا: "إن قلبي يدمي من فكرة أن أتركك هنا دون أن أقوم بأقصى ما في وسعي لمساعدتك".

إزدوبار: "بماذا ساعدتكَ قوتك السحرية؟ لو كنت قوياً مثلي لكان باستطاعتك أن تحملني. لكن سمّك يمكنه أن يدمّر ولا يمكنه أن يساعد".

أنا: "لو كنّا في موطني، لتمكّنت العربات السريعة من إحضار المساعدة لنا".

إزدوبار: "لو كنّا في موطني، لما وصلت شوكتك السامّة لي".

أنا: "أخبرني، ألا تعرف أية طريقة للمساعدة من الجانب الشرقي؟"

إزدوبار: "إن الطريق إلى هناك طريقٌ واحد وطويل، وعندما تصل إلى السهول، وبعد أن تجتاز الجبال، سوف تقابل الشمس القوية التي تعمي بصرك".

أنا: "لكن ماذا يحدث إن ذهبتُ ليلاً واحتميتُ من الشمس خلال النهار؟"

إزدوبار: "أثناء الليل تخرج جميع الأفاعي والتنانين من جحورها، وأنتَ لست مسلّحاً، وستقع ضحيّة لها بشكل حتمي. ليحدث ما يحدث! كيف لهذا أن يساعد؟ إن ساقيّ مُصابتان بالخدر ومشلولتان. أنا أفضّل أن لا أعود إلى البيت بغنائم هذه الرحلة".

إنا: "ألا يجب أن أخاطر بكل شيء؟"

إزدوبار: "لا فائدة من ذلك! لن نكسب شيئاً من موتك".

أنا: "دعني أفكر بالأمر قليلاً، ربما تخطر ببالي فكرة مفيدة".

انسحبت من مكاني وجلست على صخرة عالية على حافة الجبل. وبدأ هذا الحوار بداخلي: إزدوبار العظيم، أنت يائس وأنا لستُ أقلّ يأساً منك[614]. ما الذي يمكن القيام به؟ ليس من الضروري دائماً أن نقوم بفعل ما، أحياناً يكون التفكير أفضل. أنا مُقتنع أساساً بأن إزدوبار ليس واقعياً بالمعنى العادي بل هو أخيولة وحسب. سيكون أفضل لو نظرت إلى الحالة

[614] يتابع في المسودة: "وهكذا تكلم صوت آخر بداخلي، وكأنه صدى" (صفحة 309).

من زاوية أخرى... فكرت... فكرت ... من المُلفت للنظر أن صدى الأفكار يتردد حتى هنا. لا بدّ أن على المرء أن يكون وحيداً تماماً. لكن هذا لن يدوم. هو لن يقبل بالطبع أنه أخيولة، بل يدّعي بأنه حقيقي تماماً، وأن مساعدته يمكن أن تحصل بطريقة حقيقية فقط: ومع ذلك، سيكون من المفيد اختبار هذه الوسائل مرة. سوف أناشده:

أنا: "اسمع يا أميري العظيم: خطرت بذهني فكرة من الممكن أن تساعدنا. أنا أعتقد بأنك لست حقيقياً أبداً، بل أنت مجرّد أخيولة".

إزدوبار: "هذه الفكرة تصيبني بالذعر. إنها فكرة قاتلة. هل تعني إعلان أنني غير واقعي؟ هل تريد الآن أن تجعلني مُقعداً بشكل يدعو للرثاء؟"

أنا: "ربما لم أكن واضحاً بما يكفي، وقد تحدثتُ كثيراً بلغة الأرض الغربية. أنا لا أقدر أن أقول إنك لست حقيقياً أبداً، بالطبع، لكنك حقيقي كما هي الأخيولة حقيقية. إن استطعت أن تقبل هذا، فسوف نكسب الكثير".

إزدوبار: "ما الذي نجنيه من هذا؟ إنك شيطان مُعذّب".

أنا: "أنا شيطان بائس، وسوف لن أعذّبك. لا تسعى يد الطبيب إلى العذاب حتى لو سببت الحزن. هل أنت بالفعل لا تقبل بأن تكون أخيولة؟"

إزدوبار: "الويل لي! أي سحر تريد أن توقعني بأشراكه؟ هل سيساعدني أن أعتبر نفسي أخيولة؟"

أنا: "أنت تعرف أن الاسم الذي يحمله المرء يعني الكثير. وتعرف أيضاً أن المرءِ يعطي المَرَض أسماء جديدة ليشفيها، لأن الاسم الجديد يجلب جوهرا جديدا. إن اسمك هو جوهرك".

إزدوبار: "أنت على حق، يقول كهنتنا هذا أيضاً".

أنا: "إذن، هل أنت مستعدّ للاعتراف بأنك أخيولة؟"

إزدوبار: "نعم، إن كان هذا يساعد".

تحدث الصوت بداخلي الآن كما يلي: وعلى الرغم من أنه اعترف الآن بأنه أخيولة، لا يزال الوضع معقداً بشكل كبير. لا يمكن أن ننكرَ الأخيولة ولا أن نتجاهلها. إنها تتطلب تصرّفاً. إنه أخيولة على كل حال، وهو

بالتالي خفيف جداً، وأعتقد أنني أستطيع أن أرى الطريق إلى الأمام: أستطيع الآن أن أحمله على ظهري. ومن ثم ذهبت إلى إزدوبار وقلت له:

"لقد عثرتُ على الطريق، وقد أصبحتَ خفيفاً، بل أكثر خفة من ريشة. وأستطيع الآن أن أحملك". وضعت ذراعي حوله ورفعته عن الأرض، كان أخفّ من الهواء، وقد كافحت لأحافظ على قدميّ لأن حملي كان يرفعني في الهواء.

إزدوبار: "كانت تلك ضربة مُحترف. إلى أين تحملني؟"

أنا: "سأنزل بك إلى الأرض الغربية. سوف يتكيّف رفاقي بسعادة مع خيال واسع كهذا. ما إن نعبر الجبال ونصل إلى البشر المضيافين، أستطيع بهدوء أن أجد الوسائل المناسبة لاستعادة صحتك بشكل كامل مجدداً".

حملته على ظهري، ونزلت المر الصخري الصغير بعناية كبيرة، وكان خطرُ أن ترفعني الرياح أكبر بكثير من خطر أن أفقد توازني بسبب حملي، وأقع عن الجبل. ومن ثم تشبثتُ بحملي الخفيف للغاية. وأخيراً وصلنا إلى قاع الوادي وطريق الألم الساخن البارد. لكن حينها دفعتني الريح الشرقية إلى لأسفل عبر الصخور الضيقة وعبر الحقول نحو أماكن مأهولة. ومن دون أن أمشي على الطريق المؤلم، أسرعتُ محفزاً عبر أراضي جميلة. رأيت شخصين أمامي: كانا أمونيوس والأحمر. وعندما أصبحنا خلفهما تماماً. التفتا خلفاً وانطلقا في الحقول مُطلقين صرخات فزع. لا بدّ أن شكلي كان غريباً بالتأكيد.

إزدوبار: "من كان هذان الشخصان غريبا الشكل؟ هل هما من رفاقك؟"

أنا: "ليسا رجلين، إنهما ما يُسميان قطعاً أثرية من الماضي، وغالباً ما يجدها المرء في الأراضي الغربية. لقد اعتادا أن يكونا شخصين مهمين. وهما الآن يُستخدمان كراعيين على الأغلب".

إزدوبار: "يا له من بلد غريب! لكن انظر، أليست هذه هي المدينة؟ ألست ذاهباً إلى هناك؟"

أنا: "لا، لا سمحَ الله. لا أريد أن تتجمع الحشود حولنا، بما أن المستنيرين يعيشون هناك. ألا تشمّ رائحتهم؟ إنهم خطيرون في الواقع، لأنهم يطبخون السموم القوية التي عليّ أنا أيضاً أن أحمي نفسي منها.

الناس هناك مشلولون بالكامل، ومُحاطون بالبخار السام، ويتحركون فقط بوسائل اصطناعية. لكن ليس عليك أن تقلق. سيهبط الليل ولن يرانا أحد. والأكثر من ذلك، لن يعترف أحد برؤيته لنا. أنا أعرف طريقاً خارجية إلى البيت. لديّ أصدقاء مقربون هناك وسوف نُمضي الليل عندهم".

وصلت أنا وإزدوبار إلى حديقة مظلمة هادئة لبيت منعزل. أخفيتُ إزدوبار تحت الأغصان المتدلّية لشجرة، واتجهت نحو باب المنزل وطرقته. تأملت في هذا الباب: كان صغيراً جداً. لن يكون باستطاعتي أن أدخل إزدوبارِ عبره. لم تترك الأخيولة لنا أي مجال! لماذا لم تخطر بذهني هذه الفكرة الرائعة باكراً؟ عدت إلى الحديقة، وضغطتُ إزدوبار بسهولة إلى مقاس بيضة ووضعته في جيبي. ثم دخلت إلى البيت المضياف حيث سيتلقى إزدوبار علاجه[615]

وهكذا وجد مُخلّصي الخلاص. لقد تم الحفاظ عليه تحديداً من خلال ما يعتبره المرء قاتلاً. وأعني بهذا، من خلال الإعلان عنه أنه من نسج الخيال. كمن من المرات تم الافتراض بأن الآلهة قد وصلت إلى نهايتها بهذه الطريقة[616]. كان ذلك خطأ خطيراً بشكل واضح، بما أن هذا كان بشكل دقيق، ما حمى المخلّص. هو لم يبتعد، بل أصبح أخيولة حيّة أستطيع أن أشعر بأثره الفعليّ على جسدي الحي: إن ثِقلي الطبيعي قد تلاشى والطريقة الساخنة الباردة من الألم لم تعدْ تحرق أخمص قدمي أو

---

[615] يشير هذا إلى مشهد في النص، يصف كيف قام يونغ بضغط إزدوبار إلى حجم بيضة كي يستطيع أن يحمله بشكل سرّي إلى البيت ويمكنّه من الحصول على العلاج. قال يونغ لأنيلا جافيه بخصوص هذه الفقرات، إن بعض الأخيولات تحدث بسبب الخوف، مثل المقطع المتعلق بالشيطان والمقطع المتعلق بإزدوبار – جلجامش. من وجهة نظر ما، كان من الغباء أنه كان عليه أن يجد طريقة لمساعدة العملاق، لكنه شعر أنه إن لم يفعل ذلك، فسوف يفشل. لقد دفع ثمن هذا الحل السخيف من خلال إدراكه أنه أسرَ إلهاً. إن العديد من هذه الأخيولات كانت مزيجاً جهنمياً من التسامي والسخرية (MP، صفحة 147 – 148).

[616] في المسودة، تقرأ هذه الجملة على الشكل التالي: "مثل العديد من الآلهة الأخرى وفي مناسبات سابقة كثيرة، تم التصريح بأن الربّ أخيولة، وبالتالي من المفترض أنه تم التعامل معه" (الصفحة 314).

تجمّده. لم يعدْ الوزن يجذبني نحو الأرض، لكن بدلاً من ذلك، حملتني الريح بخفة مثل ريشة بينما كنت أحمل عملاقاً[617].

اعتاد المرء أن يصدّق أن بإمكانه أن يقتل المخلّص. لقد صاغ فأساً جديداً، وانغمس مرة أخرى في فيضان ضوء الشرق، لاستعادة دورته القديمة[618]. لكننا نحن البشر الأذكياء، زحفنا وعرجنا وتسممنا، ولم نعرف أننا أبقينا شيئاً. لكنني أحببتُ المخلّص وأخذته إلى بيت البشر، بما أنني كنت مُقتنعاً بأنه يعيش بالفعل كأخيولة، ولم يكن عليّ أن أتركه خلفي جريحاً ومريضاً. ومن هنا، اختبرتُ معجزة فقدان جسدي لوزنه عندما جعلت المخلص محمولاً على ظهري.

لقد حمل القديس كريستوفر العملاق، عبئه بصعوبة، على الرغم من أنه كان يحمل فقط المسيح الطفل[619]. لكنني كنت صغيراً كطفل وحملت عملاقاً، ومع ذلك، فقد رفعني حملي للأعلى. أصبح الطفل المسيح حملاً سهلاً بالنسبة للعملاق كريستوفر، بما أن المسيح نفسه قال: "لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ"[620]. لا يجب أن نحمل المسيح على أنه شيء لا يُطاق، بل يجب أن يكون كلٌ منا مسيحاً، لأنه حينها يصبح نيرنا خفيفاً وحملنا سهلاً. هذا العالم الملموس الواضح هو واقع واحد، لكن الأخيولة هي واقع آخر. بقدر ما نترك المخلّص خارجنا واضحاً وملموساً، يكون لا يُطاق وميؤوس منه. لكن إن حوّلناه إلى أخيولة، يكون بداخلنا ويكون من السهل حمله. يزيد المخلّص خارجنا ثِقَل كل شيء ثقيل،

---

[617] يتابع في المسودة: "يبدو أننا اعتقدنا نحن البشر أن الأخيولات غير موجودة، وإن صرّحنا عن شيء على أنه أخيوليّ، فسوف يتم تدميره تماماً" (صفحة 314). وفي العام 1932، علّق يونغ على الاستخفاف المعاصر بالأخيولة (تطوّر الشخصية، الأعمال الكاملة 17).

[618] يبدو هذا وكأنه يشير إلى المقطع اللاحق.

[619] كان القديس كريستوفر (كلمة كريستوفر كلمة أغريقية تعني "حامل المسيح") شهيداً في القرن الثالث الميلادي. وبحسب الأسطورة، فقد سعى إلى ناسك ليستفسر عن الطريقة التي يخدم فيها يسوع المسيح. اقترح الناسك عليه أن يساعد من خلال حمل الناس أثناء عبورهم الخطير للنهر، وهو ما قام فعله. وفي إحدى المرات، طلب طفل صغير منه أن يساعده ليجتاز النهر. ووجد أن هذا الطفل أثقل وزناً من أي شخص آخر، وكشف الطفل عن نفسه بأنه المسيح حاملاً خطايا العالم.

[620] إنجيل متى، الإصحاح 11: 30.

بينما يخفف الله في داخلنا كل شيء ثقيل. وبالتالي فقد حنى جميع الكريستوفرات ظهورهم وانقطعت أنفاسهم، بما أن العالم ثقيل.

يريد العديدون أن يحظوا بالمساعدة من أجل مخلّصهم المريض، وكانوا مُلتهمين من قبل الأفاعي والثعابين المندسّة عبر الطريق إلى أرض الشمس. لقد لقوا حتفهم في ضوء النهار القوي وأصبحوا بشراً مظلمين بما أنهم أُصيبوا بالعمى. إنهم يسيرون الآن كظلال، ويتحدثون عن الضوء لكنهم لا يرون إلا القليل فقط. لكن مُخلّصهم موجود في كل شيء لا يرونه: إنه في الأراضي الغربية المظلمة، يشحذ العيون التي ترى ويساند أولئك الذي يطبخون السمّ ويقودون الأفاعي إلى كواحل الجناة العميان. وهكذا، إن كنتَ ذكياً، فخذ مخلّصك معك، وعندها ستعرف أين هو. إن لم يكن معك في الأراضي الغربية، فسوف يهرع إليك في الليل بدرع يقعقع، وفأس فتّاك[621]. إن لم يكن معك في الأرض السفلى، فسوف تطأ من دون وعي الدودة السماوية التي تنتظر كواحلَ غير متوقعة.

أنت تكسبُ كل شيء من المخلّص الذي تحمله، لكنك لا تكسب سلاحه، بما أنه قد سحقه. من يريد الانتصار يحتاج أسلحة. لكن ما الشيء الآخر الذي تريد أن تتغلّب عليه؟ لا يمكنك أن تتغلّب على أي شيء أكثر من الأرض. وما هي الأرض؟ إنها مستديرة ومعلّقة كنقطة في الكون. أنت لن تصل إلى الشمس وسلطتك لن تمتدّ حتى إلى القمر القاحل، أنت لن تسيطر على البحر، ولا على الثلج في القطبين، ولا على الرمال في الصحراء، بل على بعض البُقع الخضراء من الأرض وحسب. أنت لن تسيطر على أي شيء لفترة طويلة من الوقت. غداً ستتحول سلطتك إلى غبار، لأنه قبل كل شيء – وعلى أقل تقدير – عليك أن تتغلّب على الموت. لذلك لا تكن غبياً، والق سلاحك. لقد سحقَ المخلّص نفسهُ سلاحه. إن الدرع كافٍ ليحميك من الأغبياء الذين

[621] كما جاء إزدوبار إلى يونغ.

لا يزالون يعانون من الحاجة إلى الانتصار. سيجعلك درع المخلّص حصيناً وغير مرئي بالنسبة للأغبياء الحمقى.

خذ مخلصك معك. احمله معك إلى أرضك المظلمة، حيث يعيش الناس ويفركون أعينهم كل صباح، ومع ذلك يرون دائماً الشيء نفسه ولا يرون أي شيء آخر. أنزل مخلّصك إلى الغشاوة الحبلى بالسمّ، لكن ليس مثل أولئك العميان الذين يحاولون إنارة العتمة بمصابيح لا يمكن للعتمة استيعابها. وبدلاً من ذلك، احمل مخلّصك بشكلٍ سريّ إلى سقف مضياف. إن أكواخ البشر صغيرة ولا يمكنها استقبال المخلّص على الرغم من كرم الضيافة والاستعداد. ولهذا السبب، لا تنتظرْ إلى أن تحطّم أيدي الناس الخرقاء الساذجة، مخلّصك إلى قطع، بل عانقه ثانية بحبّ، إلى أن يتخذ شكل بدايته الأولى. لا تدع عين إنسان ترى المحبوب بشدة، والرائع جداً، وهو في حالة مرضه ونقص قوته. افترض أن رفاقك البشر حيوانات من دون معرفته. لطالما ذهبوا إلى المراعي، أو تمددوا تحت أشعة الشمس أو أرضعوا صغارهم، أو تزاوجوا فيما بينهم، إنهم المخلوقات الجميلة الوديعة للأم الأرض. لكن إن ظهر المخلّص، يبدؤون بالهذيان، بما أن اقتراب المخلّص يجعل الناس تهذي. إنهم يرتعشون بخوف وغضب، وفجأة يهاجم أحدهم الآخر بمعركة بين الأخوة، بما أن المرء يشعر بالمخلّص المقترب في الشخص الآخر. لذلك اخفِ المخلّص الذي تحمله معك. دعهم يهذون ويهرس أحدهم الآخر. إن صوتك ضعيف جداً بالنسبة لأولئك الهائجين ليتمكنوا من سماعه. وهكذا لا تتكلم ولا ترهم المخلّص، لكن اجلس في مكان معتزل، وغنِّ التعاويذ بطرق قديمة:

ضع البيضة أمامك، المخلّص في بدايته.

وأمسكه.

واحضنه بالدفء السحري لنظرتك.

هنا تبدأ التعاويذ.

الفصل العاشر:

التعاويذ[622]

لقد حلّ عيد الميلاد. المخلّص في البيضة.
لقد حضّرت بساطاً لمخلّص، بساطاً أحمر باهظ الثمن من أرض الصباح.
سيكون محاطاً بألق عَظَمة أرضه الشرقية.
أنا الأم، العذراء البسيطة، التي أنجبت ولا تعرف كيف.
أنا الأب المتّزن الذي حمى العذراء.
أنا الراعي الذي استلم الرسالة بينما كان يرعى قطيعه في الليل في الحقول المظلمة[623].

أنا الحيوان المقدّس الذي وقف مذهولاً ولم يستطع أن يفهم وصول المخلّص.

---

[622] عنوان المقطع منسيّ في المجلد المكتوب بخط اليد، وقد تمت كتابته هنا بناء على وجوده في المسودّة.

[623] إنجيل لوقا 2: 8 – 11: " وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّونَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.

أنا الإنسان الحكيم الذي أتى من الشرق، مترقّباً المعجزة من البعيد[624].
وأنا البيضة التي تحيط بذرة المخلّص في داخلي وتغذّيها.

طالت الساعات المهيبة.
وإنسانيتي بائسة وتعاني العذاب.
بما أني واهب حياة.
متى ستبهجني يا إلهي؟
إنه الفراغ الأبدي والامتلاء الأبدي[625].
لا شيء يشبهه وهو يشبه كل شيء.
العتمة الأبدية والنور الأبدي.
الأدنى الأبدي والأعلى الأبدي.
طبيعة مزدوجة في واحد.
البساطة في التشعّب.
المعنى في السخف.
الحرية في العبودية.
الخضوع في الانتصار
العجوز في الشباب.
النعم في اللا.

أوه
ضوء الطريق الأوسط،
محاط في البيضة،

---

[624] إنجيل متى 2: 1 – 2: " وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: "أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ".

[625] خاصيّة الإله في هذا المقطع تفصيليّة مثل خاصيّة أبراكساس في العظة الثانية والثالثة من قسم "السبر العميق". **انظر قسم "السبر العميق" (صفحة 517).**

جنينيّ،
مليء بالحماسة، ومضطهد،
في تمام الحمل،
كالحلم، ينتظر ذكريات ضائعة.
ثقيل مثل حجر مقسّى.
منصهر، وشفاف.
ضوء متدفق، ملتفّ على نفسه.

———

أنت رب البداية، آمين.
أنت نجمة الشرق. آمين.
أنت الوردة التي تزهر فوق كل شيء. آمين.
أنت الغزال الذي يفلتُ من الغابة. آمين.
أنت الأغنية التي تصدح بعيداً فوق الماء. آمين.
أنت البداية والنهاية. آمين.

———

كلمة لم يتم قولها.
ضوء لم يُضأ.
تشوشٌ لا يُضاهى.
وطريق بدون نهاية.

———

أنا أغفر لنفسي هذه الكلمات، كما تغفر لي من أجل نورك المتوهّج.

———

ارتفع، أنت النار الكريمة لليل العتيق.
أقبّل عَتَبَة بدايتك،
تعدّ يدي البساط وتنشر الكثير من الورِود الحمراء أمامك.
ارتفع يا صديقي، يا من يستلقي مريضا، واخترق القشرة.

لقد أعددنا وجبة لك.
وأعددنا الهدايا لك.
ينتظرك الراقصون.
لقد بنينا بيتاً لك.
وخَدَمك يقفون باستعداد.
من أجلك، سقنا القطعان على الحقول الخضراء.
ملأنا كوبك بالنبيذ الأحمر.
ووضعنا الفاكهة العطِرة في أطباق ذهبية.
نطرقُ باب سجنك ونضع آذاننا عليه.
الساعات تطول، لا تتلكأ
نحن بائسون من دونك، وقد اهترأت أغنيتنا.

نحن بائسون من دونك، وقد اهترأت أغنيتنا
لقد قُلنا جميع الكلمات التي أعطانا قلبنا إياها
ما الذي تريده أيضاً؟
ما الذي علينا أن نحققه لك؟
لقد أشرعنا الأبواب كلها من أجلك.
لقد جئونا حيث تريدنا أن نجئو.
ذهبنا إلى النقاط المُشار إليها بحسب رغبتك.
رفعنا ما هو في الأسفل، وحوّلنا ما في الأعلى إلى ما في الأسفل، بحسب أوامرك.
نحن نأخذ ونعطي بحسب رغبتك.
أردنا الاتجاه نحو اليمين، لكننا ذهبنا يساراً مطيعين إشارتك. نرتفع ونهوي ونتأرجح ونبقى ثابتين، إننا نرى ونحن مُصابون بالعمى، نسمع ونحن مُصابون بالصمم، نقول نعم ونقول لا، ونسمع كلمتك دائماً.
نحن لا نفهم ونعيش الغموض.

نحن لا نحب ونعيش ما لا نحبّه.
نحن نطوّر أنفسنا مرة أخرى ونفهم ونعيش الغموض
نحبّ ونعيش ما نحبّه أوفياء لقانونك.
تعال إلينا، نحن الذين نرغب من رغبتنا الخاصة.
تعال إلينا، نحن الذين نفهمك من روحنا.
تعال إلينا، نحن الذين سندفئك بنارنا الخاصة.
تعال إلينا، نحن الذين سنشفيك بفننا.
تعال إلينا، نحن الذي سننتجك من جسدنا.
تعال أيها الطفل إلى أبيك وأمك.

سألنا الأرض.
سألنا السماء.
سألنا البحر.
سألنا الريح
سألنا النار.
بحثنا عنك بين الناس كلهم.
بحثنا عنك بين الملوك كلهم.
بحثنا عنك بين الحكماء.
بحثنا عنك في رؤوسنا وفي قلوبنا.
ووجدناك في البيضة.

لقد ذبحتُ إنساناً نفيساً قرباناً لك،
إنسان شابّ وعجوز.
لقد جرحتُ بشرتي بسكين.
لقد خضّبت مذبحك بدمي.
لقد نفيت أبي وأمي كي تستطيع العيش معي.

لقد حوّلت ليلي إلى نهار ومشيت في منتصف النهار مسرنماً.
لقد تخلّصت من جميع الآلهة، وكسرت القوانين، وأكلتُ ما هو دنس.
ألقيت بسيفي وارتديت ملابس النساء.
حطّمت قلعتي الحصينة ولعبت كطفل بالرمال.
رأيت محاربين يتخذون تشكيلات معركة، ودمرّت درعي بمطرقة.
زرعت حقلي وتركت الثمار تفسد.
كل شيء كان عظيماً جعلته صغيراً، وكل شيء كان صغيراً جعلته عظيماً.
بدّلت هدفي الأبعد إلى الأقرب، وهكذا أنا مستعدّ.

وعلى أية حال، أنا لست مُستعدّاً، بما أنني لم أقبل حتى الآن ما يغصّ به قلبي. ذلك الشيء المرعب هو ما يحيط بالإله في البيضة. أنا سعيد لأن الجهد العظيم قد نجح، لكن خوفي جعلني أنسى المخاطر الموجودة. أنا أحب القوة وأُعجب بها. ليس هناك من هو أعظم منه بقرون الثور، ومع ذلك، جعلته مُقعداً وحملته وجعلته أصغر حجماً بسهولة. لقد أُصِبت بالانهيار تقريباً عندما رأيته، والآن، أنا أنقذه بيديّ هاتين. تلك هي القوى التي تسيطر عليك وتجعلك خائفاً، وهكذا كانت الآلهة والحكّام منذ الأزل: ومع ذلك، يمكنك أن تضعهم في جيبك. ما هو الكُفر مقارنة بهذا؟

تدفع بوابات الجحيم: يصلك صوت الأقنعة المقعقعة وموسيقى الحمقى. تندفع إلى الجنة: يترنّحِ المشهد ويتلاشى الملقّن. وتلاحظ: أنت لست حقيقاً، ما فوق ليس حقيقياً، وما تحت ليس حقيقياً، وما على اليسار واليمين خداع. وأي شيء تمسكه، يكون هواء، هواء، هواء.

لكنني أمسكت به، ذلك الذي كان مخيفاً منذ الأزل، لقد جعلته صغيراً وأطبقت يدي عليه. هذا هو احتضار الآلهة: يضعها الإنسان في جيبه. وتلك هي نهاية قصة الآلهة. لا يبقى شيء من الآلهة سوى بيضة. وقد امتلكتِ هذه البيضة. ربما أستطيع استئصال تلك الأخيرة وبهذا أُفني

سلالة الآلهة أخيراً. الآن، وبما أنني أعرف أن الآلهة امتثلت لسلطتي – ما هي الآلهة بالنسبة لي الآن؟ إنها قديمة ومهترئة، وقد سقطت ودُفنت في بيضة.

لكن كيف حدث هذا؟ لقد أرديتُ العظيم، وتأسفتُ عليه، لم أرغب بأن أتركه، بما أنني أحببته لأنه ما من كائن فان قد تحدّاه. وبدافع الحبّ، اخترعتُ خدعة تخففُ من وزنه وتحرره من حدود المكان. لقد أخذت منه – بدافع الحب – الشكل والصفات الجسدّية. أغلقت عليه بحبّ في البيضة الأمومية. هل عليّ أن أقتل هذا العاجز الذي أحببته؟ هل عليّ أن أحطم القشرة الناعمة لقبره، وأعرّضه لانعدام الوزن ولا محدودية رياح العالم؟ لكن ألم أنشد التعاويذ من أجل حضانة البيض؟ ألم أفعل ذلك بسبب حبي له؟ لماذا أحبه؟ أنا لا أرغب بأن يتلاشى حبّ هذا العظيم من قلبي. أنا أريد أن أحبّ مخلّصي العاجز اليائس. أريد أن أعتني به كطفل.

يا مخلّصي، أنا أحبّك كما تحب الأم الجنين الذي تحمله في قلبها. انمُ في بيضة الشرق، وغذي نفسك من حبي، واشرب عصارة حياتي بشكل تصبح فيه مُخلّصاً متوهجاً. نحن نريد ضياءك أيها الطفل. بما أننا نسير في الظلام، أضئ لنا دروبنا. عسى أن يشعّ ضوءك أمامنا، عسى أن تدفئ نارك برودة حياتنا. نحن لا نريد قوتك بل نريد الحياة.

ما الذي توفره القوة لنا؟ نحن لا نريد أن نحكم، نريد أن نعيش، نريد الضوء والدفئ، ولهذا نريد ضياءك ودفئك. وكما تريد الأرض المخضرّة وكل جسد حيّ ضوء الشمس، نريد نحن كأرواح ضوءك ودفئك. الروح غير مُضاءة تصبح عالة على الجسد. لكن اللّه يغذي الروح.

الفصل الحادي عشر:

فتح البيضة[626]

[627]في مساء اليوم الثالث، ركعتُ على بساط وفتحت البيضة بعناية. خرج شيء يشبه الدخان منها وفجأة وقف إزدوبار أمامي ضخماً

---

[626] كان عنوان هذا الفصل في المسودة هو: "اليوم الثالث" (الصفحة 329).

[627] في 10 كانون الثاني - يناير 1914. وفي الكتاب الأسود 3 كتب يونغ: "يبدو كما لو أن شيئاً قد تم إنجازه من خلال هذا الحدث الذي لا ينسى. لكن لا يمكن معرفة إلى أين سيؤدي هذا كله. أنا لا أجرؤ على القول إن مصير إزدوبار بشع ومأسوي، لأنه هناك تكمن معظم حياتنا الثمينة. إن كتاب فريدريك ثيودور فيشر (A[uch]. E[iner]) هو أول محاولة لرفع هذه الحقيقة إلى مستوى نظام. إنه يستحق مكاناً بين الخالدين. إن ما يكمن في الوسط هو الحقيقة. والحقيقة لها عدة وجوه: أحدها هزلي بالتأكيد والثاني حزين والثالث شرير والرابع مأسوي والخامس مضحك والسادس مجفل وهكذا دواليك. إن أصبح أحد هذه الوجوه بارزاً بشكل خاص، فسوف ندركُ أننا انحرفنا عن حقيقة معينة واقتربنا من التطرّف الذي يشكّل درباً معينة نسير عليها إن قررنا أن نتبع هذا الطريق. إن كتابة حكمة الحياة الواقعية أشبه بجريمة قتل، وخاصة إن التزم المرء عدة سنوات بالبحث العلمي الجاد. إن ما تبين أنه الأكثر صعوبة هو فهم عبث الحياة (طفوليتها كما يقال). إن كل الجوانب المتشعبة للحياة العظيمة والجميلة والجادة والسوداء والشريرة والطيبة والسخيفة والبشعة هي مجالات للتطبيق، يميل كل منها لأن يستوعب الناظر أو من يقوم بالوصف بالكامل. يحتاج زمننا إلى شيء قادر على تنظيم العقل. وكما توسّع العالم الثابت من محدودية النظرة القديمة إلى التنوع الذي لا يقاس للنظرة الحديثة، فقد تطوّرت إمكانيات العالم الفكرية إلى تنوع لا يمكن تصوره. هناك دروب طويلة لانهائية ممهدة بآلاف المجلدات السميكة، تؤدي من اختصاص إلى آخر. وقريباً لن يتمكن أحد من السير عبر هذه الدروب. وحينها لن يبقى سوى الاختصاصيين. نحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى الحقيقة الحية لحياة العقل، لشيء قادر على توفير إرشاد جيد" (الصفحات 74-77). إن كتاب فيشر المقصود هو Auch Einer: Eine Reisebekanntschaft (شتوتغارت 1884). عام 1921 كتب يونغ: "رواية فيشر Auch Einer تعطي بصيرة عميقة لهذا الجانب من الحالة المعكوسة للروح، وأيضاً

ومتحولاً وكاملاً. كانت أطرافه كاملة ولم أجد أثراً لأذية عليها. كان الأمر كما لو أنه صحا من نوم عميق.وقال لي:

"أين أنا؟ كم المكان ضيق ومظلم وبارد - هل أنا في القبر؟ أين كنتُ؟ يبدو لي كما لو أنني كنت خارج الكون. كانت هناك فوقي وتحتي، سماء مظلمة مرصّعة بالنجوم ولا نهاية لها. وكنتُ في حالة شغف من توق لا يمكن وصفه.

اندلعتْ من جسدي المضيء جداول من نار-

تدفقتُ في ألسنة لهب مستعرة-

سبحتُ في بحر أحاطني بنيران حية-

مليئاً بالنور والتوق والأبدية-

كنتُ قديماً وأجدد نفسي باستمرار-

أسقطُ من الذرى إلى الأعماق،

أرتفعُ متقداً من الأعماق إلى الذرى

أحومُ حول نفسي وسط غيوم وهاجة-

بينما كان الجمر الماطر ينهمرُ مثل زبد الموجة المتكسرة، ويطوّقني بحرارة تسبب اليباس،

متقبلا ذاتي ورافضا لها في لعبة لا حدود لها-

أين كنت؟ كنتُ شمساً بالكامل" [628].

أنا: "أوه يا إزدوبار! أيها المقدس! كم هذا رائع! لقد شُفيت!"

إلى الرمزية الكامنة للاوعي الجمعي" (النماذج السيكولوجية، الأعمال الكاملة 6، 627). وعام 1932 علق يونغ على فيشر في كتاب "سيكولوجية يوغا الكاندليني" الصفحة 54.

[628] كتب روشر "إن إزدوبار كإله، مرتبطٌ بإله الشمس" (Ausführliches Lexikon der Griechischen und Römischen Mythologie، المجلد 2، الصفحة 774). إن احتضان إزدوبار وولادته من جديد، تتبع نمطاً كلاسيكياً لأساطير الشمس. في Das Zeitalter des Sonnengottes، أشار ليو فروبينوس إلى الانتشار الواسع لموضوع امرأة تصبح حاملاً من خلال عملية الحمل بلا دنس وولادة إله الشمس الذي يتطور خلال فترة قصيرة من الزمن. وفي بعض الحالات يقوم باحتضان بيضة. أشار فروبينوس إلى علاقة هذا بغروب الشمس وشروقها في البحر. ([برلين، ج ريمر، 1904] الصفحات 223-63). استشهد يونغ بهذا العمل في عدة مناسبات في كتاب تحولات الليبيدو ورموزه (1912).

"شفيتَ؟ هل كنت مريضاً يوماً؟ أنت تتحدث عن المرض؟ لقد كنتُ شمساً، كنتُ شمساً بالكامل. أنا الشمس".

ثم خرج من جسده ضياء لا يمكنُ وصفه، خرج نور لا يمكن لعينيّ أن تحتملاه. يجب أن أغطي وجهي وأنظر إلى الأرض.

أنا: "أنت الشمس والضوء الأزلي والأعظم قوة، سامحني لأنني حملتك".

نظرت حولي، كان كل شيء هادئاً ومظلماً: قشرة البيضة الفارغة على البساط. تحسست نفسي، والأرض والجدران: كل شيء عادي وواقعي للغاية كما هي العادة. أريد أن أقول إن كل شيء حولي تحوّل إلى ذهب. لكن هذا ليس صحيحاً ـ كل شيء كان على حاله. ساد هنا ضوء أزليّ مُبهرٌ لا يقاس[629].

حدَث أن فتحتُ البيضة، وغادر العظيم البيضة. كان قد شُفيَ ولمع جسده متحولاً، وجثوتُ كطفل ولم أستطع فهم المعجزة. لقد قامَ من تم حشرهُ في لبّ البداية، وليس هناك أثر لأي مرض عليه. وعندما اعتقدتُ أنني أمسكتُ بالعظيم وحملته في يدي، كان هو الشمس نفسها.

مشيتُ إلى الشرق حيث تشرقُ الشمس. وكنت على الأرجح، سأرغب بأن أُشرقَ أيضاً لو أنني الشمس. أردتُ أن أعانق الشمس وأرتفع معها إلى الفجر. لكنها أتت إلي ووقفت في طريقي. لقد أخبرتني أنه ليس لديّ فرصة كي أصل إلى البداية. لكنني أقعدتُ من أراد أن يندفع إلى الأسفل كي يغيب مع الشمس في رحم الليل، كان قد حُرم من كل أمل بالوصول إلى الأراضي الغربية المباركة.

لكن انظروا! أمسكتُ بالشمس دون أن أعرف، وحملتها بيدي. من أراد أن ينزل مع الشمس، وجدني من خلال نزوله. أصبحتُ أمه الليلية التي حضنتْ بيضة البدء. وارتفع للأعلى متجددا مولوداً من جديد، بروعة أعظم.

---

[629] في كتاب "النماذج السيكولوجية" (1921) علّق يونغ على موضوع الإله المتجدد: "يشير الإله المتجدد إلى موقف متجدد، أي إلى إمكانية متجددة للحياة المكثفة واستعادة للحياة، لأن الإله يشير سيكولوجياً دوماً إلى القيمة الأعظم، أي الكم الأكبر من الليبيدو، والقوة الأعظم للحياة، وذروة فعالية الحياة السيكولوجية" (الأعمال الكاملة 6، 301).

لكنني نزلتُ عندما ارتفع. وعندما قهرتُ العظيم، تدفقتْ قوتهُ إلى داخلي. لكن عندما استراح في البيضة وانتظر بدايته، دخلتْ قوتي فيه. وعندما ارتفع مشعّاً، استلقيتُ على وجهي. وأخذ حياتي معه. أصبحت كل قوتي فيه الآن. لقد سبحتْ روحي مثل سمكة في بحره الناري. لكنني استلقيتُ في البرد القاتل لظلال الأرض، وغصتُ أعمق وأعمق إلى الظلمة الأدنى. لقد رحل كل الضوء عني، وارتفع العظيم في الأراضي الشرقية، وسقطتُ في رعب العالم السفلي. استلقيتُ هناك كامرأة حامل ضُربت بقسوة، وتنزفُ حياتها في الطفل، موحّدة بين الحياة والموت في نظرة احتضارية، أمّ النهار، وطريدة الليل. لقد مزّقني العظيم بشكل مريع، وشربَ نسغ حياتي، وشربَ أسمى قوتي وأصبح رائعاً وقوياً مثل الشمس، عظيم لا تشوبه شائبة ولا يحملُ وصمةً ولا عيباً. لقد أخذ مني جناحيّ وسرق قوة عضلاتي، واختفت قوة إرادتي معه. لقد تركني عاجزاً أتأوه.

لم أكن أعرفُ ما الذي يحدثُ لي، لأن كل شيء قوي وجميل وسعيد وخارق للبشر كان قد تسرّب من رحمي الأمومي، لم يبق أيٌ من الذهب المشعّ. لقد بَسَطَ طائر الشمس جناحيه بقسوة، وطار إلى الفضاء اللانهائي. وبقيتُ أنا مع القشور المحطّمة والغلاف البائس لبدايته، وانفتح فراغ الأعماق تحتي.

ويلٌ للأم التي تلدُ مُخلّصاً! إن ولدت مخلّصاً جريحاً ومتألماً، فسيخترق سيف روحها. لكن إن ولدت مخلّصاً لا تشوبه شائبة، سينفتح لها الجحيم الذي تخرج منه الأفاعي الهائلة متشنجة لتخنق الأم بالبخار العفن. إن الولادة صعبة، لكنّ المشيمة الجهنميّة أصعب بألف مرة[630]. تلحقُ التنانين والأفاعي الهائلة للفراغ الأبدي جميعها بالابن المقدس.

ما الذي يبقى من الطبيعة الإنسانية عندما يكون المخلّص قد نضج وحصل على كل القوة؟ إن كل شيء واهن وكل ما هو عاجز ومتبذل إلى الأبد، ومناوئ وغير مؤات ومتردد ومنقض ومبيد وباطل، وكل ما يحتويه ليل المادة الذي لا يُسبر غوره في داخله، هو عبارة عن مشيمة المخلّص وأخيه الجهنمي المشوّه بشكل رهيب.

---

[630] في الفصل التالي يجد يونغ نفسه في الجحيم.

يعاني المخلّص عندما لا يقبلُ الإنسان ظلمته. لذا يجب أن يكون للبشر مخلّص يعاني، طالما أنهم يعانون من الشرّ. المعاناة من الشرّ تعني: أنك لا تزال تحبّ الشرّ ومع ذلك، لم تعد تحبّه. لا تزال تأمل بكسب شيء ما، لكنك لا تريد أن تنظر عن قرب خشية أن تكتشف أنك لا تزال تحبّ الشرّ. يعاني المخلّص لأنك تستمرّ بالمعاناة من حبّ الشرّ. أنت لا تعاني منه لأنك تعرفه، بل لأنه يُقدّم لك متعة سرّية، ولأنك تظن أنه يَعِدُ بمتعة فرصة مجهولة.

طالما أن مخلّص يعاني، فأنت تتعاطف معه ومع نفسك. وبهذا تبقي على جحيمك وتطيل معاناته. إن أردت أن تجعله يتحسن من دون أن تدخل في حالة تعاطف سريّ مع نفسك، فسوف يضع الشرّ مكبحاً في عجلتك - أنت تعرف شكل الشرّ بشكل عام، لكنك لا تعرف قوته الجهنمية في ذاتك. إن جهلك ينبع من براءة حياتك السابقة، ومن مرور الزمن المسالم، ومن غياب المخلّص. لكن إن اقترب المخلّص، فسوف يبدأ جوهرك بالغليان ويصعدُ وحل الأعماق الأسود على شكل دوّامة.

يقفُ الإنسان بين الفراغ والامتلاء. إذا اتحدتْ قوته مع الامتلاء، تصبحُ تكوينية بالكامل. هناك دائماً شيء جيد في تكوين كهذا. لكن إذا اتحدتْ قوته مع الفراغ، يصبحُ لها تأثير مُبدِّد ومدمّر، بما أن تشكيل الفراغ غير ممكن أبداً، وهو يسعى فقط لإشباع ذاته على حساب الامتلاء. إن الاتحاد مع القوة البشرية، يحوّل الفراغ إلى شرّ. إن شكّلتْ قوتكّ امتلاءً، فهي تفعل هذا بسبب ارتباطها بالامتلاء. لكن لتأكيد استمرارية وجود تشكيلتك، يجب أن تبقى مرتبطة بقوتك. أنت تفقد قوتك تدريجياً من خلال التشكيل المستمر، بما أن القوة كلها مرتبطة في النهاية بالجمال كله الذي اتخذ شكلاً. في النهاية، وعندما تتخيّل خطأً أنك غني، تكون قد أصبحتَ فقيراً، وتقفُ بين أشكالك كشحاذ. وحينها يقع الإنسان الأعمى تحت سيطرة رغبة متزايدة ليمنح الشكل للأشياء، بما أنه يعتقد أن هذا التشكّل الذي ازداد

أضعافاً، سيشبعُ رغبته. ولأنه قد أنفقَ قوته، فهو يصبحُ شديد الرغبة، ويبدأ بإكراه الآخرين على خدمتهِ، ويأخذُ قواهم ليحقق تصاميمه الخاصة.

أنت تحتاج إلى الشرّ في هذه اللحظة. وعندما تلاحظ أن قوّتك تنتهي ورغبتك تبدأ، عليك أن تسحبها مما تمّ تشكيله إلى فراغك، وسوف تنجح في تبديد التشكيل فيك من خلال الارتباط مع الفراغ. وبهذا تستعيدُ حريتك بما أنك خلّصت قوتك من الارتباط القمعي مع الشيءٍ. وطالما أنك تستمرّ بموقف الخير، لا يمكنك تبديد تشكيلتك، وتحديداً لأنها هي الخير. لا يمكنك تبديد الخير بالخير. لا يمكنك تبديد الخير إلا بالشرّ. لأن خيرك أيضاً يؤدي في النهاية إلى الموت من خلال ارتباطه المتزايد مع قوتك. لا يمكنك العيش بشكل كامل من دون شرّ.

تُنتِجُ قولبتك أولاً صورة لتشكيلتك في داخلك، وتبقى هذه الصورة فيك وتكونِ التعبير الأول عن قولبتك. ثم تُنتِجُ من خلال هذه الصورة تحديداً، صورةً خارجية يمكنها أن توجد من دونك، وتعيش أكثر منك. لا ترتبط قوتك بتشكيلتك الخارجية بشكل مباشر، بل من خلال الصورة التي تبقى في داخلك. عندما تبدأ بتبديد تشكيلتك بالشرّ، فأنت لا تدمّر الشكل الخارجي، وإلا لكنتَ دمّرت عملك الخاص. بل ما تدمره هو الصورة التي شكلتها في نفسك. لأن هذه الصورة هي التي ترتبط بقوتك. ستحتاج إلى الشرّ كي تبدد تشكيلتك، وتحرر نفسك من قوة ما كان، إلى الحد نفسه الذي تقيد به هذه الصورة قوتك.

من هنا فإن تشكيلات العديد من الناس الطيبين تؤدي بهم إلى النزيف حتى الموت، لأنهم لا يستطيعون التعامل مع الشرّ بالمقياس نفسه. كلما كان الشخص أفضل وأكثر ارتباطاً بتشكيلته الخاصة، فقد قوته أكثر. لكن ما الذي يحدث عندما يخسر الشخص الطيب قوته بالكامل من أجل تشكيلته؟ إنه لن يسعى كي يُجبِرَ الآخرين على خدمة تشكيلته بدهاء وقوة أكبر، بل سيصبح أيضاً شريراً في طيبته دون أن يعلم، بما أن توقه إلى الإشباع والتقوية، سيجعله أكثر أنانية باطّراد. لكن بسبب هذا، فإن هؤلاء الطيبين سيدمّرون عملهم الخاص في

النهاية، وسيصبحُ أولئك الذين أجبروهم على خدمة عملهم، أعداءً لهم، لأنهم سيكونون قد ابتعدوا عنهم. لكنك ستبدأ أيضاً بكراهية من يبعدك عن نفسك ضد رغباتك سراً، حتى إن كان هذا متوافقاً مع الصالح العام. لسوء الحظ، فإن الشخص الطيب الذي ربط قوته، سيجد عبيدا لخدمته بسهولة بالغة، بما أن هناك الكثيرين ممن لا يتوقون لشيء بالقوة التي يتوقون بها للابتعاد عن أنفسهم مُستخدمين حجّة مُقنعة مناسبة.

أنت تعاني من الشرّ لأنك تحبه سراً ولا تدرك هذا الحب. أنت تتمنى الهرب من محنتك والبدء بكراهية الشر. ومرة أخرى، ترتبطُ بالشرّ من خلال كراهيتك، بما أنك سواء أحببت الشرّ أم كرهته فالأمر سواء. أنت مرتبطٌ بالشرّ، ويجب أن يكون الشرّ مقبولاً. إن ما نريده، يبقى بين أيدينا، وما لا نريده ويكون أقوى منا، يُطيح بنا ولا نستطيع أن نمنعه من أن يسبب الضرر لنا، لأن قوتنا تبقى في الشرّ. لذا علينا على الأرجح أن نتقبّل شرّنا من دون حبّ ولا كراهية، مدركين أنه موجود ويجب أن يحصل على حصّته من الحياة. بالقيام بهذا، يمكننا حرمانه من قوته التي تغمرنا.

عندما ننجح في صناعة مُخلّص، وإن دخلت قوتنا كلها في هذا التصميم من خلال هذا الخلق، نصبحُ ممتلئين برغبة غامرة للارتقاء مع الشمس الإلهية، ولنصبح جزءاً من روعتها. لكننا ننسى أننا لا نعود حينها أكثر من أشكال مجوّفة، بما أن إعطاءنا الشكل للإله، قد عَمِلَ على قولبتنا بالكامل. نحن لسنا فقراء وحسب، بل أصبحنا مادة بليدة ليس لها الحقّ في حصّة من الألوهية يوماً.

ومثل معاناة مريعةٍ أو اضطهاد شيطاني لا مفر منه، تجتاحنا حاجة مادتنا وبؤسها. تبدأ المادة العديمة القوة بالرضاعة، وتريد أن تبتلع شكلها لتعيده إلى ذاتها ثانية. لكن بما أننا مغرمون دوماً بتصميمنا، فنحن نؤمن أن المخلّص يستدعينا إليه، ونقوم بمحاولات يائسة لنتبعه إلى المملكة الأعلى، أو نعود إلى إخوتنا البشر واعظين مُطالبين، لنجبر الآخرين على اتباعِه. لسوء الحظ، يسمح بعض الناس بأن يقتنعوا بهذا الأمر، وهذا ما يسبب لهم الضرر.

يوجد الكثير من التبديد في هذه الرغبة: لأنه من يمكن أن يشكّ أن من ابتدع المخلّص محكومٌ بالجحيم هو نفسه؟ لكن هذا ما يحدث، لأن المادة المجرّدة من الألق الإلهي للقوة، فارغة ومظلمة.

من خلال التسرّع والرغبة المتزايدة والفعل، نريدُ أن نهرب من الفراغ ومن الشرّ أيضاً. لكن الطريقة الصحيحة هي أن نقبل الفراغ، وندمّر الشكل داخلنا ونبطل المخلّص، وننزل إلى الهاوية وفظاعة المادة. يقف المخلّص خارجنا بما أنه من صنعنا ولا يعود بحاجة إلى مساعدتنا. لقد تم خلقه، وتُرك ليتدبّر أمره بنفسه. إن العمل الذي تم خلقه، والذي يضمحّل ثانية فور ابتعادنا عنه، لا يستحق أي شيء، حتى وإن كان مُخلّصاً.

لكن أين هو المخلّص بعد ابتداعه وبعد انفصاله عني؟ إن بنيتَ منزلاً، فستراه يقف في العالم الخارجي. عندما تكون قد ابتدعت مخلّصاً لا يمكنك رؤيته بعينيك، فهو في العالم الروحاني الذي لا يقل قيمة عن العالم المادي الخارجي. إنه هناك ويفعل كل ما تتوقعه من مُخلّص لك وللآخرين.

بهذا تكون روحك هي ذاتك الخاصة في العالم الروحاني. لكن العالم الروحاني كمسكن للأرواح، هو عالم خارجي أيضاً. وكما أنك لستَ وحدك في العالمِ المرئي، بل أنت محاطٌ بأشياء تنتمي إليك وتطيعك وحدك، فإن لديك أفكاراً تنتمي إليك وتطيعك وحدك أيضاً. لكن كما أنك محاط في العالم المرئي بأشياء وكائنات لا تنتمي إليك ولا تطيعك، فأنت محاط في العالم الروحاني بأفكار وكائنات من الأفكار لا تطيعك ولا تنتمي إليك. وكما أنك تلد أو تحمل أولادك الماديين، وكما أنهم يكبرون ويفصلون أنفسهم عنك ليعيشوا قدرهم الخاص، فأنت تنتج أو تلد أيضاً كائنات من الأفكار تفصل أنفسها عنك وتعيش حياتها الخاصة. وكما أنني أتركُ أولادي عندما أشيخ، وأعيد جسدي إلى الأرض، أفصلُ نفسي عن مُخلّصي، الشمس، وأغوصُ إلى فراغ المادة، وأطمسُ صورة طفلي في داخلي. يحدثُ هذا بحيث أنني أقبل طبيعة الأشياء، وأسمح لقوة شكلي أن تتدفق إلى الفراغ. وكما ألد من جديد مخلّصاً مريضاً من خلال قوة توالدي، أحرّك فراغ المادة التي ينمو منها تشكيل الشرّ.

إن الطبيعة لعوبة ومريعة. يرى البعض جانبها اللعوب ويداعبونه ويتركونه يشعّ. بينما يرى الآخرون الرعب ويغطون رؤوسهم ويكونون موتى أكثر منهم أحياء. لا يمرّ الطريق بين الأمرين، بل يعانق الاثنين. إنه لعبة مرحة ورعب بارد معاً[631].

[631] في كتاب "الأحلام" كتب يونغ في 15 شباط - فبراير 1917: "لقد أنهيتُ نسخ المشهد الافتتاحي، الشعور الأروع للتجدد. وأعود اليوم إلى العمل العلمي. وهو النماذج!" (الصفحة 5). يشير هذا إلى اكتمال نسخ هذا القسم إلى المجلد المكتوب بخط فني، وإلى استمرار العمل على كتاب "النماذج السيكولوجية"

الفصل الثاني عشر:

الجحيم

في الليلة الثانية[632]، وبعد أن ابتدعتُ مُخلّصي إلهي، أخبرتني رؤيةٌ بأنني وصلتُ إلى العالم السفلي.

وجدتُ نفسي في سرداب كئيب أرضيته مؤلفة من ألواح حجرية رطبة. يوجد في الوسط عمود تتدلّى منه حبالٌ وفؤوس. وعند أسفل العمود، توجد كتلة متشابكة مريعة من الأشكال البشرية على شكل أفعى. لمحتُ في البداية شكلَ عذراء شابة ذات شعر أحمر ذهبي رائع، ويستلقي تحتها بنصف جسده، رجلٌ ذو مظهر شيطاني. كان رأسه محنيا للخلف، ويسيل على جبهته خيط رفيع من الدماء. رمى ديمونان مشابهان نفسيهما عند قدم العذراء وجسدها. كانت الوجوه تحمل تعابير لا إنسانية – الشرّ الحيّ – والعضلات مشدودة وقاسية، والأجساد ملساء كأجساد الأفاعي. كانوا مستلقين دون حراك. تضع العذراء يدها على إحدى عيني الرجل الذي يستلقي تحتها، وهو الأقوى بينهم. وتطبق يدها بشدة على صنارة صيد فضية أدخلتها في عيني الشيطان.

---

[632] 12 كانون الثاني - يناير 1914

كنتُ أتعرقُ عرقاً غزيراً بارداً. لقد أرادوا تعذيب العذراء حتى الموت، لكنها دافعتْ عن نفسها بقوة اليأس الأعظم، ونجحتْ في ثقب عين الشرير بخطاف صغير. إن تحرك، فستقتلع عينه بحركة أخيرة. لقد شلّني الرعب: ماذا سيحدث؟ قال صوت:

"لا يستطيع الشرير أن يضحي، لا يمكنه أن يضحي بعينه، النصر لن يستطيع أن يضحي"[633].

اختفت الرؤية. ورأيت أن روحي قد سقطت إلى قوة الشرّ السحيق. إن قوة الشرّ لا شك فيها، ونحن محقون إذ نخشاها. الصلوات لا تفيدُ هنا ولا الكلمات الورعة، ولا الأقوال السحرية. حين تطاردك هذه القوة الأساسية فليس هناك من عون لك. حين يقبض عليك الشرّ بدون رحمة، فلن يأتي لنجدتك لا أبٌ ولا أمٌ ولا حقّ ولا درعُ ولا برج ولا قوة حامية. إنك تسقط عاجزاً ومتروكاً بين يدي القوة الأعلى للشرّ، وتكون في هذه المعركة وحدك. لأنني أردتُ أن أبتدع مخلّصي، أردتُ الشرّ أيضاً. من يريد خلق امتلاء أبدي فسيخلق فراغاً أبدياً أيضاً[634]. لا يمكنك القيام بأحدهما من دون الآخر. لكن إن أردت الهرب من الشرّ، فلن تبتدع مُخلّصاً، وسيكون كل ما ستفعله رمادياً وفاتراً. أردتُ مخلّصي بأي ثمن ولهذا فأنا أريدُ شرّي أيضاً. إن لم يكن مُخلّصاً طاغياً، فلن يكون شرّي كذلك. لكنني أريد أن يكون مخلّصي قوياً وسعيداً ومتألقاً بشكل يتجاوز المقاييس، فأنا أحبّه بهذه الطريقة فقط. سيجعلني ألق جماله أتذوّق قاع الجحيم.

لقد أشرقَ في السماء الشرقية وكان أشدّ سطوعاً من المضيف الإلهي، وجلب يوماً جديداً لجميع الشعوب. لهذا أريد الذهاب إلى الجحيم. ألن ترغب الأم أن تضحي بحياتها من أجل طفلها؟ كم سيكون من الأسهل أن أضحي بحياتي لو كان بوسع مُخلّصي أن يتغلّب على عذاب الساعة

---

[633] ملاحظة يونغ الهامشية في المجلد المنسوخ بخط فني: "çataphatha-brâhmanam 2,2,4" العبارة نفسها مكتوبة على الصورة 64.

[634] في "هكذا تكلم زاراشدت" كتب نيتشه: "يجب أن يكون في داخل المرء فوضى، لكي يلد نجماً راقصاً" ("مقدمة زارادشت" 5، الصفحة 46، ووضع يونغ خطأ تحت الكلمتين الأخيرتين في نسخته).

الأخيرة من الليل، ويخترق سديم الصباح الأحمر منتصراً؟ أنا لا أشك: أريد شَرّي أيضاً من أجل مُخلّصي. أنا أدخل المعركة غير المتكافئة، بما أنها غير متكافئة دوماً وهي قضية خاسرة من دون شك، وإلا كم ستكون هذه المعركة مريعة ومحبطة؟ لكن هكذا يجب أن تكون، وستكون بالضبط.

لا شيء أكثر قيمة للشرير من عينه، بما أن الفراغ لا يستطيع الإطباق على الامتلاء الساطع إلا من خلال عينه. لأن الفراغ يفتقر إلى الامتلاء، فإنه يشتهي الامتلاء وقوته الساطعة. وهو يشربه بواسطة عينه القادرة على التقاط جمال الامتلاء ولمعانه الذي لا تشوبه شائبة. إن الفراغ فقير، ولو لم تكن عينه موجودة لانعدم الأمل لديه. إنه يرى الأكثر جمالاً، ويريد أن يلتهمه كي يفسده. يعرف الشيطان ما هو جميل، ولهذا فهو يقبع في ظل الجمال ويتبعه إلى كل مكان، منتظراً اللحظة التي يسعى فيها الجمال الذي يتلوّى بتأثير الطفل الذي يحمله، كي يَهبَ الحياة للمُخلّص.

إن نما جمالك، فستزحف إليك الدودة المريعة أيضاً، بانتظار طريدتها. إنه لا يقدّس شيئاً سوى عينه، التي يرى بها الأكثر جمالاً. لا يمكن أن يتخلّى عن عينه. إنه منيع، لكن لا شيء يحمي عينه، إنها رقيقة وصافية وماهرة في شرب الضوء الأبدي. إنها تريدك، تريد الضوء الأحمر الساطع لحياتك.

لقد ميزتُ الشيطانية المخيفة للطبيعة البشرية. وغطيتُ عينيّ أمامها. ومددتُ يدي لأدافع عن نفسي، إذا ما أراد شخص أن يقترب مني خوفاً من أن يسقط ظلي عليه، أو يسقط ظله عليّ، بما أنني أرى الشيطاني فيه أيضاً، وهو الرفيق عديم الأذى لظله.

لا أحد يلمسني، ويكمنُ الموت والجريمة بانتظارك أنت وأنا. أنت تبتسمُ ببراءة يا صديقي؟ ألا ترى أن وميضاً لطيفاً في عينك، يكشف الرعب الذي أنت مرساله الغافل؟ يزأر نمرك المتعطش للدم برقة، وتهسّ أفعاك السامة سراً، بينما أنت، من لا تعي إلا طيبتك، تقدّمُ يدك لي في تحية. أنا أعرفُ ظلّك وظلي الذي يتبعنا ويأتي معنا، وينتظرُ ساعة الغسق حيث سيخنقك ويخنقني بكل ديمونات الليل.

أية هاوية من تاريخ الدم الذي يقطر، تفصلك عني! لقد أمسكت بيدك ونظرت إليك. لقد وضعتُ رأسي في حضنك وشعرت الدفء الحي لجسدك على جسدي كما لو أنه جسدي أيضاً ـ وفجأة شعرتُ بحبل أملس حول عنقي، وقد خنقني بدون رحمة، ومطرقة قاسية تدق مسماراً في صدغي. لقد جُررتُ من قدمي على الرصيف، والتهمت كلاب برية جسدي في وحدة الليل.

يَجبُ ألا يُصابَ أحدٌ بالدهشة لأن الناس متباعدون بشدة بحيث لا يمكن لأحدهم أن يفهم الآخر، وأنهم يشنّون الحروب، ويقتلُ أحدهم الآخر. بل يجب أن يُفاجأ المرء أكثر من أن الناس يعتقدون أنهم متقاربون، ويفهم أحدهم الآخر ويحبّه. سيتم اكتشاف أمرين. الأول هو الخليج اللامحدود الذي يفصل أحدنا عن الآخر. والثاني هو الجسر الذي يمكنه أن يربطنا. هل فكرتم كم من الحيوانية غير المتوقعة تصبح ممكنة بصحبة البشر؟

عندما سقطتْ روحي بين يديّ الشرّ، كانت عزلاء إلا من صنارة صيد[635] ضعيفة يمكنها استخدامها لسحب الأسماك من بحر الفراغ بقوتها. لقد رشفتْ عين الشرير قوة روحي كلها، ولم تبق إلا إرادتها، وهي مجرّد خطّاف صيد صغير. لقد أردتُ الشرّ، لأنني أدركتُ أنني لن أستطيع أن أتجنّبه. ولأنني أردتُ الشرّ، أمسكتْ روحي الخطاف الثمين الذي كان يُفتَرَضُ أنه سوف يضرب المكان الضعيف لدى الشرير. من لا يريد الشرّ،

---

[635] ملاحظة يونغ الهامشية في مجلد الخط الفني هي : "Khândogya-upanishad 1,2,1–7." كُتِب في أبنيشاد تشاندوغيا: "مرة، عندما نظّم الآلهة والشياطين، وكلهم أبناء براجاباتي، أنفسهم، مجموعة ضد الأخرى، حصل الآلهة على النشيد السامي. (بهذا سنفوقهم قوة) هذا كان اعتقادهم. لذا كانوا يبجّلون النشيد السامي مثل الهواء الذي يمر عبر فتحتي الأنف. لقد ملأه الشياطين بالشر. نتيجة لذلك، كان بوسع المرء أن يشم فيه رائحة الخير والشر معاً، لأنه كان مليئاً بالشر. ومن ثم بجّلوا النشيد السامي ككلام. وملأه الشياطين بالشر. نتيجة لذلك، أصبح المرء يقول ما هو صحيح وما هو زائف معاً، لأنه كان مليئاً بالشر. وبعدها بجّلوا النشيد السامي كبصر. ملأه الشياطين بالشر. نتيجة لذلك يرى المرء به ما هو جميل وما هو ليس كذلك، لأنه مليء بالشر./ ثم بجلوا النشيد السامي كسمع. وملأه الشياطين بالشر. نتيجة لذلك، يسمع المرء به ما هو ممتع وما هو ليس كذلك، لأنه مليء بالشر.ثم بجّلوا النشيد السامي كعقل. وملأه الشياطين بالشر. نتيجة لذلك، يتخيل المرء به الخيالات الجيدة والسيئة، لأنه مليء بالشر. أخيراً، بجّلوا النشيد السامي على أنه مجرّد النَفَس الموجود في الفم. وعندما اندفع الشياطين نحوه، تم تحطيمهم إلى قطع كما تندفع كتلة من التراب نحو هدف من الصخر" (أبنيشاد، ترجمة ب أوليفيل. [أوكسفورد: مطبعة جامعة أوكسفورد، 1996]). النشيد السامي هو (أوم).

فلن يحظى بفرصة لينقذ روحه من الجحيم. طالما أنه يبقى في ضوء العالم العلوي، فسيصبح ظلاً لنفسه. لكن روحه ستهزل في سجون الديمونات. ستكون هذه بمثابة قوة مقابلة تقيد روحه للأبد. ستبقى الدوائر الأعلى للعالم الداخلي متعذْرة عليه. إنه يبقى حيث هو، بل إنه يتراجع. أنت تعرف هؤلاء الناس، وتعرف كم تنثر الطبيعةُ الحياةَ والقوة الإنسانية على الصحاري القاحلة بسخاء. يجب ألا تندب هذا، وإلا ستصبح نبياً وتسعى إلى تخليص ما لا يمكن تخليصه. ألا تعرف أن الطبيعة تسمّد حقولها بالبشر أيضاً؟ عليك أن تقبل الملتمس، لكن لا تخرج وتلتمس من يخطئون. ماذا تعرف عن خطئهم؟ ربما يكون مقدّساً. يجب ألا تزعج المقدّس. لا تنظر للخلف وتندم على أي شيء. أترى كم يسقط ممن حولك؟ أتشعر بالتعاطف؟ لكن يجب أن تعيش حياتك، بما أنه سيبقى واحد من بين ألف حينها. لا يمكنك إيقاف الموت.

لكن لماذا لم تقتلع روحي عين الشرير؟ للشرير عدة أعين، وخسارة واحدة لا تعني شيئاً. لكن لو أنها فعلت ذلك، لأصبحت تحت سحر الشرير بالكامل. الشرير لا يقدم التضحية. يجب ألا تصيبه بأذى، وبخاصة عينه، لأن الأكثر جمالاً لن يوجد ما لم يره الشرير ويرغب به. الشرير مقدس.

ليس هناك شيء يمكن للفراغ أن يضحي به، بما أنه مفتقر على الدوام. الامتلاء وحده يستطيع التضحية، بما أن لديه الامتلاء. لا يستطيع الفراغ التضحية بجوعه للامتلاء، بما أنه لا يستطيع أن ينكر جوهره الخاص. لذلك نحتاج إلى الشرّ أيضاً. لكنني أستطيع التضحية برغبتي بالشرّ، لأنني تلقيتُ الامتلاء سابقاً. تتدفّق القوة كلها عائدة إليّ ثانية، بما أن الشرّ دمّر الصورة التي حصلت عليها لتشكيل المخلّص. لكن صورة تشكيل المخلّص في داخلي لم تُدمّر بعد. أنا أخشى هذا الدمار بما أنه مريع جداً، وهو تدنيس غير مسبوق للمعابد. يسعى كل شيء فيّ ضد هذا الفعل القبيح الذي لا يقاس عمقه. لأنني لا أعرف بعد معنى ولادة مخلّص.

الفصل الثالث عشر:

القتل القرباني[636]

كانت تلك هي الرؤية التي لم أرغب برؤيتها، والرعب الذي لم أرغب بأن أعيشه: شعور ممرض من الغثيان يتسلل إليّ، وأفاعٍ بغيضة غادرة تشقّ طريقها ببطء مجلجلة عبر الأشجار القصيرة العطشى، إنها تتعلّق بكسل مقزز على الأغصان، وتدلّي نفسها ملتفّة في عقد مخيفة. أتردد في دخول هذا الوادي المخيف الشنيع، حيث تنتصبُ الأغصان في ممرات حجرية قاحلة. ويبدو الوادي عادياً جداً، وتفوح من هوائه رائحة الجريمة والأفعال الجبانة. يطبقُ عليّ شعور بالتقزز والرعب. أسير متردداً على الصخور، متجنّباً كل مكان مظلم خشية أن أطأ ثعباناً. تشرق الشمس أسبوعياً من سماء رمادية بعيدة، وأوراق النباتات كلها ذابلة. هناك دمية برأس محطّم على بعد خطوات مني وسط الحجارة، ومئزر صغير ـ وهناك خلف الشجرة القصيرة، يوجد جثة لفتاة صغيرة، مغطاة بجروح مريعة، وملوثة بالدم. تلبس في إحدى القدمين جورباً وحذاء، بينما القدم الأخرى عارية ومسحوقة بشدة ـ الرأس ـ أين الرأس؟ الرأس

[636] عنوان المقطع في المسودة المكتوبة بخط اليد هو "المغامرة الثامنة" (الصفحة 793).

عبارة عن كتلة من الدم والشعر وقطع بيضاء من العظام، محاطة بحجارة ملوثة بمادة الدماغ والدم. لقد أسر هذا المشهد المريع أبصاري ـ هناك أيضاً هيئة يشبه هيئة امرأة تقف بهدوء قرب الطفلة، كان وجهها مغطى بحجاب مصمت وقد سألتني:

الروح: "ما رأيك؟"

أنا: "ماذا عليّ أن اقول؟ هذا يتجاوز الكلام".

الروح: "أتفهم هذا؟"

أنا: "أنا أرفض أن أفهم هذه الأشياء. لا أستطيع أن أتحدثَ عنها من دون أن يصيبني غضب شديد".

الروح: "لِمَ الغضب؟ يمكن إذاً أن تغضب كل يوم في حياتك، لأن هذه الأشياء وأشياء مشابهة تحدث كل يوم".

أنا: "لكنني لا أراها في معظم الأحيان".

الروح: "ألا تكفي معرفتك بأنها تحدث، لإثارة غضبك؟"

أنا: "إن عرفتُ بأمر ما فقط، فسوف يكون الأمر أسهل وأبسط. يكون الرعب أقل واقعية إن لم يكن لديّ إلا المعرفة".

الروح: "اقتربْ وسترى أن جثة الطفلة قد فُتحت، تعال واستخرجْ الكبد".

أنا: "لن ألمس الجثة. إن رأى أحدٌ هذا فسيعتقد أنني القاتل".

الروح: "أنت جبان، استخرجْ الكبد".

أنا: "لِمَ عليّ أن أفعل هذا؟ هذا سخيف".

الروح: "أريدك أن تستخرجِ الكبد. يجب أن تفعل هذا".

أنا: "من أنتِ لتعطيني أمراً كهذا؟"

الروح: أنا روح هذه الطفلة. يجب أن تفعل هذا من أجلي".

أنا: لا أفهم، لكنني سأصدقك وأفعل هذا الفعل المريع المنافي للعقل".

مددتُ يدي إلى تجويف أحشاء الطفلة، وكان لا يزال دافئاً، ولا يزال الكبد معلقاً ـ أخذتُ سكيني وحررت الأربطة، ثم أخرجته وحملته بيدين داميتين إلى تلك الشخصية.

الروح: "أشكرك".
أنا: "ماذا عليّ أن أفعل؟"
الروح: "أنت تعرف معنى الكبد، يجب أن تؤدي فعل الشفاء به"[637]
أنا: "ماذا يجب أن أفعل؟"
الروح: "خذ قطعة من الكبد، بدلاً من الكبد كله، وكلها".
أنا: "ماذا تطلبين؟ هذا جنون صرف. هذا تدنيس، إنه نيكروفيليا[638]. أنت تجعلينني مذنباً بهذه الجريمة الأكثر شناعة".
الروح: "لقد اخترعتَ العذاب الأكثر ترويعاً من أجل القاتل الذي يكفّر عن فعلته. هناك كفارة واحدة فقط: حقّر نفسك وكُلْ".
أنا: "لا أستطيع ـ أنا أرفض ـ لا أستطيع المشاركة بهذا الذنب المريع".
الروح: "أنت تشارك في هذا الذنب".
أنا: "أنا؟ أنا أشارك في هذا الذنب؟!"
الروح: "أنت إنسان، ومن ارتكب هذا الفعل إنسان".
أنا: "نعم، أنا إنسان وأنا ألعن أياً كان من فعل هذا لأنه إنسان، وألعن نفسي لأنني إنسان".
الروح: "إذاً، شارك في فعلته، وحقّر نفسك وكُلْ. أحتاج إلى الكفارة".
أنا: "ليكن ذلك من أجلك، بما أنك روح هذه الطفلة".

جثوت على الحجر، قطعتُ قطعة من الكبد ووضعتها في فمي. أصبتُ بالغثيان وانهمرت الدموع من عيني وغطّى عرق بارد جبهتي. كان طعم الدم حلواً وخفيفاً وقد بذلتُ جهوداً يائسة لأبتلعه، هذا مستحيل. أوشكتُ أن يغمى عليّ عدة مرات. لقد تم الأمر أخيراً وتم إنجاز هذا الرعب[639].

الروح: أشكرك".

---

[637] كتب يونغ في كتاب "المذكرات" عندما كان يعلّق على حلم ليفربول: "حسب وجهة نظر قديمة، الكبد هو مقعد الحياة" (الصفحة 224).

[638] شذوذ جنسي يتعلّق بمجامعة الموتى – المترجمان.

[639] عام 1940 ناقش يونغ أكل لحم البشر الطقسي والقرابين والتضحية بالذات في "رمزية التحولات في القداس" (الأعمال الكاملة 11)

أزاحت حجابها ـ إنها عذراء جميلة بشعرٍ بنّي مفعمٍ بالحياة.

الروح: "هل عرفتني؟"

أنا: "تبدين مألوفة بشكل غريب! من أنت؟"

الروح: "أنا روحك"[640].

تم تحقيق التضحية: إن الطفلة المقدّسة هي صورة تشكيل المخلّص، وقد ذُبحَت وأكلتُ أنا من اللحم القرباني[641]. لم تكن هذه الطفلة تحملُ اشتهائي الإنساني وحسب، بل شملتْ القوى البدئية والأصلية التي يمتلكها أبناء الشمس كإرثٍ غير قابل للإزالة. يحتاج المخلّص كل هذا من أجل تكوينه. لكن عندما يتم خلقه ويسرع بعيداً إلى الفضاء اللانهائي، نحتاجُ نحن إلى ذهب الشمس. يجب أن نجدد أنفسنا. لكن كما أن ابتداع المخلّص هو خلقٌ للحب الأسمى، تُشيرُ استعادة حياتنا البشرية إلى فعل قام به الأسفل. هذا لغز عظيم وقاتم. لا يمكن للإنسان أن يحقق هذا الفعل وحده فقط، بل يساعده الشرّ الذي يقوم به بدلاً من الإنسان. لكن الإنسان يجب أن يُدركَ مشاركته فيما فعله الشرّ. يجب أن يصبح شاهداً على هذا الإدراك من خلال تناوله من اللحم القرباني الدامي. ومن خلال هذا العمل، يشهدُ أنه إنسان، ويدركُ الخير والشرّ معاً، ويدركُ أنه يدمّر صورة تشكيل المخلّص من خلال سحب قوة حياته التي يفصل بها نفسه أيضاً عن المخلّص. يحدث هذا من أجل خلاص الروح، التي هي الأم الحقيقية للطفل المقدس.

---

[640] في الكتاب الأسود 3 كتب يونغ: "أُسدلت الستارة. أية لعبة مخيفة تم لعبها هنا؟ أدركت أن: Nil humanum a me alienum esse puto [لا شيء إنساني غريب علي]. (الصفحة 91). العبارة من مسرحية Heauton Timorumenos للكاتب المسرحي الروماني تيرانس. في 2 أيلول 1960، كتب يونغ لهربرت ريد قائلاً: "كعالم نفس طبيب أنا لا أفترض وحسب، بل أنا مقتنع تماماً أن nil humanum a me alienum esse هو واجبي أيضاً" (الرسائل 1، الصفحة 589)

[641] بدلاً من هذه العبارة يوجد في المسودة: "أنجزت هذه التجربة ما كنت بحاجة إليه. حدثتْ بأفظع شكل ممكن. الشر الذي أردتهُ قام بفعل شنيع، ويبدو أنه فعله من دوني لكنه فعله معي، بما أنني عرفتُ أنني أشارك في كل رعب الطبيعة البشرية. دمرتُ الطفلة المقدسة، صورة تشكيل إلهي، عبر أفظع جريمة يمكن للطبيعة البشرية ارتكابها. يحتاج تدمير صورة المُخلّص الذي يشرب قوة حياتي كلها، إلى كل هذه الفظاعة كي أستطيع استعادة حياتي" (الصفحة 355)

عندما حملتْ روحي المخلّص وولدته، كانتْ من طبيعة بشرية بالكامل، وكانت تمتلك القوة البدائية منذ الزمن السحيق، لكنها كانت في حالة خاملة. لقد تدفقتْ القوى لتشكيل المُخلّص من دون مساعدتي. لكن من خلال جريمة القتل القرباني، افتديتُ القوى البدائية وأضفتها إلى روحي. وبما أنها جزء من نموذج حي، فهي لم تعد خاملة، بل مستيقظة ونشطة وتنير روحي بعملها....، وهي من خلال هذا، تتلقى سمةً سماوية. ولذلك ساعد تناول اللحم القرباني في شفائها. لقد أشار لنا الأسلاف لنفعل هذا أيضاً، من حيث أنهم علّمونا أن نشربّ دم المخلّص وأكل لحمه. آمن الأسلاف بأن هذا يشفي الروح[642].

ليست هناك الكثير من الحقائق بل القليل فقط. إن معناها عميق جداً ولا يمكن أن نفهمه إلا من خلال الرموز[643].

ماذا يكون مُخلّص ليس أقوى من الإنسان؟ لا يزال عليك أن تتذوّق الرعب المقدّس. كيف ستصبح جديراً بالاستمتاع بالنبيذ والخبز إن لم تكن قد لمست القاع الأسود للطبيعة البشرية؟ لذلك أنتم عبارة عن ظلال شاحبة وفاترة تفخرونُ بسواحلكم الضحلة وطرقاتكم الريفية العريضة. لكن بوابات السدّ ستُفتح، هناك أشياء لا ترحم، لا يمكن أن ينقذكم منها سوى الإله.

إن القوة البدائية هي إشعاع الشمس الذي حمله أبناء الشمس في ذواتهم طوال دهور ونقلوه إلى أولادهم. لكن إن غاصت الروح في الإشعاع، فسوف تصبحُ قاسية مثل المخلّص نفسه، بما أن حياة الطفلة المقدسة التي أكلتَها، ستبدو مثل جمر مشتعل فيك. سوف تحرق داخلك مثل نار مريعة لا يمكن إخمادها. لكن على الرغم من العذاب، لا يمكنك أن تتركها بما أنها لن تتركك. من هذا ستفهم أن مُخلّصك حيّ، وأن روحك بدأت تجوب الدروب القاسية. أنت تشعر أن نار الشمس قد ثارت فيك، وأُضيفَ إليك شيء جديد، ومحنةٌ مقدّسة.

---

[642] أي: طقس القدّاس.

[643] طوّر يونغ أفكاره المتعلقة بأهمية الرموز في كتاب "النماذج السيكولوجية" (1921). راجع الأعمال الكاملة 6، 814 ف ف.

أحياناً لا تعود تميز نفسك. أنت تريد أن تتغلّب عليها، لكنها تتغلب عليك. تريد أن تضع حدوداً، لكنها تجبرك على الاستمرار. تريد مراوغتها، لكنها تأتي معك. تريد توظيفها، لكنك أداة لها. تريد أن تفكّر فيها، لكن أفكارك تطيعها. أخيراً، يطبقُ عليك خوف مما لا مهرب منه، لأنه يلحقُ بك ببطء وبشكل لا يُقهر.

ليس هناك من مهرب. لذا تتمكن من معرفة ما هو الإله الحقيقي. ستخترع الآن حقائق بديهية ذكية وإجراءات وقاية، وطرق هروب سرية وأعذار، وجرعات قادرة على التسبب بالنسيان، لكن كل هذا هباء. تحترق النار فيك. هذا ما يدلك على الطريق، ويجبرك على السير فيها.

لكن الطريق هو طريق ذاتي الخاصة، وحياتي التي تأسست على ذاتي. يريد المُخلّص حياتي. ويريد أن يذهب معي، ويجلس إلى الطاولة معي، ويعمل معي. والأهم من ذلك أنه يريد أن يبقى حاضراً أبداً[644]. لكنني أخجل به. لا أريد أن أكون مقدساً بل متعقّلا. يبدو لي المقدس جنوناً لاعقلانياً. أنا أكرهه لأنه إزعاج مناف للعقل لنشاطي الإنساني الهام. يبدو أنّ مرضاً غير لائق قد تسلل إلى مجرى حياتي العادي. نعم، حتى أنني أجد أن السماوي زائد عن الحاجة.

[644] في عام 1909، طلب يونغ بناء منزله في كاناشت، وطلب نقش شعار عراف ديلفي فوق الباب: "Vocatus atque non vocatus deus aderit" (إن طلبته أم لم تطلبه، فإن الإله سيكون حاضراً). إن مصدر هذا الاستشهاد كان كتاب Collectanea adagiorum لإيراسموس. وقد شرح يونغ الشعار كالتالي: "يقول، نعم، الإله سيكون موجوداً، لكن بأي شكل ولأية غاية؟ لقد وضعتُ النقش هنا لأذكّر مرضاي ونفسي: Timor dei initium sapientiae [المزمور 111: 10] (رأس الحكمة مخافة الرب). هنا يبدأ طريق جديد ليس أقل أهمية، ليس لمقاربة "المسيحية" بل "الله" نفسه ويبدو أن هذا هو السؤال الأقصى" (يونغ ليوجين رولف، 19 تشرين الثاني 1960، الرسائل 2، الصفحة 611).

الفصل الرابع عشر:

الحماقة السماوية[645]

[646]أقف في قاعة عالية السقف. أرى أمامي ستارة خضراء بين عمودين. تتحرك الستارة بسهولة. وأرى غرفة صغيرة عميقة بجدران عارية. وهناك نافذة صغيرة بزجاج أزرق في الأعلى. أطأ العتبة التي تؤدي إلى الغرفة بين العمودين وأدخل. أرى في الجدار الخلفي باباً يقود إلى اليمين وآخر يقود إلى اليسار. كما لو أنه علي أن أختار بين اليمين واليسار.

أختار الأيمن. وأجد الباب مفتوحاً، فأدخل: أنا في غرفة القراءة في مكتبة كبيرة. يجلسُ في الخلفية رجل ضئيل نحيل ذو بشرة شاحبة، ويبدو أنه قيّم المكتبة. الجو مقلق – طموحٌ علميّ بحثيٍّ، وعَجَبٌ علميّ بحثيّ، وغرورٌ مجروحٌ للعلمِ البحثيّ. لا أرى أحداً سوى قيّم المكتبة فأتقدم باتجاهه. يرفع رأسه عن كتابه ويقول: "ماذا تريد؟"

أشعر ببعض الإحراج، بما أنني لا أعرف ماذا أريد حقاً: يخطر في بالي (توماس أَ كيمبيس).

أنا: أرغب باستعارة كتاب (توماس أ كيمبيس) "تقليد المسيح"[647].

---

[645] في المسودة بخط اليد العنوان هو "المغامرة التاسعة، الليلة الأولى" (الصفحة 814).

[646] 14 كانون الثاني - يناير 1914.

[647] كتاب"تقليد المسيح" هو كتاب تعليمات تعبّدية ظهر في بداية القرن الخامس عشر وأصبح رائجاً جداً. لا يزال مؤلفه موضع خلاف، لكنه يُنسب عادة لتوماس أ كيمبيس (1380- 1471)، الذي كان عضواً في أخوية "الحياة العامة" وهو مجتمع ديني في هولندا كان الممثل الرئيسي لحركة devotio

نظر إليّ بدهشة نوعاً ما كما لو أنه لم ينسب إلـيّ فضـل اهتمـام كهـذا، وأعطاني استمارة لأملأها. وأظنّ أنا أيضاً أن طلب كتاب توماس أ كيمبس يسبب الدهشة.

"هل يفاجئك أنني طلبتُ كتاب توماس؟"

"نعم، نادراً ما يُطلب هذا الكتاب، وما كنت سأتوقع هذا الاهتمام منك".

"يجب أن أعترف أن هذا الإلهام فاجأني، لكنني صادفتُ مؤخراً فقـرة من كتاب توماس، وقد تركت انطباعاً خاصاً لدي. أنا لا أعـرف السـبب فعلاً. وإن لم تخني ذاكرتي، كانت تتحدثُ عن مسألة تقليد المسيح".

"ألديك اهتمامات لاهوتية أو فلسفية معينة أم..."

"أتسأل عمّا إن كنت أقرأه من أجل الصلاة؟"

"حسن، هذا احتمال مستبعد".

"إن قرأتُ توماس أ كيمبيس، فأنا أفعل هـذا مـن أجـل الصـلاة أو مـا شابه، بدلاً من أن يكون بدافع البحث العلمي".

"هل أنت متديّن إلى هذه الدرجة؟ لا أعرف إطلاقاً".

"أنت تعرف أنني أقدّر العلـم بشـكل خـاص. لكـن هنـاك لحظـات في الحياة يتركنا فيها العلم فارغين ومرضى أيضاً. في لحظـات كهـذه، فـإن كتاباً مثل كتاب توماس يعني لي الكثير بما أنه مكتوب من الروح".

---

moderna وهي حركة تشدد على التأمل والحياة والداخلية. وبلغة واضحة وبسيطة، فإن "تقليد المسيح" يحضّ الناس على أن يهتمّوا بالحياة الروحية الداخلية بدلاً من الأشياء الخارجية، ويقدم النصائح حول كيفية عيش هذا، ويظهر الراحة والمكافآت النهائية لعيش الحياة في المسيح. إن العنوان مشتقّ من السطر الأول للفصل الأول، حيث ينصح أيضاً أن "بأي شخص يريد أن يفهم ويتذوّق كلمات المسيح بالحد الأقصى، يجب أن يجرّب أن يجعل حياته كلها تتوافق مع نموذج حياة المسيح" (تقليد المسيح" ترجمة ب نوت [لندن: فاونت، 1996] الكتاب 1 الفصل 1 الصفحة 33). يعود موضوع تقليد المسيح إلى وقت أبكر بكثير. وهناك الكثير من النقاش في العصور الوسطى فيما يخص كيفية فهم هذا (عن تاريخ هذه الفكرة، راجع فصل "مثال تقليد المسيح" في كتاب "ثلاث دراسات عن دين العصور الوسطى والفكر الاجتماعي" لغيلز كونستابل. [كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج: 1995] الصفحات 143- 248). وكما يظهر كونستابل، يمكن أن تميّز مقاربتين عريضتين، ويمكن أن تفهم التقليد وفقهما: الأولى: تقليد ألوهية المسيح، التي تشدد على عقيدة التأليه التي "أظهر فيها المسيح الطريقة لنصبح آلهة من خلاله" (الصفحة 218). والثانية: تقليد إنسانية وجسد المسيح، التي تشدد على تقليد حياته على الأرض. وظهر الشكل الأكثر تطرفاً في تقليد جروح الصلب، أي الأشخاص الذين حملوا جروح المسيح على أجسادهم.

"لكنه قديم الطراز نوعاً ما. لم نعد ندخل في بحثِ علم العقائد المسيحية هذه الأيام، بالتأكيد".

"لم ننته بعد من المسيحية ولا نضعها ببساطة جانباً. يبدو لي أن فيها أكثر مما نراه".

"ماذا فيها؟ إنها مجرّد ديانة".

"لأية أسباب، والأهم من ذلك، في أي عمر يضعها الإنسان جانباً؟ أنا أفترضُ أن معظم الناس يفعلون هذا خلال أيام دراستهم، أو ربما في وقت أبكر. هل تصف هذا العمر بأنه عمر التحامل بشكل خاص؟ وهل تفحّصت يوماً مدى تشابه الأسباب التي يضع بسببها الناس ديانة إيجابية جانباً؟ إن هذه الأسباب مشبوهة غالباً، مثل تعارض محتوى الإيمان مع العلم الطبيعي أو الفلسفة".

"بحسب وجهة نظري، يجب أن لا نرفضَ هذا الاعتراض بشكل كامل، على الرغم من حقيقة أن هناك أسباباً أفضل. مثلاً، أنا أعتبرُ أن نقص الإحساس الحقيقي والمناسب بحقيقة الأمور في دين ما هو أحد السيئات. توجد الآن بدائل كثيرة لقلّة الصلاة التي سببها انهيار الدين. نيتشه مثلاً، قد كتبَ كتابَ صلاةٍ حقيقي[648]، ناهيك عن فاوست".

"أظن أن هذا صحيح في معنى ما. لكن حقيقة نيتشه على وجه الخصوص، تبدو لي جياشة واستفزازية للغاية - إنها تناسب من لم يتحرر بعد. ولهذا السبب فإن حقيقته مناسبة لهؤلاء فقط. أظن أنني اكتشفتُ مؤخراً أننا نحتاج أيضاً إلى حقيقة من أجل من وقع في مأزق. من الممكن أنهم يحتاجون إلى حقيقة محبطة، تجعل الإنسان أصغر وأكثر توجهاً نحو الداخل".

"عذراً، لكن نيتشه يوجّه الإنسان إلى الداخل بشكل جيد للغاية".

"ربما تكون على حقّ من وجهة نظرك أنت، لكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الشعور بأن نيتشه يتحدث مع من يحتاجون إلى مزيد من

---

[648] أي كتاب "هكذا تكلم زارادشت".

الحرية، وليس مع من واجهوا صعوبات الحياة، والذين ينزفون من جروحهم، ومن يتمسكون بحقائق الأمور".

"لكن نيتشه يعطي شعوراً بالفوقية على هؤلاء الناس".

"لا أستطيع الجدال في هذا الأمر، لكنني أعرف أشخاصاً يحتاجون إلى الدونيّة، وليس الفوقيّة".

"أنت تعبّر عن نفسك بشكل متناقض جداً. أنا لا أفهمك. لا يمكن للدونيّة أن تكون أمنية".

"ربما ستفهمني أكثرٍ إن قلت كلمة "استكانة" بدلاً من "دونية"، وهي كلمة كنّا نسمعها كثيراً، لكن لم نعد نسمعها إلا نادراً".

"وتبدو كلمة مسيحية جداً أيضاً".

"كما قلتُ، يبدو أن هناك أشياء كثيرة في المسيحية من الأفضل للمرء أن يبقي عليها. إن نيتشه يحبّ المعارضة كثيراً، مثل كل شيء سليم وطويل الأمد، ولسوءٍ الحظ، فإن الحقيقة تلتزم أكثر بالطريق الأوسط الذي نبغضه جوراً".

"لم أكن أعرف أن لديك هذا الموقف المتأمل".

"ولا أنا - إن موقفي ليس واضحاً تماماً بالنسبة إلي. إن كنت أتأمل، فأنا أفعل ذلك بطريقة غريبة جداً بالتأكيد".

في هذه اللحظة أحضر الخادم الكتاب، وانصرفتُ عن قيّم المكتبة.

يريد الإلهي أن يعيش معي. ومقاومتي له لا تجدي. سألت تفكيري عن الأمر فأجابني: "خذ الشخص الذي يُريكَ كيف تعيش الإلهي، مثالاً لك". إن مثالنا الطبيعي هو المسيح. وقد تبعنا قانونه منذ الأزمنة السحيقة، أولاً بشكل خارجي، ثم بشكل داخلي. وفي البداية كنا نعرف هذا، ثم لم نعد نعرفه. لقد قاتلنا المسيح وتخلّصنا منه، وبدا لنا أننا منتصرون. لكنه بقي فينا وكان سيداً علينا.

أن نُقيد بأغلال مرئية، لهو أفضل من أن تكون غيرِ مرئية. يمكنك أن تترك المسيحية بالتأكيد، لكنها لا تتركك. إن تحرركَ منها أشبه بالوهم.

إن المسيح هو الطريق. ويمكنك أن تهرب من الطريق بالتأكيد، لكنك حينها لا تعود على الطريق. إن طريقه ينتهي على الصليب، ولهذا صلبناه في أنفسنا. ومعه ننتظر حتى نموت، من أجل قيامتنا[649]. مع المسيح، لا يختبرُ الأحياء قيامة، ما لم تحدث بعد الموت[650].

إن قلدتُ المسيح، فهو يسبقني دوماً ولا أستطيع الوصول إلى الهدف، ما لم أصل إليه معه. لكنني بهذا أتجاوز نفسي وأتجاوز الزمن الذي أكون فيه ومن خلاله ما أنا عليه. وبهذا أتخبّط إلى المسيح وزمنه الذي خلقه هكذا وليس بشكل آخر. أنا خارج زمني، على الرغم من أن حياتي في هذا الزمن، وأنا منقسم بين حياة المسيح وحياتي التي لا تزال تنتمي إلى هذا الزمن الحاضر. لكن إن كنت أريد أن أفهم المسيح حقاً، فيجب أن أدرك أن المسيح عاش حياته فقط، ولم يقلّد أحداً. ولم يضاهِ أي نموذجٍ[651].

إن قلّدتُ المسيح حقاً، فأنا لا أقلّد أحداً ولا أضاهي أحداً، بل أسير في طريقي، ولن أستمرّ بأن أقول إنني مسيحي أيضاً. أردتُ في البداية مضاهاة المسيح وتقليده في عيش حياتي، وأنا أطبّق وصاياه. اعترض صوت في داخلي على هذا، وأراد أن يذكّرني بأن زمني له أنبياؤه الذين يكافحون ضد النير الذي يثقلنا به الماضي. لم أنجح في توحيد المسيح مع رسل هذا العصر. كان أحدهم يريد الحمل، والآخر يريد التخلص،

---

[649] في كتاب "تقليد المسيح" كتب توماس أ كيمبيس: "ليس هناك خلاص للروح ولا أمل بالحياة الأبدية إلا على الصليب. احمل صليبك إذاً واتبع يسوع، وستدخل الحياة الأبدية. لقد مضى أمامك حاملاً صليبه ومات عليه من أجلك، كي تحمل أنت أيضاً صليبك، وتتوق إلى الموت على الصليب. لأنك إن شاركته في موته، فستشاركه في حياته أيضاً" (الكتاب 2، الفصل 12، الصفحة 90).

[650] يستمر في المسودة: "لكننا نعرف أن الأسلاف تحدثوا إلينا من خلال الصور. لذا أرشدني تفكيري إلى مضاهاة المسيح، وليس تقليده، بما أنه الطريق. إن تبعتُ طريقاً، فأنا لا أقلده. لكن إن قلدتُ المسيح، فسوف يصبح هو هدفي وليس طريقي. لكن إن كان هو طريقي، فسوف أذهب إلى غايته هو، كما علمتني الأسرار سابقاً. ولهذا تحدث إلي تفكيري بطريقة مشوشة ومبهمة، لكنه نصحني بتقليد المسيح" (الصفحة 366).

[651] يستمر في المسودة: "قاده طريقه إلى الصليب لأن طريق البشرية يؤدي إلى الصليب. تؤدي طريقي إلى الصليب أيضاً، لكن ليس صليب المسيح، بل صليبي أنا، وهو صورة التضحية والحياة. لكن بما أنني ما زلت أعمى، فإنني أميل إلى الاستسلام لإغواء التقليد الهائل وللنظر إلى المسيح كما لو أنه هدفي وليس طريقي" (الصفحة 367).

أحدهم يطلب الخضوع، والآخر يطلب الإرادة[652]. كيف سأفكر بهذا التناقض من دون أن أظلم أياً منهما؟ ربما ما لم أستطع توحيده في ذهني، يُعير نفسه ليعيش أحدهما ثم الآخر.

وهكذا قررت أن أعبر إلى الحياة اليومية الأدنى، حياتي، وأن أبدأ من حيث أقف هناك.

عندما يؤدي التفكير إلى ما لا يمكن تصوّره، يكون الوقت قد حان للعودة إلى الحياة البسيطة. ما لا يستطيع التفكير أن يحلّه، تستطيع الحياة أن تحلّه، وما لا يمكن للفعل أن يتخذ قراراً بشأنه، يبقى من أجل التفكير. إن ارتقيت إلى الأعلى والأصعب والتمست الخلاص الذي يصل إلى ذرى أعلى، فإن الطريق الحقيقي لا يتّجه إلى الأعلى، بل إلى الأعماق، بما أن جزئي الآخر فقط يقودني إلى ماوراء نفسي. لكن قبول الآخر يعني النزول إلى النقيض، من الجدية إلى السخرية، من المعاناة إلى المرح، من الجمال إلى القبح، من الطهر إلى الدنس[653].

---

[652] يبدو أن الإشارات هنا تخص شوبنهاور ونيتشه على التوالي.

[653] يستمر في المسودة: "فكر بهذا. إن تفكر به فسوف تفهم المغامرة التي أزعجتني في الليلة التالية" (الصفحة 368)

الفصل الخامس عشر:

الليلة الثانية

Nox secunda[654]

عند مغادرة المكتبة، وقفتُ في الغرفة الأمامية من جديد[655]. ونظرت هذه المرة إلى الباب الأيسر. وضعتُ الكتاب الصغير في جيبي وذهبت إلى الباب، كان مفتوحاً أيضاً، ويؤدي إلى مطبخ كبير فيه مدخنة كبيرة فوق الموقد. هناك طاولتان طويلتان وسط الغرفة، ومطوقتان بالمقاعد. توجد قدور ومقال نحاسية وأوعية أخرى على الرفوف التي تصطف على طول الجدران. كان هناك امرأة بدينة تقف عند الموقد ويبدو أنها الطاهية. كانت ترتدي مئزراً من قماش مربع. حييتها، وأنا أشعر ببعض الدهشة، وبدتْ هي مُحرجةً أيضاً فسألتها: "أيمكنني الجلوس قليلاً؟ إن الجو بارد في الخارج ولا بدّ أن أنتظر قليلاً".

"تفضل بالجلوس".

---

[654] عبارة لاتينية تعني "الليلة الثانية".

[655] 17 كانون الثاني - يناير 1914.

مسحت الطاولة أمامي. وبما أنه لم يكن لدي ما أفعله، أخرجتُ كتاب توماس وبدأت أقرأ. لكن الطاهية شعرت بالفضول ونظرت إليّ خلسة. كانت تمر بي بين الحين والآخر.

"المعذرة، هل أنت رجل دين؟"

"لا، لِمَ تعتقدين هذا؟"

"أوه، اعتقدتُ أنك كذلك لأنك تقرأ كتاباً صغيراً أسود. لقد تركتْ لي أمي، رحمها الله، كتاباً كهذا".

"أفهم ذلك، وأيّ كتاب كان ذلك الكتاب".

"إنه يسمّى (تقليد المسيح). إنه كتاب جميل جداً. غالباً ما أصلي من خلال قراءته في الأمسيات".

"لقد خمّنت بشكل جيد، أنا أيضاً أقرأ كتاب تقليد المسيح".

"أنا لا أصدق أن رجلاً مثلك سيقرأ كتاباً كهذا ما لم يكن قساً".

"لِمَ لا أقرأه؟ من المفيد لي أن أقرأ كتاباً جيداً".

"كان بحوزة أمي، رحمها الله، عندما كانتْ على فراش موتها، وقد أعطتني إياه قبل أن تموت".

قلَبت الكتاب بذهن شارد بينما كانت تتكلم. ووقعت عيناي على الفقرة التالية في الفصل التاسع عشر: "يبني الخيّرون نيّاتهم على رحمة الله، التي يثقون بها في أي مسعى لهم أكثر من حكمتهم الخاصة"[656].

وخطرت بذهني فكرة أن هذا هو المنهجُ الحدسيّ الذي ينصح به توماس[657]. ومن ثم التفتُ إلى الطاهية وقلت: "كانت والدتك امرأة ذكية، وفعلت حسناً بأن أعطتك هذا الكتاب".

---

[656] "إن عزم المستقيمين يعتمدُ على نعمة الله وليس على حكمتهم الخاصة، إنهم يثقون به في أي شيء يلتمسونه، لأن الإنسان يعرض، والله يرفض، وليس الإنسان من يختار ما لديه" (تقليد المسيح، الكتاب 1، الصفحة 54).

[657] بدلاً من هذه الجملة يوجد في الكتاب الأسود 4:"حسن يا هنري بيرغسون، إليك هذا ـ هذا هو المنهج الحدسي الأصيل والحق"(الصفحة 9). وفي 20 آذار- مارس 1914، قدّم أدولف كيلر خطاباً عن "بيرغسون ونظرية الليبيدو" في جمعية التحليل النفسي في زيورخ. وفي نقاشه قال يونغ "كان من المفترض أن يُناقش بيرغسون هنا منذ وقت طويل. ويقول كل ما لم نقله"(MZS المجلد 1،

"نعم، بالتأكيد، لطالما مَنَحَني الراحة في الأوقات الصعبة، كما أنه يوفّر لي المشورة الجيدة دوماً".

انغمست في أفكاري ثانية: أظن أن بوسع المرء أن يتبع حاسّة أنفه الشخصي. سيكون هذا منهجاً حدسياً أيضاً[658]. لكن الطريقة الجميلة التي يقوم بها المسيح بهذا، يجبُ أن تكون لها قيمة خاصة. سوف أرغب بأن أقلّد المسيح ـ ثم أطبق عليّ قلق داخلي ـ ماذا يُفترض أن يحدث؟ سمعتُ هسيساً وطنيناً ـ وفجأة ملأ الغرفة صوت مزمجر وكأنه صادرٌ عن سرب من طيور كبيرة ترفرفّ بأجنحتها بشكل مسعور ـ رأيت الكثير من الأشكال البشرية التي تشبه الظلال تندفع، وسمعتُ دمدمة عدة أصوات تلفظ هذه الكلمات: "لنصلِّ في المعبد!"

صرختُ قائلاً: "إلى أين أنتم مندفعون؟" توقف رجل ملتحٍ بشعر أشعث وعينين قاتمتين مشعتين وقال لي: "نحن ذاهبون إلى أورشليم لنصلي عند الضريح الأكثر قداسة".

"خذوني معكم".

"لا يمكنك الانضمام إلينا، لأن لديك جسداً. ونحن موتى".[659]

"من أنت؟"

"أنا حزقيال، وأنا من جماعة الأنابابيست (المعمدانية الجديدة)"[660].

الصفحة 57). وفي 24 تموز - يوليو 1914، قدّم يونغ محاضرة في لندن حيث اشار إلى أن "منهجه الاستدلالي" يتوافق مع "المنهج الحدسي" لبيرغسون. ("عن الفهم السيكولوجي" الأبحاث التي تم جمعها عن علم النفس التحليلي، طباعة كونستانس لونغ [لندن: بالبير، تيندال أند كوكس، 1917] الصفحة 399). إن العمل الذي قرأه يونغ كان L'evolution creatrice (باريس: ألكان، 1907). كانت لديه الترجمة الألمانية طبعة 1912.

[658] نسخة كاري باينز فيها "أنف بيرغسون".

[659] في المسودة المتحدث معرف بشخصية "الغريب".

[660] كان حزقيال التوراتي نبياً في القرن السادس قبل الميلاد. لقد رأى يونغ معنى تاريخياً هاماً جداً في رؤاه التي دمجت الماندالا بالرباعيات، كتمثيل لأنسنة وتمييز ليهوه. على الرغم من أن رؤى حزقيال غالباً ما اعتُبرت مَرَضيَة، فقد دافع يونغ عن كونها عادية، وجادل بأن الرؤى ظاهرة طبيعية يمكن أن تُعتبر مرضية فقط عندما يتم تمثيل مظاهرها البشعة ("جواب للعمل" 1952، الأعمال الكاملة 11، 665، 667، 686). إن الأنابابيستية (المعمدانية الجديدة) كانت حركة راديكالية في القرن السادس عشر للإصلاح البروتستانتي التي حاولت استعادة روح الكنيسة الأولى. وقد نشأت الحركة في زيوريخ في حوالي 1520 حيث ثار أفرادها ضد رفض زوينغلي ولوثر إصلاح الكنيسة

"من هؤلاء المرتحلون معك؟"

"هؤلاء هم إخوتي المؤمنون".

"لمَ ترتحلون؟"

"لا يمكننا التوقف، بل علينا الحج إلى الأماكن المقدسة".

"ما الذي يدفعكم إلى هذا؟"

"لا أعلم. لكن يبدو أننا لم نحظَ بالسلام بعد، على الرغم من أننا متنا على إيماننا الحق".

"لماذا لم تحظوا بالسلام إن كنتم قد متم على إيمانكم الحق؟"

"بدا لي دوماً كما لو أننا لم ننه حياتنا بشكل مناسب".

"هذا أمر مميز ـ كيف ذلك؟"

"يبدو لي أننا نسينا شيئاً هاماً كان علينا أن نعيشه أيضاً".

"وماذا كان؟"

"هل تعرف أنت؟"

بهذه الكلمات مدّ يده بطمع وغرابة نحوي، كانت عيناه تلمعان كما لو أن حرارة داخلية تؤججهما.

"اتركنا أيها الشيطان، أنت لم تعش حيوانك"[661].

كانت الطاهية واقفة أمامي بوجه مذعور، وقد أمسكت بذراعي وأطبقت علي بشدة. صاحت: "بحق الإله، النجدة، ماذا أصابك؟ هل أنت بحالة سيئة؟"

نظرتُ إليها مذهولاً ومتسائلاً: أين أنا. لكن سرعان ما اندفع أشخاص غرباء إلى المكان ـ بينهم قيّم المكتبة ـ الذي كان مذهولاً ومستاءً بشدة في

بالكامل. لقد رفضوا ممارسة معمودية الرضّع، وروجوا لمعمودية البالغين (حدثت أول معمودية كهذه في زوليكون، قرب كاناشت، حيث كان يعيش يونغ). لقد شدّد المعمدانيون الجدد على العلاقة المباشرة مع الله وكانوا ينتقدون المؤسسات الدينية. لقد تم قمع الحركة بعنف وقُتل الآلاف. راجع كتاب "الروحانية المعمدانية الجديدة المبكرة: كتابات مختارة" طبعة دانييل ليختي (نيويورك: المطبعة البولسية: 1994).

[661] في عام 1918 طرح يونغ فكرة أن المسيحية قمعت العنصر الحيواني ("عن اللاوعي"، الأعمال الكاملة 10، 31). وقد أسهب في هذا الموضوع في سيمنار 1923 التي قدمها في بولزيث كورنوال. وفي عام 1939، طرح فكرة أن "الخطيئة السيكولوجية" التي ارتكبها المسيح كانت أنه "لم يعش جانبه الحيواني" (علم النفس الحديث 4. الصفحة 230).

البداية، لكنه ضحك بعد ذلك بخبث: "كان عليّ أن أعرف! أسرعوا، استدعوا الشرطة!"

وقبل أن أتمكن من استجماع نفسي، دفعني حشد من الناس إلى شاحنة مغلقة. كنتُ لا أزال أطبق على نسختي من كتاب توماس وأسأل نفسي: "ماذا كان سيقول في هذا الموقف؟" فتحت الكتيب ووقعت عيناي على الفصل التاسع عشر، حيث يقول: "طالما أننا نعيش على الأرض، لا يمكننا الهرب من الغواية. ليس هناك إنسان كامل كفاية، ولا قديس لديه القدسية الكافية بحيث أنه يقع في الغواية مرة كل حين. نعم، لا يمكن ألا ندخل في التجربة"[662].

يا توماس الحكيم، أنت تأتي بالجواب الصحيح دوماً. ذلك المعمداني الجديد المجنون، لم تكن لديه معرفة كهذه بالتأكيد، وإلا لوصل إلى نهاية مسالمة. ربما يكون قد قرأ في كتاب شيشرون: (إشباع كل الأشياء يسبب إشباع الحياة ـ يشبعِ المرء من الحياة ويحين أوان الموت)[663]. لقد سببت لي هذه المعرفة نزاعاً مع المجتمع. لقد أحاط بي رجال الشرطة يميناً ويساراً. وقلتُ لهم "حسن، يمكنكم أن تدعوني أذهب الآن". قال أحدهم ضاحكاً "نعم، نعرف كل شيء عن هذا" وقال آخر عابساً "ابق صامتاً". يبدو إذاً أننا ذاهبون إلى مشفى المجانين. هذا ثمن باهظ. لكن

---

[662] يبدأ الفصل 13 من الكتاب الأول من "تقليد المسيح" بما يلي: "طالما أننا في هذا العالم، فعلينا أن نواجه التجارب والإغراءات. كما في كتاب أيوب ـ وهل حياة الإنسان على الأرض إلا زمن إغراء؟ لهذا يجب أن نتعامل مع إغراءاتنا كأمر جدي، ونسعى بالانتباه والصلاة إلى أن نمنع الشيطان من أن يجد أي ثغرة. تذكروا أن الشيطان لا ينام أبداً، بل يستمرّ في البحث عن طريدته. ليس هناك إنسان كامل أو مقدس كفاية بحيث أنه لا يواجه الإغراء، لا يمكننا الهرب منه بالكامل". (الصفحة 46). ويستمر بالتأكيد على فوائد الإغراء، وعلى أنه وسيلة من خلالها يصبح الإنسان متواضعاً وطاهراً ومنضبطاً.

[663] هذا الاستشهاد من كتاب Cato Maior de Senectute (كاتو العجوز والشيخوخة) لشيشرون. كان النص تأبيناً للشيخوخة. إن السطور التي استشهد بها يونغ هي: "بدون شك، كما يبدو لي على الأقل، *الإشباع من كل شيء يسبب إشباع الحياة. إن* عمر الصبا له متطلّباته الخاصة: هل يتوق إليها المراهقون؟ كما أن للمراهقة متطلّباتها الخاصة: هل يحتاج إليها الراشدون؟ ولا يتم السعي للرشد أيضاً فيها في الشيخوخة، وأخيراً هناك أشياء تناسب الشيخوخة. لذلك فإنه مع تداعي متع المراحل السابقة ومُتطلباتها من الحياة، كذلك يحدث لمتع الشيخوخة ومتطلَباتها، وعندما يحدث هذا يشبع *الإنسان من الحياة ويحين أوان الموت"* (شيشرون، De Senectute, De Amicitia, De Divinatione [لندن: ويليام يهنمان، 1927]، الصفحات 86-88).

يبدو أن بوسع المرء أن يذهب بهذا الطريق. إنه ليس غريباً جداً، بما أن آلاف إخوتنا البشر يسلكون هذا الدرب.

كنا قد وصلنا ـ كانت هناك بوّابة كبيرة وقاعة، وهناك مشرفٌ ودودٌ مستعجل. وهناك طبيبان أيضاً، أحدهما بروفسور بدين وقصير.

البروفسور: "ما هذا الكتاب الذي تحمله؟"

أنا: "إنه كتاب تقليد المسيح لتوماس أ كيمبيس".

البروفسور: "إذاً، هذا واضح تماماً، إنه نوع من الجنون الديني، جنون الاضطهاد الديني[664] ـ كما ترى يا عزيزي، يؤدي تقليد المسيح في هذه الأيام إلى مشفى المجانين".

"أنا: لا شك في هذا أبداً أيها البروفسور".

البروفسور: "هذا الرجل صاحب فطنة ـ من الواضح أنه مُثار هوسياً بشكل ما. هل تسمع أصواتاً؟"

أنا: "بالتأكيد! اليوم كان صوت حشد كبير من المعمدانيين الجدد الذين اندفعوا في المطبخ".

البروفسور: "إذاً كنتُ محقاً. هل تلحق بك الأصوات؟"

أنا: "أوه لا، لا سمح الله، أنا استدعيتهم".

البروفسور: "آه، هذه حالة أخرى تشير بوضوح إلى أن الهلوسات تستدعي وجود أصوات بشكل مباشر. هذا في القصة المرضية. هلا كتبت هذا فورا أيها الطبيب؟"

أنا: "مع فائق احترامي أيها البروفسور، أيمكنني أن أقول إن هذا ليس حالة شاذة، بل هو بالأحرى المنهج الحدسي".

البروفسور: "رائع. يستخدم الرجل أيضاً مصطلحات جديدة. حسن ـ أظن أن لدينا تشخيصاً واضحاً جداً. على أية حال، أتمنى لك الشفاء العاجل، واحرصْ على أن تبقى صامتاً".

أنا: "لكن أيها البروفسور، أنا لستُ مريضاً إطلاقاً، أشعر أنني بخير تماماً".

---

[664] كُتب في الكتاب الأسود 4: "شكل من العته المرضي يتصف بجنون الاضطهاد".

البروفسور: "اسمع يا عزيزي. أنت لا تعرف شيئاً عن مرضك بعد. إن توقّعات الحالة سيئة جداً طبعاً، مع احتمالات شفاء محدود في أفضل الحالات".

المشرف: "أيها البروفسور، أيمكن للرجل أن يحتفظ بالكتاب؟"

البروفسور: "حسن، أعتقد ذلك، يبدو كتاب صلاة عديم الضرر".

جردوني من ملابسي وأخذوني إلى المغطس، ومن ثم أخذوني إلى الجناح المخصص. دخلتُ غرفة كبيرة للمرضى حيث طُلِبَ مني أن أذهب إلى سريري. كان الشخص الذي إلى يساري مستلقياً دون حِراكٍ ويحدّق بثبات، بينما يبدو الشخص الذي إلى يميني وكأن دماغه يتقلّص في محيطه ووزنه. لقد استمتعتُ بصمتٍ كامل. إن مشكلة الجنون الإلهي عميقة. وهي شكل أسمى من اللاعقلانية في الحياة يتدفّق عبرنا. على أية حال، هو جنون لا يمكن أن ندمجه في مجتمع العصر الحالي. لكن كيف؟ ماذا لو كان شكل المجتمع قد أُدمِجَ في الجنون؟ لقد أصبحت الأشياء في هذه المرحلة مظلمة، ولم تكن هناك نهاية واضحة[665].

يخرج من النبتة النامية برعم شتلة صغيرة في الجهة اليمنى منها، وعندما تصبح كاملة التشكل، لن يتطوّر الدافع الطبيعي للنموّ ليتجاوز البرعم النهائي الذي يعود إلى الساق، إلى أم الغصين، ويمهّد طريقاً غير مؤكدة في الظلمة ومن خلال الساق، ويجد أخيراً الموقع المناسب على الجهة اليمنى حيث تتبرعم منه شتلة جديدة. لكن هذا الاتجاه الجديد للنمو مقابلٌ تماماً للاتجاه السابق. مع ذلك، تنمو النبتة بشكل عادي بهذه الطريقة، من دون إرهاق ولا اختلال في توازنها.

على اليمين يوجد تفكيري، وعلى اليسار يوجد شعوري. أدخل إلى مساحة شعوري التي كانت مجهولة سابقاً بالنسبة إلي، وأرى بدهشة

---

[665] في المسودة يوجد مقطع هنا، وهذه إعادة صياغة له: "بما أنني مفكّر، فإن مشاعري كانت الأدنى والأقدم والأقل تطوراً. عندما تمت مواجهتي بما لا يمكن تصوره عبر تفكيري وما لا يمكن الوصول إليه عبر قوة تفكيري، تمكنت حينئذٍ من المضي في طريق فُتح قسراً. لكنني بالغت في تحميل أحد الجانبين، وغاص الجانب الآخر إلى مكان أعمق. إن المبالغة في التحميل ليست نمواً، ونحن نحتاج إلى نمو. (الصفحة 376).

الفرقَ بين المساحتين لدي. لا أستطيع أن أمنع نفسي من الضحك - يضحك الكثيرون بدل أن يبكوا. لقد وطئتُ بالقدم اليمنى بدلاً من اليسرى، وأجفلتُ إذ أصبتُ ألمي الداخلي. إن الفرق كبير جداً بين الحار والبارد. لقد تركتُ روح هذا العالم الذي استمرّ يفكّر بالمسيح حتى النهاية، ودخلت المجال الآخر المضحك- المخيف الذي أستطيع العثور على المسيح ثانية فيه.

قادني كتاب "تقليد المسيح" إلى المعلّم نفسه وإلى مملكته المذهلة. لا أعرف ماذا أريد هناك، لا أستطيع إلا أن أتبع المعلّم الذي يحكم هذا المجال الآخر في داخلي. تُطبّق في هذا المجال قوانين أخرى غير إرشادات حكمتي. وهنا، تكون "رحمة الله"، التي لم أعتمد عليها يوماً، ولأسباب عملية، هي القانون الأسمى للتصرف. تشير "رحمة الله" إلى حالة معينة للروح التي أئتمنُ نفسي فيها لكل الجيران بارتعاشٍ وترددٍ وبالاستخدام الأعظم للأمل بأن كل شيء سيسير على ما يرام.

لم أعد أستطيع أن أقول إنه يجبُ أن نصل إلى هذا الهدف أو ذاك، أو إنه يجب أن نطبّق هذا المنطق أو ذاك لأنه جيد، وبدلاً من ذلك، أتلمّس مكانيٍ عبر السديم والليل. لا ينبعث أي خط، ولا يظهر أي قانون، وبدلاً من ذلك، فإن كل شيء عَرَضي بالكامل وبشكل قاطع، وهوٍ عَرَضي بشكل مريع في الواقع. لكنْ هناك أمر واحد يصبحُ واضحاً بشكل مخيف، وهو أن النقيض لطريقي السابق وكل ما فيه من بصيرة وغايات، أصبح خطأً من الآن فصاعداً. يصبح من الواضح أكثر من أي وقت مضى، أن لا شيء يقود، كما سعى أملي لإقناعي، بل إن كل شيء يضلل.

وفجأة أصبتَ بالرعب والارتعاش عندما اتضح لك أنك سقطت إلى اللامحدود، إلى الهاوية وفراغ الفوضى الأبدية. إنها تندفع نحوك كما لو أنها محمولة على.أجنحة العاصفة المزمجرة، وعلى الأمواج المتدافعة للبحر.

كل إنسان لديه مكان هادئ في روحه، حيث كل شيء واضح ويمكن تفسيره بسهولة، إنه مكان يحبّ الانكفاء فيه من احتمالات الحياة التي

تسبب التشوش، لأن كل شيء بسيط وواضح هناك، وله غاية ظاهرة ومحدودة. لا يمكن للإنسان أن يتكلم عن أي شيء آخر في العالم، بالاقتناع نفسه الذي يشعر به عندما يتحدث عن هذا المكان: "أنت لست إلا.." وقد قال ذلك بالفعل.

وحتى هذا المكان هو عبارة عن سطح مصقول أو جدار عادي، ليس إلا قشرةً ملمّعة بشكل متكرر فوق لغز الفوضى. إن اخترقتَ هذه الجدران العادية جداً، فإن جدول الفوضى الغامر سيفيض إلى الداخل. إن الفوضى ليست مفردة، بل هي تشعّب لا ينتهي. إنها ليست عديمة الشكل، وإلا لكانت مفردة، لكنها مليئة بالشخصيات التي لها تأثير غامر ومربك بسبب امتلائها[666].

تلك الشخصيات هم الموتى، وهم ليسوا موتاك وحسب، أي ليسوا فقط صور الأشكال التي تلقيتها في الماضي والتي تركتها حياتك الحالية وراءها، بل هم أيضاً حشود الموتى من التاريخ الإنساني وموكب أشباح الماضي، وهم عبارة عن محيط إذا ما قارنّاه مع قطرات امتداد حياتك الخاصة. أنا أرى خلفك، أرى خلف مرآة عينيك، أرى حشد الظلال الخطيرة، والموتى الذين ينظرون بجشع عبر محجري عينيك الفارغين، الذين يئنّون ويأملون بأن يجمعوا من خلالك، كل الأمور العالقة للعصور، والتي تتنهد فيهم. لا تُثبتُ غفلتك أي شيء. ضع أذنك على الجدار وستسمع صوت اندفاع موكبهم.

أنت تعرف الان لماذا أقحمت الأمور الأبسط والأسهل شرحاً في هذا الموقع تماماً، لماذا قلتَ إن هذا المقعد هو الأكثر أماناً: كي لا ينبش أحد، وخاصة أنت نفسك، اللغز هناك. لأن هذا هو المكان الذي يندمج فيه الليل والنهار بألم. إن ما استبعدته من حياتك، وما شجبته ولعنته، وكل ما كان وكان من الممكن أن تكون له نتيجة سيئة، ينتظركَ خلف هذا الجدار الذي تجلس أمامه بهدوء.

---

[666] ملاحظة يونغ الهامشية في المجلد المكتوب بخط فني: "26. 1. 1919". يبدو أن هذا التاريخ يشير إلى وقت نسخ هذا المقطع إلى المجلد المكتوب بخط فني.

إن قرأتَ كتب التاريخ، فستجدُ أشخاصاً سعوا إلى ما هو غريب ولا يمكن تصديقه، وأوقعوا أنفسهم في الشرك، من أسرهم الآخرون في جحور الذئاب، أشخاص سعوا إلى الأسمى والأدنى، ومن مسحهم القدر عن ألواح الأحياء دون أن يكتملوا. إن قلّة من الأحياء يعرفونهم، وهؤلاء القلة لا يقدرون فيهم أي شيء، بل يهزّون رؤوسهم هازئين من هذا الضلال.

وبينما أنت تهزأ منهم، يقف أحدهم خلفك، يلهث غضباً ويأساً بسببَ حقيقة أن انشداهك لا ينتبه إليه. إنه يحاصركَ في ليالي الأرق، ويصيبكَ أحياناً بمرض، ويقاطعُ غاياتك أحياناً. إنه يجعلك متسلطاً وجشعاً ويحفّزُ توقك إلى كل شيء، وهذا لا ينفعك بشيء، إنه يفترسُ نجاحك بالنزاع. إنه يرافقكَ كروحك الشرير، الذي لا يمكنك أن تتخلص منه.

هل سمعت عن أولئك القاتمين الذين كانوا يتجولون متخفين مع من كانوا مسيطرين، وتآمروا ليسببوا القلاقل؟ ومن اخترعوا أشياء ماكرة ولم يرتدعوا عن أية جريمة ليكرموا الإله؟

ضع المسيح الذي كان أعظمهم، إلى جانبهم. لقد كان قليلاً جداً عليه أن يحطّم العالم، لذا حطّم نفسه. لذلك كان الأعظم بينهم جميعاً، ولم تصل إليه قوى هذا العالم. لكنني أتحدثُ عن الموتى الذين أصبحوا طريدة للقوة فحطّمتهم القوة ولم يحطّموا أنفسهم. إن حشودهم تملأ أرض الروح. إن تقبّلتهم، سيملأونك بالوهم والتمرّد ضد قوانين العالم. لقد اخترعوا من الأعمق والأعلى، أخطرَ الأشياء. لم تكن لهم طبيعة عادية، بل شفرات حادة من الفولاذ الأكثر صلابة. لم تكن لهم علاقة بحياة البشرِ التافهة. لقد عاشوا على الذرى وحققوا الأدنى. لم ينسوا إلا أمراً واحداً فقط: أنهم لم يعيشوا حيوانهم.

إن الحيوان لا يتمرّد على جنسه. فكّر بالحيوانات: كم هي عادلة، وكم تحسن التصرف، وكيف تلتزم بما هو عتيق، كم هي مخلصة للأرض التي تحملها، وكم تتمسك بطرقها المعتادة، وكم يجرّ أحدها الآخر إلى النبع. ليس فيها من يخبئ وفرة طرائده، ويترك أخاه يتضور جوعاً

بسبب ذلك. ليس فيها من يحاول أن يفرض إرادته على أفراد جنسه. وليس فيها من يتخيّل مخطئاً أنه فيلٌ وهو بعوضة. تعيش الحيوانات ملتزمة بحياة جنسها، فلا تتجاوزها ولا تقصّر عنها.

من لم يعش حيوانه يوماً يجبُ أن يُعامِلَ أخاه كحيوان. حقّر نفسك وعِشْ حيوانك كي تتمكن من أن تعامل أخاك بشكل صحيح. وبهذا ستخلّص كل أولئك الموتى المرتحلين الذين يتغذون على الأحياء. ولا تحوّلْ أي شيء تفعله إلى قانون، لأن هذه هي غطرسة القوة[667].

عندما يحين الموعد وتفتح الباب للموتى، ستصيب مخاوفك أخاك، لأن ملامحك تشي بالكارثة. لذلك انسحبْ وادخل العزلة، بما أنه ليس بوسع أحد أن يمنحكَ العزاء إن تصارعتَ مع الموتى. إن أحاط بكَ الموتى، فلا تصرخ طالباً النجدة لأن الأحياء سيهربون، وهم جسرك الوحيد إلى النهار. عشْ حياة النهار ولا تتحدّث بالأسرار، بل كرّس الليل لتأتي بخلاص الموتى.

لأن من يبعدك عن الموتى بحسن نية، يقدّم لك أسوأ خدمة، بما أنه قطعَ غصن حياتك من شجرة الألوهية. وهو أيضاً يرتكبُ خطيئة بحقّ استعادة ما تم خلقه، ثم أُخضِع وضاع[668]. "لأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ. إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْل لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ".

---

[667] قال يونغ في سيمنار في العام 1930: "لدينا أحكام مُسبقة تتعلّق بالحيوان. لا يفهم الناس عندما أقول لهم إن عليهم أن يتعرفوا على حيواناتهم أو يستوعبوا حيواناتهم. إنهم يعتقدون أن الحيوان يقفز دوماً على الجدران ويثير الفوضى في كل أنحاء البلدة. لكن بطبيعته، الحيوان مواطن حسن التصرف. إنه ورع يتبع الطريق بانتظام كبير، ولا يفعل أي شيء متهور. الإنسان هو فقط المتهور. فإن استوعبتَ شخصية الحيوان، فإنك تصبح مواطناً مطيعاً للقانون بشكل غريب، تسير ببطء شديد، وتصبح منطقياً في تصرفاتك، بالقدر الممكن" ("الرؤى1"، الصفحة 168).

[668] في المسودة المكتوبة بخط اليد في الهامش يوجد: "Rom 8 19". ما يتبع من النص هو استشهاد من الرسالة إلى أهل رومية 8:19-22.

كل خطوةٍ إلى الأعلى تعيدُ خطوةً إلى الأسفل كي يصل الموتى إلى الحرية. إن خلقَ الجديد يقلّص اليوم لأن جوهره سرّي. إنه يُجهّز دمار هذا اليوم بالذات، على أمل أن يتجاوزه إلى خلق جديد. يرتبط أحياناً خلق الجديد بالشّر الذي لا يمكنك أن تصرّح عنه بصوت مرتفع. إن الحيوان الذي يبحثُ عن أراضي صيد جديدة، ينكمشُ منسلّاً على الدروب المظلمة ولا يريد أن يُفاجأ.

فكّر رجاءً أن معاناة الخلّاقين هي أنهم يحملون الشرّ فيهم أحياناً، وهي جُذامُ الروح الذي يفصلهم عن أخطاره. يمكنهم أن يمدحوا الجُذام ويقولوا إنه فضيلة، ويمكنهم أن يفعلوا هذا بدافع الفضيلة بالفعل. لكن هذا يعني القيام بما قام به المسيح، ولذلك سيكون تقليداً له. لأن المسيح كان واحداً فقط، ولا يمكن لسواه أن يخرق القوانين كما فعل. من المستحيل أن تُرتَكَبَ تعدّيات أسمى على دربه. امتلئْ بما يأتيك، وحطّم المسيح في ذاتك كي تتمكن من الوصول إلى ذاتك، وفي النهاية إلى حيوانك الذي يحسن التصرف في قطيعه، وليس مستعداً لانتهاك قوانينه. قد يكون تقليد المسيح انتهاكاً كافياً، بما أنك بهذا تتراجع خطوة إلى الخلف بعيداً عن المسيحية، وتتجاوزها بخطوة. لقد جَلَبَ المسيح الخلاص من خلال المهارة، أما أنت، فسينقذك أن تكون أخرق.

هل أحصيتَ الموتى الذين كرّمهم معلّم التضحية؟ هل سألتهم من أجل مَن عانوا الموت برأيهم؟ هل دخلتَ جمال أفكارهم وطهارة غايتهم؟ "وَيَخْرُجُونَ وَيَرَوْنَ جُثَثَ النَّاسِ الَّذِينَ عَصَوْا عَلَيَّ، لأَنَّ دُودَهُمْ لاَ يَمُوتُ وَنَارَهُمْ لاَ تُطْفَأُ"[669].

قدّم كفّارتك بهذه الطريقة، وفكّر بما وقع ضحية الموت من أجل المسيحية، ضعهُ أمامك واجبر نفسك على قبوله لأن الموتى بحاجة إلى الخلاص. إن عدد الموتى غير المخلَّصين أصبح أكبر من عدد المسيحيين الأحياء، لذلك حان الوقت لتقبّل الموتى[670].

[669] هذا استشهاد من أشعيا: 66:24.

[670] يستمر في المسودة: "قادنا نبي جعله قربه من الأعلى مجنوناً. لقد غضب على المسيحية بشكل أعمى في عظته، لكنه كان بطل الموتى الذين عينوه المتحدث باسمهم، وبوقهم المدوي. لقد صرخ،

لا ترمِ نفسك ضدّ ما قد صار غاضباً وعازماً على الدمار. ماذا ستضع في مكانه؟ ألا تعرف أنك إن نجحتَ في تدمير ما صار، ستحوّل رغبة الدمار ضدّ نفسك حينها؟ لكن أي شخص يجعل الدمار هدفاً له سيموت من خلال دمار ذاتي. بل احترمْ ما قد صار، بما أن الوقار نعمة.

ثم التفتْ إلى الموتى[671]، واستمع إلى عويلهم وتقبّلهم بحب، وكن المتحدث الأعمى باسمهم[672]، هناك أنبياء رجموا أنفسهم بالحجارة في النهاية. لكننا نسعى إلى الخلاص، ولهذا فنحن نحتاج إلى احترام ما صار، وإلى قبول الموتى الذين رفرفوا في الجو وعاشوا كالخفافيش تحت أسقفنا منذ العهود السحيقة. سيُبنى الجديد على القديم، وسيصبح معنى ما صار متشعباً. إن فقركَ فيما أصبحت عليه سيؤدي بهذا إلى ثراء المستقبل.

من يسعى لإبعادك عن المسيحية وقانون الحبّ المقدس فيها، هم الموتى الذين لم يستطيعوا العثور على السلام في الربِ، لأن عملهم غير المكتمل قد تبعهم. إن الخلاص الجديد هو استعادةُ لما فُقد سابقاً دوماً. ألم يستعد المسيح نفسه، القربان البشري الدامي الذي استَبعَدَته العادات الأفضل من الممارسة المقدّسة منذ العهود القديمة؟ ألم يستعد هو نفسه ممارسة أكل القربان البشري المقدسة؟ في ممارستك المقدسة التي أدانتها قوانين سابقة ستعود من جديد.

لكن عندما أعاد المسيح القربان البشري وأكل القربان، حدث هذا كله له وليس لأخيه، بما أن المسيح وضعها فوق قانون الحبّ الأسمى، بحيث لا يصيب أحد إخوته بأذى بسببها، بل يبتهج الجميع بهذه الاستعادة. لقد تم هذا كما حدث في العصور القديمة، لكن تحت قانون الحبّ[673].

بصوت يسبب الصمم كي يسمعه كثيرون، وأحرقت قوة لغته من قاوموا الموت، كما وعظ بالصراع ضد المسيحية. كان هذا جيداً، أيضاً" (الصفحة 387). الإشارة هنا إلى نيتشه.

[671] يستمر في المسودة: "الذين أنت بطلهم" (الصفحة 388).

[672] يستمر في المسودة :"كالنبي الذي يهذي، والذي لم يعرف لقضية مَن كان يروج، بل اعتقد أنه يتحدث باسم نفسه وبأنه رغبة الدمار" (الصفحة 388). الإشارة هنا إلى نيشته.

[673] يستمر في المسودة: "لم يتم إبطال ذرة من القانون المسيحي، بل نحن نضيف قانوناً جديداً: قبول عويل الموتى" (الصفحة 390).

فإن لم تحترم ما قد صار، فستدمّر قانون الحب[674]. وماذا سيحل بك حينها؟ ستُجبر على استعادة ما كان من قبل، وهو أعمال العنف وجرائم القتل والإثم واحتقار أخيك الإنسان. وسيصبح كل شخص غريب عن الآخر، وستسود الفوضى.

لذلك عليك أن تحترم ما قد صار، كي يصبح قانون الحبّ خلاصاً من خلال استعادة الأدنى والماضي، وليس الخراب من خلال السيادة اللامحدودة للموتى. لكن أرواح من ماتوا قبل أوانهم، ستعيش من أجل عدم اكتمالنا الحالي، على شكل حشود مظلمة في عوارض منازلنا، وتطوّق آذاننا بنحيب ملحّ، إلى أن نمنحها الخلاص من خلال استعادة ما كان موجوداً منذ العهود السحيقة تحت قانون الحبّ.

ما ندعوه إغواء، هو مطلب الموتى الذين ماتوا قبل أوانهم وغير مكتملين بسبب ذنب الخير والقانون. لأنه لا يوجد خير مكتمل إلى درجة أنه لا يمكن أن يُلحقَ الجور، ويحطّم ما يجب ألا يُحطَم.

نحن جنس أعمى. نحن نعيش على السطح فقط، وفي الحاضر فقط، ونفكّر بالغد فقط. نتعامل بخشونة مع الماضي وبهذا لا نقبل الموتى. نحن نريد أن نعمل بالنجاح المرئي فقط. وأهم من كل شيء أننا نريد أن نقبض أجراً. نحن نعتبر أن من الجنون القيام بعمل خفيّ لا يخدم البشر بشكل مرئي. لا شك في أن ضرورات الحياة أجبرتناً على أن نفضّل الثمار التي يمكننا تذوقها فقط. لكن من يعاني من الإغواء والتأثير المضلّل للموتى، أكثر من أولئك الذين أصبحوا مفقودين بالكامل من على سطح العالم؟

---

[674] يستمر في المسودة: "هذه ليست إلا رغبة شريرة عادية، وهي ليست إلا إغواء عادياً، طالما أنك لا تعرف ما يطلبه الموتى. طالما أنها ليست أكثر من رغبة شريرة، ماذا بوسعك أن تفعل حيالها؟ سوف تلعنها، وتأسف عليها، وتنهض من جديد، كي تتعثر ثانية وتهزأ بنفسك وتكرهها، لكنك تحتقر نفسك وتشفق عليها بالتأكيد. لكن إن كنت تعرف ما يطلبه الموتى، فسيصبح الإغواء مَعيناً لا ينضب لأفضل أعمالك، سيصبح عملِ الخلاص الفعلي: عندما ارتقى المسيح بعد إنجاز عمله، قاد معه إلى الأعلى أولئك الذين ماتوا قبل أوانهم وغير مكتملين بسبب صعوبة العنف الأولي وغربته. لقد ملأ نحيب الموتى الجو في ذلك الوقت، وأصبح بؤسهم صاخباً جداً بحيث أحزن حتى الأحياء، وجعلهم متعبين وسئمين من الحياة، ويتوقون للموت في هذا العالم في أجسادهم الحية. وبهذا تقود أنت أيضاً الموتى لإكمال عمل خلاصك" (الصفحات 390-91).

هناك عمل واحد ضروري لكنه خفي وغريب ـ إنه عمل كبير عليك القيام به سراً من أجل الموتى. من لا يستطيع تحقيق حقله وكرمته المرئيين يُطبق عليه الموتى الذين يطالبونه بعمل الكفّارة. وإلى أن يحقق ذلك، لا يمكنه الاهتمام بعمله الخارجي، بما أن الموتى لن يسمحوا له بذلك. سيتعين عليه أن يبحث في روحه ويعمل بسكون تحت إمرتهم ويكمل السرّ. لا تنظر إلى الأمام كثيراً، بل انظر إلى الخلف إلى نفسك كي تتمكن من سماع الموتى.

أن يرتقي المسيح مع قلة من الأحياء وكثرة من الموتى، فهذا ينتمي إلى طريق المسيح. كان عمله خلاصاً للمُحتقر والتائه الذين صُلب من أجلهم بين مجرمَين.

أنا أعاني عذابي بين رجلين مجنونين. أدخل الحقيقة أن نزلت. واعتد على أن تبقى وحيداً مع الموتى. هذا صعب، لكنها الطريقة التي تكتشف فيها قيمة رفاقك الأحياء.

يا للأشياء التي فعلها الأسلاف من أجل موتاهم! يبدو أنك تظن أن بوسعك أن تعفي نفسك من رعاية الموتى ومن العمل الذي يطالبون به بشدة، بما أن ما مات، بات من الماضي. أنت تقدّم العذر لنفسك من خلال إنكارك لخلود الروح. أتظن أن الموتى لا يوجدون لأنك اخترعت استحالة الخلود؟ أنت تؤمن بأصنام الكلمات. يُنتِجُ الموتى تأثيرات، وهذا كافٍ. ليس هناك في العالم الداخلي أي شرحٍ، بقدر قلة قدرتك على أن تشرح البحر بكلمات خارجية. عليك أخيراً أن تفهم غايتك من الشرح، وهي التماس الحماية[675].

قبلتُ الفوضى، وفي الليلة التالية، اقتربت مني روحي.

[675] يستمر في المسودة :"أنت توظّف سحر الكلمة القديمة لتحمي نفسك من خلال الخرافة لأنك لا تزال طفل الغابة القديمة العاجز. لكن يمكنك أن ترى وراء سحر كلمتك، وقد أصبحت واهنة، ولا شيء يحميك ضد الفوضى إلا القبول" (الصفحة 395).

الفصل السادس عشر:

الليلة الثالثة

Nox tertia[676]

[تن تن]تحدثتْ إلي روحي همساً، وبشكل ملحّ وقلق: "كلمات، كلمات، لا تَقلْ كثيراً مـن الكلمـات. اصـمت واسـتمع: هـل أدركـتَ جنونـك وهـل تعترف به؟ هل لاحظتَ أن كل أساسـاتك ملوثـة بالكامـل بـالجنون؟ ألا تريد أن تدرك جنونك وترحّب به بطريقـة ودّيـة؟ لقـد أردتَ قبـول كـل شيء. اقبلْ الجنون أيضاً إذاً. وَدَعْ ضوء جنونك يسطع، وسيشـرق عليـك فجأة. يجب ألا يُحتقر الجنون أو يُخشى، بل يجب أن تمنحه الحياة".

أنا: "تبدو كلماتكِ قاسية، والمهمّة التي أعطيتني إياها صعبة".

الروح: "إن أردتَ أن تجد الدروب، فعليك أيضاً ألا تـزدري الجنـون، لأنه يشكل جزءاً كبيراً من طبيعتك".

أنا: "لم أكن أعرف هذا".

---

[676] عبارة لاتينية تعني "الليلة الثالثة".

[677] 18 كانون الثاني - يناير 1914.

الروح: "افرح لأنك تستطيع أن تدركهُ، لأنك تتجنّب بهذا أن تصبح ضحيته. إن الجنون شكل خاص للروح، ويتمسّك بالتعاليم والفلسفات كلها، لكنه يتمسّك بالحياة اليومية أكثر، بما أن الحياة نفسها مليئة بالجنون، وهي لامنطقية في قاعها على الإطلاق. يسعى الإنسان نحو المنطق فقط كي يستطيع وضع قوانين لنفسه. إن الحياة بحدّ ذاتها ليس فيها قوانين. هذا هو سرّها وقانونها المجهول. إن ما تسميه معرفة هو محاولة بفرض شيء قابلٍ للفهم على الحياة".

أنا: "كل هذا يبدو بائساً للغاية، لكنه يحفزني على الاختلاف بالرأي معك".

الروح: "ليس لديك ما تختلف فيه بالرأي معي. أنت في مشفى المجانين".

كان البروفسور القصير البدين يقف هناك - هل تحدّثَ بهذه الطريقة؟ هل أخطأتُ واعتقدتُ أنه روحي؟

البروفسور: "نعم يا عزيزي، أنت مشوش. كلامك غير مترابط على الإطلاق".

أنا: أنا أعتقد أيضاً أنني فقدت ذاتي تماماً. هل أنا مجنون حقاً؟"

البروفسور: "تحلّ بالصبر، سيكون هناك حلّ لكل شيء. على أية حال، أتمنى لك نوماً هانئاً".

أنا: "شكراً لك، لكنني خائف".

كل شيء في داخلي في حالة فوضى شديدة. لقد أصبحت الأمور خطرة، والفوضى تقترب. هل هذا هو القاع الأقصى؟ هل الفوضى أساس أيضاً؟ ليت هذه الأمواج المريعة لم تكن هنا. كل شيء يتحطم مثل الأمواج السوداء. نعم، أنا أرى وأفهم: هذا هو المحيط، المدّ الليلي العظيم - تتحرك هناك سفينة بخارية كبيرة - أنا أوشك على أن أدخل صالة التدخين، هناك كثير من الناس بملابس جميلة، والجميع ينظرون إليّ بذهول. وتقدّم أحدهم مني وقال: "ما الأمر؟ تبدو مثل شبح! ما الذي حدث؟"

أنا: "لا شيء - أعتقد أنني أصبحت مجنوناً - إن الأرض تتمايل، وكل شيء يتحرك".

شخص ما: "إن البحر هائج بعض الشيء في هذا المساء، وهذا كل ما في الأمر ـ تناولْ كوباً ساخناً من عُصارة النخيل المخمّر. أنت مصاب بدوار البحر".

أنا: "أنت على حق، أنا مصاب بدوار البحر، لكن بطريقة خاصة ـ أنا في مشفى المجانين حقاً".

شخص ما: "حسن، أنت تمزحُ ثانية، إن الحياة تعود".

أنا: "أتسميها خفة ظل؟ أعلن البرفسور الآن للتو أنني مجنون بشدة".

البروفسور القصير البدين يجلس إلى طاولة مغطاة بغطاء أخضر ويلعب الورق. قال لي عندما سمعني أتكلم وأضحك: "حسن، كيف حالك؟ تعال إلى هنا. أتريد شراباً أيضاً؟ أنت شخصية مميزة، يجب أن أقول هذا. لقد أثرت اهتمام كل السيدات في هذه السهرة".

أنا: "أيها البروفسور، لم يعد هذا مزاحاً بالنسبة إلي. كنت مريضك منذ قليل".

انفجر ضحك مجلجل في الصالة.

البروفسور: "حسن، الالتزام ليس أمراً تافهاً".

جاء إليّ الشخص الذي كنتُ أتحدث معه من قبل بشكل مفاجئ ونظر في وجهي. إنه رجل ذو لحية سوداء وشعر أشعث وعينين قاتمتين مشعّتين. تحدث إلي باهتياج وقال: "حدث معي أمر أسوأ، أنا هنا منذ خمس سنوات".

أدركتُ أنه جاري، الذي يبدو أنه صحا فجأة من خموله، وهو يجلس الآن على سريري. استمرّ بالكلام بحدة وإلحاح: "لكنني نيتشه، غير أنني تعمّدت من جديد، كما أنني المسيح المخلص أيضاً، ومهمة إنقاذ العالم موكلة إلي، لكنهم لا يسمحون لي بهذا".

أنا: "من لا يسمح لك بهذا؟"

المجنون: "إنه الشيطان. نحن في الجحيم. لكنك لم تلاحظ هذا بعد طبعاً. لم أدرك حتى السنة الثانية من مكوثي هنا أن المدير هو الشيطان".

أنا: "تقصد البروفسور؟ يبدو هذا صعب التصديق".

المجنون: "أنت جاهل تماماً. كان من المفترض أن أتزوج مريم منذ وقت طويل[678]. لكن البروفسور الشيطان استولى عليها. إنه يجعلها حاملاً عند غياب الشمس في كل مساء، وهي تلدُ الطفل في الصباح قبل شروق الشمس. ثم يجتمع الشياطين كلهم معاً ويقتلون الطفل بطريقة مُريعة. أنا أسمع بكاءه بوضوح".

أنا: "لكن ما أخبرتني به هو محض أسطورة".

المجنون: "أنت مجنون ولا تفهم من هذا أي شيء. إن مكانك المناسب هو مشفى المجانين. يا إلهي، لماذا تسجنني عائلتي مع أشخاص مجانين دوماً؟ يُفترض بي أن أخلِّص العالم، أنا المخلص!"

ثم استلقى ثانية وغاص في كسله. أمسكتُ بجانبي سريري لأحمي نفسي من الأمواج المريعة. ثم حدّقتُ بالجدار كي أتمكن من أن أتمسّك بشيء ما بعيني على الأقل. هناك خط أفقي يسيرُ على طول الجدار المطلي بلون أكثر قتامة تحت الخط، وهناك مِشعاعٌ أمامه. إنه على شكل درابزين وأستطيع رؤية البحر خلفه. إن الخط أفقي، وهناك شمس تُشرقُ الآن وحيدة وعظيمة بمجدٍ أحمر، وفيها صليب تتدلّى منه الأفعى. أم هل هو ثور تم شقّه كما يفعلون في المسلخ، أم أنها أتان؟ أظنّ أنه كبْشٌ بتاجٍ من الأشواك. أم هل المصلوب هو أنا؟ وشمس الشهادة قد أشرقت، وهي تسكب أشعتها الدموية على البحر. لقد دام المشهد لوقت طويل، وارتفعت الشمس إلى سمتٍ أعلى، وأصبحتْ أشعتها أكثر سطوعاً[679] وحرارة، وتشتعل الشمس بيضاء على بحر أزرق. لقد همدتْ الأمواج العاتية. يكمنُ فجرٌ صيفي خيّر وهادئ على البحر المتلألئ. وترتفع رائحة الماء المالحة. وتتحطم موجة ضعيفة عريضة على الرمال بزمجرة مكتومة، وتعود بشكل مستمر اثنتا عشرة مرة، إنها دقّات ساعة

---

[678] في كتاب "العلاقات بين الأنا واللاوعي" (1928)، يشير يونغ إلى حالة رجل لديه عته ارتيابي، كان قد صادفه خلال عمله في برغهولزلي وكان على اتصال هاتفي مع مريم (الأعمال الكاملة 7، 229).

[679] ملاحظة يونغ الهامشية في المجلد المكتوب بخط فني : "22. 3. 1919". يبدو أن هذا التاريخ يشير إلى تاريخ نسخ هذا المقطع في المجلد المكتوب بخط فني.

العالم[680] ـ لقد اكتملت الساعة الثانية عشرة، ودخل الصمتُ الآن. ليس هناك ضجيج ولا نسيم. وكل شيء متصلّب وساكن كالموت. أنتظرُ قلِقاً بشكل سريّ. وأرى شجرة ترتفع من البحرِ وتصلُ ذروتها إلى الجنّة وتمتدّ جذورها إلى الجحيم. أنا وحيدٌ ومُحبطٌ تماماً وأحدّق من البعيد، كما لو أن الحياة قد طارت منيِ ودخلتُ بالكامل إلى المُخيف المتعذّر على الفهم. أنا ضعيف وعاجز تماماً. همستُ قائلاً: "الخلاص". قال صوت غريب: "لا يوجد خلاص هنا[681]، يجب أن تبقى هادئاً، وإلا أزعجت الآخرين. الوقت ليل ويريد الناس أن يناموا". فهمت، إنه المضيف. الغرفة مضاءة بشكل خافت بمصباح ضعيف والحزن يثقل على الغرفة.

أنا: "لم أستطع العثور على الطريق".

قال: "لستَ بحاجة للعثور على الطريق الآن".

إنه يقول الحقيقة. إن الطريق الذي يسير الناس عليه هو طريقنا، الطريق الصحيح. ليس هناك من طرقات ممهدة نحو المستقبل. نحن نقول: أن هذا هو الطريق، ويكون كذلك. نحن نبني الطرقات من خلال المضيّ قُدُماً إلى الأمام. إن حياتنا هي الحقيقة التي نلتمسها. إن حياتي فقط هي الحقيقية، والحقيقة فوق كل شيء. نحنُ نخلقُ الحقيقة من خلال عيشها.

هذه هي الليلة التي تحطّمت فيها السدود كلها، حيث تحرّكَ ما كان صلباً، وحيث تحولت الحجارة إلى أفاعٍ، وتجمّد كل شيء حي. هل هذه شبكة من الكلمات؟ إن كانت كذلك، فهي شبكة جهنمية بالنسبة لمن علقوا فيها.

هناك شِباكٌ جهنّمية من الكلمات، والكلمات فقط، لكن ما هي الكلمات؟ كن منتبهاً عند استخدام الكلمات، وقيّمها جيداً واستخدم

---

[680] في كتاب "سيكولوجية الدين" (1938) علق يونغ على رمزية ساعة العالم (الأعمال الكاملة 11، 110 ف ف).

[681] في كوميديا دانتي، نُقشت السطور التالية على بوابات الجحيم: "أنت يا من تدخل، تخلَّ عن كل أمل" (الفصل الثالث، السطر 9) راجع "الكوميديا الإلهية لدانتي أليري" المجلد 1 طباعة وترجمة روبرت دورلينغ (نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد 1997). الصفحة 55.

الآمنة منها، والكلمات التي من دون أشراك. لا تحاول أن تغزل إحداها مع الأخرى كي لا تظهر الشِباك، لأنك أنت أول من سيعلقُ فيها[682] لأن لها معان. يمكنك بالكلمات أن تجذب العالم السفلي إلى الأعلى، والكلمة هي الأكثّر تفاهة والأكثر عَظَمَة. بالكلمات يتدفّق الفراغ والامتلاء معاً. ولذلك فإن الكلمة هي صورة الإله. الكلمة هي الأعظم من بين كل ما خلقه الإنسان والأكثر تفاهة أيضاً. كما أن ما خُلِقَ من الإنسان هو الأعظم والأكثر تفاهة أيضاً.

لذلك فإن وقعتُ طريدة في شِباك الكلمات، فأنا أصبح طريدة للأعظم والأكثر تفاهة. أكون تحت رحمة البحر، وتحت رحمة الأمواج غير المكتملة التي تغيّر مكانها على الدوام. إن جوهرها هو الحركة، والحركة هي نظامها. من يكافح ضد الأمواج يكون معرّضاً لما هو اعتباطي. إن عمل الإنسان ثابت، لكنه يسبح على الفوضى. يبدو جهدُ الإنسان جنوناً لمن أتى من البحر. لكن الإنسان يعتبر من أتى من البحر مجنوناً[683]. إن من أتى من البحر مريضٌ، ولا يمكنه أن يتحمّل تحديق البشر فيه. يبدو الجميع بالنسبة له ثملين وحمقى بسبب سموم منوّمة. إنهم يريدون أن يأتوا لإنقاذك، وبالنسبة إلى قبول المساعدة، فأنت تريد أقلّ ما يمكن من ذلك بالتأكيد، بدل أن تصل إلى رفقتهم من خلال التلاعب وأن تكون مثل من لم ير الفوضى قط، بل يتحدث عنها وحسب.

لكن بالنسبة لمن رأى الفوضى، لم يعد هناك مجال للاختباء، لأنه يعرف أن القاع يتمايل، ويعرف ما يعنيه هذا التمايل. لقد رأى نظام اللانهائي وانعدام

---

[682] تستمرّ المسودة: "لأن الكلمات ليست مجرد كلمات، بل لها معانٍ وضعت من أجلها. إنها تجذب هذه المعاني مثل ظلال الشياطين" (الصفحة 403).

[683] يستمر في المسودة: "ما إن ترى الفوضى، انظر إلى وجهك: لقد رأيتَ أكثر من الموت والقبر، رأيتَ الماوراء، ويحمل وجهك علامات من رأى الفوضى لكنه كان إنساناً. يمرّ الكثيرون ولا يرون الفوضى، لكن الفوضى تراهم وتحدّق بهم، وتترك ملامحها عليهم. وهم موسومون إلى الأبد. يمكنك أن تقول عن شخص كهذا إنه مجنون، لأنه كذلك، لقد أصبح موجة وخسر جانبه الإنساني، خسر ثباته" (الصفحة 404).

النظام فيه، إنه يعرف القوانين غير القانونية. إنه يعرف البحر ولن يستطيع نسيانه يوماً. إن الفوضى مريعة: أيام مليئة بالرصاص، وليال مليئة بالرعب.
لكن كما عرف المسيح أنه كان الطريق والحق والحياة، وبهذا أتى العذاب الجديد والخلاص المتجدد إلى العالم من خلاله[684]، أعرفُ أنا أن الفوضى يجب أن تسيطر على البشر، وأن أيدي الذين يخترقون الجدران الرقيقة التي تفصلنا عن البحر مشغولة. لأن هذه هي طريقنا وحقنا وحياتنا.
كما أدرك تلاميذ المسيح أن الإله تجسد بينهم كرجل، ندركُ الآن أن مسيح هذا الزمن هو إله لا يظهر متجسداً، إنه ليس بإنسان، لكنه ابن الإنسان، لكن بالروح وليس بالجسد، لذا لا يمكن أن يولد إلا من خلال روح البشر التي تشكل رحماً حاملاً بالمُخلّص[685]. إن ما تم فعله بهذا المخلّص تفعله أنت بالأدنى في ذاتك، وتحت قانون الحبّ الذي لا يتم نبذ أي شيء وفقه. لأنه كيف يمكن لأدنى ما فيك أن يخلص من الفساد

[684] الجملة التالية مشطوبة في المسودة المصححة، وكتب يونغ في الهامش "تحديد هوية فيلمون" (الصفحة 405).

[685] بعد عدّة سنوات، أسهب يونغ في هذا الموضوع في كتاب "جواب العمل" (1952)، حيث درس التحولات التاريخية لصور الإله اليهودي-المسيحي. وكان أحد المواضيع الرئيسية هو التجسد المستمر للإله بعد المسيح. وفي تعليق له على "رؤية القديس يوحنا" طرح يونغ فكرة أنه: "منذ أن اختبر يوحنا الأبوكاليبتي للمرة الأولى (وربما بدون أن يعرف) النزاع الذي ستصل إليه المسيحية بشكل محتوم، حمل الجنس البشري عبء ما يلي: أراد المخلّص ولا يزال يريد أن يصبح إنساناً" (الأعمال الكاملة 11، 739). في وجهة نظر يونغ، كان هناك علاقة مباشرة بين آراء يوحنا وأراء إيكهارت: "لقد ولّدت هذه الاجتياحات المزعجة في داخله صورة التناغم الإلهي الذي تعيش صورته في كل إنسان: للطفل الذي رآه مستر إيكهارت في الرؤيا أيضاً. كان هو من عرف أن المُخلّص وحده ليس في حالة نعمة، بل يجب أن يولد في الروح البشرية. لقد تجسد المسيح في النموذج البدئي الذي يتم تحويله باستمرار إلى مخلوق من قبل الروح القدس" (المرجع نفسه 741). وفي الأزمنة الحديثة، أعطى يونغ أهمية كبيرة لإعلان Assumptio Maria البابوي (صعود العذراء إلى السماء). قال إنه "يشير إلى hieros gamos في البليروما، وأن هذا يتضمن بدوره، كما قلنا، الولادة المستقبلية للطفل الإلهي الذي، وفقاً للنزعة الإلهية للتجسد، سيختار مكان ولادته رجلاً تجريبياً. هذه العملية الميتافيزيقية تُعرف باسم "العملية التفردية" في علم نفسْ اللاوعي" (المرجع نفسه، 755). ومن خلال التطابق مع التجسد المستمر للإله في الروح، وجدت العملية التفردية معناها الأسمى. وفي 3 أيار - مايو 1958، كتب يونغ إلى مورتون كيلسي: "يبدو أن التاريخ الحقيقي للعالم تجسّد تطوريّ للألوهة" (الرسائل 2، الصفحة 436).

بغير ذلك؟ من سيستقبل الأدنى فيك إن لم تفعل هذا أنت؟ لكن من يفعل هذا بدافع الكبرياء والأنانية والجشع وليس بدافع الحبّ، هو شخص ملعون. لا يتم إهمال أي من اللعنات أيضاً[686].

إن قبلت الأدنى فيك، فسوف تصبح المعاناة محتومة بما أنك تقوم بالشيء الأساسي، وتبني ما أصبح حطاماً. هناك الكثير من القبور والجثث فينا، ورائحة التفسخ البشعة الشريرة[687]. وكما أخضع المسيح الجسد من خلال عذاب التقديس، كذلك هو مُخلّص هذا العصر سيخضِعُ الروح من خلال عذاب التقديس. وكما عذب المسيح الجسد من خلال الروح، سيعذب مُخلّص هذا العصر الروح من خلال الجسد. لأن روحنا أصبحت عاهرة ووقحة وعبدة للكلمات التي خلقها البشر، ولم تعد الكلمة المقدسة بحد ذاتها[688].

إن الأدنى فيك هو مصدر الرحمة. نأخذ هذا المرض على عاتقنا، وكذلك عدم القدرة على إيجاد السلام، والدناءة والحقارة كي يصبح من الممكن أن يُشفى المُخلّص ويرتقي مشعاً مُطهراً من تفسخ الموت ووحل

---

[686] يستمر في المسودة: "لكن من يفعل هذا تحت قانون الحبّ سيتجاوز المعاناة، ويجلس إلى طاولة المسيح ويشاهد مجد الإله" (الصفحة 406).

[687] يستمر في المسودة: "لكن الإله سيأتي إلى من يأخذوا معاناتهم على عاتقهم تحت قانون الحب، وسيرسّخ رابطة جديدة معهم. لأنه تم التنبؤ أن المسيح سيعود، لكن ليس بالجسد، بل بالروح. وكما أرشد المسيح الروح إلى الأعلى خلال عذاب الخلاص، سيرشدُ مسيح هذا العصر الروحُ للأعلى من خلال عذاب الخلاص" (الصفحة 407).

[688] يستمر في المسودة: "الأدنى فيك هو الحجر الذي رماه البناؤون. سيصبح حجر الزاوية. سينمو الأدنى فيك مثل حبة أرز من تربة جافة، ويتبرعم من رمل أكثر الصحارى قحلاً، ويرتفع ويطول بشدة. سوف يأتيك الخلاص من المنبوذ، وستشرق شمسك من مستنقعات موحلة. مثل الآخرين جميعاً، يزعجك الأدنى فيك لأن مظهره أبشع من الصورة التي تحبها عن ذاتك. إن الأدنى فيك هو أكثر ما يُحتقر، وأقل ما يُقيّم، وهو مليء بالألم والمرض. إنه محتقر إلى درجة أن المرء يخفي وجهه عنه، ولا يُنظر إليه باحترام على الإطلاق، حتى أنه يقال إنه غير موجود لأن المرء يخجل منه من أجله نفسه ويحتقر نفسه. في الحقيقة، إنه يحمل مرضنا، وهو مليء بالألم. نحن نعتبر أنه المصاب بالوباء والمعاقب من قبل الإله بسبب بشاعته البغيضة. لكنه جريح ومعرض للجنون، وقد تم صلبه واضطهاده من أجل جمالنا ومن أجل عدالتنا الخاصّة. نحن نتركه للعقوبة والشهادة كي نحظى بالسلام. لكننا سنقبل مرضه في ذواتنا، وسيأتي الخلاص إلينا من خلال جراحنا" (الصفحات 407-8). تشير الأسطر الأولى إلى المزمور 118: 22. وتوحي الفقرة بسفر أشعيا الإصحاح 53، الذي استشهد به يونغ في بداية الكتاب الثاني.

العالم السفلي. سيرتقي السجين البغيض إلى خلاصه متلألئاً وشافياً بالكامل[689].

هل هناك معاناة أعظم من أن نقبل أن نتحملها من أجل إلهنا؟ أنت ترى الواحد فقط ولا تلاحظ الآخر. لكن حيث يكون الواحد، يكون الآخر موجوداً أيضاً وهو الأدنى فيك. لكن الأدنى فيك هو أيضاً عين الشر التي تحدّق وتنظر إليك ببرودة، وتمتصّ الضوء إلى الهاوية المظلمة. بوركت اليد التي تبقيك في الأعلى، وتُبقيك الإنسانية الأكثر تفاهة، والمخلوق الحي الأدنى. سيفضّل الكثيرون أن يموتوا، وبما أن المسيح فَرَضَ قرباناً دموياً على البشرية، فلن يمنع الإله المتجدد إراقة الدماء أيضاً.

مَا بَالُ لِبَاسِكَ مُحَمَّرٌ، وَثِيَابُكَ كَدَائِسِ الْمِعْصَرَةِ؟ قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي، وَمِنَ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ. فَدُسْتُهُمْ بِغَضَبِي، وَوَطِئْتُهُمْ بِغَيْظِي. فَرُشَّ عَصِيرُهُمْ عَلَى ثِيَابِي، فَلَطَخْتُ كُلَّ مَلاَبِسِي. لأَنَّ يَوْمَ

---

[689] يستمر في المسودة: "لماذا لا تأخذ روحنا على عاتقها العذاب والقلق من أجل التقديس؟ لكن هذا كله سيحلّ عليك، لأنني أسمع منذ الآن خطوات من يحملون مفاتيح بوابات الأعماق. إن الوديان والجبال التي تردد صدى ضجيج المعارك، النحيب الصادر عن المواقع العديدة غير المأهولة هو بشير لما سيأتي. رؤاي حقيقية لأنني رأيت ما سيأتي. لكن لا يفترض بك أن تصدقني، وإلا ستتوه عن دربك الصحيح الذي يوصلك بأمان إلى معاناتك التي رأيتُها مسبقاً. عسى الا يضللك أي إيمان، اقبل كفرك الأقصى، فإنه يرشدك على طريقك. اقبل خيانتك وغطرستك ومعرفتك الأفضل، وستصل إلى الطريق الآمن الذي يقودك إلى أدناك، وما تفعله بأدناك ستفعله بالمسيح. لا تنس هذا: لا شيء من قانون الحب قد بطل، بل أضيف إليه الكثير. إنه ملعون بذاته من يقتل القادر على الحب، لأن حشد الموتى الذين ماتوا من أجل الحب لا يقاس، والأعظم من بين هؤلاء الموتى هو المسيح الرب. إن الحكمة تُمسكُ بهؤلاء الموتى باحترام. ينتظر المَطهَر من يقتل من هم قادرون على الحب بذواتهم. أنت تنوح وتهتاج ضد استحالة اتحاذ الأدنى فيك مع قانون من يحبون. وأقول لك: كما أن المسيح أخضع طبيعة المادي أمام الروح تحت قانون كلمة الآب، ستخضع طبيعة الروح للمادي تحت قانون عمل المسيح الخلاصي المكتمل من خلال الحب. أنت تخشى الخطر، لكنك تعرف أنه كلما اقترب الإله ازداد الخطر. كيف يمكنك أن تميز المسيح من دون خطر؟ هل سيحصل المرء على حجر ثمين بعملة نحاسية؟ إن الأدنى فيك هو ما يعرّضك للخطر. يحرس الخوف والشك بوابات طريقك، ولا يمكن التنبؤ بالأدنى فيك لأنك لا تستطيع رؤيته. هذا الشكل، انظر إليه. ستفتح بوابات سدود الفوضى. تشرق الشمس من الأكثر ظلماً ورطوبة وبرودة. إن بشر هذا الزمن الغافلين لا يرون إلا الواحد: لا يرون الاخر يقترب منهم أبداً. لكن إن كان الواحد موجوداً، فالآخر موجود أيضاً" (الصفحات 409-10). يستشهد يونغ هنا ضمناً بالسطور الافتتاحية لـ"Patmos"، لفريدريك هولدرلين، وهي واحدة من قصائده المفضلة: "قريب هو الإله، ويصعب استيعابه. لكن حيث يكون الخطر، ينمو الخلاص أيضاً" ناقش يونغ هذا في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه (1912، الأعمال الكاملة ب، 651 ف).

النَّقْمَةِ فِي قَلْبِي، وَسَنَةَ مَفْدِيٍّ قَدْ أَتَتْ. فَنَظَرْتُ وَلَمْ يَكُنْ مُعِينٌ، وَتَحَيَّرْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَاضِدٌ، فَخَلَصَتْ لِي ذِرَاعِي، وَغَيْظِي عَضَدَنِي. فَدُسْتُ شُعُوبًا بِغَضَبِي وَأَسْكَرْتُهُمْ بِغَيْظِي، وَأَجْرَيْتُ عَلَى الأَرْضِ عَصِيرَهُمْ[690]. لأنني تحملتُ وزر إثمي بنفسي كي يُشفى الإله.

كما قال يسوع إنه لم يأت من أجل السلام بل أتى بالسيف[691]، فإن من يكتملْ المسيح فيه، لن يمنحه السلام بل السيف. سوف يتمرّد على نفسه وسينقلب الواحد على الآخر فيه. وسيكره أيضاً ما يحبه في نفسه. سيتعرض للتعنيف والهزء في نفسه ويُسلّم إلى عذاب الصلب، ولن يساعده أحد أو يلطف آلامه.

كما صُلب المسيح بين لصين، فإن الأدنى فينا يكمن على جانبي طريقنا. وكما أن أحد اللصين ذهب إلى الجحيم وصعد الآخر إلى الجنة، فإن الأدنى فينا سيتمزق إلى نصفين يوم دينونتنا. إن الواحد مصيره الإدانة والموت، والآخر سيرتقي[692]. لكنك ستحتاج إلى وقت طويل لترى من الذي مصيره الموت ومن الذي مصيره الحياة، بما أن الأدنى فيك لا يزال متحداً وغير منفصل، ويغط في نوم عميق.

إن قبلتُ الأدنى فيّ، أنزل كبذرة إلى أرض الجحيم. إن البذرة صغيرة وغير مرئية، لكن شجرة حياتي تنمو منها وتوحّد الأسفل بالأعلى. يوجد في كلا الطرفين نارٌ وجمرٌ متأجج، فالأعلى ناري والأسفل ناري. وحياتك تنمو بين نارين لا تُحتملان. إنك معلّق بين هذين القطبين. وفي لحظة مخيفة بشكل لا يوصف، يضطربُ التعليق الممتدّ متحركاً إلى الأعلى وإلى الأسفل[693].

---

[690] هذه السطور استشهاد بسفر أشعيا: 63: 2-6

[691] متى: 10:34 : " لا تظنوا اني جئت لألقي سلاماً على الارض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً."

[692] في "جواب العمل" (1952)، كتب يونغ عن المسيح على الصليب: "هذه الصورة تكتمل بلصين، واحد سينزل إلى الجحيم والآخر إلى الفردوس. لا يمكن للمرء أن يتخيّل تمثيلاً أفضل للتناقضات في الرمزية المسيحية المركزية" (الأعمال الكاملة 11، 659).

[693] لاحظ ديتريتش في Gorgias لأفلاطون أن هناك فكرة أن المنتهكين يُعلقون في هادس (Nekyia، الصفحة 117). في لائحة مراجع يونغ في خلف نسخته من Nekyia كتب: "117 تعليق".

لهذا نحن نخشى الأدنى، بما أن ما لا يملكه المرء، يتّحد في الفوضى إلى الأبد، ويشارك في مدّ وجذر غامضين. بقدر ما أقبلُ الأدنى فيّ - خاصة شمس الأعماق المتوهجة الحمراء - أقعُ ضحية لتشوش الفوضى، وتشرق الشمس العلوية أيضاً. لذا فإن من يسعى إلى الأعلى يجد الأدنى.

ومن أجل تخليص الناس في عصره من التعليق الدائم، اتخذ المسيح على عاتقه هذا العذاب وقال لهم: "كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام"[694]. لأن الدهاء يعطي النصيحة ضدّ الفوضى، وتخبئُ البساطة جانبها المريع. وبهذا يستطيع البشر سلوك الدرب الأوسط الآمن، مطوقين من الأعلى ومن الأسفل.

لكن عدد موتى الأعلى والأسفل قد ازداد بشدة وأصبحت مطالبهم أكثر صخباً. وقد نهض النبلاء والأشرار معاً من جديد غافلين، وخرقوا قانون الوسيط. لقد فتحوا أبواب الأعلى والأدنى. وجرّوا معهم الكثيرين إلى جنون الأعلى والأسفل، وبهذا زرعوا الفوضى ممهدين الطريق لما هو آتٍ.

لكن من يدخل الواحد ولا يدخل الآخر في الوقت نفسه أيضاً، من خلال قبول ما يأتي إليه، فسوف يعيش الواحد ويعلّمه ببساطة ويحوّله إلى واقع. لأنه سيصبح ضحيّة هذا الواحد. عندما تدخل الواحد فقط وتعتبر الآخر الذي يتقدم إليك هو عدوك، ستقاتل هذا الآخر. وستفعل هذا لأنك لا تعرف أن الآخر موجود فيك أيضاً. بل على العكس من ذلك، أنت تظنّ أن الآخر يأتي بشكل ما من الخارج، وتظنّ أنك تلمحه أيضاً في آراء إخوتك البشر وأفعالهم، والتي تتعارض مع آرائك وأفعالك. لذلك تقاتل الآخر وأنت أعمى تماماً.

لكن من يقبل ما يتقدم إليه لأنه فيه أيضاً، يتوقّف عن الصراع والعراك، وينظر إلى نفسه ويبقى صامتاً.

---

694 متى: 10: 16: "هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ."

يرى شجرة الحياة التي تمتد جذورها إلى الجحيم، وتلامس ذروتها الجنة. ولا يعود هو أيضاً يعرف الفروق[695]. من على حق؟ من هو المقدس؟ ما هو أصيل؟ ما هو خير؟ ما هو صحيح؟ إنه يعرف فرقاً واحداً فقط: الفرق بين الأسفل والأعلى. لأنه يرى شجرة الحياة تنمو من الأسفل إلى الأعلى، وتاجها على قمتها، وبهذا تتميز بوضوح عن الجذور. بالنسبة إليه، هذا أمر لا يقبل الشك. لذا فهو يعرف طريق الخلاص.

أن تنسى الفروق كلها إلا التي تخصّ الاتجاه، هذا جزء من خلاصك. وهكذا تحرر نفسك من لعنة معرفة الخير والشرّ القديمة. لأنك فصلت الخير عن الشر وفقاً لأفضل تقييماتك، وطمحتَ للخير فقط وأنكرتَ الشرّ الذي ارتكبته رغم ذلك ولم تقبله، لم تعد جذورك تمتصّ التغذية المظلمة للأعماق، ومرضتْ شجرتك وذوت.

لذا قال الأسلاف إنه بعد أن أكل آدم التفاحة، ذوتْ شجرة الفردوس[696]. إن حياتك تحتاج إلى الظلمة. لكن إن كنتَ تعرف أنها شرّ، فلن يعود بوسعك أن تقبلها وتعاني العذاب ولا تعرف السبب. ولا يمكنك أن تقبلها على أنها شرّ، وإلا رفضك خيرك. ولا يمكنك إنكارها بما أنك تعرف الخير والشر. وبسبب هذه المعرفة للخير والشر كانت اللعنة التي لا تُقهر.

لكن إن عدتَ إلى الفوضى البدئية، وشعرت وأدركت ما هو معلّق بين القطبين الناريين اللذين لا يُحتملان، ستلاحظ أنه لم يعد بوسعك أن تفصل الخير عن الشر بشكل حاسم، لا من خلال الشعور ولا من خلال المعرفة، بل يمكنك أن تدرك اتجاه النمو من الأسفل إلى لأعلى فقط. يجب أن تنسى الفرق بين الخير والشر طالما أن شجرتك تنمو من الأسفل

---

[695] ملاحظة يونغ الهامشية في المجلد المكتوب بخط فني: 14. 1922 .IX

[696] في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" (1912)، أشار يونغ إلى أسطورة ذوت فيها الشجرة بعد السقوط (الأعمال الكاملة ب، 375).

إلى الأعلى. لكن ما إن يتوقف النمو، حتى ينفصل ما كان متحداً في النمو، وتميز الخير والشر من جديد.

لا يمكنك أن تُنكرَ معرفة الخير والشر أمام نفسك أبداً، بحيث يمكنك أن تخون الخير كي يحيا الشر. لأنك إن كنت تفصل الخير عن الشر، فأنت تميز بينهما. إنهما لا يتحدان إلا في النمو. لكنك تنمو إن وقفت ساكناً في الشك الأعظم، لذا فإن الثبات أمام الشك العظيم هو زهرة الحياة الحقيقية.

من لا يستطيع أن يتحمّل الشكّ، لا يتحمل نفسه. إن شخصاً كثير الشكّ كهذا، لا ينمو، أي إنه لا يعيش. إن الشكّ علامة على الأقوى والأضعف. إن القوي يملك الشكّ، لكن الشكّ يملك الضعيف. ولهذا، فإن الأضعف قريب من الأقوى، وإن كان بوسعه أن يقول لشكّه: "أنا أمتلكك"، فسيصبح هو الأقوى[697]. لا أحد يستطيع أن يقول "نعم" لشكه، ما لم يتحمل الفوضى المفتوحة تماماً. ولأن هناك الكثيرين بيننا ممن يستطيعون أن يتحدثوا عن أي شيء، ويهتموا بما يعيشونه. فإن ما يقوله شخص ما، يمكن أن يكون كثيراً جداً أو قليلاً جداً، لذا تفحص حياته.

كلامي ليس مشرقاً ولا مظلماً، بما أنه كلام شخص ينمو.

[697] تستمر المسودة: "لذا علم المسيح قائلاً: طوبى للفقراء لأن لهم ملكوت السموات" (الصفحة 416) هذه إشارة إلى إنجيل لوقا: 6: 20.

الفصل السابع عشر:

الليلة الرابعة

Nox quarta[698]

[699]سمعتُ زمجرة رياحِ الصباح التي تهبُّ على الجبال. كان الليل قد انتهى عندما تعرضتْ حياتي لتشوش هائل وامتدت بين قطبي النار.
تحدثتْ إليّ روحي بصوت مشرق: "يجب أن يُرفع الباب عن محوره ليمنح معبراً حراً بين هنا وهنا، بين النعم واللا، بين الأعلى والأسفل، بين اليسار واليمين. يجب بناءُ المعابرِ المفتوحةِ بين الأشياء المتقابلة كلها، ولا بدّ من ربط الشوارع المعبدة جيداً من قطب إلى آخر. يجب أن نستخدم الموازين التي تنوس مؤشراتها بلطف، وأن يشتعل لسان اللهب الذي لا يمكن للرياح أن تطفئه. يجب أن يتدفّق جدولٌ إلى هدفه الأعمق، وأن تذهب قطعان الحيوانات البرّية على دروب مراعيها القديمة. يجب

[698] الليلة الرابعة.
[699] 19 كانون الثاني - يناير 1914

أن تستمرّ الحياة، من الولادة إلى الموت، من الموت إلى الولادة دون أن يعيقها درب الشمس. يجب أن يمضي كل شيء في طريقه".

هذا ما قالته روحي. لكنني أعبث مع نفسي كثيراً ودون تكلّف. هل الوقت نهار أم ليل؟ هل أنا نائم أم مستيقظ؟ هل أنا حي أنني مت؟

تطوّقني الظلمة العمياء ـ هناك جدار هائل، تزحف دودة الغسق الرمادية على طوله. كان لها وجهٌ مدوّر، وكانت تضحك ضحكاً متشنّجاً ومريحاً في الواقع. أفتح عينيَّ وأرى الطاهية البدينة تقف فوقي قائلة: "أنت تنام بعمق. لقد نمت لأكثر من ساعة".

أنا: "حقاً؟ هل نمت؟ لا بدّ أنني كنت أحلم، يا لها من مسرحية مريعة! هل نمتُ في هذا المطبخ؟ هل هذه مملكة الأمهات حقاً؟[700]"

"تناول كأساً من الماء، لا تزال نعساً".

أنا: "نعم، يمكن لهذا النوم أن يجعل المرء ثملاً. أين كتاب توما الكمبيسي؟ ها هو ذا، افتح على الفصل الحادي والعشرين: "يا نفس، استريحي دائماً في الرب فوق كل شيءٍ وفي كل شيء، فإنه هو راحة القديسين الأبدية."[701].

قرأتُ هذه الجملة بصوت مرتفع. أليست كل كلمة متبوعة بعلامة استفهام؟

"إن كنتَ قد غفوتَ على هذه الجملة، فلا بدّ أن حلماً جميلاً راودك".

أنا: "لقد حلمتُ بالتأكيد، وسأفكرُ بالحلم. أيمكنك إخباري طاهية من أنت؟"

"أنا طاهية صاحبِ المكتبة. إنه يحبُّ الطبخ الجيد وأنا معه منذ سنوات"

أنا: لم أكن أعرفُ أن صاحبَ المكتبة لديه طاهية مثلك".

---

[700] في الفصل الأول من الجزء الثاني من مسرحية فاوست لغوته، نزل فاوست إلى مملكة الأمهات. كان هناك الكثير من التخمين عن معنى هذا المصطلح في أعمال غوته. قال غوته لإيكرمان إن أصل الاسم كان من بلوتارخس. **(فيلسوف ومؤرخ يوناني من أعماله السير المقارنة لعظماء الرومان واليونان- المترجمان).** هناك احتمال كبير أن يكون هذا هو نقاش بلوتارخس عن الآلهات الأمهات في إنغيون. (راجع طبعة فاوست لسايرس مأملن [نيويورك: دبليو دبليون نورتن، 1976] الصفحات 328-29). وفي عام 1958 عرف يونغ مملكة الأمهات باللاوعي الجمعي (ميثيولوجيا عصرية: من الأشياء التي شوهدت في السموات، الأعمال الكاملة 10، 714).

[701] "كتاب الاقتداء بالمسيح – للراهب توماس أكيمبيس (توما الكمبيسي).

"نعم، يجب أن تعرف أنه ذوّاق".

أنا: "وداعاً، يا سيدتي الطاهية، وشكراً على استضافتك لي".

"على الرحب والسعة وسررت كثيراً بوجودك".

أصبحت الآن في الخارج. لقد كانت طاهيةَ صاحبِ المكتبة إذن. هل يعرف حقاً أيّ طعام يُحضر في الداخل؟ هو لم يذهب إلى هناك بالتأكيد من أجل نوم المعبد[702]. أظن أنني سأعيدُ له كتاب توما الكمبيسي. دخلتُ المكتبة.

صاحب المكتبة: "مساء الخير، ها أنت ذا ثانية".

أنا: "مساء الخير يا سيدي. جئتُ لأعيد كتاب توما. جلستُ قليلاً في مطبخك لأقرأ، ولم أعرف أنه مطبخك".

صاحب المكتبة: "عفواً سيدي، ليس هناك من مشكلة على الإطلاق. آمل أن تكون طاهيتي قد استقبلتكَ جيداً".

أنا: "لا يمكنني أن أتذمّر من الاستقبال، لدرجة أنني مارست قيلولتي المسائية بينما كنتُ أقرأ كتاب توما".

صاحب المكتبة: "هذا لا يفاجئني. كتبُ الصلواتِ هذه مملّة للغاية".

أنا: "نعم، إنها كذلك بالنسبة لأشخاص مثلنا. لكنّ طاهيتكَ ترى أن هذا الكتاب الصغير يمنحُ الكثير من الوعي".

صاحب المكتبة: "نعم، هذا صحيح بالنسبة إلى طاهية".

أنا: "اسمح لي أن أسألك من دون تحفّظ: هل قمتَ يوماً بنوم احتضان في مطبخك؟"

صاحب المكتبة: "لا، لم تخطر بذهني فكرة غريبة كهذه."

أنا: "اسمح لي بأن أقول إنك ستعرف الكثير عن طبيعة مطبخك بهذه الطريقة. طاب مساؤك يا سيدي!"

---

[702] يشير يونغ إلى ممارسة احتضان الحلم الإغريقية. راجع كتاب سي أي مير "حلم الشفاء والطقس: احتضان عتيق وعلاج نفسي عصري" (إينزيدلن: ديمون فيرلاغ، 1989) **(كانت ممارسة النوم في المعبد، تُعتبر حالة مبكرة من التنويم المغناطيسي منذ أكثر من 4 آلاف سنة، وكانت معابد النوم نوعاً من المستشفيات لعلاج عدة أمراض- المترجمان)**

وبعد هذا الحديث، غادرتُ المكتبة وخرجتُ إلى الردهة حيث اقتربتُ من الستائر الخضراء. دفعتها جانباً، وما الذي رأيته؟ رأيت أمامي قاعة عالية السقف مع حديقة رائعة في الخلفية كما يُفترض. وعلى الفور، خطرت بذهني حديقة كلينغسور السحرية. كنتُ قد دخلتُ مسرحاً وكان هذان الشخصان جزءاً من المسرحية: أمافورتاس وكاندري، أو بالأحرى، ما الذي أنظر إليه؟ إنه صاحب المكتبة وطاهيته. إنه معتل وشاحب ومصاب بمرض في معدته، وهي خائبة الأمل وغاضبة. يقف كلينغسور إلى اليسار، ويحمل الريشة التي كان صاحب المكتبة يضعها خلف أذنه. كم كان كلينغسور يشبهني. يا لها من مسرحية منفرة! لكن انظروا، دخل بارسيفال من اليسار. كم هذا غريب! إنه يشبهني أيضاً. رمى كلينغسور الريشة بحقدٍ على بارسيفال. لكن الأخير أمسكها بهدوء.

تغيّر المشهد: يبدو أن الجمهور في هذه الحالة هو أنا، وانضمّ إلى المسرحية في الفصل الأخير منها. يجب على المرء أن يجثو مع بدء خدمة الجمعة العظيمة: لقد دخل بارسيفال ببطء ورأسه مُغطى بخوذة سوداء. يزيّن كتفيهِ جلد الأسد الذي يرتديه هرقل، ويحمل مضرباً في يده كما أنه يرتدي أيضاً بنطالاً عصرياً أسودَ من أجل العيد الكنسي. انتصبتُ ومددتُ يدي متجنّباً رؤية المشهد، لكن المسرحية استمرت. خلعَ بارسيفال خوذته، لكن لم يأتِ غارنيمانز ليقدّم كفّارته ويسميه كاهناً. وقفت كاندري عن بعد، وكانت تغطي رأسها وتضحك. ابتهج الجمهور بشدّة وأدركَ نفسهُ في بارسيفال. إنه أنا. لقد خلعتُ درعي الذي تغطيهِ طبقاتُ التاريخ وأوسمتي الخيالية، وذهبتُ إلى الينبوع مرتدياً قميص التائب الأبيض، حيث غسلت قدميّ ويديّ دون مساعدةٍ من شخص غريب. كما أنني خلعت قميص توبتي أيضاً وارتديت ملابسي المدنية. ثم خرجتُ من المشهد واقتربت من نفسي ـ أنا الجمهور الذي لا يزال يجثو للصلاة. نهضتُ واتحدتُ مع نفسي[703].

[703] قدّم فاغنر في أوبرا بارسيفال إعادة كتابة لأسطورة الكاس المقدسة وكانت الحبكة فيها تسير على الشكل التالي: كان لدى تيتوريل وفرسانه المسيحيون، الكاس المقدّسة في قلعتهم ولديهم رمح مقدس يحرسها. كان كلينغسور الساحر الذي يريد الكاس. وقد جذبَ حرّاس الكاس إلى حديقته السحرية،

ما هي المهزلة، إن لم تكن هذه مهزلة بحق؟ ما هو الشكّ، إن لم يكن هذا شكّ بحق؟ ما هي المعارضة، إن لم تكن هذه معارضة بحق؟ من يريد قبول نفسه عليه أن يقبل الجزء الآخر منه. لكن في (النعم) ليست كل (لا) حقيقية، وفي (اللا) ليست كل (نعم) كذبة. لكن بما أنني أستطيع أن أكون في (النعم) اليوم وفي (اللا) غداً، فإن (نعم ولا) كلتيهما حقيقيتان وغير حقيقيتين. وبينما لا يمكن (للنعم واللا) أن تتغيرا وفقاً للظروف لأنهما موجودتان، فإن مفاهيمنا عن الحقيقة والخطأ يمكنها أن تفعل.

أفترضُ أنكَ ترغبُ باليقين بما يخصّ الحقيقة والخطأ؟ تريد أن تكون ضمن إحداهما أو في الأخرى، وهذا غير ممكن بالتأكيد، بل من الضروري أيضاً أن لا تكون كذلك. إن اليقين في إحداها حماية، وفي الأخرى مقاومة. إن كنتَ على يقين بإحداهما، فسوف يستبعدُ يقينك الأخرى. لكن كيف يمكنك حينها أن تصل إلى الأخرى؟ ولماذا لا يكون ممكناً أن

حيث توجد عذارى الأزهار، والعرّافة كاندري. دخل أمفورتاس، ابن تيتوريل، إلى القلعة ليدمّر كلينغسور، لكن كاندري سَحَرته وجعلت الرمح المقدس يسقط مما جعل كلينغسور يجرحه به. يحتاج أمفورتاس إلى لمس الرمح كي يشفي جرحه. كان غورنيمانز، أكبر الفرسان سناً، يرعى كاندري، دون أن يعرف دورها في جرح أمفورتاس. يأتي صوت من حرم الكاس، ويتلو النبوءات التي تشير إلى أنه لا يمكن إلا لشخص يافع وبريء أن يستعيد الرمح. دخل بارسيفال بعد أن قتل بجعة. وهو لا يعرف اسمه ولا اسم والده، وتمنّى الفرسان أن يكون هو ذلك الشخص اليافع. يأخذ غورنيمانز بارسيفال إلى قلعة كلينغسور، ويأمر الأخير كاندري بإغواء بارسيفال. هزمَ بارسيفال فرسان كلينغسور، وتحوّلت كاندري إلى امرأة جميلة، وقبلته. لقد أدرك هنا أن كاندري أغوت (أمفورتاس) وهو قاومها. رمى كلينغسور الرمح إليه، وأمسك به بارسيفال. واختفت قلعة كلينغسور والحديقة. وبعد أن هام بارسيفال على وجهه، وجد غورنيمانز الذي كان يعيش الآن كناسك. كان بارسيفال مرتدياً درعاً أسود، وشعر غورمانيمانز بالإهانة لأنه كان مسلّحاً في يوم الجمعة العظيمة. وضع بارسيفال رمحهُ أمامه، وخلع خوذته وأسلحته. عرفه غورنيمانز، ومسحه بالزيت وجعله ملكاً على فرسان الكاس. عمّد بارسيفال كاندري، وذهبوا جميعاً إلى القلعة وطلبوا من أمفورتاس أن يكشف عن الكاس. طلب منهم أمفورتاس أن يذبحوه، ودخل بارسيفال ولمس جرحه بالرمح. لقد تحوّل شكل أمفورتاس، وحمل بارسيفال الكاس بسعادة. وفي 16 أيار - مايو 1913، قدّم أوتو مينسنديك محاضرة في جمعية التحليل النفسي في زيوريخ عن "ملحمة الكاس المقدسة وبارسيفال". وأثناء النقاش قال يونغ: "إن معالجة فاغنر الشاملة لأسطورة الكاس المقدسة وبارسيفال، ستحتاج إلى إكمال من خلال وجهة النظر التركيبية التي تفيد بأن الشخصيات المختلفة، تتوافق مع طموحات فنية مختلفة - إن حاجز سفاح القربى لن يفيد في تفسير فشل جهود كاندري في الإغواء: وبدلاً من ذلك، لا بدّ أن للأمر علاقة بنشاط النفس لرفع الطموحات البشرية أعلى". (إم زي إس الصفحة 20). في كتاب "النماذج السيكولوجية" 1921، قدم يونغ تفسيراً سيكولوجياً لأسطورة بارسيفال (الأعمال الكاملة 6، 371-72).

نكتفي بإحداهما؟ لا يمكن لإحداهما أن تكفينا لأن الأخرى موجودة فينا أيضاً. إن كان لدينا قناعة بواحدة، فستعاني الأخرى من حاجة ماسّة وسوف تبتلينا بجوعها. إننا نفهم هذا الجوع ومع ذلك، نعتقد أننا جائعون لواحدة فقط ونستمرّ في سعينا لها بعناد أكبر.

من خلال تصرّفنا هذا، نتسبب بأن تصرّ الأخرى على مطالبها بقوة أكبر. إن كنا مستعدّين حينها للاعتراف بمطلب الأخرى فينا، فسوف نتمكن من العبور إلى الأخرى وإشباعها. لكننا نمدّ يدنا حينها للجانب الآخر مع وعينا لوجود الأخرى. لكن إن أصابتنا إحداهما بالعمى عن وجود الأخرى، فسنصبح أبعد عنها، وستظهر في داخلنا هوّة كارثية بين الاثنتين. تصبح واحدة منها مُتخمةً والأخرى جائعة جداً. ومن ثم تصبح المُشبعة كسولة والجائعة ضعيفة. وبهذا نختنقُ من دهون الأولى، ويُنهكنا عَوَزُ الثانية.

إن هذا عبارة عن مَرَض مع أنكم ترون الكثير منه. لا بدّ أن الأمر كذلك، مع أنه لا يجب أن يكون كذلك. إن هناك أسساً وأسباباً كافية تبرّر هذه الحالة، لكننا لا نريد أن يكون الحال هكذا. لقد مُنِحَ الإنسان الحرية ليقهر السبب لأنه خلّاق في نفسه ومن نفسه. إن وصلتَ من خلال معاناة روحك إلى تلك الحرية التي تجعلك تقبل الأخرى على الرغم من إيمانك الأسمى بواحدة، على أساس أن الأخرى هي أنت أيضاً، فسوف يبدأ النضجُ حينئذٍ لديك.

إن سَخِر الآخرون مني، فإنهم هم من يفعلون ذلك وليس أنا. أستطيع عندها أن أقول إنهم مُذنبون بهذا التصرّف، وأنسى بعدها أن أسخر من نفسي. اقبلْ سخريتك الذاتية بحيث يسقط منك كل ما هو مقدّس وبطولي لتصبح بشرياً بالكامل. إن المقدّس والبطوليّ فيك هو مهزلة بالنسبة للآخرين. من أجل الأخرى التي فيك، تخلّصْ من دورك الذي نال الإعجاب، والذي أدّيته أمام ذاتكَ أنت، وكن ما أنت عليه.

من حالفهُ الحظ وسوء الحظ لأن يتملك موهبة معيّنة، يقع ضحيّة الاعتقاد بأنه هو ذاته الموهبة، ولذلك، غالباً ما يكون خادمها. إن الموهبة

الخاصّة هي شيء خارج ذاتي، وأنا لست متطابقاً معها. لا علاقة لطبيعة الموهبة بطبيعة الإنسان الذي يحملها وهي غالباً ما تعيش على حساب شخصيّة حاملها. إن شخصيته تُوسم بمدى الأذى الذي تلحقه موهبته به، بل تُوسم حتى بنقيض تلك الموهبة. ولهذا لا يصل أبداً إلى علو موهبته بل يبقى تحتها دوماً. لكن إن قَبِلَ جزءه الآخر، فسوف يُصبح قادراً على حمل موهبته من دون الضرر. أما إن كان يريد أن يعيش في موهبته فقط، فسيرفض جزئه الآخر ويتخطى الحدود، بما أن جوهر موهبته ظاهرةٌ طبيعية خارقة للبشر، أما هو، فليس كذلك في الواقع. يرى العالم كله خطأه ويصبح هو ضحيّة سخريته. ومن بعدها يقول إن الآخرين يسخرون منه، بينما لا شيء يجعله سخيفاً إلا تجاهله لجزئه الآخر.

عندما يدخلُ اللّه حياتي، أعودُ إلى فقري من أجل اللّه. أقبلُ عبء الفقر وأحمل كل بشاعتي وسخفي وكل ما يستحقّ التوبيخ فيّ. وبهذا أمهّد الطريق لأعمال اللّه. ماذا سيحدث؟ هل أُفرغتِ الهاوية الأكثر ظلمة واستُنزفت؟ أم ما الذي يقف هناك وينتظر متوعداً وساخناً بشدة؟

أية نار تلك التي لم تُخمد، وأي جمر ذلك الذي لا يزال مستعراً؟ لقد قدّمنا لأعماق الظلام عدداً لا يُحصى من الضحايا، ولا زال يطالبنا بالمزيد. أية رغبة جنونية تلك التي تتوق للإشباع؟ صرخات أي مجنون هذه؟ هل هناك من بين الموتى من يعاني هذه المعاناة؟ تعال إلى هنا واشرب الدم كي تتمكن من الكلام[704]. لماذا ترفضُ الدم؟ هل تريدُ الحليب أم عصير الكرمة الأحمر؟

---

[704] في الكتاب الثاني من الأوديسة، يصنع أوديسيوس شراباً للموتى كي يتمكّنوا من الكلام. كتب والتر بركيرت: "يشرب الموتى ما سُكب إضافة إلى الدم بالتأكيد ـ لقد تمت دعوتهم ليأتوا إلى المائدة، إلى التشبع بالدم، بينما يتغلغل الشراب إلى الأرض، سيرسل الموتى أشياء جيدة للأعلى" (الدين الإغريقي، ترجمة ج رافر [أوكسفورد: بازيل بلاكويل، 1987] الصفحات 194-95). لقد استخدم يونغ هذا الموضوع بمعنى مجازي في عام 1912 في تحولات الليبيدو ورموزه: "مثل أوديسيوس، سعيت للسماح إلى هذا الظل [الآنسة فرانك ميلر] أن يشرب قدراً منه يمكّنه من الكلام وحسب كي يفصح عن أسرار العالم السفلي" (الأعمال الكاملة ب، 57). وحوالي عام 1910، ذهب يونغ في رحلة إبحار مع صديقيه البرت أوري واندرياس فيشر، وقرأ أوري خلالها وبصوت مرتفع فصولاً من الأوديسة عن سيرس والنيكيا، وكتب يونغ بعد ذلك بوقت قصير أنه "مثل أوديسيوس، تعرف بواسطة القدر على نيكيا، الهابط إلى هادس المظلم" (مراسلات يونغ/جافيه، Erinnerungen, ،

ربما تفضّلُ أن تقعَ في حبّ الموتى؟ هل تطلب بذور الحياة للجسد المضمحلّ للعالم السفلي الذي عمره ألف عام؟ هل تطلب شهوة سفاحية دنسة للموتى؟ إنه شيء يجعلُ الدم يبرد. هل تطلب تمازجاً شهوانياً مع الجثث؟ لقد تحدثتُ عن "القبول" لكنكَ طالبتَ "بالاحتجاز والمعانقة والمجامعة"؟ هل تريدُ تدنيسَ الموتى؟ أنت تقول إن ذلك النبي استلقى على الطفل، ووضعَ فمهُ على فمِ الطفل، وعينيه في عينيهِ، ويديه على يديهِ، وبسط نفسه بهذا الشكل على الصبي، كي يصبح جسد الصبي دافئاً من جديد. لكنه نهضَ ثانية وتجوّل في المنزل قبل أن يعتليهِ ثانية ويبسط نفسه عليه من جديد. لقد شخرَ الصبي سبع مرات ثم فتح عينيه. هكذا سيكونُ قبولكَ وهكذا ستقبلُ، ليس ببرودة ولا فوقية، ولا بترو ولا بخنوع، ولا كعقاب ذاتي بل بمتعة، وتحديداً بتلك المتعة الغامضة الدَّنسة التي يمكنها غموضها من الاتحاد مع الأسمى، تلك المتعة الشريرة المقدّسة التي لا تعرف ما إن كانت فضيلة أم رذيلة، بتلك المتعة التي تكون عبارة عن استهجان شهواني وخوف فاسق وعدم نضوج جنسي. إن المرء يوقظ الموتى بهذه المتعة.

يكمنُ أدنى انحطاط لك في نوم يشبهُ الموت، ويحتاجُ إلى دفء الحياة التي تحتوي على الخير والشرّ بشكل لا ينفصم ولا يتمايز. هذا هو طريق الحياة، ولا يمكنك أن تصفه بالشرير أو الصالح، ولا الطاهر ولا الدنس. لكن هذا ليس الهدف، بل هو الطريق وعبورها. إنه مرضٌ وبداية للشفاء أيضاً. إنه أساس كل الأعمال القبيحة وكل الرموز المفيدة. إنه الشكل الأكثر أولية من الخلق، والدافع المظلم الأول الذي يتدفّق عبر كل أماكن الاختباء السرّية والممرات المظلمة، إنه ينتأ من أدقّ الصدوع، بالشرعية غير المقصودة للماء ومن الأماكن غير المتوقعة في التربة المتفككة، ليخصّب التربة الجافة. إنه بالنسبة للطبيعة، المعلّم السرّي الأول الذي يعلّم

Träume, Gedanken، الصفحة 104). إن الفقرة التي تلي هذا، تصف إعادة إحياء النبي للطفل التي تعيد صياغة إعادة إحياء اليشع لابن الأرملة الشونمية في سفر الملوك الثاني الإصحاح 4: 30-36.

النباتات والحيوانات أكثر المهارات والحيل إذهالاً وذكاء، التي لا نعرف نحن حتى كيف نسبر أغوارها. إنه الحكيم العظيم الذي يملك المعرفة الخارقة للبشرية، وهو من لديه أعظم العلوم، ومن يصنع النظام من الفوضى، ويتنبأ بالوضوح المستقبلي من الامتلاء الذي لا يمكن فهمه. إنه الشبيه بالأفعى، والمفيد والقابل للهلاك، والديموني بشكل مخيف وسخيف. إنه السهم الذي يصيب أضعف النقاط دوماً، وهو جذر الربيع الذي يفتحُ حجرات الكنز الموصدة.

لا يمكنكَ أن تقول إنه ذكيّ ولا غبيّ، ولا صالح ولا طالح، بما أن طبيعته غير بشرية بالكامل. إنه ابن الأرض، وهو المظلمُ الذي عليكَ إيقاظه[705]. إنه رجل وامرأة في الوقت نفسه، وجنس غير ناضج، وغني بالتفسير وسوء التفسير، وفقير بالمعنى لكنه غني جداً. هذا هو الميت الذي أطلقَ أعلى صرخة، والذي وقفَ في القاع تماماً وانتظرَ وتعرّضَ لأسوأ معاناة. هو لا يرغب بالدم ولا الحليب ولا الخمر كقربان للموتى، بل لديه رغبة بأجسادنا.

لم يكن توقهُ يهتمّ بعذاب الروح الذي صارع نفسه وعذّبها ليخترع ما لا يمكن اختراعه، وبهذا مزّق نفسه وضحّى بها. أنا لن أسمع صوت ابن الأرض، ما لم يُصبح الروح مقطّع الأوصال على المذبح. حينها فقط سأرى أنه كان يعاني أعظم معاناة، وأنه هو من كان بحاجة إلى الخلاص. إنهُ المُختار لأنه أكثر من تعرّض للرفض. أمرُ سيئ أن أُضطرّ إلى قول هذا، لكنني ربما لا أسمع بشكل صحيح، وربما لا أفهم ما تقوله الأعماق. وعلى الرغم من أنه من المؤسف أن أقول هذا الكلام، لكن عليّ قوله.

كان روح الأعماق صامتاً. لقد قام الآن وهو ينظر إلى نور الشمس وهو بين الأحياء. لقد قام معه القلقُ والخصام والشكّ وامتلاء الحياة.

لقد تم الأمر، آمين. لقد أصبح ما كان غير واقعي واقعياً، وأصبح ما كان واقعياً، غير واقعيّ. وعلى كل حال، لا يمكنني ولا أريد ولا أستطيع. يا للتعاسة البشرية! يا لنفورنا! يا للشكّ واليأس. كان يوم الجمعة العظيمة

---

[705] راجع الصفحة 472.

فعلاً، حين مات المخلّص، وهبط إلى الجحيم وأكمل الأسرار[706]. هذا هو يوم الجمعة العظيمة عندما أكملنا المسيح فينا، وهبطنا إلى الجحيم نحن أيضاً. هذا هو يوم الجمعة العظيمة حيث نتأوه ونبكي كي نرغب باكتمال المسيح، لأننا سننزل إلى الجحيم بعد اكتماله. كان المسيح قوياً جداً بحيث غطّت مملكتهُ العالمَ كله ولم يبقَ خارجها إلا الجحيم.

من هو الذي نجحَ في عبور حدود هذه المملكة بأساس جيد وضمير نقي وبطاعة قانون الحب؟ من بين الأحياء هو مسيح يذهب إلى الجحيم بجسده الحي؟ من يوسّع مملكة المسيح بالجحيم؟ من هو الممتلئ بالثمل وهو صاحٍ؟ من الذي انحدرَ من كونه واحداً إلى كونه اثنين؟ ومن نزع قلبه ليوحّد ما تم فصله؟

أنا هو الذي لا اسم له، أنا هو من لا يعرف نفسه ومن يخفى اسمه حتى عنه. أن من ليس له اسم، بما أنني لم أوجد، بل أصبحتُ للتو. وبالنسبة إلى نفسي، أنا غريب من طائفة الأنابابتيست[707]. أنا من أنا عليه، ولست كما أبدو. لكن أنا، من سأصبح عليه قبل وبعد ما أبدو عليه. وبهذا حقّرت نفسي ورفعتها على أنني شخص آخر. وبهذا قَبِلتُ نفسي وقسّمتها إلى اثنين، وبهذا وحدّت نفسي مع نفسي وأصبحت الجزء الأصغر من نفسي. أنا هذا في وعيي، لكنني ذاك في وعيي كما لو أنني منفصلٌ عنه أيضاً. أنا لستُ في حالتيٍ الثانية والأعظم كما لو أنني هذا الثاني والأعظم أنا نفسي، لكنني دوماً في وعيٍ عادي، ومع ذلك فإنني منفصلٌ عنه ومتمايز كما لو أنني في حالتي الثانية والأعظم، ودون وعيٍ مني بأنني في هذه الحالة حقاً. لكنني أستطيع بسبب ضآلتي تحديداً، أن أعيَ اقترابَ العظيم.

تم تعميدي بماء دنس من أجل الولادة الجديدة. وانتظرني لهب من نار الجحيم فوق حوض عمادتي. لقد حمّمت نفسي بالدنس وغسلت

---

[706] راجع الملاحظة 394، الصفحة 176.

[707] القائلين بتجدد العماد - المترجمان

نفسي بالتراب. لقد استقبلت الأخ المقدّس، ابن الأرض وثنائي الجنس الدنس وقبّلته، وأصبح رجلاً بين ليلةٍ وضُحاها. لقد ظهر سنّاه القاطعان وغطّى ذقنه نورٌ. لقد أمسكت به وتغلّبت عليه وتقبّلته. وقد طالبني بالكثير لكنه أحضر كل شيء معه. تنتمي الأرض إليه لأنه غني، لكن حصانه الأسود رحل عنه.

لقد هزمتُ حقاً عدواً فخوراً وأجبرتُ الأعظم والأقوى على أن يصبح صديقي. لن يفرّقني شيء عن ذلك المُظلم. إن أردتُ أن أتركه فسوف يتبعني مثل ظلّي. وإن لم أفكّر به فسيبقى قريباً بشكل غامض. وإن أنكرتهُ فسوف يتحوّل إلى خوف. عليّ الاستفاضة بإحياء ذكراه وأن أعدّ وجبة قربانية له، وأملأ طبقاً له على طاولتي. إن معظم ما كنت سأفعله سابقاً من أجل البشر، يجب أن أفعلهُ الآن من أجله. إنهم يعتبرونني أنانياً من أجل هذا، ولأنهم لا يعرفون أنني أذهبُ مع صديقي وأنني أكرّس الكثير من الأيام من أجله[708]. لكن الاضطراب قد جاء، إنه أشبه بزلزال هادئ تحت الأرض مترافق مع زمجرة عظيمة بعيدة. لقد فُتِحَتْ الطرقات إلى الأوليّ وإلى المستقبل. وأصبحت المعجزاتُ والأسرار المُريعة قريبةً. أنا أشعر بالأشياء التي كانت، وبالأشياء التي ستصبح. إن الهاوية الأبدية تفغرُ فاها خلف ما هو عادي، وتعيدُ الحياة إليّ ما خبأتهُ.

---

[708] يتابع في المسودة: "لقد وضعتُ الكثير من الناس والكتب والأفكار جانباً من أجله، كما انسحبتُ من العالم الحالي، وقمتُ على الفور بما هو بسيط وواضح، وقد سعيت إلى هذا كي أخدم غايتهُ السرّية. وبخدمة ذلك المُظلم، صادفتُ آخرَ على طريق الرحمة. إن عذّبتني الغايات والأماني، فإنني أفكّر وأشعر وأقوم بما هو أقرب. وبهذا يصل إليّ الأبعد" (الصفحة 434).

الفصل الثامن عشر:

النبوءات الثلاث

[709]لقد اقتربتْ أشياء عجيبة أكثر. استدعيتُ روحي وطلبتُ منها الغـوص في الفيضانات التي كنتُ أستطيع سماع زمجرتهـا البعيـدة. حـدث هـذا في 22 كانون الثاني - يناير 1914 كما سجلت في كتابي الأسود. وهكذا انـدفعتُ إلى الظلمة كالسهم، ومن الأعماق صرختْ: "هل ستقبلُ ما أحضره؟"

أنا: "سأقبل ما تمنحينه. ليس لدي الحقّ بالحكم أو بالرفض".

الروح: "اسمع إذاً. يوجدُ درعٌ قديمٌ ومعدّات صدئة لآبائنا هنا، وزخارفْ جلديـة وحشية، وقصبات رماح أكلتها الديدان، ورؤوس رمـاح ملويـة، وأسـهم مكسـورة ودروع عفنةِ، وجماجم وعظام إنسان وجواد، ومـدافع قديمـة ومقـاليع، ومعـدّات هجومٍ محطّمة، ورؤوس رماح حجرية، ومضارب حجرية، وعظام حادة، وأسنان رؤوس رمح مكسرة ـ يوجد كل ما خلّفته معارك الأمس للأرض. هل ستقبل هذا؟"

أنا: "أنا أقبله. أنتِ أكثر دراية يا روحي".

الروح: "وجدتُ حجـارةً مطليـةً وعظامـاً منحوتـة، وعلامـات سـحرية، وأقوالاً طلسميّة على لفائف جلدية وصفائح صغيرة من الرصاص، وجيوباً

---

[709] في الكتاب الأسود 4، كتب يونغ "بعد ذلك، سرتُ كرجل متوتر يترقب شيئاً جديداً لم يشكّ بوجوده من قبل. استمعت إلى الأعماق ـ بعد أن تم إنذاري وإعطائي التعليمات وسرت متجاسراً ـ أطمح ظاهرياً بأن أعيش حياة إنسانية كاملة" (الصفحة 42).

قذرة مليئة بالأسنان، وشعراً وأظافرَ أصابعٍ بشريّة، وأخشاباً مضمومة معاً، وأجراماً سوداء، وجلوداً حيوانية عليها طحالب ـ وهناك كل الخرافات التي أنتجتها عصور ما قبل التاريخ المظلمة. هل ستقبل هذا؟"

أنا: "أنا أقبله كله، كيف أرفض أي شيء؟"

الروح: "لكنني وجدتُ ما هو أسوأ: قتل الأخوة، وضربات قاتلة جبانة، وتعذيباً وتضحيات بالأطفال، وإبادة شعوبٍ كاملةٍ، وحرائق مفتعلة وخيانة وحرباً وتمرّداً ـ هل ستَقبل هذا كله؟"

أنا: "أنا أقبل هذا أيضاً إن كان لا بدّ من ذلك. كيف يمكنني أن أحكم؟"

الروح: "وجدت أوبئة وكوارث طبيعية وسفن غارقة، ومدن مهدمة وهمجيّة وحشية مخيفة، ومجاعات ولؤمَ الإنسان والخوف، جبال كاملة من الخوف".

أنا: "ليكن، بما أنكِ من يعطيه لي".

الروح: "وجدت كنوزاً من جميع الحضارات السابقة، وصوراً مذهلةً للآلهة، ومعابدَ فسيحةٍ ولوحاتٍ ولفافاتِ بردي وأوراق برشمان عليها أحرف من لغات منسيّة، وكتباً مليئة بالحكمة الضائعة، وترانيم الكهنة القدماء وأناشيدهم، وقصصاً تم تناقلها عبر العصور لآلاف الأجيال".

أنا: "هذا عالم كامل لا أستطيع فهم مداه. كيف لي أن أقبله؟"

الروح: "لكنك أردت أن تقبل كل شيء؟ أنت لا تعرف حدودك. ألا يمكنك ألا تحدّ نفسك؟"

أنا: "يجب أن أحدّ نفسي. من يمكنه استيعاب ثروة كهذه؟"

الروح: "كن قانعاً واحرث حديقتك بتواضع"[710].

أنا: "سأفعل. إنني أرى أن غزو قطعة أكبر مما لا يُقاس لا يستحق عناءه، ويكفيني قطعة أصغر. إن حديقة صغيرة تحظى بعناية جيدة

---

[710] تشير هذه السطور إلى نهاية قصة كانديد لفولتير: "قيل كل ذلك بشكل جيد ـ لكن علينا أن نحرس حديقتنا" (كانديد وقصص أخرى، ترجمة آر بيترسون [أوكسفورد: مطبعة جامعة أوكسفورد، 1998/1759] الصفحات 392-93). احتفظ يونغ بتمثال نصفي لفولتير في مكتبته.

أفضل من حديقة كبيرة لا تحظى بعناية جيدة. كلا الحديقتين صغيرتان عندما تقارنان بما لا يقاس، لكنهما لم تحظيا بعناية متساوية".

الروح: "خذْ المقصّ وقلّم أشجارك".

من خلال الظلمةِ المتدفقةِ التي أحضرها ابن الأرض، منحتني روحي أشياءَ عتيقةً دلّتْ على المستقبل. لقد أعطتني ثلاثة أشياء: بؤس الحرب وظلمة السحرِ وهدية الدين.

إن كنت ذكياً، فستفهم أن هذه الأشياء الثلاثة متلازمة. إن هذه الأشياء الثلاثة تعني إطلاق الفوضى وقوتها، كما تعني أيضاً ربط الفوضى. إن الحربَ واضحة ويراها الجميع. والسحر قاتم ولا يراه أحد. إن الدين سيأتي لاحقاً، لكنه سيأتي بشكل جليّ. هل تعتقد أن شرف حربِ فظيعة كهذه سيحلّ علينا؟ هل كنتَ تظنّ أن السحر موجود؟ هل كنت تفكّر بدين جديد؟ لقد بقيتُ ساهراً لليال طوال، ونظرتُ إلى الأمام إلى ما سيأتي وارتعشت. هل تصدقني؟ لا يهمني هذا كثيراً. ماذا يجب أن أصدّق؟ ماذا يجب ألا أصدق؟ لقد رأيتُ وارتعشت.

لكن روحي لم تستطع فهمَ الفظاعة، ولم تتخيّل مدى ما سيأتي. لقد اضمحلت قوة توقي، وأغرقَ العجزُ الأيدي الحاصدة. وقد شعرتُ بعبء أفظع أعمال الزمان القادمة، ورأيت أين وكيف، ولكن لم تكن هناك كلمةٌ تستطيعُ احتواءها ولا إرادةٌ تستطيع قهرها. لم أستطع فعل أي شيء آخر، تركتها تغوصُ ثانيةً إلى الأعماق.

أنا لا أستطيع أن أعطيك إياها، ولا أستطيع سوى أن أتحدث عن طريق ما سيأتي. لن يصيبكَ خير كثير من الخارج. وما سيأتيك، يكمن في داخلك. لكن ماذا يكمنُ هناك! أنا أرغبُ بأن أحوّلَ ناظريّ، وأغلقَ أذني وأنكرَ حواسي كلها، وأريدُ أن أصبحَ شخصاً بينكم، لا يعرفُ شيئاً ولم يرَ أي شيء. إن هذا كثير جداً وغير متوقع على الإطلاق. لكنني رأيته، وتأبى ذاكرتي أن تدعني وشأني[711]. لقد قلّصت توقي الذي يودّ

---

[711] يتابع في المسودة: كيف لي أن أفهم ما سيحدث خلال السنوات الثمانمئة القادمة، إلى أن يبدأ "الواحد" حكمه؟ أنا أتحدث فقط عما سيأتي" (الصفحة 440).

الامتداد إلى المستقبل، وعدّتُ إلى حديقتي الصغيرة التي تزهر حالياً، وأستطيع أن أقيس مداها. إنها ستحظى بعناية جيدة.

يجبُ أن يُترك المستقبل لأبناء المستقبل. لقد عدتُ إلى الصغير والواقعي، لأن هذا هو الطريق العظيم، طريقُ ما سيأتي. عدتُ إلى واقعي البسيط وكينونتي الضئيلة التي لا يمكن إنكارها. وأخذتُ سكيناً واهتممتُ بكل ما نما بدون قياس وهدف. لقد نمتْ الغابات حولي وتسلّقتْ عليّ نباتاتٌ ملتفّة، وأنا مغطى كلياً بخصب لا ينتهي. إن الأعماق لا تنضب، وهي تعطي كل شيء. وكل شيء يساوي اللاشيء. احتفظْ بالقليل وسيكون لديك شيء ما. إن من الإفراط أن تُدرك طموحكَ وجشعكَ وأن تجمع توقكَ وتحرثه وتفهمه وتجعله نافعاً وتُؤثر به وتصبح سيداً له وتعطيه تفسيرات ومعاني.

هذا جنون، مثل كل شيء يتجاوز حدوده. كيف يمكنك الاحتفاظ في داخلك بما هو منك؟ هل تريد حقاً أن تُقحِم كل ما ليس منك تحت نير معرفتكَ التعيسة وفهمك؟ تذكّر أنك تستطيع معرفة نفسك، وبهذا تعرف ما فيه الكفاية. لكنك لا تستطيع معرفة الآخرين وكل شيء آخر. احذرْ من معرفة ما هو خارجك وإلا فستخنق معرفتك المزعومة حياة من يعرفون أنفسهم. يمكن للعارفِ أن يعرفَ نفسه. هذه هي حدوده.

أقطع بألمٍ ما تظاهرتُ بمعرفتهِ عما يوجد خارجي. لقد أزلتُ نفسي عن العرى التفسيريةً الماكرة التي أعطيتها لما يوجد خارجي. ومضتْ سكيني إلى مكان أعمق، وفصلتني عن المعاني التي منحتها لنفسي. لقد قُطِعتُ حتى النخاع، إلى أن سقط مني كل ما له معنى، إلى أن توقفتُ عن كوني ما أظهر به لنفسي، إلى حدّ أنني لم أعد أعرف سوى أنني موجود من دون أن أعرف أنني موجود.

أريد أن أكون فقيراً وعارياً، وأريد أن أقف عارياً أمام الذي لا يرحم. أريدُ أن أكون جسدي وفقره. أريد أن أكون من الأرض وأعيش قوانينها. أريد أن أعاني نحيب وبركة من وقف وحيداً بجسد فقير غير مسلح على الأرض المضاءة بالشمس، طريدة لدوافعه وللحيوانات البرية المتربصة، ومن كان

يخاف من الأشباح ويحلم بالآلهة البعيدة، ومن كان ينتمي إلى ما كان قريباً وعدواً لما هو بعيد، ومن أشعل النار من الحجارة، ومن سُرقت قطعانه من قِبَل قوى مجهولة دمّرت أيضاً محاصيل حقوله، ومن لم يكن يعرف ولا يدرك، لكنه عاش بما يجده بين يديه، وتلقّى ما هو بعيد بلباقة.
لقد كان طفلاً وغير واثق، لكنه مليء باليقين، كان ضعيفاً لكنه مبارك بقوة هائلة. وعندما امتنع إلهه عن مساعدته، اتخذ إلهاً آخر. وعندما امتنع هذا أيضاً عن مساعدته، انتقده بقسوة. وانظروا: لقد قدّمت الآلهة المساعدة مرة أخرى. ولهذا تخلّيت عن كل شيء مثقل بالمعنى، وعن كل شيء مقدّس وشيطاني، حملّتني الفوضى عبئه. حقاً، ليس منوطاً بي أن أبرهن على وجود الآلهة والشياطين ووحوش الفوضى، وأن أغذيهم بعناية، أو أجرّهم معي بحذر، وأن أعدّهم وأسميهم، وأن أحميهم بالإيمان من الإلحاد والشك.
لا يعرف الإنسان الحر إلا الآلهة والشياطين الحرة المحتواة بذاتها والتي تترك أثراً بقوتها. إن فشلت تلك الآلهة والشياطين بأن تترك أثراً، فهذا شأنها، وأستطيع إزالة هذا العبء عن نفسي. لكن إن كانت فعالة، فلا تحتاج إلى حمايتي ولا رعايتي ولا إيماني. لذا يمكنكَ الانتظار بهدوء لترى كيف تعمل. إن قامت بعمل ما، فكن ذكياً لأن النمر أقوى منك. يجب أن تكون قادراً على طرح كل شيء منك، وإلا ستصبح عبداً، حتى إن كنت عبداً لله. إن الحياة حرة وتختار طريقها. ولديها ما يكفي من الحدود، فلا تراكم المزيد من منها. لذا قطعتُ كل شيء يشكّل قيداً لي، ووقفت هنا، وكانت تعدديّة جوانب العالم الملغّزة هناك.
لقد أصابني الهلع. ألستُ مربوطاً بإحكام؟ أليس العالم هناك لامحدود؟ لقد أدركت ضعفي. ماذا سيكون الفقر والعري وعدم الجاهزية من دون وعي الضعف، ومن دون رعب العجز؟ لذا وقفت وكنت مذعوراً. ثم همست لي روحي:

الفصل التاسع عشر:

موهبة السحر[712]

أتسمع شيئاً؟

أنا: "لا أسمع أي شيء. ماذا يجب أن أسمع؟"

الروح: "رنين".

أنا: "رنين؟ ماذا؟ لا أسمع شيئاً؟"

الروح: "اصغ جيداً".

أنا: "ربما أسمع شيئاً بالأذن اليسرى. ما معنى هذا؟"

الروح: "سوء الطالع".

أنا: "أقبل ما تقولينه. أريد أن أحظى بالطالع الحسن والسيئ".

"الروح: "حسن إذاً، ارفع يديك واستقبل ما يأتيك".

أنا: "ما هو؟ قضيب؟ أفعى سوداء؟ قضيب أسود، على شكل أفعى ـ وهناك لؤلؤتان مكان عينيها ـ وعقد ذهبي حول عنقها. أليس قضيباً سحرياً؟"

الروح: "إنه قضيب سحري".

أنا: "ماذا علي أن أفعل بالسحر؟ هل القضيب السحري من سوء الطالع؟ هل السحر سوء طالع؟"

الروح: "نعم، بالنسبة لمن يملكونه".

---

[712] 23 كانون الثاني - يناير 1914

أنا: "تبدو هذه من مقولات القدماء ـ كم أنت غريبة يا روحي! ماذا عليّ أن أفعل بالسحر؟"

الروح: "سيفعل السحر الكثير من أجلكِ".

أنا: "أخشى أنك تحفزين رغبتي وسوء فهمي. أنت تعرفين أن الإنسان لا يستطيع التوقف عن الرغبة بالسحر الأسود والأشياء التي لا تحتاج إلى جهد".

الروح: "السحر ليس سهلاً، إنه يحتاج إلى التضحية".

أنا: "هل يطالب بالتضحية بالحبّ؟ والإنسانية؟ إذا كان هذا صحيحاً، خذي القضيب الأسود".

الروح: "لاتكن مستعجلاً. لا يحتاج السحر إلى هذه التضحية. إنه يحتاج إلى تضحية أخرى".

أنا: "أي تضحية هذه؟"

الروح: "التضحية التي يطلبها السحر هي العزاء".

أنا: "العزاء؟ هل فهمتك بشكل صحيح؟ إن فهمك صعب بشكل لا يوصف. أخبريني، ما معنى هذا؟

الروح: "يجب التضحية بالعزاء".

أنا: "ما معنى هذا؟ هل يجب التضحية بالعزاء الذي أمنحه أم العزاء الذي أتلقاه؟"

الروح: "كليهما".

أنا: "أنا مشوش. هذا مُبهمٌ للغاية".

الروح: "يجب أن تضحي بالعزاء من أجل القضيب الأسود، يجب أن تضحي بالعزاء الذي تعطيه والعزاء الذي تتلقاه".

أنا: "هل تقولين إنه يجب ألا يُسمح لي أن أتلقى عزاء من أحبّ؟ ويجب ألا أمنح العزاء لمن أحبّ؟ هذا يعني خسارة قطعة من الإنسانية، وسيحدث ما يسمى قسوة تجاه النفس والآخرين"[713].

---

[713] في Ecce Homo، كتب نيتشه: "إن كل اكتساب، وكل خطوة إلى الأمام في المعرفة هي نتيجة الشجاعة والقسوة تجاه النفس، والنظافة فيما يتعلق بالنفس" (ترجمة أر جي هولينغديل [هارموندسوورث: بينغوان، 1979]، مقدمة 3، الصفحة 34).

الروح: "هكذا تسير الأمور".
أنا: "هل يطلب القضيب هذه التضحية؟"
الروح: "إنه يطلب هذه التضحية".
أنا: "هل أستطيع؟ هل يُسمح لي أن أقدم هذه التضحية من أجل القضيب؟ هل عليّ أن أقبل القضيب؟"
الروح: "هل تريد هذا أم لا؟"
أنا: "لا أعرف. ماذا أعرف عن القضيب الأسود؟ من يعطيه لي؟"
الروح: "إنه الظلمة التي تمتد أمامك. إنه الشيء التالي الذي يأتيك. هل ستقبل به وتقدم تضحيتك؟"
أنا: "من الصعب أن أضحي من أجل الظلمة العمياء- ويا لها من تضحية!"
الروح: "الطبيعة- هل تقدم الطبيعة العزاء؟ هل تقبل العزاء؟"
أنا: "إنك تغامرين بقول كلمة ثقيلة. أية عزلة تطلبين مني؟"
الروح: "هذا هو سوء طالعك، وقوة القضيب الأسود".
أنا: "كم تتكلمين عن أشياء كئيبة ومنذرة بالشرّ! هل تغلفينني بدرع من القسوة الثلجية؟ هل تُطبقين على قلبي بدرعٍ برونزي؟ أنا سعيد بدفء الحياة، فهل عليّ أن أفتقده من أجل السحر؟ ما هو السحر؟"
الروح: "أنت لا تعرف السحر. لا تحكم. لِمَ أنت متوتر؟"
أنا: "السحر! ماذا سأفعل بالسحر؟ أنا لا أؤمن به، ولا يمكن أن أؤمن به. إن قلبي يغوص - ويفترض بي ان أضحّي بأعظم جزء من إنسانيتي من أجل السحر؟"
الروح: "أنا أحذرك، لا تصارع ضد هذا، وفوق كل شيء، لا تتصرف كأنك مستنير جداً، وكما لو أنك لا تؤمن في أعماقك بالسحر".
أنا: "أنت عنيدة. لكنني لا أستطيع الإيمان بالسحر، أو ربما لدي فكرة خاطئة تماماً عنه".
الروح: "نعم، فهمت هذا مما قلته. دع عنك حكمك الأعمى ونقدك، وإلا فلن تفهم أبداً. أما زلت تريد أن تهدر السنوات بالانتظار؟"

أنا: "تحلي بالصبر، إن علمي لم يُقهر بعد".

الروح: "آن الأوان لتقهره".

أنا: "أنت تطلبين أكثر مما ينبغي. وفي النهاية، أليس العلم ضرورياً للحياة؟ هل العلم حياة؟ إن هناك أشخاصاً يعيشون من دون العلم. لكن أن نقهر العلم من أجل السحر؟ هذا غريب وخطير".

الروح: "هل أنت خائف؟ ألا تريد المخاطرة بالحياة؟ أليست الحياة هي التي قدمت لك هذه المشكلة؟"

أنا: "كل هذا يجعلني مذهولاً ومشوشاً. ألن تعطيني كلمة تزيدني نوراً؟"

الروح: "إذاً ما تتوق إليه هو العزاء؟ هل تريد القضيب أم لا؟"

أنا: "لقد مزقتِ قلبي إرباً. أريد الامتثال للحياة. لكن كم هذا صعب! أريد القضيب الأسود لأنه أول ما منحتني إياه الظلمة. ولا أعرف ما يعنيه هذا القضيب أو ما يعطيه ـ أنا لا أستطيع أن أشعر إلا بما يأخذه. أنا أريد أن أجثو وأقبلَ رسول الظلمة. لقد أخذتُ القضيب الأسود، وأحمل الآن ذلك الشيء الملغز في يدي، إنه بارد وثقيل مثل الحديد. تنظرُ إليّ العينان اللؤلؤيتان للأفعى بعمى وانبهار. ماذا تريدين أيتها الهدية الغامضة؟ إن كل ظلمةِ العوالمِ الماضية تحتشدُ فيك أيها القضيب الأسود الصلب! هل أنت الزمن والقَدر؟ هل أنت جوهر الطبيعة الصلب الذي لا عزاء له إلى الأزل، بل هو مجموع القوى الغامضة الخلّاقة كلها؟ يبدو أن كلمات سحرية أولية تنبثق منك، وتأثيرات غامضة تُحاك حولكِ، وأي فنون قوية تهجع فيك؟ أنتَ تثقبني بتوتر لا يُحتمل ـ أية تكشيرات ستصنعها تعابير وجهك؟ أي لغز مريع ستخلق؟ هل ستأتي بطقس عاصف يتشكّل من البرد واللمع والرعد، أم أنك ستجعل الحقول مثمرةً وتبارك أجسام النساء الحوامل؟ ما هي علامة كينونتك؟ أم أنك لا تحتاج إلى هذا، يا ابن الرحم المظلم؟ هل ترضى بالظلمة الضبابية التي تشكّل أنت تصلبها وبلورتها؟ أين سأصنع لك ملاذاً؟ في روحي أم في قلبي؟ هل يجب أن يصبح قلبي مقاماً لك، وقدس أقداسك؟ اختر مكانك

إذاً، لقد قبلتك. أي توتر ساحق تجلبه معك! ألا يتحطم قوس أعصابي؟ لقد قبلت رسول الليل".

الروح: "يسكنه أقوى سحر على الإطلاق".

أنا: "أنا أشعر به لكنني لا أستطيع العثور على كلمة تصف القوة المرعبة التي مُنحتْ له. أردت أن أضحك، لأن الكثير يتغير بالضحك، لكن الضحك يموت فيّ. إن سحر هذا القضيب صلبٌ كالحديد وباردٌ كالموت. سامحيني يا روحي، لا أريد أن أكون نافد الصبر، لكن يبدو لي أنه لا بدّ من حدوث بعض الأشياء لتحطيم هذا التوتر غير المحمول الذي أتى مع القضيب.

الروح: "انتظر، افتح عينيك وأذنيك".

أنا: "أنا أرتعش، ولا أعرف السبب".

الروح: "أحياناً على المرء أن يرتعش قبل أن يأتي الأعظم".

أنا: "أنا أنحني أمام القوى المجهولة يا روحي - أريد أن أكرّس مذبحاً لكل إله مجهول. يجب أن أمتثل. يمنحني الحديد الأسود في قلبي، قوة سريّة. إنها أشبه بالتحدي وتشبه الازدراء بالبشر"[714].

يا للعمل المظلم، يا للانتهاك، يا للجريمة! أيتها الهاوية، عليك أن تلدي من لم يحصل على الخلاص. من هو مخلصنا؟ من هو قائدنا؟ أين هي الطرقات التي تمرّ عبر النفايات السوداء؟ يا إلهي، لا تتخلَّ عنا! ما الذي تستحضره يا إلهي؟ ارفع يدك إلى الظلمة التي فوقك، وصلِّ واشعر باليأس، وحرك يديك واركع، واضغط جبينك على التراب واصرخ، لكن لا تسمّه ولا تنظر إليه. دعه من دون اسم ولا شكل. هل تسمّي من لا اسم له؟ تقدم إلى الطريق العظيمة وتمسّك بأقرب شيء إليك. لا تنظر للخارج

---

[714] كتب يونغ في الكتاب الأسود 4: "**الروح**: عليك أن تروّض نفاد صبرك. لا يمكن لشيء أن يساعدك هنا سوى الانتظار. **أنا**: أنا أعرف هذه الكلمة. لقد وجد هرقل الانتظار مزعجاً أيضاً عندما كان يحمل عبء العالم على كتفيه. **الروح**: كان عليه أن ينتظر عودة أطلس بينما يحمل عبء العالم من أجل الحصول التفاح" (الصفحة 60). تشير الفقرة السابقة العمل الحادي عشر لهرقل، حيث كان عليه أن يحضر التفاح الذهبي الذي يمنح الخلود. وقد عرض أطلس أن يحضره له، إن حمل العالم في هذه الأثناء.

ولا ترغب، بل ارفع يديك. إن هدايا الظلام مليئة بالألغاز. إن الطريق مفتوحة لمن يستطيع الاستمرار على الرغم من الألغاز. امتثلْ للألغاز والمبهم. هناك جسور فوق الهاوية العميقة الأزلية تُشعركَ بالدوار. لكن عليك أن تتبع الألغاز.

تحمّل تلك الأشياء المريعة فلا يزال الظلام حالكاً، ولا يزال المريع مستمرّاً بالنمو. نحن نصل تائهين ومُبتلعين من جداول الحياة المُنجِبة الخصبة، إلى القوة الطاغية غير الإنسانية التي تخلقُ بنشاط ما سيأتي. كم تحمل الأعماق في المستقبل! ألا تُغزَلُ الخيوط هناك على مرّ الألفيات؟[715] عليك أن تحمل الألغاز في قلبك وتحميها وتدفئها وتَحبَلَ بها. فأنت بهذا تحمل المستقبل.

إن توتر المستقبل فينا لا يُحتَمَل. يجب أن يتدفّق عبر الشقوق الضيقة، وأن يفتح طرقات جديدة. هل تريد أن تتخلّص من العبء، وأن تهرب مما لا مهرب منه. إن الهرب خداع للطريق القويم وانعطافٌ عنه. أغمضْ عينيك كي لا ترى التعدد والتضاعف الخارجي، والتمزق والإغواء. هناك طريق واحدٌ وهو طريقك، هناك خلاص واحد وهو خلاصك. لماذا تنظر حولك طلباً للعون؟ أتعتقد أن العون سيأتي من الخارج؟ سيُخلَقُ ما سيأتي منك وفيك، ولهذا، انظر إلى داخلك ولا تقارن أو تقيس. ليس هناك طريق آخر مثل طريقك. إن كل الطرق الأخرى تخدعكَ وتغويك. عليك أن تُكمِلَ الطريق الذي فيك.

لقد أصبح البشر وطرقاتهم كلها غريبون بالنسبة إليك! وهكذا سوف تجدهم ثانية في ذاتك، وتعرف طرقاتهم. لكن يا للضعف والشكّ والخوف! لن تتحمل المضي في طريقك. ستضع دوماً إحدى قدميك على الأقل على دروب ليست لك، كي تتجنّب العزلة العظيمة! كي تبقى

[715] في الميثولوجيا الإغريقية، كانت مويرا، أو الأقدار الثلاث، كلوثو، لاتشيزيز، أتروبوس، تغزل وتتحطم بخيوط الحياة الإنسانية. وفي الميثولوجيا النرويجية، كانت النورنات تغزل خيوط القدر عند أقدام ياغسدراسيل، شجرة العالم.

الراحة الأمومية معك دوماً! كي يعترفَ شخص ما بوجودكَ ويعرفكَ، ويغدق عليك الثقة ويريحك ويشجعك. كي يجذبك أحد ما إلى دربه حيث تتوه عن ذاتك، وحيث يسهل عليك أن تضع نفسك جانباً. كما لو أنك لستَ نفسك! من سينجز أعمالك؟ من سيحمل فضائلك ورذائلك؟ أنت لن تصل إلى نهاية حياتك، وسيطوّقك الموتى ليعيشوا حياتك غير المعاشة. يجب إنجاز كل شيء. إن الوقت هام جداً، لذا لِمَ تريد أن تُراكم المُعاش وتترك غير المعاش يتعفن؟

إن قوة الطريق عظيمة[716]. تنمو فيها الجنة والجحيم معاً، وتتحد فيها قوة الأسفل مع قوة الأعلى. إن طبيعة الطريق سحرية، كما هو الاسترحام والابتهال[717]. كما أن اللعنة والعمل أمران سحريّان إن حدثا على الطريق العظيم. إن عمل البشر على البشرِ سحريّ، لكن عملك السحري لا يؤثر على جارك بل يؤثر عليك أولاً، ولا يمكنك أن ترى أثره اللامرئي يتجاوزك ويصل إلى جارك إلا إن تحمّلته. ويوجد منه في الهواء أكثر مما اعتقدتُ يوماً. لكن لا يمكن الإمساك به. اسمع:

الأعلى قوي،
والأسفل قوي،
هناك قوة مضاعفة موجودة في الواحد.
أيها الشمال، تعال إلى هنا،
أيها الغرب، استكن،
أيها الشرق، تدفق للأعلى،
أيها الجنوب، انسكب.
الرياح في الوسط تربط الفروع.
الأقطاب متحدة بالأقطاب المتوسطة في الوسط.

---

[716] يتابع في المسودة: "إن قوة الطريق عظيمة جداً بحيث أنها تبعد الآخرين وتشعلهم. أنت لا تعرف كيف يحدث هذا، لذا من الأفضل لك أن تسمي هذا التأثير سحراً" (الصفحة 452).

[717] يتابع في المسودة: "التي تُمثل كأفعى بسبب طبيعتها بحد ذاتها" (الصفحة 453).

تقود درجاتٌ من الأعلى إلى الأسفل.
يصدر الماء المغليّ الفقاعات في المراجل.
ويغلّف الرماد الأحمر الساخن الارض المدوّرة[718].
يغرق الليل الأزرق والعميق من أعلى،
وتصعد الأرض سوداء من الأسفل.
مُعتزلٌ يطهو محاليل شافية.
ويصنعَ الأضاحي للرياح الأربع.
يحيي النجوِم ويلمِس الأرض.
ويحمل شيئا منيرا في يده.
تزهر الأزهار حوله وتقبّل كل أطرافه نعمة ربيع جديد.
تطير الطيور حوله، وتحدّق به حيوانات الغابة الخجولة.
إنه بعيد عن البشر لكن خيوط مصيرهم، تمرّ عبرٍ يديهٍ.
عسى أن تكون شفاعتك موجّهة له، كي يصبح دواءه ناضجا وقويا ويأتي بالشفاء لأعمق الجراح.
إنه مُعتزلٌ من أجلك، وينتظر وحده بين السماء والأرض، كي ترتفع الأرض إليه وكي تهبط السماء إليه.
لا يزال جميع الناس بعيدين ويقفون خلف جدار الظلمة.
لكنني أسمع كلماته التي تصلني من بعيد.
لقد اختار ناسخاً سيئاً، شخص لا يسمع جيداً، ويتلعثم أيضاً عندما يكتب.
أنا لا أعرف ذلك المُعتزل. ماذا يقول؟ إنه يقول: "أعاني الخوف والألم من أجل الإنسان".
نبشت الرونات القديمة والمقولات السحرِية بحثاً عن كلمات لم تصل إلى البشر قط. عن كلمات قد أصبحت ظلالا.
لذا أخذتُ المعدات السحرية القديمة وحضرتُ جرعات ساخنة ومزجتها بقوى سرية وقديمة، أشياء لن يخمنها حتى أذكى الناس.

---

[718] يبدو أن هذه إشارة إلى الدائرة السحرية، التي تقام فيها الطقوس الشعائرية.

طهوت جذور الأفكار والأعمال البشرية كلها.
راقبتُ المرجل طوال ليال عديدة مرصعة بالنجوم. يتخمرُ الشراب إلى الأبد. أحتاج إلى شفاعتك وإلى سجودك ويأسك وصبرك.
أحتاج إلى توقك الأقصى والأسمى، وإرادتك الأنقى، خضوعك الأكثر تواضعاً.
من تنتظر أيها المُعتزل؟ وممن تطلب العون؟ ليس هناك من أحد يمكنه القدوم لإعانتك، بما أن الجميع ينظرون إليك وينتظرون فن شفائك.
جميعنا عاجزون تماماً عن العون المطلوب أكثر منك. امنحنا العون كي نستطيع مساعدتك بالمقابل.
تحدث المعتزل: "ألن يقف أحد إلى جانبي في هذه الحاجة؟ هل عليّ أن أترك عملي لمساعدتكم كي تتمكنوا من مساعدتي ثانية؟ لكن كيف سأساعدكم، إن كان شرابي المخمّر لم ينضج ولم يُصبح قوياً بعد؟ كان من المفترض أن يساعدكم. ماذا تأملون مني؟"
تعال إلينا! لِمَ تقف هناك وتطبخ الأعاجيب؟ ماذا يمكن لشرابك الشافي والسحري أن يقدم لنا؟ أتؤمن بالمشروبات الشافية؟ انظر إلى الحياة، انظر كم تحتاج إليك!
قال المعتزل: "أيها الحمقى، ألا يمكنكم الاستمرار بالمراقبة معي لساعة[719]، إلى أن يتم إنجاز الأمر الصعب وينضج العصير؟
هناك القليل من الوقت وسوف يكتمل التخمّر. لِمَ لا تستطيعون الانتظار؟ لِمَ يجب أن يدمّر نفاد صبركم أسمى الأعمال؟"
ما هي أسمى الأعمال؟ نحن لسنا على قيد الحياة، لقد أطبق علينا البرد والخدر. لن ينتهي عملك أيها المعتزل لأزمنة طويلة، حتى لو كان يتطوّر يوماً تلو الآخر.
إن عمل الخلاص لا ينتهي. لِمَ تريد انتظار نهاية هذا العمل؟ حتى إن حوّلك انتظارك إلى حجر لعصور لا تنتهي، لا يمكنك أن تتحمّل حتى

---

[719] في إنجيل متى 24:40، يزجر المسيح تلاميذه لأنهم لم يتمكنوا من البقاء مستيقظين لساعة بينما كان يصلي في حديقة الجثمانية.

النهاية. وإن وصل خلاصك إلى نهايته، يجب أن تُخلّص من خلاصك ثانية.

قال المُعتزل: "يا للنواح اللطيف الذي يصل إلى أذني! يا للأنين! يا لكم من مشككين حمقى! وأطفال جامحين! ثابروا، وسيُنجز الأمر بعد هذه الليلة!"

لن ننتظر ليلة أخرى، لقد ثابرنا لوقت كافٍ. هل أنت إله، بحيث أن ألف ليلة هي ليلة واحدة بالنسبة إليك؟ أما بالنسبة إلينا، فستكون الليلة الواحدة أشبه بألف ليلة. تخلَّ عن عمل خلاصك، وسنكون بأمانٍ. إلى كم من العصور الطويلة سوف تخلّصنا؟

قال المعتزل: "أنتم تسببون الإحراج للبشر، أيها الحمقى أبناء الإله والقطيع، ما زال ينقص مزيجي قطعة واحدة من لحمكم الثمين. هل أنا بحق أثمن قطعة لحم لديكم؟ هل يستحقّ الأمر أن أُسلَقَ بالماء من أجلكم؟ لقد ترك أحدكم نفسه يُسمّر على الصليب من أجلكم. واحدٌ يكفي بحقّ وهو يعيقُ طرِيقي. لذلك لن أسير على دروبه ولن أصنع لكم أية خمرة شافية أو شراباً دموياً للخلود[720]، بل سأتخلى عن الشراب والمرجل والعمل السحري من أجلكم، بما أنكم لا تستطيعون الانتظار ولا تتحملون الإنجاز. سوف أرمي شفاعتكم وسجودكم وابتهالكم. يمكنكم إنقاذ أنفسكم من عدم خلاصكم ومن خلاصكم معاً! لقد ارتفعت قيمتكم كثيراً لأن أحداً مات من أجلكم. أثبتوا جدارتكم الآن بأنٍ يعيش كل منكم من أجل نفسه. يا إلهي، كم هو صعب أن تترك عملاً غير منتهٍ من أجل البشر! لكن من أجل البشر، أمتنع عن أن أكون مخلصاً. انظروا! لقد اكتمل تخمّر شرابي. لم أمزج قطعة من نفسي في الشراب، لكنني وضعت قطعةً من البشرية فيه، وانظروا، لقد جعلت الشراب العكر المزبد رائقاً.

---

[720] ملاحظة يونغ على الهامش في المجلد المنسوخ بخط فني: "29، 11، 1922" يبدو أنها إشارة إلى تاريخ نسخ هذه الفقرة.

كم هو طعمه حلو، كم هو طعمه مر!
الأسفل ضعيف،
الأعلى ضعيف،
هيئة الواحد تصبح مضاعفة.
أيها الشمال، انهض وارحل،
أيها الغرب، عد إلى مكانك،
أيها الشرق، ابسط نفسك،
أيها الجنوب، تضاءل.
لقد فكّت الرياح في الوسط المصلوب.
القطبان البعيدان ينفصلان بالقطبين في الوسط.
المستويات دروب واسعة وشوارع صبورة.
أصبح القِدَر الذي يغلي باردا.
تحوّل الرماد إلى اللون الرمادي تحت أرضه.
الليل يغطي السماء وفي الأسفل عميقاً، يوجد التراب الأسود.
اقترب النهار، وفوق الغيوم شمس بعيدة.
ليس هناك مُعتزلٌ يحضّر شراباً شافياً.
تهبّ الرياح الأربع وتضحك من سخائها.
وهو يهزأ بالرياح الأربع.
لقد رأى النجوم ولمس الارض.
لذا أطبقتْ يده على شيء منير
ونما ظله إلى السماء.

لقد حدث ما لا يمكن تفسيره. سترغب كثيراً بأن تهجر نفسك وترتدّ إلى كل تعدّد ممكن. سترغب كثيراً بأن تُخاطر بكل جريمة ممكنة كي تسرق لنفسك لغز ما هو كثير التغير. لكن الطريق لا ينتهي.

الفصل العشرون:

درب الصليب

لقد رأيتُ الأفعى السوداء[721] حيث كانت تلفّ نفسها صُعُداً حول خشبة الصليب. لقد زحفت إلى جسد المصلوب، وانبثقت ثانية متحوّلة من فمه، وأصبحت بيضاء. لقد لفّت نفسها على رأس الميت مثل تاج من القماش، وشعّ نور فوق رأسه، وأشرقت الشمس ساطعة في الشرق. وقفتُ وراقبت وشعرتُ بالحيرة وبعبء عظيمٍ على روحي. لكن الطائر الأبيض الذي جلس على كتفي كلمني قائلاً:[722] ليهطل المطر، لتهب الرياح، ليتدفق الماء ولتشتعل النار. ليكن لكلِ شيءٍ تطوّره، ليكن للصيرورة يومها.

---

[721] يتابع في المسودة: "أفعى طريقي" (الصفحة 460).

[722] في الكتاب الأسود، هذا الكلام تقوله روحه. في هذا الفصل وفي كتاب "السبر العميق" نجدُ تحوّلاً في نسبِ بعض العبارات في الكتب السوداء من الروح إلى الشخصيات الأخرى. إن النسخة المنقحة النصيّة هي بداية لعملية سيكولوجية هامة من تمايز الشخصيات وفصل إحداها عن الأخرى وعدم تطابقها. لقد ناقش يونغ هذه العملية عام 1928 في كتاب "العلاقات بين الأنا واللاوعي، الفصل 7، "تقنية التمايز بيني وبين شخصيات اللاوعي" (الأعمال الكاملة 7). وفي الكتاب الأسود 6، تشرحُ الروح ليونغ عام 1916: "إن لم يتم ضمي من خلال اتحاد الأسفل والأعلى، فإنني أتجزأ إلى ثلاثة أجزاء: **الأفعى**: حيث أتنقّل بهذه الهيئة أو بهيئة حيوان آخر، وأعيش الطبيعة بشكل ديموني، وأسبب الخوف والتوق. **الروح الإنسانية**: التي تعيش إلى الأبد فيك. **الروح السماوية**: كتلك التي تعيش في الألهة بعيداً عنك، وتكون مجهولة بالنسبة إليك، وتظهر على شكل طائر". (الملحق ج، الصفحة 577).إن التغيرات النصية التي أجراها يونغ بين الروح والأفعى والطائر، في الكتب السوداء، وفي هذا الفصل، وفي فصل "السبر العميق" يمكن أن تُعتبر إدراكاً وتمايزاً من طبيعة ثلاثية للروح. إن فكرة يونغ عن وحدة الروح وتضاعفها، تشبه فكرة إيكهارت. وفي العظة الثانية والخمسين كتب إيكهارت: "الروح بقواها العليا تلامس الأبدية التي هي الإله، بينما تكون قواها السفلية ملامسة للزمن،

حقاً، يمرّ الطريق عبر المصلوب، وهذا يعني عَبْرَ مَن لم يكن يَعتبرُ أن يعيش حياته الخاصّة أمراً بسيطاً، وقد ارتقى بهذا إلى العظمة. إنه لم يُعلّم ما كان قابلاً للمعرفة ويستحقُّ العلم، بل عاشه ببساطة. من غير الواضح مدى الإذلال الذي يجب أن يقبل به العظيم ليعيش حياته الخاصة. ولا يمكن قياس مدى اشمئزاز كل شخص يريد أن يدخل حياته الخاصة. إن المقت سيصيبه بالغثيان وسوف يُجبر نفسه على التقيؤ. ويصاب بألم في أحشائه ويغوص دماغه بحالة من الإعياء. سوف يفضَل اختراع أية حيلة تساعده على الهرب، بما أنه ليس هناك ما يضاهي عذاب طريق المرء الخاصة. يبدو صعباً لدرجة المستحيل، إنه صعبٌ لدرجة أن أي شيء يبدو مقبولاً أكثر من هذا العذاب. ليسوا قلائل من اختاروا حتى أن يحبّوا الناس خوفاً من أنفسهم. وأظن أيضاً، أن البعض يرتكبون جريمة ليسببوا صراعاً مع أنفسهم. لذا أتعلّق بكل شيء يعيق طريقي إلى نفسي.

من يذهب إلى نفسه، ينزل للأسفل.[723] لقد ظهرت هيئات سخيفة ومثيرة للشفقة لأعظم نبي أتى قبل هذا الزمان، وكانت تلك هيئات جوهره الخاص. هو لم يقبلها، بل طهّر نفسه منها أمام الآخرين. لكنه في النهاية، أُجبر على الاحتفال بالعشاء الأخير مع فقره الخاص، كما أُجبِرَ على قبول هيئات جوهره الخاص بدافع قبول الأدنى فينا[724]. لكن

ما يجعلها عرضة للتغير، ومنحازة إلى الأشياء الجسدية التي تذلها" (عظات وأبحاث، المجلد الثاني، ترجمة إم أو سي والش [لندن: واتكنز، 1981]، الصفحة 55). وكتب في العظة الخامسة والثمانين: "ثلاثة أشياء تمنع الروح من الاتحاد بالإله. الأول هو أنها مبعثرة للغاية وليست متكاملة، لأنه عندما تميل الروح إلى المخلوقات لا تكون متكاملة. الثاني هو عندما تتورّط بالأشياء الزمنية. الثالث هو عندما تلتفت إلى الجسد، لأنها لا تستطيع حينئذٍ الاتحاد بالإله" (المرجع نفسه، الصفحة 264).

[723] يتابع في المسودة: "أنت تسأل لماذا لا يريد الإنسان الوصول إلى نفسه؟ لقد كتب النبي الغاضب الذي سبق هذا الزمان كتاباً عن هذا وزينه باسم فخور. يتحدث الكتاب عن كيف ولِمَ لا يريد الإنسان الوصول إلى نفسه" (الصفحة 461). الإشارة هنا إلى كتاب نيتشه "هكذا تكلم زارادشت".

[724] راجع "العشاء الأخير" في كتاب "هكذا تكلم زارادشت"، الصفحة 294.

هذا أغضب الأسد العظيم الذي طارد التائه وأعاده إلى ظلمة الأعماق[725].

ومثل كلٍّ من لديه قوة، أراد صاحب الاسم العظيم أن يثور من رحم جبل مثل الشمس[726]. لكن ما الذي حدث له؟ لقد أوصله طريقه إلى أمام المصلوب وبدأ الغضب. لقد غضِبَ من رجل السخرية والألم لأن قوة جوهره، أجبرته على اتباع الطريق نفسه الذي سلكه المسيح قبلنا. لكنه صرّح بقوته وعظمته بصوت مرتفع. لم يتكلم أحد عن قوته وعظمته بصوت أعلى من الذي تختفي الأرض تحت قدميه. لقد أثّر فيه أخيراً أدنى ما فيه، إنه عجزه، وقد أدى هذا إلى صلب روحه، بحيث أن روحه ماتت قبل جسده، كما تنبأ هو نفسه[727].

لا يرتقي أحدٌ على نفسه ما لم يصوّب أخطر أسلحته ضد نفسه. إن من يريد أن يرتقي فوق نفسه، عليه أن ينزل ويرفع نفسه إلى نفسه ويجرّ نفسه إلى مكان التضحية. لكن ماذا يجب أن يحدث لشخص حتى يدرك أن النجاح المرئي الخارجي الذي يستطيع أن يتمسّك به بيديه، يؤدي به إلى الضلال. أية معاناة يجب أن تحلّ بالإنسانية إلى أن يتخلى الإنسان عن إشباع رغبته بالسلطة على أخيه الإنسان، وأن يرغب بأن يكون الآخرون مثله إلى الأبد؟ كم من الدماء يجب أن تُسفك إلى أن يفتح الإنسانُ عينيه ويرى الطريق إلى دربه الخاص ويرى نفسه كعدو، ويصبح مدركاً لنجاحه الحقيقي؟ يجب أن تكون قادراً على أن تعيش مع

---

[725] في الفصل الأخير من "هكذا تكلم زارادشت" "العلامة" عندما أتى رجال من مرتبة رفيعة للقاء زارادشت في كهفه، "بدأ الأسد بعنف، وابتعد عن زارادشت فجأة، وقفز على الكهف وزمجر بشدة" (الصفحة 407). وفي عام 1926، كتب يونغ: "زئير الأسد الزارادشتي أبعدَ كل الرجال الأعلى مرتبة، والذين كانوا يريدون تجربة أخرى في كهف اللاوعي. لذا فإن حياته لا تقنعنا بتعاليمه" "اللاوعي في الحياة النفسية الطبيعية والمريضة" الأعمال الكاملة 7،37.

[726] ينهي نيتشه كتاب "هكذا تكلم زارادشت" بالأسطر التالية: "هكذا تكلم زارادشت وغادر كهفه وهاجاً قوياً مثل شمس صباح تنبثق من خلف غيوم قاتمة" (الصفحة 336).

[727] في مقدمة زارادشتَ، سقط بهلوان يسير على حبل مشدود، عن الحبل. قال زارادشت للبهلوان المصاب: "ستموت روحك قبل جسدك، لذا لا تخش شيئاً بعد الآن" (زارادشت، وضع يونغ سطراً تحتها في نسخته، الصفحة 22). وعام 1926، طرح يونغ فكرة أن هذه كانت نبوءة عن مصير نيتشه نفسه. ("اللاوعي في الحياة النفسية الطبيعية والمريضة"، الأعمال الكاملة 7، 36-44).

نفسك، لكن ليس على حساب جارك. إن حيوان القطيع ليس عالة على أخيه. أيها الإنسان، لقد نسيت أنكَ حيوان أيضاً. يبدو أنك لا تزال تعتقد أن الحياة أفضل في مكان آخر. ويلاه، إن كان جارك يعتقد هذا أيضاً. لكن يمكنك أن تتأكد أنه كذلك. إن على شخص ما أن يتوقّف عن هذا التصرّف الطفولي.

يُشبعُ توقك نفسهُ فيك. ولا يمكنك أن تقدّم وجبة قربانية لإلهكَ أثمنَ من نفسك. عسى أن يلتهمكَ جشعك لأن هذا يرهقه ويهدئه، وسوف تنامُ جيداً وتعتبر أن شمس كل يوم هدية. إن التهمتَ أشياءً أخرى وأشخاصا آخرين، فسيبقى جشعك دون إشباعٍ إلى الأبد، لأنه يريد المزيد والأغلى ثمناً - إنه يريدك أنت. وبهذا تُجبرُ رغبتك على سلوك طريقك الخاص. يمكنك أن تسأل الآخرين شرط أن تحتاج إلى العون والنصيحة. لكن يجب ألا تطلب شيئاً من أحد، وألا ترغب بشيء أو تتوقع أي شيء من أي شخص إلا نفسك، لأن رغبتك تشبع نفسها فيك فقط. أنت تخشى الاحتراق بنارك الخاصة. عسى ألا يمنعك شيء من القيام بهذا، لا شفقة أي شخص عليك ولا حتى شفقتك الخاصة على نفسك، وهي الأشد خطراً، بما أنه عليك أن تعيش وتموت مع نفسك.

عندما يلتهمكَ لهيب جشعك ولا يبقى منك إلا الرماد، لا يكون لديك أي شيء راسخ. لكن اللهب الذي التهمتَ به نفسك، قدّم النور للكثيرين. أما إن هربت من نارك وأنت مليء بالخوف، فسوف تُحرق أخاك الإنسان، ولن يخمدَ عذاب احتراق جشعك طالما أنك لا ترغب بذاتك.

يلفظُ الفم الكلمة، العلامة والرمز. إن كانت الكلمة علامة فهي لا تعني شيئاً. لكن إن كانت الكلمة رمزاً فهي تعني كل شيء[728]. عندما يخترقُ الطريقُ الموتَ ونكون محاطين بالعفن والرعب، يرتفع الطريق في الظلمة ويغادر الفم كرمز مُخلّص، ككلمة. إنه يقود الشمس في الأعالي لأن في

---

[728] لفهم تفريق يونغ بين أهمية العلامات وأهمية الرموز، راجع "النماذج السيكولوجية" (1921، الأعمال الكاملة ، 814 ف ف).

الرمزِ إطلاقاً لقوة إنسانية مقيدة تصارع الظلمة. إن حريتنا لا تكمنُ خارجَنا بل داخلنا. يُمكنُ أن يُقيّدَ المرء في الخارج، لكنه سيشعر أنه حرّ لأنه فجّر قيوده الداخلية. يمكن للمرء بالتأكيد أن يحصل على الحرية الخارجية من خلال تصرّفات مُفعمة بالقوة، لكن المرء لا يخلق الحرية الداخلية إلا من خلال الرمز.

إن الرمز هو الكلمة التي تخرج من الفم، لا يقولها المرء وحسب، بل هي تخرج من أعماق الذات ككلمة قوة وحاجة عظيمة تضعُ نفسها بشكل غير متوقع على اللسان. إنها كلمة مذهلة وتبدو لاعقلانية، لكن المرء يُدرك أنها رمزٌ لأنها تبدو غريبة على عقله الواعي. إن قَبِلَ المرء الرمز، فسوف يُصبحُ الأمر كما لو أن باباً ينفتح على غرفة جديدة لم يكن يعرف بوجودها مسبقاً. لكن إن لم يقبل المرء الرمز، فسوف يبدو كما لو أنه عبَر هذا الباب بإهمال، وبما أن هذا الباب هو الباب الوحيد المؤدي إلى الحجرات الداخلية، فعلى المرء أن يخرج إلى الشوارع ثانية ويتعرّض لكل شيء خارجي. لكن الروح تعاني حاجة عظيمة، بما أن الحرية الخارجية عديمة النفع لها. إن الخلاص طريقٌ طويل يمرّ عبر بوابات عديدة، وهذه البوابات هي رموز. إن كل بوابة جديدة تكون غير مرئية في البداية، بل يبدو في البداية أنها يجب أن تُخلق، لأنها لا تظهرُ إلا إن نبش المرء جذر الربيع، الرمز.

يحتاج المرء إلى الكلب الأسود ليعثر على نبات اللفّاح[729]، بما أن الصالح والطالح يجب أن يتحدا دوماً في البداية إن أردنا خلق الرمز. لا يمكن الوصول إلى الرمز بالتفكير ولا يمكن العثور عليه، إنه يصير وحسب، كما أن صيرورته أشبه بصيرورة الحياة الإنسانية في الرحم. يحدث الحمل من خلال جماع إرادي، ويستمرّ من خلال الاهتمام

---

[729] اللفّاح نبتة تشبه جذورها الشكل البشري قليلاً، لذا كانت مستخدمة في طقوس السحر. تفيد الأسطورة أنها تزعق عندما تُسحب من الارض. كتب يونغ في "الشجرة الفلسفية" (1945)، أن اللفاح السحري "عندما يُربط بذيل كلب أسود، يزعق عندما يُجذب من الأرض" (الأعمال الكاملة 13، 410).

الإرادي. لكن إن حَمَلت الأعماق، فسوف ينمو الرمز من داخل نفسه ويولد من العقل بشكل يناسب إلهاً. لكن بالطريقة نفسها، ترغب الأم بأن ترمي نفسها على الطفل مثل وحش وتلتهمه ثانية.

في الصباح، عندما تشرق الشمس الجديدة، تخرجُ الكلمة من فمي، لكنها تُقتل بدون حبّ لأنني لم أكن أعرف أنها كانت المخلّص. إن الوليد ينمو بسرعة إن قبلتُه، ويصبح سائق عربتي على الفور. إن الكلمة هي المرشد، وهي الطريق الأوسط الذي يتذبذب بسهولة مثل إبرة الميزان. إن الكلمة هي الأعلى الذي يخرج من المياه كل صباح ويعلن القانون الموجّه للناس. إن القوانين الخارجية والحكمة الخارجية غير فعّالة في الداخل، بما أنه ليس هناك إلا قانون واحد وحكمة واحدة، وهي قانوني اليومي وحكمتي اليومية. يجدد الأعلى ذاته كل ليلة.

يظهرُ المخلّص بهيئات متعددة لأنه عندما ينبثق، يكون قد اتخذ شخصية الليل والمياه الليلية التي نام فيها، والتي صارع فيها من أجل التجدّد في ساعة الليل الأخيرة. وبعد ذلك، يصبح مظهره ثنائياً ومبهماً، حتى أنه ينقسم في القلب والعقل. إن المخلّص يناديني عند انبعاثه إلى اليمين وإلى اليسار، يناديني صوته من كلا الجانبين. لكن المُخلّص لا يريد أياً من الاتجاهين. يريد الطريق الوسط. لكن الوسط هو بداية لطريق طويل.

بيد أن الإنسان لا يستطيع أن يرى هذه البداية، فهو يرى واحداً فقط. ولا يرى الآخر، أو يرى الآخر وليس الواحد، لكنه لا يرى أبداً ما يتضمنه الواحد إضافة إلى الآخر في ذاته. تقع نقطة البدء حيث يقف العقل والإرادة ساكنين، إنها حالة التعليق التي تثير غضبي وعصياني، وتثير خوفي الأعظم في النهاية، لأنني لا أعود قادراً على الرؤية ولا أرغب بأي شيء، أو على الأقل هذا ما يبدو لي. إن الطريق هو سكون مميز للغاية لكل شيء كان يتحرك سابقاً، إنه انتظار أعمى، وإصغاء وتلمّس مليئين بالشك. يصبح المرء مقتنعاً أنه سينفجر. لكن الحل يولد من هذا التوتر تحديداً، ويظهر دائماً تقريباً حيث لا يتوقعه المرء.

لكن ما هو الحل؟ إنه شيء عتيق دوماً، ولهذا السبب هو شيء جديد، لأنه عندما يعود شيء انقضى منذ عهد طويل إلى عالم متغير، يصبح جديداً. إن ولادة القديم في زمن جديد عبارة عن خلق، وهذا الخلق الجديد يُخلّصني. إن الخلاص هو حلّ هذه المهمّة، مهمّة ولادة القديم في زمن حديث. إن روح الإنسانية أشبه بعجلة دائرة أبراجٍ عظيمة تتدحرجً على الطريق. إن كل شيء يصعدُ في حركة مستمرّة من الأسفل إلى الأعلى، كان هناك سلفاً. ليس هناك جزء من العجلة لا يعود ثانية. ومن هنا فإن كل شيء كان يتدفق إلى لأعلى هناك، وكل ما كان، سيعود ثانية. إن هذه هي الأشياء التي تمثل خصائص الطبيعة البشرية المتوارثة. إنها تنتمي إلى جوهر الحركة إلى الأمام بحيث أن ما كان سيعود[730]. يتعجّب الجاهل فقط من هذا الأمر. لكن المعنى لا يكمن بالتكرار الأزلي[731]، بل في طريقة خلقه المتكرر في أي وقت.

يكمن المعنى في طريقة الخلق المتكرر واتجاهه. لكن كيف أخلق عربتي؟ أو هل أريد أن أكون سائق عربتي الخاص؟ لا أستطيع أن أُرشد نفسي إلا بالإرادة والغاية. لكن الإرادة والغاية هما جزء من نفسي ببساطة، وهما غير كافيتين للتعبير عن كليّتي. إن الغاية هي ما أستطيع أن أتنبأ به، والإرادة

---

[730] يتابع في المسودة: "كل شيء هو نفسه إلى الأبد، ومع ذلك فهو ليس كذلك لأن العجلة تتدحرج على طريق طويل. لكن الطريق يمر عبر الوديان والجبال. إن حركة العجلة والتكرار الأزلي لأجزائها أساسي للعربة، لكن المعنى يكمن في الطريق. يتم الوصول إلى المعنى فقط عبر دوران العجلة الدائم والحركة إلى الأمام. إن تكرار الماضي متأصّل في الحركة إلى الأمام. هذا لا يحيّر إلا الشخص الجاهل. إن الجهل يجعلنا نقاوم التكرار الضروري للأمور، أو يسمح الجشع للعجلة بأن ترمينا إلى لأعلى وبعيداً في حركتها إلى الأعلى، لأننا نظن أننا سنرتفع أكثر مع هذا الجزء من العجلة. لكننا لن نرتفع أكثر، بل أعمق، وفي النهاية سنصبح في القاع تماماً. لذا هللوا للسكون، بما أنه يريكم أنكم لستم معلّقين بقضبان العجلة مثل إكسيون، بل تجلسون إلى جانب سائق العربة الذي سيفسر لكم معنى الطريق" (الصفحات 469-70). وفي الميثولوجيا الإغريقية، كان إكسيون ابن آريس وقد حاول إغواء هيرا، وعاقبه زيوس بربطه إلى عجلة نارية تتدحرج بدون توقف.

[731] إن فكرة أن كل شيء يتكرر، موجودة في تقاليد متعددة، مثل الرواقية والفيثاغورية، وهي تظهر بشكل متكرر في أعمال نيتشه. لقد حدث جدال شديد يتعلق بدراسات نيتشه عما إن كان من الواجب أن نفهم هذا كضرورة أخلاقية لتأكيد الحياة، أم بأنها عقيدة كوزمولوجية. راجع كارل لويث في كتاب "عقيدة نيتشه في التكرار الأزلي" ترجمة جي لوماكس (بيركلي: مطبعة جامع كاليفورنيا، 1997). لقد ناقش يونغ هذا عام 1934، "زارادشت نيتشه المجلد الأول، الصفحات 191-92".

هي الرغبة بهدف متوقع. لكن أين أجد الهدف؟ أنا آخذه مما هو معروف حالياً بالنسبة إلي. وبهذا أضع الحاضر مكان المستقبل. لكنني لا أستطيع بهذه الطريقة أن أصل إلى المستقبل، بل أستطيع أن أُنتِجَ حاضراً دائماً بشكل مصطنع. يبدو لي كل شيء يرغب باقتحام هذا الحاضر على أنه اضطراب أسعى إلى إبعاده كي تنجو غايتي. أن أُوقِفُ بهذا تطوّر الحياة. لكن كيف أستطيع أن أكون سائق عربتي الخاصة دون الإرادة والغاية؟ لذلك لا يرغب الحكيم بأن يكون سائق العربة، لأنه يعرف أن الإرادة والغاية تحققان الأهداف بالتأكيد لكنهما تسيئان إلى تطوّر المستقبل.

ينمو المستقبليّ مني، أنا لا أخلقه، ومع ذلك أفعلها، لكن ليس عن عمدٍ وسبقِ إصرار، بل ضدّ الإرادة والغاية. إن أردتُ خلق المستقبل فأنا أعمل ضدّ مستقبلي. وإن لم أرغب بخلقه، فأنا لا آخذ دوراً فعّالاً في خلق المستقبل أيضاً، ويحدث كل شيء حينها وفقاً للقوانين التي لا يمكن تجنّبها، والتي أسقط ضحية لها. لقد اخترع القدماء السحر ليفرضوا القدر. لقد كانوا بحاجة إليه ليحددوا القدر الخارجي. ونحن بحاجة إليه لنحدد القدر الداخلي ولنعثر على الطريق الذي لا يمكننا تخيّله. فكرت طويلاً في نوع السحر المطلوب. وفي النهاية لم أجد شيئاً. من لا يستطيع العثور عليه في ذاته، يجب أن يصبح تلميذاً، لذا ابتعدت إلى بلد بعيد يعيش فيها ساحر عظيم كنتُ قد سمعتُ عنه.

الفصل الحادي والعشرون:

الساحر[732]

[733]بعد بحث طويل وجدت منـزلاً صـغيراً في الريـف المطـل علـى حقـل واسع من أزهار التوليب. هنا يعيش فيلمون ΦΙΛΗΜΩΝ الساحر، مـع زوجته ΒΑΥΚΙΣ بوسيس.

إن فيلمون هو أحد السحرة الذين لم يتمكنوا بعد من التخلّص من التقـدم في العمر، لكنه يعيشه بكرامة، ولا يمكن لزوجته إلا أن تفعل الأمر نفسـه[734].

---

[732] في المسودة المكتوبة بخط اليد العنوان هو "المغامرة العاشرة" (الصفحة 1061).

[733] 27 كانون الثاني - يناير 1914.

[734] في كتاب "التحولات" يروي أوفيد قصة فيلمون وبوسيس. ينتقل جوبيتر وميركوري متنكرين بهيئة شخصيين فانيين في ريف فيرجيا الجبلي. لقد بحثا عن مكان ليرتاحا فيه، لكن ألف منزل منعهما من الدخول. وأخيراً قبلهما زوجان عجوزان. كان الزوجان متزوجين في كوخ في شبابهما، وتقدما في السن معاً، وقبلا فقرهما بقناعة. قاما بإعداد وجبة لضيفيهما، وأثناء الوجبة رأى الزوجان أن الإبريق يمتلئ تلقائياً ما إن يفرغ. وعلى شرف ضيفيهما، عرض الزوجان قتل إوزتهما الوحيدة. التجأت الإوزة إلى الإلهين اللذين قالا إنها يجب ألا تُقتَل. ثم كشف جوبيتير وميركوري نفسيهما وأخبرا الزوجين أن سكان حيهما سيعاقبون، لكنهما سيرحمان من العقوبة. طلبا من الزوجين تسلّق الجبل معهما. عندما وصلوا إلى القمة، رأى الزوجان أن الريف المحيط بكوخهما قد تعرض للفيضان ولم يبقَ إلا كوخهما، وقد تحوّل إلى معبد بأعمدة رخامية وسقف ذهبي. سأل الإلهان الزوجين عما يرغبان به، وأجاب فيلمون إنهما يريدان أن يصبحا كاهنين لهما ويخدما في مقامهما، وأنهما يستطيعان الموت في الوقت نفسه. تحققت أمنيتهما، وعندما ماتا، تحولا إلى شجرتين متجاورتين. وفي المجلد الثاني لفاوست، وفي الفصل الخامس منه، يقوم متجوّل كان قد أنقذاه سابقاً باستعداء فيلمون وبوسيس. كان فاوست يبني مدينة على أرض استعيدت من البحر. ويتقدم فاوست ليخبر

يبدو أن اهتماماتهما أصبحت ضيقة، بل طفولية. إنهما يسقيان حقل التوليب، ويتحدث أحدهما إلى الآخر عن الأزهار التي ظهرت مؤخراً. لقد تلاشت أيامهما إلى حالة من التذبذب (chiaracuso)[735]، يضيئها الماضي، مع خوف طفيف من ظلمة ما سيأتي.

لماذا كان فيلمون ساحراً[736]؟ هل كان يستحضر الخلود لنفسه، هل كان يستحضرُ حياةً ماورائية؟ لم يكن على الأرجح ساحراً إلا في مهنته، ويبدو الآن أنه ساحر متقاعد من الخدمة. لقد انتهت رغبته ودافعه الخلاق وهو يستمتع الآن براحة مستحقة بسبب العجز، مثل كل عجوز لا يستطيع القيام بأي شيء غير زراعة التوليب وسقاية حديقته الصغيرة. يوجد القضيب

ميفستوفيليس أنه يريد نقل فيلمون وبوسيس. يذهب ميفستوفيليس مع ثلاثة رجال ضخام ويحرقون الكوخ، وفيه فيلمون وبوسيس. يجيب فاوست أنه لم يكن ينوي إلا استبدال منزلهما. روى غوته لإيكرمان أن "فيلمون وبوسيس اللذان كتب عنهما لا علاقة لهما بالزوجين القديمين الشهيرين أو بالتقليد المرتبط بهما. لقد منحتُ هذين الزوجين الاسمين كي أرفع مستوى الشخصيات فقط. إن الأشخاص والعلاقات متشابهون، لذا كان لاستخدام الاسمين تأثير جيد" (6 حزيران - يونيو 1831، تم الاستشهاد بهذا في فاوست لغوته ترجمة دبلو أرندت [نيويورك: طبعة نورتون كريتيكال، 1976] الصفحة 428). وفي 7 حزيران - يونيو 1955، كتب يونغ رسالة لأليس رافاييل تشير إلى تعليق غوته لإيكرمان: "بما يخص فيلمون وغوته، إن إجابة غوتة نمونجية لإيكرمان في محاولة لإخفاء آثاره. فيلمون (فيليما= قبلة)، المحبّ، الزوجان العجوزان المحبّان، متواضعان ومدركان لوجود الآلهة المناقضة تماماً لفاوست السوبرمان، نتاج الشيطان. يوجد في برجي في بلوينجن نقش مخفي: "Philemon sacrum Fausti poenitentia [حرم فيلمون، توبة فاوست]. وعندما واجهت نموذج الحكيم العجوز البدئي لأول مرة، كان يسمي نفسه فيلمون.وفي الخيمياء، يُمثّل فيلمون وبوسيس بأرتيفيكس أو vir sapiens (الحكيم)، وsoror mystica (الشقيقة الصوفية) (زوسيموس/ثيوسيبيا، نيكولاس فلاميل - بيرونيل، السيد ساوث وابنته في القرن التاسع عشر)، والزوجان في mutus liber (كتاب البكم) (حوالي 1677)" (مكتبة بينيك، جامعة ييل). وحول نقش يونغ، راجع أيضاً رسالته إلى هيرمان كيسرلنغ، 2 كانون الثاني - يناير 1928 (الرسالة 1، الصفحة 49). وفي 5 كانون الثاني - يناير 1942، كتب يونغ لبول شميت "أخذت فاوست كإرث لي، والأكثر من ذلك كمناصر لفيلمون وبوسيس اللذين، على عكس فاوست والسوبرمان، هما مضيفا الآلهة في عصر بائس ولا يرحم" (الرسائل 1، 309-10).

[735] لم ترد هذه الكلمة إلا في هذا النص لكن بتغيير طفيف في التهجئة، وهي تعني تبادل الضوء والظل في لوحة - المترجمان

[736] في كتاب "النماذج السيكولوجية" 1921، أثناء نقاش فاوست، كتب يونغ، "حفظ الساحر في نفسه أثراً للوثنية الأولية، إنه يتملك طبيعة لا تزال غير متأثرة بالانقسام المسيحي، مما يعني أنه يستطيع الوصول إلى اللاوعي الذي لا يزال وثنياً، حيث لا تزال المتضادات موجودة في حالتها الساذجة الأصلية، ووراء كل الإثمية، لكن إن تم استيعابها في الحياة الواعية، فهي تنتج الشر والخير بالقوة الديمونية الأولية نفسها... لذا فهو مدمّر إضافة إلى كونه مخلصاً. لذلك فإن هذه الشخصية مناسبة بشكل خاص لتصبح الرمز الذي يقوم بمحاولة التوحيد" (الأعمال الكاملة 6، 316).

السحري في خزانة مع الكتابين السادس والسابع لموسى[737] وحكمة (هرميز تريسميجيستوس)[738]. لقد أصبح فيلمون عجوزاً وخَرِفاً بعض الشيء. وهو لا يزال يتمتم ببضع التعاويذ السحرية من أجل خير القَطيع المسحور، مقابل بضعة دراهم أو هدية من أجل المطبخ. لكن من غير المؤكد ما إن كانت هذه التعاويذ لا تزال صحيحة وما إن كانت مفهومة. كما أنه من الواضح أيضاً أن ما يتمتم به غير مهمّ. ولأنّ حالة القطيع قد تتحسن تلقائياً، ها هو فيلمون العجوز في الحديقة منحنياً، ويحمل مرشّ الماء في يده المرتعشة. تقف بوسيس عند نافذة المطبخ وتنظر إليه بهدوء وتبلد. لقد رأت هذه الصورة ألف مرة - لكنها تصبح أكثر ارتعاشاً وضعفاً، وتراها بشكل يزداد تشوشاً في كل مرة لأن بصرها أخذ يضعف تدريجياً[739].

أقفُ عند بوابة الحديقة. لكنهما لم يلاحظا الشخص الغريب. ندهته قائلاً: "فيلمون، أيها الساحر العجوز، كيف حالك؟" إنه لا يسمعني، ويبدو لي أنه أصمّ تماماً. لقد تبعته وأمسكت بذراعه. استدار وحياني بحرج وارتعاش. كانت له لحية بيضاء وشعر خفيف أبيض ووجه متجعد، ويبدو أن هناك شيئاً مميزاً في وجهه. كانت عيناه رماديتين وعجوزتين وفيهما شيء غريب، يمكن أن يقال إنهما تنشطان بالحياة. قال "أنا بخير أيها الغريب، لكن ماذا تفعل هنا؟

أنا: "قال لي الناس إنك تفهم الفن الأسود. أنا مهتم به. هلا أخبرتني عنه؟"

فيلمون: "ماذا سأخبرك؟ ليس هناك ما يقال".

أنا: "لا تتصرّف بهذا الشكل أيها العجوز. أريد أن أتعلّم".

---

[737] الكتابان السادس والسابع لموسى (إضافة إلى الكتب الخمسة المحتواة في التوارة) نُشرا عام 1849 من قبل جوهان شسيبل، الذي ادعى انهما من مصادر تلمودية قديمة. هذا العمل خلاصةُ وافية لتعاويذ السحر القبالية التي تتمتع بشعبية دائمة.

[738] لقد تشكّلت شخصية هيرميز تريسميجيستوس من خلال دمج هيرميز مع إله الحكمة المصري (تحوت). The Corpus Hermeticum، وهو مجموعة من النصوص الخيميائية والسحرية التي يعود تاريخها إلى الحقبة المسيحية الأولى لكن يُعتقد أنها أقدم من ذلك بكثير، وهي تُنسب إليه.

[739] في فاوست لغوته، يتحدث فيلمون عن قواه المتدهورة: "مع تقدمي في العمر، لم أعد أستطيع المساعدة [في بناء السد] كما كنت أفعل بشكل ممتاز، ومع انحسار قواي، كانت المياه تنحسر أيضاً" (11087-9).

فيلمون: "أنت تعرف أكثر مني بالتأكيد. ماذا أستطيع أن أعلّمك؟"
أنا: "لا تكن لئيماً. ليس في نيتي أن أنافسك بالتأكيد. أشعر بالفضول وحسب، لكي أعرف عن عملك، وما السحر الذي تمارسه".
فيلمون: "ماذا تريد؟ كنتُ في الماضي أساعد الناس المرضى والمعوزين هنا وهناك".
أنا: "ماذا كنت تفعل بالضبط؟"
فيلمون: "حسن، كنت أفعل هذا ببساطة وتعاطف".
أنا: "أيها العجوز، تبدو هذه الكلمة هزلية وغامضة".
فيلمون: "كيف ذلك؟"
أنا: "يمكن أن تعني أنك ساعدت الناس من خلال التعبير عن حنانك أو بوسائل خرافية ومتعاطفة".
فيلمون: "حسن، إنها الأمران معاً بالتأكيد".
أنا: "وهذا كل ما في سحرك؟"
فيلمون: "كان هناك المزيد".
أنا: "ماذا كان؟ أخبرني".
فيلمون: "هذا لا يعنيك. أنت وقح ومتطفل".
أنا: "أرجوك لا تفهم فضولي بشكل سيئ. لقد سمعتُ مؤخراً شيئاً عن السحر، أيقظ اهتمامي بالممارسات القديمة. ثم أتيت إليك لأنني سمعت أنك تفهم الفن الأسود. لو كان السحر لا يزال يُعلّم اليوم في الجامعة، لدرسته هناك. لكن آخر كليّة للسحر أُغلقت منذ وقت طويل. لم يعد هناك اليوم أي بروفسور يعرف أي شي عن السحر. لذا لا تكن حساساً وشحيحاً، بل أخبرني القليل عن فنّك. أنت لا ترغب بالتأكيد بأن تأخذ معك أسرارك إلى القبر، صحيح؟"
فيلمون: "حسن، كل ما ستفعله هو الضحك على أية حال. لِمَ يجب أن أخبرك بأي شيء؟ سيكون من الأفضل أن يُدفن كل شيء معي. ويمكن استعادته في أي وقت لاحقاً. لن تفقده الإنسانية، بما أنه يولد من جديد في كل واحد منا".

أنا: "ماذا تقصد؟ أتؤمن أن السحر متوارث لدى الإنسان؟"
فيلمون: "كنت سأقول (نعم، بالتأكيد) لو كان بوسعي ذلك. لكنك ستجد الأمر مضحكاً".
أنا: "لا، هذه المرة لن أضحك، لأنني تساءلت عدّة مرات حول حقيقة أن جميع الشعوب في جميع الأزمنة والأماكن لديهم عادات السحر نفسها. كما ترى، لدي أفكار مشابهة لأفكارك".
فيلمون: "ماذا تفهم من السحر؟"
أنا: "لأكون واضحاً معك، سأقول: لا شيء، أو القليل جداً. يبدو لي أن السحر من الأدوات العبثية التي يستخدمها البشر الذين هم أدنى مرتبة من الطبيعة. لا أجد أي معنى ملموس في السحر".
فيلمون: "على الأرجح يعرف أساتذتكم هذا القدر أيضاً".
أنا: "نعم، لكن ماذا تعرف عنه؟"
فيلمون: "أفضّل ألا أقول شيئاً".
أنا: "لا تكن كتوماً جداً أيها العجوز، وإلا عليّ أن أفترض أنك لا تعرف أكثر مما أعرف".
فيلمون: "افهم الأمر كما تشاء".
أنا: "يوحي جوابك بأنك تفهمه أكثر من الآخرين بالتأكيد".
فيلمون: "أيها الرجل المضحك، كم أنت عنيد! لكن ما يعجبني فيك هو أن منطقك لا يثنيك عن عزمك".
أنا: "هذا هو الوضع فعلاً. كلما أردت أن أتعلّم شيئاً وأفهمه، أتخلّى عن منطقي وأعطي ما أحاول أن أفهمه الفرصةَ أياً كان هذا الشيء. لقد تعلّمتُ هذا تدريجياً لأن عالم العلم اليوم مليء بالأمثلة المخيفة عن العكس".
فيلمون: "في هذه الحالة يمكنك أن تبلي حسناً جداً"
أنا: "آمل ذلك. لنتابع في موضوع السحر".
فيلمون: "ما سبب عزمك على تعلّم المزيد عن السحر إن كنت تدّعي أنك تخلّيت عن منطقك؟ أم أنك لا تعتبر أن ثبات المبدأ جزء من المنطق؟"

أنا: "هذا صحيح، أنا أرى، أو يبدو لي كما لو أنك صوفيّ ماهر يأخذني إلى النهر ويعيدني عَطِشاً".

فيلمون: "هذا ما يبدو لك لأنك تحكم على كل شيء من وجهة نظر أفكارك. إن تخلّيت عن المنطق لبعض الوقت، ستتخلى عن ثبات المبدأ أيضاً".

أنا: "هذا اختبار صعب. لكن إن كنتُ أريدُ أن أصبحَ خبيراً في مرحلة ما، فإن عليّ أن أخضع لطلبك. حسن، أنا أستمع".

فيلمون: "ماذا تريد أن تسمع؟"

أنا: "لن تثنيني عن عزمي. أنا أنتظر ما تريد قوله وحسب".

فيلمون: "ماذا إن لم أقل شيئاً؟"

أنا: "حسن، سأنسحب وأنا أشعر ببعض الإحراج، وأفكّر أن فيلمون مجرد ثعلب ماكر على أقل تقدير، ولديه شيءٍ يعلمني إياه بالتأكيد".

فيلمون: "بهذا يا بني، تكون قد تعلمت شيئاً عن السحر".

أنا: "عليّ أن أحاول استيعاب هذا. عليّ أن أعترف أن هذا مفاجئ بعض الشيء. لقد تخيّلتُ أن السحر شيء مختلف بشكل ما".

فيلمون: حسن، يريكَ هذا مدى قلّة ما تفهمه عن السحر ومدى خطأ فكرتك عنه".

أنا: "إن كان هذا هو الوضع، فعليّ إذاً أن أعترف بأنني قاربت المسألة بطريقة خاطئة تماماً. لقد فهمتُ مما تقوله أن هذه الأمور لا تتبع طريقة الفهم العادية".

فيلمون: "ولا يتبعها السحر أيضاً".

أنا: "لكنك لم تثنني عن عزمي إطلاقاً، بل على العكس، أنا متشوق للغاية لسماع المزيد. ما أعرفه حتى الآن سلبي بشكل أساسي".

فيلمون: "بهذا تكون قد أدركت نقطة رئيسية ثانية. وفوق كل شيء، عليك أن تعرف أن السحر هو الصورة العكسية لما يمكن للمرء أن يعرفه".

أنا: "هذه أيضاً، يا عزيزي فيلمون، معلومة يصعبُ استيعابها، وتسبب لي الكثير من الإزعاج. الصورة العكسية لما يمكن للمرء معرفته؟ أظن أنك تقصد أنه لا يمكن معرفته، أليس كذلك؟ يعجز فهمي عن استيعاب هذا".

فيلمون: "هذه هي النقطة الثالثة التي عليك اعتبارها أساسية: وتحديداً، أنه ليس هناك ما تفهمه".

أنا: "حسن، عليّ الاعتراف أن هذا جديد وغريب. إذاً لا يمكن أن أفهم أي شيء إطلاقاً عن السحر؟"

فيلمون: "بالضبط. السحر تحديداً هو كل ما لا يمكن استيعابه".

أنا: "لكن كيف يمكن لشخص أن يعلّم السحر ويتعلّمه بحق الشيطان؟"

فيلمون: "لا يمكن تعلّم السحر ولا تعليمه. من الحماقة أن ترغب بتعلّم السحر".

أنا: "لكن هذا يعني أن السحر ليس إلا خداعاً".

فيلمون: "حاذر ـ لقد بدأتَ تستخدمُ المنطق من جديد".

أنا: "من الصعب أن تعيش بدون منطق".

فيلمون: "هذه هي صعوبة السحر بالضبط".

أنا: "حسن، إذا هو عبارة عن عمل مجد. وأستنتج أنه شرط لا بدّ منه، أن ينسى الساحر الخبير منطقه بالكامل".

فيلمون: "يؤسفني أن هذا هو الوضع".

أنا: "أيتها الآلهة، هذا خطير".

فيلمون: "ليس خطيراً كما تظن. يتناقص المنطق مع التقدم في العمر، بما أنه نظير أساسي للدوافع، وهي حادة في الشباب أكثر مما هي في الشيخوخة. هل رأيت سَحَرَةً شباناً يوماً؟"

أنا: "لا، الساحر عجوز دوماً في الحكايات".

فيلمون: "كما ترى، أنا على حق".

أنا: "لكن هذا يعني أن فُرَصَ الساحر الخبير سيئة. إن عليه أن ينتظر الشيخوخة كي يختبر أسرار السحر".

فيلمون: "إن تخلّى عن منطقه قبل ذلك، فسوف يمكنه اختبار شيء مفيد في وقت أبكر".
أنا: "يبدو لي أنها تجربة خطيرة. ولا يمكن للمرء أن يتخلّى عن منطقه ببساطة".
فيلمون: "ولا يمكن للمرء أن يصبح ساحراً ببساطة أيضاً".
أنا: "أنت تنصب أمامي أشراكاً بشعة".
فيلمون: "ماذا تريد؟ هذا هو السحر".
أنا: "أيها الشيطان العجوز، أنت تجعلني أحسد العجائزَ عديمي المنطق".
فيلمون: "حسن، حسن، شاب يريدُ أن يصبح عجوزاً! ولماذا؟ إنه يريد أن يتعلّم السحر لكنه لا يجرؤ على أن يتخلّى عن شبابه".
أنا: "أنت تبسط أمامي شبكة مريعة، أيها الماكر العجوز".
فيلمون: "ربما عليك أن تؤجل السحر بضع سنوات إلى أن يصبح شعرك أشيبَ ويتبلّد منطقك إلى حد ما".
أنا: "لا أريد الاستماع إلى ازدرائك. يكفيني غباء أنني عَلِقتُ في شباكك. ولا أستطيع فهمك".
فيلمون: "لكن الغباء قد يكون تقدماً في الطريق إلى السحر".
أنا: ما الذي تنوي تحقيقه من سحرك؟"
فيلمون: "أنا على قيد الحياة، كما ترى".
أنا: "هناك عجائز أحياء غيرك أيضاً".
فيلمون: "نعم، لكن هل رأيت حالتهم؟"
أنا: "حسن، أعترف أنه ليس منظراً ممتعاً. لقد ترك الزمن علامته عليك أنت أيضاً".
فيلمون: "أعلم هذا".
أنا: "ما الذي يجعلك متميزاً إذاً؟"
فيلمون: "هذا لا يُشاهد".
أنا: "أية ميزة لا تُشاهد؟"

فيلمون: "أسميها السحر".

أنا: " أنت تتحرك في حلقة شريرة. عسى أن ينال منك الشيطان".

فيلمون: "هذه ميزة أخرى من مزايا السحر: ولا حتى الشيطان يستطيع النيل مني. لقد بدأتَ تفهم السحر، لذا عليّ أن أفترض بأنك تتمتّع بجدارة لفهمه".

أنا: "شكراً يا فيلمون، هذا يكفي، أشعر بالدوار. وداعاً"

غادرتُ الحديقة الصغيرة وسرتُ في الشارع. سمعتهم يهمسون وراء ظهري: "انظروا، ها هو ذا تلميذ فيلمون العجوز. لقد تحدّثَ مطولاً مع العجوز. لقد تعلم شيئاً ما. إنه يعرف الأسرار. ليتني أستطيع القيام بما أصبح قادراً على فعله". أردتُ أن أصرخ في وجوههم قائلاً: "اصمتوا أيها الحمقى الملعونون"، لكنني لم أستطع، بما أنني لا أعرف ما إن كنت قد تعلّمت شيئاً بالفعل. ولأنني بقيت صامتاً، أصبحوا أكثر قناعة بأنني تلقّيت علوم الفن الأسود من فيلمون.

[740]من الخطأ الاعتقاد أن ما يستطيع المرء أن يتعلّمه هو الممارسات السحرية. لا يمكن للمرء فهم السحر، بل يمكنه أن يفهم ما يتوافق مع المنطق. يتوافق السحر مع اللامنطق الذي لا يمكن فهمه. لا يتوافق العالم مع المنطق وحسب بل مع اللامنطق أيضاً. لكن كما يطبّق المرء المنطقَ لفهم العالم، أي إن الأمور المنطقية فيه تقارب المنطق، فإن انعدام الفهم يتطابقُ مع اللامنطق أيضاً.

إن هذا التوافق سحريّ ويتعذّر استيعابه. إن الفهم السحري هو ما يمكن تسميته باللا استيعاب. يعمل كل شيء بشكل سحري عصيّ على الاستيعاب، وغالباً ما يعمل ما يَعصى على الاستيعاب بشكل سحري. يصف المرء الأشياء التي يتعذّر استيعابها بالسحرية. تحيط بي الأشياء السحرية وتقحمني فيها دوماً. إنها تفتح مساحات ليس لها أبواب وتؤدي

[740] ملاحظة يونغ الهامشية في النسخة المكتوبة بخطّ فني هي "كانون الثاني - يناير 1924" يبدو أنها تشير إلى تاريخ نسخ هذه الفقرة في هذه النسخة المكتوبة بخط فني. تصبح الكتابة في هذه المرحلة أكبر حجماً، مع مساحة أكبر بين الكلمات. وفي هذا الوقت، بدأت كاري باينز بنسخ مخطوطتها.

إلى الخلاء الذي ليس له مخرج. إن الأشياء السحريّة صالحة وطالحة، وهي ليست صالحة ولا طالحة أيضاً. إن السحر خطيرٌ لأن ما يتطابق مع اللامنطق، يسببُ الحيرة ويجذبُ ويستفز، وأنا أول ضحاياه دوماً.

لا حاجة للسحر حيث يكون المنطق. ولذلك لم يعد زمننا بحاجة إلى السحر. لكن من ليس لديهم منطق، يحتاجون إليه للتعويض عن افتقارهم للمنطق. لكن من غير المنطقي إطلاقاً أن نجمع ما يوافق المنطق مع السحر، بما أن أحدهما لا علاقة له بالآخر. يفسدُ كلاهما من خلال جمعهما معاً. لذلك فإن كل من يفتقرون إلى المنطق، يسقطون في التجاهل بشكل ملائم تماماً. لذلك فلن يستخدم السحرَ إطلاقاً، شخصٌ منطقيٌّ من هذا الزمن.[741]

لكن الأمر مختلف بالنسبة لمن فتح الفوضى في داخله. نحن نحتاج إلى السحر لنتمكن من قبول أو استحضار الرسول والتواصل مع ما يتعذّر استيعابه. لقد أدركنا أن العالم يشمل المنطق واللامنطق، وفهمنا أيضاً أن طريقنا لا يحتاج إلى المنطق وحسب بل إلى اللامنطق أيضاً. هذا التمييز اعتباطي ويعتمدُ على مستوى الاستيعاب. لكن يمكن للمرء أن يكون على يقين بأن الجزء الأكبر من العالم عصيّ على الفهم. علينا أن نقدّر ما يصعبُ استيعابه وما هو غير منطقي بالقدر ذاته، على الرغم من أنهما ليسا متساويين بالضرورة بحد ذاتيهما، لكنّ جزءاً مما يتعذّر على الاستيعاب، هو كذلك حالياً فقط، وربما يتوافق مع المنطق غداً. لكن طالما أن المرء لا يفهمه، يبقى غير منطقيّ. بقدر ما يتوافق ما يتعذر عن الاستيعاب مع المنطق، ينجح المرء في محاولة التفكير فيه، لكن بقدر ما يكون لا منطقياً، يحتاج المرء إلى الممارسات السحرية لفتحه.

إن ممارسة السحر هي أن تجعل ما ليس مفهوماً قابلاً للفهم بطريقة عصيّة على الاستيعاب. إن طريق السحر ليست اعتباطية، لأن هذا

[741] في كتاب "النماذج السيكولوجية" 1921 كتب يونغ: "يمكن للمنطق أن يعطي توازناً فقط إن كان منطق المرء عضو توازن بالفعل... وكقاعدة عامة، يحتاج المرء إلى نقيض حالته الفعلية ليجبره على العثور على مكانه في الوسط". (الأعمال الكاملة 6، 386).

سيكون مفهوماً، بل سينشأ من أساس عصيّ على الاستيعاب. بالإضافة لذلك، فإن الكلام عن الأساس غير صحيح، بما أن الأساس يتوافق مع المنطق. ولا يمكن للمرء أن يتحدّث عن انعدام الأساس، بما أنه من غير الممكن قول أي شيء إضافي عن هذا. تنشأ طريق السحر من ذاتها. إذا فتح المرء الفوضى، فسوف ينشأ السحر أيضاً.

يمكن للمرء أن يعلّمَ الطريق المؤدية إلى الفوضى، لكنه لا يستطيع تعليم السحر. لا يمكن للمرء سوى أن يصمت حيال هذا، ويبدو أن هذا هو التدريب الأفضل. إن وجهة النظر هذه محيّرة، لكن السحر يكون هكذا. حيث يرسخ المنطق النظام والوضوح، يسبب السحر الفوضى وانعدام الوضوح[742]. يحتاج المرء إلى المنطق بالتأكيد من أجل الترجمة السحرية لما هو ليس مفهوماً إلى أمر يمكن فهمه، لأنه لا يمكن خلق ما يمكن فهمه إلا بواسطة المنطق. لا يمكن لأحد أن يقول كيف يجب استخدام المنطق، لكنه يظهر فعلاً إن حاول المرء التعبير عن معنى فتح الفوضى فقط[743].

إن السحر طريقة حياة. إن بذل المرء ما بوسعه لتوجيه العربة، ثم لاحظ أن آخراً أعظم منه يوجّهها بالفعل، فسوف تحدث حينئذٍ العملية السحرية. لا يمكن للمرء أن يحدد ماذا سيكون تأثير السحر، بما أن أحداً لا يعرفه مسبقاً لأن السحري لا قانون له، وهو يحدث دون قوانين وعن طريق الصدفة كما يُقال. لكن الشرط هو أن يقبل المرء ذلك تماماً ولا يرفضه، ليُحال كل شيء إلى نمو الشجرة. إن الغباء أيضاً جزء من ذلك، وهو موجود لدى الجميع بكثرة، وكذلك انعدام الذوق، وربما يكون هذا هو الإزعاج الأكبر.

---

742 يتابع في المسودة: "بهذا تتألف الممارسة السحرية من جزئين: أولاً، تطوير فهم للفوضى، وثانياً، ترجمة الجوهر إلى ما يمكن فهمه" (الصفحة 484).

743 يتابع في المسودة: "يأخذ المنطق جزءاً صغيراً من السحر فقط وهذا شيء مهين لك. إن هناك حاجة للعمر والخبرة. إن الرغبة المستعجلة وخوف الشباب، بالإضافة إلى النزاهة الضرورية، تسببُ الاضطراب في التفاعل السرّي بين الإله والشيطان. وبهذا يسهل جذبك إلى جانب أو آخر، أو إصابتك بالعمى أو الشلل" (الصفحة 484).

ولذلك فإن بعضاً من الوحدة والعزلة شرطان لا مفرّ منهما في الحياة من أجل صالح المرء وصالح الآخر، وإلا لا يمكن أن يصبح المرء ذاته بشكل كافٍ. إن بعض البطء الأشبه بالسكون في الحياة، هو أمرٌ لا مفرّ منه. إن اللايقينية في حياة كهذه ستكون أكبرٍ الأعباء، لكن لا يزال عليّ توحيد القوى المتنازعة في روحي وإبقاؤها معاً في زواج حقيقي حتى نهاية حياتي، بما أن الساحر يدعى فيلمون وزوجته بوسيس. أنا أجمع ما أبقاه المسيح منفصلاً في ذاته وفي الآخرين الذين اتخذوه مثالاً، بما أنه كلما سعى أحد نصفيّ إلى الخير أكثر، رحل النصف الآخر إلى الجحيم أكثر.

عندما انتهى شهر التوءمين، قال الناس لظلالهم: "أنت أنا"، وذلك أنهم أبقوا مُسبقاً الروح معهم كشخص آخر. وهكذا أصبح الاثنان واحداً، ومن خلال هذا الاصطدام اندلع المهول، وهو تحديداً ربيع الوعي الذي يسميه المرء الحضارة، والذي دام حتى عهد المسيح[744]. لكن السمكة أشارت إلى لحظة انفصال المتحدَين إلى عالمٍ سفلي وآخر علوي، بحسب قانون التناقض الأبدي. إن توقفتْ قوة النمو، فسوف يصبح المتحدان متناقضين. لقد أرسل المسيح ما في الأسفل إلى الجحيم، بما أن ما في الأسفل قد سعى إلى الخير، وكان هذا ضرورياً. لكن المنفصلَين لا يمكن أن يبقيا منفصلَين إلى الأبد. وسيتحدان ثانية وسينتهي شهر السمك

---

[744] هذه إشارة إلى المفهوم الفلكي للشهر الأفلاطوني أو الأيون أو الحوت، وهو مبني على تقدم الاعتدال الربيعي. إن كل شهر أفلاطوني يتألف من برج فلكي واحد، ويدوم حوالي 2300 سنة. لقد ناقش يونغ الرمزية المتعلقة بهذا في كتاب "أيون" (1951، الأعمال الكاملة 6، الفصل 6). وكتب أنه حوالي العام 7 قبل الميلاد حدث التحام بين زحل والمشتري، وهذا يمثل الاتحاد بين الأقطاب المتعاكسة، أي إن ولادة المسيح تمت تحت برج الحوت. الحوت (Pisces: كلمة لاتينية تعني السمك) يُعرف ببرج السمكة وغالباً ما يُمثل بسمكتين تسبحان باتجاهين متعاكسين. وعن الأشهر الأفلاطونية، راجع كتاب أليس هاويل "تزامنية يونغ بين الأبراج الفلكية والعصور" (ويتون 11، كويست بوكس، 1990) الصفحة 125 ف. لقد بدأ يونغ بدراسة علم الفلك عام 1911 أثناء دراسته للميثولوجيا، وتعلّم كيف يعين الأبراج (يونغ لفرويد، 8 أيار - مايو 1911، رسائل فرويد/يونغ، الصفحة 421). وفيما يتعلق بمصادر يونغ عن تاريخ علم الفلك، استشهد بكتاب أوغست بوشيه لكليرك L'Astrologie Grecque في 9 مناسبات في أعماله اللاحقة (باريس: إرنست ليرو، 1899).

قريباً[745]. نحن نشكّ بأن النمو يحتاج إلى الأمرين، ونفهم هذا، لذلك نبقي الخير والشرّ متقاربَين. ولأننا نعرف أن المبالغة بالخير تشبه المبالغة بالشرّ، فإننا نبقيهما معاً[746].

لكننا بهذا نفقد الاتجاه ولا تعود الأشياء تتدفق من الجبل إلى الوادي، بل تنمو بهدوء من الوادي إلى الجبل. ما لا يمكننا منعه أو إخفاؤه بعد الآن هو ثمارنا. تصبحُ الساقية المتدفقة بحيرة ومحيطاً ليس له منفذ، ما لم تصل مياهه إلى السماء كجدول وتسقط من الغيوم على شكل مطر. على الرغم من أن البحر موت، فهو أيضاً مكان للارتقاء. وكذلك هو فيلمون الذي يهتم بحديقته. كانت أيدينا مقيدة، وعلى كل منا أن يجلس في مكانه بهدوء. وهو يرتقي بشكل غير مرئيٍ ويسقط كمطر على الأراضي البعيدة[747]. ليست المياه على الأرض غيمة يُمكنها أن تمطر. لا يمكن إلا للمرأة الحامل أن تَلِدَ، وليس من لم يحملن بعد[748].

لكن بأي سرّ تصرّح لي باسمك يا فيلمون؟ أنتَ العاشقُ الذي استقبل الإلهين اللذين كانا يجوبان الأرض، ولم يقبل أحد إيواءهما. أنت من

---

[745] يشير هذا إلى نهاية شهر الحوت الأفلاطوني وبداية شهر الدلو الأفلاطوني. إن التاريخ الدقيق غير مؤكد. وفي كتاب "أيون" (1951)، كتب يونغ: "فلكياً فإن بداية الحقبة التالية، حسب نقطة البدء التي تختارها، تقع بين 2000 و2200 ميلادية" (الأعمال الكاملة 9، 2، 149، الملاحظة 88).

[746] كتب يونغ في "أيون": "يبدو أن حقبة الأسماك يحكمها موضوع "الأخوة الأعداء" البدني، ومع اقتراب الشهر الأفلاطوني التالي، أي الدلو، ستظهر مشكلة اتحاد التناقضات. لن يكون من الممكن استبعاد الشرّ على أنه "privatio boni = حرمان من الخير" وحسب، بل يجب الإقرار بوجوده الحقيقي" (الأعمال الكاملة 9، 142).

[747] يتابع في المسودة "بدأت الأمطار الشتوية مع المسيح. لقد علّم البشرية طريق السماء. ونحن نعلم طريق الأرض. لذا لا يمكن استبعاد أي شيء من الإنجيل، بل الإضافة إليه فقط" (الصفحة 486).

[748] يتابع في المسودة: "إن سعينا مركّز على البصيرة والتفوق الفكري وبهذا طورنا كل ذكائنا. لكن المدى الاستثنائي للغباء المتوارث لدى كل البشر قد تم تجاهله وإنكاره. لكن إن قبلنا الآخر فينا، فسوف نستحضر أيضاً غباء طبيعتنا الخاص. إن الغباء لعبتنا الشبيهة بلعبة رأس الفرس. فيه شيء مقدس، لكنه شيء من جنون عظمة العالم. ولهذا فإن الغباء هائل. إنه يبعد كل شيء يمكن أن يدخلنا إلى الذكاء. إنه يبقي كل شيء بدون فهم ولا يفترض أن يحتاج إلى فهم بشكل طبيعي. إن هذا الغباء تحديداً يحدث في الفكر وفي الحياة. وبما أنه أصم بعض الشيء وأعمى بعض الشيء، فهو يأتي بالقدر الضروري ويُبعِدَ عنا الفيلة المُقترنة بالعقلانية. هذا ما يفصلنا ويعزل بذرة الحياة المختلطة، ويقدم لنا رؤية واضحة عن الخير والشر، وعما هو منطقي وما ليس كذلك. لكن كثير من الناس منطقيون في افتقارهم للمنطق" (الصفحة 487).

منحتَ الضيافة للإلهين دون أن يراودك الشكّ، شكراك بتحويل منزلك إلى معبد ذهبي، بينما ابتلع الفيضان الآخرين جميعاً. لقد بقيتَ على قيد الحياة عندما اندلعت الفوضى. أنت من خدم في المقام عندما صرخ الناس عبثاً مستنجدين بالآلهة. أنتَ هو العاشق الذي ينجو بحق. لماذا لم نر هذا؟ ومتى ظهر الإلهان؟ عندما تمنت بوسيس تقديم إوزتها الوحيدة للإلهين تحديداً، ذلك الغباء المبارك: هربت الإوزة إلى الإلهين اللذين كشفا نفسيهما لضيفيهما الفقيرين اللذين قدما آخر ما لديهما. هكذا رأيت العاشق ينجو، وهو من يقدّم الضيافة للآلهة بغير درايته[749].

حقاً يا فيلمون، لماذا أرى أن كوخك معبد، وأنك خدمتَ في المقام مع بوسيس. لا تسمحُ هذه القوّة السحرية بأن يتم تعليمها أو تعلمها. إما أن يحظى بها المرء أو لا. أعرف الآن سرّك الأخير: أنت عاشق. لقد نجحتَ في توحيد ما كان مقطّعاً، أي إنك جمعت الأعلى والأسفل معاً. ألم نعرف هذا لوقت طويل؟ نعم، كنا نعرفه، لا، لم نكن نعرفه. لطالما كان الأمر هكذا، لكنه لم يكن كذلك قط. لماذا عليّ أن أجوب كل هذه الطرقات الطويلة قبل أن أصل إلى فيلمون، إن كان سيعلمني ما كان معرفة عامة لعصور؟ للأسف، كنا نعرف كل شيء منذ الماضي السحيق، لكننا لن نعرفه إلى أن يتم. من استهلك سرّ الحبّ؟

تحت أي قناع تختبئ يا فيلمون؟ لم تبدُ لي أنكَ عاشق. لكن عينيّ انفتحتا، ورأيت أنك عاشق لروحك التي تحرس كنزها بقلق وغيرة. هناك من يحبّون البشر، وهناك من يحبّون أرواح البشر، وهناك من يحبّون أرواحهم. وأحد هؤلاء هو فيلمون، مضيف الآلهة.

أنت تستلقي في الشمس يا فيلمون، مثل أفعى تلتفّ على نفسها. حكمتك هي حكمة الأفاعي الباردة، التي لديها القليل من السمّ، لكنها شافية بجرعات صغيرة. إن سحرك يسبّب الشلل، ولذلك يصنع أشخاصاً أقوياء يبعدون أنفسهم عن أنفسهم. لكن هل يحبّونك؟ وهل هم ممتنون، يا محبّ

---

[749] في هذه الفقرة، اشار يونغ إلى الرواية الكلاسيكية لفيلمون وبوسيس من كتاب "التحولات".

روحك الخاصة؟ أم إنهم يلعنونك بسبب سم الأفعى السحري الذي لديك؟ إنهم يبقون على مسافة منك، ويهزّون رؤوسهم ويتهامسون.

أما زلت من البشر يا فيلمون، أم إن المرء لا يصبح إنساناً إلا عندما يصبح عاشقاً لروحه؟ أنت مضياف يا فيلمون، وقد استقبلتَ الهائمين القذرين في كوخك دون أن يراودك الشكّ. حينها أصبح منزلك معبداً ذهبياً، وهل غادرتُ طاولتك دون أن أشبع حقاً؟ ماذا أعطيتني؟ هل دعوتني لتناول وجبة؟ لقد لمعتَ بألوان متعددة وبشكل معقّد، ولم تقدم لي نفسك كطريدة قط. بل هربت من قبضتي. لم أجدك في أي مكان. أما زلت إنساناً؟ إن جنسك أكثر شبهاً بالأفاعي منه بالبشر.

سعيتُ كي أفهمكَ وأقطع هذه المعرفة منك، بما أن المسيحيين تعلّموا التهام إلههم. وكم سيطول الوقت قبل أن يحدث للإنسان ما حدث للإله؟ أنا أنظر في الأرض الواسعة ولا أسمع شيئاً إلا العويل، ولا أرى شيئاً إلا البشر يلتهمون أحدهم الآخر.

يا فيلمون، أنت لست مسيحياً. أنت لم تسمح بأن ألتهمكَ ولم تلتهمني أيضاً. ولهذا السبب، ليست لديك قاعات محاضرات ولا قاعات ذات أعمدة تعجّ بالطلبة الذين يتسكعون ويتحدثون عن المعلّم ويرتشفون كلماته كأنها إكسير الحياة. أنت لست مسيحياً ولا وثنياً، لكنك شخص مضياف وعدواني ومضياف للآلهة، ناجٍ أزلي، وأبٌ لكل الحكمة الأزلية.

لكن هل تركتك دون أن أشبع؟ لا، لقد تركتكَ لأنني شبعتُ حقاً. لكن ما الذي تناولته؟ لم تمنحني كلماتك شيئاً. لقد تركتني كلماتك لنفسي ولشكوكي. وهكذا أكلتُ نفسي. ولهذا السبب يا فيلمون، أنت لست مسيحياً، بما أنك تغذي نفسك من نفسك وتجبر البشر على القيام بالمثل.

إن هذا أكثر ما يغضبهم، لأنه ليس هناك من شيء يسبب التقزز للحيوان الإنساني أكثر من ذاته. لهذا السبب يفضلون أكل المخلوقات الزاحفة والقافزة والسابحة والطائرة كلها، نعم، حتى فصيلتهم ذاتها، قبل أن

يقضموا قطعة من أنفسهم. لكن هذه التغذية فعّالة وسرعان ما يشبع المرء منها. لهذا السبب يا فيلمون، ننهض عن طاولتك مُشبعين.

إن طريقتك تثقيفية يا فيلمون. أنت تتركني في ظلمة صحيّة. أنت لست ضوءاً يشعّ في العتمة[750]، ولستَ مخلّصاً يرسّخُ حقيقة أزلية، يخمد بها النور الليلي لفهم الإنسان. إن لديك مساحة لغباء الآخرين ومزاجهم. أنت أيها المُبارك، لا تريد أي شيء من الآخر، بل تهتم بالأزهار في حديقتك الخاصة بدلاً من ذلك. من يحتاج إليك يطلب منك، وأيها الذكي فيلمون، أظن أنك تطلب ممن تحتاج منهم شيئاً، وأنك تدفع ثمن ما تتلقاه. لقد أوقدَ المسيح الرغبة في البشر، لأنهم بدأوا منذئذ بتوقّع الهدايا من مخلصيهم ودون خدمة بالمقابل. إن العطاء طفولي مثل السلطة. من يعطي يفترض أن لديه سلطاناً. إن فضيلة العطاء هي العباءة الزرقاء السماوية للطاغية. أنت حكيم يا فيلمون، أنت لا تعطي. أنت تريد أن تزهر حديقتك، وأن ينمو كل شيء ضمن نفسه.

أنت تعرف يا فيلمون، حكمة الأشياء القادمة، ولذلك أنت عجوز عتيق جداً، كما أنك تظللني كبرج أعلى مني بعدد السنوات، وكذلك تظلل الحاضر بالمستقبليّ، ولا يُقاس طول ماضيك. أنت أسطوريّ ولا يمكن الوصول إليك. لقد عدتَ وستعود دوماً بشكل دوري. إن حكمتك غير مرئية، وحقيقتك متعذرة على المعرفة، وغير صحيحة إطلاقاً في أي عصر، لكنك صحيح في الأبدية كلها، أنت تسكبُ الماء المحيي الذي تزهر به زهور حديقتك، إنه الماء النجمي وندى الليل.

ماذا تحتاج، يا فيلمون؟ أنت تحتاج إلى البشر من أجل الأشياء الصغيرة، لأن كل شيء هو أعظم والأعظم موجود فيك. لقد أفسد المسيح البشر، بما أنه علّمهم أنه ليس من الممكن أن ينقذهم إلا شخص واحد، أي هو، ابن الرب، ومنذئذ أصبح البشر يطلبون الأشياء الأعظم من

---

[750] على النقيض مما جاء في أنجيل يوحنا 1:5، حيث يوصف المسيح بالشكل التالي: " والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه".

الآخرين، وخاصة خلاصهم، وإن ضاع خروفٌ في مكان ما، فهو يتّهم الراعي. أنت إنسان يا فيلمون، وأنت تُثبتُ أن البشر ليسوا خرافاً، بما أنك اعتنيتَ بالأعظم في نفسك، ولهذا يتدفّق الماء المحيي المُثمر في حديقتك من أوعية لا تنضب.

هل أنت وحيد يا فيلمون، أنا لا أرى حاشية حولك ولا صُحبة، وبوسيس هي نصفك الآخر. أنت تعيش مع الأزهار والأشجار والطيور، لكن ليس مع البشر. ألا يجب أن تعيش مع البشر؟ أما زلت إنساناً؟ ألا تريد شيئاً من البشر؟ ألا ترى كيف يقفون معاً ويؤلفون الشائعات والحكايا الخرافية الطفولية عنك؟ ألا تريد أن تذهب إليهم وتقول إنك إنسان وفان مثلهم تماماً، وأنك تريد أن تحبّهم؟ أنت تضحك يا فيلمون؟ أفهمك. لقد دخَلتُ حديقتك للتو وأردتُ أن أنتزع منك ما كان عليّ أن أفهمه ضمن ذاتي.

أنا أفهمك يا فيلمون: لقد حوّلتك في الحال إلى مخلص يسمحُ بأن يُلتهم ويُربط بالهدايا. أنت تعتقد بأن هذا ما هم عليه البشر، إنهم جميعاً لا يزالون مسيحيين. لكنهم يريدون المزيد: يريدونك كما أنت، وإلا فلن تكون فيلمون بالنسبة إليهم ولن يكون هناك عزاء لهم إن لم يجدوا حاملاً لأساطيرهم. لذلك فهم يضحكون أيضاً، إن اقتربتَ منهم وقلتَ إنك فان مثلهم وتريد أن تحبهّم. إن فعلتَ هذا فلن تكون فيلمون. إنهم يريدونكَ يا فيلمون، لكنهم لا يريدونك كإنسان فان آخر يعاني من عللهم نفسها.

أنا أفهمك يا فيلمون، إنك عاشق حقيقي بما أَنك تحبّ روحك من أجل البشر، إنهم يريدون أن يحظوا بك بهذا الشكل لأنهم يحتاجون ملكاً يعيش من نفسه، وليس مديناً بأي امتنان لأحد على حياته. أنت تحقّقُ أمنية الناس وتختفي. أنت وعاءٌ للحكايا الخياليّة. وسوف تلطّخ سمعتكَ إن ذهبتَ إلى البشر كإنسان، بما أنهم سيضحكون جميعاً ويقولون إنك كاذب ومحتال، وإنك لست إنساناً.

لقد رأيت ذلك الأخدود في وجهك يا فيلمون: لقد كنتَ شابّاً ذات يوم، وأردت أن تكون إنساناً بين البشر. لكن المسيحيين لم يحبّوا إنسانيتك الوثنية، بما أنهم شعروا بأن في داخلك ما يحتاجون إليه. لطالما سعوا إلى

الشخص الموسوم، وعندما كانوا يمسكون به في مكان ما حراً، كانوا يسجنونه في قفص ذهبي ويأخذون منه قوة ذكورته، كي يصبح مشلولاً ويجلس صامتاً. ثم يهللون له ويخترعون القصص الخرافية عنه. أعرف، إنهم يسمون هذا تبجيلاً. وإن لم يجدوا واحداً حقيقياً، فعلى الأقل لديهم (بابا)، مهنته أن يقدم الكوميديا الإلهية. لكن الحقيقي يتبرأ من نفسه دوماً، بما أنه لا يعرف ما هو أسمى من أن يكون إنساناً.

هل تضحك، يا فيلمون؟ أنا أفهمك: لقد أضجركَ أن تكون إنساناً مثل الآخرين. ولأنك أحببت أن تكون إنساناً، أبعدتَ هذا الشعور كي تتمكن من أن تكون للبشر ما أرادوا أن يأخذوا منك على الأقل. لذا أراك يا فيلمون، ليس مع البشر، بل متحداً مع الأزهار والأشجار والطيور وكل المياه المتدفقة، ولم تلوث سمعة إنسانيتك. لأنك لست فيلمون بالنسبة للأزهار والأشجار والطيور، بل إنساناً. لكن يا للعزلة، يا للوحشية!

لماذا تضحك، يا فيلمون، لا أستطيع أن أسبرَ أغوارك. ولكن ألا أرى الهواء الأزرق لحديقتك؟ أية ظلال سعيدة تحيط بك؟ هل تفقس الشمس أطيافاً زرقاً وسط النهار حولك؟

هل تضحك يا فيلمون؟ للأسف، أنا أفهمك: لقد أصبحتْ الإنسانية باهتة تماماً بالنسبة إليك، لكن ظلك قد علا من أجلك. كم هو ظل الإنسانية أعظم وأسعد من الإنسانية نفسها! ظلال منتصف النهار الزرقاء للموتى! للأسف، ها هي إنسانيتك، يا فيلمون، أنت معلّم الموتى وصديقهم. هم يقفون متنهدين في ظل منزلك، ويعيشون تحت أغصان أشجارك. يشربون ندى دموعك، ويدفئون أنفسهم بطيبة قلبك، ويجوعون لكلمات حكمتك التي تبدو لهم مليئة بأصوات الحياة. رأيتك، يا فيلمون في ساعة منتصف النهار، عندما كانت الشمس في أعلى سمتها، وقفتَ تتحدث مع ظل أزرق، ودم عالق على جبهته وعذاب مهيب ظلله. أستطيع أن أخمن، يا فيلمون، من كان ضيفك وسط

النهار[751]. كم كنتُ أعمى، أنا الاحمق! هذا أنت، يا فيلمون! لكن من أنا؟ لقد ذهبتُ في طريقي، هززتُ رأسي، ولاحقتني نظرات الناس وبقيت صامتاً. يا للصمت الباعث على القنوط!

يا معلّم الحديقة! أنا أرى شجرتك القاتمة عن بعد وفي الشمس اللامعة. يؤدي شارعٍي إلى الوديان التي يعيش فيها الناس. أنا متسول هائم. وأنا أبقى صامتاً.

إن قتل من سيصبحون أنبياء هو مكسبٌ للناس. إن أردوا جريمة قتل، يمكنهم قتل أنبياءهم المزيفين. إن بقي فم الآلهة صامتاً، فسوف يمكن لكل شخص أن يستمع لكلامه الخاص. من يحبّ الناس يبقى صامتاً. إن لم يعلّم إلا المعلمين المزيفين، فسيقتل الناس المعلمين المزيفين، وسيسقطون في الحقيقة حتى في طريقهم المليء بالخطايا. لن يحلّ النهار إلا بعد أشد الليالي حلكة. لذا غطِ أضواءك وابقَ صامتاً كي يصبح الليل مظلماً وساكناً. إن الشمس تُشرِق بدون عون. فقط من يعرف الساعة الأكثر حلكة يعرف ما هو الضوء.

يا سيد الحديقة، لقد لَمَعَ بستانك السحري لي من بعيد. أنا أبجّل عباءتك المخادعة، يا أب كل الأمل المضلل.[752]

أتابع طريقي برفقة قطعة مصقولة بدقة من الفولاذ، ازدادت صلابتها في عشر نيران، وخبأتها بأمان في ردائي. أنا أرتدي سراً، درعاً من السلاسل تحت معطفي. وبين ليلة وضحاها أصبحت مولعاً بالأفاعي، لقد حللت لغزها. أنا أجلس قربها على الحجارة الساخنة إلى جانب الطريق. وأعرف كيف أمسكُها بدهاء وقوة، تلك الشياطين الباردة التي تلسع أعقاب الغافلين. لقد أصبحت صديقها وعزفتُ على ناي مضبوط برقة. لكنني أزين كهفي بجلودها المبهرة. وبينما كنت أسير في طريقي، صادفت صخرة حمراء

---

[751] (سي إف) أخيولة يونغ من 1 حزيران - يونيو 1916، حيث كان ضيف فيلمون هو المسيح. (راجع الصفحة 551).

[752] ملاحظة يونغ في الهامش الموجود في النسخة المخطوطة بخطّ فني: "تقول الباغافادغيتا: كلما حدث تراجعٌ في القانون وزيادة في الجور أقدم نفسي. ومن أجل إنقاذ التقيّ، ومن أجل دمار فاعلي الشرّ، ومن أجل ترسيخ القانون، أولدُ في كل عصر". هذا الاستشهاد من الفصل 4 الآيات 7-8 من الباغافادغيتا. كريشنا يعلم أرجونا فيما يتعلق بطبيعة الحقيقة.

استلقتْ عليها أفعى عظيمة ذات لون متقرح. وبما أنني تعلمت السحر من فيلمون، فقد أخرجت نايي ثانية وعزفت أغنية سحرية عذبة كي أجعلها تعتقد أنها كانت روحي. وعندما سُحرتْ بشكل كافٍ،[753] تحدثتُ إليها قائلاً: "يا أختاه، يا روحي، ماذا تقولين؟" لكنها قالت متساهلة معي لأنها تشعر بالإطراء: "أنا أترك العشب ينمو فوق كل ما تفعله".

أنا: "يبدو هذا مريحاً لكنك لا تقولين الكثير".

الروح: "أتريدني أن أقول الكثير؟ أستطيع أن أكون مبتذلة كما تعلم، وأدع نفسي أشبع بهذه الطريقة".

أنا: "يبدو هذا صعباً بالنسبة إلي. أعتقد أنك على علاقة وثيقة مع الماوراء[754]، ومع ما هو أعظم وأكثر استثنائية. لذا اعتقدتَ أن الابتذال غريب عنك".

الروح: "الابتذال هو عنصري".

أنا: "سيكون هذا أقل إثارة للدهشة مما سيكون لو قلتُه عن نفسي".

الروح: "كلما كنتَ أكثر استثنائية، أستطيع أن أكون أكثر عادية. وهي فترة راحة حقيقية بالنسبة إلي. أعتقد أنك تستطيع الشعور بأنني لا أحتاج إلى تعذيب نفسي اليوم".

أنا: "أستطيع الشعور بهذا، وأنا قلق من أن شجرتك لن تحمل لي ثماراً بعد الآن".

الروح: "هل تقلق منذ الآن؟ لا تكن غبياً، ودعني أسترح".

أنا: "ألاحظ أنك تتصرفين بابتذال. لكنني لا أستاء منك يا صديقتي العزيزة، بما أنني أصبحت أعرفك الآن أكثر من قبل".

الروح: "أصبحتَ مألوفاً. أخشى أنك بدأت تفقد الاحترام".

أنا: "هل أنت مستاءة؟ أعتقد أنه لا داعي لهذا. أنا أعرف جيداً القرب من الابتذال والحالة المزرية".

---

[753] 29 كانون الثاني - يناير 1914.

[754] من هذا المكان في المجلد المكتوب بخط فني، يصبح تلوين يونغ للأحرف الاستهلالية بالأحمر والأزرق أقل استمرارية. وقد تمت إضافة بعض هذا التلوين من أجل الاستمرارية.

الروح: "إذاً، هل لاحظت أن صيرورة الروح تتبع طريقاً ملتوياً؟ هل رأيت السرعة التي يتحول بها النهار إلى ليل/ والليل إلى نهار؟ كيف تتغير أماكن الماء واليابسة؟ وأن كل شيء متقطع ليس إلا شيئاً تدميرياً؟"
أنا: "أعتقد أنني رأيت كل هذا. أريد أن أستلقي في الشمس على هذا الحجر الدافئ لبعض الوقت. ربما ستحتضنني الشمس".
لكن الأفعى زحفتْ إلي بهدوء ولفّتْ نفسها بسلاسة حول قدمي[755]. لقد حلّ المساء وأتى الليل. وتحدثتُ مع الأفعى وقلت: "لا أعرف ماذا أقول. كل القدور تغلي".
[756]الأفعى: "يتم إعداد وجبة".
أنا: "عشاء أخير، كما أظن؟"
الأفعى: "اجتماعٌ لكل البشرية".
أنا: "فكرة عذبة مريعة: أن أكون ضيفاً وطبقاً في هذه الوجبة"[757].
الأفعى: "تلك كانت متعة المسيح الأسمى أيضاً".
أنا: "كم هو مقدّس،....، كيف أن كل شيء ساخن وبارد، يتدفّقُ أحدهما في الآخر! يريد الجنون والعقل أن يتزاوجا، يرعى الحمل والذئب بسلام جنباً إلى جنب[758]. كل شيءٍ نعم ولا. ويعانق الشيء نقيضه ويصبحان متفاهمين، ويندمجان معاً. إنهما يدركان وحدتهما بمتعة معذبة. إن قلبي مليء بمعركة جامحة. تتدفّق أمواج من أنهار الظلمة والنور معاً، ويطغى أحدها على الآخر. لم أختبر هذا من قبل".
الأفعى: "هذا جديد يا عزيزي، عليك هذا على الأقل".

---

[755] هذا السطر ليس في الكتاب الأسود 4، حيث ليس هناك ما يؤشر إلى أن الصوت صادر من الأفعى.

[756] 31 كانون الثاني - يناير 1914.

[757] في "وحدة الأسرار المقدسة" (56/1955) كتب يونغ: "إن تمّ شفاء النزاع المُسقَط فيجب أن يعود إلى روح الفرد، حيث كانت بداياته بشكل لاواعٍ. ومن يريد أن يكون سيد هذا الانحدار، عليه أن يحتفل بعشاء أخير مع نفسه، ويأكل لحمه ويشرب دمه الخاصين، وهذا يعني أن عليه أن يقرّ بالآخر في نفسه ويقبلَ به" (الأعمال الكاملة 14، 512).

758 في أشعيا 11: 6 : "فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا."

أنا: "أظن أنك تهزأين بي. لكن الدموع والضحك واحد[759]. لم أعد أشعر برغبة بأي منهما، وأنا متصلّب بسبب التوتر. تصل المحبّة إلى السماء وتصل المقاومة إلى العلو نفسه. إنهما متضافرتان، ولن تفلت إحداهما الأخرى، بما أن التوتر الشديد، يشير إلى الإمكانية الأقصى للشعور".

الأفعى: "أنت تعبّر عن نفسك عاطفياً وفلسفياً. أنت تعرف أنه بوسع المرء أن يقول هذا كله ببساطة أكبر. مثلاً، يمكن للمرء أن يقول إنك وقعت في الحبّ بدءاً من الدودة وحتى تريستان وإيزولده[760]".

أنا: "نعم، أعرف، لكن على الرغم من ذلك..."

الأفعى: "لا يزال الدين يعذبك، كما يبدو؟ كم درعاً تحتاج؟ من الأفضل كثيراً أن تقول هذا بشكل مباشر".

أنا: "أنت لن تجعليني أتعثر".

الأفعى: "حسنٌ، ماذا حلّ بالأخلاق؟ هل أصبح الأخلاقي واللاأخلاقي واحداً أيضاً اليوم؟"

أنا: "أنت تهزئين بي يا أختي وشيطاني من العالم السفلي. يجب أن أقول إن هذين الاثنين اللذين ارتقيا متضافرين إلى السماء هما أيضاً خير وشر. أنا لا أمزح لكنني أتأوه، لأن الفرح والألمِ يصرخان معاً".

الأفعى: "أين هو فهمك إذاً؟ لقد أصبحتَ غبياً بشدة. وفي النهاية، كان بوسعك أن تحلّ كل شيء بالتفكير".

أنا: "فهمي؟ تفكيري؟ لم يعد لدي أي فهم. لقد أصبح منيعاً عليّ".

الأفعى: "أنت تُنكِرُ كل ما آمنت به. لقد نسيتَ تماماً من تكون. حتى أنك تُنكِرُ فاوست، الذي مرّ بكل الأطياف بهدوء".

---

[759] ملاحظة يونغ الهامشية في المجلد المكتوب بخط فني: "XIV AUG. 1925". يبدو أنها تشير إلى تاريخ نسخ هذه الفقرة إلى المجلد المكتوب بخط فني. وفي خريف عام 1925، ذهب يونغ إلى أفريقيا مع بيتر باينز وجورج بيكويث. وقد غادروا انكلترا في 15 تشرين الأول - أكتوبر وعاد إلى زيورخ في 14 آذار - مارس 1926.

[760] رواية من القرن الثاني عشر عن قصة حبّ خائنة بين الفارس الكورنيشي تريستان والأميرة الايرلندية إيزولدة، وقد أعيدت روايتها بنسخ متعددة، وحتى في أوبرا فاغنر، التي أشار إليها يونغ كمثال عن النموذج الرؤيوي للإبداع الفني ("علم النفس والشعر" 1930، الأعمال الكاملة 15، 142).

أنا: "لم أعد مهتماً بهذا. إن روحي هو طيف أيضاً".
الأفعى: "آه، فهمت، أنت تتبع تعاليمي".
أنا: "لسوء الحظ، هذا ما يحدث، وقد أفادني في حالة فرحي المؤلم".
الأفعى: "أنت تحوّل ألمك إلى متعة. أنت منحرف وأعمى، وعليك أن تعاني فقط أيها الأحمق".
أنا: "يجب أن تجعلني هذه المحنة سعيداً".

أصبحت الأفعى الآن غاضبة وحاولتْ أن تعضّ قلبي، لكن درعي السريّ كسر نابها السام[761]. انسحبت مذهولة وقالت وهي تفحّ: "أنت تتصرّف كما لو أنك شخص عصيّ على الفهم".
أنا: "هذا لأنني درستُ فن الانتقال بين القدم اليسرى واليمنى، وهو ما فعله الآخرون دون تفكير من الزمن السحيق".

رفعت الأفعى نفسها ثانية، كما لو أنها تضعُ ذيلها أمام فمها صدفة، كي لا أرى نابها المكسور. وقالت بفخر وهدوء[762]: "إذاً فقد لاحظتَ هذا أخيراً؟" لكنني كلمتها وأنا أبتسم وقلتُ: "خط الحياة المتعرج لا يمكن أن يفوتني على المدى الطويل".

أين الحقيقة والإيمان؟ أين الثقة الدافئة؟ أنت تجد هذا كله بين البشر، لكن ليس بين البشر والأفاعي، حتى وإن كانت الأفاعي أرواحاً. لكن حيث يكون الحبّ، يسكن شبيه الأفعى أيضاً. إن المسيح ذاته قد قارن نفسه بالأفعى[763]. وأخوه الجهنمي، المسيح الدجال، هو ذاته تنين عجوز[764]. إن ما وراء الإنسان، وما يظهر في الحبّ، له طبيعة الأفعى والطائر، وغالباً ما تسحر الأفعى الطائر، ونادرا ما يُبعِدُ الطائر الأفعى. إن الإنسان يقف في الوسط. وما يبدو أشبه بطائر بالنسبة إليك هو أفعى بالنسبة للآخر، وما يبدو لك أشبه

[761] هذه الجملة ليست في الكتاب الأسود 4.
[762] هذه الجملة ليست في الكتاب الأسود 4.
[763] علّق يونغ على مقارنة المسيح بالأفعى في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" (1912)، الأعمال الكاملة ب، 585 وفي "أيون" (1950) الأعمال الكاملة 9، 2، 291.
[764] (سي إف)، "تحولات الليبيدو ورموزه"، (1912)، الأعمال الكاملة ب، 585.

بأفعى هو طائر بالنسبة للآخر. لذا ستلتقي بالآخر في الهيئة البشرية فقط. إن أردت أن تصير، فستندلع معركة بين الطائر والأفعى. وإن أردت أن تكون فقط، فستكون إنساناً لنفسك وللآخرين. من يصير، ينتمي إلى الصحراء أو السجن، لأنه وراء الإنساني. إن أراد الناس أن يصيروا، فسوف يتصرفون كالحيوانات. لا أحد ينقذنا من شرّ الصيرورة، ما لم نختر عبور الجحيم.

لماذا تصرفتُ كما لو أن الأفعى هي روحي؟ يبدو أن السبب الوحيد هو أن روحي كانت أفعى. لقد منحت هذه المعرفة روحيَ وجهاً جديداً، وقررتُ أن أفتنها بنفسي منذ الآن فصاعداً وأخضعها لقوتي. إن الأفاعي حكيمة، وأريدُ من روحي الأفعى، أن تمنحني حكمتها. لم تكن الحياة يوماً مليئة بهذا القدر من الارتياب، هناك ليل من التوتر الذي لا هدف له، واتحاد في توجيه واحد ضد الآخر. لم يتحرك أي شيء، لا الإله ولا الشيطان. ولذلك اقتربتُ من الأفعى التي تستلقي في الشمس، كما لو أنها لا تفكّر. لم تكن عيناها مرئيتين لأنهما كانتا تطرفان في أشعة الشمس الوامضة. و تحدثتُ إليها[765]: "...... هل هما متّفقان على إيقاف الحياة؟ هل كان نزاع المتناقضات من شروط الحياة التي لا يمكن تجنبها؟ وهل يقفُ ساكناً من يفهم هذا ويعيش وحدة المتناقضات؟ من أخذ جانب الحياة الحقيقية بشكل كامل، ومن لم يعد يتصرّف كما لو أنه ينتمي إلى أحد الفريقين وعليه أن يتعارك مع الآخر، بل أنه من الفريقين معاً وقد أنهى خصامهما. هل من خلال أخذه هذا العبء من الحياة؟[766]"

التفتت الأفعى وقالت باستياء: "أنت تزعجني حقاً. لقد كانت المتناقضات عنصراً للحياة بالنسبة إلي بالتأكيد. ربما لاحظتَ هذا. إن ابتكاراتك تحرمني من مصدر القوة هذا. أنا لا أستطيع أن أجذبكَ عبر الشفقة ولا أن أزعجكَ عبر الابتذال. أنا محتارة بشكل ما".

---

[765] 1 شباط - فبراير 1914.

[766] يوجد في الكتاب الأسود 4 أيضاً: "أقدمُ لك هذين السؤالين اليوم، يا روحي" (الصفحة 91). هنا، تُستبدل الأفعى بالروح.

أنا: "هل أقدم لك العزاء إن كنتِ محتارة؟ أفضّل أن تغوصي إلى أعمق الأعماق التي يمكنكِ أن تصلي إليها وتسألي هاديس[767] أو المقدسين، ربما يمكن لأحد هناك أن يمنحك العزاء".

الأفعى: "لقد أصبحتَ متغطرساً".

أنا: "الضرورة أكثر تغطرساً مني. يجب أن أعيش وأتمكن من الحركة".

الأفعى: "لديك الأرض الواسعة كلّها. لماذا تطلبُ الماوراء؟"

أنا: " ليس الفضول ما يدفعني لذلك، بل الضرورة. أنا لن أستسلم".

الأفعى: "أنا أطيعكَ، ولكن على مضض. إنه أسلوبٌ جديدٌ ولستُ معتادة عليه".

أنا: "أنا آسف، لكن هناك حاجة ماسّة. أخبري الأعماق أن الاحتمالات لا تبدو في صالحنا لأننا حرمنا عضواً هاماً من الحياة. كما تعرفين، أنا لست المذنب، فأنت قد قُدتني بعناية على هذا الطريق".

الأفعى: [768] "كان بوسعك أن ترفض التفاحة".

أنا: "توقفي عن هذه الدعابات. أنت تعرفينَ هذه القصة أكثر مني. أنا جاد. نحتاج إلى بعض الهواء. انطلقي في طريقكِ وأحضري النار. لقد أحاطتْ بي الظلمة لوقت أطول مما أحتملْ. هل أنت متكاسلة أم جبانة؟"

الأفعى: "سأنطلق إلى عملي. خذ مني ما أحضره[769]".

وببطء، هبطَ العرش ..... إلى فضاء فارغ، وتبعه الثالوث المقدّس والسماء كلها، ومن ثم الشيطان نفسه. لقد قاومَ وتعلّقَ بالماوراء. ورفضَ إفلاته. إن العالمَ العلوي بارد جداً بالنسبة إليه.

الأفعى: "هل أمسكتَ به جيداً؟[770]"

أنا: "أهلاً بكَ، أيها الشيء الساخن القادم من الظلام! ربما جذبتكَ روحي إلى الأعلى بخشونة؟"

---

[767] هو إله العالم السفلي في المثيولوجيا الإغريقية – المترجمان

[768] الكتاب الأسود 4: "أنت تلعب لعبة آدم وحواء معي" (الصفحة 93).

[769] ملاحظة يونغ على الهامش في مجلد الخط الفني: "Visio".

[770] الكتاب الأسود 4 :"زحف الشيطان من حفرة مظلمة بقرون وذيل، وسحبته باليدين" (الصفحة 94).

الشيطان[771]: "لِمَ هذا الضجيج؟"
أنا: "اهدأ. لم أتوقع حضورك. أتيت آخر الجميع. يبدو أنك الجزء الأصعب".
الشيطان: "ماذا تريد مني؟ أنا لا أحتاج إليك أيها الوقح".
أنا: "أمرٌ جيدٌ أننا حظينا بك. أنت الشيء الأكثر حياة في العقيدة كلها"[772].
الشيطان: "بمَ تهمني ثرثرتك! تكلم بسرعة. أنا أتجمد".
أنا: "اسمع، حدث شيء ما لنا: لقد وحّدنا المتناقضات. ومن بين أشياء أخرى كثيرة، ربطناك بالإله"[773].
الشيطان: "بحق الإله، لِمَ هذه الجلبةِ الرهيبة؟ لم هذا الهراء؟"
أنا: "أرجوك، لم يكن هذا غباء كبيراً. هذا الاتحاد مبدأ ضروري. أوقفنا العراك الذي لا ينتهي، لنصبح متفرغين لعيش الحياة الحقيقية".
الشيطان: "تفوحُ رائحةُ الأحاديّة من هذا الكلام. لقد لاحظتُ بعض هؤلاء البشر بالفعل. تم تسخين حجرات خاصة من أجلهم".
أنا: "أنت مخطئ. الأمور ليست منطقية كما تبدو بالنسبة إلينا[774]. ليس لدينا أي حقيقة صحيحة أيضاً. وبدلاً من ذلك، حدثت حقيقةٌ مميزة وغريبة: بعد أن اتحدت المتناقضات، لم يحدث أي شيء بشكل غير متوقعٍ ومتعذر على الفهم. لقد بقي كل شيء في مكانه بسلام، لكنه أصبح خاملاً تماماً، وتحوّلت الحياة إلى سكون مطلق".
الشيطان: "نعم، أيها الحمقى، لقد أفسدتم الأمور بشدة".
أنا: "حسن، سخريتك ليست ضرورية. كانت نوايانا جادة".
الشيطان: "لقد سببتْ جدّيتكم المعاناة لنا. لقد اختلّ نظام الماوراء من أساساته".

---

[771] المتحدث هو الشيطان (**المكتوب باللغة الانكليزية هو الحرف S الذي هو الحرف الأول من soul أو الروح و serpent أو الأفعى وsatan أي الشيطان ـ المترجمان).**

[772] لمراجعة نقاش يونغ عن أهمية الشيطان، راجع "جواب العمل" (1952)، الأعمال الكاملة 2.

[773] لقد ناقشَ يونغ قضية اتحاد المتناقضات مطولاً في "النماذج السيكولوجية" (1921)، الفصل 6. "مشكلة النموذج في الفن الشعري". اتحاد المتناقضات يحدث من خلال إنتاج رمز المصالحة.

[774] في الكتاب الأسود 4 كُتب بدلاً من ذلك هذه الجملة: "ليست الأمور فكرية وأخلاقية عامة بالنسبة إلينا في الأحادية" (الصفحة 96). الإشارة هنا إلى نظام إرنست هيغل الأحادي، الذي انتقده يونغ.

أنا: "أنت تعرفُ إذاً أن الأمور خطيرة. أريد جواباً على سؤالي، ماذا يجب أن يحدث في هذه الظروف؟ لم نعد نعرف ما علينا فعله".

الشيطان: "حسن، يصعبُ أن نعرف ما يجب فعله، ويصعبُ أن نقدّم نصيحة حتى إن كان بوسع المرء تقديمها. أنتم حمقى عميان، وأشخاص وقحون متهورون. لماذا لم تبقوا بعيداً عن المشاكل؟ كيف تريد أن تفهم ترتيب العالم؟"

أنا: "يوحي تذمّرك بأنك متضرر بشدة. اسمع، يأخذ الثالوث المقدّس الأمر بهدوء. يبدو أنه لا يكره هذا الابتكار".

الشيطان: "إن الثالوث المقدّس لا عقلانيٍ إلى درجة لا يستطيع فيها المرء أن يثقَ بردود أفعاله أبداً. أنصحكَ بشدّة ألا تأخذ هذه الرموز بجدّية"[775].

أنا: "أشكركَ على هذه النصيحة التي قدمتها يحسن نية. لكن يبدو أنك مهتمّ. ويمكن أن يتوقع منك المرء أن تعطي حكماً غير متحيّز بسبب ذكائك الذي يضرب به المثل".

الشيطان: "أنا، غير متحيز! تستطيع أن تحكمِ بنفسك. إن فكّرت بهذه الحقيقة المطلقة باتزان جامد مطلق، يمكنكَ أن تكتشف بسهولة أن الحالة والسكون الذي أنتجه تعجرفك، يشبه كثيراً المطلق. لكن إن قدمتُ لك النصيحة، أضع نفسي إلى جانبك تماماً، بما أنك أنت أيضاً تجد أن هذا السكون لا يُحتَمَل".

أنا: "ماذا؟ أنت تقف إلى جانبي؟ هذا غريب".

الشيطان: "هذا ليس غريباً. كان المطلقُ مناوئاً للعيش دوماً. أنا ما زلتُ السيد الحقيقي للحياة".

أنا: "هذا مثير للريبة. إن ردّة فعلك شخصيّة إلى أقصى درجة".

الشيطان: "ردّة فعلي ليست شخصيّة أبداً. أنا قلقٌ بشدة، وأستعجل الحياة بسرعة. أنا لا أشعرُ بالقناعة، ولستُ رابط الجأش أبداً. أنا أدمّر كل شيء

---

[775] (سي إف) يونغ: "محاولة في التفسير السيكولوجي لعقيدة الثالوث" (1949)، الأعمال الكاملة 2.

وأعيدُ بناءه بسرعة. أنا الطموحُ والطمعُ بالشهرة، والشهوةُ للنشاط، أنا أزيزُ الأفكار والأفعال الجديدة. إن المطلق مملٌّ وأشبه بالغيبوبة".

أنا: "حسن. أنَا أصدقك. إذاً ـ بماذا تنصح؟"

الشيطان: "إن أفضلَ نصيحةٍ يمكنني تقديمها لك هي: تراجع عن ابتكاركَ المؤذي بالكامل، في أسرع وقت ممكن".

أنا: "وما المكسبُ في هذا؟ سوف نضطرّ إلى البدء من الصفر ثانية وسنصل إلى الاستنتاج نفسه مرة أخرى بدون شكّ. إن ما فهمه المرء مرة، لا يمكنه أن ينساه ولا أن يحذفه عمداً. إن نصيحتك لا تنفع".

الشيطان: "لكن هل بوسعك أن تكون موجوداً من دون الانقسام والشقاق؟ عليك أن تنشغل بأمر ما، أن تمثّل حزباً، وأن تتغلب على الخصوم، إن أردتَ أن تعيش".

أنا: "هذا لا يفيد. كلٌّ منا يرى الآخر في الخصم أيضاً. لقد سئمنا من هذه اللعبة".

الشيطان: "وكذلك من الحياة".

أنا: "يبدو لي أن الأمر يعتمدُ على ما تسمّيه حياة. إن فكرتكَ عن الحياة لها علاقة بالبناء والهدم، بالتأكيد والشك، بأن تسير مثقلاً بحملك بنفاد صبر، وبرغبة مستعجلة. أنت تفتقدُ المطلق وصبره المتسامح".

الشيطان: "صحيح تماماً. إن حياتي ترغي وتزبدُ وتحركُ الموجات المضطربة، إنها تتألف من الإمساك والرمي، والرغبة الملحّة والقلق. هذه هي الحياة، أليست كذلك؟"

أنا: "لكن المطلق يعيش أيضاً".

الشيطان: "هذا ليس حياة. إنه سكون أو ما يشبه السكون، أو بالأحرى: إنه يعيش ببطء لانهائي ويهدر آلاف السنوات، مثل الحالة المريعة التي خلقتها".

أنا: "أنت تُنيرني. أنت حياة شخصية، لكن السكون الظاهر هو حياة الأزلية المتسامحة، حياة الألوهية! لقد قدّمت لي نصيحة جيدة هذه المرّة، وسوف أدعك ترحل، وداعاً".

زحفَ الشيطان برشاقة مثل خلد عاد إلى جحره. وارتفعَ رمز الثالوث وتوابعه بسلام واتزان إلى السماء. أنا أشكركِ أيتها الأفعى لأنك أحضرتِ إلي الشيءٍ المناسب. يفهمُ الجميع كلماته، بما أنها شخصية. يمكننا العيش معاً حياة طويلة. يمكننا هدر آلاف السنين.

من أين عليّ أن أبدأ أيتها الآلهة؟ بالمعاناة أم بالفرح، أم بالشعور المزيج الذي يكمن بينهما؟ إن البداية تكون الأصغر دوماً، وهي تبدأ باللاشيء. إن بدأتُ هناك، فإنني أرى القطرة الصغيرة من "شيء ما" تسقط في بحر اللاشيء. الأمر يتعلق دوماً بالبداية من جديد، حيث يفتح اللاشيء نفسه إلى حرية غير مقيدة[776]. لم يحدث شيء بعد، لكن العالم سيبدأ، لم تولد الشمس بعد، والقبة السماوية المائية لم تنفصل بعد[777]، لم نتسلق بعد أكتاف آبائنا، بما أن آباءنا لم يصيروا بعد. لقد ماتوا للتو، وهم يستريحون في رحم قارتنا أوروبا المتعطشة للدماء.

نقف في الرحابة الواسعة، ونُزَفّ للأفعى، ونفكّر في الحجر الذي يمكنه أن يكون حجر أساس البناء، والذي لا نعرفه بعد. هل الأكثر قدماً، مناسب كرمز؟ نريد شيئاً يمكننا الإمساك به. نحن سئمون من الشِباكِ التي يحيكها النهار ويفتقها الليل، ويُفتَرَضُ على الأرجح أن يخلقها الشيطان المتحزّب الدنيء، صاحب الإدراك المخادع واليدين الجشعتين. لقد انبعثَ من كتلة الروثِ التي وضعت الآلهة بيوضها فيها. أنا أرغبُ بركل هذه القمامة بعيداً عني، لو لم تكن البذرة الذهبية موجودة في القلب الشرير للهيئة العوجاء.

انهض إذاً يا ابن الظلام والزنخ! كم تتمسكُ بثباتٍ بحطام البالوعة الأزلية ونفايتها! أنا لا أخشاك لكنني أكرهك، أنت أخو كل شيء مستَهجن بالنسبة إلي. سوف تُضرَبُ اليوم بمطارقَ ثقيلة كي يتناثر ذهب الآلهة خارج جسدك. لقد انتهى أوانك، وأصبحت سنواتك معدودة، كما

---

[776] هذا السطر يرتبط مع بداية العظة الأولى في "السبر العميق".

[777] إشارة إلى رواية الخلق في سفر التكوين.

تحطّم الآن يوم دينونتك إلى شظايا. عسى أن تتحطّم أغلفتك، نحن نريد أن نمسك بذرتك الذهبية بأيدينا، ونحررها من الوحل الزلق. عسى أن تتجمد، أيها الشيطان، بما أننا سنطرقك بالبرد. إن الفولاذ أقسى من الجليد. سوف تتسع هيئتنا لك يا لصّ الأعجوبة الإلهية، أنت من تحشو جسدك ببيضة الآلهة وبهذا تجعل نفسك ثقيلاً. ولذلك نحن نلعنك، لكن ليس بسببك، بل من أجل البذرة الذهبية.

أية هيئات مفيدة تخرج من جسدك؟ تبدو تلك الهيئات وكأنها أرواحُ بدائيين يرتدون الملابس المجعّدة من آلهة الكابيري بأشكالهم العوجاء البهيّة. يافعون لكنهم عجائز، أقزام وذابلون وحاملون للفنون السريّة، أولياء الحكمة المنافية للعقل، والتشكيلات الأولى للذهب غير المتشكل، ديدانٌ تزحف من البيضة المحررة للآلهة، أوليون غير مولودين لكنهم مرئيون. كيف سيكون مظهركم بالنسبة إلينا؟ أية فنون جديدة تحملون من حجرة الكنز التي لا يمكن الوصول إليها، هل هو نير الشمس من بيضة الآلهة؟ ما زالت لديكم جذورٌ في التربة مثل النباتات، وأنتم الوجوه الحيوانية للجسم البشري، أنتم لطيفون بشكل أحمق، وخارقون للطبيعة، وبدائيون وأرضيون. لا يمكننا فهم جوهركم أيها الأقزام الخرافيون، يا أرواح الأشياء. ينتمي أصلكم إلى الأدنى. أتريدون أن تصبحوا عمالقة، وأنتم مجرد دمى؟ هل أنتم من أتباع ابن الأرض؟ هل أنتم الأقدام الأرضية للألوهة؟ ماذا تريدون؟ تكلموا[778]!

[778] كان الكابيري هم الآلهة الذين يحتفلون بأسرار الساموثريس. كانوا مروجين للخصب، وحماة للبحارة. وصفهم فريدريش كروزر وشيلنغ بأنهم الآلهة الأوليّة للميثولوجيا الإغريقية، ومنهم تطور الآلهة الآخرون جميعاً (Symbolik und Mythologie der alten Völker [ليبزيغ: ليسك، 1810، 23]، آلهة الساموثريس [1815]، ترجمة وتقديم آر إف براون [ميسولا، إم تي: مطبعة سكولارز، 1977]). لقد نسخ يونغ هذين العملين كليهما. وهما يظهران في "فاوست" لغوته في الجزء الثاني الفصل الثاني. لقد ناقش يونغ الكابيري في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه (1912، الأعمال الكاملة ب، 209-11). وقد كتب يونغ في عام 1940:"الكابيري هم في الواقع، القوى الخلاقة السريّة، الأقزام الخرافية التي تعمل تحت الأرض، أي تحت عتبة الوعي، كي تزودنا بالأفكار المحظوظة. لكنها مثل العفاريت والغيلان، فهي تقوم ايضاً بأنواع مختلفة من الحيلة البشعة، وتخفي الأسماء والتواريخ التي تكون على طرف اللسان، وتجعلنا نقول الكلام غير المناسب وغير

الكابيري: "أتينا لتحيتك كسيد للطبيعة الدنيا".

أنا: "هل تتحدثون معي؟ هل أنا سيدكم؟"

الكابيري: "لم تكن كذلك، لكنك أصبحت سيدنا الآن".

أنا: "هذا ما تعلنونه. فليكن. لكن ماذا سأفعل باتباعكم لي؟"

الكابيري: "نحن نحمل ما لا يجب حمله من الأسفل إلى الأعلى. نحن العصائر التي ترتفع سراً، ليس بالقوة، بل يتم رشفها بسبب العطالة وإلحاقها بما ينمو. نحن نعرف الطرق المجهولة والقوانين التي لا تُفسر للمادة الحيّة. نحن نحمل للأعلى ما ينام في الأرضيّ، ما هو ميّت لكنه يدخل إلى الحي. نحن نفعل ما تفعله عبثاً بطريقتك الإنسانية، ببطء وسهولة. نحن ننجز المُحال من أجلك".

أنا: "ماذا يجب أن أترك لكم؟ أية مشاكل أستطيع نقلها إليكم؟ وماذا عليّ ألا افعل، وما هي الأشياء التي تجيدونها أكثر؟"

الكابيري: لقد نسيتَ خمول المادة. أنت تريد بقوّتك الشخصية أن ترفع إلى الأعلى ما لا يرتفعُ إلا ببطء، وما يهضم نفسه، ويُلصق بنفسه من الداخل. وفّر العناء على نفسك وإلا فسوف تسيئ لعملنا".

أنا: "هل يجب أن أثق بكم وأنتم لستم جديرين بالثقة، أيها العبيد وأرواح العبيد؟ ابدأوا العمل. ليكن ذلك".

[779]"يبدو لي أنني منحتكم الكثير من الوقت. أنا لم أنزل إليكم ولم أقاطع عملكم. لقد عشتُ في ضوء النهار وقمتُ بعمل النهار. ماذا فعلتم أنتم؟"

الكابيري: "لقد سحبنا الأشياء إلى الأعلى وبنينا. وضعنا حجراً فوق حجر. وأنت تقف الآن على أرض صلبة".

ذلك. إنها تراقب كل شيء لم يتم توقعه من قبل الوعي والوظائف التي في متناوله... يُظهِرُ التعمّق الأكبر أن الخصائص الأولية والقديمة للوظيفة الدونية، تخفي كل أنواع العلاقات الهامة والمعاني الرمزية، وبدلاً من الهزء بالكابيري كدمى سخيفة، ربما يبدأ بالشك بأنها موطن كنز الحكمة الخفية" ("محاولة في التفسير السيكولوجي لعقيدة الثالوث" الأعمال الكاملة 11، 244). وقد علّق يونغ على مشهد الكابيري في فاوست في كتاب "علم النفس والخيمياء" (1944، الأعمال الكاملة 12، 203 ف). إن الحوار بين الكابيري الذي يحدث هنا لا يوجد في الكتاب الأسود 4، لكنه يظهر في النسخة المكتوبة بخط اليد. ربما كُتب بشكل منفصل، إن كان هذا ما حدث فسيكون قد كُتب قبل صيف 1915.

[779] ملاحظة يونغ الهامشية في مجلد الخط الفني هي: "بعد ذلك وضعت الموضوع جانباً لثلاثة أسابيع"

أنا: "أشعر أن الأرض أكثر صلابة. أنا أمتدّ إلى الأعلى".
الكابيري: "لقد صنعنا لك سيفاً وامضاً، يمكنكَ أن تقطع به العقدة التي تشبكك".
أنا: "أنا أمسكُ السيف بثبات في يدي. وأرفعه لأقوم بالضربة".
الكابيري: "لقد وضعنا أيضاً أمامك العقدة الشيطانية المحبوكة بمهارة، والتي تسجنك. اضرب، لا يمكن إلا لحد السيف أن يقطعها".
أنا: "دعوني أرى تلك العقدة العظيمة المشبوكة جيداً! إنها قطعةٌ فنيةٌ من طبيعةٍ غامضة بحق، وتشابكٌ طبيعيٌ ماكرٌ للجذور التي نما أحدها عبر الآخر! لا يمكنِ إلا للطبيعةِ الأم الحائكة العمياء، أن تصنع تشابكاً كهذا! إنها كرة معقدة عظيمة فيها ألف عقدة صغيرة متشابكة بشكل فنيّ، إنها دماغٌ بشري بحق! هل أرى جيداً؟ ماذا فعلتم؟ لقد وضعتم دماغي أمامي! هل أعطيتموني سيفاً كي يقطع حده الوامض دماغي؟ ما الذي كنتم تفكرون به؟[780]
الكابيري: "لقد نسجَ رحمُ الطبيعةِ الدماغَ، ومنحَ رحمُ الأرضِ الحديد. ولهذا فقد منحتكَ الأم الأمرين: التشابك والقطع".
أنا: "هذا غامض! أتريدون تحويلي إلى جلّاد يقتل دماغه الخاص؟"
الكابيري: "هذا يناسبك كسيد للطبيعة الدنيا. إن الإنسان عالقٌ بتشابك دماغه، وقد أُعطي السيف أيضاً كي يقطع التشابك".
أنا: "أي تشابكٍ تتحدثون عنه؟"
الكابيري: "إن التشابكَ هو جنونك، والسيف هو أن تتغلّب على الجنون"[781].
أنا: "يا ذريّة الشيطان، من قال لكم إنني مجنون؟ يا أرواح الأرض، إنكم تمدّون جذوراً من الطين والغائط، ألستم أنتم ألياف الجذر التي

---

[780] في كتاب "رمزية التحوّل في القدّاس" (1941) كتب يونغ أن موضوع السيف لعب دوراً هاماً في الخيمياء، وناقش معناه كأداة للتضحية، ووظيفة للفصل والتسبّب بالشقاق. لقد كتب أن "يجلب السيف الخيميائي solutio or separatio elementorum (العناصر الفاصلة أو المذيبة)، وبهذا يستعيد حالة الفوضى الأصلية، بحيث يمكن إنتاج جسم جديد وأكثر كمالاً بأشكال انطباعية أو تخيلية) جديدة" (الأعمال الكاملة 2، 357 وف ف).

[781] إن فكرة التغلّب على الجنون هنا مشابهة لتفريق شيلينغ بين الشخص الذي يقهره الجنون، والشخص الذي يتمكن من التحكم بالجنون (راجع الملاحظة 89. الصفحة 149).

تشكّل دماغيٍ؟ أيها التافهون الذين يضعون الأشراك وأقنية العصارة متشابكة معاً، أنتم تستحقون الحد الوامض لسيفي. تريدون إقناعي بأن أقطعكم؟ هل تفكّرون بتدمير أنفسكم؟ كيف أنجبت الطبيعة مخلوقات تريد هي نفسها أن تدمّرها؟"

الكابيري: "لا تتردد. نحن نحتاج إلى الدمار بما أننا نحن أنفسنا التشابكْ أيضاً. من يريد غزو بلاد جديدة، يقوم بتحطيم الجسور خلفه. عليك أن تمنعنا من الوجود بعد الآن. نحن الألف قنال التي يتدفق فيها كل شيء عائداً إلى أصوله".

أنا: "هل أقطع جذوري، وأقتل شعبي الذي أنا ملكٌ عليه؟ هل أترك شجرتي تذوي؟ أنتم حقاً أبناء الشيطان".

الكابيري: "اضرب، نحن عبارة عن خدمٍ يريدون الموت من أجل سيدهم".

أنا: "ماذا سيحدث إن ضربت؟"

الكابيري: "حينها لن تبقى أنت عبارة عن دماغكَ بل ستصبح ما وراء جنونك. ألا ترى أن جنونك هو دماغك؟ ألا ترى التشابك المريع والتداخل في ارتباط الجذور، وفي شِباكِ الأقنية، في فوضى الألياف؟ إن انهماكك في الدماغ يجعلك جامحاً. اضرب! من يجد الطريق، يرتقي فوق دماغه. أنت مثل (توم ثامب) في الدماغ، وعندما تصبح ما وراء الدماغ، تتخذ هيئة عملاق. نحن أولاد الشيطان فعلاً، لكن ألم تقم بتشكيلنا مما هو مظلم وقاتم؟ وبحيث يكون لدينا شيء من طبيعته ومن طبيعتك. يقول الشيطان إن كل شيء موجود له قيمة أيضاً، بما أنه يضمحلّ. نحن كأبناء للشيطان، نريد الدمار، لكن بما أننا مخلوقاتك، نريد دمارنا الخاص. نريد أن نُبعث فيك من خلال الموت. نحن جذور تمتصّ من كل الجوانب. لديك الآن كل ما تحتاج إليه، لذا اقطعنا، مزّقنا".

أنا: "هل سأفتقدكم كخدم لي؟ بما أنني سيد فأنا أحتاج إلى العبيد".

الكابيري: "السيد يخدم نفسه".

أنا: "يا أبناء الشيطان الغامضين، هذه الكلمات هي دماركم. عسى أن يضربكم سيفي، ستكون هذه الضربة صالحة إلى الأبد".
الكابيري: "ويلاه، ويلاه! ما خشيناه وما رغبنا به، قد حدث".
لقد وطِئت أرضاً جديدة. لا ينبغي لشيء ارتفعَ أن يتدفّق عائداً إلى الأسفل. ولن يهدم أحد ما بنيته. إن برجي مصنوع من الحديد وليس فيه خطوط اتصال. لقد تم دمج الشيطان في الأساسات. وقد بناه الكابيري، وتمت التضحية ببنّائين عظماء بحد السيف على شرفات البرج. وكما يعلو برجٌ قمةَ جبل ينتصبُ عليها، كذلك أقف فوق دماغي الذي نشأتُ منه. لقد أصبحتُ صًلباً ولم يعد بالإمكان تفكيكي ثانية. لم أعد أتدفّق عائداً إلى الأسفل. لقد أصبحتُ سيد نفسي، وأنا مُعجَبٌ بسيطرتي. أنا قوي وجميل وثري. لقد انبسطت أمامي الأراضي الشاسعة والسماء الزرقاء، وانحنت أمام سيطرتي. أنا لا أخدمُ أحداً ولا أحد يخدمني. أنا أخدم نفسي وأنا نفسي أُخدَم. وبهذا أصبح لدي ما أحتاج إليه[782].
أصبح برجي بعد آلافٍ من السنين غير قابل للتلف، وهو لن يغوص إلى الأسفل ثانية. لكن من الممكن الإضافة عليه وقد تمت الإضافة عليه. إن قلّة من الناس يفهمون برجي بما أنه ينتصبُ على جبل عال. لكنّ الكثيرين سيرونه ولن يفهموه، ولهذا فلن يتمّ استخدامه أبداً. لا أحًد يتسلّق جدرانه المصقولة، ولا أحد يحطّ على سقفه المدبّب. يمكنُ فقط لمن يستطيع العثور على المدخل المخفيّ في الجبل، ويستطيع المضيّ عبر متاهة الأحشاء، أن يصل إلى البرج. تنتظرُ السعادة من يرى الأشياء من هناك، ومن يعيش من نفسه. لقد تم تحقيق هذا الأمر وخلقه.

[782] ملاحظة يونغ الهامشية في مجلد الخط الفني هي: " accipe quod tecum est. in collect. Mangeti in ultimis paginis" (اقبل ما هو حاضر. في الصفحات الأخيرة من مجموعة مانيتي). يبدو أن هذا يشير إلى كتاب Bibliotheca chemica curiosa, seu rerum ad alchemiam pertinentium thesaurus instructissimus لـ جي جي مانيت (1702) وهي مجموعة من النصوص الخيميائية. لقد كان يونغ يملك نسخة من هذا الكتاب، وكان يضع فيها بعض قصاصات الورق وبعض الإشارات. ربما تشير ملاحظة يونغ إلى الرَّوسَمُ الخشبي الأخير من Mutus Liber الذي ينهي المجلد الأول من Bibliotheca chemica curiosa، وهو تمثيل لاكتمال العمل الخيميائي، حيث يتم رفع إنسان للأعلى من قبل الملائكة، بينما يقبع آخر ساجداً.

هو لم ينشأ من رفع الأفكار البشرية، بل تم تشكيله من الحرارة الوهّاجة للأحشاء، لقد حملَ الكاليبيري أنفسهم المواد إلى الجبل، وكرّسوا المبنى بدمائهم ليصبحوا الحرّاس الوحيدين لسرّ أصوله. لقد بنيت هذا البرج من الماوراء الأدنى والأعلى، وليس من سطح هذا العالم. ولهذا فهو جديدٌ وغريبٌ، وهناك أبراجٌ منتشرة في السهول، يسكنها البشر. إنه هو المتين وهو البداية[783].

لقد اتحدتُ مع الأفعى من الماوراء. وتقبلتُ كل شيء في الماوراء في نفسي. ومن هذا بنيتُ بدايتي. لقد أصبحتُ راضياً عندما اكتمل العمل، وشعرت بالفضول لمعرفة ما الذي لا يزال قابعاً في الماوراء. لذا تقدمتُ من أفعاي وطلبتُ منها بودّ أن تزحف وتأتيني بأخبار ما يحدث هناك. لكن الأفعى كانت تشعر بالضجر وقالت أن لا رغبة لديها بذلك.

[784]أنا: "لا أريد إجبارك على أي شيء، لكن ربما، من يعلم؟ ربما سنجد شيئاً مفيداً".

ترددت الأفعى لبعض الوقت ثم اختفت في الأعماق. بعد ذلك بقليل سمعت صوتها تقول: "أظن أنني وصلتُ إلى الجحيم. يوجد رجل مشنوق هنا". يقف أمامي رجلٌ بشعٌ عاديّ بوجهٍ مشوّه. كان لديه أذنان ناتئتان وحدبة في الظهر. قال: "أنا سجين حُكم عليه بالشنق".

أنا: "ماذا فعلت؟"

هو: "دسست السم لوالديّ وزوجتي".

أنا: "لماذا فعلتَ هذا؟"

هو: "لكي أبجل الله".

أنا: "ماذا؟ كي تبجّل الله؟ ماذا تعني بهذا؟"

هو: "أولاً، إن كل ما يحدث هو من أجل تبجيل الله، وثانياً، كانت لدي أفكاري الخاصة".

---

[783] في كتاب "النماذج السيكولوجية" علّق يونغ على رمزية البرج في نقاشه لرؤية البرج في "راعي هرماس" (الأعمال الكاملة 6، 390 ف ف). وفي عام 1920، بدأ يونغ بالتخطيط لبناء برجه في بولينجن.

[784] 2 شباط - فبراير 1914.

أنا: "ما الذي فكرتَ فيه؟"
هو: "كنتُ أحبّهم وأردتُ أن أنقلهم بأقصى سرعة من الحياة البائسة إلى البركة الأزلية. فقدّمتُ لهم كأس شراب قوي للغاية".
أنا: "ألم يجعلك هذا تعرف ما هي مصلحتك الخاصة من هذا؟"
هو: "لقد أصبحت وحيداً وتعيساً جداً. أردتُ أن أعيش من أجل ولديّ الاثنين اللذين تنبّأت لهما بمستقبل أفضل. كنت أتمتع بصحة أفضل من صحة زوجتي، ولهذا أردتُ أن أعيش".
أنا: "هل وافقت زوجتك على جرائم القتل؟"
هو: "لا، ما كانت ستوافق بالتأكيد، لكنها لم تعرف شيئاً عن نواياي. ولسوء الحظ، تم اكتشاف الجريمة وحُكِمَ عليّ بالموت".
أنا: "هل وجدتَ أقاربك ثانية في الماوراء؟"
هو: "هذه قصة غريبة وبعيدة الاحتمال. أنا أشكّ بأنني في الجحيم. يبدو لي أحياناً كما لو أن حياتي هي هنا أيضاً، وأحياناً لا أكون متأكداً، أشعر بيقين مساو ليقيني بذاتي".
أنا: "كيف هو الأمر؟ أخبرني".
هو: "بين الحين والآخر، أشعرُ أنها تتحدث معي وأنا أجيب. لكننا لم نتحدث عن الجريمة أو عن ولدينا حتى الآن. نحن نتحدث عن أشياء تافهة فقط، أشياء صغيرة من حياتنا اليومية السابقة، لكنها غير شخصية إطلاقاً، كما لو أنه لم يعد أي شيء يربطنا. لكنني لا أدرك طبيعة الأمور الحقيقية. أنا لم أعد أرى والديّ كثيراً، وأظن أنني سألتقي بأمي لاحقاً. لقد كان أبي هنا، وقال شيئاً عن غليون التبغ الذي أضاعه في مكان ما".
أنا: "لكن كيف تمضي وقتك؟"
هو: "أظن أن وجودنا لا يتخلله عامل الوقت، لذا فليس هناك من وقت نمضيه. لا يحدث أي شيء إطلاقاً".
أنا: "أليس هذا مملا للغاية؟"

هو: "ممل؟ لم أفكر بالأمر هكذا قط. ممل؟ ربما، لكن ليس هناك شيء مشوّق. في واقع الأمر، كل شيء على حاله دوماً".

أنا: "ألا يعذّبك الشيطان؟"

هو: "الشيطان؟ لم أره إطلاقاً".

أنا: "لقد أتيتَ من الماوراء وليس لديكّ ما تخبرني بـه؟ أجـد صعوبة في تصديق هذا".

هو: "عندما كنتُ لا أزال جسداً، كنتُ أظنّ أن التحدّث مع أحد الموتى سيكون أمراً مشوقاً بالتأكيد. لكن هذا الاحتمال لم يعد يعني لي الكثير. وكما قلت لك، إن الأشياء هنا غير شخصية وهي مجرّد أمر واقع. هذا ما يقولونه بحسب علمي".

أنا: "هذا كئيب. أظن أنك في أعمق جحيم".

هو: "لا يهمني هـذا. أظـن أن بإمكـاني أن أذهـب الآن، ألـيس كـذلك؟ وداعاً".

لقد اختفى فجأة. لكنني التفتُّ إلى الأفعى وقلت لها:[785] "ما معنى هـذا الضيف الممل من الماوراء؟"

الأفعى: "لقد التقيتُ به هناك، وكان يتخبّط بقلق مثل آخـرين كـثيرين. لقد اخترته لأنه بدا لي مثالاً جيداً".

أنا: "لكن هل الماوراء بهذه الرتابة؟"

الأفعـى: "يبـدو الأمـر هكـذا، عنـدما أذهـب إلى هنـاك، لا أرى سـوى الحركة. إن كل شيء يتحرك إلى الأمـام والخلـف علـى شـكل ظـلال. لا يوجد هناك أي شيء شخصي على الإطلاق"

أنا: "ما أهمية هذه الخاصية الشخصية اللعينة إذاً؟ لقـد تـركَ الشـيطان مؤخراً انطباعاً قوياً عليّ، كما لو أنه خلاصة ما هو شخصي".

الأفعى: "طبعاً سيترك هذا الانطباع، بما أنه الخصم الأزلي، ولأنـك لـن تستطيع يوماً المصالحة بين الحياة الشخصية والحياة المطلقة".

---

[785] في الكتاب الأسود 4 كُتب "الروح" (الصفحة 110).

أنا: "ألا يمكن للمرء أن يوحّد هذين التناقضين؟"

الأفعى: "إنهما ليسا نقيضان، بل هناك اختلافات بينهما وحسب. إنهما نقيضين بمقدار ما يتناقض اليوم مع السنة، أو مكيال البوشيل مع مقياس الذراع".

أنا: "هذه فكرة تسبب الاستنارة، لكنها مملة نوعاً ما".

الأفعى: "تكون الأمور هكذا دوماً عندما يتحدّثُ المرء عن الماوراء. إنه يذوي باستمرار، وخاصة لأننا أقمنا التوازن بين التناقضات وزاوجناها. أظن أن الموتى سينقرضون قريباً".

الشيطان هو مجموع الظلمة في الطبيعة البشرية. إن من يعش في النور، يسعى لأن يُصبحَ صورة الإله، ومن يعش في الظلمة، يسعى لأن يصبح صورة الشيطان. ولأنني أردتُ العيش في النور، غابت الشمس أمامي عندما لامستُ الأعماق. لقد كانت مظلمة وشبيهة بالأفعى. لقد وحدّتُ نفسي معها ولم أطغَ عليها. شاركت في إذلال نفسي وإخضاعها، وبهذا اتخذتُ طبيعة الأفعى.

لو لم أصبح مثل الأفعى، لكان للشيطان الذي هو خلاصةُ كل ما هو شبيهٌ بالأفعى، هذا الجزء من السلطان عليّ. كان ذلك سيمنحُ الشيطان قوة، وكان سيجبرني على عقد ميثاق معه، كما خدع "فاوست" بدهاء[786]. لكنني أحبطتُ مخططاته بأن وحدّتُ نفسي مع الأفعى، كما يتحد رجل مع امرأة.

وهكذا سلبتُ الشيطان قدرته على التأثير، والتي لا يمكن نقلها من خلال الطبيعة الأفعوانية الخاصة بالمرء[787]، والتي ينسبها المرء عامة إلى الشيطان بَدَلَ أن ينسبها إلى نفسه. أصبح ميفيستوفيليس هو الشيطان بعد أن استولتْ عليهِ طبيعتي الأفعوانية. إن الشيطان نفسه هو خلاصة الشرّ، إنه عارٍ ولذلك لا يستطيع أن يغوي، وهو ليس ذكياً حتى، بل عبارة عن

---

[786] في فاوست لغوته، يعقد ميفيستوفيليس ميثاقاً مع فاوست بأن يخدمه في الحياة بشرط أن يخدمه فاوست في الماوراء (1، 1655).

[787] كتب في المسودة المصححة بدلاً من ذلك: "أنا مع الافعى" (الصفحة 521).

إنكار صرفٍ من دون القدرة على الإقناع. وهكذا قاومتُ تأثيره المدمّر وأمسكتُ به وقيّدته بقوة. لقد خدمتني ذرّيته وضحيتُ بها بحدّ السيف. وهكذا بنيت بناء قوياً، ومن خلاله كسبتُ أنا نفسي الاستقرار والدوام واستطعتُ أن أتحمّل تقلّبات ما هو شخصي. وبذلك تم إنقاذُ ما هو خالدٌ فيّ. ومن خلال جرّ الظلمة من ماورائي إلى النهار، استطعتُ أن أفرغَ الماوراء. لقد اختفت مطالب الموتى لأنهم أُشبعوا.

لم أعد أتعرّض لتهديد الموتى، لأنني قَبلتُ مطالبهم بالرغم من أنني قَبلتُ الأفعى. لكنني من خلال هذا، أخذتُ شيئاً من الموتى إلى نهاري. كان هذا ضرورياً بما أن الموت هو أكثر الأشياء دواماً، وهو الشيء الذي لا يمكن إلغاؤه يوماً. إن الموت يمنحني الدوام والصلابة. لم أرغب لوقت طويل جداً إلا بأن ألبّي مطالبي الخاصّة، لقد كنتُ شخصياً، وكنتُ بهذا أعيشَ وِفقاً للعالم. لكن عندما تقبّلتُ مطالب الموتى في داخلي ولبّيتها، تخليت عن مسعاي الشخصي السابق، واعتبرني العالمُ رجلاً ميتاً. لأن برداً عظيماً يحل بمن، في إسرافه بمسعاه الشخصي، يتقبل مطالب الموتى ويسعى لتلبيتها.

وبينما يشعرُ كما لو أن سمّاً غامضاً قد سبب الشلل للخاصيّة الحيّة في علاقاته الشخصية، تبقى أصوات الموتى صامتة في ماوراءه، ويتوقف التهديد والخوف والقلق. لأن كل ما كان يتربّص فيه جائعاً سابقاً، لم يعد يحيا معه في يومه. لقد أصبحتْ حياته جميلة وغنية، بما أنه أصبح هو نفسه.

لكنه بشعٌ من لا يرغبُ إلا بثروة الآخرين، بما أنه يسبب الإعاقة لنفسه. ويكون مجرماً من يريد أن يُجبرَ الآخرين على البركة، بما أنه يقتل نموه الخاص. ويكون أحمقَ من يُفني حبّه من أجل الحبّ. إنسان كهذا يراه الآخر شخصياً، ويرى ما وراءه رمادياً وغير شخصي. إنه يفرضُ نفسه على الآخرين، ولهذا فهو ملعون بفرض نفسه على نفسه بحالة من الفراغ البارد. من يتقبّل مطالب الموتى، يكن قد نفى قبحه إلى الماوراء. ولم يعد يفرض نفسه على الآخرين بجشع، بل يعيش وحده في

الجمال، ويتحدث مع الموتى. لكن مطالب الموتى سوف تُشبع ذات يوم. وإن استمرّ المرء حينها في العزلة، فسوف يتلاشى الجمال إلى الماوراء، ويأتي القفر إلى هذا الجانب. تأتي مرحلة سوداء بعد المرحلة البيضاء، وتصبحُ الجنة والجحيم هناك إلى الأبد[788].

وبعد أن وجدتُ الجمال في داخلي ومع نفسي، تحدثتُ مع أفعاي وقلت: [789] "أنا أنظر خلفي كما أنظر إلى عمل قد أُنجز".

الأفعى: "لم يتم إنجاز شيء بعد".

أنا: "ماذا تقصدين بقولك، لم يُنجز؟"

الأفعى: "ليست هذه سوى البداية".

أنا: "أظن أنك تكذبين".

الأفعى: "مع من تتشاجر؟ أتظنّ أنك أكثر دراية؟"

أنا: "لا أعرف أي شيء، لكنني اعتدتُ على فكرة أننا حققنا هدفاً، قد يكون هدفاً مؤقتاً على الأقل. لقد أوشك حتى الموتى أن ينقرضوا، ماذا سيحدث غير ذلك؟

الأفعى: "لكن على الأحياء حينئذٍ أن يبدأوا العيش أولاً".

أنا: "يمكن لهذه الملاحظة أن تكون عميقة المعنى بالتأكيد، لكنها تبدو مجرّد نكتة".

الأفعى: "لقد أصبحتَ وقحاً. أنا لا أمزح. يجب أن تبدأ الحياة".

أنا: "ماذا تقصدين بالحياة؟"

الأفعى: "قلت، يجب أن تبدأ الحياة. ألم تشعر بفراغ اليوم؟ أتسمي هذه حياة؟"

أنا: "ما تقولينه صحيح، لكنني أحاولُ أن أجعلَ كل شيء يبدو بأفضل حال ممكن وأحاول القبول بالأشياء".

الأفعى: "ربما يكون هذا مريحاً جداً. لكن عليك أن تطالب بأشياء أسمى بكثير".

---

[788] ملاحظة يونغ الهامشية في مجلد الخط الفني هي: "لم أدرك بعد أنني أنا نفسي هو هذا المجرم".

[789] 9 شباط - فبراير 1914. في الكتاب الأسود 4 كُتب "روحي".

أنا: "هذا ما أخشاه. لن أفترض أنني أستطيع أن ألبّي مطالبي بالتأكيد، لكنني لا أعتقد أيضاً أنك قادرة على تلبيتها أنت أيضاً. وربما تكون المشكلة هي أنني لا أثق بك ثانية. وأظن أن السبب هو أنني اقتربت إليك بطريقة بشرية، ووجدت أنك لطيفة".

الأفعى: "هذا لا يثبت شيئاً. لا تفترض أنك قادر على أن تفهمني وتحتويني يوماً بطريقة ما".

أنا: "ماذا يجب أن يحدث إذاً؟ أنا مستعدّ".

الأفعى: "أنت تستحقّ مكافأة على ما حققته حتى الآن".

أنا: "هذه فكرة جميلة، يجب أن أحصل على جزاء لهذا".

الأفعى: "أعطيك جزاءك على شكل صور. انظر:"

إيليا وسالومي! لقد اكتملت الدورة، وانفتحت بوابات الأسرار ثانية. يقود إيليا سالومي المبصرة، باليد. وهي تتورّد وتخفض عينيها، وتطرفُ جفونها بمحبّة.

إيليا: "تفضل، أقدم لك سالومي. لتكن لك".

أنا: "بحق الإله، ماذا سأفعل بسالومي؟ أنا متزوج ونحن لسنا من الأتراك"[790].

إيليا: "أيها البائس، كم أنت ممل. أليست هذه هدية جميلة؟ ألم تقم أنت بشفائها؟ ألن تقبل حبّها كجزاء مستحقاً على عنائك؟"

أنا: "تبدو لي هدية غريبة، إنها عبء أكثر منها فرحاً. أنا سعيد لأن سالومي ممتنة لي وتحبني، وأنا أحبها أيضاً - لقد كانت الرعاية التي قدّمتها لها بطريقة ما، شيئاً أُجبرتُ عليه فعلاً، وهي لم تكن شيئاً قدّمته بحريّة وتعمّد. إن كان لمحنتي غير المتعمّدة نتيجة جيدة جزئياً، فأنا راض تماماً.

قالت سالومي لإيليا: "دعه وشأنه، إنه رجل غريب. لا تعلم إلا السماء ما هي دوافعه، لكنه يبدو جاداً. أنا لستُ بشعة بالتأكيد، بل أنا جذابة عموماً".

---

[790] كان تعدد الزوجات يمارس في تركيا. ومنعه أتاتورك رسمياً عام 1926.

ثم قالت لي: "لِمَ ترفضني؟ أريد أن أكون خادمتك وأخدمك. سأغني وأرقص أمامك وأُبعِدَ الناس عنك، وأريحك عندما تكون حزيناً، وأضحك معك عندما تكون سعيداً وسأحمل أفكارك كلها في قلبي. سأقبّل كلماتك التي تقولها لي. وسأقطف لك الورود كل يوم، وسترعاك أفكاري كلها وتحيط بك".

أنا: "أشكرك على حبّك. أمر جميل أن أسمعك تتحدثين عن الحبّ. هذا الكلام أشبه بالموسيقى والحنين القديم إلى الوطن. انظري، دموعي تنهمر بسبب كلماتك الجميلة. أنا أريد أن أجثو أمامك وأقبّل يديك مئة مرة، لأنهما تريدان أن تمنحاني الحبّ. أنت تتحدثين عن الحبّ بطريقة جميلة جداً. لا يمكن لأحد الاكتفاء من كلام كهذا".

سالومي: "لِمَ نكتفي بالكلام؟ أريد أن أكون لك، لك بالمطلق".

أنا: "أنت مثل الأفعى التي التفّتْ حولي وعصرتْ دمي"[791]. تهبّ كلماتكِ العذبة حولي، وأقفُ مثل شخص مصلوب".

سالومي: "لماذا لا تزال مصلوباً؟"

أنا: "ألا ترين أن الحاجة الماسّة قد علّقتني على الصليب؟ إن الاستحالة هي ما تجعلني مُقعداً".

سالومي: "ألا تريد أن تتخلّص من هذه الحاجة؟ هل ما تسميها حاجة هي حاجة فعلاً؟[792]"

أنا: "اسمعي، أشكّ بأن قَدَرَكِ أن تصبحي لي. أنا لا أريد أن أتدخّل في حياتك المتفردة للغاية، بما أنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من أن أكون السببَ في نهايتها. وماذا تكسبين إن اضطررتُ ذات يومٍ إلى أن أضعكِ جانباً مثل رداء بال؟"

سالومي: "كلماتك مُريعة. لكنني أحبك كثيراً بحيث أنني سأضع نفسي جانباً عندما يحين أوانك".

---

[791] ملاحظة يونغ الهامشية في المجلّد المخطوط بشكل فني هي: في XI Cap في المسرحية السرية" (راجع الصفحة 194 في الأعلى).

[792] يتابع في الكتاب الأسود 4: "أنا: مبادئي - تبدو حمقاء - سامحيني - لكن لدي مبادئ. لا تعتقدي أنها مبادئ أخلاقية تافهة، لأنها بصائر فرضتها الحياة علي. الأفعى: أية مبادئ هذه؟" (الصفحات 121-22).

أنا: "أعرف أنني سأتعذب كثيراً إن سمحتُ لك أن تذهبي. لكن إن كان بوسعك أن تفعلي هذا من أجلي، فأنا قادر على أن أفعلهُ من أجلكِ أيضاً. سوف أمضي قدماً من دون ألم، بما أنني لم أنسَ الحلم الذي رأيت فيه جسدي يستلقي على إبر حادّة، وتتدحرج عجلة برونزية على صدري وتسحقه. أنا أفكر بهذا الحلم كلما فكرت بالحبّ. إن كان من الضروري أن يحدث هذا، فأنا مستعد".

سالومي: "لا أريد تضحية كهذه. أريد أن أجلب الفرح لك. هل يمكن أن لا أكون فرحاً بالنسبة إليك؟"

أنا: لا أعلم، ربما نعم وربما لا".

سالومي: "على الأقل حاولْ إذاً".

أنا: "إن هذه المحاولة كالفعل نفسه. إنها محاولات باهظة الثمن".

سالومي: "ألن تتحمّل ثمنها من أجلي؟"

أنا: "أنا ضعيف للغاية ومُنهَك بعد ما عانيته بسببك، ولا يمكنني القيام بمهام إضافية من أجلك. سأشعر بإعياء تام".

سالومي: "إن لم ترغب بقبولي، فلا يمكنني قبولك بالتأكيد؟"

أنا: "إنها ليست مسألة قبول، إن كان هذا يتعلق بأي شيء على وجه الخصوص، فهو يتعلق بالعطاء".

سالومي: "لكنني أعطيك نفسي حقاً. اقبلني".

أنا: "وكأن هذا سيسوي المسألة! لكن أن أعلقَ بالحبّ! إن مجرّد التفكير بهذا مخيف".

سالومي: "إذاً أنت تطلب حقاً أن أكون وألا أكون في الوقت نفسه. هذا مُحال. ماذا أصابك؟"

أنا: "أفتقر إلى القوة لأستطيع أن أحمل مصيراً آخر على كتفي. لديّ ما يكفي لأحمله"..

سالومي: "لكن ماذا إن ساعدتك في حمل هذا العبء؟"

أنا: "كيف يمكنكِ ذلك؟ سيتعيّن عليك أن تحمليني، وهذا عبء جامح. ألا يجب أن أحمله بنفسي؟"
إيليا: "أنت تقول الحقيقة. ليحمل كل شخص حمله. من يريد أن يُثقِلَ الآخرين بأعبائه يصبح عبداً لهم[793]. لا يصعب كثيراً على أي شخص أن يجرّ نفسه".
سالومي: "لكن يا أبي، ألا أستطيع مساعدته على حمل جزء من عبئه؟"
إيليا: "حينها سيصبح عبداً لك".
سالومي: "أو سيدي وحاكمي".
أنا: "لن أصبح كذلك. يجبُ أن تكوني كائناً حراً. لا أستطيع أن أتحمّل العبيد ولا الأسياد. أنا أتوق للبشر".
سالومي: "ألستُ من البشر؟"
أنا: "كوني سيدة نفسك وعبدة نفسك، لا تنتمي إليّ بل إلى نفسك. لا تحملي عبئي بل عبئك الخاص. وبهذا تتركينَ لي حريتي البشرية، وهي شيء له قيمة عندي أكثر من حقّ ملكية شخص آخر".
سالومي: "هل ترسلني بعيداً؟"
أنا: "أنا لا أرسلك بعيداً. يجب ألا تبتعدي عني. بل أن تمنحيني من خلال امتلائك وليس من خلال توقك. إن كان حصادك وفيراً، أرسلي لي بعض ثمار حديقتك. إن عانيتِ الوفرة، سأشربُ من الوعاء الطافح لفرحك. وأعرفُ أن هذا سيكون بلسماً لي. لا أستطيعُ أن أُشبعَ نفسي إلا من طاولة المشبَعين، وليس من أوعية التواقين الفارغة. أنا لن أسرقَ أجري. أنتِ لا تملكين شيئاً، فكيف يمكنك أن تعطي؟ أنت تطالبين بقدر ما تعطين. اسمع أيها العجوز إيليا: لديك امتنان غريب. لا تهب ابنتك بل اجعلها تقف على قدميها. إنها تحبّ أن ترقص وتغني أو تعزف على العود أمام الناس، وهي تريد أن تُرمى نقودهم اللامعة عند

---

[793] إن موضوع أخلاقية السيد والعبد، يظهر بشكل سائد في المقالة الأولى لنيتشه "عن نسب الأخلاق" (ترجمة د. سميث [أوكسفورد: مطبعة جامعة أوكسفورد، 1996]).

قدميها. سالومي، أشكرك على حبّك. إن كنتِ تحبينني بحق، فارقصي أمام الحشد، وأمتعي الناس كي يمدحوا جمالك وفنك. وإن كان لديك حصاد وفير، ارمي لي واحدة من ورودك عبر النافذة، وإن فاض ينبوع فرحك، ارقصي وغني لي مرة أخرى. أنا أتوق لفرح البشر وامتلائهم وحريتهم وليس إلى حاجتهم".

سالومي: "كم أنت رجل صعب ومبهم".

إيليا: "لقد تغيرتَ مذ رأيتكَ آخر مرة. أنتُ تتحدث بلغة أخرى، لغة تبدو غريبة بالنسبة إلي".

أنا: "يا عجوزي العزيز، أريد أن أصدقّ أنك تجد أنني تغيرت. لكن يبدو أنك أنتَ قد تغيرت. أين أفعاك؟"

إيليا: "لقد ضلّت طريقها. وأعتقد أنها سُرقت. منذ ذلك الحين أصبحت علاقتنا كئيبة. لذلك كان سيسرّني أن تقبل ابنتي على الأقل".

أنا: "أعرف أين هي أفعاك. إنها معي. لقد أحضرناها من العالم السفلي. ومنحتني الصلابةَ والحكمة والقوة السحرية. نحن نحتاج إليها في العالم العلوي، وإلا لكان العالم السفلي متفوّقاً علينا، وبهذا سنؤول إلى الدمار".

إيليا: "ارحل بعيداً أيها السارق الملعون، ليعاقبك الله".

أنا: "لعنتك لا تنفع. من يملك الأفعى لا تصيبه لعنة. لا، كن متعقلاً أيها العجوز: من يملكُ الحكمة لا يطمعُ بالسلطة. فقط من يملك السلطة، يرفضُ استخدامها. لا تبكي يا سالومي، إن الثروة هي ما تخلقينه بنفسك، وليس ما يُعطى لك. ارحلا يا صديقي البائسين، فقد تقدمت ساعات الليل. وأنت يا إيليا، أبعد وهجَ السلطةِ الزائف عن حكمتك، وأنت يا سالومي، من أجل حبّنا، لا تنسي أن ترقصي".

[794]عندما اكتمل كل شيء فيّ، عدتُ بشكل غير متوقع إلى الأسرار، وإلى تلك النظرة الأولى لقوى الروح والرغبة من العالم الآخر. عندما حققتُ

[794] في مجلد الخط الفني، هناك مساحة فارغة من أجل الحرف الاستهلالي المزخرف.

المتعة في نفسي والسلطان عليها، خَسِرَتْ سالومي متعتها بنفسها لكنها تعلّمت حبّ الآخرين، وخسر إيليا سلطة حكمته وتعلّم أن يتعرّف على روح الآخر. وبهذا خسرتْ سالومي قوة الإغواء وأصبحت حبّاً. وبما أنني فزتُ بالمتعة في نفسي، فقد أصبحتُ أريد الحبّ لنفسي أيضاً. لكن هذا سيكون أكثر من قدرتي على الاحتمال وسيحيط بي مثل حلقة حديدية تخنقني. لقد قبلتُ سالومي كمتعة، ورفضتها كحبّ، لكنها تريد أن تكون معي. كيف سأحظى بالحبّ لنفسي حينها؟ أظن أن الحبّ ينتمي للآخرين. لكن حبّي يريد أن يكون معي. أنا أخشاه. عسى أن تدفعه قوة تفكيري بعيداً عني، عسى أن تدفعه نحو العالم والأشياء والبشر. لأنه يجب أن يكون هناك شيء يجمع البشر معاً، شيء يعمل بمثابة جسر. إن كان حتى حبّي يريدني، فهذا هو الإغواء الأقوى! أيتها الأسرار، افتحي ستائرك ثانية! أريد أن أشنّ هذه المعركة حتى نهايتها. تعالي إلى هنا، يا أفعى الهاوية المظلمة.

[795]أسمع سالومي لا تزال تبكي. ما الذي تريده، أو ما الذي لا أزال أنا أريده؟ لقد أعطتني أجراً ملعوناً، أجر لا يمكن للمرء لمسه بدون تضحية. أجر يتطلّب تضحية أكبر ما إن يلمسه المرء.

الأفعى[796] : "هل تريد أن تعيش من دون تضحية؟ يجب أن تكلّف الحياة شيئاً ما، أليس كذلك؟"

أنا: "أظنّ أنني دفعتُ الثمن مسبقاً. لقد رفضتُ سالومي. أليست هذه التضحية كافية؟"

الأفعى: "إنها صغيرة جداً بالنسبة إليك. كما قيل، يُسمح لك أن تطالبَ نفسك بأشياء".

أنا: "المطالبة من خلال التضحية؟ ليس هذا ما فهمته. من الواضح أن خطأي أفادني. أخبريني، ألا يكفي أنني دفعتُ بمشاعري إلى الخلفية؟"

[795] 11 شباط - فبراير 1914.

[796] في الكتاب الأسود 4 هذه الشخصية معرّفة بأنها "الروح" (الصفحة 131).

الأفعى: "أنت لا تدفع بمشاعرك إلى الخلفية إطلاقاً، بل يناسبك كثيراً ألا تتألم أكثر بسبب سالومي".
أنا: "إن كنت تقولين الحقيقة، فهذا سيئ جداً. ألهذا لا تزال سالومي تبكي؟"
الأفعى: "نعم، هذا صحيح".
أنا: "لكن ماذا يجب أن أفعل؟"
الأفعى: "أوه، أنت تريد أن تتصرّف؟ يمكن للمرء أن يفكّر أيضاً".
أنا: "لكن ما الذي عليّ أن أفكّر فيه؟ أعترف أنني لا أعرف أي شيء أفكّر فيه الآن. ربما لديك نصيحة لي. لديّ شعور بأن عليّ أن أحلّق فوق رأسي. لا أستطيع القيام بهذا. ما رأيك؟"
الأفعى: "ليس لدي رأيٍ ولا نصيحة".
أنا: "اسألي الماوراء إذاً، اذهبي إلى الجنة أو إلى الجحيم، ربما توجد نصيحة هناك".
الأفعى: "أنا أُجذب إلى الأعلى".
تحوّلت الأفعى حينئذٍ إلى عصفورة بيضاء صغيرة حلّقتْ إلى الغيوم واختفتْ. وتبعتها بعيني لوقت طويل[797].
العصفورة: "أتسمعني؟ لقد ابتعدتُ الآن. إن الجنّة بعيدة جداً. والجحيم أقرب إلى الأرض بكثير. لقد وجدتُ شيئاً من أجلك، وجدتُ تاجاً مرمياً. إنه في شارع مساحته بحجم الجنة الشاسعة، وهو تاج ذهبي".
إنه الآن في يدي[798]، تاج ملكيّ ذهبيّ مع كتابة منقوشة في داخله. وماذا تقول؟ "الحبّ لا ينتهي"[799]. إنه هدية من الجنة. لكن ما معناها؟
العصفورة: "ها أنا ذا، هل أنت راضٍ؟"

---

[797] هذه الجملة مضافة في المسودة، الصفحة 533.
[798] هنا ينتهي النسخ في المجلّد المخطوط بشكل فني، وما يتبعه منسوخ من المسودة، الصفحات 533-56.
[799] هذا اقتباس من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثيوس 13:8. ومع دنو أجله، استشهد يونغ بها ثانية في تأملاته في الحبّ وفي نهاية كتاب "المذكرات" (الصفحة 387). وفي الكتاب الأسود 4، كان النقش مكتوباً أولاً بالأحرف الإغريقية. (الصفحة 134).

أنا: "جزئياً ـ على أية حال، أشكركِ على هذه الهدية المميزة. لكنها غامضة، إن هديتك تجعلني أرتابُ كثيراً".

العصفورة: "لكن الهدية أتت من الجنة، كما تعلم".

أنا: "إنها جميلة جداً بالتأكيد، لكنك تعرفين جيداً ما الذي فهمناه من الجنة والجحيم".

العصفورة: "لا تبالغ. هناك فرق بين الجنة والجحيم في نهاية الأمر. أنا أظن، بسبب ما رأيتُه، أن ما يحدثُ في الجنة قليل مثل قلّة ما يحدث في الجحيم، لكن بطريقة مختلفة. حتى ما لا يحدث، لا يمكن أن يحدث بطريقة معينة".

أنا: "أنت تتحدثين بالألغاز التي تصيب المرء بالسقم إن أخذها بجديّة. أخبريني، ماذا تفهمين من هذا التاج؟"

العصفورة: "ماذا أفهم منه؟ لا شيء. إنه يتحدث عن نفسه".

أنا: "تقصدين من خلال النقش الذي عليه؟"

العصفورة: "بالضبط، أظن أنك تفهم معناه؟"

أنا: "إلى حد ما، أظن ذلك. لكن هذا يبقي السؤال معلقاً بشكل بغيض".

العصفورة: "وهذا هو المقصود منه".

وحينها تحوّلت العصفورة إلى أفعى مرة أخرى وبشكلٍ مفاجئ[800].

أنا: "أنتِ تسببينَ التوتر".

الأفعى[801]: "فقط بالنسبة إلى من لا يوافقني الرأي".

أنا: "أنا لا أوافقك الرأي قطعاً. لكن كيف يمكن لأحد أن يفعل؟ إنه أمرٌ شنيعٌ أن يبقى المرء معلقاً في الهواء بهذه الطريقة".

الأفعى: "هل هذه التضحية صعبة للغاية عليك؟ يجب أن تكون قادراً على أن تبقى معلقاً أيضاً إن أردتَ حلَّ المشاكل. انظر إلى سالومي!"

أنا لسالومي: "أرى يا سالومي أنك لا تزالين تبكين. لم ينته أمرك بعد. أنا أرفرف كالطير وألعن رفرفتي. أنا معلّق من أجلك ومن أجلي. لقد

---

[800] هذه الجملة مضافة في المسودة، (الصفحة 534).

[801] هذه الشخصية ليست معرّفة بأنها الأفعى في الكتاب الأسود 4.

كنتُ مصلوباً أولاً، والآن أنا معلّق وحسب، وهذا أقل نبلاً، لكنه ليس أقل عذاباً[802]. سامحيني لأنني رغبتُ بأن أتخلّص منك، فكّرت أن أخلّصك كما فعلتُ عندما شفيتُ عماك من خلال تضحيتي الذاتية. ربما عليّ أن أتعرض لقطع الرأس للمرة الثالثة من أجلك، كما حدث مع صديقك السابق يوحنا، الذي جلبَ لنا مسيحَ العذاب. هل أنتِ نهمة بشكل لا يُشبَع؟ أما زلتِ لا تجدين طريقة لتتعقلي؟"

سالومي: "يا حبيبي، ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟ لقد تخليتُ عنك تماماً".

أنا: "لماذا لا زلتِ تبكين إذاً؟ تعرفين أنني لا أستطيعُ أن أتحمّل رؤيتكِ وأنت تبكين".

سالومي: "اعتقدتُ أنك منيع بما أنك تمتلك قضيب الأفعى الأسود"

أنا: "يبدو لي تأثيرُ القضيبِ مثيراً للريبة. لكنه أفادني في مجال واحد: على الأقل أنا لا أختنق على الرغم من أنني تعرضتُ للشنق. يبدو أن القضيب السحري قد ساعدني على تحمّل الشنق، إنها مساعدة كبيرة وعمل صالح بشكل رهيب بالتأكيد. ألا تريدين أن تقطعي الحبل على الأقل؟"

سالومي: كيف يمكنني أن أقطعه؟ أنت معلّق على ارتفاع كبير جداً[803]. على ذروة شجرة الحياة حيث لا أستطيع الوصول. ألا يمكنك أن تساعد نفسكَ أيها العارف بحكمة الأفعى؟"

أنا: "هل يجب أن أُعلقَ لوقت طويل؟"

سالومي: "إلى أن تخترع عوناً لنفسك".

أنا: "أخبريني إذاً على الأقل، عن رأيك بالتاج الذي أحضرته عصفورة روحي لي من الجنة".

سالومي: "ماذا تقول؟ التاج؟ التاج معك؟ أيها المحظوظ، ما الذي تتذمّر منه؟"

---

[802] في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه"(1912)، علّق يونغ على موضوع التعليق في الفلكلور والميثولوجيا (الأعمال الكاملة ب، 358).

[803] هناك مقطع مفقود في الكتاب الأسود 4، يغطي نهاية هذا الحوار والفقرة التالية.

أنا: "يرغبُ الملكُ المعلّق بأن يتبادلَ الأدوار مع متسوّل مباركٍ على طريق ريفي، لم يتم تعليقه".

سالومي (بجذل شديد): "التاج! التاج معك!"

أنا: "سالومي، أشفقي علي. ما قصة التاج؟"

سالومي (بجذل شديد): "التاج ـ أنت توشك أن تُتوج! يا للبركة لك ولي!"

أنا: "للأسف، ماذا تريدين من التاج؟ أنا لا أفهمُ الأمر وأعاني عذاباً لا يوصف".

سالومي (بقسوة): "ابقَ معلقاً إلى أن تفهم".

بقيت صامتاً ومعلقاً على مسافة كبيرةٍ من الأرض، على الغصن المتأرجح للشجرة المقدسة التي لم يستطع سَلَفيّ الأصليان أن يتجنّبا الخطيئة بسببها. إن يديَّ مقيدتان وأنا عاجز تماماً. لقد بقيتُ معلّقاً لثلاثة أيام وثلاث ليالي. من أين ستأتيني المساعدة؟ كانت عصفورتي تجلس هناك، إنها الأفعى التي ارتدت ثوبها ذا الريش الأبيض.

العصفورة: "سنحضر المساعدة من الغيوم التي تمرّ فوق رأسك، عندما لا يفيدنا أي شيء".

أنا: "تريدين إحضار المساعدة من الغيوم؟ كيف يمكن أن يحدث هذا؟"

العصفورة: "سأذهب وأحاول".

تمايلتْ العصفورة مثل قبّرة صاعدة، وأصبحت أصغر فأصغر ثم اختفت أخيراً في الحجاب الرمادي للغيوم التي تغطي السماء. لحِقتها عيناي لوقت طويل، ولم أر فوقي إلا سماءً ضبابية رمادية لا تنتهي، رمادية بشكل متناغمٍ لا يُحتَمَل. لكن الكتابة على التاج لا تزال مقروءة، "الحب لا ينتهي". هل يعني هذا تعليقاً أزلياً؟ لم أكن مخطئاً بريبتي عندما أحضرتْ عصفورتي تاجَ الحياة الازلية، تاج الشهادة، أشياء مشؤومة مبهمة بشكل خطير.

أنا متعب، ليس بسبب التعليق فقط، بل بسبب الكفاح للوصول إلى ما لا يُقاس. يقبع التاج الغامض بعيداً على الأرض تحتي. أنا لا أرفرف،

لا، أنا معلّق، والأسوأ من ذلك أنني معلّق بين السماء والأرض. ولا أتعب من حالة التعليق لأنني أستطيع الانغماس فيها إلى الأبد، لكن الحبّ لا ينتهي. هل هذا صحيح حقاً، ألن ينتهي الحبّ يوماً؟ إن كانت هذه رسالة مباركة إليهم، فما هي بالنسبة إلي؟

"يعتمد الأمر كلياً على الفكرة". هذا ما قاله فجأة، غرابٌ أسود عجوز يجثمُ على غصن قريبٍ منتظراً الوجبة الجنائزية، ومنغمساً بالفلسفة.

أنا: "لماذا يعتمدُ الأمر كلياً على الفكرة؟"

الغراب: "على فكرتك عن الحبّ والآخر".

أنا: "أعلم، أيها الطائر العجوز تعيس الحظ، أنت تعني الحبّ السماوي والأرضي[804]. سيكون الحبّ السماوي جميلاً للغاية، لكننا بشر، ولأننا بشر تحديداً، فقد صمّمتُ على أن أكون إنساناً كاملاً وكامل العضوية".

الغراب: "أنت مُنظِّر"

أنا: "ارحل أيها الغراب الأحمق!"

هناك، تحرّكَ غصنٌ قريب جداً من وجهي، كان هناك أفعى سوداء ملتفّة حوله وتنظر إليّ بلمعان عينيها اللؤلؤي المعمي. هل هي أفعاي؟

أنا: "يا أختاه، يا قضيب السحر الأسود، من أين أتيت؟ اعتقدتُ أنني رأيتك تطيرين إلى الجنة على شكل عصفورة، وأنت الآن هنا؟ هل أحضرتِ المساعدة؟"

الأفعى: "أنا نصفي فقط، أنا لست واحدة بل اثنتين، أنا واحدة مع الأخرى. أنا هنا بهيئة الأفعى فقط، الهيئة السحرية. لكن السحر عديم النفع هنا. لففت نفسي متكاسلة حول هذا الغصن بانتظار المزيد من التطوّرات. يمكنكَ أن تستخدمني في الحياة، لكن ليس أثناء التعليق. وفي أسوأ الحالات، أنا مستعدّة كي أقودكَ إلى هادس. أعرف الطريق إلى هناك".

---

[804] وصف سويدنبورغ الحبّ السماوي بأنه "استعمالات محبة من أجل الاستعمالات، أو أعمال خير من أجل الخير، يؤديها إنسان من أجل الكنيسة أو الوطن أو المجتمع الإنساني أو أخيه المواطن"، ويميزه عن حب الذات أو حب العالم (الجنة وأعاجيبها والجحيم: من الأشياء المسموعة أو المشاهدة" ترجمة ج راندل [لندن: جمعية سويدنبورغ، 1920] 554 ف).

تكثفت هيئة سوداء من الهواء أمامي، إنه الشيطان بضحكته الساخرة، وناداني قائلاً: "شاهد ما ينتج عن تصالح المتناقضات! تراجعْ عن هذا، وسوف تصبحُ على الأرض الخضراء بلمح البصر".
أنا: "لن أتراجع، أنا لست أحمق. إن كان هذا هو نتيجةٌ لكل ذلك، فلتكن النهاية إذن".
الأفعى: "أين هو تباينك؟ تذكَّر من فضلك هذه القاعدة الهامة عن فنّ الحياة".
أنا: "إن حقيقة أنني معلّق هنا، هو تباين كافٍ. لقد عشت بشكل بعيد عن ثبات المبدأ. ماذا تريدين أكثر؟"
الأفعى: "ربما عدم ثبات المبدأ في المكان المناسب؟"
أنا: "توقفي! كيف أعرف ما هو المكان المناسب، والمكان غير المناسب؟"
الشيطان: "من يتعامل مع المتناقضات بطريقة السيادة، يعرف اليسار من اليمين".
أنا: "اصمتْ، أنتَ معنيّ بالأمر. ليت عصفورتي البيضاء تعود وتجلب العون. أخشى أنني أصبحتُ ضعيفاً".
الأفعى: "لا تكن غبياً، الضعف طريقة أيضاً، السحر يجعل الخطأ جيداً".
الشيطان: "ماذا، ألم تتحلّ يوماً بشجاعة الضعف؟ تريد أن تصبح إنساناً كاملاً ـ هل البشر أقوياء؟"
أنا: "يا عصفورتي البيضاء، أظنّ أنكِ لا تستطيعين العثور على طريق العودة؟ هل نهضتِ ورحلتِ لأنك لم تستطيعي العيش معي؟ آه يا سالومي! ها قد أتتْ. تعالي إليّ يا سالومي! مرّت ليلة أخرى. أنا لا أسمعكِ تبكين، لكنني عُلّقت ولا أزال معلّقاً".
سالومي: "أنا لم أعد أبكي، لأن الحظ الطيب والحظ السيئ متوازنان في داخلي".
أنا: "لقد غادرتْ عصفورتي البيضاء ولم تعد بعد. أنا لا أعرفُ شيئاً ولا أفهمُ شيئاً. هل للأمر علاقة بالتاج؟ تكلمي!"
سالومي: "ماذا عليّ أن أقول؟ اسأل نفسك".

أنا: "لا أستطيع. دماغي أشبه بالرصاص، لا أستطيع أن أفعل أي شيء سوى طلب المساعدة. لا أجد طريقة لمعرفة ما إن كان كل شيء يتداعى أم يقف ساكناً. إن أملي هو عصفورتي البيضاء. أوه، لا، هل يمكن أن يكون معنى العصفورة هو معنى التعليق نفسه؟"

الشيطان: "مصالحةُ المتناقضات! حقوقٌ متساويةٌ للجميع! إنها حماقات!"

أنا: "أسمعُ زقزقة عصفور! هل هذه أنتِ؟ هل عدتِ؟"

العصفورة: "إن كنتَ تحبّ الأرض، فأنت معلّق، إن كنت تحبّ السماء، فأنت تحوم".

أنا: "ما هي الأرض؟ ما هي السماء؟"

العصفورة: "كل ما هو تحتك عبارة عن الأرض، وكل ما هو فوقك عبارة عن السماء. أنت تطير إن كنت تسعى إلى ما هو فوقك، وتكون مُعلّقاً إن كنتَ تسعى لما هو تحتك".

أنا: "ماذا يوجد فوقي؟ وماذا يوجد تحتي؟"

العصفورة: "إن فوقك هو ما يذهب أمامك وفوقك، وتحتك ما يعود إلى تحتك".

أنا: "والتاج؟ فككي لغز التاج من أجلي!"

العصفورة: "إن التاج والأفعى متناقضان، وهما واحد. ألم ترَ الأفعى التي تتوّج رأس المصلوب؟"

أنا: "ماذا، أنا لا أفهمك".

العصفورة: "ما الكلمات التي جلبها التاج لك؟ 'الحبّ لا ينتهي' - هذا هو سرّ التاج والأفعى".

أنا: "لكن سالومي؟ ماذا سيحدث لسالومي؟"

العصفورة: "سالومي هي ما أنت عليه. حلقْ، وسينمو لها جناحان".

تفرقت الغيوم وامتلأت السماء بغروب الشمس القرمزي لليوم الثالث المكتمل[805] . وغاصت الشمس في البحر، وانزلقتُ معها من أعلى الشجرة إلى الأرض. وحلّ الليل بلطف وسلام.

داهمني الخوف. من حملتمْ إلى الجبل أيها الكابيري؟ وبمن ضحيتُ عندما ضحيتُ بكم؟ لقد وضعتموني فوقكم، وحولتموني إلى برجٍ فوق منحدراتٍ لا يمكن الوصول إليها، وحوّلتموني إلى كنيستي وديري ومكان إعدامي وسجني. أنا سجين وملعون في نفسي. أنا كاهني ورعيتي، أنا القاضي والمحكوم، أنا الإله والقربان البشري.

يا للعمل الذي أنجزتموه أيها الكابيري! لقد أنجبتمْ قانوناً قاسياً من الفوضى غير قابل للنقض. إنه قانون مفهومٌ ومقبول.

آن أوان أن تكتمل هذه العملية السرّية. لقد وصفتُ ما رأيتُه من خلال الكلماتِ بأفضل ما استطعت. إن الكلمات فقيرةٌ وليست جميلة. لكن هل الحقيقة جميلة والجمال حقيقي؟[806]

يمكن للمرء أن يقول كلمات جميلة عن الحب، أما عن الحياة؟ وتقف الحياة فوق الحبّ. لكن الحبّ هو أمّ الحياة التي لا مفر منها. يجب ألا تُقحَمَ الحياة في الحبّ، بل على الحبّ أن يُقحَم في الحياة. عسى أن يخضع الحبّ للعذاب، لكن ليس الحياة. يجب أن يحظى الحبُّ بالاحترام طالما أنه يَحبلُ بالحياة باستمرار: لكن إن أنجبَ الحبّ الحياة من نفسه، فسوف يكون قد تحوّل إلى غمدٍ فارغ، ومضى إلى الزوال.

أنا أتحدثُ ضدّ الأم التي حملتني، وأفصلُ نفسي عن الرحم الحامل[807] . لن أقول المزيد من أجل الحبّ، بل من أجل الحياة.

---

[805] في رواية الخلق في الكتاب المقدس، انقسم البحر واليابسة في اليوم الثالث.

[806] إن قصيدة جون كيتس "أغنية للجرة الإغريقية" تنتهي بهذه السطور: "الجمال هو الحقيقة، والحقيقة جمال - إنها كل ما تعرفه على الأرض، وكل ما تحتاج إلى معرفته".

[807] في "تحولات الليبيدو ورموزه" (1912 الأعمال الكاملة ب)، طرح يونغ فكرة أنه أثناء التطور السيكولوجي، اضطر الفرد إلى أن يحرر نفسه من شخصية الأم، كما تصف أساطير البطولة (راجع الفصل 6 "معركة الولادة من الأم").

أصبحت الكلمة ثقيلةً عليّ، وتحررتُ للتو من الروح بصراعها. لقد أُغلِقَت الأبواب البرونزية، وخمدتْ النيران وتلاشت إلى رماد. واستُنزِفت الآبار، ويوجد الآن يابسة جافّة حيث كانت البحار. ينتصبُ برجي في الصحراء. سعيدٌ هو الإنسان الذي يمكنه أن يُصبحَ ناسكاً في صحرائه الخاصّة. إنه ينجو.

ليست قوة اللحم ما يجبُ أن يُحطّم من أجل الحياة، بل قوة الحبّ، بما أن الحياة تقف فوق الحبّ. يحتاج الإنسان إلى أمّه إلى أن تتطوّر حياته ومن ثم ينفصل عنها. وهكذا تحتاج الحياة إلى الحبّ إلى أن تتطوّر ومن ثم تتحرر منه. إن انفصال الطفل عن أمّه صعب، لكن انفصال الحياة عن الحبّ أصعب. يسعى الحبّ إلى أن يمتلك ويتشبث، لكنّ الحياة تريد المزيد.

الحبّ هو بداية كل الأشياء، لكن الحياة هي كينونتها[808]. إن هذا التمييز مريع. لماذا تجبرني يا روح الأعماق الأكثر ظلمة، أن أقول أن من يحبّ لا يعشْ، ومن يعشْ لا يحبّ؟ لطالما كنت أقول العكس! هل يجب أن يتحوّل كل شيء إلى نقيضه؟[809] هل سيكون هناك بحر ينتصبُ فيه معبد فيلمون؟ هل ستغوصُ جزيرته الغامضة إلى الأعماق السحيقة؟ إلى دوامة الطوفان المُنسحبِ الذي ابتلع سابقاً الناس والأراضي كلها؟ هل سيكون قاع البحر هو المكان الذي ينشأ منه جبل أرارات؟[810]

أية كلمات منفرة تلفظت بها يا ابن الأرض الأخرس؟ أتريدُ أن تفصلني عن عناق روحي؟ هل تُقحِمُ نفسك بيننا يا بنيّ؟ من أنت؟ ومن يعطيك

---

[808] في "تحولات الليبيدو ورموزه" (1912)، أثناء نقاش مفهوم الليبيدو، أشار يونغ إلى المعنى الكوني للإيروس في سلسلة نسب الإله هيسود، الذي ربطه بشخصية فينز في الأورفكية ومع كاما، إله الحب الهندوسي (الأعمال الكاملة ب، 223).

[809] في أعماله اللاحقة، أعطى يونغ أهمية لـ (الإينانتيودروميا – مبدأ الإنقلاب الضدّي)، وهوالمبدأ الذي يقول إن كل شيء يتحوّل إلى نقيضه، الذي ينسب إلى هيراقليطس.. راجع "النماذج السيكولوجية" (1921)، (الأعمال الكاملة 6، 708 ف).

[810] في رواية الكتاب المقدس عن الطوفان، استقر الفلك على جبل أرارات (سفر التكوين 8:4). أرارات هو مخروط بركاني خامد كان في أرمينيا سابقاً (الآن في تركيا).

السلطان؟ هل تريد إعادة كل ما سعيتُ لأجله، وكل ما سحبته من نفسي، إلى ما كان عليه وتدميره؟ إنك ابن الشيطان الذي يعتبر كل شيء مقدّس ضاراً. لقد أصبحتَ مهيمناً. وأنت تخيفني. دعني أسعد في عناقي مع روحي ولا تقلق سلام المعبد.

ارحل عني، أنت تخترقني بقوة تسبب الشلل. هل عليّ أن أركع خائر القوى عند قدميك، لأنني لا أرغب بطريقتك؟ تكلم أيها الشيطان! إن صمتك لا يُحتَمَل وغباءك شنيع.

لقد فزتُ بروحي، لكن ماذا أنجبت لي؟ لقد أنجبتكَ أيها الوحش، أيها الوغدُ الكافر المتأتئ، دماغ السمندل، والسحلية البدائية! هل تريد أن تُصبحَ ملكاً على الأرض؟ هل تريد أن تطرد البشر الفخورين الأحرار، وتسحر النساء الجميلات وتخترق القلاع وتفتح أحشاء الكاتدرائيات القديمة؟ أيها الأحمق، أيها الضفدع الذي يضع عشب البحيرةِ قبّعةً على رأسه! تريد أن تسمي نفسك ابناً لي؟ أنت لست ابني، بل أنت ذرّية الشيطان. لقد دخل الشيطان رحم روحي وتجسّد فيك.

أنا أعرفكَ يا فيلمون، أيها المحتال الأكثر دهاء! لقد خدعتني. لقد جعلتَ روحي العذراء حاملاً بالدودة المريعة. أيها الدجّال الملعون، لقد قلّدت الأسرار من أجلي، ووضعتَ عباءة من النجوم عليّ، ولعبت كوميديا مهرّج المسيح معي، وعلقتني بعناية وسخف في الشجرة مثل أودين[811]، لقد تركتني أخترعٍ (الرونات) لأسحر سالومي - وفي هذه الأثناء، جعلتَ روحي حاملا بالدودة، قيء التراب. خداع فوق خداع! وحيل شيطانية مريعة!

لقد منحتني قوة السحر وتوّجتني وألبستني رداء السلطة اللامع، وتركتني ألعب دور يوسف أبي ابنك المزعوم. لقد أدخلتَ عظاءة (البازيليسك) الخرافيّة الهزيلة إلى عشّ الحمامة.

---

[811] في الميثولوجيا النرويجية، اخترق الرمحُ أودين ومن ثم عُلق على شجرة (يغدراسيل) المعروفة بشجرة العالم، حيث بقي لتسع ليالي إلى أن وجد الرونات، التي منحته القوة.

يا روحي، أيتها العاهرة الخائنة، لقد حَمَلتِ بهذا الابن غير الشرعي! ووُصمتُ بالعار، أنا الأب المضحك للمسيح الدجّال! كم شككتُ بك! وكم كان شكّي ضعيفاً، ولم يقس جسامة هذا الفعل الشنيع!

ما الذي فَصلتَهُ يا فيلمون؟ لقد فصلتَ الحبّ والحياة إلى اثنين. وقد جاء الضفدع وابن الضفدع من هذا الفصل المريع. هذا سخيف. إنهُ مشهدٌ مقزّز! ومجيء لا يقاوم! سوف يجلسان على ضفاف المياه العذبة ويستمعان إلى الأغنية الليلية للضفادع، بما أن إلههما وُلِدَ كابن للضفادع.

أين هي سالومي؟ أين قضية الحبّ التي لا يمكن حلّها؟ لا مزيد من الأسئلة، لقد تحوّل نظري إلى الأشياء القادمة، وتكون سالومي حيث أكون. إن المرأة تتبعُ الأقوى فيك، ولا تتبعك. وبهذا تحمل لك أولادك، بطريقة جيدة وسيئة معاً.

بينما وقفت وحدي تماماً على الأرض التي كانت مغطاة بالغيم الماطر والليل المنسدل، زحفت أفعاي إليّ وأخبرتني قصة:[812]

"في قديمٍ الزمان كان هناك ملك ليس لديه أولاد. لكنه كان يرغب بأن يُنجِب ابناً. فذهب إلى امرأة حكيمة كانت تعيش كساحرة في الغابة واعترف بكل خطاياه، كما لو أنها كاهنة عيّنها الإله. أجابته على هذا: (عزيزي الملك، لقد فعلتَ ما لم يكن عليك فعله. لكن بما أنه قد حدث، فيجب أن ينتهي، وسنرى كيف يمكنك القيام بعمل أفضل في المستقبل. خذ باونداً من دهن ثعلب الماء وادفنه في التراب، واتركه تسعة أشهر. ثم احفر المكان ثانية وراقب ما ستجده). فعاد الملك إلى المنزل وهو يشعر بالخجل والحزن لأنه أذّل نفسه أمام الساحرة في الغابة. لكنه استمع إلى نصيحتها، وحفر حفرة في الحديقة ليلاً، ووضع فيها وعاءً من دهن ثعلب الماء، كان قد حصل عليه ببعض الصعوبة. ثم انتظر تسعة أشهر.

---

[812] 23 شباط - فبراير 1914. وفي الكتاب الأسود 4، يوجد هذا الحوار مع الروح. ويبدأ هذا الحوار بسؤال يونغ لها حول ما الذي يمنعه من العودة إلى عمله، وتجيبه بأن السبب هو طموحه، واعتقد أنه يستطيع قهره، لكنها قالت له إن عليه أن يُنكره وحسب، وبهذا طلبتْ منه أن يروي الرواية التالية (الصفحة 171). وفي 13 شباط - فبراير 1914، قدم يونغ خطاباً "عن رمزية الحلم"، في جمعية زيورخ للتحليل النفسي. من 30 آذار - مارس إلى 13 نيسان – ابريل، كان يونغ في إجازة في إيطاليا.

"بعد أن انقضتْ المدّة، عاد ليلاً إلى المكان الذي دفن فيه وعاء دهن ثعلب الماء. ما أثار ذهوله، هو أنه وجد رضيعاً نائماً في الوعاء، لكن الدهن كان قد اختفى. ثم أخرج الرضيع وأحضره بابتهاج شديد إلى زوجته، فوضعته على الفور على ثديها ونظرتْ ـ لقد تدفّق حليبها بغزارة. ونما الطفل وأصبح رائعاً وقوياً. كبر الطفل وأصبح الرجل الأعظم والأقوى بين الرجال جميعاً. وعندما بلغ سن العشرين، مَثَلَ أمام والده وقال: (أعرفُ أنك أنجبتني من خلال السحر، وأنني لم أولد كبشر. لقد صنعتني من توبتكَ عن خطاياك وهذا جعلني قوياً. لم أولدْ من امرأة، مما جعلني ذكياً. أنا قوي وذكي ولهذا أطالبكَ بتاج المملكة). ارتعب الملك مما قاله الولد، لكن أكثر ما أرعبه كان توق الولد المتهوّر للسلطة الملكيّة. بقي صامتاً لفترة وهو يفكّر: (ما الذي تشكّلتَ منه؟ دهن ثعلب الماء. من الذي حَمَلَك؟ رحم الأرض. لقد حصلتُ عليك من ووعاء، وأذلّتني ساحرة). وقرر سرّاً أن يقتل ابنه.

"لكنه كان يخشى ابنه لأنه أقوى من الجميع، وأراد أن يلوذ بالحيلة. عاد إلى ساحرة الغابة وطلب نصيحتها، فقالت له: (عزيزي الملك، لم تعترف لي هذه المرّة بأية خطيئة لأنك تريد أن تقترف خطيئة. أنصحك بأن تدفنَ وعاءً آخر مليء بدهن ثعلب الماء وتتركه في الأرض تسعة أشهر. ومن ثم شاهد ما سيحدث). وفعل الملك ما طلبته الساحرة. ومنذ ذلك الحين، بدأ ابنه يضعفُ شيئاً فشيئاً، وعندما عاد الملك إلى المكان الذي بقي فيه الوعاء لتسعة أشهر، حفر قبر ابنه في الوقت نفسه. وسجّى الميت في الحفرة قرب الوعاء الفارغ.

"لكن الملك شعر بالحزن، وعندما لم يعد بوسعه السيطرة على حزنه، عاد ثانية إلى الساحرة ذات ليلة وطلب نصيحتها. قالت له: (عزيزي الملك، أردت ابناً، لكن الابن أراد أن يصبح ملكاً هو نفسه وكان يملك القوة والذكاء اللازمين لهذا، ثم لم تعد تريد ابناً. بسبب هذا خسرت ابنك. لماذا تتذمّر؟ لديك كل شيء أردتَه يا عزيزي الملك). لكن الملك

قال: (أنت على حق. هذا ما أردتُه. لكنني لم أرغب بهذا الحزن. ألديك أي علاج ضد الندامة؟) قالت الساحرة: (عزيزي الملك، اذهب إلى قبر ابنك، املأ الوعاء ثانية بدهن ثعلب الماء، وبعد تسعة أشهر شاهد ما ستجده في الوعاء). فعل الملك ما طُلب منه، ومنذ ذلك الحين أصبح سعيداً ولم يعرف السبب.

"عندما مرت الأشهر التسعة، عاد إلى المكان ثانية، وكان الجسد قد اختفى، لكنه وجدَ في الوعاء رضيعاً نائماً، وأدرك أن الرضيع هو ابنه الميت. احتضن الرضيع، ومنذ ذلك الحين بدأ ينمو في أسبوع بقدر ما ينمو بقية الرضّع في سنة. وعندما مر عشرونِ أسبوعاً، مَثَلَ الابن أمام أبيه ثانية وطالب بمملكته. لكن الأب كان قد تعلّم من التجربة وكان يعرف منذ زمن طويل ما سيحدث. بعد أن عبّر الابن عن مطلبه، نهض الملك العجوز من عرشه وعانق ابنه بدموع الفرح وتوّجه ملكاً. وهكذا، أصبح الابن ممتناً لوالده وحمل له التقدير الشديد، طالما أن والده منحه الحياة".

لكنني قلت لأفعاي: "في الحقيقة يا أفعاي، لم أكن أعرف أنك راوية للحكايات الخرافية أيضاً. أخبريني إذاً، كيف أفسّر حكايتك الخرافية؟"

الأفعى: "تخيّل أنك الملك العجوز ولديك ابن".

أنا: "من هو الابن؟"

الأفعى: "اعتقدتُ أنك تحدثتَ للتو عن ابن لا يجعلك سعيداً".

أنا: "ماذا؟ أنت لا تقصدين... أن عليّ أن أتوّجه؟"

الأفعى: "نعم، ومن غيره؟"

أنا: "هذا غريب. لكن ماذا عن الساحرة؟"

الأفعى: "الساحرة هي امرأة أمومية يجب أن يأتي ابنك منها، بما أنك طفل يجدّد نفسه".

أنا: "أوه لا، هل سيكون من المستحيل عليّ أن أكون رجلاً؟"

الأفعى: "رجولة كافية، وما وراء امتلاء الطفولة. ولهذا تحتاج إلى الأم".

أنا: "أنا أخجل أن أكون طفلاً".

الأفعى: "لهذا تقتل ولدك. يحتاج الخالق إلى الأم، بما أنك لست امرأة".
أنا: "هذه حقيقة مريعة. اعتقدتُ وأملتُ أنني أستطيع أن أكون رجلاً بكل معنى الكلمة".
الأفعى: "لا يمكنك فعل هذا من أجلِ ابنك. أن تخلق يعني: أم وطفل".
أنا: "إن فكرة أن عليّ أن أبقى طفلاً لا تُحتمل".
الأفعى: "من أجل ابنك عليك أن تكون طفلاً وتترك له التاج".
أنا: "إن فكرة أن عليّ أن أبقى طفلاً مهينة ومريعة".
الأفعى: "إنها ترياقٌ مفيد ضد السلطة![813] لا تقاوم كونك طفلاً، وإلا فأنت تقاوم ابنك الذي تريده أكثر من أي شيء آخر[814]".
أنا: "هذا صحيح، أريد الابن والنجاة. لكن الثمن مرتفع جداً".
الأفعى: "يقف الابن في مرتبة أعلى. وأنت أصغر وأضعف من الابن. هذه حقيقة مرة، لكن لا يمكن أن تتجنّبها. لا تتحد الأمر، يجب أن يحسن الأولاد التصرّف".
أنا: "يا للسخرية اللعينة!"
الأفعى: "يا رجل السخرية! سأصبرُ عليك. يجبُ أن تتدفّقَ آباري من أجلك، وتسكبَ شراب الخلاص، إن أصبحت الأرض كلها عطشى، وأتى الجميعُ إليك متوسلين شربة ماء الحياة. لذا أخضِعْ نفسك للابن".
أنا: "أين سأمسكُ بما لا يقاس؟ إن معرفتي ومقدرتي ضعيفتان، كما أن قوتي ليست كافية".
حينها انتصبت الأفعى ولفّت نفسها وقالت: "لا تسأل عن الغد، يكفي كل يوم شره. يجب ألا تقلق بشأن الوسائل. دع كل شيء ينمُ، دع كل شيء يتبرعم، وسينمو الابن من نفسه".
تبدأ الأسطورة التي يجب أن تُعاش فقط، لا أن تُغنى، والتي تغني نفسها. لقد أخضعتُ نفسي للابن الذي أُنتج من السحر، الابن المولود

---

[813] في الكتاب الأسود 4: "الطموح" (الصفحة 180).
[814] في الكتاب الأسود 4: "عمل" بدلاً من "ابن" في السطور القليلة التالية (الصفحة 180).

بشكل غير طبيعي، ابن الضفادع الذي يقف على ضفة المياه، ويتكلم مع آبائه، ويستمع إلى غنائهم الليلي. إنه حقاً مليء بالأسرار ومتفوّق بالقوة على جميع البشر. إنه ابن لم يُنجِبهُ بشري، ولم تلده امرأة.

دخل المنافي للعقل إلى الأم الهَرِمة، ونما الابن في أعمق أرض. لقد شبّ وقُتل وبُعث ثانية، وأُنتج من جدِيد بطريقة السحر، ونما بسرعة أكبر من ذي قبل. لقد منحتُه التاج الذي يوحّد ما انفصل. وبهذا، يوحّد ما انفصل من أجلي. لقد منحتُه السلطان ولهذا فهو يأمر، بما أنه متفوّق بالقوة والذكاء على الآخرين جميعاً.

أنا لم أتنازل له طوعاً، بل بسبب بصيرتي. لا يجمع الإنسانُ العلويَّ والسفليَّ معاً. لكن من لم يكبر مثل إنسان، لكنه بهيئة إنسان، يستطيع أن يجمعهما معاً. إن قوتي مشلولة، لكنني أنجو في ابني. أنا أتناسى قلقي من أنه قد يسود في الناس. أنا مُعتزلٌ يبتهجُ الناس به. كنتُ صاحب سلطان، والآن لا سلطان لي. كنتُ قوِياً، والآن أصبحتُ ضعيفاً. ومنذ ذلك الحين، أخذ قوتي كلها لنفسه. أصبح كل شيء مقلوباً بالنسبة إلي.

أحببتُ جمال الجميل، وروح الغنيّ بالروح، واحتقرتُ ضعفَ الضعيف ولؤم اللئيم وكرهت سوء السيئ. لكن عليّ الآن أن أحبّ جمالَ القبيح وروحَ الأحمق وقوة الضعيف. عليّ أن أُعجب بغباء الذكي، وأحترم ضعف القوي ولؤم الكرِيم، وأُكرِمَ طيبة السيئ. وماذا حلّ بالسخرية والازدراء والكراهية إذا؟

لقد ذهبت إلى الابن كعربون للسلطة. إن سخريته دموية، وكم تومض عيناه بازدراء! إن كراهيته نار حارقة! أيها المحسود، يا ابن الآلهة، كيف يمكن ألا يطيعكَ المرء؟ لقد جزّأني إلى نصفين وقطّعني. إنه يجمع المنفصلين. كنت سأتداعى من دونه، لكن حياتي استمرّت معه. وبقي حبي معي.

وبهذا دخلتُ العُزلةَ بنظرة سوداء على وجهي، مليئة بالنفور والغضب من سلطان ابني. كيف أمكن لابني أن ينتحلَ سلطاني بدون حق؟ لقد ذهبتُ إلى الحدائق، وجلستُ في مكان منعزل على الصخور قرب الماء،

واكتأبت بسوداوية. استدعيتُ الأفعى، رفيقتي الليلية التي استلقت معي على الصخور عبر ليال كثيرة، ونقلتُ حكمتها الأفعوانية. لكن ابني انبثق من المياه، عظيماً وقوياً، والتاج على رأسه، بلبدة أسد ملفوفة، وجلد أفعى لامع يغطي جسده، وقال لي:[815]

"أتيت إليك مطالباً بحياتك".

أنا: "ماذا تقصد؟ هل أصبحت إلهاً؟"[816]

هو: "بُعثتُ ثانية، وأصبحتُ جسداً، وأعودُ الآن إلى البريق واللمعان الأزلي، إلى جمر الشمس الأزلي، وأتركُ لك أرضيتك، ستبقى مع البشر. لقد بقيتَ بصحبة الخالدين وقتاً كافياً. ينتمي عملك إلى الأرض".

أنا: "يا له من خطاب! ألم تكن تتمرّغ في الأرض وتحت التراب؟"

هو: "لقد أصبحتُ إنساناً ووحشاً، وأنا أصعدُ الآن ثانية إلى بلدي الخاص".

أنا: "أين هو بلدك؟"

هو: "في النور، في البيضة، في الشمس، في الأكثر عمقاً وانضغاطاً، في جمر التوق الأزلي. هكذا تشرق الشمس في قلبك وتتدفق إلى العالم البارد".

أنا: "كم تغيرت هيئتك!"

هو: "أريد الابتعاد عن ناظريك. عليك أن تعيش في العزلة الأكثر ظلمة، يجب أن يضيء البشر ظُلمتكَ وليس الآلهة".

أنا: "كم أنت قاس ومهيب! أرغبُ بغسل قدميك بدموعي، وتجفيفهما بشعري ـ أنا أهذي، هل أنا امرأة؟"

هو: "امرأة وأم حامل أيضاً. تنتظركَ عملية الولادة".

أنا: "أيها الروح القدس، امنحني شرارة من نورك الأزلي!"

هو: "أنت حامل".

أنا: "أشعر بعذاب المرأة الحامل وخوفها وكآبتها. هل خرجت مني يا إلهي؟"

---

[815] 19 نيسان - إبريل 1914. الفقرة التالية أضيفت في المسودة.

[816] في الكتاب الأسود 5، هذا الحوار يجري مع روحه (الصفحة 29 ف).

هو: "أنجبتَ الطفل".

أنا: "يا روحي، أما زلت موجودة؟ أيتها الأفعى، أيها الضفدع، أيها الصبي الذي نتج بأعجوبة ودفنتهُ بيديّ، يا من تعرضتَ للهزء والاحتقار والكره الذي ظهر لي بهيئة حمقاء؟ ليحلّ البلاء على من رأوا أرواحهم وتحسسوها بأيديهم. أنا عاجزٌ بين يديك يا إلهي!"

هو: "إن المرأة الحامل تنتمي إلى القدر. أطلقني، وسوف أرتقي إلى المملكة الأزلية".

أنا: "ألن أسمع صوتك ثانية؟ أوه أيها الخداع الملعون! ما الذي أطلبه؟ ستحدثني ثانية غداً، ستحدثني مراراً وتكراراً في المرآة".

هو: لا تتذمّر. سأكون حاضراً وغير حاضر. ستسمعني ولن تسمعني. سأكون ولا أكون".

أنا: "أنت تقول ألغازاً رهيبة".

هو: هذه هي لغتي، وأتركُ الفهم لك. ليس إلهك لأحدٍ غيرك. إنه معك دوماً لكنك تراه في الآخرين، وبهذا لا يكون معك أبداً. أنتَ تسعى لتقرّب إليك من يبدو أن لديهم إلهك. سترى أنهم لا يمتلكونه، وأنك وحدك تمتلكه. لهذا أنت وحيد بين البشر ـ أنت بين الحشود لكنك وحيد. إنها العزلة في الكثرة ـ تأمّل هذه الفكرة".

أنا: "أظنُ أن عليّ البقاء صامتاً بعد ما قلتَه، لكنني لا أستطيع ذلك، قلبي ينزف عندما أراك تبتعد عني".

هو: "دعني أرحل، وسأعودُ إليك بهيئة متجددة. أترى الشمس كيف تغوص حمراء في الجبال؟ لقد اكتمل عمل هذا اليوم، وستعود شمس جديدة غداً. لماذا تحزن على شمس اليوم؟"

أنا: "أيجب أن يحلّ الليل؟"

هو: "أليس هو أمّ النهار؟"

أنا: "بسبب هذه الليلة أريد أن أقنط".

هو: "لِمَ الحزن؟ إنه القدر. دعني أرحل، ينمو جناحاي، وأصبح التـوق نحو الضوء الأزلي قوياً في داخلي. لم يعد بإمكانـك إيقـافي. توقـفْ عـن البكاء ودعـني أرتفـع مـع صرخات الفرح. أنـتَ رجـل الحقـول، فكّـر بمحاصيلك. لقد أصبحتُ نوراً، مثل العصـفور الـذي يرتفـع إلى سمـوات الصباح. لا توقفني ولا تتذمّر، أنا أحومُ، وتفلتُ مني صرخة الحيـاة، لم يعد بإمكاني كبتُ متعتي الفائقة. يجبُ أن أرتفـع ـ لقـد حـدثَ الأمـر، تقطّع آخر الحبال، ويحملني جناحاي إلى الأعلى. أنـا أرتفـعُ إلى سمـاء النور، وأنت الذي تقف في الأسفل هناك، أنت البعيد، يا كائن الغسق، إنك تضمحلّ أمامي".

أنا: "إلى أين ذهبت؟ لقد حدثَ أمر ما. أنا مُعاق. ألم يختفِ الإلـه عـن ناظريّ؟"

أين هو الإله؟

ما الذي حدث؟

يا للفراغ، يا للفراغ الشديد! هل أحكي للناس كيف اختفيتْ؟ هل أعـظُ بإنجيل المُعتزل الذي تخلّى الإله عنه؟

هل يجَبُ أن نذهبَ جميعاً إلى الصحراء، وننثرُ الرماد على رؤوسنا، بمـا أن الإله قد تخلّى عنا؟

أنا أؤمنُ وأقبلُ أن الإله[817] شيء يختلف عني.

لقد تأرجحَ عالياً بفرحٍ جذل.

وبقيتُ أنا في ليل الألم.

لم أعد مع الإله[818]، بل وحيداً مع نفسي.

انغلقي الآن أيتها الأبواب البرونزيـة الـتي فَتحتُهـا أمـام طوفـان الـدمار والجريمة الذي يخيّم على الشعوب، فَتحتُها كما لـو أنهـا القابلـة الـتي ستنجبُ الإله.

---

[817] في الكتاب الأسود 5 يوجد بدل "الإله" "الروح" (الصفحة 37).

[818] في الكتاب الأسود 5 يوجد بدلاً من ذلك "مع روحي" (الصفحة 38).

انغلقي، عسى أن تدفنكِ الجبالُ وتغمركِ البحار[819].
لقد أتيتُ إلى ذاتي[820] بصورةٍ مترنحة ومثيرة للشفقة. لم أكن أريد أن يكونٍ (أنايٍ) رفيقي. وقد وجدتُ نفسي معه. كنتُ أفضّل امرأةً سيئة أو كلباً شارداً، أما (أناي) الخاص، فهو يرعبني.
[821] هناك حاجة لعمل فني ضخم، يمكن للمرء أن يستهلكه طوال عقود، ويقوم به بدافع الحاجة. يجب أن أجد قطعة من العصور الوسطى داخل نفسي. لقد انتهينا فقط من العصور الوسطى الموجودة في الآخرين. عليّ أن أبدأ باكراً، في مرحلة انقراض النساك[822]. إن الزهد ومحاكم التفتيش والتعذيب، قريبة وتفرضُ نفسها. يتطلّبُ البربري وسائل تعليم بربرية، وأنت بربري يا (أناي). أريد أن أعيش معك، ولذلك عليّ أن أحملك عبر جحيمٍ قروسطي رهيب، إلى أن تُصبحَ قادراً على جعل العيش معك محمولاً. يجبُ أن تكونُ أنتَ آنيةُ الحياةِ ورحمها، لذا عليّ أن أُطهّركَ.
يصبحُ مِحكّ الاختبارِ وحيداً مع المرء.
هذه هي الطريق[823].

---

[819] أضيفت هذه الفقرة في المسودة.
[820] في المسودة المصححة كُتب "إلى نفسي" بدلاً من ذلك (الصفحة 555).
[821] التذكير مضاف في المسودة (الصفحة 555 ف).
[822] عام 1930 صرح يونغ قائلاً: "إن الحركة خلفاً إلى العصور الوسطى هي نوع من النكوص، لكنه ليس شخصياً. إنه نكوص تاريخي، نكوص إلى ماضي اللاوعي الجمعي. يحدث هذا دوماً عندما لا يكون الطريق إلى الأمام مفتوحاً، وعندما تكون هناك عقبة تلتف عندها، أو عندما تحتاج إلى إخراج شيء من الماضي كي تتسلق جداراً أمامك" ("الرؤى، المجلد 1، الصفحة 148). وفي هذه المرحلة بدأ يونغ العمل بشكل مكثّف على لاهوت القرون الوسطى (راجع "النماذج السيكولوجية" [1921] الأعمال الكاملة 6، الفصل 1، "مشكلة النموذج في تاريخ العقل في الماضي السحيق والعصور الوسطى").
[823] في هذه المرحلة كُتب في المسودة المكتوبة بخط اليد "Finis" (أي النهاية)، محاطة بمربع (الصفحة 1205).

الكتاب الثالث:

السبر العميق

السبر العميق

أنا أقاوم، ولا أستطيع أن أتقبّل هذا الفراغ المجوّف الذي أنـا عليـه. من أكون؟ وما هي أناي؟ أنا أقوم دوماً بافتراضات مسبقة عن أناي. إنها تقف أمامي الآن– أنا أمام أنا. تتحدث (أناي) إليكم الآن:

[824]نحن وحيدون مع كينونتنـا الـتي تهـددّ بـأن تصبح مملّـة بشـكل لا يُحتمل. يجب القيام بشيء ما، أن نخترع هواية مثلاً، أنا أستطيع تعليمك ذلك. سنبدأ بالعيب الأساسي لديك، فهو أول ما يظهر أمامي: ليس لـديك تقدير ذاتي صحيح. ألا يوجد لديك صفات جيدة يمكنك الافتخار بها؟ إنك تظنّ أن هذه المقدرة فنّ من الفنون. لكن بإمكان المرء تعلّم مهارات كهـذه إلى حدّ معين. افعـل هـذا مـن فضـلك. هـل تجـد الأمـر صـعباً – حسـنٌ، إن

---

[824] 19 نيسان - إبريل 1914.

البدايات كلها صعبة[825]. وسرعان ما ستتمكن من القيام بها بشكل أفضل. ألديك شكٌ بهذا؟ لا فائدة من ذلك، عليك أن تكون قادراً على القيام بها وإلا فلا يمكنني العيش معك. منذ ارتقاء الآلهة وسيطرتها على تلك السموات النارية لتفعل ما تريد فعله، كان ما لم أعرفه بالضبط، أن أحدنا قد اعتمد على الآخر. عليك من هذه النقطة، أن تفكر بالتحسّن وإلا ستكون حياتنا بائسة معاً. تماسكْ وقيّمْ نفسك! ألا تريد ذلك؟

أيها المخلوق الجدير بالشفقة! سأعذبك قليلاً إن لم تبذل جهداً. ما الذي يدفعك إلى النواح؟ ربما سيفيدك السوط؟

هذا يؤثر بك في العمق، صحيح؟ خذ هذا - وهذا أيضاً. ما هو مذاقه؟ إن مذاق الدم على ما يبدو؟ مذاق القرون الوسطى في "مجد الله الأعظم"؟[826]

ربما كنت تريد الحبّ، أو ما يمثّله هذا الحبّ؟ يمكن للمرء أيضاً أن يعلّم من خلال الحبّ إن لم تُثمر الضربات. أم هل عليّ أن أحبك، وأضمك إلى صدري بحنان؟

أعتقدُ حقاً أنكَ تتثاءب.

ماذا الآن؟ أتريد أن تتكلم؟ لكنني لن أسمح لك بهذا، لأنك ستدّعي في النهاية أنك روحي. لكن روحي مع الدودة النارية، مع ابن الضفدع الذي طار إلى السماوات العالية، إلى المصادر العليا. هل أعرف ماذا يفعل هناك؟ لكنك لست روحي، بل أنت الفراغ العاري. أنت (أنا)، الذي هو ذلك الكائن البغيض الذي لا يمكن لأحد حتى إنكار حقه باعتبار نفسه عديم القيمة.

يمكن للمرء أن يُصاب باليأس منك: إن حساسيتك ورغبتك تفوقان أي مقياس معقول. وعليّ أن أعيش معك، من بين كل الناس. عليّ أن أفعل، بما أن سوء الحظ الغريب شاء أن يمنحني ابناً ثم يأخذه.

---

[825] "كل البدايات صعبة" هو قول مأثور من التلمود.

[826] "مجد الله الأعظم": هذا هو شعار اليسوعيين.

يؤسفني أنه من الضروري أن أقول الكثير من الحقائق لـك. نعـم، أنـت حساس وتدّعي الحـق وصعب المـرّاس وغـير جـدير بالثقـة، أنـت متشـائم وجبان وغير صادق مع نفسك، وحقود وانتقامي بشـكل مضـحك، ويصـعب على المرء أن يتحدث عن كبريائـك الطفـولي، وتوقـك إلى السـلطة ورغبتـك بالتقدير، وطموحك المضحك وعطشك إلى الشهرة دون أي شعور بالاشمئزاز. لا يناسبك التمثيل والتباهي، وأنت تستغلّهما بأقصى طاقة لديك.

أتظنني أحظى من خلال حياتي معك بالمتعة أم بالرعب؟ لا، وأكررها ثلاثاً، لا! لكنني أعدك بإحكام القيد عليك ونزع جلدك ببطء. سـأعطيك الفرصة لتُسلخ.

أنت، أنت من بين كل الناس، رغبتَ أن تقول للآخرين ماذا علـيهم أن يفعلوا؟

تعال إلى هنا، سأخيط لك جلداً جديداً، كيف تشعر به؟

تريد أن تتذمر من الآخرين، وأن تـدّعي بـأن هـذا أخطـأ بحقـك ولم يفهمك، وأساء تفسـير كلامـك وجـرح مشـاعرك، وتجاهلـك ولم يقـدّرك واتّـهمك ظلماً وبُهتاناً، وماذا أيضاً؟ هل ترى غـرورك في هـذا، هـل تـرى غرورك السخيف أبداً؟

تذمّرْ، لأن العذاب لم ينته بعد.

دعني أخبرك شيئاً: لقد بدأ للتو فقط. ليس لـديك صـبر ولا جدّيـة. أنت لا تُثني على صبرك إلا فيما يتعلق بمتعتك. سأضاعف عـذابك كـي تتعلم الصبر.

أنت تشعر أن الألم لا يُحتمل، لكن هناك أشياء أخرى أكثر إيلامـاً، يمكنك أن تُلقي بها على الآخرين بسذاجة عظيمـة، وتـبرّئ نفسـك دون أنت تدري.

لكنك ستتعلّم الصمت. ومن أجل هذا سأسحب لسانك الـذي هزئـت به وكفرت، والأسوأ أنـك اسـتخدمته للمـزاح. سـأعلّق كلماتـك الجـائرة

والفاسدة إلى جسدك، وأغرزها بالإبر واحدة تلو أخرى، كي تشعر بمستوى الشرّ في طعنات الكلمات.

أتعترف بأنك تستمدّ المتعة من هذا العذاب أيضاً؟ سأزيد هذه المتعة إلى أن تتقيأ بفرح، كي تعرف ما يعنيه الاستمتاع بتعذيب الذات.

أنت تثور ضدي؟ سأشدّ القيود بإحكام أكبر، هذا كل في الأمر. سأكسر عظامك إلى أن يختفي كل أثر للصلابة هناك.

عليّ أن أفعل ذلك لأنني أريد الاتفاق معك، تباً لك فأنت أناي التي يجب أن أحملها معي إلى القبر. أتعتقد أنني أرغب بمرافقة حماقة كهذه طوال حياتي؟ لو لم تكن أناي، لمزقتك إرباً منذ وقت طويل.

لكنني محكوم بلعنة أن أجرّك عبر المَطْهَر كي تصبح أنت أيضاً مقبولاً بشكل ما.

....

إنها كينونة مخيفة ورائعة تجعل النار تهطل على الأرض وتُنتِجُ العويل[827]. ابكِ إذاً أمام الله، سيحرقك بالنار ليغفر آثامك. التفّ على نفسك وتعرّقْ دماً. كنتَ بحاجة إلى هذا العلاج منذ وقت طويل. نعم، يخطئ الآخرون دوماً ـ وأنت؟ أنت البريء القويم، وعليك أن تدافع عن حقك الصالح، ولديك إله محبّ إلى جانبك، وسيغفر لك آثامك بالشفقة. على الآخرين أن يصلوا إلى البصيرة، وليس عليك أنت، بما أنك احتكرت البصيرة منذ البداية، ولديك قناعة دائمة بأنك على حق........

أردتَ أن تصبحَ سامياً! كم هذا مضحك. لقد كنتَ وضيعاً ولا تزال. من أنت إذاً؟ إنك حثالة تثيرُ اشمئزازي.

هل أنت عاجز بشكل ما؟ سأضعك في زاوية تبقى فيها مستلقياً إلى أن تعود إلى رشدك. إن لم تعد تشعر بأي شيء، فلا فائدة من هذا الإجراء. في النهاية، علينا أن نعمل بمهارة. أن يكون المرء بحاجة إلى وسائل

[827] الإشارات إلى هذا الأمر في الصفحات التالية، ليست موجودة في الكتاب الأسود 5.

بربرية كهذه من أجل تحسينك، ينبئ عنك الكثير. يبدو أن تطوّرك كان ضئيلاً جداً منذ العصور الوسطى.

[828]هل شعرت اليوم أنك مُحبط ووضيع وقليل القيمة؟ هل أخبرك عن السبب؟

ليس هناك من حدود لطموحك الجامح. لا ترتكزُ أساساتك على الأمور الصالحة بل على غرورك. أنت لا تعمل من أجل الإنسانية بل من أجل صالحك الخاص. أنت لا تطمح إلى تمام الشيء بل إلى التقدير العام وحفظ مصلحتك الخاصة. أريد أن أكرّمك بتاج من الحديد الشائك الذي تنغرس أسنانه الداخلية في لحمك.

نصل الآن إلى الخدعة الخسيسة التي تسعى إليها بذكائك. أنت تتحدث بمهارة وتستغلّ قدرتك، وتغيّر ألوان الضوء والظل، فتعدّل سوياتها وتغيّر قوتها، وتعلنُ بصوت عال عن شرفك وإيمانك الصالح. أنت تستغلّ الإيمان الطيّب للآخرين وتَصطادهم في أشراكك بشماتة، وتتحدث عن فوقيتك السَمِحة وبأنك مكافأة بالنسبة للآخرين. تلعب لعبة التواضع ولا تذكر مزاياك على أمل أن يقوم بهذا شخص آخر نيابة عنك، كما تشعر بالألم وخيبة الأمل إن لم يحدث هذا.

إنك تَعِظُ برباطة جأش منافقة. لكن هل تكون هادئاً عندما يكون الأمر مهماً حقاً؟ لا، أنت تكذب. ينهشك غضبٌ ويُطلق لسانكَ خناجر باردة، كما تحلم بالانتقام.

أنت شامتٌ ومغتاظ. أنت تحسدُ الآخرين على الشمس المشرقة، بما أنك ترغب بتخصيصها لمن تحابيهم لأنهم يحابونك. أنت تحسد الرفاه حولك وتؤكد النقيض بوقاحة.

أنت تفكّر في داخلك دائماً بغلظة وقسوة وبما يناسبك فقط، وبهذا تشعر بأنك فوق البشرية ولست مسؤولاً عن أي شيء. لكنك مسؤول أمام

---

[828] 20 نيسان - إبريل 1914، في اليوم نفسه، تقاعد يونغ كرئيس لرابطة التحليل النفسي العالمية (رسائل فرويد/يونغ، الصفحة 613).

البشرية عن كل ما تقوم به وتفكّر وتشعر. لا تتظاهر بوجود فارق بين التفكير والفعل. أنت لا تعتمد إلا على تميّزك الذي لا يستحقّ، كي لا تُجبرَ على قول أو تنفيذ ما تفكر به وتشعر.

لكنك مُسيء بكل شيء عندما لا يراك الآخرون. إن أخبرك بهذا شخص آخر، فستشعر بإهانة شديدة رغم إدراكك لصحّة ما يقوله. تريد أن تلوم الآخرين على فشلهم كي يحسّنوا أنفسهم؟ نعم، اعترفْ، هل حسّنت نفسك؟ من أين تحصل على الحق بأن يكون لك آراء بالآخرين؟ ما هو رأيك بنفسك؟ وما هي الأسس التي تدعمه؟ أساساتك عبارة عن شِباكٍ من الأكاذيب تغطي زاوية قذرة. أنت تحاكم الآخرين وتملي عليهم ما يجب القيام به. أنت تفعل هذا لأنك لا تملك نظاماً داخل نفسك، ولأنك دنِس.

هناك شيء آخر أيضاً ـ كيف تفكّر فعلاً؟ يبدو لي أنك تفكّر بواسطة الناس أيضاً، بغضّ النظر عن كرامتهم الإنسانية، أنت تجرؤ على التفكير بهم كوسائل وتستخدمهم كشخصيات على مسرحك، بالطريقة التي تتخيلهم بها؟ هل فكّرت يوماً أنك بهذا التصرف، تمارس سلطتك بشكل مُشين، وبالسوء نفسه الذي تدين الآخرين به، أي إنهم يحبّون أخاهم الإنسان كما يدّعون، لكنهم يستغلّونه في الواقع من أجل غاياتهم الشخصية. يزدهر إثمك في العزلة، لكنه ليس أقل جسامة ووحشية وفظاظة.

سأسحب ما هو مخفي فيك إلى الضوء، أيها الدنيء! سأسحق فوقتيك تحت قدميَ.

لا تكلمني عن حبّك. ما تسميه حبّاً، ينضح بالرغبة والمصلحة الشخصية. لكنك تتحدث عنه بكلمات عظيمة، وكلما كانت كلماتك أعظم، كان حبّك المزعوم أكثر مدعاة للشفقة. لا تحدثني عن حبّك أبداً، بل ابقِ فمك مغلقاً. إنه يكذب.

أريدك أن تتكلم عن عارك، وبدلاً من أن تتحدث بكلمات عظيمة، تنطق بلغط متناقض أمام أولئك الذين أردتَ أن تنتزع احترامهم. إنك تستحقّ السخرية وليس الاحترام.

سأحرق محتوياتك التي كنت تفخر بها كي تصبح فارغاً مثل إناء أُفرغ ما فيه. يجب ألا تفخر بأمر آخر أكثر من فخرك بفراغك وشقائك. يجب أن تكون وعاء للحياة، لذا اقتل مُثُلك العليا.

لا تنتمي الحرية إليك، بل شكلها الخارجي، ولا تنتمي القوة إليك بل المعاناة وحسب.

يجب أن تحوّل احتقارك لذاتك إلى فضيلة، ابسطها أمام الناس مثل سجادة. يجب أن يسيروا عليها بأقدام قذرة، وأن تحرص على أن تكون أكثر قذارة من كل الأقدام التي تدوسك.

[829]إن استطعتُ ترويضك أيها الوحش، فإنني أعطي الآخرين فرصة لترويض وحوشهم. يبدأ الترويض بك يا أناي، وليس في أي مكان آخر. لا يعني هذا يا أخي "الأنا" الأحمق، أنكَ كنتَ جامحاً بشكل خاص. هناك آخرون جامحون. لكن عليّ أن أسوطك كي تستطيع تحمّل جموح الآخرين. حينها سأستطيع العيش معك. إن أخطأ أحد بحقك، فسأعذبك حتى الموت، إلى أن تغفر الخطأ الذي عانيته، وليس بالكلام فقط، بل بقلبك المثقل بحساسيته الشنيعة أيضاً. حساسيتك هي الشكل الخاص بك من العنف.

لذا، اسمع يا أخي في عزلتي، لقد جهّزت لك كل أنواع العذاب تحسّباً لحالة تراودك نفسك بها ثانية بأن تكون حساساً. يجب أن تشعر بالدونية. يجب أن تكون قادراً على تحمّل حقيقة أن المرء يسمي نقاءك قذارة، وأنه يرغب بقذارتك، ويمدح إسرافك على أنه شحّ، وطمعك على أنه فضيلة.

املأ فنجانك بشراب الاستعباد المر، بما أنك لستَ روحك. إن روحك مع الإله الناري الذي وصل لهيبه إلى سقف السماوات.

هل ستبقى حساساً؟ لاحظتُ أنك تضع خططاً سريّة للانتقام، وتحيك حيلاً مخادعة. لكنكَ أحمق، لا يمكنك الانتقام من القَدَر. أيها الطفولي،

[829] 21 نيسان - إبريل 1914.

ربما ترغب حتى بأن تسوط البحر. ابنِ جسوراً أفضل بدلاً من ذلك، إنها طريقة أفضل لتبذّر فطنتك.

تريد أن تكون مفهوماً؟ هذا كل ما كنّا بحاجة إليه! افهم نفسك وستصبح مفهوماً بشكل جيد. سيكون أمامك الكثير من العمل لتقوم بهذا. يريد أولاد الأمهات الأعزاء أن يكونوا مفهومين. افهم نفسك، هذه أفضل وقاية ضد الحساسية، وهي تشبع توقك الطفولي لتكون مفهوماً. أفترض أنك تريد أن تحوّل الآخرين إلى عبيد لرغبتك ثانية. لكنك تعرف أن عليّ العيش معك وأنني لن أتحمّل كآبتك بعد الآن[830].

بعد أن قلتُ هذه الكلماتِ الغاضبةِ وكثير غيرها لأناي، لاحظتُ أنني بدأتُ أتحمّل كوني وحيداً مع ذاتي. لكن مازالت الحساسية المفرطة تحرّكني بشكل متكرر، وكان علي أن أسوط نفسي بالقدر نفسه. وفعلتُ هذا إلى أن زالت حتى متعة تعذيب النفس[831].

[832]وذات يوم، سمعتُ صوتاً آتياً من البعيد، وكان صوت روحي. قالتْ: "كم أنت بعيد!"

أنا: "هل هذه أنتِ يا روحي، من أي ارتفاع ومسافة تتكلمين؟"

الروح: "أنا فوقك. على بعد عالم منك. أصبحتُ أشبه بالشمس. تلقيتُ بذور النار. أين أنت؟ لا أستطيع العثور عليك في ضبابك إلا بصعوبة".

---

[830] وصف يونغ لاحقاً النقد الذاتي الموصوف في هذا الفصل الافتتاحي بأنه مواجهة مع الظل. وقد كتب في عام 1934 قائلاً: "من ينظر إلى مرآة الماء سيرى أولاً كل صورته الشخصية. من يذهب إلى ذاته، يخاطر بمواجهة مع ذاته. المرآة لا تطري بل تُظهِر من ينظر فيها بأمانة، وتحديداً الوجه الذي لا نظهره أبداً للعالم لأننا نغطيه بالشخصية القناع، قناع الممثل. لكن المرآة تكمن تحت القناع وتُظهِر الوجه الحقيقي. هذه المواجهة هي اختبار الشجاعة الأولى على الطريق الداخلي، اختبار يمكنه إخافة معظم الناس، لأن لقاء أنفسنا ينتمي إلى أشياء أكثر إزعاجاً يمكن تجنبها طالما أن بوسع المرء إسقاط كل شيء سلبي على المحيط. لكن إن كنا قادرين على رؤية ظلنا الخاص وتحملنا معرفة وجوده، فسوف يكون جزء كبير من المشكلة قد حُل سلفاً: لقد أخرجنا على الأقل اللاوعي الشخصي" (عن النماذج البدئية للاوعي الجمعي) (الأعمال الكاملة 9، 1، صفحات 43-44).

[831] لا توجد هذه الفقرة في الكتاب الأسود 5. في 30 نيسان - أبريل 1914، استقال يونغ كمحاضر في كلية الطب في جامعة زيوريخ.

[832] 8 أيار - مايو 1914. هناك فجوة في مداخل الكتاب الأسود 5 بين 21 نيسان – إبريل و8 أيار - مايو، لذا لا يبدو أن النقاشات المشار إليها في الفقرة السابقة قد سُجلت.

أنا: "أنا في الأسفل في الأرض المعتمة، في الدخان القاتم الذي تركته النار لنا، لا يصل إليك مدى نظري، لكن صوتك يبدو أقرب".
الروح: "أشعر به. يتخللني ثقل الأرض، وتغلّفني البرودة الرطبة، وتهزمني الذكريات الكئيبة لألم سابق".
أنا: "هلا اقتربتِ من دخان الأرض وظلمتها! أرغب بهذا وما زلت أعمل لأبقى شبيهاً بالشمس. وإلا سأفقد شجاعتي للعيش أكثر في ظلمة الأرض. دعيني أسمع صوتك. لن أرغب أبداً برؤيتكِ في الجسد ثانية! قولي شيئاً! خذيه من الأعماق، من ذلك المكان الذي ربما يتدفق الخوف منه إليّ".
الروح: "لا أستطيع، بما أن منبعك الخلّاق يتدفق من هناك".
أنا: "أنت ترين عدم يقيني".
الروح: "طريق اللايقين هو الطريق الجيد. عليه تكمن الاحتمالات. كن ثابت العزم وأبدعْ".
سمعتُ صوت رفرفة الجناحين. كنت أعرف أن الطائر ارتفع إلى علوٍّ أسمى فوق الغيوم، في التألّق الناري للألوهية الممتدة.
"التفتُ إلى أخي (الأنا)، وقفَ بحزن ونظر إلى الأرض وتنهد، وكان يفضّل لو أنه كان ميتاً، بما أن عبء معاناة هائلة يثقل كاهله. لكن صوتاً تحدث إلي وقال:
"هذا صعب ـ القربان يتساقط يميناً وشمالاً ـ وأنت ستُصلب من أجل الحياة".
وقلت لأناي: "أخي، هل يعجبك هذا الكلام؟"
لكنه تنهد بعمق وأصدر أنيناً: "هذا مرير، وأنا أعاني كثيراً".
أجبته على هذا: "أعلم، لكن لا يمكن تغيير هذا". لم أكن أعرف ماذا كان، بما أنني ما زلت لا أعرف ماذا يخبئ المستقبل (حدث هذا في 21 أيار – مايو عام 1914)[833]. في هذه المعاناة الشديدة، نظرت إلى الغيوم في الأعلى، وناديت روحي وسألتها. وسمعت صوتها سعيداً ومشرقاً، وأجابت:

[833] 21 أيار - مايو 1914.

"صادفني الكثير من السعادة. أنا أرتفع إلى أعلى، وينمو جناحاي".
أطبقتْ عليّ المرارة لسماعي هذه الكلمات وصرخت: "أنت تعيشين من دم القلب البشري".
سمعتُ ضحكتها – وربما لم تكن تضحك؟ "لا شراب أعزّ علي من الدم الأحمر".
سيطر الغضب عليّ فصرخت: "لو لم تكوني روحي التي تبعتْ الله إلى الملكوت الأزلي، لقلتُ إنك أسوأ مصائب البشر. لكن من يحركك؟ أعرف أن الألوهة ليست إنسانية. الإلهي يبدد الإنساني. أعرف أن هذه هي الخشونة والقسوة، لا يمكن لذلك الذي تلمّسك بيديه، أن يغسل الدم عنها، لقد أصبحتُ عبداً لك".
أجابت: "لا تغضب ولا تتذمر. دع الضحايا الذين تسيل دماؤهم يسقطون إلى جانبك. هذه ليست خشونتك ولا قسوتك، لكنها ضرورة. طريق الحياة مزروع بالضحايا".
أنا: "نعم فهمت، إنه ميدان معركة. أخي، ماذا أصابك؟ هل تتأوه؟"
أجاب أناي: "لماذا لا أتأوه وأتوجع؟ حملتُ نفسي بالموتى ولا أستطيع جرّ هذا العدد كله منهم".
لكنني لم أفهم لماذا تحدثتُ إليه: "أنت وثني يا صديقي! ألم تسمع بأنه قيل: دع الموتى يدفنون موتاهم؟ [834] لماذا تريد حمل عبء الموتى؟ أنت لا تساعدهم من خلال جرّهم".
ثم ناح أناي قائلاً: "لكنني أشفق على الضحايا المساكين، لا يمكنهم الوصول إلى الضوء. ربما إن جررتُهم___؟"
أنا: "ما هذا؟ لقد حققت أرواحهم ما يمكنها تحقيقه، ومن ثم واجهوا القدر. سيحدث هذا لنا أيضاً. شفقتك مريضة".
لكن روحي نادت من بعيد: "دع الشفقة له، الشفقة تربط الحياة والموت".

834 متى (8: 21-22) إنجيل متى الإصحاح 8 الآيات 21-22 "وقال له آخر من تلاميذه: "وَقَالَ لَهُ آخَرُ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: «يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اتْبَعْنِي، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ".

لسعتني كلمات روحي هذه. تحدثتْ عن الشفقة، ارتفعتْ وهي تتبعُ الربّ دون شفقة، وسألتها:

"لماذا فعلتِ هذا؟"[835]

ولأن حساسيتي الإنسانية، لم تتمكن من فهم شناعة تلك الساعة. أجابتْ:

"لم يكن مقرراً لي أن أكون في عالمك. لقد لوثتُ نفسي بمفرزات أرضك".

أنا: "ألستُ أنا الأرض؟ ألستُ أنا المفرزات؟ هل اقترفتُ خطأ ما أجبركِ على اتباع الله إلى الممالك العلوية؟"

الروح: "لا، إنها ضرورة داخلية. أنا أنتمي إلى الأسمى".

أنا: "ألم يعان أحد خسارة لا يمكن تعويضها بسبب اختفائك؟"

الروح: "على العكس، لقد استمتعتَ بفائدة قصوى".

أنا: لو اهتممتُ بشعوري الإنساني حيال هذا، ما كان من الممكن أن يراودني الشك".

الروح: "ماذا لاحظتَ؟ لماذا يُفترضُ أن يكون ما تراه غير صحيح دوماً؟ يقع اللوم عليك لأنك لا تستطيع منع نفسك من أن تجعلها أضحوكة. ألا يمكنك البقاء على طريقك مرة واحدة؟"

أنا: أنت تعرفين أنني أشكّ بسبب حبي للناس".

الروح: لا أبداً، أنت تشكّ بسبب ضعفك وقلة إيمانك. ابق على طريقك ولا تهرب من ذاتك. هناك غاية إلهية وإنسانية. إنهما تتقاطعان لدى الناس الأغبياء والضائعين، وأنت تنتمي إليهم من حين إلى حين".

بما أن ما تحدثت عنه روحي، لم يكن يشير إلى أي شيء أستطيع رؤيته، ولم أستطع فهم ما عاناه أناي (بما أن هذا حدث قبل شهرين من اندلاع الحرب)، فقد أردتُ فهم كل شيء كتجارب شخصية في داخلي، وبهذا لم أستطع فهمه كله ولا الإيمان به، لأن إيماني كان ضعيفاً. وأنا أؤمن أنه من الأفضل في زماننا أن يكون الإيمان ضعيفاً. لقد كبرنا على هذه الطفولة التي يكون فيها الإيمان هو الوسيلة الأكثر ملاءمة لتقريب

---

[835] 23 أيار - مايو 1914.

الناس إلى ما هو خيّر ومنطقي. لذلك فإن أردنا اليوم أن نحظى بإيمان قوي ثانية، فإن علينا العودة إلى تلك الطفولة المبكرة. لكن لدينا الكثير من المعرفة، وعطش شديد لها في داخلنا، بحيث نحتاج إليها أكثر من الإيمان. لكن قوة الإيمان ستمنعنا من الحصول على المعرفة. يمكن للإيمان أن يكون قوياً بالتأكيد، لكنه فارغ ولا يعمل إلا جزء ضئيل جداً من الإنسان....... يبدو لي هذا رخيصاً جداً. من لديهم الفهم، يجب ألا يكتفوا بالإيمان، بل يجب أن يتصارعوا مع المعرفة بأقصى قدرتهم. الإيمان ليس كل شيء، وليست المعرفة كل شيء أيضاً. لا يمنحنا الإيمان الأمان ولا ثراء المعرفة. أحياناً، تُبعِدنا الرغبة بالمعرفة عن الإيمان أكثر مما ينبغي. ينبغي الوصول إلى توازن بين الأمرين.

لكن الإيمان المبالغ به خطير أيضاً، لأن على كل إنسان اليوم أن يجد طريقه الخاص ويواجه في ذاته عالماً ماورائياً مليئاً بأشياء غريبة وعظيمة. يمكنه بسهولة أن يأخذ كل شيء مع المبالغة بالإيمان، ولن يكون إلا مجنوناً. تتحطّم طفولية الإيمان بوجه ضرورات حاضرنا. ونحتاج إلى معرفة تطوّر التمايز لإزالة الالتباس الذي أتى به اكتشاف الروح. لذلك ربما يكون من الأفضل بكثير، أن ينتظر المرء معرفة أفضل قبل أن يقبل الأشياء بإيمان مبالغ فيه[836].

من هذه الاعتبارات قلتُ لروحي: "هل يجب قبول هذا كله؟ أنت تعرفين بأي معنى أطرح هذا السؤال. ليس من الغباء وقلة الإيمان طرح هذا السؤال، بل بسبب شكّ من نموذج أعلى".

أجابت روحي: "أفهمك ـ لكن يجب القبول بهذا".

أجبت: "ترعبني عزلةُ هذا القبول. أخشى الجنون الذي يحلّ بالشخص المنعزل".

---

[836] لا تظهر هاتان الفقرتان الأخيرتان في الكتاب الأسود 5: كتب يونغ في كتاب "تحولات ورموز الليبيدو" (1912)، "أعتقد أن الفهم يجب أن يحلّ محل الإيمان" (الأعمال الكاملة ب، 356). في 5 تشرين الأول - أكتوبر 1945، كتب يونغ لفيتكور وايت: "بدأتُ عملي بالتنصل من كل شيء كانت تفوح منه راحة الإيمان" (آن كونراد لامرز وأدريان كانينغهام، محرران) "رسائل يونغ/وايت" (سلسلة فيلمون، لندن: روتلدج، 2007)، الصفحة 6.

أجابت: "كما تعرف مسبقاً، لطالما تنبأت لك بالعزلة. لا داعي لأن تخشى الجنون. ما تنبأتُ به صحيح."
ملأتني هذه الكلمات قلقاً لأنني شعرت بأني أكاد لا أستطيع تقبّل ما تنبأت به روحي، لأنني لم أفهمه. لطالما رغبت بفهمه فيما يتعلق بنفسي. لذلك قلتُ لروحي: "يعذبني أي خوف غير مفهوم؟"
"إنه شكّك وقلة إيمانك. أنت لا تريد الإيمان بحجم التضحية المطلوبة. لكن الأمر سيسير إلى النهاية المؤلمة. تتطلّب العظمةُ عظمةً. ما زلتَ تريد أن تكون رخيصاً جداً. ألم أحدثك عن التخلّي وترك الأمور وشأنها؟ أتريد أن تحظى بأفضل مما حظي به الآخرون؟
أجبتُ: "لا. لا، ليس هذا ما في الأمر. لكنني أخشى ارتكاب ظلم بحق الناس إن سرت بطريقي الخاص".
قالت: "ما الذي تريد تجنّبه؟ لا يمكنك تجنّب أي شيء. عليك السير في طريقك وعدم الاهتمام بالآخرين، سواء كانوا صالحين أم طالحين. لقد وضعتَ يدك على السرمدي الذي لم يضعوا أيديهم عليه".

لم أستطع تقبّل تلك الكلمات لأنني خشيت الخداع. لذلك لم أرغب بتقبّل الطريق الذي أجبرتني على الحوار مع روحي. فضّلتُ التحدّث مع الناس. لكنني شعرت أنني مجبر على العزلة، وخشيت في الوقت نفسه عزلة تفكيري التي أبعدتني عن الدروب المعتادة[837]. عندما تأملت هذا، تحدثتْ روحي معي: "ألم أتنبأ لك بعزلة قاتمة؟"
أجبت: "أعلم، لكنني لم أعتقد حقاً أن هذا سيحدث. هل هذا ضروري؟"
"لا يمكنك إلا الموافقة. ليس هناك ما يمكن فعله إلا أن تهتم بقضيتك. إن كان لأي شيء أن يحدث، فلن يحدث إلا بهذه الطريقة".
صرخت: "إذاً ليس هناك من أمل لمقاومة العزلة؟"
"ليس هناك من أمل قط. يجب أن تُجبرَ على عملك" يجب إقحام العزلة في عملك".

---

[837] 24 أيار - مايو 1914. من بداية هذه الفقرة، لا تظهر السطور في "الكتاب الأسود 4".

عندما قالت روحي هذا الكلام، اقترب مني عجوز بلحية بيضاء ووجه شاحب[838]. سألته عما يريد مني. وأجاب:

"أنا الذي لا اسم له، أحد العديدين الذين عاشوا في عزلة وماتوا. إن روح الزمن والحقيقة التي تم إقرارها، طلبا هذا منا. انظر إليّ - يجب أن تعرف هذا. كانت الأمور جيدة أكثر مما يجب معك"[839].

أجبت: "لكن هل هذا ضروري في زمننا المختلف جداً عن زمنكم؟"

"يصحّ اليوم كما كان يصحّ البارحة. لا تنس أبداً أنك إنسان، لذا يجب أن تنزف من أجل هدف الإنسانية. مارس العزلة بمواظبة ودون تذمّر بحيث يصبح كل شيء جاهزاً مع الوقت. يجب أن تصبح جادّاً، لذا خذ إجازة من العلم. يوجد فيه من الطفولية أكثر مما تحتاج. يستمرّ طريقك نحو الأعماق. إن العلم سطحي للغاية وهو مجرد لغة وأدوات. لكن عليك أن تبدأ العمل"[840]. لم أكن أعرف ما هو عملي بما أن كل شيء كان مظلماً. أصبح كل شيء ثقيلاً ومثيراً للشك، وأطبق عليّ حزن لا ينتهي ودام لعدة أيام. وذات ليلة، سمعتُ صوت رجل عجوز. تحدثَ ببطء وثِقَل وبدت عباراته مُفككة وسخيفة للغاية، بحيث أطبقت عليّ مخاوف الجنون ثانية[841] لأنه قال الكلمات التالية:

"لم يحلّ مساء الأيام بعد. الأسوأ يأتي آخراً.[842]

---

[838] يتابع في الكتاب الأسود 4: "إنه أشبه بأحد القديسين القدماء، أحد المسيحيين الأوائل الذين عاشوا في الصحراء" (الصفحة 77).

[839] في مخطوطة "السبر العميق" المكتوبة بخط اليد توجد ملاحظة هنا: "17/11/27" يبدو أنها تشير إلى الزمن الذي تم فيه تأليف هذا المقطع من المخطوطة.

[840] يستمر في الكتاب الأسود 5: أنا: "أنا أكاديمي؟" الروح: "لست أكاديمياً فقط بل علمياً، العلم نسخة جديدة من الأكاديمية. ويجب تجاوزها" أنا: "هذا لا يكفي بعد؟ ألا أواجه الآن روح الزمن إن أقصيت نفسي عن العلم؟" الروح: "لا يفترض بك أن تفصل نفسك، بل تعتبر أن العلم مجرد لغة لك". أنا: "أي أعماقٍ تريدينني أن أتقدم إليها؟" الروح: "إلى الأبد فوق نفسك والحاضر" أنا: "أريد ذلك لكن ماذا يجب أن يحدث؟ غالباً ما أشعر أنني لم أعد أستطيع الاستمرار". الروح: "يجب أن تبذل جهداً إضافياً. أجّل بعض الأمور. هناك أمور كثيرة تشغل وقتك". أنا: "هل ستظهر هذه التضحية أيضاً؟" الروح: عليك ذلك، عليك ذلك". (الصفحات 79-80).

[841] لا تظهر هذه الفقرة في الكتاب الأسود 5.

[842] 25 أيار - مايو 1014.

اليد التي تضرب أولاً، تضرب بأفضل شكل.
يتدفق الهراء من أعمق الآبار بوفرة مثل نهر النيل.
الصباح أجمل من الليل.
تَعبق الأزهار بأريجها إلى أن تذوي.
يأتي النضج في آخر وقت ممكن من الربيع، وإلا فلن يحقق هدفه".
بدت لي هذه الجمل التي قالها لي العجوز ليلة 25 أيار – مايو 1914 جوفاء بشكل مريع. شعرتُ أن أناي يتلوى ألماً. تأوه بشأن عبء الأموات الذي يثقله وناح. وبدا كما لو أن عليه أن يحمل ألف ميت.
لم يرحل هذا الحزن حتى 24 حزيران – يوليو 1914[843]. في الليل تحدثت روحي معي: "يأتي الأعظم من الأصغر". بعد هذا لم يكن هناك أي كلام. ثم اندلعت الحرب. جعلني هذا أفهم ما اختبرته من قبل، ومنحني الشجاعة أيضاً لقول كل ما كتبته في الجزء السابق من هذا الكتاب.
منذ ذلك الحين، بقيت أصوات الأعماق صامتة طوال سنة. مرة أخرى في الصيف، عندما كنت على المياه وحدي، رأيتُ عُقاباً يندفع للأسفل في مكان غير بعيد عني، ثم أمسك بسمكة كبيرة وارتفع ثانية إلى السماء وهو متمسك بها[844]. سمعت صوت روحي، وقالت: "هذه علامة على أن ما يوجد في الأسفل يُحمَل إلى الأعلى".
بعد هذا بقليل، وفي ليلة خريفية سمعت صوت عجوز (وعرفتُ هذه المرة أنه فيلمون)[845]. قال لي[846]: "أريد أن أقودك. أريد أن أزيّنك بالنقوش كعملة

---

[843] يستمر في الكتاب الأسود 5: "أوه يا هذا الكتاب! لقد وضعت يدي عليك ثانية، إنك لا وعيي المكتوب التافه المَرَضيّ المسعور! لقد أجبرتني على أن أجثو على ركبتيّ ثانية! ها أنا ذا، قل ما تريد قوله!" (الصفحة 82). هذه هي الإشارة الوحيدة إلى "اللاوعي" في الكتب السوداء من 2-7.

[844] 3 حزيران - يوليو 1915، قدم يونغ محاضرة عن "أهمية اللاوعي في علم النفس المرضي" في اجتماع الرابطة الطبية البريطانية في أبردين. ومنذ حوالي 9 آب - أغسطس إلى حوالي 22 آب – أغسطس، كان يونغ في الخدمة العسكرية في لوزيرن طوال أربعة عشر يوماً. منذ حوالي 1 كانون الثاني - يناير إلى حوالي 8 آذار - مارس 1915، كان يونغ في الخدمة العسكرية في أولتن طوال أربعة وستين يوماً. بين 10 و12 آذار مارس، خدم في نقل المعفيين من الخدمة. (دفاتر خدمة يونغ العسكرية، جي إف أي).

[845] هذه الجملة ليست في الكتاب الأسود 6.

معدنية. أريد أن أتاجر بك. يجب أن يبيعك المرء ويشتريك[847]. يجب أن تمرّ من يد إلى يد. إن الإرادة الذاتية ليست لك. أنت إرادة الكل. الذهب ليس سيداً بإرادته الشخصية، ومع ذلك فهو يحكم الجميع، إنه مُحتقر ومطلوبٌ بجشع حاكم لا يرحم: إنه يكمن وينتظر. من يره، فسوف يتوق إليه. هو لا يتبع المرء في كل مكان، بل يكمن بصمت، يكمن بهدوء متوهج واكتفاء ذاتي، إنه ملكٌ لا يحتاج دليلاً على قوته. يسعى الجميع إليه، ويجده قلّة فقط، لكن أصغر قطعة منه تحظى بتقدير شديد. إنه لا يعطي نفسه ولا يبذّرها. يأخذه الجميع عندما يجدونه، ويحرصون بقلق على ألا يضيعوا أصغر جزء منه. ينكر الجميع أنهم يعتمدون عليه، ومع ذلك يمدّون أيديهم إليه وتوقاً وبشكل سرّي. هل على الذهب أن يثبت ضرورته؟ إنها مثبتة من خلال توق البشر. الذهب لا يتحرك، لكن من يأخذه، يمتلكه. إنه ينام ويلمع وبريقه يُربك الحواس. وبدون أي كلمة منه، يَعِدُ بكل شيء يعتبره الناس مرغوباً. إنه يدمّر من سيُدمرون ويساعد من يرتقون[848]، كما أنه يُفسد من هم فاسدون ويساعد من يريدون الصعود على الصعود.

---

[846] 14 أيلول - سبتمبر 1915. في آخر صيف 1915، تبادل يونغ مراسلات مع هانز شميد حول مسألة النماذج السيكولوجية. تشير رسالته الأخيرة لشميد في 6 تشرين الثاني - نوفمبر، إلى تحوّل يدلّ على عودته إلى الإسهاب في أخيولاته في الكتب السوداء: "الفهم قوةٌ رابطةٌ بشدة، ربما تكون جريمة قتل حقيقية للروح عندما تساوي بين فروقات هامة. إن جوهر الفرد هو لغز الحياة الذي يموت عندما يتم فهمه. لهذا أيضاً "تحب الرموز أن تبقي على أسرارها"، إنها سرية ليس فقط لأننا لا نستطيع رؤية ما في قاعها بوضوح... إن كل فهم كهذا، وبما أنه مدمج في وجهات النظر العامة، يحتوي على العنصر الشيطاني ويقتل... لهذا، في المراحل الأخيرة من التحليل، يجب أن نساعد الآخر على أن يصل إلى هذه الرموز المخبأة التي لا يمكن فتحها، والتي تختبئ فيها بذرة الحياة بأمان مثل بذرة طرية في قشرة صلبة. في الواقع، لا يجب أن يكون هناك فهم لهذا واتفاق عليه، حتى لو كان هذا ممكناً، وهو ممكن. لكن إن تم تعميم الفهم والاتفاق، فسوف يصبح الرمز جاهزاً للتدمير، لأنه لم يعد يغطي البذرة التي أوشكت على أن تنمو لتصبح أكبر من القشرة. أفهم الآن حلماً راودني مرة، وترك أثراً عظيماً بداخلي: كنت أقف في حديقتي، وكنت قد حفرت ينبوعاً غنياً من الماء الذي اندفع بقوة. ثم كان علي أن أحفر خندقاً وحفرة عميقة، أجمع فيها كل المياه التي تركتها تتدفق ثانية إلى أعماق الأرض. بهذه الطريقة يُمنح لنا الخلاص في رمز لا يمكن فتحه ولا قوله. (جون بيبي وإرنست فلازيدر، المحرران، مسألة النماذج السيكولوجية. لم يصدر بعد)

[847] يستمر الكتاب الأسود 5: "هيرميز هو شيطانك" (الصفحة 87).

[848] ناقش يونغ الرمزية الخيميائية للذهب في "وحدة الأسرار المقدسة" (56/1955) (الأعمال الكاملة 4، 353 ف ف).

"تتراكم مؤونة متوقدة، وتنتظر الآخذ. ما هي الاضطرابات التي لا يعّرض الناس أنفسهم إليها من أجل الذهب؟ إنه ينتظر ولا يقلل من اضطراباتهم ـ كلما كانت الاضطرابات والصعوبات أعظم، حظي بتقدير أكبر. إنه ينمو من الحمم المنصهرة تحت الأرض. وينضج ببطء مختبئاً في العروق والصخور. يبذل الناس كل جهد ممكن لإخراجه".

لكنني صرخت فزعاً: "يا للخطاب الملتبس يا فيلمون!"

لكن فيلمون[849] استمر قائلاً: "ليس لأعلّم فقط، بل لأتنصّل، وإلا لماذا أعلّم؟ إن لم أعلّم فلن يكون عليّ أن أتنصّل، وإن علّمت فسوف أتنصّل لاحقاً. لأنني إن علّمت، فسيكون عليّ إعطاء الآخرين ما كان عليهم أخذه. ما أكتسبه جيد، لكن الهدية التي لم يتم اكتسابها تكون سيئة. أن تضيّع نفسك يعني: أن ترغب بقمع الكثيرين. يحيطُ الخداع بالواهبِ لأن مغامرته الخاصة مخادعة. يُجبر على سحبِ هديته وإنكارِ فضيلته.

"ليس عبء الصمت أعظم من عبء ذاتي التي أرغب بتحميلك إياها. لذا أتكلم وأعلّم. علّ المستمِع يدافع عن نفسه ضد حيلتي التي أحمّله بها عبئاً.

"الحقيقة الأفضل هي خداع ماهر أيضاً، وأنا أقع في أشراكها طالما أنني لا أدرك قيمة حيلة ناجحة".

جفلت ثانية وصرخت: "أوه يا فيلمون، خدعَ الناس أنفسهم بشأنك، ولذلك أنت تخدعهم. لكن من يسبر أغوارك، يسبر أغوار نفسه".

لكن فيلمون[850] صمتَ وتراجعَ إلى غيمة متلألئة من عدم اليقين، وتركني لأفكاري. لقد خطرت لي فكرة أنه لا تزال هناك حاجة لنصب الحواجز العالية بين الناس، لنحميهم من الفضائل المتبادلة أكثر من ضرورة حمايتهم من الأعباء المتبادلة. بدا لي كما لو أن الأخلاقية المسيحية المزعومة لعصرنا، تساعد على الافتتان المتبادل. كيف يمكن لأي شخص تحمّل عبء الآخر، إن كان لا يزال أكثر

---

[849] 15 أيلول - سبتمبر 1915.
[850] 17 أيلول - سبتمبر 1915.

ما يمكن توقّعه من الشخص، هو أن يتمكن من حمل عبئه الخاص على الأقل.

لكن الخطيئة تكمن في السحر على الأرجح. إن قبلتُ فضيلة نسيان الذات، فسوف أجعلُ من نفسي طاغية أنانياً على الآخر، وبهذا أُجبَر أيضاً على تسليم نفسي ثانية، لأجعل من شخص آخر سيداً لي، مما يترك لدي دوماً انطباعاً سيئاً ليس في صالح الآخر. أقرّ بأن هذا التأثير المتبادل يعزز المجتمع، لكن روح الفرد تصبح متضررة، لأن الإنسان بهذه الطريقة، يتعلّم دوماً أن يعيش من خلال الآخر بدلاً من أن يعيش نفسه. لكن ماذا يحدث إن سلّم الجميع أنفسهم؟ ستكون هذه حماقة.

هذا لا يعني أن العيش مع الذات أمر جميل أو سارّ، بل هو يساعد في خلاص الذات. هل يمكن للمرء أن يسلّم نفسه؟ إن سلّم المرء نفسه فسوف يصبح عبداً لنفسه، وهذا معاكس لتقبّل النفس. إن أصبح المرء عبداً لنفسه، فسوف تعيش الذات على حساب المرء. لا يعيش المرء ذاته، بل تعيش الذات ذاتها[851].

إن فضيلة نسيان الذات هي انسلاخ غير طبيعي عن جوهر المرء الخاص الذي يصبح بها محروماً من التطوّر. يرتكب الإنسان خطأ فادحاً عندما يبتعد عن ذاته بأن يُرهق نفسه بعبئه مُعتبراً هذا التصرّف فضيلة من فضائله الخاصة. ترتدّ هذه الخطيئة إلينا[852].

---

[851] كتب نيتشه في كتاب "هكذا تكلم زارادشت": تسعى الذات أيضاً بعيني الإحساس وتستمتع بأذني الروح. تستمتع الذات وتسعى دوماً: إنها تقارن وتخضع وتُهزَم وتُدمَّر. إنها تحكم تكون حاكمة "الأنا" أيضاً. يقف خلف أفكارك ومشاعرك يا أخي، قائد عظيم حكيم مجهول يسمّى الذات" (القسم 1 "عن محتقري الجسد" 1، الصفحة 62). لقد وضع يونغ خطوطاً تحت هذه الفقرة في نسخته. هناك أيضاً خطوط عند الهامش وعلامات تعجب. لقد قال في تعليق له على هذه الفقرة في محاضرة له عن زرادشت في عام 1935: "كنت مهتماً جداً بمفهوم الذات، لكنني لم أكن متأكداً من أنه يجب علي أن أفهمها. وضعتُ علاماتي عندما كنت صادفت هذه المقاطع، وبدت هامة جداً بالنسبة إلي... استمر مفهوم الذات بطرح نفسه علي... اعتقدتُ أن نيتشه عنى نوعاً من (الشيء- بحد ذاته) خلف الظاهرة السيكولوجية.. لقد فهمت أيضاً أنه كان يُنتِج مفهوماً عن الذات كان أشبه بمفهوم الشرق، إنها فكرة (**الأتمان – كلمة هندية تعني الروح أو الذات الحقيقية غير المادية والتي لا تتغير - المترجمان**)" (زارادشت نيشته، المجلد 1، 391).

[852] في كتاب "هكذا تكلم زارادشت" كتب نيتشه: "أنت تجتمع مع جيرانك ولديك كلمة جميلة تعبر عن هذا. لكنني أقول لك: إن حبك لجارك هو حبك السيئ لذاتك. إنكم تهربون بعيداً عن ذواتكم وترغبون بتحويل هذا إلى فضيلة: لكنني أفهم حقيقة (أنانيتكم)" (عن محبّة الجار" الصفحة 86).

إن أخضعنا أنفسنا لذواتنا فسوف يكون خضوعاً كافياً. يجب أن يتمّ تحقيق الخلاص دائماً على أنفسنا أولاً، أما إذا تجرأ المرء على لفظ كلمة عظيمة كهذه. لا يمكن إنجاز العمل دون حبّنا لأنفسنا. هل يجب أن يتم هذا؟ بالتأكيد لا، إن كان بوسع المرء أن يتحمّل ظرفاً معيناً، ولم يشعر أنه بحاجة للخلاص. من الممكن ألا يعود المرء قادراً على أن يتحمّل عبء الشعور بضرورة الخلاص أخيراً. حينها يسعى المرء لأن يخلّص نفسه منه ويدخل من خلال هذا إلى عمل الخلاص.

يبدو لي أننا نستفيد على وجه الخصوص، من إزالة كل شعور بالجمال من فكرة الخلاص، حتى شعورنا بالحاجة للقيام بذلك، وإلا فسوف نخدع أنفسنا ثانية لأن الكلمة تعجبنا، ولأن ألقاً جميلاً يطغى على الشيء من خلال هذه الكلمة العظيمة. لكن يمكن للمرء على الأقل أن يشكك فيما إذا كان عمل الخلاص هو بحد ذاته شيئاً جميلاً. لم يجد الرومان في مشهدَ اليهودي المعلّق، مظهراً ينمّ عن الذوق، كان الحماس المُفرط في الكآبة حول سراديب الموتى التي تحمل حولها رموزاً رخيصة بربرية، يجعلها تفقد الأمل في عيونهم، بما أن فضولهم المنحرف لكل ما هو بربري وتحت أرضي، كان قد أُثيرَ سلفاً.

أعتقد أن الأكثر صواباً ونزاهة أن نقول إن المرء يتخبط في سيره باتجاه عمل الخلاص، دون قصد منه. وأعني بهذا رغبة المرء بأن يتجنّب ما يبدو له شرّاً غير محتمل، من خلال شعور لا يمكن التغلّب عليه بالحاجة إلى الخلاص. إن هذه الخطوة باتجاه عمل الخلاص، ليست جميلة ولا سارّة ولا تكشف عن مظهر جذّاب. إن هذا الأمر بحدّ ذاته صعب جداً ومليء بالعذاب بحيث يكون على المرء أن يعتبر نفسه أحد المرضى، وليس أحد المفرطي الصحة الذين يسعون إلى نقل رفاهيتهم إلى الآخرين.

لذلك علينا أيضاً ألا نستخدم الآخر من أجل خلاصنا المفترض. ليس الآخر نقطة انطلاق لنا. من الأفضل بكثير أن نبقى مع أنفسنا. تعبّر الحاجة إلى الخلاص عن نفسها من خلال زيادة الحاجة إلى الحبّ الذي نعتقد أننا

نستطيع بواسطته جعل الآخر سعيداً. لكننا في هذه الأثناء، نفيض توقاً ورغبة لتغيير حالتنا. إننا نحبّ الآخر من أجل هذه الغاية. ولو أننا حققنا هدفنا سلفاً، فسيتركنا الآخر باردين. لكن من الصحيح أننا نحتاج الآخر من أجل خلاصنا أيضاً. ربما سيمنحنا مساعدته طوعاً، بما أننا في حالة من المرض والعجز. إن حبنا له ليس أنانياً، ويجب ألا يكون كذلك. ستكون هذه كذبة لأن هدفنا هو خلاصنا الخاص. يكون الحبّ اللاأناني صحيحاً فقط، طالما أن مطالبة الذات تُدفع نحو جانب واحد. لكن سيأتي يوم يحين فيه دور الذات. من سيرغب بإقراض نفسه لذات كهذه من أجل الحبّ؟ سيرغب فقط من لا يعرف بعد مدى مرارة الذات وجورها وسمّها، هذه الذات التي يؤويها شخص نسي ذاته وحوّلها إلى فضيلة.

فيما يتعلق بالذات، الحب اللاأناني خطيئة حقيقية.

[853]علينا أن نعود غالباً إلى أنفسنا كي نعيد ترسيخ العلاقة مع الذات، لأنها تتنحّى كثيراً، ليس بسبب رذائلنا بل بسبب فضائلنا أيضاً. ترغب رذائلنا وفضائلنا على حد سواء، بأن تعيش في الخارج دوماً. لكننا ننسى الذات من خلال الحياة الخارجية المستمرة، ونصبح أنانيين سرّاً في أفضل مساعينا[854]. إن ما نهمله في أنفسنا يدمج نفسه سرّاً في تصرفاتنا نحو الآخرين.

من خلال الاتحاد مع الذات نصل إلى الأعلى[855].

يجب أن أقول هذا، ليس استناداً إلى آراء القدماء، أو لهذه السلطة أو تلك، بل لأنني اختبرته بنفسي. لقد حدث معي على هذا النحو، وحدث بطريقة

---

[853] 18 أيلول - سبتمبر 1915.

[854] كتب يونغ في عام 1914: "إن دمج الذات أو أنسنتها كما تمت الإشارة مُسبقاً، يبدأ به الجانب الواعي، وذلك بأن نجعل أنفسنا واعين لأهدافنا الأنانية، ويعني هذا أن نسرد دوافعنا ونحاول تشكيل صورة موضوعية قدر الإمكان عن كينونتنا الخاصة" (رمزيّة التحوّل في القدّاس" (الأعمال الكاملة 2. 400) يتوافق هذا مع العملية الموصوفة هنا في القسم الافتتاحي من "السبر العميق"

[855]يستمر في الكتاب الأسود 5: "إنها توحّد الجنة والجحيم فيها" (الصفحة 92). ويقول يونغ في كتاب "رمزيّة التحوّل في القدّاس": "تعمل الذات حينها كموحّد للنقيضين وبهذا تشكّل معظم التجربة المباشرة مع الإلهي، ويمكن فهم هذا سيكولوجياً بالكامل" (1941 الأعمال الكاملة 2. 396).

لم أكن أتوقعها ولا أتمناها بالتأكيد.. أتمنى لو أستطيع اعتبارها خداعاً وأتبرأ منها طوعاً. لكنني لا أستطيع إنكار أنها أطبقت عليّ بشكل تجاوزت به المقاييس كلها ولا زالت مستمرة بتأثيرها بداخلي...... أنا أعرف تماماً أنه ليس من الصعب كثيراً عليّ أن أستشهد بنظرية يمكنها تفسير تجربتي بشكل كافٍ، ومن ثم أضمّها إلى ما هو معروف سلفاً. كما أنني أستطيع وضع هذه النظرية بنفسي بحيث أشعر بالرضا بما يخصّ الناحية الفكرية، لكن هذه النظرية المُفترضة، لن تتمكن من إزالة جزء صغير من معرفتي بأنني اختبرتُ وجود المُخلّص. لقد عرفت المُخلّص بشكل راسخ في هذا التجربة، ولم أعد أستطيع منع نفسي من تمييزه. أنا لا أريد أن أصدقها ولست بحاجة إلى تصديقها، كما أنني لا أستطيعِ الإيمان بها. هل يمكن لإنسان أن يؤمن بهذا؟ لا بدّ أن يكون عقلي مشوشاً ليؤمن بأشياء كهذه. إنها بعيدة الاحتمال للغاية بحسب طبيعة الأشياء، وهي ليست بعيدة الاحتمال وحسب، بل هي مُستحيلة بحسب فهمنا. لا يمكن إلا لعقل مريض أن يُنتِجَ خداعات كهذه.

يظهر المُخلّص لنا في حالة معينة من الروحٍ. ولذلك نصل إليه من خلال الذات[856]. [857]لا يعني هذا أن الذات هي المُخلّص، بالرغم من أننا نصل إليه من خلالها. يكون المُخلّص عندما يظهر، خلف الذات وفوق الذات نفسها. لكنّه يظهر كداء أصابنا وعلينا أن نُشفي أنفسنا

---

[856] في عام 1921 كتب يونغ بما يخصّ الذات: "لكن نظراً لأن الأنا ليست إلا مركزاً لمجال وعيي، فهي ليست متطابقة مع كليّة نفسي، بما أنها مجرد عقدة واحدة بين عقد أخرى. باستطاعتي أن أميّز الأنا عن الذات، لأن الأنا هو موضوع وعيي وحسب، بينما الذات هي موضوع نفسي الكليّة التي تتضمن اللاوعي أيضاً". (النماذج السيكولوجية، الأعمال الكاملة 6، 706). وفي عام 1928، وصف يونغ العملية التفردية بأنها "ظهور الذات وإدراكها" (العلاقات بين الأنا واللاوعي، الأعمال الكاملة 7، 266). لقد عرّف يونغ الذات على أنها النموذج البدئي للنظام، وكتب أنه لا يمكن تمييز تمثيلات الذات عن صور الله (الفصل 4 "الذات" أيون: مساهمات في رمزية الذات، الأعمال الكاملة 9، 2). وفي عام 1944 كتب أنه اختار هذا التعبير لأن هذا المفهوم كان "محدداً كفاية ليعبّر عن مجموع الكمال الإنساني من جهة، وغير محدد كفاية ليعبّر عن الطبيعة التي لا يمكن وصفها ولا تحديدها للكلية من جهة أخرى... وفي استخدامه العلمي لـ"الذات" لا يشير يونغ إلى المسيح ولا إلى بوذا بل يشير إلى كليّة الشخصيات التي تكافئها، ويعتبر أن كلاً من هذه الشخصيات هي "رمز للذات" (السيكولوجيا والخيمياء، الأعمال الكاملة 12، 20).

[857] المقطع التالي تمت إعادة صياغته من الكتاب الأسود 5 بطريقة تجعل فصل الطبقات صعب.

منه[858]. يجب أن نشفي أنفسنا من المُخلّص، بما أنه جُرحنا الأثقل أيضاً.

لأنه في المثال الأول، تسكنُ قوة المُخلّص بالكامل في الذات، بما أن الذات توجد بالكامل في المُخلّص، ولأننا لسنا مع الذات. إن علينا نحن أن نجرّ الذات إلى جانبنا وعلينا بالتالي أن نتصارع مع المُخلّص على الذات، بما أن المُخلّص حركة قوية لا يُسبر غورها، وتأخذ الذات إلى ما لا حدود له، إلى الفناء.

لذلك فعندما يظهر المُخلّص لنا، نكون عاجزين ومأسورين ومقسمين ومرضى ومسممين بأقوى السموم في البداية، لكننا نكون أيضاً ثملين بالصحة الأسمى.

لكننا لا نستطيع البقاء على هذه الحالة، بما أن قوة أجسادنا كلها، تُستهلك كالدهن في اللهب. لذا علينا أن نطمح لتحرير الذات من المُخلّص، كي نستطيع العيش[859].

[860]من الممكن بكل تأكيد، وحتى من السهل جداً بالنسبة للمنطق الخاص بنا أن ننكر الإله ونتحدث عن المرض فقط. وبهذا نقبل الجزء المريض ونعمل على شفائه أيضاً. لكن هذا الشفاء يأتي بخسارة. إننا نخسر جزءاً من الحياة. نحن نستمر بالعيش، لكن كأشخاص أضعفهم الله. وحيث تستعر النار، يكمن الرماد الميت.

أعتقد أن لدينا خياراً: أفضّل أن أعيش أعاجيب المخلّص. أقيّم حياتي يومياً وأستمرّ بالنظر إلى تألّق المخلّص الناري كحياة أسمى وأكثر امتلاء من رماد العقلانية. إن الرماد انتحار بالنسبة إلي. ربما كان بوسعي أن أخمد النار، لكنني

---

[858] عام 1929 كتب يونغ "أصبحت الآلهة أمراضاً: لم يعد زيوس يحكم جبل الأولمب بل يحكم الضفيرة الشمسية، وينتج عيّنات غريبة لتراجع عيادة الطبيب" (تعليق على سر الزهرة الذهبية. الأعمال الكاملة 13، 54).

[859] يستمر في الكتاب الاسود 5: "يملك المُخلّص القوة، وليس الذات. لذا، لا يجب استنكار العجز، لكنها حالة يجب إثباتها. يعمل المُخلّص من داخل نفسه ويجب أن يُترك هذا له. ما نفعله تجاه الذات، نفعله تجاه المُخلّص. إذا شوهنا الذات، نشوه المُخلّص أيضاً. إنها هدية سماوية نقدمها لأنفسنا. وبهذا نخلص البشرية من أنفسنا. إن حمل إنسان عبء إنسان آخر، سيكون تصرفاً لا أخلاقياً. إن حمل كل شخص أعباءه الخاصة، فهذا أقل ما يمكن أن يطلبه المرء من أي شخص. يمكننا بأفضل حال أن نعلّم الآخر كيف يحمل عبئه.أن أعطى المرء كل خير لديه إلى الفقراء، فهو يعلّمهم أن يصبحوا كسولين.لا يجب أن تحمل الشفقة عبء شخص آخر، بل يجب أن تكون معلماً حازماً بدلاً من ذلك. العزلة مع أنفسنا لا نهاية لها. لقد بدأت للتو وحسب" (الصفحات 92-93).

[860] الفقرات الأربع التالية لا تظهر في الكتب السوداء.

لا أستطيع حرمانٍ نفسي من تجربة المخلّص، ولا أستطيع أن أبعد نفسي عنها. ولا أريد هذا أيضاً، بما أنني أريد أن أعيش. تريد حياتي أن تكون كاملة.
لذا عليّ أن أخدم ذاتي، ويجب أن أفوز بها بهذه الطريقة. لكن عليّ أن أفوز بها كي تصبح حياتي كاملة. لأنه يبدو لي أنه من الإثم أن نشوّه الحياة حيث لا تزال هناك إمكانية لأن نعيشها بالكامل. ومن هنا، فإن خدمة الذات خدمة مقدّسة، وهي خدمة للبشرية أيضاً. إن حملتُ نفسي، فإنني أخلّص البشرية من نفسي وأشفي ذاتي من المخلّص.
عليّ تحرير ذاتي من المخلّص[861]، لأن المخلّص الذي اختبرته ليس مجرد حبّ، بل هو كراهية أيضاً، إنه أكثر من مجرد جمال، فهو قبحٌ أيضاً، وأكثر من مجرد حكمة، فهو اللامعنى أيضاً، وأكثر من مجرد قوة، فهو عجز أيضاً، وأكثر من مجرد كليِّ الوجود، فهو مخلوق خلقتُه أنا أيضاً.
وفي الليلة التالية، سمعتُ صوت فيلمون ثانية، وقال[862]:
"اقتربْ أكثر، يجب أن يكون مكان عملك هو السرداب. يجب ألا يعيش المخلّص فيك، بل يجب أن تعيش أنت في المخلّص".
[863]سببت لي هذه الكلمات الاضطراب بما أنني فكرتُ سابقاً أن عليّ أن أحرّر نفسي من المخلّص. لكن فيلمون نصحني أن أدخل عميقاً في المخلّص.
بما أن المخلّص ارتقى إلى العوالم العلوية، فقد أصبح فيلمون مختلفاً أيضاً. لقد ظهر لي أولاً كساحر يعيش في أرض نائية، لكنني شعرت حينها باقترابه. وبما أن المخلّص قد ارتقى، فقد عرفتُ أن فيلمون قد أسكرني ومنحني لغة غريبة عني، وحساسية مختلفة. لقد اضمحلّ كل ذلك عندما ارتقى المخلّص وحافظ فيلمون وحده على تلك اللغة. لكنني شعرتُ بأنه تابعَ في طرقات مختلفة عن طرقاتي. ربما يكون معظم ما كتبتُه في الجزء

---

[861] في نسخة يونغ من كتاب (schriften und predigten، القوانين والبشر) لإيكهارت، هناك خط تحت عبارة "بحيث أن الروح ستخسر أمام الله!"، وهناك قطعة ورق كتب عليها: "يجب أن تخسر الروح الله" (كتاب القوانين والبشر، ميستر إكهارت، إيوجين ديدريتش، 1912، الصفحة 222).
[862] في الكتاب الأسود 5، لم يحدد أن الصوت هو صوت فيلمون.
[863] الفقرتان التاليتان لا تظهران في الكتاب الأسود 5.

السابق من هذا الكتاب، قد أخذته من فيلمون.[864] لقد كنت كالثَمِل بعد ذلك، لكنني لاحظتُ حينها أنه اتخذ هيئة متمايزة عن هيئتي.

[865]بعد عدة أسابيع، اقتربت مني ثلاثة ظلال. ولاحظتُ من أنفاسهم الباردة أنهم موتى. كانت الشخصية الأولى امرأة. اقتربت مني وأصدرت صوت طنين ناعم، كان يشبه طنين أجنحة خنفساء الشمس، ومن ثم عرفتها. عندما كانتْ لا تزال على قيد الحياة، استعادتْ أسرار المصريين من أجلي، لقد استعادت قرص الشمس الأحمر وأغنية الأجنحة الذهبية. بقيتْ على هيئة ظل، وكنت أستطيع فهم كلماتها بصعوبة عندما قالت: "كان الوقت ليلاً عندما فارقت الحياة، أنتَ لا تزال تحيا في النهار، ولا تزال أمامك أيام وسنوات، ما الذي ستبدأ به، اعطني الكلمة، يا إلهي، لا يمكنك سماعها! كم هذا صعب عليّ، اعطني الكلمة!

أجبتها فزِعاً: "لا أعرف الكلمة التي تبحثين عنها".

لكنها صاحت: "إنها الرمز، الوسيط، نحن نحتاج إلى الرمز ونتوق إليه، أظهره لنا".

"من أين؟ كيف أستطيع ذلك؟ لا أعرف الرمز الذي تطلبينه".

لكنها ألحّت: "يمكنك القيام بهذا، مدّ يدك وخذه".

وفي تلك اللحظة بالضبط تم وضع العلامة في يدي ونظرتُ إليها بدهشة لا حدود لها. ثم تحدثتْ بصوت مرتفعٍ ومرحٍ، وقالت لي:[866]

---

[864] تتابع النسخة المكتوبة بخط اليد من كتاب "السبر العميق" بعبارة مشطوبة هي "وتحدث من خلالي" (الصفحة 37).

[865] 2 كانون الأول - ديسمبر 1915.

[866] يوجد في الكتاب الأسود 5 بدلاً من هذه الفقرة: "قضيب؟" (الصفحة 95). ليس هناك من رمز (HAP) في الكتاب الأسود5. ربما تكون الإشارات التالية مرتبطة به. كتب واليس بادج في كتاب "الجنة والجحيم المصريين": "قضيب (بيبي) هو (HAP)" (المجلد 1، الصفحة 110). وكتب أن (HAP)هو ابن حورس (الصفحة 491- وضع يونغ علامة في الهامش عند هذا في نسخته). وكتب أيضاً: "في كتاب الموتى، يلعب أولاد حورس الأربعة هؤلاء أدواراً هامة جداً، وسعى الموتى إلى الحصول على مساعدتهم وحمايتهم بأي ثمن، من خلال الأضاحي والصلوات... تشارك أولاد حورس الأربعة بحماية الموتى، ونجد أنهم أشرفوا على حياته في العالم السفلي حتى السلالة الخامسة منهم" (المرجع نفسه: هناك خط تحت هذه العبارة في نسخة يونغ). (لندن: كيغان بول، ترنش وتروبنر، 1905).

"هذا هو، إنه الـ (HAP)، إنه الرمز الذي أردناه واحتجنا إليه. هو بسيط للغاية وغبي أساساً..... هذا هو القطب الذي احتجنا إليه تحديداً".
أجبت: "لماذا تحتاجون إلى (HAP)؟"[867]
"إنه في النور، بينما المخلّص الآخر في الليل".
أجبتُ: "ما هذا يا حبيبتي؟ هل هذا هو الابن؟ ابن الضفادع؟........
لكن الميتة قالت بانتصار:
"إنه روح اللحم، روح الدم، إنه خلاصة كل العصائر الجسدية، روح النِطاف والأحشاء والأعضاء التناسلية والرأس والأقدام والأيدي والمفاصل والعظام والعيون والآذان والأعصاب والدماغ: إنه روح البصاق والمفرزات".
هتفتُ برعب شديد: "هل أنت من الشيطان؟ أين يبقى نوري الإلهي المتألق؟"
لكنها قالت: "يبقى جسدك الحيّ معك يا حبيبي. إن فكر التنوير يأتي من الجسد".
قلتُ: "عن أي فكر تتحدثين؟ لا أجد أي فكر".
"إنه يزحف في الأرجاء مثل دودة أو أفعى، يكون مرة هنا وأخرى هناك، إنه سحلية الجحيم العمياء".
"إذاً يجب أن أُدفن حياً. يا للرعب! يا للعفن! هل يجب أن أعلّق نفسي بالكامل، مثل علقة؟"
قالت: "نعم، اشرب الدم، ارشفه واشبع من الجثة، يوجد عُصارة موجودة في الداخل وهي مقززة بالتأكيد، لكنها مغذّية. أنت لن تفهم هذا، لكن ارشفه!"
صرخت بغضب: "يا لهذا الرعب اللعين! لا، أقولها ثلاثاً، لا"
لكنها قالت: "يجب ألا يستفزك هذا، أنت تحتاج هذه الوجبة من عصائر حياة الإنسان، بما أننا نريد المشاركة في حياتك. وبهذا يمكننا الاقتراب منك أكثر. نريد أن نمنحك بشائر ما عليك معرفته".
"هذا سخيف للغاية! ما الذي تتحدثين عنه؟"

---

[867] يوجد في الكتاب الأسود 5: "لهذا القطب الإلهي" (الصفحة 95).

[868] لكنها نظرت إليّ كما فعلت في آخر يوم رأيتُها فيه بين الأحياء، حيث أظهرت لي، ودون أن أفهم المعنى، شيئاً من أسرار ما خلّفه المصريون. وقالت لي:

"افعل هذا من أجلي، بل من أجلنا. أتذكر إرثي؟ هل تذكر قرص الشمس الأحمر والأجنحة الذهبية وإكليل الحياة والاستمرارية؟ هناك أشياء يجب معرفتها عن الخلود".

"إن الجحيم هو الطريق الذي يؤدي إلى هذه المعرفة".

[869] غرقتُ بعد ذلك في تفكير كئيب لأنني شككتُ بأن هذا الطريق سيكون ثقيلاً وغير مفهوم ووحيد بشكل لا يمكن وصفه. وبعد صراع طويل مع الضعف والخوف في داخلي، قررت أن أمارس عزلة هذا الخطأ المقدّس والحقيقة الصحيحة الأبدية. [870] وفي الليلة الثالثة استدعيت حبيبتي الميتة وسألتها:

"علميني علوم الديدان والمخلوقات الزاحفة، افتحي لي ظلمة الأرواح!"

همست: "امنح الدم، بحيث أشرب وأتكلم ثانية. هل كنت تكذب عندما قلتَ إنك ستترك القوة للابن؟"

"لا، لم أكن أكذب. لكنني قلتُ شيئاً لم أفهمه".

قالت: "أنت محظوظ، إن كان بوسعك قول شيء لا تفهمه. اسمع: (HAP) [871] ليس أساس الكنيسة التي لا تزال غارقة، بل هو قمتها. نحن نحتاج إلى هذه الكنيسة بما أننا نستطيع العيش معك فيها والمشاركة في حياتك. لقد استبعدتنا، وهذا سيسبب الضرر لك".

"أخبريني، هل تعتبرين أن (HAP) هو علامة الكنيسة التي تأملين في التواصل من خلالها مع الأحياء؟ تكلمي، لِمَ تترددين؟"

---

[868] هذه الفقرة ليست موجودة في الكتاب الأسود 5.

[869] 5 كانون الأول - ديسمبر 1915.

[870] هذه الفقرة ليست موجودة في الكتاب الأسود 5.

[871] يوجد في الكتاب الأسود 5 كلمة "القضيب" (الصفحة 100). حلم طفولة كارل غوستاف يونغ عن القضيب الطقسي في المعبد تحت الأرضي.

تأوهت وهمست بصوت ضعيف: "امنح الدم، أحتاج إلى الدم"[872].
قلتُ: "خذي الدم من قلبي إذاً"
قالت: "أشكرك، هذا هو امتلاء الحياة. الهواء في عالم الظلال رقيق، لأننا نحوم على محيط الهواء مثل طيور تحوم فوق البحر. تجاوز الكثيرون الحدود، ورفرفوا على الدروب الغامضة للفضاء الخارجي، وواجهوا الخطر في عوالم غريبة. لكن نحن، نحن الذين لا نزال قريبين وغير مكتملين، نرغب بالانغماس في بحر الهواء والعودة إلى الأرض، إلى الأحياء. أليس لديك هيئة حيوانية يمكنني دخولها؟"
هتفت بذعر: "ماذا؟ أتريدين أن تصبحي كلبي؟"
أجابت: "إن كان هذا ممكناً، نعم. أرغب حتى أن أكون كلبك. بالنسبة لي، أنت ذو قيمة لا توصف، أنت كل أملي الذي لا يزال متشبثاً بالأرض. ما زلتُ أرغب برؤية ما تركتُه قبل الأوان، يكتمل. امنحني الدماء، الكثير من الدماء!"
قلتُ بيأس: "اشربي إذاً، اشربي، بحيث يتحقق ما يجب أن يتحقق".
همست بصوت متردد: "(بريمو)[873] ـ أظن أن هذا هو الاسم الذي تدعوها به ـ القديمة ـ التي بدأ الأمر بها. تلك التي حملت الابن ـ (HAP) القوي، الذي نما من عارها ورغب بزوجة الجنّة التي تتقوّس فوق الأرض، لأن (بريمو) تغلّف الابن من الأعلى والأسفل[874]. إنها تحمل به وتربّيه. وهو المولود من الأسفل، ويخصب الأعلى، بما أن الزوجة هي أمه، والأم هي زوجته".
صرخت بكثير من الغضب والمقت: "يا للكلام اللعين! ألا يكفي هذا من الأسرار المقدسة المريعة؟"

---

[872] راجع الملاحظة 704، الصفحة 389.
[873] عام 1912، ناقش يونغ أسرار (هيكات) التي ازدهرت في روما في نهاية القرن الرابع عشر. كانت (هيكات) إلهة السحر والتعاويذ تحرس العالم السفلي، وكانت تُعتبر مرسلة الجنون. وتمت مطابقتها مع (بريمو) إلهة الموت. "تحولات الليبيدو ورموزه" الأعمال الكاملة ب، 586 ف ف).
[874] في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" 1912، أشار يونغ إلى (نوت)، إلهة السماء المصرية، التي تقوّست فوق الأرض، وكانت تلد الإله الشمس يومياً (الأعمال الكاملة ب، 364).

إن أصبحت السماء حبلى ولم يعد بوسعها حمل ثمرتها، فهي تلد رجلاً يحمل عبء الخطيئة- إنها شجرة الحياة والاستمرارية التي لا تنتهي. اعطني دمك! اسمع! هذا اللغز مريع: عندما كانت (بريمو) السماوية حبلى، أنجبتْ التنين، أنجبت المشيمة أولاً ومن ثم الابن الذي حمل (HAP). إن الـ (HAP) هو تمرّد الأسفل، لكن الطائر يأتي من الأعلى ويضع نفسه على رأس الـ (HAP). هذا سلام. أنتِ الوعاء. تكلمي أيتها السماء، اسكبي مطرك. أنت صَدَفة. الأصداف الفارغة لا تسكب بل تلتقط. عسى أن تتدفق من جميع الرياح. دعني أخبركَ أن مساءً آخر يقترب. يوم، يومان، عدة أيام قد انتهت. ينزل ضوء النهار وينير الظل، وهو نفسه ظل الشمس. تصبح الحياة ظلاً، والظل يحيي نفسه، الظل الذي هو أعظم منك. أتعتقد أن ظلك هو ابنك؟ إنه صغيرٍ في منتصف النهار، ويملأ السماء في منتصف الليل"[875].

لكنني كنتُ منهكاً ويائساً ولم أعد أستطيع سماع المزيد، وقلت للميتة:

"إذاً أنت تقدمين الابن المريع الذي عاش تحتي، تحت الأشجار على المياه؟ هل هو الروح الذي تسكبه السموات، أم أنه دودة عديمة الروح حملتها الأرض؟ أيتها السماء- أيها الرحم الأشد شرّاً! هل تريد امتصاص حياتي من أجل الظل؟ هل يجب أن تضيع الإنسانية بالكامل من أجل السماوي؟[876] هل يجب أن أعيش مع الظلال، بدلاً من العيش مع الأحياء؟ هل يجب أن ينتمي إليك كل توق من أجل الأحياء، أيتها الميتة؟ ألم تحظي بوقت لتعيشي؟ ألم تستغلّيه؟ هل يجب أن يُقدّم الإنسان الحيّ حياته من أجلك، أنتِ التي لم تعيشي الأبدي؟ تكلمي أيتها الظلال الخرساء، التي تقفين عند بابي وتطالبين بدمي!"[877]

رفع ظل الميتة صوته وقال: "أترى، أم أنك ما زلت لا ترى ما يفعله الأحياء بحياتك؟ إنهم يبددونها. لكن معي ستعيش ذاتك بما أنني أنتمي

[875] تمت إعادة صياغة هذه الفقرة من الكتاب الأسود 5.

[876] 7 كانون الأول - ديسمبر 1915.

[877] 9 كانون الأول - ديسمبر 1915.

إليك. أنا أنتمي إلى أتباعك ومجتمعك اللامرئي. أتعتقد أن الأحياء يرونك؟ إنهم لا يرون سوى ظلك، وليس أنت أيها الخادم، أيها الحامل، أيها الوعاء".

"يا لكلامكِ! هل أنا تحت رحمتكِ؟ ألا يجب أن أرى ضوء النهار بعد الآن؟ هل يجب أن أصبح ظلاً بجسم حي؟ أنت عديمة الشكل ولا يمكن الإمساك بك، وأنت تطلقين برودة القبر وأنفاساً من الفراغ. أنا سأسمح بدفني حياً ـ ما الذي تفكرين به؟ يبدو لي كلاماً غير منطقي، ولا بدّ لي أن أموت أولاً. ألديك العسل الذي يبهج قلبي والنار التي تدفئ يديّ؟ من تكونين أنتِ؟ هل أنت ظلال الحِداد؟ يا أطياف الطفولة! ماذا تريدين من دمي؟ أنت فعلاً أسوأ من البشر. البشر يعطون القليل، لكن ماذا تعطين أنتِ؟ هل تصنعين الأحياء؟ هل تمنحين الجمال الدافئ أو الفرح؟ أم يجب أن يذهب هذا كله إلى جحيمك الكئيب؟ ماذا تعرضين بالمقابل؟ الأسرار؟ هل سيعيش الأحياء منها؟ أنا أعتبر أسرارك حيلاً، إن لم يكن بوسع الأحياء العيش منها".

لكنها قاطعتني وصاحت: " توقف أيها الطائش، أنت تخطف أنفاسي. نحن ظلال، وسوف تفهم ما نعطيه إن أصبحتَ ظلاً".

"لا أريد الموت لأنزل إلى ظلمتك".

قالت: "لكن ليس عليك أن تموت. عليك فقط أن تسمح بدفنك".

"على أمل القيامة؟ لا تمزحي الآن!"

لكنها تكلمت بهدوء: "أنت تشكّ بما سيحدث. هناك جدران ثلاثية وغير مرئية أمامك. ليذهب توقك ومشاعرك إلى الجحيم! على الأقل أنت لا تحبنا، لذا سنجعلك تدفع ثمناً أقل من الناس الذين يتمرغون في حبّكَ وصبركَ ويجعلونكَ تصنع من نفسك أضحوكة".

"أيتها الميتة، أظن أنك تتحدثين لغتي".

أجابتني بازدراء: "الناس يحبّون ـ وأنت! يا للخطأ! كل هذا يعني أنك تريد أن تهرب من نفسك. ماذا تفعل بالناس؟ أنت تغويهم وتلاطفهم ليصابوا بجنون العظمة الذي تقع أنت ضحيته".

"لكن هذا يحزنني ويؤلمني ويعوي في وجهي، أشعر بتوق عظيم، إن كل شيء رقيق يتذمّر، وقلبي يحن".

لكنها كانت عديمة الرحمة وقالت: "ينتمي قلبك إلينا، ماذا تريد من البشر؟ دفاع عن النفس أمام الناس بحيث تتمكن من السير على قدميك، وليس على عكازتيٍ البشر. يحتاج البشر إلى من لا يطالب بشيء، لكنهم يريدون الحبّ دوماً ليكون باستطاعتهم الهرب من أنفسهم. يجب أن يتوقف هذا. لماذا يخرج الحمقى، ويعظون بالإنجيل للزنوج، ثم يسخرون منه في بلادهم؟ لماذا يتحدث هؤلاء الواعظون المنافقون عن الحبّ الإلهي والبشري، ويستخدمون الإنجيل نفسه ليبرروا حقهم بشنّ الحروب وارتكاب الظلم القاتل؟ وفوق كل شيء، ماذا يعلّمون الآخرين وهم أنفسهم غارقون حتى رِقابهم في طين المكر والخداع الذاتي الأسود؟ هل نظفوا منزلهم، هل أقروا بِشيطانهم وأبعدوه؟ لأنهم لا يفعلون شيئاً من هذا، فهم يعظون بالحبّ الذي يمكّنهم من الهرب من أنفسهم، ويفعلون بالآخرين ما كان عليهم فعله بأنفسهم. لكن هذا الحبّ النفيس جداً، الذي يُمنح لذات المرء نفسها، يحترق مثل النار. لقد لاحظ هؤلاء المنافقون والكاذبون هذا كما فعلت أنت، وفضّلوا أن يحبّوا الآخرين. هل هذا حبّ؟ إنه نفاق مزيف[878]. إنه يبدأ بالحبّ دائماً في نفسك وفي كل الأشياء. أتعتقد أن من يجرح نفسه بقسوة، يقدم للآخر خيراً بحبّه؟ لا، طبعاً أنت لا تعتقد ذلك. حتى أنك تعرف أنه يعلّم الآخر فقط كيف عليه أن يجرح نفسه، بحيث يستطيع إجبار الآخرين على التعاطف. لذا يجب أن تكون ظلاً، بما أن هذا ما يحتاجه البشر. كيف يمكنهم الهرب من نفاق حبّك وحماقته، إن لم تكن أنت قادراً على ذلك؟ لأن كل شيء يبدأ بنفسك. لكن حصانك لا يستطيع الامتناع عن الصهيل. والأسوأ، أن فضيلتك عبارة عن كلب مسعور، كلب يهدر ويلعق وينبح - وأنت تسمي هذا حبّاً إنسانياً! لكن الحبّ هو: أن تحمل نفسك وتتحمّلها.

---

[878] كان يونغ ينتقد بعثات المبشرين المسيحيين. راجع "مشاكل الروح لدى الإنسان المعاصر" 1931، الأعمال الكاملة 10، 185.

إنه يبدأ بهذا. إن الأمر يتعلّق بك في الواقع، وأنت لم تُقَسَّ بعد، يجب أن تلفحك نيران أخرى، وتبقى حتى تكون قد تقبّلت عزلتك وتعلّمت أن تحبّ. "ما الذي تسأله عن الحبّ؟ ما هو الحبّ؟ أن نعيش، هذا أكثر من الحبّ. هل الحرب حبّ؟ لا بدّ أن ترى ما الشيء الذي لا يزال الحبّ البشري يكفيه كوسيلة مثل وسائل أخرى. لذا، وقبل كل شيء، عليك بالعزلة وأن تبقى فيها حتى تحترق كل رقّة حيال نفسك وتتخلص منها. يجب أن تتعلم التجمد"[879].

أجبت: "لا أرى سوى القبور أمامي، أية إرادة لعينة تحوم فوقي؟"

"إنها إرادة الله الأقوى منك أيها العبد، أيها الوعاء.. لقد سقطت أكفانك المسيحية وسقطت معها الحجابات التي أعمت عينيك. لقد أصبح المخلّص قوياً من جديد. إن نير الإنسان أخف وطأة من نير المخلّص، ولهذا يسعى الجميع لاستعباد الآخر بدافع الرحمة. لكن من لا يقع بين أيدي البشر يقع بين يدي الرب. ربما يكون بخير وربما تصيبه بلية! ليس هناك من مهرب".

صرختُ: "هل هذه حرية؟"

"إنها الحرية الأسمى. هناك الإله فوقك وخلال نفسك فقط. واسِ نفسك بهذا وذاك قدر المستطاع. يوصِدُ الإله الأبواب التي لا يمكنك فتحَها. دع مشاعرك تئنّ كجراء. تصبح الآذان صماء في الأعالي".

أجبتُ: لكن أليس هناك غضب من أجل البشر؟"

"غضب؟ يضحكني غضبك. لا يعرف الرب إلا القوة والخلق. إنه يأمر وأنت تنفذّ. مخاوفك مضحكة. ليس هناك سوى طريق واحد.

---

[879] يتابع في الكتاب الأسود 5: "الميتة: بعد أن أنجبكَ الشيطان. ليس الوقت الآن مناسباً للحب بل للأعمال" أنا: "لماذا تذكرين الأعمال؟ اية أعمال تقصدين؟" الميتة: "عملك". أنا: "ماذا تقصدين؟ هل تقصدين علمي وكتابي؟" الميتة: "هذا ليس كتابك، هذا هو الكتاب. العلم هو ما تفعله. افعله، بدون تردد. لا سبيل إلى التراجع، بل هناك سبيل إلى التقدم فقط. ينتمي حبك إلى هناك. سخيف حبك! يجب أن تسمح بحدوث الموت". أنا: "دعي الموتى الذين حولي على الأقل". الميتة: "يكفي موتى، أنت مطوّق". أنا: "أنا لا الاحظ شيئاً". الميتة: "عليك ملاحظتهم" أنا: "كيف؟ كيف أستطيع ذلك؟" الميتة: "تابع. كل شيء سيأتي إليك. ليس اليوم بل غداً" (الصفحات 116-17).

قالت الميتة هذه الكلمات القاسية لي[880]. على الرغم من أنني لم أرغب بطاعة أحد، فقد كان عليّ أن أطيع هذا الصوت. لقد قالت لي كلمات قاسية حول قوة الإله وكان عليّ أن أقبل هذه الكلمات[881]. إن علينا تقديم التحيّة لنور جديد، لشمس حمراء دموية عجيبة ومؤلمة. لا أحد يجبرني على هذا، إنها الإرادة الغريبة في داخلي تأمرني فقط، ولا أستطيع الهرب منها بما أنني لم أجد سبباً لأفعل ذلك.

ظهرت لي الشمس، تسبح في بحر من الدماء والعويل، لذلك قلتُ للميتة:

"هل يجب أن تكون تضحية بفرح ما؟"

لكن الميتة أجابت: "يجب أن تكون التضحية بكل فرح، شرط أن تفعل هذا بنفسك. يجب ألا يُصنع الفرح ولا أن يُسعى إليه، يجب أن يأتي، إن كان سيأتي. أنا أطلب خدمتك وليس عليك أن تخدم شيطانك الشخصي. فهذا يؤدي إلى ألم غير ضروري. إن الفرح الحقيقي بسيط وهو يأتي من تلقاء ذاته، ولا يتم السعي إليه هنا وهناك. ومع خطورة مواجهة الليل الأسود، عليك أن تكرّس نفسك بالكامل لي ولا تسعَ إلى أيّ فرح. لا يمكن تحضير الفرح أبداً، لأنه إما أن يصبح موجوداً في أوانه أو أنه لا يوجد أبداً. كل ما عليك فعله هو إنجاز مهمتك، ولا شيء آخر. إن الفرح يأتي من الإنجاز ولا يأتي من التوق. أنا أمتلك السلطة، أنا آمر، وأنت تطيع".

"أخشى أنكِ ستدمرينني".

لكنها أجابت: "أنا الحياة التي تدمّر غير الأكفّاء. لذا احرص على أن تكون كفوءاً. هل تريد أن تحكم نفسك؟ قم بتوجيه سفينتك إلى الرمال. ابن جسرك حجراً فوق حجر، لكن لا تفكّر بالرغبة بالتحكم بالدفة. سوف تتوه إن رغبت بالهرب من خدمتي. ليس هناك خلاص بدوني. لِمَ أنت تحلم وتتردد؟"

أجبت: "كما ترين، أنا أعمى ولا أعرف من أين أبدأ".

---

[880] يوجد في نسخة "السبر العميق" المكتوبة بخط اليد كلمة "روح" (الصفحة 49)، ويتغير شريك الحوار في هذا القسم من الروح إلى الميتة.

[881] 20 كانون الأول - ديسمبر 1915.

"يبدأ الأمر دوماً من الجار. أين الكنيسة؟ أين المجتمع؟"

صرختُ ساخطاً: "هذا جنون صرف، لِمَ تتحدثين عن الكنيسة؟ هل أنا نبي؟ كيف يمكنني ادعاء هذا لنفسي؟ أنا مجرد إنسان ليس مخولاً بأن يعرف أكثر من الآخرين".

لكنها أجابت: "أنا أريد الكنيسة لأنها ضرورية لك وللآخرين. وإلا ماذا ستفعل بمن أجبرهم على الجثو عند قدميك؟ سوف يعشعشُ الجميل والطبيعي في المريع والمظلم، وسوف يريه الطريق. الكنيسة شيء طبيعي. يجب أن تذوب لمراسم المقدسة وتصبح روحاً. يجب أن يؤدي الجسر إلى ما وراء الإنسانية،[882] ويصبح منيعاً وبعيداً ومن الهواء. يوجد مجتمع من الأرواح مؤسّس على علاماتٍ خارجية ذات معنى راسخ".

صرخت: "توقفي، هذا لا يستحقّ التفكير به، إنه مبهم".

لكنها تابعت: "إن ما تحتاجون إليه أنتم الموتى هو مجتمعٍ فيه موتى. لا تُخالط أياً من الموتى، بل قف بعيداً عنهم، وامنح كلا منهم حقه. يطالب الموتى بصلوات كفارتك".

وعندما قالت هذه الكلمات، رفعت صوتها واستحضرت الأموات باسمي:

"أيها الموتى، أنا أستدعيكم،

"يا ظلال الراحلين الذين يعذبون الأحياء، تعالوا إلى هنا!

"دمي وعصارة حياتي، ستكون وجبتكم وشرابكم.

"تغذوا مني كي تحظوا بالحياة والكلام.

"تعالوا أيها المظلمون والقلقون، سأنعشكم بدمي، بدم شخص حيّ كي تحظوا بالكلام والحياة، في داخلي ومن خلالي.

"يجبرني الرب على توجيه هذه الصلاة إليكم كي تعودوا إلى الحياة".

لقد تركناكم وشأنكم لزمن طويل.

"دعونا نؤلف رابطة بمجتمع كي تندمج صورة الأحياء والموتى، ويستمر الماضي بالعيش في الحاضر.

[882] راجع الملاحظة 269 الصفحة 124.

"تجذبنا رغبتنا إلى عالم الأحياء ونحن تائهون في رغبتنا.
"تعالوا واشربوا من دم الأحياء، ارووا عطشكم كي يتم إنقاذنا من السلطة الصارمة التي لا تخمدُ لتوق قوي، من أجل كينونة حاضرة مرئية، ويمكن فهمها.
"اشربوا من دمنا ورغبتنا التي تسبب شرور الصراع والخصام والقبح والعنف والمجاعة.
"خذوا وكلوا، هذا هو جسدي الذي يعيش من أجلكم. خذوا وكلوا واشربوا، هذا دمي الذي تتدفق رغبته من أجلكم.
"تعالوا، احتفلوا بالعشاء الأخير معي من أجل خلاصكم وخلاصي.
"أنا أحتاج إلى الاجتماع بكم حتى لا أقعَ ضحيةً، لا إلى مجتمع الأحياء ولا إلى رغبتكم التي لا تشبع، ولذلك تسبب الشرّ.
"ساعدوني، كيلا أنسى أن رغبتي نار قربانية من أجلكم.
"أنتم مجتمعي. أعيش ما يمكنني أن أعيشه من أجل الأحياء. لكن فائض توقي ينتمي إليكم، أيتها الظلال. نحتاج إلى العيش معكم.
"كونوا بشائر خير لنا، وافتحوا روحنا المغلقة كي نصبح مباركين بنور الخلاص. عسى أن يحدث هذا!"
وعندما أنهت الميتة صلاتها، التفتت إلي ثانية وقالت:
"عظيمة هي الحاجة للأموات. لكنّ الرب لا يحتاج إلى صلاة قربانية، وليست له لا إرادة طيبة ولا إرادة شريرة. إنه لطيف ومخيف، لكنه ليس كذلك حقاً، بل يبدو لك ذلك وحسب. لكن الموتى يسمعون صلاتك بما أنهم لا يزالون يحتفظون بطبيعة البشر ولم يتحرروا من الإرادة الطيبة ولا الإرادة الشريرة. هل تفهم؟ تاريخ البشرية أقدم وأكثر حكمة منك. هل مرّ وقت لم يكن فيه موتى؟ خداع تافه! لم يبدأ البشر إلا مؤخراً بنسيان الموتى وبالاعتقاد بأنهم بدأوا الآن الحياة الحقيقية، مما جعلهم في حالة سُعار".

اختفت الميتة عندما لفظت تلك الكلمات، وغرقتُ أنا في الكآبة والتشويش. عندما نظرتُ إلى الأعلى ثانية، رأيت روحي في الممالك العلوية، تحوم مشعّة بلمعان بعيد يتدفق من الألوهية[883]. وصرختُ:
أنت تعرفين ما حدث. أنت ترين أنه يتجاوز قدرة الإنسان وفهمه. لكنني أقبله من أجلك ومن أجلي. أن أُصلب على شجرة الحياة، يا للمرارة! أيها الصمت المؤلم! لولاكِ يا روحي التي لمست السماء النارية والامتلاء الأزلي، كيف كان بوسعي ذلك؟
"ألقي بنفسي أمام الحيوانات البشرية - يا للعذاب الذي يفوق احتمال البشر! يجب أن أسمح بتمزيق فضائلي وأفضل مقدراتي لأنها لا تزال أشواكاً في جنب الحيوان البشري. إنه ليس موتاً من أجل الأفضل، بل تلويث الأجمل وتمزيقه من أجل الحياة.
"يا للأسف! أليس هناك خداع مفيد يحميني من تناول العشاء الأخير مع جثتي؟ يريد الموتى أن يعيشوا مني.
"لماذا اعتبرت أنني من يجب أن يشرب أقذار البشرية التي انسكبت من العالم المسيحي؟ ألم تكتفي من النظر إلى الامتلاء الناري يا روحي؟ أما زلتِ ترغبين بالطيران مباشرة إلى النور الأبيض الوهاج للألوهية؟ إلى أية ظلال من الرعب تدفعينني؟ هل حوض الشيطان عميق جداً بحيث أن وحله يلوث حتى ثوبك المتلألئ؟
"من أين أتيت بالحق لتفعلي هذا الفعل الكريه بي؟ دعي كأس القذارة المثير للاشمئزاز يعبر عني[884]. لكن إن لم تكن هذه مشيئتك، فتجاوزي السموات النارية، وأطيحي بالعرش المريع، وأعلني حق البشر أمام الآلهة أيضاً، وانتقمي منهم على فعل الإنسانية الشنيع، لأن الآلهة وحدها من

[883] 8 كانون الثاني - يناير 1916. هذه الفقرة لا توجد في الكتاب الأسود 5.

[884] قال المسيح **في بستان الجسمانية (وهي منطقة في أسفل جبل الزيتون في فلسطين وتشتهر الآن بكنيسة الجسمانية – المترجمان)**: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ».(متى 26: 39).

تقدر على حثّ الدودة البشرية[885] لترتكب فظاعات رهيبة. ليكن قَدَري كافياً وليتدبّر البشر قَدَر البشرية.

"أيتها الإنسانية، يا أمي، ادفعي....... خانقةَ الإنسان عنك. لا تبجّليه بسبب سمّه العظيم ـ قطرة واحدة تكفي ـ وما هي القطرة بالنسبة إليه ـ هو الذي يشكّل كل الفراغ وكل الامتلاء في الوقت نفسه؟"

عندما قلت هذه الكلمات، لاحظتُ أن فيلمون كان يقف ورائي ويمليها عليّ. أتى معي بشكل غير مرئي، وشعرتُ بحضور الخيّر والجميل، وحدثني بصوت عميق رقيق:

[886]أيها الإنسان، أبعد السماء أيضاً عن روحك قدر استطاعتك. يا للمهزلة الشيطانية التي تقوم بها معك، طالما أنها لا تزال تدعّي سلطة عليك! إنها طفلة جامحة وشيطانة متعطشة للدماء في الوقت نفسه، إنها معذّبة للبشر ولا يضاهيها أحد، لماذا؟ ومن أين؟ لأنك تبجّلها. يريد الموتى أيضاً الأمر نفسه. لماذا لا يبقون صامتين؟ لأنهم لم يعبروا بعد إلى الجانب الآخر. لماذا يريدون التضحية؟ كي يتمكنوا من العيش. لكن لِمَ لا يزالون يريدون العيش مع البشر؟ لأنهم يريدون أن يحكموا. لم ينته توقهم للسلطة بعد، لأنهم ماتوا ولا يزالون يشتهون السلطة. الطفل، الرجل العجوز، المرأة الشريرة، روح الموتى، الشيطان، جميعها كائنات يجب مسايرتها. اخشَ الروح واحتقرها وأحبّها، مثل الآلهة تماماً. عسى أن تبتعد عنا! لكن الأهم، لا تفقدها! لأنها عندما تضيع، تصبح خبيثة مثل أفعى، تصبح متعطشة للدماء كنمرٍ ينقضّ على غافل من الخلف. يصبح الرجل الذي يضلّ طريقه حيواناً، وتصبح الروح التائهة شيطاناً. يجب أن تتمسّك بالروح بحبّ وخوف وازدراء وكره، ولا تدعها تغيب عن عينيك. إنها كنز جحيميٌّ، يجب أن يبقى خلف جدران من الحديد، وفي أعمق السراديب. إنها تريد دوماً أن تخرج وتنثر جمالاً

---

[885] سفر أيوب 25: 6: "فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الإِنْسَانُ الرِّمَّةُ، وَابْنُ آدَمَ الدُّودُ؟".

[886] 10 كانون الثاني - يناير 1916

متألقاً. احذرْ لأنك تعرضت للخيانة سلفاً! لـن تجـد امـرأة أكثـر خيانـة ودهاء وشناعة من روحك. كيف لي أن أمدح أعجوبـة جمالهـا وكمالهـا؟ ألا تبقى في إشراقة الشـباب الخالـد؟ ألـيس حبّهـا هـو خمـرة مسـكرة، وحكمتها ذكاء الأفاعي الأساسي؟

"خبئ الناس منها، وخبئها عن الناس. اسـتمع إلى نحيبهـا وغنائهـا في السجن لكن لا تسمح لها بالهرب، لأنها ستصبح عاهرة عليٍ الفور. بمـا أنك زوجها فأنت مبارك من خلالها، وبهـذا تكـون ملعونـاً أيضـاً. إنهـا تنتمي إلى العرق الشيطاني[887] والعمالقة، ولا علاقة لها بالجنس البشري إلا مـن بعيـد. إن رغبـت أن تفهمهـا بطريقـة بشـرية، فسـوف تُصـاب بالجنون. امنحـها الفائض من غضبك وشكّك وحبّك، لكن الفـائض فقـط. إن منحتها هذا الفائض، سـتنقذ البشـرية مـن كـابوس. لأنـك إن لم تـر روحك، فستراها لدى أخيك الإنسان، وسيقودك هذا إلى الجنون، بما أنه من الصعب جداً فهم هذا اللغز الشيطاني والشبح الجحيمي.

"انظر إلى الإنسان الضعيف في تعاسته وعذابه، والذي خصّته الآلهة بـأن جعلته طريدة لها ـ مزّق الحجاب الـدموي الـذي حاكتـه الـروح التائهـة حول الإنسان، وسيطرْ على العاهرة..... التي لم تتمكن بعد مـن التعـافي بعد سقوطها من مكان النعمـة، وهـي لا تـزال ترغـب بالقـذارة والسـلطة بعماء هـذياني. اسـجنها كعـاهرة فاسـقة، ترغـب بمـزج دمهـا مـع كـل خسيس قذر. اقبض عليها واكتفِ منها أخيراً. دعها تتذوق عذابك لمرة، لكي تشعر بمطرقة الإنسان الذي اغتصبها من الآلهة[888].

"عسى أن يحكم الإنسان العـالم البشـري. عسـى أن تصـبح قوانينـه نافـذة. لكن عامل الأرواح والشياطين والآلهة بطريقتها، وامنحها ما تريـد. لكـن لا تحمّل الإنسان عبئاً، ولا تطالبه بشيء ولا تتوقع منه شيئاً، مما تُقنعـك بـه

---

[887] لتوم ثامبز – شخصية من الفلكلور الإنكليزي، ويعتبر تاريخ توم ثامبز هو أول حكاية خرافية مطبوعة باللغة الإنكليزية. توم ليس أكبر من إبهام والده. ومن مغامراته أن البقرة ابتلعته، وتصارع مع العمالقة. وهو واحد من الخارقين للطبيعة الذي تستخدمه الخادمات لتخويف الأطفال – المترجمان.

[888] في أشعار إيدا، سرق العملاق ثرايم مطرقة الإله ثور.

أرواحك الشيطانية والإلهية، لكن حافظ على الصمت وتحمّل، وافعل ما يناسب جنسك البشريّ بتقوى. يجب ألا تعمل على الآخر بل على نفسك، ما لم يطلب منك الآخر عوناً أو رأياً. هل تفهم ما يفعله الآخر؟ أبداً - كيف لك أن تعرف؟ هل يفهم الآخر ما تفعله؟ من أين تأخذ الحقّ بأن تفكّر بالآخر وتعمل عليه؟ لقد أهملت نفسك وأصبحت حديقتك ملأى بالأعشاب الضارة، وتريد أن تعلّم جارك النظام وتقدم أدلّة على عيوبه.

"لِمَ عليك أن تحافظ على صمتك بشأن الآخرين؟ لأنه سيكون هناك أشياء كثيرة تخصّ شياطينك ويجب مناقشتها. لكن إن عملت على الآخر وفكّرت به دون أن يطلب رأيك أو نصحك، فأنت تفعل هذا لأنك لا تستطيع أن تميّز نفسك عن روحك. لذلك تقع ضحية لعجرفتها وتساعدها في العهر. أم هل تظن أن عليك أن تقدّم قوتك البشرية للروح أو الآلهة؟ أو أنه سيكون عملاً مفيداً وتقياً إن أردت أن تجعل الآلهة تساعد الآخرين؟ هذه عجرفة مسيحية أيها الأعمى. لا تحتاج الآلهة إلى مساعدتك، أيها المضحك الذي يبدو لنفسه إلهاً، ويريد أن يشكّل البشر ويحسنهم ويوبخهم ويثقفهم ويخلقهم. هل أنت كامل؟ إبق صامتاً إذاً واهتمّ بشؤونك وانظر إلى عدم كفاءتك كل يوم. أنت أكثر من يحتاج إلى مساعدتك، وعليك أن تحتفظ بآرائك ونصائحك الجيدة لنفسك، ولا تهرع إلى الآخرين كعاهرة، من خلال حجج التفهّم والرغبة بالمساعدة. أنت لست بحاجة لأن تلعب دور المخلّص. من هم الشياطين؟ هل هم أولئك الذين لا يتصرفون من تلقاء أنفسهم؟ دعهم يقومون بعملهم، لكن ليس من خلالك، وإلا ستصبح أنت نفسك شيطاناً بالنسبة للآخرين. دعهم وشأنهم ولا تسبقهم بالحبّ والاهتمام والرعاية والنصيحة والافتراضات الخرقاء الأخرى. وإلا ستقوم بعمل الشياطين، أنت نفسك ستصبح شيطاناً وتدخل في حالة سُعار. لكن الشياطين سعداء بهذيان البشر العاجزين الذين يحاولون مساعدة الآخرين. لذا ابق صامتاً، وانجزْ عمل خلاصك الملعون على نفسك، لأنه على الشياطين حينها أن تعذّب نفسها

وتعذّب بالطريقة نفسها كل إخوتك البشر الذين لا يميزون أنفسهم عن أرواحهم ويسمحون للشياطين بالسخرية منهم. هل من القسوة أن تدع إخوتك البشر العميان وشأنهم؟ سوف تتمكن من خلال هذه القسوة أن تفتح أعينهم. لكنك لا تستطيع أن تفتح أعينهم إلا إذا طلبوا رأيك ومساعدتك. وإن لم يفعلوا، فهم ليسوا بحاجة لها. إن فرضت مساعدتك عليهم على الرغم من ذلك، فستصبح شيطانهم وتزيد من حالة العمى لديهم، لأنك ستكون قد وضعتَ مثالاً سيئاً. ضع غطاء الصبر والصمت على رأسك واجلس، واترك الشيطان يكمل عمله. إن قام بشيء فسوف يفعل العجب. وهكذا، ستجلس أنت تحت أشجار تحمل الفاكهة.

"كن على علم بأن الشياطين سترغب بتحريضك على تقبّل عملهم، وليس عملك. وستصدق أيها الأحمق بأن هذا عملك. لماذا؟ لأنك لا تستطيع أن تمايز نفسك عن روحك. لكنك متمايز عنها، وعليك ألا تسعى إلى العُهر مع الأرواح الأخرى كما لو أنك أنت نفسك روح، بل أنت رجلٌ عاجزٌ يحتاج إلى قوته كلها من أجل تحقيق اكتماله الشخصي. لماذا تنظر إلى الآخر؟ إن ما تراه في الآخر هو الشيء المُهمل فيك. عليك أن تكون حارس سجن روحك. أنت خَصيُ روحك الذي يحميها من الآلهة ومن البشر، كما يحمي الآلهة والبشر منها. السلطة التي تُعطى للرجل الضعيف تشبه السمّ الذي يصيب حتى الآلهة بالشلل، إنها مثل لسعة سامة أصابت نحلة قوتها أقل بكثير من قوتك. يمكن لروحك أن تحتجز هذا السمّ وتعرّض حتى الآلهة للخطر. لذلك خبّئ الروح وميّز نفسك عنها، بما أن أخوتك البشر يجب أن يحظوا بفرصة العيش".

عندما انتهى فيلمون، توجّهت إلى روحي التي اقتربت أكثر أثناء كلام فيلمون وكلمتها:

"هل سمعت ما كان فيلمون يقوله؟ كيف تجدين كلام ونصائحه جيدة؟"

لكنها قالت: "لا تهزأ، وإلا ضربت نفسك. ولا تنس أن تحبني".

أجبت: "من الصعب عليّ أن أجمع الكراهية والحبّ"

قالت: "أنا أفهمك، لكنك تعرف أن الأمر سيان. الكراهية والحبّ يعنيان لي الأمر نفسه. مثل كل النساء من جنسي، إن الشكل أقلّ أهمية بالنسبة لي، وكل شيء لي أو ليس لأحد. أنا أغار من الكراهية التي تمنحها للآخرين. أنا أريد كل شيء، بما أنني أحتاج إلى كل شيء من أجل الرحلة العظيمة التي أنوي البدء بها بعد اختفائك. يجب أن أستعدّ في الوقت المناسب. حتى ذلك الحين علي أن أتزود بمؤونة مناسبة ولا يزال ينقصني الكثير".

سألت: "وهل توافقين على أن أرميك في السجن؟"

أجابت: "طبعاً، هناك سأنعم بالسلام وأكون قادرة على استجماع نفسي. يجعلني عالمكم البشري ثملة ـ هناك الكثير من الدم البشري الذي يمكنني أن أثمل بسببه إلى درجة الجنون. يوجد أبواب من الحديد وجدران من الحجارة وظلمة باردة ومؤن طعام وكفارة. وتلك هي نعمة الخلاص. لا تشكك بعذابي عندما يصيبني الثمل الدموي، ويقذفني مراراً وتكراراً إلى مادة حيّة من الدافع الخلّاق المظلم المخيف الذي قرّبني سابقاً من الموت، وأشعل فيّ شهوة التناسل المريعة. أبعدني عن مادة الحمل المكوّنة من الأنوثة الشبقة للفراغ الغائر. احتجزني بالقوة كي أستطيع العثور على المقاومة وعلى قانوني الخاص. بحيث أستطيع التفكير برحلتي، وبالشمس المشرقة التي تحدثت عنها الميتة، وبالأجنحة الذهبية الخفاقة الشجيّة. كن ممتناً، ألا تريد أن تشكرني؟ أنت مصاب بالعمى. أنت تستحقّ شكري الأسمى".

صرخت، وأنا أشعر بفرح كبير عند سماع هذه الكلمات:

"يا لهذا الجمال الإلهيّ!" وفي الوقت نفسه أطبق عليّ غضب شديد:

"[889]يا للمرارة! لقد جررتني عبر الجحيم المطلق وعذبتني حتى الموت، وأنا هنا أتوق لشكرك. نعم، أنا متأثّر لأنكِ شكرتني، فطبيعة كلب الصيد تكمن في دمي. ولهذا فأنا أشعر بالمرارة على نفسي بما أن هذا قد أثّر كثيراً بك! أنتِ عظيمة بشكل سماوي وشيطاني، أينما وكيفما كنت. وحتى هذه اللحظة، أنا لستُ سوى حارسك الخصيّ ولست سجيناً أقلّ منزلة منك.

---

[889] 11 كانون الثاني - يناير 1916

تكلّمي يا محظيّة السماء، تكلّمي أيتها الضارية المقدّسة! ألم أخرجكِ من المستنقع؟ هل يعجبك الثقب الأسود؟ تكلّمي من دون دم. حتى الآن لستُ سوى حارسك الخصي، لست سجيناً أقل منك. تكلمي، يا محظية السماء، أيتها الوحش المقدس! ألم أخرجك من المستنقع؟ هل يعجبك الثقب الأسود؟ تكلمي بدون دم، وغنّي من قوتك الشخصية، لقد أتخمتِ نفسكِ من البشر".
تلوّت روحي وصرخت مثل دودة وطئتها القدم: "كن عطوفاً".
"عطوفاً؟ هل حظيتُ يوماً بعطف منك؟ لم يكن لديك سابقاً أي تعاطفٍ أيتها المعذبة المتوحشة! لقد تغذّيت على البشر وشربتِ دمي. هل جعلك هذا بدينة؟ هل ستتعلمين احترام عذاب الحيوان البشري؟ ما الذي تريده الأرواح والآلهة من دون الإنسان؟ لِمَ تتوقين إليه؟ تكلمي أيتها العاهرة!"
بكت قائلة: "لقد توقّفت كلماتي. وروّعني اتهامك".
"هل ستصبحين جادة؟ هل ستعيدين النظر؟ هل ستتعلمين التواضع أو ربما فضيلة بشرية أخرى، أيتها الكائن الروحي عديم الروح؟ نعم، ليس لديك روح، لأنك الروح أنت نفسك، أيتها الشيطانة. هل تريدين روحاً بشرية؟ هل أُصبحُ أنا روحكِ الأرضية كي تُصبحَ لديك روح؟ كما ترين، لقد ارتدت مدرستك، وتعلّمت بشكل مُبهم وغامض ومنافق، كيف يتصرف المرء كروح".
وبينما كنت أتحدث مع روحي بهذه الطريقة، وقف فيلمون بصمت على مسافة قريبة مني. لكنه تقدم الآن ووضع يده على كتفي، وقال باسمي:
"مباركة أنت أيتها الروح العذراء، ليُسبح اسمك. أنت المختارة من بين النساء. أنت من ستحمل بالمخلص. ليُسبح اسمك! لتكن لك الكرامة والشهرة حتى الأزل.
"أنت تعيشين في المعبد الذهبي. ويأتي الناس من كل حدب وصوب ليسبحوك.
"نحن، أتباعك، ننتظر تعليماتك.
"نحن نشرب النبيذ الأحمر، ونوزّع الشراب القرباني تذكاراً لوجبة الدم التي احتفلتِ بها معنا.

"نحن نعدّ دجاجة سوداء لوجبة قربانية تذكاراً للرجل الذي أطعمك.
"نحن ندعو أصدقاءنا إلى الوجبة القربانية، ونحمل أكاليل اللبلاب والورود تذكاراً للوداعِ الذي قدمه لك أتباعكِ وجواريكِ الحزانى.
"ليكن هذا اليوم احتفالاً مهرجانياً بالفرح والحياة ـ اليوم الذي بدأتِ به، أيتها المباركة، برحلة العودة من أرض البشر حيث تعلّمتِ كيف تصبحين روحاً.
"تتبعين الابن الذي ارتقى وعَبَر.
"تحملينا كروحٍ لكِ وتقدّمين نفسكِ أمام الابن، محافظةً على حقّك الخالد ككائن ذي روح.
"إننا فرحون، ستلحق بك أمورٌ جيدة. ونحن نمنحك القوة. إننا في أرض البشر وعلى قيد الحياة".
بعد أن أنهى فيلمون كلامه، بدتْ روحي حزينة ومسرورة، وترددت قليلاً لكنها أسرعتْ لتستعدّ لتغادرنا وترتقي ثانية، سعيدة بحريتها المستعادة. لكنني شككت بأمر سرّي لديها، شيء سعت لإخفائه عني. لذلك لم أسمح لها بالرحيل، بل تحدثت إليها:[890]
"ما الذي يعيقكِ؟ ماذا تخبئين؟ ربما كان وعاء ذهبياً أو جوهرة سرقتها من البشر؟ أليست هذه جوهرة قطعة ذهبية تلمعُ على ردائك؟ ما هذا الشيء الجميل الذي سرقتِه عندما شربت دم البشر وأكلت لحمهم المقدس؟ أخبريني الحقيقة، لأنني أرى الكذب على وجهك".
أجابت باستياء: "لم آخذ أي شيء".
"أنت تكذبين، تريدينَ أن تلقي بظلال الشكّ عليّ، ولا يمكنك ذلك. ولّت تلك الأيام التي كنت تستطيعين فيها أن تسرقي البشر دون عقاب. سلّمي كل شيء يُعتبرُ إرثاً مقدّساً لهم وقد أخذتِه بجشع. لقد سرقتِ من الفقير والشحاذ. إن الله ثري وقوي ويمكنك أن تسرقي منه لأن ملكوته لا يعرف خسارة. متى ستتوقفين أيتها الكاذبة المشينة عن ابتلاء البشر وسرقتهم؟" لكنها نظرت إلي ببراءة حمامة وقالت بلطف:

[890] 13 كانون الثاني - يناير 1916. الفقرة التالية لا تظهر في الكتاب الأسود 5.

"أنا لا أشكّ بك. أنا أتمنى الخير لك وأحترم حقك وأقرّ بإنسانيتك، أنا لا آخذ أي شيءٍ منك. أنا لا أمنع أي شيء عنك فأنت تمتلك كل شيء. وأنا لا أمتلك شيئاً".
صرخت: "لكنك تكذبين بدون شعور بالذنب. أنت لا تمتلكين ذلك الشيء الرائع الذي يخصّني وحسب، بل يمكنك أيضاً أن تصلي إلى الآلهة وإلى الامتلاء الأبدي. لذلك أعيدي ما سرقته أيتها الكاذبة".
أصبحت الآن مهتاجة وأجابت:
"كيف يمكنك أن تفعل هذا؟ أنا لم أعد أعرفكَ. أنت عبارة عن مجنون، والأكثر من ذلك أنك مثير للضحك، وقرد طفوليّ يمدّ مخالبه نحو أي شيء يلمع. لكنني لن أسمح بأن يؤخذَ مني ما يخصّني".
عندئذٍ صرختُ غاضباً: "أنت تكذبين، أنت تكذبين، رأيت الذهب، رأيت بريق الجوهرة المشع، أعرف أنها تخصّني. ما كان يجب أن تأخذي هذا مني. أعيديها إلي!"
ثم انفجرت في بكاء وقالت بتحدٍ: "لا أريد أن يؤخذ مني هذا، إنه عزيز جداً عليّ. أتريد أن تسرق مني آخر قطعة حليّ؟"
"زيّني نفسك بحليّ الآلهة، وليس بكنوز البشر الدنيويين التافهة. عسى أن تتذوقي طعم الفقر السماوي بعد أن وعظتِ البشر بالفقر والعوز الأرضي، مثل رجل دين حقيقي مليء بالأكاذيب، يملأ بطنه ومحفظته ويعظ بالفقر".
ناحت قائلة: "أنت تعذبني بشدة، اترك لي هذا الشيء فقط. لا يزال لديكم ما يكفي أنتم البشر. لا أستطيع أن أعيش بدون هذا الشيء تحديداً، هذا الشيء الذي لا يُضاهى، والذي تحسدُ الآلهة البشر من أجله".
أجبتُ: "لن أكون جائراً، لكن اعطني ما يخصني وتوسلي ما تحتاجينه من الآلهة. ما هو؟ تكلمي!"
"للأسف، لا أستطيع الاحتفاظ به ولا إخفاءه! إنه الحبّ، ذلك الحبّ البشري الدافئ، ذلك الدم الأحمر الدافئ، المنبع المقدّس للحياة، الاتحاد بين كل الأشياء التي تم فصلها ونتوق نحن بشدّة إليها".

قلتُ: "إذاً إنه الحبّ الذي تدعين بأنه حقّ وملكية طبيعيان، على الرغم من أنه لا يزال عليك أن تتوسلي للحصول عليه. لقد ثمِلتِ على دم الإنسان وتركته يتضوّر جوعاً. جعلتني أثمل بدم الإنسان، وأتركه يتضوّر جوعاً. إن الحبّ يخصّني. أريد أن أحبّ، وليس أن أحبّك أنت من خلالي. ستزحفين مثل كلب وتتوسلين. سترفعون أيديكم وتتزلفون مثل كلاب جائعة. أنا أمتلك المفتاح. سأكون مديراً أكثر عدلاً بكثير من آلهتكم التي لا تتمتع بالألوهية. ستقتربون من منبع الدم ومن الأعجوبة الحلوة، وستأتون حاملين الهدايا كي تحصلوا على ما تحتاجون إليه. أنا أحمي المنبع المقدّس. لا تعرف الآلهة تدبيراً أو رحمة. إنهم يثملون بأفخم المشروبات. إن (الأمبروزيا) والرحيق[891] هما لحم الإنسان ودمه وهي وجبة عريقة بحق. إنهم يهدرون الشراب بالثمل، يهدرون خيرات الفقراء، لأنه ليس هناك من إله أو روح تقوم بإدانتهم. إن العجرفة والإسراف والقسوة هي جوهركم. طمع من أجل الطمع، سلطة من أجل السلطة، متعة من أجل المتعة، إسراف ونهم: هكذا يميزكم المرء أيها الشياطين.

"نعم، ستعرفون فيما بعد، أيها الشياطين والآلهة والأرواح، أن عليكم أن تزحفوا في الغبار من أجل الحبّ كي تقتنصوا، من شخص ما وفي مكان ما، قطرة من حلاوة العيش. تعلّموا التواضع والكرامة من البشر من أجل الحبّ.

"أيها الآلهة، مولودكم الأول هو الإنسان الذي حَمَلَ الابن الجميل البشع بشكل مريع، والذي هو تجدّد لكم جميعاً. لكن هذا السرّ يشكّل تحقيقاً لكم أيضاً: لقد حَمَلتم ابن الإنسان الذي هو تجدّدي أنا وهو ليس أقلّ روعة وفظاعة، سوف يخدمكم حكمه أيضاً".

ثم اقترب فيلمون مني ورفع يده وقال[892]:

---

[891] في الميثولوجيا اليونانية فإن الأمبروزيا والرحيق هما طعام الآلهة وشرابها.

[892] هذه الجملة لا تظهر في الكتاب الأسود 5.

..... ينبسطُ الكون الثري أبداً ثانية في السماء الأرضية وفي سماء الآلهة، وفي العوالم السفلية والعلوية. يحدث انفصال المتحدين بشكل مؤلم مرة أخرى. يحلّ تضاعفٌ لا نهائي محل ما أُجبر على الاتحاد، لأن التنوّع وحده هو الثراء والدم والحصاد".

مرّت ليلة ونهار، وعندما حلّ الليل ثانية ونظرت حولي، رأيت روحي مترددة ومنتظرة. لذا خاطبتها[893]:

"ماذا، ألا تزالين هنا؟ ألم تجدي طريقك أم أنك لم تجدي الكلمات التي تخصني؟ كيف تكرمين الجنس البشري أيتها الروح الأرضية؟ تذكري ما تحملتهُ وعانيتهُ من أجلك، وكيف أهدرت نفسي، وكيف وقفت أمامك وتلوّيت، وكيف منحتك دمي! أنا ملتزم بالاستلقاء عليك: تعلّمي أن تكرمي الجنس البشري لأنني رأيت الأرض الموعودة للبشر، أرض يتدفق فيها الحليب والعسل[894].

"رأيت أرض الحبّ الموعود.

"رأيت روعة الشمس على تلك الأرض.

"رأيت الغابات الخضراء، والكروم الذهبية وقرى الإنسان.

"رأيت الجبال الشامخة مع حقول من الثلج الأبدي.

"رأيت خصوبة وثراء الأرض.

" لم يرَ أحد غيري ثراء الإنسان.

"أنت يا روحي، تجبرين الإنسان الفاني على الجهد والمعاناة من أجل خلاصك. أنا أطالبك بأن تفعلي هذا من أجل الثراء الأرضي للجنس البشري. انتبهي! أنا أتحدث باسمي وباسم الجنس البشري معاً، بما أن قوتنا ومجدنا هما لك، ولك المملكة وأرضنا الموعودة أيضاً. اجعلي هذا يتحقق باستخدام غزارتك! سأبقى صامتاً، نعم، سأدعك وشأنك، فالأمر منوط بك، يمكنك أن

---

[893] 14 كانون الثاني – يناير 1916. الفقرة التالية غير موجودة في الكتاب الأسود 5.

[894] في سفر الخروج 3، يظهر الله لموسى في الأجمة المحترقة ويقدّم وعداً بأن يقود شعبه خارج مصر إلى أرض يتدفق فيها الحليب والعسل.

تحققي ما حُرم الإنسان من خلقه. أنا أقف منتظراً. عذّبي نفسك كي تتمكني من إيجادها. أين هو خلاصك، إن فشلتِ في أداء واجبك بأن تحققي هذا للإنسان؟ انتبهي! ستعملين من أجلي وسأبقى صامتاً".

قالت: "إذاً أريد الآن أن أستعدّ للعمل. لكن عليك أن تبني موقدك. تخلّص من القديم المعطّل المهترئ الفاسد في وعاء الصهر كي يتجدّد من أجل استخدام جديد.

"هذا تقليد الأسلاف وعادة القدماء التي تمت ملاحظتها منذ القدم. ويجب تبنّيها من أجل استخدام جديد. يحدث تمرينٌ في وعاء الصهر وحضانةٌ، تحدث عودة إلى الداخل، إلى موقع التراكم الحارّ حيث يزول الصدأ والعَطب بحرارة النار. إنها مراسم مقدّسة، ساعدني كي أنجح بعملي.

"ألمس الأرض، أضغط يديكَ في المادة وأشكّلها بعناية. إن قوة المادة عظيمة. ألم يأتِ (HAP) من المادة؟ أليست المادة هي حشو الفراغ؟ إنني أشكّل خلاصك عبر تشكيل المادة. إن لم تشكك بقوة (HAP)، فكيف يمكنك أن تشكّ بقوة أمه، المادة؟ المادة أقوى من (HAP)، بما أنه هو ابن الأرض. كلما كانت المادة أكثر صلابة كانت أفضل، يجب أن تشكّل المادة التي تدوم أكثر. هذا يقوّي الفكر".

فعلت ما نصحتني به روحي، وشكّلت الأفكار التي أعطتني إياها في مادة. غالباً ما كانت تتحدث إلي مطولاً بشأن الحكمة التي تكمن خلفنا[895]. لكنها جاءت إليّ فجأة ذات ليلة وهي تشعر بالقلق وقالت:[896] "ماذا أرى؟ ماذا يحمل المستقبل؟ هل يحمل ناراً محرقة؟ تحوم النار في الجو وتقترب أكثر، وهناك عدة ألسنة من اللهب. إنها

---

[895] **راجع الملحق سي**، 16 كانون الثاني - يناير 1916. هذا رسم تمهيدي لعلم الأكوان للعظات السبع. يبدو إن إشارة يونغ لتشكيل أفكار روحه في مادة، تشير إلى تركيب النظام العالمي (سيستما مونديتوتيوس) (**راجع الملحق أ**). ومن أجل دراسة عن هذا الموضوع، راجع كتاب باري جيرومسون "النظام العالمي والعظات السبع: تعاون رمزي في مواجهة يونغ مع الموتى" تاريخ يونغ 1، 2 (6/2005) الصفحات 6-10، وكذلك "مصادر ماندالات النظام العالمي، الأسطورة وسوء التفسير" تاريخ يونغ، 2، 2، 2007، الصفحات 20-22.

[896] 18 كانون الثاني - يناير 1916.

أعجوبة حارقة، كم هناك من اللهب المحترق؟ إنها رحمة النـار الأبديـة يا حبيبي، هناك أنفاس نار تهبط عليك!"

لكنني صرخت مذعوراً: "أخشى حدوث شيءٍ مريع ومخيف، أنا خائف جداً، بما أن الأشياء التي أعلنتِها مسبقاً كانت مريعة - هل من الضروري أن يُحطم كل شيء ويحرقه ويدمّره؟

قالت وهي تحدق في البعيد: "عليك بالصبر، تحيط بك النار- يوجد بحر هائل من الجمر".

"لا تعذبيني - أية أسرار مرعبة لديك؟ تكلمي، أتوسل إليك. أم أنك تكذبين ثانية، أيتها الروح اللعينة المعذِّبة، أيتها الشيطانة المخادعة؟ ما الذي يفترض أن تعنيه أطيافك الغدارة؟"

لكنها أجابت بهدوء: "أنا أريد خوفك أيضاً".

"لماذا؟ لتعذبيني؟"

لكنها تابعت قائلة: "لأقدمه أمام حاكم هذا العالم[897].

إنه يطالب بالتضحية بخوفك. إنه يقدّر تضحيتك. إنه يرحمك[898].

"يرحمني؟ ما معنى هذا؟ أريد أن أختبئ منه. يتقلّص وجهي أمام حاكم هذا العالم لأنه موسوم، إنه يحمل علامة، لقد نظر إلى الممنوع. لذا أتجنّب حاكم هذا العالم".

قالت: "لكن عليك أن تمثُلَ أمامه، لقد سمع بخوفك".

"أنت زرعت فيّ هذا الخوف. لِمَ وشيت بي؟"

"تم استدعاؤك لخدمته"

لكنني تأوهت وصرخت قائلاً: "لتحلّ ثلاث لعنات على هذا القَدَر! لِمَ لا تستطيعن أن تتركيني في عزلتي؟ لِمَ اختارني للتضحية؟ سيرمي الآلاف أنفسهم أمامه بسعادة! لِمَ يجب أن أفعل هذا أنا؟ لا أستطيع، لا أريد ذلك".

لكن الروح قالت: "أنت تمتلك الكلمة التي يجب ألا يُسمح ببقائها خفية".

---

[897] لوحة "النظام العالمي" فيها أسطورة في الأسفل: "Abraxas dominus mundi" (أبراكساس سيد العالم).

[898] الكتاب الأسود 5 كُتب فيه "أبراكساس" (الصفحة 181)

أجبتُ: "ما هي كلمتي؟ إنها تلعثم شخص وضيع، إنها فقري وعجزي وعدم قدرتي على القيام بشيء آخر. وأنت تريدين وضع هذا أمام حاكم هذا العالم؟"

لكنها نظرت إلى البعيد وقالت: "أرى سطح الأرض والدخان ينسحبُ فوقه ـ أرى بحراً من الكرات النارية يقترب من الشمال، إنها تُحرق البلداتِ والقرى وتدمّر الجبال وتخترق الوديان وتحرق الغابات ـ يُصاب الناس بالجنون ـ أنتَ تسير أمام النارِ برداء محترق وشعر مسفوع، وفي عينيك نظرة جنون، يكون لسانك جافاً من العطش، وصوتك أجشّ كصوت أحمق. أنت تندفع إلى الأمام وتُعلن عما سيحدث، تتسلق الجبال وتذهب إلى كل واد وتتمتم كلمات الخوف وتصرّح عن عذاب النار. أنت تحمل علامة النار والبشر يخافونك. إنهم لا يرون النار ولا يصدّقون كلامك، لكنهم يرون علامتك ويشكون بغير دراية، بأنك رسول العذاب المحترق. سوف يسألون قائلين: أية نار؟ أية نار؟ وأنت تتلعثم وتتمتم، ماذا تعرف عن النار؟ نظرتُ إلى الجمر ورأيت ألسنة اللهب المتأججة. ليحفظنا الله".

صرخت بيأس: تكلمي يا روحي، تكلمي، اشرحي، ماذا علي أن أصرّح؟ .أية نار؟"

"انظر للأعلى وشاهد ألسنة اللهب التي تتأجج فوق رأسك ـ انظر للأعلى فإن السماء قد احمرّت".

بعد هذه الكلمات اختفت روحي.

لكنني بقيت قلقاً ومشوشاً لعدة أيام. وبقيت روحي صامتة ولم أشاهدها[899]. لكن ذات ليلة قرع حشدٌ مظلم بابي وارتجفت خوفاً. ثم ظهرت روحي وقالت بعجلة: "إنهم هنا وسيهدمون بابك ليفتحوه".

"هل سيتمكن الحشد الخبيث من اقتحام حديقتي؟ هل سأُسلب وأُرمى في الشارع؟ أنت تحوّلينني إلى قرد ولعبة أطفال. متى سيتم إنقاذي من

---

[899] 29 كانون الثاني - يناير 1916.

جحيم الحمقى هذا، يا إلهي؟ لكنني أريد أن أمزق شباككم الملعونة إرباً، اذهبوا إلى الجحيم أيها الحمقى. ماذا تريدون مني؟"
لكنها قاطعتني وقالت، "ماذا تقصد؟ دع المظلمين يتكلمون".
أجبتها، "كيف يمكنني أن أثق بك؟ أنت تعملين من أجل نفسك، وليس من أجلي. أيّ خير فيك، إن لم تكوني قادرة حتى على حمايتي من فوضى الشيطان؟"
أجابت، "اصمت، وإلا ستفسد العمل".
عندما قالت هذه الكلمات، أتى فيلمون إليّ مرتدياً رداء كاهن، ووضع يده على كتفي[900]. ثم قلتُ للمظلمين: "تكلموا أيها الموتى". وصرخوا حالاً بصوت جماعي[901]: "عدنا من أورشليم، حيث لم نجد ما كنا نبحث عنه[902]. نتوسل إليك أن تسمح لنا بالدخول. أنت تملك ما نرغب به، وهو نورك وليس دمك، وهذا كل شيء".
ثم رفع فيلمون صوته ووعظهم قائلاً[903] (وهذه أول عظة للموتى)[904]:

---

[900] 30 كانون الثاني - يناير 1916. الجملة التالية لا تظهر في الكتاب الأسود 5.

[901] حول أهمية العظات التي تتبع، قال يونغ لأنييلا جافيه إن النقاشات مع الموتى شكّلت مقدمة لما سيوصله لاحقاً للعالم، وإن محتواها استهل أعماله اللاحقة. "منذئذ، أصبح الموتى أكثر تمايزاً عني على أنهم أصوات من لم تتم إجابتهم ومن لم يصلوا إلى الخلاص ومن ظلّوا عالقين". إن الأسئلة التي طُلِبَ منه الإجابة عليها لم تأتِ من العالم المحيط به، بل من الموتى. إن أحد الأشياء التي أدهشته كانت حقيقة أن الموتى، بدوا كأنهم لا يعرفون أكثر مما كانوا يعرفون عندما ماتوا. كان بوسع المرء أن يفترض أنهم حققوا معرفة أعظم منذ أن ماتوا. لقد فسّر هذا ميل الموتى إلى التطفّل على الحياة، ولماذا يتم إبلاغ الأسلاف بمناسبات العائلة الهامة في الصين. لقد شعر أن الموتى ينتظرون الإجابات من الأحياء (إم بي، الصفحات 258-59، مذكرات، الصفحة 217) **راجع الملاحظة 135، (الصفحة 167)** فوق، المتعلقة بوعظ المسيح للموتى في الجحيم.

[902] **راجع فوق، الصفحة 335**، حيث ذهب الموتى من الأنابابتيستيين (القائلين بتجدد العماد) بقيادة حزقيال إلى أورشليم ليصلوا في الأماكن المقدسة.

[903] هذه الجملة المتعلقة بعلاقة فيلمون بالعظات، لا تظهر في الكتاب الأسود 5، وقد أخبر يونغ أنييلا جافيه أنه فهم فيلمون في العظات. وحينها فقد فيلمون استقلاليته (إم بي، الصفحة 25).

[904] إن نسخ يونغ من العظات، المطبوعة منها والمكتوبة بخط فني، تحمل العنوان الفرعي التالي: "التعليمات السبعة للموتى. مكتوبة بيد باسيليديس في الاسكندرية، حيث يلامس الشرق الغرب. مترجمة من النص الإغريقي الأصلي إلى اللغة الألمانية". كان باسيليديس فيلسوفاً مسيحياً في الاسكندرية في الجزء الأول من القرن الثاني. ليس هناك الكثير من المعلومات عن حياته، ولم تبق إلا شذرات من تعاليمه (وليس هناك أي منها مكتوب بخط يده)، مما يشكّل أسطورة كونية. لمزيد من الشذرات والتعليقات راجع كتاب (النصوص الغنوصية) طباعة (بنتلي ليتون) (نيونيورك: دابلاي،

1987، الصفحات 417-44). وبحسب الملك تشارلز، كان باسيلديس مصرياً بالولادة. وقبل اهتدائه للمسيحية "اتّبع العقائد الغنوصية الشرقية، وسعى لجمع تعاليم الدين المسيحي مع الفلسفة الغنوصية... ولهذا الغرض اختار عبارات من اختراعه، ورموزاً بارعة" (الغنوصية وبقاياها) (بل ودالدي، 1864) (الصفحات 33-34).

وبحسب (ليتون)، فإن الأسطورة الغنوصية الكلاسيكية لها البنية التالية: "الفعل الأول، هو توسّع المبدأ المنعزل الأول (الله) إلى كون لا جسدي بالكامل (روحي). ويقوم الفعل الثاني على خلق الكون المادي بما فيه النجوم والكواكب والأرض والجحيم. أما الفعل الثالث فهو خلق آدم وحواء وأولادهما، ويبقى الفعل الرابع المتضمّن تاريخ العرق البشري اللاحق" (نصوص الغنوصية، الصفحة 13).

وفي أوسع ملخص، تم تقديم عظات يونغ بطريقة مشابهة للأسطورة الغنوصية وناقش يونغ باسيليديس في (أيون) (1951). وينسب الفضل للغنوصية لأنها وجدت تعابير رمزية مناسبة عن الذات، وملاحظة أن باسيليديس وفالانتيوس سمحا لنفسيهما بالتأثر إلى حد كبير بالتجربة الداخلية. ولهذا وفرا، مثل الخيميائيين، منجماً حقيقياً للمعلومات المتعلقة بكل هذه الرموز التي ظهرت من تداعيات الرسالة المسيحية. وفي الوقت نفسه، تعمل أفكارهما على تعويض عدم تناظر الإله المفترض من قبل privato boni (الحسن الخاص)، مثل تلك النزعات العصرية المعروفة للاوعي لإنتاج رموز للشمولية من أجل ردم الهوة بين الوعي واللاوعي" (الأعمال الكاملة 9، 2، 428).

وفي عام 1915، كتب يونغ رسالة إلى صديق من أيام دراسته وهو رودولف ليشتنهان، الذي كان قد كتب كتاب Die Offenbarung im Gnosticismus (1901). ومن رد ليتشنهان المؤرخ في 11 تشرين الثاني - نوفمبر، بدا أن يونغ قد طلب معلومات تتعلق بمفهوم الشخصيات البشرية المختلفة في الغنوصية وعلاقتها الممكنة مع تمييز ويليام جيمس للشخصيات القاسية والرقيقة الذهنية (جي أي). وفي كتاب المذكرات قال يونغ: "بين 1918 و1926، درست الغنوصيين بشكل جدّي لأنهم تواجهوا مع العالم الأساسي للاوعي أيضاً. لقد واجهوا محتوياته وصوره التي تلوثت بدوافع العالم طبعاً" (الصفحة 226). كان يونغ يقرأ الأدب الغنوصي أثناء القراءة التحضيرية لكتاب "تحولات الليبيدو ورموزه". كانت هناك الكثير من التعليقات المكثفة المتعلقة بالعظات السبع، التي توفر نقاشاً قيّماً. لكن يجب التعامل معها بحذر لأنها تخص العظات دون فائدة الكتاب الأحمر والكتب السوداء، وليس آخراً تعليقات فيلمون، التي توفر معاً توضيحاً ضمن السياق. لقد ناقش الباحثون العلميون علاقة يونغ بالغنوصية وبباسيليديس التاريخي، ومصادر أخرى ممكنة وتشابهات مع العظات، وعلاقة العظات بأعمال يونغ اللاحقة. راجع على وجه الخصوص كتاب كريستين ميلارد Les Septem Sermones aux Morts de Carl Gustav Jung (نانسي: مطابع جامعة نانسي، 1993). وراجع أيضاً كتاب ألفريد ريبي "البحث عن الجذور: كارل غوستاف يونغ وتقليد الغنوصية" الذي قدم له لانس أونز وترجمه دون ريفو (لوس أنجلوس، كتب أرشيف الغنوصية، 2013)، وكتاب روبرت سيغال "يونغ الغنوصي" (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1992)، كتاب جيل كويسبل "C. G. Jung und die Gnosis," Eranos-Jahrbuch 37 (1968)، مطبوع في سيغال)، ومقالة إي إم برينر "الغنوصية وعلم النفس: Jung's Septem Sermones ad Mortuos،" "مجلة علم النفس التحليلي 35 (1990). مقالة جوديث هاباك "" VII Sermones ad mortuos "مجلة علم النفس التحليلي 2) (1966). ومقالة جيمس هيزيغ "العظات السبع: لعبة نظرية" مجلة سبرينغ (1972). كتاب جيمس أولني "الجذمور والزهرة: الفلسفة الخالدة، ييتس ويونغ (بيركلي، مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1980). وكتاب ستيفن هولر "يونغ الغنوصي والعظات السبع للموتى (ويتون 2: كويست، 1982).

"اسمعوا الآن: سوف أبدأ باللاشيء. إن اللاشيء هو الامـتلاء نفسـه. إن المليء مثل الفارغ في اللانهاية. إنّ اللاشيء فارغٌ ومليء. باستطاعتكم قول أي شيء آخر عن اللاشيء أيضاً، يمكنكم مثلا أن تقولـوا إنــه أبـيض أو أسود، يمكنكم أن تقولوا إنه موجود أو غير موجود. ليس هناك خصائص لما هو أزليٌّ ولا نهاية له لأنه يحتوي الخصائص كلها.

"يمكننـا تسـمية هـذا اللاشـيء أو الامـتلاء بالبليرومـا[905]. وفيـه يتوقـف التكفير والكينونة، بما أن الأزلـي واللانهـائي لا يمتلـك أيـة خصـائص. ليس هناك من أحد موجـود فيـه، لأنــه حينهـا سـيتميّز عـن البليرومـا، وسيمتلك الخصائص التي تجعله شيئاً مميزاً عن البليروما.

"في البليروما لا يوجد شيء ويوجد كل شيء. من غير المجـدي أن نفكّـر بالبليروما، لأن هذا يعني إذابة الذات.

---

[905] البليروما أو الامتلاء هو مصطلح آتٍ من الغنوصية، وكان قد لعب دوراً مركزياً في النظام الفالانتيني. لقد صرّح هانز جوناس أن "البليروما مصطلح قياسي للخصائص الإلهية المتشعبة المفسرّة بالكامل، والتي يكون عددها المعياري هو 30، وهي تشكّل تراتبية معينة وتؤلف معاً المملكة المقدسة" (الدين الغنوصي: رسالة الإله الغريب وبدايات المسيحية) (لندن: روتليدج، 1992) (الصفحة 180). وفي عام 1929 قال يونغ: "إن الغنوصيين... قد عبروا عنها بتعبير البليروما، إنها حالة الامتلاء حيث يوجد أزواج المتناقضات، نعم ولا، نهار وليل، معاً، وحينها يصبحان إما نهار أو ليل. وفي حالة "الوعد"، وقبل أن يصبحا كذلك، يكونان معدومين، وليس هناك أبيض ولا أسود، لا خير ولا شر" (تحليل الأحلام: ملاحظات من السينمار في 1928-1930) طباعة (ويليام ماكغواير) (سلسلة بولينجن، برينستون: مطبعة جامعة برينستو، 1984) (الصفحة 131). واستخدم يونغ في كتاباته اللاحقةً هذا المصطلح ليصف حالة ما قبل الوجود والاحتمالية، وطابقها مع الباردو التيبتية: "عليه ... أن يعوّد نفسه على فكرة أن الزمن مفهوم نسبي ويجب تعويضه بمفهوم الباردو التزامني - أو الوجود البليروماتي للعمليات التاريخية كلها. إن ما يوجد في البليروما كعملية أزلية، يظهر في الزمن كتعاقب لادوري، أي إنه يتكرر عدة مرات بشكل غير منتظم" (جواب للعمل، 1952، الأعمال الكاملة 2، 629، راجع أيضاً، 620، 624، 675، 686، 727، 733، 748). إن التمييز الذي يضعه يونغ بين البليروما والخلق يحتوي بعض نقاط الاتصال مع تمييز ميستر إيكهارت بين الألوهية والله. لقد علق يونغ على هذا في كتاب "النماذج السيكولوجية" (1921، الأعمال الكاملة 6، 429 ف). لقد تمت مناقشة العلاقة بين بليروما يونغ وإيكهارت من قِبَلِ ميارد "op cit" الصفحات 118-20. و بين عامي 56/1955 كافأ يونغ ما بين البليروما وفكرة الخيميائي غرهاردوس دورن عن'unus mundus' (العالم الواحد) (اتحاد الأسرار المقدسة، الأعمال الكاملة 14، 660). لقد تبنى يونغ هذا التعبير، ليصف الافتراض الإعلاني للوحدة التي تكمن تحت التعددية في العالم التجريبي (المرجع نفسه، 759 ف).

"ليس الخلق في البليروما، بل في نفسه. إنها بداية الخلق ونهايته[906]. إنها تنتشر في الخلق كما ينتشر ضوء الشمس في الهواء. وعلى الرغم من الانتشار إجمالاً، فليس للخلق حصّة فيها، إنها عبارة عن جسم شفاف بالكامل، لا يصبح ضوءاً ولا ظلمة من خلال انتشار الضوء فيه.

"لكننا نحن البليروما نفسها، نحن جزء من الأبدي واللانهائي. لكن ليس لدينا حصّة فيها، بما أننا خُلِقنا بعيدين عنها بشكل كامل، وهذا لا يعني مكانياً ولا زمانياً، بل جوهرياً، لأننا نتميز عن البليروما في جوهرنا كمخلوقات محدّدة بالزمان والمكان.

"لكن بما أننا أجزاء من البليروما، فإنها تكون فينا أيضاً. تكون لا نهائية وأزلية وكاملة حتى في أصغر النقاط، بما أن الصِغَر والضخامة صفتان موجودتان فيها. إن اللاشيء هو ما يكون كاملاً ومستمراً على الدوام. لذا لا أتحدث عن الخلق كجزء من البليروما إلا مجازياً. لأنها ليست مقسمة في أيٍ مكان، بما أنها اللاشيء. نحن أيضاً البليروما الكاملة، لأن البليروما مجازياً هي أصغر نقطة فينا، وهي افتراضية فقط وغير موجودة، وهي قبّة السماء فينا. لكن لماذا نتحدث عنها أصلاً إن كانت هي اللاشيء وكل شيء؟

"أتحدث عنها كي أبدأ من مكان ما، وكي أحررك أيضاً من وهم أنه يوجد في مكان ما، في الداخل أو الخارج، شيء ثابت وراسخ بطريقة ما منذ البداية. إن كل شيء يُزعَم أنه ثابت ومؤكد، هو نسبي فقط. هذا وحده أمر ثابت ومؤكد، وهو أنه معرض للتغيير.

"لكن الخلق معرض للتغيير، لذا فإن هذا وحده ثابت ومحدّد لأن له خصائص: إنه خاصيّة بحد ذاته فعلاً.

"ولهذا نسأل: كيف أصبح الخلق موجوداً؟ تصبح المخلوقات موجودة، لكن ليس الخلق: بما أن الخلق هو خاصيةّ البليروما تحديداً، وكذلك

---

[906] في كتاب "النماذج السيكولوجية" 1921، وصف يونغ (التاو) بأنه الكينونة الخالقة التي أنجبت كاب وتنجب كام. إنه بداية كل الكينونات ونهايتها" (الأعمال الكاملة 6، 363). إن علاقة بليروما يونغ بـ (التاو) الصيني، تمت مناقشتها من قبل ميارد في "op cit" الصفحة 75. راجع أيضاً كتاب جون بيك "الVisio Dorothei: سياق قاحل، حالة تجريبية، تراصفات لاحقة. الصفحات 179-80.

عدم الخلق المعروف بالموت الأبدي. إن الخلق حاضر دوماً، وكذلك الموت. تحتوي البليروما على كل شيء متمايز وغير متمايز.

"إن التمايز[907] خلق. إنه متمايز. التمايز هو جوهره، لذا فهو يتمايز. ولذلك يتمايز الإنسان، بما أن جوهره هو التمايز. لذلك يميز الإنسان خصائص البليروما التي لا توجد. إنه يميزها بسبب جوهره الخاص. لذا عليه أن يتحدث عن خصائص البليروما غير الموجودة.

"تقول: 'ما فائدة هذا كله؟' هل قلتَ أنت نفسك إنه لا قيمة للتفكير بالبليروما؟

"ذكرتُ هذا لأحررك من وهم أننا قادرون على التفكير بالبليروما. عندما نميز خصائص البليروما، نتحدث عن أساس حالتنا المتمايزة الخاصة وعن تمايزنا الخاص، لكننا لا نقول أي شيء عن البليروما في الواقع. ومع ذلك يجب أن نتحدث عن تمايزنا الخاص، كي نتمكّن من تمييز أنفسنا بشكل كاف. إن طبيعتنا بحد ذاتها هي التمايز. إن لم نُخلص لهذه الطبيعة فنحن لا نميز أنفسنا كفاية. لذا يجب أن نضع تمييزاً بين الخصائص.

"تسأل: "ما الضرر الذي يسببه عدم تمييز المرء لنفسه؟" إذا لم نتمايز، فإننا نتجاوز جوهرنا ونتجاوز الخلق ونسقط في عدم التمايز، وهو الخاصيّة الأخرى للبليروما. نسقط في البليروما نفسها ونتوقف عن كوننا كائنات مخلوقة. ننزلق إلى الانحلال في اللاشيء، وهذا هو موت المخلوق. لذلك نحن نموت إلى المدى نفسه الذي لا نتمايز فيه. ولذلك يجاهد جوهر المخلوق باتجاه التمايز ويكافح ضد التماثل البدائي الخطير. يسمى هذا مبدأ التميز أو (principium individuation)[908]. إن هذا المبدأ هو

---

[907] Lit. Unterschiedenheit. Cf. "النماذج السيكولوجية" (1921) الأعمال الكاملة 6، 705. "التمايز" [Differenzierung].

[908] إن مبدأ التمايز هو فكرة من فلسفة آرثر شوبنهاور. لقد حدد المكان والزمان كمبادئ تميز، مع ملاحظة أنه استعار التعبير من الفلسفة المدرسية. لقد كان مبدأ التميز هو عبارة عن التعدّدية (العالم كإرادة وتمثيل) (1819)، مجلدان، ترجمة إي جي باين (نيويورك: دوفر)، الصفحات 145-46). لقد استخدم هذا المصطلح إدوارد فون هارتمان الذي اعتبر أن أصله في اللاوعي. إنه يعبّر عن"تفرّد" كل شخص أمام "اللاوعي المتشابه للجميع" (Philosophie des Unbewussten: Versuch ،

جوهر المخلوق. ومن هذا يمكنك أن ترى لماذا يسببُ عدم التمايز وعدم الاختلاف خطراً كبيراً للمخلوق.

"لذا علينا أن نميّز خصائص البليروما. وهذه الخصائص هي "أزواج المتناقضات" ونذكر منها مثلاً:

"الفعّال وغير الفعّال

الامتلاء والفراغ،

الاختلاف والتماثل،

النور والظلمة،

الحرارة والبرودة،

الزمان والمكان،

الخير والشر،

الجميل والقبيح،

الواحد والمتعدد، .... إلخ

"إن أزواج المتناقضات هي خصائص البليروما التي لا توجد لأن إحداها ألغت الأخرى. بما أننا البليروما نفسها، فنحن نحمل كل هذه الخصائص في داخلنا أيضاً. بما أن طبيعتنا مرسّخة في التمايز، فإننا ندلّ على هذه الخصائص باسم التمايز، مما يعني:

"أولاً: هذه الخصائص متمايزة ومنفصلة لدينا، لذا لا تلغي إحداها الأخرى، بل تكون فعّالة. ولهذا نكون ضحايا أزواج المتناقضات. إن البليروما ممزقة في داخلنا.

---

einer Weltanschauung، (برلين: سي دانكر) 1869، الصفحة 519). وفي عام 1912 كتب يونغ: "ينشأ التنوع من التفرّدية. إن هذه الحقيقة تؤكد جزءاً هاماً من فلسفة شوبنهاور وهارتمان في معنى سيكولوجي عميق" (تحولات الليبيدو ورموزه، الأعمال الكاملة ب، 289). وفي سلسلة من التقارير والمحاضرات لاحقاً في عام 1916، طوّر يونغ مفهوم التفرّدية ("بنية اللاوعي" الأعمال الكاملة 7. و"التفردية والجمعية" الأعمال الكاملة 18). وفي عام 1921 عرّفه يونغ كما يلي: "إن مفهوم التفردية يلعب دوراً هاماً في سيكولوجيتنا. إن التفرّدية عموماً هي عملية تشكيل الكائنات الفردية وتحديدها، وخاصة التطوّر السيكولوجي للفرد، ككائن مميز عن العامة، وعن السيكولوجية الجمعية. لذلك فإن التفرّدية عملية تمايز، لها هدفها في تطور شخصية الفرد" (النماذج السيكولوجية، الأعمال الكاملة 7، 758).

"ثانياً: تنتمي هذه الخصائص إلى البليروما وعلينا أن نمتلكها وأن نعيش باسم التمايز فقط. وعلينا أن نمايز أنفسنا عن هذه الخصائص. إن كلاً منها تلغي الأخرى في البليروما، لكن ليس في داخلنا. إن التمايز عنها ينقذنا.

"عندما نسعى من أجل الصالح والجميل، ننسى جوهرنا الذي هو التمايز، ونسقط تحت سحر تعويذة خصائص البليروما، التي هي أزواج المتناقضات. نحن نسعى لتحقيق الصالح والجميل، لكن في الوقت نفسه، نأخذ الشرير والقبيح، بما أنهما متّحدان مع الصالح والجميل في البليروما. لكن إن بقينا مخلصين لجوهرنا فإننا نمايز أنفسنا عن الصالح والجميل، وبهذا نمايز أنفسنا عن الشرير والقبيح. وبهذا لا نقع تحت سحر تعويذة البليروما، التي هي اللاشيء والانحلال.[909]

"أنت تعترض قائلاً: قلتَ إن الفرق والتماثل من خصائص البليروما أيضاً. كيف سيكون الأمر إن سعينا إلى التمايز؟ ألا نكون بهذا غير مخلصين لطبيعتنا؟ وهل علينا على الرغم من ذلك، أن نسقط في التماثل عندما نسعى إلى التمايز؟

"يجب ألا تنسى أن البلريوما ليس فيها خصائص. إننا نحن من نخلقها من خلال التفكير. لذا، إن سعيت إلى التمايز أو التماثل، أو أية خاصية على الإطلاق، فأنت تسعى إلى أفكار تتدفق إليك من البليروما: وتحديداً، ما يخص الخصائص غير الموجودة للبليروما. ونظراً لأنك تركض وراء هذه الافكار، فأنت تسقط ثانية في البليروما، وتحقق التمايز والتماثل في الوقت ذاته. ليس تفكيرك هو التمايز، وإنما جوهرك. لذا عليك أن لا تسعى إلى ما تظن أنه تمايز، بل من أجل "جوهرك الخاص". لا يوجد هناك في القاع إلا سعي واحد، وهو سعي المرء إلى

---

[909] إن فكرة أن الحياة والطبيعة مكوّنة من الأضداد والأقطاب، تظهر بشكل مركزي في كتاب (Naturphilosophie) لشيلينغ. إن فكرة أن النزاع النفسي قد اتخذ شكل نزاع الأضداد، وأن الشفاء يمثل حلها، ظهرت بشكل رئيسي في أعمال يونغ اللاحقة، راجع كتاب "النماذج السيكولوجية" 1921، الأعمال الكاملة 6، و"وحدة الأسرار المقدسة"، 56/1955 الأعمال الكاملة 14.

جوهره. إن كان لديك هذا السعي، فلن تحتاج إلى معرفة أي شيء عن البليروما وخصائصها، وستحقق على الرغم من ذلك، الهدف الصحيح بواسطة جوهرك الخاص. لكن بما أن الفكر يقصينا عن جوهرنا، فيجب أن أعلّمك تلك المعرفة التي يمكنك بها لجم أفكارك".

[910] تلاشى الموتى وهم يتأففون ويئنون، واختفت صرخاتهم أكثر مع ابتعاد خطاهم.

[911] لكنني التفتُّ إلى فيلمون وقلت: "أبتاه، أنت تعلّم تعاليم غريبة. ألم يعلّم القدماء التعاليم نفسها؟ ألم تكن تلكٍ هرطقة تستوجب التوبيخ؟ ألم تكن خالية من الحبّ والحقيقة على حد سواء؟ ولِمَ تقدم تعاليم كهذه لهذا الحشد الذي أحضَرَته رياح الليل إلى حقول الغرب المظلمة الدامية؟"

أجاب فيلمون: "يا بني، لقد أنهى هؤلاء الموتى حياتهم قبل الأوان. لقد كانوا سُعاةً، ولهذا فإنهم لا يزالون يحومون فوق قبورهم. إن حيواتهم لم تكتمل، بما أنهم لم يعرفوا طريقاً سوى الطريق الذي هجّرهم إيمانهم عليها. لكن بما أنه ليس هناك من يعلمهم، فعليّ القيام بهذا. هذا ما يطلبه الحبّ، بما أنهم أرادوا أن يسمعوا، حتى وإن تأففوا. لكن لماذا أقدّم تعاليم القدماء؟ أنا أعلّم بهذه الطريقة لأن إيمانهم المسيحي قد تخلّص مرة من هذه التعاليم تحديداً وأدانها. لكنهم تراجعوا عن الإيمان المسيحي وبهذا رَفَضَهم إيمانهم. إنهم لا يعرفون هذا ولذلك عليّ أن أعلّمهم كي تكتمل حياتهم، ويتمكنوا من دخول الموت".

"لكن هل تؤمن أنت، يا فيلمون الحكيم، بما تعلّمه؟"

أجاب فيلمون: "يا بني، لِمَ تطرح هذا السؤال؟ كيف يمكنني أن أعلّم ما أؤمن به؟ من سيمنحني الحق بإيمان كهذا؟ إنه ما أعرف كيف أقوله، ليس لأنني أؤمن به، بل لأنني أعرفه. لو كنت أكثر دراية، لعلّمتُ

---

[910] الفقرات التالية حتى نهاية هذا القسم لا توجد في الكتاب الأسود 6.

[911] في النسخة المنشورة من كتاب العظات، لا وجود للتعليقات التي تتبع كل عِظة، ولا وجود لفيلمون. يفترض أن الشخص الذي يتلو هذه العظات هو باسيليديس. وقد أضيفت التعليقات في كتاب "السِفر العميق".

بشكل أفضل. لكن سيكون من السهل عليّ أن أؤمن أكثر. لكن هل عليّ إن أعلّم إيماناً ما لأولئك الذين لديهم إيمانٌ مرفوض؟ وأسألك أيضاً، هل من الخير أن يؤمن المرء بشيء ما أكثر، إن لم يكن أكثر دراية؟"[912]

أجبت: "لكن، هل أنت واثق أن الأشياء كما تقول أنت حقاً؟"

على هذا أجاب فيلمون: "لا أعرف ما إن كان من الأفضل أن يتمكن المرء من أن يعرف. لكنني لست أفضل دراية، ولذلك، أنا واثق أن هذه الأشياء هي كما أقولها تماماً. ولو كانت شيئاً آخر، لقلتُ شيئاً آخر، بما أنني أعرف أنها شيء آخر. لكن هذه الأشياء هي كما أعرفها، بما أن معرفتي هي بالتحديد طبيعة هذه الأشياء".

"أبتاه، هل هذه ضمانتك على أنك لستَ مخطئاً؟"

أجاب فيلمون: "ليس هناك خطأ في هذه الأمور، بل هناك سويات مختلفة من المعرفة فقط. إن هذه الأشياء هي كما تعرفها. في عالمك فقط، تكون الأشياء دوماً غير ما تعرفها، لذا لا يوجد في عالمك سوى الأخطاء".

وبعد هذه الكلمات، انحنى فيلمون، ولمس الأرض بيديه واختفى.

وقف فيلمون بجانبي في تلك الليلة واقترب الموتى واصطفوا على الجدران وصرخوا[913]: "نريد أن نعرف عن الإله.

لكن فيلمون نهض وقال: (وهذه هي العظة الثانية للموتى):

"إنه إله لا تعرفون عنه شيئاً، لأن البشر قد نسوه. نسميّه باسمه أبراكساس[914] .....

---

[912] في مقابلة له مع تلفزيون بي بي سي عام 1959، سأل جون فريمان يونغ: "هل تؤمن بالله؟" أجاب يونغ" الآن؟ "توقف" تصعب الإجابة على هذا السؤال. أنا أعرف. أنا لا أحتاج إلى الإيمان. أنا أعرف". (طباعة ويليام ماكغواير وأر إف سي هال: "كارل غوستاف يونغ يتكلم: مقابلة ومواجهات" (الصفحة 428). إن تصريح فيلمون هنا، يبدو خلفية لهذه التصريح الذي تم الاستشهاد به كثيراً، وطرح جدلاً كبيراً. إن هذا التأكيد على التجربة المباشرة يتطابق أيضاً مع الغنوصية الكلاسيكية.

[913] 31 كانون الثاني - يناير 1916. هذه الجملة لا تظهر في الكتاب الأسود 6.

[914] في عام 1932، علّق يونغ على ابراكساس قائلاً: "الرمز الغنوصي أبراكساس، هو اسم مختلق يعني 365... استخدمه الغنوصيون كاسم لإلههم الأسمى. لقد كان إله الزمن. إن فلسفة برغسون، la durée créatrice، هي تعبير عن الفكرة نفسها". لقد وصفه يونغ بطريقة تشابه وصفه هنا: "كعالم نماذج بدئية من اللاوعي الجمعي متناقض للغاية، ودوماً نعم ولا، إن شخصية أبراكساس هذه تعني،

وأبراكساس فعّال. لا شيء يقف ضده إلا اللافعالية، ولذلك تكشف طبيعته الفعّالة نفسها بحرية. اللافعّال ليس موجوداً ولا مقاوماً. يقف أبركساس فوق الشمس وفوق الشيطان. إنه احتمال بعيد الاحتمال، وهو الذي يترك أثراً غير حقيقي. لو كان للبليروما جوهر، لكان أبراكساس هو تظاهرُ هذا الجوهر.

"إنه الفعالية بحد ذاتها، ليس له تأثير معين، بل هو التأثير إجمالاً.

"يترك أثراً غيرِ حقيقي، لأنه ليس لديه تأثير محدد.

"إنه خلقٌ أيضاً، بما أنه يتمايز عن البليروما.

"للشمس تأثير محدد، وكذلك للشيطان. لذا يظهران لنا أكثر فعاليّة من أبراكساس غير المحدد.

"لذا فهو قوة وديمومة وتجدّد".

ساد هرج ومرج بين الموتى الآن، لأنهم كانوا مسيحيين.[915]

لكن عندما أنهى فيلمون خطابه، تراجع الموتى واحداً تلو الآخر إلى الظلمة مرة أخرى، واختفى صوت غضبهم تدريجياً مع ابتعاد المسافة. عندما انتهى الصخب كلّه، التفتُ إلى فيلمون وقلت له: "أشفقْ علينا، يا صاحب الحكمة الأكبر! أنت تبعد الناس عن الآلهة التي يمكنهم أن يصلّوا لها. أنت تأخذ الزكاة من المتسوّل، والخبز من الجائع، والدفء ممن يشعر بالبرد".

البداية والنهاية، إنها الحياة والموت، لذا تُمثل بشخصية وحشية. إنه وحش لأنه حياة النباتات على مسار سنة واحدة، هو الربيع والخريف، وهو الصيف والشتاء، إنه النعم واللا في الطبيعة. لذا فإن أبراكساس متطابق مع ديمرغوس خالق العالم، كما انه متطابق حتماً مع بوروشا أو شيفا، (16 تشرين الثاني - نوفمبر، محاضرة الرؤى، المجلد 2، الصفحات 806-7). كما أضاف يونغ: "يتم تمثيل أبراكساس عادة برأس طائر وجسم إنسان وذيل أفعى، لكن هناك أيضاً الرمز ذو رأس الأسد وجسم التنين، والرأس متوج باثني عشر شعاعاً، يشير إلى عدد الأشهر" (7 حزيران - يوليو 1933، محاضرة الرؤى، المجلد 2، الصفحات 1041-42). وبحسب القديس إيرينيوس، قال باسيليديس إن "حاكمهم اسمه أبراساكس، ولهذا فإن (الحاكم) يحتوي على الرقم 365" (طباعة ليتون، النصوص الغنوصية، الصفحة 425). كما ظهر أبراكساس في كتاب ألبريخت ديتريش " Abraxas. Studien zur Religionsgeschichte des spätern Altertums" وقد درس يونغ هذا العمل بتفحص في أوائل 1913. وكان لدى يونغ أيضاً نسخة من كتاب تشارلز كينغ "الغنوصية وبقاياها" (لندن: بل أند دالدي، 1864) وهناك ملاحظات على الهامش قرب الفقرة التي تناقش أصل أبراكساس على الصفحة 37.

[915] الفقرات التالية حتى نهاية القسم لا توجد في الكتاب الاسود 6.

أجاب فيلمون قائلاً: "يا بني، كان على هؤلاء الموتى أن يرفضوا معتقد المسيحيين، ولهذا لا يمكنهم الصلاة لأي إله. هل يجب أن أعلّمهم من هو الإله الذي يمكنهم أن يؤمنوا به ويصلوا له؟ إن هذا ما رفضوه بالضبط ما. لِمَ رفضوه؟ كان عليهم أن يرفضوه لأنهم لم يستطيعوا القيام بشيء غير ذلك. ولماذا لم يكن لديهم خيار؟ لأن العالم، ومن دون أن يعرف هؤلاء الناس ذلك، دخل إلى ذلك الشهر من السنة العظيمة، حيث يجب أن يؤمن المرء بما يعرفه فقط[916]. إن هذا صعب بما يكفي، لكنه أيضاً علاج الداء المزمن الذي نشأ من حقيقة أن المرء آمن بما لا يعرفه. أنا أخبرهم عن الإله الذي أعرفه ويعرفونه من دون أن ندركه....... أنا أخبر الموتى عن هذا الإله، بما أنهم رَغِبوا بالمعرفة. لكنني لا أعلّمه للبشر الأحياء، بما أنهم لا يرغبون بتعاليمي. لماذا عليّ أن أعلّمهم؟ لذا، أنا لا أبعدُ عنهم مستمعاً لطيفاً لصلواتهم، الذي هو أبوهم الذي في السموات. ما علاقة الأحياء بحماقتي؟ يحتاج الموتى إلى الخلاص لأنهم يحومون حول قبورهم منتظرين، ويتوقون لمعرفة أن الإيمان أو رفض الإيمان قد ماتا.

يحتاج الموتى إلى الخلاص، بما أنهم حشد كبير من المنتظرين الذين يحومون فوق قبورهم، ويتوقون لمعرفة أن الإيمان ورفض الإيمان قد ماتا. لكن من وقع مريضاً واقترب من الموت يريد المعرفة، وهو يضحي بالمغفرة".

أجبتُ: "يبدو كما لو أنك تتحدث عن مُخلّص مريع ومخيف بشكل يتجاوز كل المقاييس، وأن الخير والشر والمعاناة والفرح البشري لا تعني له شيئاً".

قال فيلمون: "يا بني، ألا ترى أنه كان لهؤلاء الموتى إله محبّة، وقد رفضوه؟ هل عليّ أن أعلّمهم عن إله محبّ؟.... ألم يرفضوا إلهاً أباً محبّاً وطيباً وجميلاً؟ أما كانوا يعتقدون بأن لديه خصائص معينة وكياناً معيّناً؟ "لكن كيف يمكن للبشر أن يتّحدوا في إله كهذا يا أبتاه؟ ألا تعني معرفة إله كهذا، تدمير الروابط الإنسانية، وكل مجتمع مبني على الصالح والجميل؟"

---

[916] الإشارة هنا إلى الأشهر الأفلاطونية. راجع الملاحظة 744، الصفحة 429.

أجاب فيلمون: "لقد رفض هؤلاء الموتى إله الحبّ والخير والجمال، وكان عليهم رفضه، وبهذا رفضوا الاجتماع والاتحاد على الحبّ والخير والجمال. لذا قتل أحدهم الآخر ونغّصوا مجتمع البشر. هل عليّ أن أعلّمهم عن الإله الذي يوحّدهم في الحبّ الذي رفضوه؟ أنا أعلمهم عن الإله الذي يفكك الوحدة، ويفجّر كل ما هو إنساني، ويخلق ويدمّر بقوة شديدة. إن البشر الذين لا يستطيع الحبّ أن يوحّدهم، قد يجبرهم الخوف على الوحدة".

وبينما كان فيلمون يقول هذه الكلمات، انحنى بسرعة إلى الأرض، ولمسها بيده واختفى.

في الليلة التالية[917]، اقترب الموتى مثل ضباب من المستنقع وصرخوا: "أخبرنا المزيد عن الله الأسمى".

وتقدم فيلمون إلى الأمام وبدأ الكلام (وهذه هي العظة الثالثة للموتى)[918]:

"إن أبراكساس هو الآب الذي يصعب فهمه. إن قوته هي الأعظم لأن الإنسان لا يراها. إنه يأخذ الخير الأسمى[919] من الشمس، ويأخذ الشرّ الأسوأ من الشيطان: لكنه يأخذ من أبراكساس الحياة واللا محدود اللتين تشكّلان أم الخير والشر[920].

---

[917] 1 شباط - فبراير 1916.

[918] لا تظهر هذه الجملة في الكتاب الأسود 6.

[919] لقد عرّف أرسطو السعادة على أنها الخير الأسمى (summum bonum). وفي كتاب (Summa Theologica – خلاصة اللاهوت) طابق توما الإكويني هذا الأمر مع الله. لقد اعتبر يونغ عقيدة الخير الأسمى هي مصدر مفهوم privatio boni الذي أدى حسب رأيه إلى إنكار واقع الشر، راجع أيون، 1951، الأعمال الكاملة 9، 2، 80 و94.

[920] في الكتاب الأسود 6 (راجع الملحق الثالث)، كتب يونغ إن أبراكساس هو إله الضفادع وأن "إله الضفادع أو الشراغيف، عديم العقل، وإنه اتحاد الإله المسيحي مع الشيطان". وفي كتاباته اللاحقة، طرح يونغ فكرة أن صورة الإله المسيحي كانت وحيدة الجانب بحيث أنها أغفلت عامل الشر. ومن خلال دراسة التحولات التاريخية لصور الإله، حاول تصحيح هذا الخطأ خاصة في (أيون) و(إجابة للعمل). وفي ملاحظته عن الطريقة التي كتب بها (الإجابة للعمل)، كتب أنه في أيون "نقد فكرة الـ (privatio boni – الحرمان من الخير) لأنها لا تتوافق مع الموجودات السيكولوجية. وتظهر لنا التجربة السيكولوجية أن أياً ما نقول إنه "خير" يتوازن بـ"شر" بالمقدار نفسه. إن لم يكن الشر موجوداً فإن ما يبقى هو "خير" بالضرورة. لا يمكن أن يُشتق الخير، ولا الشر من الإنسان، بما أن "الشر" موجود قبل الإنسان كأحد "أبناء الرب". إن فكرة (privatio boni – الحرمان من الخير)

"تبدو الحياة أصغر وأضعف من الخير الأسمى، ولهذا من الصعب أيضاً أن تتخيل أن قوة أبراكساس، تفوق قوة الشمس التي هي مصدر الإشعاع لكل القوة الحيوية.

"إن أبراكساس هو الشمس، وهو في الوقت نفسه، المُلتهم الأبدي للفراغ، هو المدمّر والمشوّه والشيطان.

"لدى أبراكساس قوة ثنائية لكنّك لا تراها، وذلك لأن المتناقضات المتصارعة لهذه القوة، تختفي في عينيك.

"إن الحياة هي ما يقوله الإله الشمس، بينما الموت هو ما يقوله الشيطان.

"لكن أبراكساس يقول تلك الكلمة الجوفاء الملعونة التي تعني الحياة والموت في الوقت نفسه.

"يُنتِجُ أبراكساس الحقيقة والكذب، الخير والشر، النور والعتمة، في الكلمة نفسها وفي الفعل نفسه. لذلك فهو مريع.

"إنه رائع مثل الأسد في اللحظة التي يُطبق فيها على ضحيته. إنه جميل مثل يوم ربيعي.

"إنه (البان Pan[921]) العظيم والصغير على حد سواء.

"إنه بريابوس[922]).

"إنه وحش العالم السفلي، إنه المرجان المائي ذو الألف ذراع، وعقدة ملتفة لأفاعيَ مجنّحة، إنه سُعار.

"إنه مخنث البداية الأبكر

بدأت تلعب دوراً في الكنيسة بعد (ماني) فقط. وقبل هذه الهرطقة، علم كليمينت من روما أن الرب يحكم العالم بيده اليمنى ويده اليسرى، اليمنى هي المسيح واليسرى هي الشيطان. إن من الواضح أن وجهة نظر كليمينت توحيدية، لأنها توحّد المتضادات في الرب. فما بعد، أصبحت المسيحية ثنائية، نظراً لأنها تفصل أحد نصفي المتناقضات، بشكل يتجسد بالشيطان. إن ادعت المسيحية أنها توحيدية، فسوف يصبح من الضروري أن نفترض أن المتناقضات محتواة في الإله" (1956 الأعمال الكاملة 2، 357-58).

[921] إله الطبيعة والبرية والزعاة والأسراب والماعز والجبال البرية في الميثولوجيا الإغريقية، وهو يرتبط عادة بالجنس- المترجمان.

[922] إله خصوبة ريفي صغير يحمي الأسراب والنباتات المثمرة والنحل والحدائق في الميثولوجيا الإغريقية – المترجمان.

"إنــه سـيد الشـراغيف والضـفادع، الـذي يعـيش في الميـاه، ويصـعدُ إلى اليابسة، الذي يرتفع غناؤه عند الظهر وفي منتصف الليل.
"إنه الامتلاء الذي يسعى إلى الاتحاد مع الفراغ.
"إنه الإنجاب المقدس.
"إنه القديس وخائنه.
"إنه النور الأشد سطوعاً للنهار، والليل الأكثر ظلمة للجنون.
"إن نظرتَ إليه، فستصابُ بالعمى.
"إن عرفته، فستصابُ بالمرض.
"إن عبدته، فستموت.
"إن خشيته، فستصبحُ حكيماً.
"عدم مقاومته هي الخلاص.
"يسكن أبركاس خلف الشمس، ويسكن الشيطان خلف الليل. إن ما يأتي به الله في النور، يمتصّه الشيطان إلى الليل. لكن أبراكساس هو العالم وصيرورته ومروره. ومع كل هدية تأتي من الإله الشمس، يُلقي الشيطان بلعنته.
"كل شيء تطلبه من الإله الشمس، يُنتِجُ عملاً من أعمال الشيطان. كل ما تخلقه مع الإله الشمس، يعطي قوةَ فعالية للشيطان.
"هذا هو أبراكساس المريع.
"إنه الكائن المخلوق الأعظم، وفيه يخشى الخلق من نفسه.
"إنه النقيض الظاهر للخلق بالنسبة إلى بليروما واللاشيء فيها.
"إنه رعب الابن من الأم.
"إنه حبّ الأم للابن.
"إنه بهجة الأرض وقسوة السماء.
"أمام ناظريه يتجمّد وجه الإنسان.
"أمامه ليس هناك سؤال ولا جواب.
"إنه حياة الخلق.
"إنه تأثير التمايز.

"إنه حبّ الإنسان.
"إنه كلام الإنسان.
"إنه مظهر الإنسان وظله.
"إنه واقع مخادع".[923]
[924]لكن حينها صرخ الموتى وهاجوا، لأنهم كانوا غير كاملين.
لكن عندما تلاشت صرخاتهم الصاخبة، قلتُ لفيلمون: "كيف لي أن أفهم هذا الإله يا أبتاه؟
أجاب فيلمون قائلاً:
"لماذا تريد أن تفهمه يا بني؟ يجب معرفة هذا الإله وليس فهمه. إن فهمته، فسوف يمكنك أن تقول إنه هذا أو ذاك، أو هذا وليس ذاك. وسوف تحمله بهذا في تجويف يدك، وحينها على يدك أن ترميه بعيداً. إن الإله الذي أعرفه هو هذا وذاك، وهو بنفس القدر هذا الآخر وذاك الآخر. ولذلك لا يمكن لأحد فهم هذا الإله، لكن من الممكن معرفته، لذلك أتحدث عنه وأعلّم".
لكنني أجبت: "لكن ألا يجلب هذا الإله الارتباك الذي يسبب القنوط إلى عقول البشر؟
أجاب فيلمون: "لقد رفض هؤلاء الموتى نظام الوحدة والتجمّع بما أنهم رفضوا الإيمان بالآب الذي يحكم بمقاييس عادلة في السماء. لقد كان عليهم رفضه. ولهذا أنا أعلّمهم الفوضى التي ليس لها مقياس على الإطلاق وليس لها حدود، والتي لا تعني لها العدالة والجور والتساهل والقسوة، والصبر والغضب والحبّ والكراهية أي شيء. لأنه كيف بوسعي أن أعلّم أي شيء إلا الآب الذي أعرفه ويعرفونه، دون أن أكون واعياً له؟"

---

[923] في عام 1942 كتب يونغ: "يجب أن يتضمّن مفهوم الآب الشامل لكل شيء، نقيضه بالضرورة. لكن التوافق يجب الا يكون جذرياً أكثر مما يجب، وإلا لألغى الآب نفسه. إن مبدأ التوافق بين المتناقضات يجب أن يكتمل بنقيضه كي يتم تحقيق التناقضية الكاملة ومن ثم السلامة السيكولوجية" (الروح مرقوريوس)، الأعمال الكاملة 13، 256).
[924] الفقرة التالية حتى نهاية القسم لا تظهر في الكتاب الأسود 6.

أجبتُ: "أيها المبجّل، لماذا تسمي ما لا يمكن فهمه أبداً، والتناقضات القاسية للطبيعة بالإله؟"

قال فيلمون: "ماذا سأسميها إذاً؟ إن كان جوهر الأحداث الغامر، في الكون وفي قلوب الإنسان قانوناً، فسأسميه قانوناً. لكنه ليس قانوناً أيضاً، بل فرصة، شذوذ، خطيئة، خطأ، غباء، إهمال، حماقة، لاشرعية. لذا لا يمكنني أن أسميه قانوناً. أنت تعرف أنه يجب أن يكون بهذا الشكل، وفي الوقت نفسه تعرف أنه لن يكون بهذا الشكل. إنه غامرٌ، ويحدث كما لو أنه صادر عن قانون أزلي، وفي وقت آخر، تنفخ رياح منحرفة ذرة غبار في الأعمال، وتكون هذه الفجوة قوة فائقة أقوى من جبلٍ من حديد. لذا، أنت تعرف أن القانون الأزلي هو انعدام القانون أيضاً. ولهذا لا يمكنني أن أسميه قانوناً. لكن أي اسم آخر يجب أن يُطلق عليه؟ أعرف أن اللغة البشرية قد أطلقت على الرحم الأمومي، وإلى الأبد، اسم الآب العصيّ على الفهم. حقاً، إن هذا الآب كائن وغير كائن، بما أن كل شيء كان ويكون وسيكون، ينبثق من الكينونة واللا كينونة".

لكن عندما قال هذه الكلمة الأخيرة، لمس الأرض بيده واختفى.

في الليلة التالية، أتى الموتى مسرعين بوقت أبكر، وملأوا المكان بدمدمتهم وقالوا:

"حدثنا عن الآلهة والشياطين، أيها الملعون".

وظهر فيلمون وبدأ يتكلم (وهذه هي العظة الرابعة للموتى)[925]:

"إن الإله الشمس هو الخير الأسمى، والشيطان هو العكس. لكن هناك أشياء سامية وجيدة بقدرِ ما يوجد من الشرور العظيمة. يوجد بينها.... شيطانان: أحدهما هو المُحترق، والآخر الذي ينمو.

"المحترق هو إيروس، وهو على شكل لهب. إنه يشعّ بفعل الاحتراق[926].

---

[925] 3 شباط - فبراير 1916. هذه الجملة لا تظهر في الكتاب الأسود 6.

[926] في عام 1917 كتب يونغ فصلاً عن "النظرية الجنسية" في "سيكولوجيا العمليات اللاوعية" الذي قدم نقداً لفهم التحليل النفسي للإيروتيك. وفي نسخته المنقحة من عام 1928 لهذا الفصل، غيّر العنوان إلى "نظرية الإيروس" وأضاف:"ينتمي الإيروتيك من جهة إلى طبيعة الغريزة الأصلية لدى

"والذي ينمو هو شجرة الحياة. إنه يخضّر بمراكمة مادة الحياة التي تنمو[927].

"يشتعل إيروس ويموت. لكن شجرة الحياة تنمو بزيادة بطيئة، وهي مستمرّة لأزمنة طويلة لا تُقاس.

"إن الخير والشرّ يتحدان في اللهب.

"يتحد الخير والشرّ في نمو الشجرة. وتقف الحياة والحبّ متقابلين في ألوهيتهما.

"عدد الآلهة والشياطين لا يحصى كعدد النجوم.

..... كل مساحة يملؤها نجم هي شيطان. لكن الامتلاء الفارغ للكل هو البليروما.

"أبراكساس هو أثر الكل، ولا تعاكسه إلا اللافعالية.

....

"أحدهم هو البدء، الإله الشمس.

"الثاني هو إيروس، لأنه يربط الاثنين معاً، ويبسط نفسه بسطوعه.

"الثالث هو شجرة الحياة، لأنها تملأ المكان بالأجسام.

"الرابع هو الشيطان، لأنه يفتح كل ما هو مغلق. ويحل كل شيء متشكّل وجسدي، إنه المدمّر الذي يصبح فيه كل شيء لاشيء.

الإنسان، ويرتبط من جهة أخرى بأسمى أشكال الروح. إنه يزدهر فقط عندما يكون الروح والغريزة في الانسجام الصحيح... "إن إيروس هو ديمون عظيم" كما قالت ديوتيما الحكيمة لسقراط... إنه ليس الطبيعة كلها في داخلنا، على الرغم من أنه أحد مظاهرها الرئيسية على الأقل (الأعمال الكاملة 7، 32-33). وفي السيمبوزيوم (الندوة)، تعلم ديوتيما سقراط عن طبيعة الإيروس فتقول: "إنه روح عظيمة يا سقراط. إن كل شيء مصنّف تحت تصنيف الروح، يقع بين الله والبشر/ وسألتها: أية وظيفة لها؟ /إنها تنقل الصلوات والقرابين من البشر، وتطلب قرابين من الآلهة بالمقابل. وبما أنها وسيط بين الاثنين، فهي تملأ الفجوة بينهما، وتمكّن الكون من تشكيل كلٍ مترابط. إنها تخدم كوسيط لكل الكهنوت، ولكل المعرفة الكهنوتية في القربان والطقوس والتعاويذ وكل النبوءات والسحر. لا تقوم الآلهة بتواصل مباشر مع البشر، بل تتواصل وتتحدث معهم (في الصحو أو النوم) من خلال وسيط الأرواح". (ترجمة س جيل. لندن: بنغوان، 1999. الصفحات 202-203). وفي كتاب "الذكريات" تأمّل يونغ في طبيعة الإيروس ووصفها على أنه kosmogonos، أي الخالق والأب – وهو أم كل الوعي". (الصفحة 387). يجب تمييز توصيف يونغ للإيروس بالكونية عن استخدام يونغ لهذا المصطلح لتوصيف وعي النساء. راجع الملاحظة 161، الصفحة 177.

[927] في عام 1954، كتب يونغ دراسة مفصلة عن نموذج الشجرة البدني: "الشجرة الفلسفية" الأعمال الكاملة 13.

...... لكن ويل لك، يا من تضع أباً مفرداً مكان كل هذا التعدد غير المتآلف. إنك بهذا التصرّف، تخلق لنفسك عذاب استحالة الفهم، وتشوّه الخلق الذي يكون التمايز هو طبيعته وهدفه. لكن، كيف يمكنك أن تكون مُخلصاً لطبيعتك وأنت تعمل على تحويل الكثرة إلى واحد؟ إن ما تحاول أن تفعله بالآلهة، يتم فعله بك بالمثل. وتصبحون جميعكم متساوين، وبهذا تتشوه طبيعتكم[928].

....

من أجل الخلاص، أعلّمك ما هو مستهجن وما قد رُفضتُ من أجله.

....

[929]"وهنا قاطع الموتى كلام فيلمون بضحك غاضب وصرخات هازئة، وبينما كانوا ينسحبون، تلاشى ضجيجهم وسخريتهم وضحكهم مع ابتعادهم. التفتُ إلى فيلمون وقلتُ له:

"أعتقد أنك مخطئ يا فيلمون. يبدو أنك تعلّم خرافة جديدة قهرها الآباء بنجاح ومجد، وهي ذلك الإشراك الذي لا ينتجه العقل إلا عندما لا يتمكن من تحرير نظرته من قوة الرغبة القاهرة المكبّلة بأشياء حسية".

أجاب فيلمون: "يا بني، هؤلاء الموتى رفضوا الإله الواحد والأسمى. كيف يمكنني أن أعلّمهم عن الإله الواحد ولا أعلّمهم عن الإله المتعدد؟ بالطبع، يجب أن يصدقوني. لكنهم رفضوا هذا الإيمان. لذا أنا أعلمهم عن الإله الذي أعرفه، الإله المتعدد الممتدّ الذي هو الشيء ومظهره معاً، وهم يعرفونه حتى إن لم يكونوا واعين له.

"أطلق هؤلاء الموتى أسماء على الكائنات كلها، الكائنات التي في الجو وعلى الأرض وفي المياه. لقد وزنوا الأشياء وأحصوها. لقد أحصوا الجياد والأبقار والخراف والأشجار وقطع الأرض والينابيع، قالوا، هذا مناسب لهذا الغرض، وذاك مناسب لذاك الغرض. ماذا فعلوا بالشجرة الرائعة؟

[928] يتابع في الكتاب الأسود 6: "الموتى: أنت وثني، أيها المشرك!" (الصفحة 30).
[929] الفقرات التالية حتى نهاية القسم لا تظهر في الكتاب الأسود 6.

ما الذي حدث للضفدع المقدس؟ هل رأوا عينه الذهبية؟ أين تكفيرهم عن الأبقار ال7777 التي سفكوا دمها، والتهموا لحمها؟ هل قدموا كفارة عن الخامات المقدّسة التي نبشوها من بطن الأرض؟ لا، لقد أطلقوا الأسماء على كل الأشياء ووزنوها وأحصوها وخصصوها. لقد قاموا بما يرضيهم أياً كان. وما الذي فعلوه! لقد رأيت القوة بنفسك، لقد منحوا الأشياء قوةً بهذه الطريقة بالضبط، ودون أن يدروا. لقد حان الوقت لكي تنطق الأشياء. تسألُ قطعة اللحم: كم عدد البشر؟ وتسألُ قطعة الخام: كم عدد البشر؟ وتسألُ السفينة والفحم والمنزل: كم عدد البشر؟ وتنهض الأشياء وتحصي ملايين البشر وتزنهم وتخصصهم وتلتهمهم.

"أمسكتْ يدكَ بالأرض ومزّقتْ عنها الهالة ووزنت الأشياء وأحصت عظامها. ألم يتم جذب الآب الواحد الساذج ورميه في كومة الأشياء التي فُصِل فيها الحيّ عن الميت؟ نعم، لقد علّمك هذا الآب أن تزن العظام وتحصيها. لكن شهر هذا الآب يقترب من نهايته ويقف شهر جديد عند الباب. لذلك يجب أن يكون كل شيء كما هو، أي، يجب أن يصبح كل شيء مختلفاً.

"إن ما اختلقته ليس إشراكاً! لكن عدداً من الآلهة يرفعون أصواتهم بقوة، ويمزّقون البشرية إلى قطع دامية. هذا العدد وذاك من البشر، تم وزنهم وإحصاؤهم وتخصيصهم وتقطيعهم والتهامه. لذا، أنا أتحدث عن عدد من الآلهة كما أتحدث عن عدد من الأشياء، لأنني أعرفهم. لماذا أسميهم آلهة؟ من أجل سموّهم. أتعرف قوة هذا السموّ؟ حان الوقت لكي تتعلّم.

"يضحك هؤلاء الموتى من حماقتي. لكن هل كانوا سيرفعون يدهم القاتلة ضد إخوتهم لو أنهم قدموا كفارة عن الثور ذي العينين المخمليتين؟ لو أنهم قدموا كفارة عن الخامة اللامعة؟

لو أنهم عبدوا الأشجار المقدسة؟ [930] لو أنهم تصالحوا مع روح الضفدع ذي العينين الذهبيتين؟ ماذا تقول الأشياء الميتة والحية؟ من هو

---

[930] ربما يشير هذا إلى وصول المسيحية إلى ألمانيا في القرن الثامن الميلادي، عندما تم قطع الأشجار المقدسة.

الأعظم؟........ حقاً، إن هذه الشمس قد أصبحت قمراً، ولم تنبثق شمس جديدة من انقباضات آخر ساعات الليل".

وعندما أنهى هذه الكلمات، انحنى فيلمون إلى الأرض وقبّلها وقال: "أماه، عسى أن يكون ابنك قوياً". ثم وقف، ونظر للأعلى إلى السموات وقال: "كم هو مظلم مكان ضوئك الجديد". ثم اختفى.

عندما حلّت الليلة التالية، اقترب الموتى صاخبين متدافعين، وكانوا يهزؤون ويصرخون قائلين: "علّمنا أيها الأحمق، عن الكنيسة والمناولة المقدسة".

لكن فيلمون وقف أمامهم، وبدأ الكلام[931]: (وكانت هذه هي العظة الخامسة للموتى):

"يظهر عالم الآلهة في الروحانية أو الجنسانية. كما يظهر السماويون في الروحانية، والأرضيون في الجنسانية[932].

"إن الروحانية تحملُ وتعانق. إنها أشبه بالمرأة لذا نسميها (mater coelestis – الأم السماوية)[933]، إنها الجنسانية التي تَلِدُ وتخلق. إنها أشبه بالرجل، لذا نسميها (phallus[934] – الأب الأرضي[935]). إن جنسانية الرجل أكثر أرضية، وجنسانية المرأة أكثر روحانية. كما أن روحانية الرجل أكثر سماوية، وهي تتحرك نحو الأعظم.

"روحانية المرأة أكثر أرضية، وهي تتحرك نحو الأصغر.

"روحانية الرجل كاذبة وشيطانية، وهي تتحرك نحو الأصغر.

---

[931] هذه الجملة لا تظهر في الكتاب الأسود 6.

[932] في سيمنار عام 1925 قال يونغ: "الجنسانية والروحانية ثنائيّ متضادّ يحتاج أحدهما للآخر" (مقدمة إلى علم النفس التحليلي).

[933] تنتهي مسرحية فاوست لغوته برؤية الأم السماوية. وفي محاضرته "فاوست والخيمياء" قال يونغ عن هذا: "يجب عدم اعتبار الأم السماوية بأية حال مثل مريم أو الكنيسة. إنها أقرب إلى أفروديت يورانيا، كما قال القديس أوغسطين أو كما في كتاب بيكو دي ميراندولا "الأم الأعظم بركة".

[934] يوجد في الكتاب الأسود 6 "Phallus" (القضيب الرمزي) (الصفحة 41). وكذلك في النسخة المكتوبة بخط اليد للعظات السبع (الصفحة 21).

[935] في كتاب "تحولات الليبيدو ورموزه" (1912) كتب يونغ: "إن الفالوس هو المخلوق الذي يتحرك بدون أطراف، ويرى بدون عينين، ويعرف المستقبل، وهو التمثيل الرمزي للقوة الخلّاقة الموجودة في كل مكان، وتدعي خلودها" (الأعمال الكاملة ب، 209). يستمر لمناقشة الآلهة "الفالية" أو القضيبية.

"روحانية المرأة كاذبة وشيطانية، وهي تتحرك نحو الأعظم.
"كل منها ستذهب إلى مكانها الخاص.
"يصبح الرجل والمرأة شيطانين أحدهما بالنسبة للآخر إن لم يفصلا بين أساليبهما الروحانية، لأن جوهر الخلق هو التمايز.
"تتجه جنسانية الرجل نحو الأرضي، وتتجه جنسانية المرأة نحو الروحاني. يصبح الرجل والمرأة شيطانين أحدهما بالنسبة إلى الآخر، إن لم يميزا جنسانيتهما.
"سيعرف الرجل الأصغر، وستعرف المرأة الأعظم.
"سيميز الرجل نفسه عن الروحانية والجنسانية معاً. وسيسمّي الروحانية أماً ويضعها بين السماء والأرض. لأن الأم وفالوس ديمونان خارقان لطبيعة البشر، ويكشفان عالم الآلهة. إنهما يؤثران بنا أكثر من الآلهة لأنهما قريبان أكثر لجوهرنا[936]. إن لم تميّز نفسك عن الجنسانية والروحانية، ولم تعتبرهما جوهراً يكمن فوقك وما وراءك معاً، فأنت تُسلّم إليهما كخصائص من البليروما. إن الروحانية والجنسانية ليستا من خصائصك، وليستا أشياء تمتلكها وتحيط بها. بل هما يتملكانك ويحيطان بك، بما أنهما ديمونان قويان، وتظاهران للآلهة، لذلك فهما يمتدّان بشكل يتجاوزك، ويوجدان في نفسيهما. ليس للإنسان روحانية في نفسه ولا جنسانية، بل هو يقف تحت قانون الروحانية والجنسانية. ولذلك لا يمكن لأحد أن يهرب من هذين الديمونين. ستنظر إليهما كديمونين، وكمهمة وخطر مشترك، كعبء مشترك حمّلتك الحياة إياه. وهكذا فإن الحياة هي أيضاً عبء وخطر مشترك بالنسبة لك، وكذلك هي الآلهة، وأبراكساس الرهيب أولاً وآخراً.
"إن الإنسان ضعيف، ولهذا فإن المجتمع أمر لا غنى عنه. إن لم يكن مجتمعك تحت علامة الأم، فهو تحت علامة الفالوس. إن غياب المجتمع معاناة ومرض. إن المجتمع في كل شيء فيه عبارة عن تقطيع أوصال وذوبان.

[936] يستمرّ في الكتاب الأسود 6: "الأم هي الكأس والفالوس هو الرمح" (الصفحة 43).

"يؤدي التمايز إلى الفرديّة. والفردية تقابل المجتمع. لكن نظراً لضعف الإنسان بسبب الآلهة والديمونات وقانونها الذي لا يُقهر، فإن المجتمع ضروري، ليس من أجل الإنسان، بل بسبب الآلهة. إن الآلهة تقودك إلى المجتمع. على الرغم من أن الآلهة تفرض المجتمع عليك فهو ضروري، إن الكثير سيئ.

"يخضع كل إنسان في المجتمع للآخرين، وذلك لكي يكون بالإمكان المحافظة على المجتمع الذي تحتاج إليه.

"كل إنسان في فرديّته، يضع نفسه فوق الآخرين لكي يتمكن من أن يصل إلى نفسه ويتجنب العبودية.

"يحمل الزهد الخير في المجتمع، ويحمل البذخ الخير في الفردية.

"المجتمع هو العمق، الفردية هي الارتفاع.

"التدبير المناسب في المجتمع، ينقي ويحفظ.

"التدبير المناسب في الفردية ينقي ويزيد.

"يعطي المجتمع الدفء، وتعطي الفردية النور"[937].

عندما أكمل فيلمون كلامه، ظلّ الموتى صامتين ولم يتحركوا، لكنهم نظروا إليه بترقب. لكنه عندما لاحظ أن الموتى ظلّوا صامتين منتظرين، تابع كلامه وكانت هذه (هي العظة السادسة للموتى)[938]:

"يقترب ديمون الجنسانية من الروحِ مثل أفعى. إنها نصف الروح البشرية وتسمى الفكّر-الرغبة.

"يهبط ديمون الروحانية في الروحِ مثل طائر أبيض. إنه نصف الروح الإنسانية ويسمى الرغبة- الفكر.

"إن الأفعى عبارة عن روحٍ أرضية، نصف ديمونيّة، إنها طيف وهي شبيهة بأطياف الموتى. لذلك أيضا تندفع مثلهم في الأرض، وتجعلنا نخشاهم، وإلا

---

[937] يتابع في الكتاب الأسود: "إننا في المجتمع نذهب نحو المنبع، ألا وهو الأم، أما في الفردية فنذهب إلى المستقبل، ألا وهو الفالوس المُنجِب" (الصفحة 46). وقدّم يونغ في تشرين الأول – أكتوبر 1916، محاضرتين في نادي علم النفس تتعلقان بالعلاقة بين التفردية والتأقلم الجمعي، راجع "التأقلم، التفردية والجمعية" الأعمال الكاملة 18. لقد هيمن هذا الموضوع على نقاشات النادي تلك السنة.

[938] هذه الفقرة لا توجد في الكتاب الأسود 6.

تجعلهم يثيرون شهوتنا. إن للأفعى طبيعة مؤنثة تسعى دائماً إلى رفقة هؤلاء الموتى الذين تربطهم تعويذة سحرية بالأرض، ورفقة من لم يجدوا طريقهم للعبور إلى الفردية. إن الأفعى عاهرة. إنها تغازل الشيطان والأطياف الشريرة، إنها طاغية ومعذبة خبيثة، وتغوي دائماً أكثر الرفاق شراً. إن الطائر الأبيض هو روح نصف سماوية للإنسان. إنه يقيم مع الأم، ويهبط من وقت لآخر. يشبه الطائرُ الرجل الذي يعبّر عن الفكر الفعّال. إنه طاهر ومعتزل ورسول للأم، وهو يطير عالياً فوق الأرض. إنه يطلب الفردية، ويأتي بالمعرفة من البعيدين الذين رحلوا سابقاً وحققوا الكمال. إنه يحمل كلامنا إلى الأم في الأعلى. وهي تتشفع وتحذر لكنها عاجزة أمام الآلهة. إنها وعاء للشمس. تنزل الأفعى وتجعل ديمون فالوس (الديمون القضيبي) كسيحاً، أو تقوم باستدراجه. إنها تحمل أفكار الأرضي المبالغة في البراعة، تلك الأفكار التي تزحف عبر كل ثقب وتلتصق بكل الأشياء بشهوة. رغم أن الأفعى لا تريد ذلك، فعليها أن تكون مفيدة لنا. إنها تهرب من قبضتنا وبذلك تُظهرُ لنا الطريق الذي لا تستطيع نباهتنا البشرية العثور عليه".

[939]عندما أكمل فيلمون كلامه، نظر الموتى نظرة رضا وقالوا: "توقف عن الكلام عن الآلهة والديمونات والأرواح. نحن نعرف هذا منذ وقت طويل".

لكن فيلمون ابتسم وأجاب: "أيها المساكين، أنتم فقراء في الجسد وأثرياء في الروح، كان الجسد غليظاً وكانت الروح رقيقة. لكن كيف تصلون إلى النور الأبدي؟ أنتم تسخرون من غبائي مع أنكم أغبياء مثلي أيضاً: أنتم تسخرون من أنفسكم. إن المعرفة تُحرّر المرء من الخطر. لكن السخرية هي الجانب الآخر من الإيمان. هل الأسود أقل من الأبيض؟ لقد رفضتم الإيمان واحتفظتم بالسخرية فهل أنقذكم هذا من الإيمان؟ لا، أنتم تربطون أنفسكم بالسخرية، وبهذا تربطونها بالإيمان أيضاً. ولذلك فأنتم تعساء".

لكن الموتى صاحوا بغضب: "نحن لسنا تعساء، إننا أذكياء، كما أن تفكيرنا ومشاعرنا نقيّة مثل المياه الصافية. إننا نشيد بعقلنا. نحن نهزأ

---

[939] الفقرات التالية حتى نهاية القسم غير موجودة في الكتاب الأسود 6.

بالخرافات. هل تظنّ أن حماقتك القديمة وصلتنا؟ لقد تغلّب عليك وهمٌ طفوليّ أيها العجوز، أي خير لنا في هذا؟"

أجاب فيلمون: "ما الذي سيقدّم لكم أي خير؟ أنا أحرركم مما لا يزال يقيدكم بظل الحياة. خذوا هذه الحكمة معكم، أضيفوا هذه الحماقة إلى ذكائكم، وهذه اللاعقلانية إلى عقلانيتكم، وسوف تجدون أنفسكم، لو كنتم بشراً، لبدأتم حياتكم وطريق حياتكم بين العقلانيِ واللاعقلاني، ولتابعتم العيش إلى النور الأبدي الذي عشتم في ظله مقدماً. لكن بما أنكم موتى، فسوف تحرركم هذه المعرفة من الحياة، وتجرّدكم من طمع البشر، وتحرّر أنفسكم أيضاً من الحجابات التي يضعها النور والظل عليكم، سيهيمنُ عليكم التعاطف مع البشر، وسوف تصلون من الجدول إلى الأرض الصلبة، وستتقدمون من الدوامة الأبدية إلى حجر الراحة الذي لا يتحرك، الدائرة التي تكسر الاستمرارية المتدفّقة، وسوف ينطفئ اللهب.

"لقد هيجتُ ناراً متوهجة، ومنحتُ القاتل سكيناً، وفتحت الجراح الشافية، وسرّعتُ الحركة كلها، وأعطيتُ المجنون المزيد من الشراب المُسكِر، وجعلت البارد أكثر برودة، والساخن أشدّ سخونة، والمزيّف أكثر زيفاً، والخير أكثر خيراً، والضعف أكثر ضعفاً.

"إن هذه المعرفة هي فأس المضحّي".

لكن الموتى صاحوا: "إن حكمتك حماقة ولعنة. هل تريد أن تدير العجلة إلى الخلف؟ سوف تمزقك إرباً أيها الأعمى!"

أجاب فيلمون: "هذا ما حدث إذاً. لقد أصبحت الأرض خضراء ومثمرة ثانية بسبب دم الأضحية، لقد تبرعمت الأزهار وانسحقت الأمواج على الرمال، تجثو غيمة فضية على حافة الجبل وقد أتى طائر الروح إلى البشر، يصدح المعول في الحقول، والفأس في الغابات، تندفع ريح عبر الأشجار، وتلمع الشمس في ندى الصباح الجديد، وتشهدُ الكواكب الولادة وتتكلم الحجارة ويهمس العشب. لقد وجد الإنسان نفسه، والآلهة

تجوب السماء، والامتلاء يلد القطرة الذهبية، والبذرة الذهبية، التي علاها الريش وأخذت ترفرف".

صمت الموتى الآن وحدّقوا في فيلمون، وزحفوا بعيداً ببطء. لكن فيلمون انحنى إلى الأرض وقال: "لقد تم الأمر لكنه لم يُنجز. تبرعمي يا فاكهة الأرض وانهضي ـ واسكبي ماء الحياة أيتها السماء".

ثم اختفى فيلمون.

[940]كنتُ على الأرجح في غاية التشوش عندما اقتربَ فيلمون مني في الليلة التالية بعد أن استدعيتهُ قائلاً: "ماذا تفعل يا فيلمون؟ أية نار أشعلت؟ ما الذي مزقته؟ هل تتوقف عجلة الخلق عن الدوران؟"

لكنه أجاب قائلاً: "يسير كل شيء في مساره المعتاد. لم يحدث أي شيء، لكن حدث شيء غامض جميل ولا يمكن وصفه: لقد خرجتُ من الدوامة".

صرختُ قائلاً: "ما هذا؟ تحرّك كلماتك شفتيّ، ويدخل صوتك في أذنيِّ، وتراك عيناي في داخلي. هل أنت ساحر خرجتَ من الدوّامة حقاً؟ أي تشوش هذا! هل أنت أنا، وهل أنا أنت؟ ألم أشعر كما لو أن عجلة الخلق قد توقفت؟ ومع ذلك تقول إنك خرجتَ من الدائرة الدوامة؟ أنا مرتبط بالعجلة حقاً ـ أشعر بتأرجحها المتسارع ـ ومع ذلك تقف عجلة الخلق أيضاً بالنسبة لي. ماذا فعلت يا أبتاه، علمني!"

قال فيلمون: "لقد وطئتُ ما هو صلبٌ، وأخذتهُ معي وحفظته من اندفاع الموج، ومن دورة الولاداتِ، ومن العجلة الدائرة للصيرورة اللانهائية. لقد تم إيقافها وتلقى الموتى حماقة التعليم، وأعمتهم الحقيقة وهم يرون الأمور بشكل خاطئ. لقد أدركوا وشعروا وندموا على ذلك، سوف يعودون ثانية ويستفسرون بتواضع، بما أن ما رفضوه سيكون الأكثر قيمة لهم".

وبما أن اللغز أزعجني، أردتُ الاستفسار من فيلمون. لكنّه كان قد لمس الأرض واختفى، وكانت ظلمة الليل صامتة ولم يُجبني. لقد وقفت روحي

[940] هذا القسم غير موجود في الكتاب الأسود 6.

بصمت وهزّت رأسها ولم تعرف ماذا تقول عن اللغز الذي أشار إليه فيلمون لكنه لم يَبحْ به.

مرّ يوم آخر وهبط الليل السابع.

وعاد الموتى ثانية، لكنهم في هذه المرّة قالوا بملامح تثير الشفقة: "لقد نسينا أمراً مهماً وهو أننا نريدك أن تعلّمنا عن البشر".

وقف فيلمون أمامي وبدأ الكلام[941] (وكانت هذه هي العظة السابعة للموتى)[942]:

"إن الإنسان مدخل تمرّون من خلاله من العالم الخارجي للآلهة والديمونات والأرواح، إلى العالم الداخلي، من العالم الأكبر إلى العالم الأصغر. إن الإنسان صغيرٌ وتافه وهو وراءكم سلفاً، وسوف تجدون نفسكم مرّة أخرى في الفضاء اللانهائي، وفي اللانهاية الصغرى أو الداخلية.

"وعلى مسافة شاسعة لا تقاس، يقف نجم وحيد في ذروته.

....

"يكون الإنسان في هذا العالم، هو أبراكساس، هو الخالق والمدمّر لعالمه الخاص.

"تنطلقُ باتجاهِ الرحلةُ الطويلةُ للروح بعد الموت، ويلمعُ فيه كل ما سحبه ذلك الإنسان من العالم الأكبر بتألق.

"سوف يصلّي الإنسان لهذا الإله الوحيد.

"الصلاة تزيد من نورِ النجم،

"إنها تضع جسراً عبر الموت،

"إنه يجهّز الحياة من أجل العالم الأصغر، ويهدئ الرغبات المتعذرة للعالم الأكبر.

"يلمع النجم عندما يصبح العالم الأكبر بارداً.

"لا شيء يقف بين الإنسان وإلهه الوحيد، طالما أن الإنسان يستطيع أن يشيح بناظريه عن المنظر الملتهب لأبراكساس.

---

[941] 8 شباط - فبراير 1916. هذه الجملة غير موجودة في الكتاب الأسود 6.

[942] هذه الجملة غير موجودة في الكتاب الأسود 6.

"الإنسان هنا، الله هناك.

"الضعف واللاشيء هنا، والقوة الخلاقة أبدياً هناك.

"لا شيء هنا سوى العتمة والبرودة الرطبة، بينما توجد الشمس الكليّة هناك"[943].

[944]لكن الموتى ظلّوا صامتين عندما أنهى فيلمون كلامه. لقد هبط عليهم ثِقَلٌ، وارتفعوا مثل الدخان فوق نيران الراعي الذي يراقب قطيعه ليلاً.

لكنني التفتُ إلى فيلمون وقلت: "أيها المجيد، هل تعلّمنا أن الإنسان عبارة عن مدخل؟ مدخل يمر عبره موكب الآلهة؟ ويتدفق من خلاله جدول الحياة؟ يتدفق من خلاله المستقبل بالكامل إلى لانهائية الماضي؟"

أجاب فيلمون قائلاً: "لقد آمن هؤلاء الموتى بتحول البشر وتطوّرهم. كانوا مقتنعين باللاشيئية والزوال الإنساني. لم تكن الأمور واضحة بالنسبة إليهم.... لذلك كان عليهم أن يتعلّموا ما لم يكونوا يعرفونه، وهو أن الإنسان مدخلٌ يعبره قطار الآلهة كما يعبره مرور الأزمنة كلها. إنه لا يفعل هذا ولا يخلقه ولا يعاني منه، بما أنه الكائن الكينونة والوحيدة ولحظة العالم، إنه اللحظة الأزلية. إن من يُدرك هذا، يتوقّف عن كونه لهباً، ويصبح دخاناً ورماداً. إنه يبقى وينتهي زواله. لقد أصبح شخصاً موجوداً. لقد حلمتَ باللهب كما لو أنه الحياة. لكن الحياة استمرار بينما اللهب يخمد. لقد نقلت هذا معي وحفظته من النار. هذا هو ابن الزهرة النارية. وقد رأيتَ هذا فيّ، أنا ذاتي نار النور الأزلية. وأنا من حفظتُ

---

[943] في 29 شباط - فبراير 1919، كتب يونغ رسالة إلى جون كوري تعليقاً على العظات، وهناك إشارة خاصة تتعلّق بالعظة الأخيرة: "إن الخالق البدني للعالم، والليبيدو الخلّاق الأعمى، يتحّول في الإنسان من خلال التفردية ومن خلال هذه العملية التي تشبه الحمل، وإنجاب طفل إلهيّ، إلهاً مولوداً من جديد، لم يعد مبعثراً في ملايين المخلوقات، بل يصبح كلاً واحداً مع هذا الفرد، ومع كل الأفراد في الوقت ذاته، وما يحدث معك، يحدث معي. يوجد لدى الدكتورة (لونغ) كتاب صغير: سبع عظات للموتى. يمكنك أن تجد هناك وصفاً للخالق المُبعثر في مخلوقاته، وتجد بداية التفرّدية في العظة الأخيرة، حيث يولد الطفل الإلهيّ من هذه التفرّدية...إن الطفل إله جديد وُلِدَ في الواقع في عدة أفراد، لكنهم لا يعرفون ذلك. إنه إله رُوحاني. إنه روح في العديد من الناس، لكنه واحد وهو نفسه في كل مكان. استمرّ بهذا وسوف تختبر خصائصه" (نُسخت في مذكرات كونستانس لونغ، مكتبة الطب في كاونتواي، الصفحات 21-22).

[944] الفقرات التالية حتى نهاية القسم غير موجودة في الكتاب الأسود 6.

البذرة السوداء والذهبية وضوء نجمها الأزرق من أجلك. ما هو الطول والقِصر أيها الكائن الأزلي؟ ما هي اللحظة والاستمرار الأبدي؟ أنت أزلي كل لحظة أيها الكائن. ما هو الوقت؟ إن الوقت هو النار التي تستعر وتخمد. لقد حفظتُ الكائن من الزمن، وخلّصته من نيران الوقت وظلمة الوقت، من الآلهة والشياطين".

لكنني قلتُ له: "أيها المجيد، متى ستمنحني الكنز المظلم والذهبي وضوء نجمه الأزرق؟"

أجاب فيلمون: "عندما تنتهي من تسليم كل ما تريد حرقه إلى اللهب المقدّس"[945].

---

[945] في أيلول - سبتمبر 1916، أجرى يونغ أحاديث مع روحه، قدّمت عرضاً أكبر لكونية العظات وتوضيحاً. في 25 أيلول - سبتمبر: **الروح:** "كم نوراً تريد، ثلاثة أم سبعة؟ الثلاثة صادرة من القلب ومتواضعة، بينما السبعة هي العام والشامل". **أنا:** يا له من سؤال! يا له من قرار! عليّ أن أتحدث بصدق، أعتقد أنني أريد الأنوار السبعة". **الروح:** "تقول السبعة؟ هذا ما اعتقدتُه. إن لهذا الأمر نطاقاً واسعاً ـ أنواراً باردة." **أنا:** "أنا أحتاج إلى البرودة والهواء النقي. لقد اكتفيت من هذا الحرّ والرطوبة، ومن الخوف الشديد وعدم كفاية التنفس الحرّ. اعطيني سبعة أنوار" **الروح:** "النور الأول يعني البليروما، والنور الثاني يعني أبراكساس أما الثالث فهو الشمس والرابع هو القمر، والخامس هو الأرض والسادس هو القضيب (فالوس) والسابع هو النجوم". **أنا:** "لماذا لا توجد طيور؟ ولماذا ليست الأم السماوية والسماء بينها؟" **الروح:** "كلها متضمنة في النجم. وعندما تنظر أنت للنجم، فأنت تنظر من خلالها، إنها الجسر إلى النجم. إنها تشكّل الضوء السابع الأسمى الطافي الذي يرتفع بأجنحة مرفرفة، متحرراً من عناق شجرة الضوء ذات الأغصان الستة والزهرة الواحدة التي ينام فيها إله النجم. إن الأنوار الستة مفردة وتشكل تعددية، أما النور الواحد فهو واحد ويشكّل وحدة، إنه التاج المزهر للشجرة والبيضة المقدسة وبذرة العالم التي وُهبت جناحين لتصل إلى مكانها. يعطي الواحد العديد مراراً وتكراراً، والعديد يتبع الواحد" (الكتاب الأسود 6 الصفحات 104-6). وفي 28 أيلول - سبتمبر: **الروح:** لنجرب هذا الآن، إنه شيء من الطائر الذهبي. إنه ليس الطائر الأبيض بل الذهبي. إنه مختلف. إن الطائر الذهبي هو ديمون طيب، لكن الذهبي يقع فوقك وتحت الرب. إنه يطير أمامك. أنا أراه في الأثير الأزرق، يطير نحو النجم. إنه عبارة عن جزء منك. وهو في الوقت نفسه بيضته الخاصة التي تحتويك. أتفهمني؟ اسأل إذاً!" **أنا:** "أخبريني المزيد. يجعلني هذا أشعر بالغثيان". **الروح:** "ليس الطائر الذهبي روحاً بل هو طبيعتك الكاملة. إن الناس طيور ذهبية أيضاً، لكن ليس جميعهم، إن بعضهم ديدان وهم يتعفنون في الأرض. لكنْ الكثيرون منهم عبارة عن طيور ذهبية أيضاً". **أنا:** "تابعي، أخشى اشمئزازي. أخبريني ما الذي فهمته؟". **الروح:** "يجلس الطائر الذهبي في شجرة الأنوار الستة. وتنمو الشجرة من رأس ابراكساس، لكن أبراكساس ينمو من البليروما. كل شيء تنمو منه الشجرة، يزدهر كنور متحوّل، كرحم ذروة الشجرة المزهرة، من الطائر- البيضة الذهبي. إن شجرة النور هي نبتة أولاً، وتسمى فرداً، إنها تنمو من رأس أبراكساس، إن فكره فكر واحد من بين عدة أفكار. إن الفرد مجرد نبتة بدون أزهار وثمار، إنه ممر لشجرة الأنوار السبعة. إن الفرد هو بشير شجرة النور. يزدهر الساطع منه، (فينز) نفسه، (آغني)، نار جديدة، طائر ذهبي. يأتي هذا بعد الفرد، وتحديداً عندما يتحد ثانية مع العالم، ويزدهر العالم منه. إن أبراكساس هو،

وعندما نطق فيلمون هذه الكلمات، اقتربتْ مني هيئةٌ مظلمةٌ بعينين ذهبيتين من ظلال الليل[946]. وعندها جفلتُ وصرختُ: "هل أنت عدو؟ من أنتَ؟ من أين أتيت؟ لم أرك من قبل! تكلم، ماذا تريد؟"
أجاب المظلم قائلاً: "لقد جئتُ من بعيد. جئتُ من الشرق، وتبعتُ النار المتوهجة التي تسبقني يا فيلمون. أنا لستُ عدوك، بل غريب عنك. إن بشرتي قاتمة عينيّ ذهبيتان".
سألت خائفاً: "ماذا أحضرت؟"
"لقد أحضرت الامتناع عن الفرحِ البشري والمعاناة البشرية. يؤدي التعاطف إلى الاغتراب. لقد أحضرتُ معي شفقة ليس فيها تعاطف، إنها الشفقة على العالم والرغبة المكبوتة حيال الآخر.
"تبقي الشفقة مفهومة، ولهذا فهي تنجح.
بعيداً عن التوق، لا تعرف خوفاً.
"بعيداً عن الحبّ، تحبّ الكل".
نظرتُ إليه بخوف وقلت: "لِمَ أنت مظلم مثل تراب الحقول، وأسود مثل الحديد؟ أنا أخشاك، يا للألم، ماذا فعلت بي؟"
"يمكنك تسميتي بالموت ـ الموت الذي ارتفع مع الشمس. أتيت بألم صامت وسلام طويل. أضع عليك غطاء الحماية. يبدأ الموت وسط الحياة. أنا أضع غطاء فوق غطاء عليك كي تبقى دافئاً أبداً".
أجبتُه: "أنت تأتي بالحزن واليأس، أردتُ أن أكون بين البشر".

الحافز، والفرد يتميز عنه، لكن شجرة الأنوار السبعة هي رمز الفرد متحداً مع أبراكساس. هنا يظهر (فينز) وهو الطائر الذهبي الذي يطير أمامه. أنت توحد نفسك مع أبراكساس من خلالي. أعطني قلبك أولاً ومن ثم عش من خلالي. أنا الجسر إلى أبراكساس. وهكذا فإن شجرة النور تنشأ منك وتصبح أنت شجرة النور وينشأ (فينز) منك. لقد ترقبت لكنك لم تفهم هذا. عندها تصبح مضطراً للانفصال عن أبراكساس لتصبح فرداً، بشكل يعاكس الحافز. تصبح الآن متحداً مع أبراكساس. يحدث هذا من خلالي. 'لا يمكنك القيام بهذا. لذا عليك أن تبقى معي. تحدث الوحدة مع أبراكساس المادي من خلال الأنثى البشرية، لكن الوحدة مع (آبر) الروحاني **تحدث** من خلالي، لهذا عليك أن تبقى معي" (الكتاب الأسود 6 الصفحات 114-20).

[946] في الكتاب الأسود 6، تدخل هذه الشخصية في 5 شباط - فبراير، وسط العظات.

لكنه قال: "ستذهب إلى البشر بشكل محتجب. سيسطع نورك في الليل. ستفارقك طبيعتك الشمسية وتبدأ طبيعتك النجمية".
تنهدتُ قائلاً: "أنت قاس".
"إن البسيط قاس، إنه لا يَتحد مع المتشعّب".
وبهذه الكلمات اَختفى الغامض المظلم. لكن فيلمون نظر إلي نظرة جديّة مستفسرة وقال: "هل نظرت إليه جيداً، يا بني؟ سيزورك ثانية. لكن هيا الآن، كي أستطيع تحقيق ما تنبأ به المظلم لك".
بينما كان يقول هذه الكلمات، لمس عينيّ وفتح بصيرتي وأراني اللغز الذي لا يقاس. ونظرتُ لوقت طويل إلى أن استطعتُ فهمه: لكن ماذا رأيتُ؟ رأيتُ الليل، رأيت الأرض القاتمة، وفوقها كانت السماء تشعّ بتألق عدد لا يُحصى من النجوم. ورأيتُ أن السماء قد اتخذت شكل امرأةَ، وكانت عباءتها النجمية ذات الطبقات السبع تغطيها بالكامل.
عندما شاهدتُ هذا، قال فيلمون:
"يا أماه، يا من تقفين في الدائرة الأعلى، يا من لا اسم لك، ومن تغطيني وتغطيه وتحميني وتحميه من الآلهة: إنه يريد أن يصبح طفلك.[947]
"عسى أن تقبلي ولادته.
"عسى أن تجدّديه. أنا أفصل نفسي عنه[948]. إن البرودة تزداد ويسطع نجمه أكثر.
"إنه يحتاج إلى رابطة الطفولة.
"أنتِ أنجبتِ الأفعى الإلهية، وحرّرتها من آلام الولادة، خذي هذا الرجل إلى مسكن الشمس، إنه يحتاج إلى الأم".
جاء صوتٌ من بعيد[949] وكان أشبه بنجمٍ ساقطٍ:

---

[947] 17 شباط - فبراير 1916. في الكتاب الأسود 6، هذا الكلام قاله يونغ نفسه (الصفحة 52).
[948] في الكتاب الأسود 6 كُتب هنا: "احتاج إلى ظل جديد، بما أنني تعرفت على أبراكساس المخيف وانسحبتُ منه" (الصفحة 52).
[949] في الكتاب الأسود 6، هذا الصوت معرف باسم "الأم" (الصفحة 53).

"لا أستطيع اتخاذه طفلاً لي. يجب أن ينظف نفسه أولاً".
قال فيلمون[950]: "ما هو دنسه؟"
لكن الصوت قال: "إنه التمازج، إنه يحتوي على المعاناة والفرح البشريين. سيبقى معزولاً إلى أن يكتمل الامتناع عن المعاناة والفرح البشريين، ويتحرر من التمازج مع البشر. حينها سيؤخذ كطفل".
في هذه اللحظة انتهت رؤياي، وذهب فيلمون وبقيت وحدي. لقد بقيت بعيداً كما طُلب مني. لكن في الليلة الرابعة رأيت شكلاً غريباً، رأيت رجلاً يرتدي معطفاً طويلاً وعمامة، وقد لمعت عيناه بذكاء ولطف كما لو أنهما عينا طبيب حكيم[951]. اقترب مني وقال: "أنا أحدثك عن الفرح".
لكنني أجبت: "تريد أن تحدثني عن الفرح؟ أنا أنزف من آلاف الجراح التي سببها البشر".
أجاب: "أحضرتُ الشفاء. علّمتني النساء هذا الفن. إنهنّ يعرفن كيف يشفين الأولاد المرضى. هل تحرقك جراحك؟ إن الشفاء متوفر. استمع إلى نصيحة جيدة ولا تغتظْ".
أجبت: "ماذا تريد؟ هل تغريني؟ هل تهزأ بي؟"
قاطعني قائلاً: "ما الذي تفكر به؟ لقد أحضرت لك نعمة الفردوس، أحضرت النار الشافية وحبّ النساء"[952].
سألته: "هل تفكّر بالنزول إلى مستنقع الضفادع؟[953] هل تفكّر بالتلاشي في الكثرة والتبعثر وتقطيع الأوصال؟"

[950] في الكتاب الأسود 6، يقول يونغ هذا الكلام (الصفحة 53).
[951] 21 شباط - فبراير 1916. يوجد في الكتاب الأسود بدلاً من ذلك :"أنا: رجل تركي؟ من أين رحلتك؟ هل أنت مؤمن بالدين الإسلامي؟ ماذا تقول عن محمد؟ الزائر: أتحدث عن تعدد الزوجات والحوريات والفردوس. هذا ما ستسمع عنه. أنا: تكلم وانهِ هذا العذاب" (الصفحة 54).
[952] تتضمّن الرؤية في هذا الحوار في الكتاب الأسود 6 الحوار التالي: أنا: "ماذا عن تعدد الزوجات والحوريات والفردوس؟" الزائر: "تساوي الكثير من النساء، الكثير من الكتب. إن كل امرأة هي كتاب، وكل كتاب هو امرأة. الحورية هي فكرة والفكرة هي حورية. عالم الأفكار هو الفردوس والفردوس هو عالم من الأفكار. يعلّم النبيّ محمد أن الحوريات يدخلن المؤمن إلى الفردوس. وقال التوتونيون هذا الكلام" (الصفحة 56). (القرآن الكريم - سورة الواقعة، الآيات من 12 – 39). وفي الميثولوجيا النرويجية، كانت الفالكيريات يرافقن الشجعان الذين ذُبحوا في المعركة إلى فالهالا ويهتممن بهم هناك.

لكن وبينما كنت أتكلم، تحوّل العجوز إلى فيلمون[954]. ورأيتُ أنه الساحر الذي كان يغويني. لكن فيلمون تابع قائلاً:

"أنت لم تختبر بعد تقطيع الأوصال. يجب أن تُفجَّر وتُمزَّق وتُبعثر في الرياح. إن البشر يستعدون للعشاء الأخير معك".

صرختُ: "ماذا سيبقى مني؟"

"لن يبقى شيء سوى ظلك. ستصبح نهراً ينسكب على الأراضي. إنه يسعى إلى كل وادٍ، ويتدفق نحو الأعماق".

سألته وأنا حزين للغاية: "لكن أين ستبقى فرديتي؟"

أجاب فيلمون[955]: "ستسرقها من نفسك، وستحمل المملكة اللامرئية في يديك المرتعشتين، إنها تعمق جذورها في الظلمة الرمادية وأسرار الأرض، وترسل الأغصان المغطاة بالأوراق إلى الهواء الذهبي.

"تعيش الحيوانات في الأغصان.

"يخيّم البشر في الفيء.

"ترتفع دمدمتهم من الأسفل.

"خيبة أمل طولها ألف ميل، هي عصير هذه الشجرة.

"ستبقى خضراء لوقت طويل.

"يسكن صمت في قمّتها،

"وصمت في جذورها العميقة".

[956]لقد فهمت من كلمات فيلمون أن عليّ أن أبقى مخلصاً للحبّ، لألغي التمازج الذي ينشأ من خلال الحبّ غير المعاش. لقد فهمت أن التمازج عبودية تحدث بتفان طوعي. وكما علّمني فيلمون، ينشأ التبعثر وتقطيع الأوصال، من التفاني الطوعي. إنه يلغي التمازج. لقد أزلت الروابط من خلال التفاني الطوعي. لذا كان عليّ أن أبقى مخلصاً للحبّ،

---

[953] 24 شباط - فبراير 1916.

[954] هذه الجملة غير موجودة في الكتاب الأسود 6.

[955] 28 شباط - فبراير 1916.

[956] 28 شباط - فبراير 1916.

وأن أعاني بتفانيّ الطوعي له من تقطيع الأوصال، وأحقق بهذا، الترابطَ مع الأم العظيمة، والتي هي الطبيعة النجمية، والتحرر من العبودية للبشر والأشياء. إذا كنتُ مرتبطاً بالبشر والأشياء، فلا أستطيعُ متابعة حياتي إلى وجهتها، ولا أستطيعُ الوصول إلى طبيعتي الخاصة والأعمق. ولا يمكن للموت أن يبدأ فيّ كحياة جديدة، بما أنني لا أستطيع إلا أن أخشى الموت. لذا عليّ أن أبقى مخلصاً للحبّ لأنني كيف سأتمكن من الوصول إلى تبعثر العبودية وتلاشيها من دون ذلك؟ كيف أستطيع اختبار الموت إلا من خلال البقاء مخلصاً للحبّ، وقبول الألم والمعاناة كلها طوعاً؟ طالما أنني لا أكرّس نفسي طوعاً لتقطيع الأوصال، فإن جزءاً من ذاتي يبقى سرا مع البشر والأشياء ويربطني بهم، لذلك أبقى جزءاً منهم، سواء رغبتُ أم لم أرغب، ممتزجاً معهم ومرتبطاً بهم. لا يمكن لشيء سوى الإخلاص للحبّ والتفاني الطوعي للحبّ، أن يجعل انحلال هذه الرابطة ممكناً، ويقودني ثانية إلى ذلك الجزء من ذاتي، الذي يبقى مع البشر والأشياء. بهذا فقط ينمو نور النجم، بهذا فقط أصل إلى طبيعتي النجمية، إلى ذاتي الأصدق والأعمق، هذا هو كل ما في الأمر.

من الصعب أن نبقى مخلصين للحبّ بما أنه فوق كل الخطايا. من يريد البقاء مخلصاً للحبّ عليه أن يتغلّب على الخطيئة. لا يحدث شيء بسهولة أكثر من عدم إدراك المرء أنه يرتكب خطيئة. إن التغلّب على الخطيئة من أجل البقاء مخلصين للحبّ أمر صعب، إنه صعب إلى درجة أن قدميّ تترددان في التقدم.

عندما حلّ الليل، اقترب مني فيلمون برداء بلون التراب، وهو يحمل سمكة فضية وقال: "انظر يا بني، لقد اصطدتُ هذه السمكة وأحضرتها لك كي تشعر بالراحة". وبينما كنت أنظر إليه بدهشة واستفسار، رأيتُ ظلاً يقف في العتمة عند الباب، كان يحمل رداء العَظَمة[957]. كان وجهه

[957] أي المسيح.

شاحباً، وكان الدم يسيل من أخاديد جبينه. لكن فيلمون جثا ولمس الأرض وقال للظل[958]: "سيدي وأخي، ليتقدّس اسمك. لقد قمتَ بأعظم الأعمال من أجلنا: من الحيوانات صنعت البشر، قدّمتَ حياتك من أجل البشر كي تحقق الشفاء. كانت روحك معنا خلال وقت طويل لا ينتهي. وما زال البشر ينظرون إليك ويسألونك أن تشفق عليهم، ويتوسلون طلباً لرحمة الله ومغفرة خطاياهم من خلالك. أنت لا تسأم من البشر. ليتقدّس صبرك الإلهي. أليس البشر جاحدين؟ أليست رغباتهم لا تشبع؟ ألا يزالون يطلبون منك الأشياء؟ إنهم يتلقّون الكثير لكنهم لا يزالون متسولين.

"انظر يا سيدي ومعلمي، إنهم لا يحبونني، لكنهم يتوقون إليك بجشع لأنهم يشتهون أيضا ممتلكات جيرانهم. إنهم لا يحبّون جارهم، لكنهم يريدون ما لديه. لو كانوا مخلصين في محبتهم، لما كانوا بهذا الجشع. لكن من يعطي، يجذب الرغبة. ألا يجب أن يتعلّموا الحبّ والإخلاص للحبّ والتفاني الطوعي؟ لكنهم يطلبون ويرغبون ويتوسلون منك ولم يتعلّموا درساً من حياتك المهيبة. لقد قلّدوها لكنهم لم يعيشوا حيواتهم الخاصة كما عشتَ حياتك. تُظهرُ حياتك المهيبة كيف أنه على كل شخص أن يتولّى مسؤولية حياته بنَفسه ويكون مخلصاً لجوهره وحبّه. ألم تغفر للزانية؟[959] ألم تجلس مع العاهرات والعشارين؟[960] ألم تخرق وصيّة يوم السبت؟[961] لقد عشت حياتك الخاصة، لكن البشر لا يفعلون هذا، بل يصلّون لك ويطالبونك بأشياء ويذكرونك إلى الأبد بأن عملك لم يُنجز. لكن عملك سيُنجز إن تمكّن الناس من عيش حيواتهم الخاصة بدون تقليد. لا يزال البشر طفوليين، وينسون الامتنان، لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا: شكراً لك يا إلهنا على الخلاص الذي أتيتنا به.

---

[958] 12 نيسان - إبريل 1916. في الكتاب الأسود 6. هذا الكلام ليس منسوباً إلى فيلمون.
[959] أنجيل يوحنا (8: 1-2).
[960] أنجيل متى (21: 31-32).
[961] أنجيل يوحنا (9: 13).

لقد أخذناه وخصصنا له مكاناً في قلوبنا، وتعلّمنا الاستمرار بعملك في ذواتنا بأنفسنا. لقد نضجنا من خلال مساعدتك، بمتابعة عمل الخلاص فينا. شكراً لك، لقد اعتنقنا عملك وفهمنا تعاليم الفداء، لقد أنجزنا في أنفسنا ما بدأتَه من أجلنا بالصراع الدموي. نحن لسنا أولاداً جاحدين يرغبون بممتلكات أهلهم. شكراً لك يا سيدنا، وسنستغّل موهبتك إلى أقصى حدّ، ولن ندفنها في الأرض ونمدّ أيدينا إلى الأبد بيأس، ونحثّك على إكمال عملك فينا. نريد أن نأخذ متاعبك ونعمل على أنفسنا بحيث يُنجز عملك، وتتمكن من وضع يديك المتعبتين في حضنك، كعامل بعد عبء يوم شاق طويل. بورك الميت الذي يرتاح من إنجاز عمله.

"أردتُ أن يخاطبك الناس بهذه الطريقة. لكنهم لا يحملون الحبّ لك، يا سيدي وأخي. إنهم يضنون عليك بثمن السلام. ويتركون عملك غير مُنجز، وهم يحتاجون دائماً شفقتك ورعايتك.

"لكن يا سيدي وأخي، أؤمنُ أنك قد أنجزتَ عملك، بما أن من منحَ حياته وحقيقته كلها وحبه كله وروحه كلها، قد أنجزَ عمله. ما يمكن لفردٍ واحد أن يفعله من أجل البشر، فعلتَه أنت وقد أُنجز وتحقق. آن الأوان كي يقوم كل شخص بعمل فدائه الخاص. أصبح الجنس البشري أكبر سناً، وبدأ شهر جديد"[962].

[963]عندما انتهى فيلمون، نظرتُ إلى أعلى ورأيت المكان الذي كان الظل يقفُ فيه فارغاً. التفتُ إلى فيلمون وقلت: "أبتاه، لقد تحدثتَ عن البشر. أنا إنسان. سامحني!"

لكن فيلمون تلاشى في الظلمة وقررتُ أن أفعل ما طُلب مني. لقد قبلتُ كل فرح وكل عذاب لطبيعتي، وبقيتُ مخلصاً لحبّي، لأعاني ما يواجهه كل شخص في طريقه. لقد وقفتُ وحيداً وكنت خائفاً.

---

[962] الإشارة هنا إلى الأشهر الأفلاطونية.

[963] الفقرات الستة التالية لا تظهر في الكتاب الأسود 6.

ذات ليلة، وعندما كان كل شيء صامتاً، سمعتُ دمدمة كأنها صادرة عن عدة أصوات، وسمعتُ بشكل أوضح قليلاً صوت فيلمون، لقد كان كما لو أنه يقدّم خطبة. وعندما أصغيتُ جيداً، سمعتُ كلماته:

وبعد ذلك[964]، عندما حبلتُ بالجسد الميت للعالم السفلي، وعندما أنجبت أفعى الرب، ذهبتُ إلى البشر ورأيت شدّة بلائهم وجنونهم. رأيتُ أنهم كانوا يذبحون بعضهم بعضاً ويبحثون عن أساس لأعمالهم. لقد فعلوا هذا لأنه لم يكن لديهم شيء أفضل يقومون به. لكن ولأنهم كانوا معتادين على عدم القيام بأي شيء لا يمكنهم فهمه، اخترعوا أسباباً أجبرتهم على القتل. قال الحكيم: توقفوا، هل جُننتم. وقال الذكي: توقفوا بحق السماء، وقوموا بجردٍ لمقدار الضرر الذي تسببتم به. لكن الأحمق ضحك لأن الشرف قد أُنزلَ عليه بين ليلة وضحاها. لكن لماذا لا يرى البشر غباءهم؟ .....لا يستطيع البشر أن يتوقفوا عن القتل، بما أنهم يخدمون بهذا أفعى الرب بغير درايتهم. أن يمنح الإنسان حياته من أجل أفعى الرب، فهذا أمر مستحقّ. لذا اشعروا بالراحة! لكن سيكون من الأفضل بكثير أن تعيشوا. لكن أفعى الرب تريد الدم البشري. إنه يغذيها ويجعلها تتألق. من يعش، يصبح الشخص الذي يخدع الله. من يعش، يخترع حياته من أجل نفسه. لكن الأفعى تريد أن تُخدع، وذلك بسبب رغبتها بالدم، كثر الحصاد الذي يغذي الأفعى من الحقل المزروع بالدم. يصبح الله قوياً من خلال جريمة القتل البشرية. وتصبح الأفعى حارة ونارية من خلال الدم. يحترق دهنها في اللهب المستعر. يصبح اللهب نور الإنسان، والشعاع الأول من الشمس المتجددة، وهو يصبح النور الظاهر الأول".

لم أستطع أن أفهم ما قاله فيلمون بعد ذلك. لقد أمضيت وقتاً طويلاً في تأمل كلماته التي قالها للموتى طبعاً، وكنتُ مرعوباً من الفظاعات التي تحدثُ من أجل ولادة الآب من جديد.

---

[964] يرد المقطعان التاليان أيضاً في "الأحلام" مُقدّمين بعبارة "شذرات من الكتاب التالي" (الصفحة 18).

[965]وبعد ذلك بقليل رأيت إيليا وسالومي في حلم. بدا إيليا قلقاً ومروّعاً. ولذلك، عندما خمد النور في الليلة التالية وصمتَ كل صوت حي، دعوتُ إيليا وسالومي كي يجيبا على أسئلتي. تقدم إيليا وقال:

"لقد أصبحتُ ضعيفاً، أنا المسكين، وذهب الكثير من طاقتي إليك يا بني. أخذتَ الكثير جداً مني. لقد ابتعدتَ عني كثيراً جداً. لقد سمعتُ أشياء غريبة وعصّية على الفهم، واضطرب سلام أعماقي".

سألتُ: "لكن ماذا سمعتَ؟ أي صوت سمعت؟"

أجاب إيليا: "سمعتُ صوت التشوش الكامل، صوتاً قلقاً مليئاً بالتحذير والغموض".

سألت: "ماذا قال، هل سمعتَ الكلمات؟"

لقد سمعتها بشكل غير واضح، كان مشوَشاً ومشوشاً. لقد تحدّثَ الصوت أولاً عن سكين تقطعُ شيئاً، أو ربما تحدث عنِ الحصاد، وربما كان صوتُ العنب الذي يُؤخَذُ إلى معصرة الخمر. ربما يطأ الشخص الذي يرتدي الرداء الأحمر معصرةَ الخمر التي يتدفق الدم منها[966]. عند ذلك، تحدّثَ الصوت عن الذهبِ الموجود في الأسفل، الذي يقتلُ كل من يلمسه. ثم ذكر النار التي ستندلع في زماننا وتحرق بشدّة. ثم كانت هناك كلمة خبيثة، أفضّل عدم نطقها".

سألته: "كلمة خبيثة؟ ماذا كانت؟"

أجاب: "كلمة عن موت الإله. ليس هناك إلا إله واحد ولا يمكن له أن يموت"[967].

ثم أجبته: "أشعر بالدهشة يا إيليا. ألا تعرف ما الذي حدث؟ ألا تعرف أن العالم قد ارتدى زيّاً جديداً؟ .....أنا أشعر بالدهشة الشديدة حقاً! كيف يمكن ألا تعرف! ألا تعرف شيئاً عن الجديد الذي حدث؟ لكنك

---

[965] 3 أيار - مايو 1916.

[966] راجع فوق الصفحة 377 - 378 .

[967] راجع فوق الصفحة 541.

تعرف المستقبل! لديك بعد نظر! أو ربما يجب ألا تعرف ما الأمر؟ هل تُنكِرُ ما حدث تماماً؟[968].

قاطعتني سالومي قائلة: "إن ما يوجد، لا يمنحنا المتعة. تأتي المتعة من الجديد فقط. ترغبُ روحك أيضاً بزوج جديد ـ هاها! ـ إنها تحبّ التغيير. أنت لستَ ممتعاً كفاية بالنسبة إليها. ولا يمكن تعليمها شيئاً بهذا الخصوص، ولهذا تظنّ أنها مجنونة. نحن نحبّ ما يأتي، وليس ما هو موجود. إن الجديد فقط يمنحنا المتعة. لا يفكر إيليا بما هو موجود، بل بما هو آتٍ وحسب. ولذلك فهو يعرف ذلك".

أجبتُ: "ماذا يعرف؟ يجب أن يقول".

قال إيليا: "لقد لفظتُ الكلمات تواً: إن الصورة التي رأيتها، كانت ذهباً لامعاً قرمزياً ناري اللون. والصوت الذي سمعتُه، كان أشبه برعد بعيد، كان مثل رياح تزمجرُ في الغابة، مثل هزّة أرضية. لم يكن صوتاً إلهيّاً بل كان زمجرة وثنية تشبه الرعد، صرخة عرفها أسلافي لكنني لم أسمعها من قبل. لقد بدت وكأنها من حقبة ما قبل التاريخ، كما لو أنها من غابة على ساحل بعيد، وقد ترددت فيها أصوات البرية كلها. وكانت مليئة بالرعب لكنها متناغمة".

أجبته على هذا: "يا عجوزي الطيب، لقد سمعت ما حدثَ فعلاً، كما اعتقدتُ أنك سمعت. كم هذا رائع! هل أخبركَ عنه؟ في النهاية، لقد أخبرتكَ أن العالم قد اكتسب وجهاً جديداً. وُضع عليه غطاء جديد. من الغرابة الشديدة أنك لا تعلم!

---

[968] كتب يونغ في "المذكرات": إن شخصيات اللاوعي جاهلة بما يحصل أيضاً، وتحتاج إلى الإنسان أو إلى التواصل مع الوعي، كي تحقق المعرفة. لكن عندما بدأت العمل مع اللاوعي، وجدتُ نفسي متورطاً مع شخصيتي سالومي وإيليا. ثم تراجعا، لكن بعد سنتين ظهرا من جديد. إن ما أصابني بالذهول التام هو أنهما لم يتغيرا إطلاقاً، كانا يتحدثان ويتصرفان كما لو أن شيئاً لم يحدث خلال هذا الوقت. وفي الواقع، حدثت أمور مذهلة للغاية في حياتي. لقد كان علي البدء من جديد، وأن أخبرهما عن كل ما كان يحدث، وأشرح لهما الأمور. وفي ذلك الوقت كنت مذهولاً جداً من هذا الموقف. لكنني فهمت لاحقاً ما حدث: في الفترة الفاصلة غاص الاثنان عميقاً في لاوعيي وفي نفسيهما ـ كما يمكنني أن أقول أيضاً ـ في اللازمنية. ولم يكونا على اتصال مع الأنا وظروف الأنا المتغيرة، لذا كانا جاهلين لما حدث في عالم الوعي" (الصفحات 338-39). يبدو أن هذا النص يشير إلى هذا الحوار.

لقد أصبح الآلهة القدماء جُدداً. مات واحدهم، نعم، لقد مات حقاً، لقد انحلّ في الكثرة، وبهذا أصبح العالم غنياً بين ليلة وضحاها. كما حدث أيضاً شيء ما لروح الفرد، التي ترغب بوصفها؟ لكن البشر أيضاً أصبحوا أُثرياء بين ليلة وضحاها. كيف أمكن ألا تعرف بهذا؟

....

"ماذا أخبرك عن الروح؟ ألم تلاحظ أنها أصبحت متعددة؟ أصبحت الأقرب، ثم أقل قرباً، وأقل قرباً، ثم بعيدة، وأبعد، والأبعد، ومع ذلك فهي واحدة كما كانت من قبل. لقد قسّمت نفسها في البداية إلى أفعى وطائر، ومن ثم إلى أب وأم، ثم إلى إيليا وسالومي ـ كيف حالك، يا رفيقي الطيب؟ هل يزعجك هذا؟ نعم، لا بدّ أنك تدرك أنك بعيد جداً عني، لذا لم أعد أعتبرك جزءاً من روحي، لأنك لو كنت تنتمي إلى روحي، لكنت ستعرف ما الذي يحدث. لذا عليّ أن أفصلك أنت وسالومي عن روحي وأضعكما مع الديمونات. إنكما مرتبطان بما هو قديم وبدئي وموجود دائماً، وبهذا لا تعرفان أي شيء عن كينونة الإنسان، بل عن الماضي والمستقبل فقط.

ومع ذلك، كان أمراً جيداً أنكما لبيتما دعوتي. وشاركتما بما هو موجود. لأنه ينبغي لما هو موجود أن يكون بالشكل الذي يمكنكما المشاركة فيه".

لكن إيليا أجاب بعبوس: "أنا لا أحّب هذه التعددية. وليس من السهل التفكير فيها".

وقالت سالومي: "إن الوحيد البسيط ممتع. ولا يحتاج المرء أن يفكّر فيه".

أجبتُ: "إيليا، ليس عليك إطلاقاً، أن تفكّر ملياً فيه. إنه ليس أمراً يجب أن تفكّر فيه، بل مشاهدته وحسب. إنه لوحة".

وقلتُ لسالومي أيضاً: "سالومي، ليس صحيحاً أن البسيط وحده الممتع، سيصبح مملاً أيضاً بمرور الوقت. إن التعددية تأسرك في الواقع".

لكن سالومي التفتت إلى إيليا وقالت: "أبي، يبدو لي أن البشر قد سبقونا. إنه على حق: إن الكثرة ممتعة أكثر. الواحد أبسط مما ينبغي، وهو على حاله دوماً"[969].

بدا إيليا حزيناً وقال: "وماذا عن الواحد في هذه الحالة؟ ألا يزال الواحد موجوداً إن وقف بجانب الكثرة؟"

أجبتُ: "هذا هو خطؤك القديم والمتأصل، أن الواحد يستبعد الكثرة. لكن هناك عدة أشياء مفردة. إن تعددية الأشياء المفردة هي آب متعددٌ، ينبثق من جسده عدة آلهة، لكن فرادة الواحد هي الآب الآخر الذي جسده عبارة عن إنسان، لكن روحه كبيرة باتساع العالم".

لكن إيليا هز رأسه وقال: "هذا جديد يا بني. هل الجديد جيد؟ إن ما كان جيد، وما كان سيكون. أليس هذا صحيحاً؟ هل حدث أي شيء جديد على الإطلاق؟ وهل كان ما تسميّه جديداً، جيداً يوماً؟ يبقى كل شيء على حاله إن منحته اسماً جديداً. ليس هناك شيء جديد، ولا يمكن أن يكون هناك شيء جديد، كيف سأتمكن حينها من النظر إلى الأمام؟ أنا أنظرُ إلى الماضي وهناك أرى المستقبل، كما أنظر في مرآة. ولا أرى جديداً يحدث، كل شيء ليس إلا تكراراً لما كان منذ الماضي السحيق[970]. ما هو كيانك؟ إنه مظهر، إنه نور مندفع، وغداً لا يعود حقيقياً. سيكون قد رحل كما لو أنه لم يكن يوماً. تعالي يا سالومي، لنذهب. يكون المرء مخطئاً في عالم البشر".

لكن سالومي نظرت إلى الوراء وهمست لي بينما كانت ترحل: "إن الكينونة والتعددية يعجبانني حتى إن لم تكونا جديدتين وغير صحيحتين إلى الأبد".

وبهذا اختفيا في الليل المظلم، وعدتُ إلى عبء وجودي. وسعيتُ إلى القيام بكل شيء بشكل صحيح، وشعرت بأن هذا شاقّ، وبدا لي أنه

---

[969] بقية هذا الحوار غير موجودة في الكتاب الأسود 6.

[970] راجع الملاحظة 731، الصفحة 416.

ضروري أن أسلك كل طريق من أجل نفسي. لكن أحلامي أصبحت صعبة ومثقلة بالقلق ولم أعرف السبب. وذات ليلة، أتت روحي إلي فجأة، كما لو أنها قلقة وقالت[971]: "استمع إليّ، إنني في عذاب مرير، وحاصرني ابن رحم الظلمة. لذا أصبحت أحلامك صعبة أيضاً، بما أنك تشعر بعذاب الأعماق وألم روحك ومعاناة الآلهة".

أجبت: "هل أستطيع المساعدة؟ أم أنه من غير الضروري أن يرفع إنسان نفسه ليصبح وسيطاً للآلهة؟ هل هذه عجرفة أم على الإنسان أن يُصبح مخلصاً للآلهة بعد أن أُنقذَ البشر من خلال وسيط إلهي؟"

أجابت روحي: "أنت تقول الحقيقة، تحتاج الآلهة إلى وسيط ومنقذ بشري. بهذا يمهّد الإنسان الطريق للعبور وللألوهية. لقد منحتكَ حلماً مخيفاً كي تديرَ وجهك للآلهة. وتركتُ عذابهم يصل إليك كي تتذكر الآلهة المعذّبة. أنت تقوم بأكثر من اللازم من أجل البشر بما أنهم سادة عالمك. لن تستطيع مساعدة الإنسان بشكل فعّال إلا من خلال الآلهة، وليس بشكل مباشر. عليك أن تخفف عذاب الآلهة الحارق".

سألتها: "أخبريني إذاً، من أين أبدأ؟ أشعر بعذابهم وبعذابي في الوقت نفسه، ومع ذلك فهو ليس لي، إنه حقيقي وغير حقيقي معاً".

أجابت روحي: "هذا جيد، هنا يجب أن يحصل الانفصال".

"لكن كيف؟ إن نباهتي تخذلني. لا بد أنكِ تعرفين كيف".

....

أجابت: "يريدون الطاعة".

قلت: "وليكن، لكنني أخشى رغبتهم بالطاعة ولذلك أقول: أريد أن أفعل ما بوسعي. ولا يمكنني أن أستعيد كل العذاب الذي اضطررت لأن أتركه للآلهة لأي سبب. ولا حتى المسيح أخذ العذاب عن أتباعه، بل قام بتكديسه. أنا أحتفظُ ببعض الشروط لنفسي. ولن تكون هناك أية طاعة غير مشروطة بعد الآن، بمَا أن الإنسان لم يعد عبداً للآلهة. ستكون

[971] 31 أيار - مايو 1916.

له كرامة أمام الآلهة. إنه طرف لا يمكن حتى للآلهة الاستمرار بدونه. ولن يكون هناك استسلام أمام الآلهة. لذا لتكن رغبتهم مسموعة. ستحقق المبادلة البقية بحيث سيكون لكل منا دوره المناسب".

أجابت روحي: "تريدك الآلهة أن تقوم بما تعرف أنك لا تودّ القيام به من أجلهم".

صرخت: "هذا ما اعتقدته، طبعاً هذا ما تريده الآلهة. لكن هل تفعل الآلهة ما أريده أيضاً؟ أريد ثمار تعبي. ماذا ستفعل الآلهة من أجلي؟ يريدون تحقيق أهدافهم، لكن ماذا عن أهدافي؟"

أثار كلامي غضب روحي وقالت: "أنت جسور ومتمرد لدرجة لا تُصدّق. فكّر بحقيقة أن الآلهة أقوياء".

أجبتها: "أنا أعلم ذلك، لكن لن تكون هناك طاعة غير مشروطة بعد الآن. متى سيستخدمون قوتهم من أجلي؟ إنهم يريدون أيضاً أن أضع قوتي في خدمتهم. ما نوع الأجر الذي سيدفعونه لي؟ أنهم معذبون؟ لقد عانى الإنسان العذاب ولم تكتفِ الآلهة، بل بقوا نهمين في ابتكارهم لأنواع عذاب جديدة. لقد سمحوا أن يصبحِ الإنسان أعمى تماماً بحيث آمن أنه ليست هناك آلهة، وأن هناك إلهاً واحداً فقط وهو أب محبّ، بحيث أن من يصارع الآلهة يُعتبر اليوم مجنوناً. لقد أعدّوا هذا هذا العار أيضاً من أجل أولئك الذي يعرفونهم من خلال جشعهم الذي لا ينتهي إلى السلطة، لأن قيادة الأعمى ليست عملاً سهلاً. إنهم مستعدّون أن يفسدوا حتى عبيدهم".

صرخت روحي مذهولة: "أنت لا تريد أن تطيع الآلهة؟"

أجبتها: "أنا أؤمن أن هذا قد حدث بشكل مبالغ فيه بالفعل. لذلك أصبح الآلهة نهمين، لأنهم تلقّوا من القرابين أكثر مما يجب: يتدفق الدم من مذابح البشرية العمياء. لكن الموت يعطي القناعة وليس الوفرة. عسى أن يتعلموا الموت من البشر. من يفعل شيئاً من أجلي؟ هذا هو السؤال الذي ينبغي أن أطرحه. لا يمكنني بأية حال أن أفعل ما على الآلهة فعله. اسألي الآلهة عن رأيهم باقتراحي".

ثم قسمت روحي نفسها. القسم الأول كطائر ارتفع للأعلى إلى الآلهة العلويين، والثاني كثعبان زحف للأسفل إلى الآلهة السفليين. وبعد ذلك بقليل، عادت وقالت وهي مضطربة: "الآلهة غاضبون لأنك لا تريد أن تكون مطيعاً".

أجبتها: "هذا لا يزعجني كثيراً، لقد بذلت كل ما بوسعي كي أسترضي الآلهة. عسى أن يقوموا بحصتهم الآن. أخبريهم أنني أستطيع الانتظار. ولن أسمح لأحد أن يملي عليّ ما يجب فعله. يمكن للآلهة أن يقدموا خدمة بالمقابل. يمكنك الذهاب. سأستدعيك غداً كي تخبريني بقرار الآلهة".

وعندما غادرت روحي، رأيتُ أنها كانت مصدومة وقلقة لأنها تنتمي إلى عرق الآلهة والديمونات، وكانت تسعى دوماً إلى هدايتي إلى نوعهم، بينما كانت إنسانيتي تريد إقناعي بأنني أنتمي إلى الجماعة وأن عليّ خدمتها. وعندما كنت نائماً، عادت روحي ثانية في الحلم، ورسمت لي بمكر شيطاناً ذا قرون، لترعبني وتجعلني أخاف من نفسي. لكنني استدعيت روحي في الليلة التالية وقلت لها: "لقد عرفت حيلتك وكانت سدى. أنت لا تخيفينني. تكلّمي الآن وانقلي رسالتك!"

أجابت: "استسلم الآلهة. لقد حطمتَ إكراه القانون ولهذا رَسَمتكَ كشيطان، بما أنه الوحيد .... الذي لا يخضعُ لأي إكراه. إنه المتمرّد على القانون الأزلي الذي أصبحت له استثناءات أيضاً بسبب فعلته. لذا، فإن الإنسان ليس مضطراً لهذا. إن الشيطان مفيد في هذا المجال. لكن يجب ألا يحدث ذلك بدون استشارة الآلهة. إن هذا الالتفاف ضروري، وإلا لوقعتُ ضحيةً لقانونهم على الرغم من وجود الشيطان".

وهنا اقتربتْ الروح من أذني وهمستْ: "يسرّ الآلهة أن يتغاضوا بين الحين والآخر، بما أنهم يعرفون جيداً أن عدم وجود استثناء للقانون، يضرّ بالحياة. لذلك هم يتساهلون مع الشيطان".

ثم رفعت صوتها وصرخت عالياً: "لقد رحمكَ الآلهة وقبلوا تضحيتك!"

وهكذا ساعدني الشيطان في تنظيف نفسي من الاختلاط في العبودية، وثقبَ قلبي ألم أحادية الجانب، وأحرقني جرحُ التمزّق.

[972]كان الوقت ظهراً في يوم صيفي حار، وكنت أتنزّه في حديقتي عندما وصلتُ إلى ظلّ الأشجار العالية والتقيت بفيلمون يتنزه على العشب العطر. لكن عندما حاولتُ الاقتراب منه، جاء ظلّ أزرق[973] من الجهة الأخرى، وعندما رآه فيلمون، قال: "أجد أنك في الحديقة أيها الحبيب. لقد منحتْ خطايا العالم ملامحك جمالاً.

"وقد قوّمت معاناة العالم قامتك.

"أنت ملك بحق.

"اللون القرمزي عليك هو دم.

"قاقومك[974] هو ثلج من برودة القطبين.

"تاجك هو جسد الشمس السماوي الذي تحمله على رأسك.

"أهلاً بك إلى الحديقة يا معلمي ومحبوبي وأخي!"

أجب الظل: "يا سمعان المجوسي، أو أياً كان اسمك، أنت في حديقتي أم أنا في حديقتك؟[975]

قال فيلمون: "أنت يا سيدي في حديقتي. هيلينا، أو أياً كان الاسم الذي تطلقه عليها، وأنا، خادمان لديك. يمكنك أن تجد مسكناً معنا. لقد أصبح سمعان وهيلينا فيلمون وبوسيس[976] ونحن مضيفو الآلهة. لقد قدّمنا

---

[972] 1 حزيران - يونيو 1916.

[973] في الكتاب الأسود 6، الظل معرف بأنه المسيح (الصفحة 85).

[974] القاقوم حيوان على هيئة ابن عرس لونه أحمر في الصيف وأبيض في الشتاء – المترجمان.

[975] كان سمعان المجوسي في (القرن الأول) ساحراً. وفي أعمال الرسل (8: 9-24) وبعد أن أصبح مسيحياً، رغب بشراء قوة تحويل الروح القدس من بطرس وبولس (اعتبر يونغ هذه الرواية كاريكتوراً). توجد روايات إضافية عنه في أعمال بطرس المنحولة، وفي كتابات آباء الكنيسة. كان يُعتبر أحد مؤسسي الغنوصية، وفي القرن الثاني نشأت طائفة سمعانية. يقال إنه كان يسافر مع امرأة كان قد وجدها في ماخور في تاير، وكانت متقمصة لروح هيلين ملكة طروادة. لقد استشهد يونغ بهذا كمثال على شخصية القرينة ("الروح والأرض" 1927، الأعمال الكاملة 10، 75).

[976] (في حكاية أوفيد التي لها علاقة بالميثولوجيا الإغريقية والرومانية، فإن بوسيس وفيلمون كانا زوجين عجوزين في منطقة تيانا التي يضعها أوفيد في فريجيا، وهما الوحيدان في بلدتهما اللذان يرحبان بالإلهين المتخفيين زيوس وهرميس (وفي الأسطورة الرومانية جوبتير وميركوري أو عطارد - المترجمان)

الضيافة لدودتك المريعة. وبما أنك أتيت، فسوف نستقبلك. إن ما يحيط بك هي حديقتنا"[977].

أجاب الظل: "أليست هذه الحديقة لي؟ أليس عالم السماوات والأرواح خاصتي؟"

قال فيلمون: "أنت أيها السيد، هنا في عالم البشر. لقد تغيّر البشر. لم يعودوا عبيداً ولم يعودوا المُحتالين على الآلهة، ولم يعودوا يحزنون باسمك، لكنهم يقدّمون الضيافة للآلهة. لقد جاء ذكر الدودة المريعة[978] قبلك، وقد تعرّفتَ عليه على أنه شقيقك عندما تكون بطبيعة سماوية، وبأنه أبوك عندما تكون بطبيعة إنسانية[979]. لقد صرفته عندما منحك نصيحة ذكية في الصحراء. لقد قبلت بنصيحته لكنك صرفته: ووجد مكاناً له معنا. لكن حيث يكون، ستكون أنت أيضاً[980]. عندما كنتُ سمعان، سعيت إلى الهرب منه من خلال السحر وبهذا هربتُ منك. وقد قدّمت الآن لذكر الدودة مكاناً في حديقتي، فأتيتَ إليّ".

أجاب الظل: "هل وقعتُ في سلطان حيلتك؟ هل أمسكتَ بي سرّاً؟ ألم يكن الكذب والخداع من صفاتك دوماً؟"

لكن فيلمون أجاب: "عليك أن تعلم يا سيدي ومحبوبي، أن طبيعتك هي طبيعة أفعى أيضاً[981]. ألم تتم تنشئتك على شجرة مثل الأفعى؟ هل وضعت جسدك جانباً، كما تضع الأفعى جلدها؟ ألم تمارس فنون الشفاء

---

[977] علّق يونغ في "المذكرات": في حلم كهذا، غالباً ما يصادف الهائم عجوزاً ترافقه فتاة شابة، وتوجد أمثلة عن ثنائيات كهذه في عدة قصص ميثولوجية. لذا، وحسب التقليد الغنوصي، كان سمعان المجوسي يسافر مع فتاة شابة أخذها من ماخور. كان اسمها هيلين، وكانت تُعتبر تقمصاً لهيلين الطروادية. كلينغسور وكاندري، لاو تسو والفتاة الراقصة، كلها ثنائيات تنتمي إلى هذه الفئة" (الصفحة 206).

[978] أي الشيطان.

[979] في الكتاب الأسود، هذه الجملة كالتالي: "أتى أخوك قبلك أيها السيد، ذَكَرُ الدودة المريع الذي رفضتَه عندما أعطاك نصيحة ذكية في الصحراء بصوت مغوٍ" (الصفحة 86).

[980] يتابع في الكتاب الأسود 6 "بما أنه أخوك الخالد" (الصفحة 86).

[981] علق يونغ على الأفعى ككناية عن المسيح في أيون (1952، الأعمال الكاملة 9، 2، 369، 385، 390).

مثل الأفعى؟ ألم تذهبْ إلى الجحيم قبل ارتقائك؟ وألم ترَ هناك أخاك الذي استُبعِد إلى الهاوية؟[982]"

ثم قال الظل: "أنت تقول الحقيقة. أنت لا تكذب. وعلى الرغم من ذلك، أتعرف ماذا أحضرت لك؟"

أجاب فيلمون: "لا، لا أعرف، أعرف أمراً واحداً فقط، من يستقبل ذَكَرَ الدودة، يستقبل أخاه أيضاً. ما الذي أحضرته لي، أيها الضيف الجميل؟ لقد كانت هدايا ذَكَرَ الدودة هي النحيب والقباحة. ماذا ستعطينا؟

أجاب الظل: "أنا أعطيكم جمال المعاناة. هذا ما يحتاج إليه أي شخص يستضيف ذكر الدودة".

[982] راجع الصفحة 173

الخاتمة[983]
1959

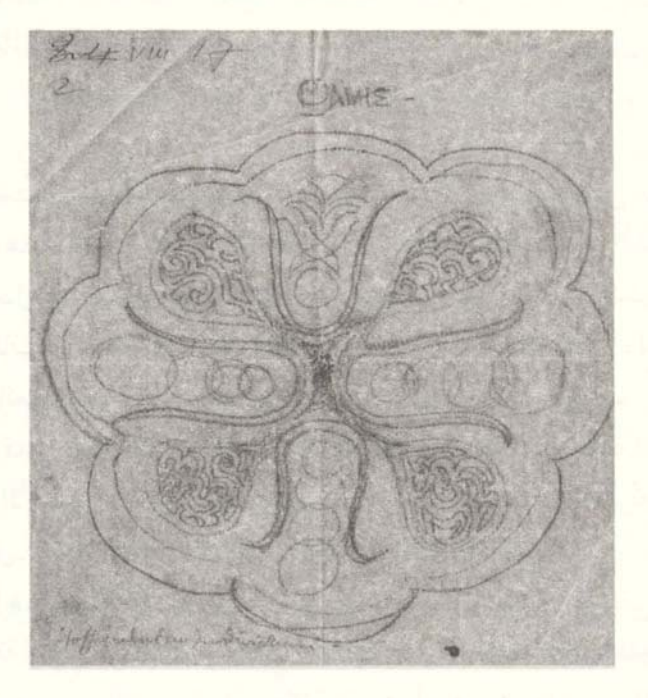
لقد عملتُ في هذا الكتاب طوال ست عشرة سنة. وقد أبعدتني معرفتي بالخيمياء عام 1930 عنه. لقد وصلت إلى بداية النهاية عـام 1928، وعندما أرسل لي فيلهلم نص "الزهرة الذهبية" وهـو بحـث في الخيميـاء. وجدت هناك أن محتويات هذا الكتاب قد طريقهـا إلى الواقـع، ولم أعـد أسـتطيع العمـل بـه. بالنسـبة إلى مراقـب سـطحي، سـيبدو هـذا أشـبه بالجنون. كان سيتحول إلى جنون لو لمٍ أتمكن من استيعاب القوة الطاغية للتجارب الأصلية. لقد استطعت أخيراً بمساعدة الخيمياء، أن أرتّبها إلى كلٍ متكامل. لطالما عرفت أن هذه التجارب تحتـوي علـى شـيء ثمـين، ولهذا لم أجد طريقة أفضل من كتابتها في كتـاب "ثمـين"، وأعـني أنـه باهظ الكلفة، وأن أرسم الصور التي انبثقت مـن خـلال عـيش التجـارب كلها من جديد، وبأفضل طريقة ممكنة. كنت أعرف كم كان هذا المسـعى غير واف، لكن على الرغم من العمل الكثير، والتشـتت الكـبير للـذهن، بقيت مخلصاً له حتى وإن لم..................

---

[983] تظهر هذه الخاتمة في الصفحة 190 من المجلّد المكتوب بخط اليد من الكتاب الأحمر. انتهت المخطوطة بجملة غير منتهية في الصفحة 189. وتظهر هذه الخاتمة في الصفحة التالية، بخط يونغ العادي. وانتهت هذه أيضاً بجملة غير منتهية.

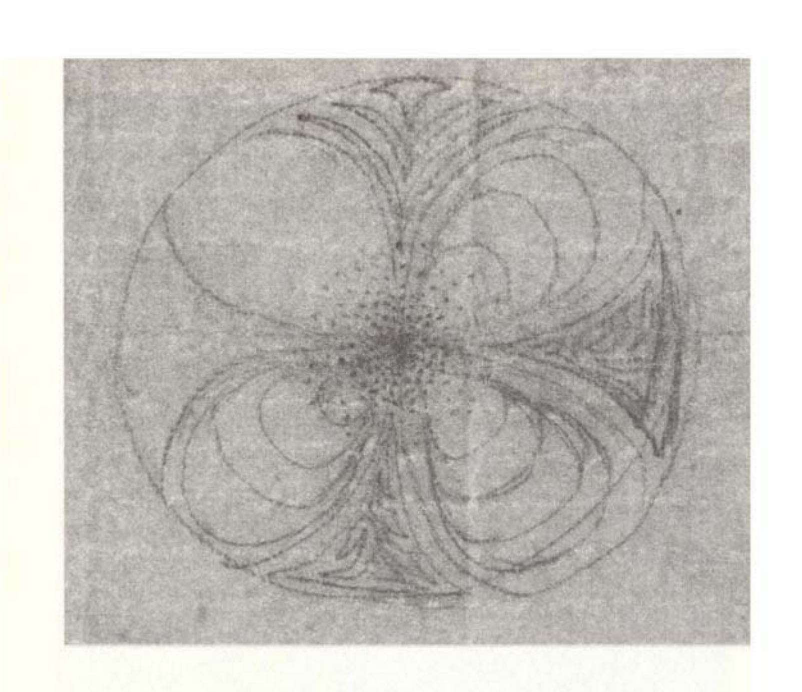
الملحق الأول:

المندالات

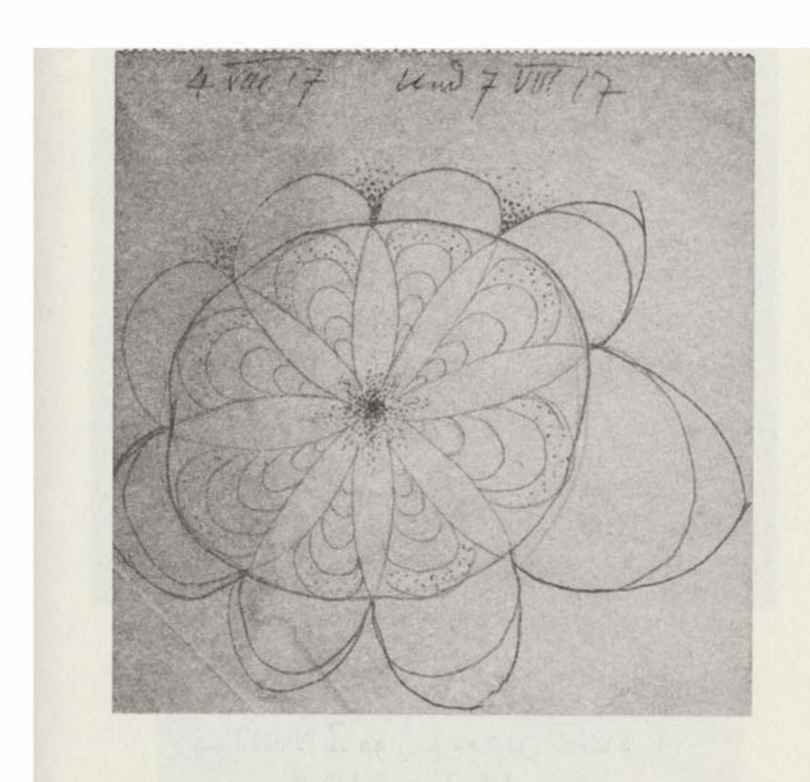


رسم الماندالا 1 يبدو أنه الأول في السلسلة، مؤرخ بتاريخ 2 آب - أغسطس 1917.

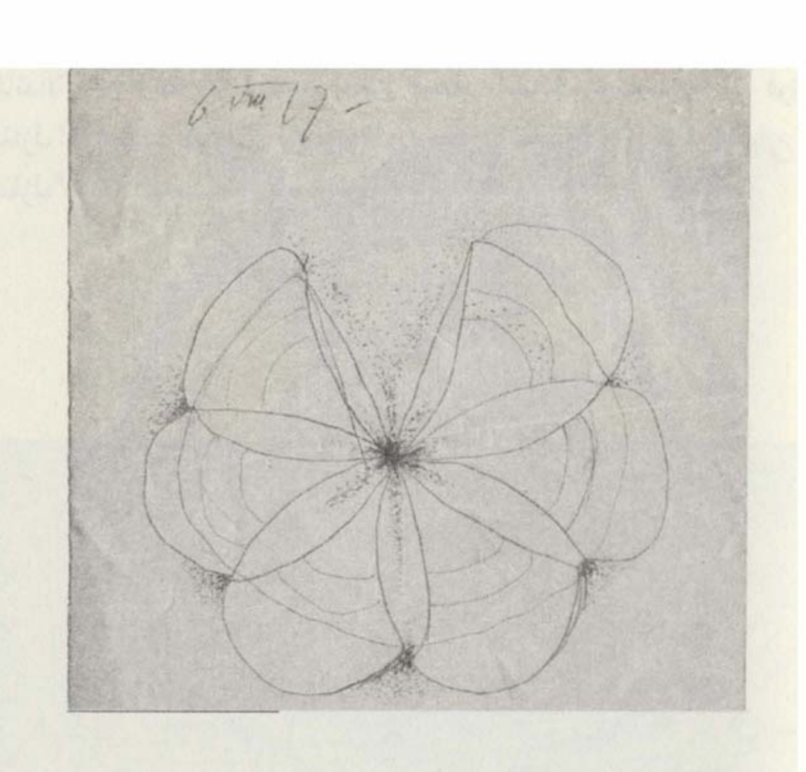
إنها أساس للصورة 80. إن الكتابة في الأعلى هي "فينز"، والكتابة في الأسفل هي: "Stoffwechsel in Individuum" (الاستقلاب لدى الفرد). (19.4 سم× 14.3 سم).



رسم الماندالا 2 هو رسم معكوس للماندالا 1.
(19.4 سم× 14.3 سم).

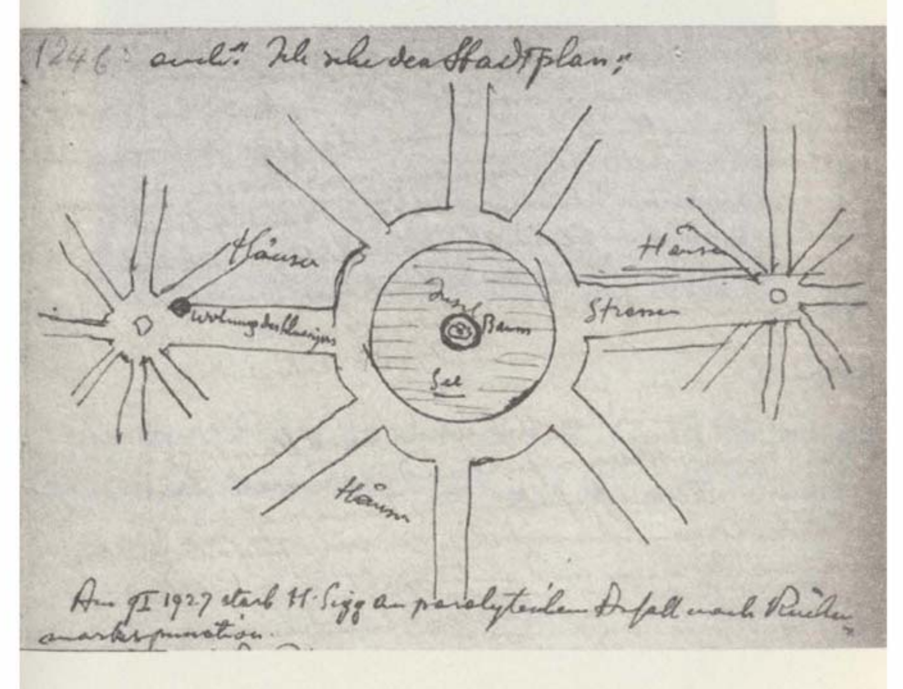


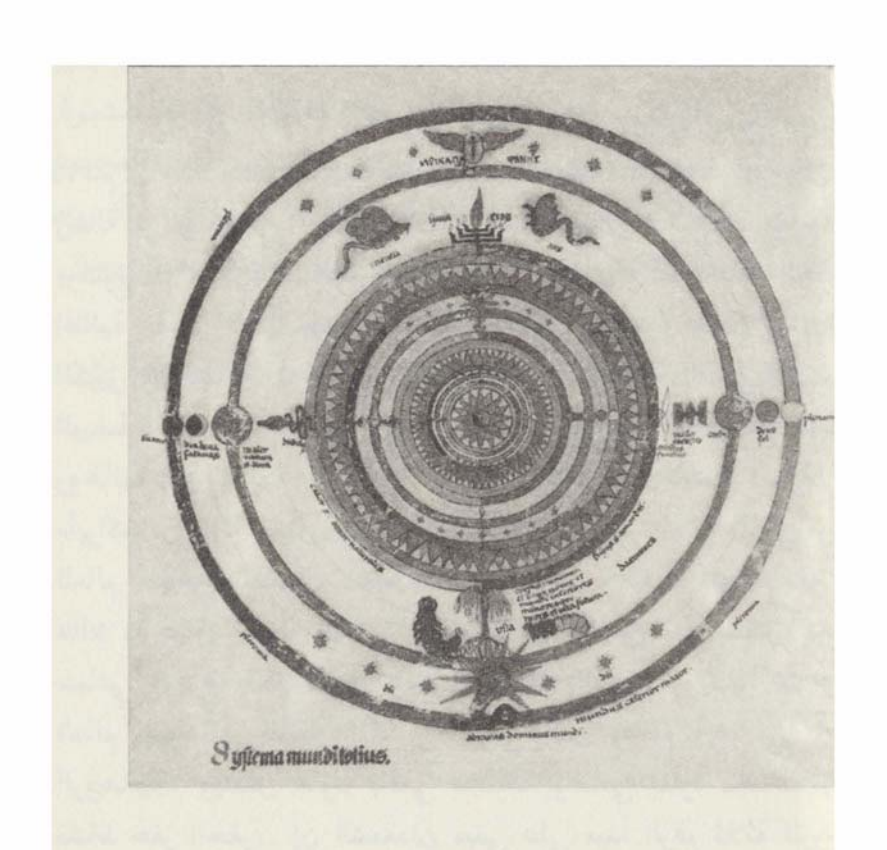
رسم الماندالا 3 مؤرخ بتاريخ 4 آب – أغسطس 1917، و8 آب – أغسطس 1917، وهو أساس الصورة 82 (14.9 سم× 12.4 سم).



رسم الماندالا 4 مؤرخ بتاريخ 6 آب – أغسطس 1917. عن هذه
الرسوم، **راجع المقدمة، الصفحة 43 ف)** (20.3 سم×14.9 سم).

مخطط البلدة من الكتاب الأسود 7، الصفحة 124 ب، ويصف مشهد حلم "ليفربول". هذا الرسم هو أساس الصورة 159، التي تربط الحلم بالماندالا. إن النص في الصورة، من اليسار "مسكن السويسريين"، فوق "منازل"، تحت "منازل"، "جزيرة" (تحت) "بحيرة" "أشجار" "شوارع" "منازل" (13.3 سم×19.1 سم).





Systema Munditotius (النظام العالمي) (30 سم×34 سم).

في عام 1955، نُشرت لوحة النظام العالمي ليونغ دون ذكر الاسم في عدد خاص من صحيفة (Du) مخصص لمؤتمرات إيرانوس. وفي رسالة لوالتر كورتي، بتاريخ 11 شباط - فبراير 1955، صرّح يونغ بوضوح أنه لم يرغب بظهور اسمه معها (جي أي). لقد أضاف التعليقات التالية عليها: "إنها توضّح تناقضات الكون المجهري ضمن عالم الكون الكبير وتناقضاته. يوجد في الأعلى تماماً، شخصية الصبي الصغير في البيضة المجنحة، ويسمى إيركابيوس أو فينز وهو ذكرى عن شخصية روحانية من الآلهة الأورفية. ونقيضه القاتم في الأعماق معرف هنا بأبراكساس. إنه يمثل (dominus mundi) سيد العالم المادي وخالق للعالم بطبيعة متناقضة. نستطيع أن نرى شجرة الحياة تتبرعم منه باسم vita (الحياة) بينما نظيرتها العلوية، هي شجرة نور بشكل شمعدان سباعي الأفرع باسم ignis (النار) وEros (الحب). ويشير ضوءها إلى العالم الروحاني للطفل المقدّس. ينتمي الفن والعلم أيضاً إلى المملكة الروحانية، ويتمثل الأول بأفعى مجنحة والثاني بفأرة مجنحة (لأنها نشاط حفر الحفر). إن الشمعدان مبني على مبدأ الرقم ثلاثة الروحاني (ثلاثة ألسَنة لهب مضاعفة مع لسان لهب كبير في الوسط)، بينما يُعرف العالم السفلي لأبراكساس برقم 5، رقم الإنسان الطبيعي (الأشعة الخماسيّة المضاعفة لنجمه). إن الحيوانات التي ترافقة من العالم الطبيعي هي وحش شيطاني ويرقة. إنهما رمز الموت والولادة الجديدة. هناك انقسام إضافي أفقي في الماندالا. إلى اليسار نرى دائرة تشير إلى الجسد أو الدم، ومنها تخرج الأفعى التي تلفّ نفسها حول الفالوس (القضيب)،

وتمثّل بذلك، المبدأ التوالدي. إن الأفعى قاتمة وفاتحة، وتشير إلى المملكة القاتمة للأرض والقمر والفجوة (التي تسمى ساتاناس). تقع مملكة النور في الامتلاء الغني إلى اليمين، حيث تتخذ حمامة الروح القدس جناحاً من الدائرة الفاتحة التي تعبّر عن (frigus sive amor dei (البرد، او حب الله). إن الحكمة (Sophia) تنسكب من إبريق ثنائي إلى اليسار واليمين ـ هذه الدائرة المؤنثة من السماء ـ الدائرة الكبيرة فيها خطوط منكسرة أو أشعة تمثّل شمساً داخلية، وضمن هذه الدائرة، يتكرر الكون المجهري، لكن مع عكس المنطقتين العلوية والسفلية كما لو أنهما في مرآة. يجب اعتبار أن هذا التكرار غير منته، ويصبح أصغر وأصغر حتى يصل إلى اللب الأعمق في الداخل، ألا وهو الكون المجهري الحقيقي".

الملحق الثاني
التعليقات

الصفحات 86-89 [984]

العمر

الذكر

إينانتيودروميا لأسلوب الحياة

من الصعب إجبار هذه الصورة على كشف معناها. لكنها مجازية إلى درجة أنه يجب أن تتكلم. إنها تختلف عن التجارب السابقة بأنه تمت مشاهدتها أكثر مما تم اختبارها. لذلك فإن كل الصور التي وضعتها تحت عنوان "المسرحية السرّية" هي أكثر مجازية من التجارب الحقيقية. بالتأكيد ليس من المقصود بها أن تكون مجازات، ولم يتم ابتداعها عمداً لتصف تجربة معينة، لا بشكل مخبأ ولا حتى خيالي. بل ظهرت كرؤى. ولم أدرك أنها لا يمكن أن تقارن بأية طريقة بالتجارب الموصوفة في الفصول الأخرى، إلى أن أعدت العمل عليها لاحقاً. إن هذه الصور هي وصف للأفكار اللاواعية المتجسدة. وهذا يأتي من أسلوبها التصويري. لقد كانت أيضاً بحاجة لتأمل وتفسير أكثر من التجارب الأخرى التي لم

[984] تشير أرقام الصفحات هنا للنسخة المصححة.

أُعطها حقها بالفكر، لأنها كانت تجارب بكل بساطة. إن صور "المسرحية السرية"، من جهة أخرى، تجسّد المبادئ التي يمكن أن نصل إليها بالتفكير والفهم الفكري، وبهذا، يستدعي أسلوبها المجازي محاولة للشرح.

تتم الأحداث في عمق أرضي مظلم، وهو تمثيل مجازي للأعماق الداخلية التي تقع تحت امتداد مساحة الوعي المشرقة، أو المجال النفسي للبصر. يتوافق الغوص في عمق كهذا، مع تحويل النظرة العقلية من الأشياء الخارجية والتركيز على الأعماق الداخلية المظلمة. والتحديق في الظلمة إلى حدّ معين ينشّط الخلفية التي كانت مظلمة سابقاً. وبما أن التحديق في العتمة يحدث دون ترقّب واعٍ، فإن الخلفية النفسية الجامدة، تحظى بفرصة لتسمح بظهور محتوياتها، من دون إزعاج الافتراضات الواعية.

لقد أشارت التجارب السابقة إلى أن حركات نفسية قوية كانت حاضرة، ولم يستطع الوعي استيعابها. هناك شخصيتان ـ الحكيم العجوز والعذراء الشابة ـ يتقدمان إلى حقل الرؤية، بشكل غير متوقع بالنسبة للوعي، لكن بشكل يميز الروح الميثولوجية التي يستقر عليها الوعي. إن هذه التركيبة هي صورة تحدث إلى الأبد في الروح الإنسانية. يمثّل العجوز مبدأ روحانياً يمكن تسميته لوغوس، وتمثل العذراء مبدأ غير روحاني من الشعور يمكن تسميته إيروس. ولدينا عنصر في سلالة لوغوس، وهو الفكر أو (نوس)، الذي تخلصّ من الشعور الداخلي والشعور المُسبق والإحساس. وبشكل مناقض، يحتوي اللوغوس على هذا التمازجِ مع أنه ليس نِتاجاً لهذا المزيج، وإلا فسوف يكون نشاطاً نفسياً وحيوانياً متدنياً، لكنه يسود على المزيج بحيث تصبح النشاطات الأساسية الأربعة للروح خاضعة لمبدئه. إنه مبدأ مستقلّ الشكل ويعني الفهم والبصيرة والتشريع والحكمة. لذا، فإن شخصية النبي العجوز هي مثال مناسب لهذا المبدأ، بما أن الروح النبوئية توحّد كل هذه الخصائص في داخلها. وعلى النقيض من هذا، فإن الإيروس

هو مبدأ يحتوي على تمازج النشاطات الأساسية للروح كلها، كما أنه يسود عليها على الرغم من أن هدفه مختلف تماماً. إنه لا يعطي الشكل بل ينجزه، إنه الخمرة التي ستُسكب في الوعاء، إنه ليس مسار الجدول أو اتجاهه بل هو الماء الذي يتدفّق فيه. إن إيروس هو الرغبة والتوق والوفرة والمتعة والمعاناة. وبينما يكون اللوغوس هو النظام والإلحاح، فإن إيروس هو التحلّل والحركة. إنهما قوتان نفسيتان أساسيتان تشكّلان زوجاً من التناقضات، كل منهما يتطلّب الآخر.

يعبّر النبي العجوز عن المثابرة، بينما تعبّر العذراء الشابة عن الحركة. يتم التعبير عن جوهرهما اللاشخصي بحقيقة أنهما شخصيتان تنتميان إلى التاريخ الإنساني العام، إنهما لا تنتميان إلى شخص، بل كانتا محتوىً روحانياً لشعوب العالم منذ الماضي السحيق. إنهما موجودتان لدى كل شخص، ولذلك فإنهما توجدان بشكل متكرر في أعمال المفكرين والشعراء.

لدى هاتين الصورتين الأوليتين قوة سريّة تعمل على العقل البشري كما تعمل على روحه. وإينما ظهرتا، فهما تحركان شيئاً مرتبطاً بالغامض وبما زال منذ وقت طويل، والمُثقّل بالهواجس. إنهما صوتان لوتر يتردد اهتزازه في صدر كل إنسان، كما تسكن هذه الصور الأولية في كل شخص لأنها ملكية للجنس البشري كله[985]. إن هذه القوة السريّة أشبه بتعويذة أو سحر، وهي تسبب الارتقاء كما تسبب الإغواء. إن من خصائص الصور الأولية أنها تستولي على الإنسان حيث يكون إنسانياً للغاية، وهي قوة تطبق عليه كما لو أن حشداً هائجاً يدفعه. ويحدث هذا حتى إن ثار الفهم والشعور الفردي ضدها. ما هي القوة في الفرد ضد صوت جميع الناس؟ إن القوة بأنه يتم افتتانه وامتلاكه واستهلاكه. لا شيء يوضح هذا التأثير أكثر من الأفعى. إنها تشير إلى كل ما هو خطر وسيئ، وكل ما هو

[985] استخدم يونغ مجازاً استخدمه جيكوب بركهارت لوصف الصور الأولية لفاوست وأوديب، وذلك في كتاب "تحولات الليبدو ورموزه) (1912، الأعمال الكاملة ب، 56 ن).

ليلي وغامض، والذي يلتصق باللوغوس وبالإيروس على حد سواء، طالما أنهما يستطيعان العمل كمبدأين مظلمين وغير مُدرَكين للروح اللاواعية.

يمثل المنزل مسكناً ثابتاً، يشير على إقامة اللوغوس والإيروس الدائمة فينا.

تظهر سالومي على أنها ابنة إيليا، وبهذا تعبّر عن نظام الخلافة. النبي إيليا هو من أنتجها وهي تنبثق عنه. إن حقيقة ارتباطها به كابنة له، تشير إلى خضوع الإيروس للوغوس. وعلى الرغم من أن هذه العلاقة متكررة جداً كما يظهر من ثبات هذه الصورة الأوليّة، لكنها حالة خاصة ليس فيها شرعية عامة. لأنه لو كان هذان المبدآن متعاكسين، لما أمكن أن ينشأ أحدهما من الآخر ويعتمد عليه. ومن هنا فإن سالومي ليست تجسيداً صحيحاً (كاملاً) للإيروس بل هي تشكيلة من النوع ذاته. (تم تأكيد هذا الافتراض لاحقاً) من حقيقة أنها عمياء. لا يكون الإيروس أعمي، بما أنه ينظّم النشاطات الأساسية للروح كلها، كما يفعل اللوغوس أيضاً. يشير العمى إلى عدم كمالها وإلى غياب إحدى الخصائص الأساسية. وهي تعتمد على والدها بسبب هذا العيب لديها.

تشير الجدران اللامعة غير المميزة للقاعة إلى شيء غير مُدرَك، ربما كان شيئاً قيّماً يوقظ الفضول ويلفت الانتباه. بهذه الطريقة، يُحاك العامل الإبداعي بعمق أكبر في الصورة، بحيث يصبح التحريك الأكبر للخلفية المظلمة ممكناً. إن هذا الانتباه المعزز يجعل صورة شيء ما تظهر، ويعبّر عن التركيز من جميع النواحي، وهي صورة البلورة الكريستالية التي كانت تُستخدم لإنتاج الرؤى منذ الماضي السحيق. إن هاتين الشخصيتين اللتين تكونان غير مفهومتين للناظر في البداية، تحفزان عمليات مظلمة في روحه القابعة في مكان أعمق إلى درجة معينة، (كما في رؤية الدم)، والتي يحتاج فهمهما إلى مساعدة مثل البلورة. لكن كما قلنا، فإن هذا لا يعبّر إلا عن زيادة في قوة تركيز الانتباه الإبداعي.

إن شخصية مثل شخصية النبي الواضحة المكتملة بحد ذاتها، تثير فضولاً أقل من الشخصية غير المتوقعة لسالومي العمياء، ولهذا، ربما

يتوقع المرء أن العملية التشكيلية ستتعامل مع مشكلة الإيروس أولاً. من هنا فإن صورة لحواء تظهر أولاً، مع صورتي الشجرة والأفعى. ويشير هذا إلى الإغواء الذي تحتويه شخصية سالومي أصلاً. يأتي الإغواء بحركة أشد باتجاه جانب الإيروس. وهذا بدوره يسبق العديد من الاحتمالات التي تحتوي المغامرة فيها، والتي تناسبها صورة أوديسوس الهائم. تحفّز هذه الصورة حبّ المغامرة وتستدعيه، كما لو أن باباً انفتح على فرصة جديدة لتحرير النظرة من القوقعة المظلمة، والأعماق التي سكنت فيها بسرعة. ومن هنا فإن الرؤية تنفتح على حديقة مشمسة، تمثل أشجارها المزهرة الحمراء تطوّراً في الشعور الإيروتيكي، والتي تعني آبارها منبعاً مستمراً. إن الماء البارد من البئر الذي لا يُسكِر، يشير إلى اللوغوس. (لذلك تتحدث سالومي لاحقاً أيضاً عن "الآبار" العميقة للنبي). ويوحي هذا بأن تطوّر الإيروس يعني أيضاً منبعاً للمعرفة. وبهذا يبدأ إيليا الكلام.

لا شكّ أن اللوغوس له اليد العليا في حالتي هذه، لأن إيليا يقول إنه كان متحداً دوماً مع ابنته. لكن اللوغوس والإيروس ليسا متحدين، بل منفصلين. وفي هذه الحالة، أصاب اللوغوس الإيروس بالعمى وأخضعه. لكن إن كان الوضع على هذا النحو، فستنشأ ضرورة لتحرير الإيروس من قبضة اللوغوس بحيث يستعيد الأول بصره. ولذلك تلجأ سالومي إليّ، لأن الإيروس في حاجة إلى المساعدة، ولأنني حظيت بإمكانية رؤية هذه الصورة من أجل هذا السبب بالذات. إن روح الرجل تميل إلى اللوغوس أكثر من الإيروس الذي يميّز جوهر المرأة أكثر. إن إخضاع الإيروس من قبل اللوغوس لا يُعطي تفسيراً لإصابة الإيروس بالعمى وحسب، بل يفسّر الحقيقة الغريبة نوعاً ما، بأن الإيروس ممثّل تحديداً بشخصية سالومي غير السارة جداً. تشير سالومي إلى خصائص سيئة. إنها لا تذكّرنا بجريمة قتل النبي المقدّس وحسب، بل أيضاً بالمتعة السفاحية لوالدها.

إن للمبدأ خاصيّة الاستقلاليةِ دوماً. لكن إن أُخذتْ منه هذه الخاصيّة، فهو يفقد أساسه ويتّخذ شكلاً سيئاً. نحن نعرف أن النشاط النفسي

والخصائص المحرومة من التطوّر عبر الكتب، تصبح منحلّة، وبهذا تصبح عادات سيئة. إن كان هناك من رذيلة علنية أو سرّية، فإنها تتخذُ نشاطاً متشكّلاً، وتسبب نشوء انشقاق للشخصية على ذاتها، وتظهر على شكل معاناة أخلاقية أو مرض حقيقي. تبقى هناك طريقة واحدة متوفرة لمن يريد أن يحرر نفسه من المعاناة: عليه أن يقبل الجزء المكبوت من روحه، وعليه أن يحب دونيته ورذائله حتى، بحيث يمكن لما هو منحّل أن يستأنف تطوره.

أينما حكم اللوغوس، يكون هناك نظام، يكون معه إصرار أكثر من اللازم. إن القصة الرمزية هنا للفردوس الخالي من الصراع، ليس فيه تطوّر مناسب هنا. وفي هذه الحالة، تنحلّ الحركة المكبوتة وتفقد قيمتها. تلك هي جريمة قتل الشخص المقدّس، وهي تحدث لأن اللوغوس، مثل هيرودوس، لا يستطيع حماية الشخص المقدس بسبب ضعفه، ولأنه لا يستطيع القيام بشيء آخر إلا أن يتمسّك بنفسه، وبالتالي يتسبب بانحلال الإيروس. ليس هناك من طريقة للخروج من حالة الإصرار غير المتطوّر إلا عصيان المبدأ الحاكم. إن قصة الفردوس تكرر نفسها، وبالتالي تلتفّ الأفعى حتى أعلى الشجرة، لأن آدم يجب أن يُقاد إلى الإغواء.

يسير كل تطوّر عبر ما هو غير متطور، لكنّه قابل للتطوّر. ويكاد في حالته غير المتطوّرة هذه أن يكون عديم النفع، بينما يمثّل التطوّر قيمة عليا لا يرقي إليها الشك. على المرء أن يتخلى عن هذه القيمة أو يتخلى عنها ظاهرياً على الأقل، ليتمكن من الاهتمام بما هو غير متطوّر، والذي ربما يمثّل أفضل وأسمى إنجاز لنا. إن قبول ما هو غير متطور أشبه بخطيئة أو بخطوة سيئة، إنه انحلال وهبوط إلى المستوى الأدنى، لكنه في الواقع، فعلٌ أعظم من البقاء في الحالة المنظّمة على حساب الجانب الآخر من كينونتنا التي تكون تحت رحمة التفسخ حينها.

الصفحات 103 ـ 119

إن مسرح الأحداث هو ذاته الذي كان في الصورة الأولى. يزيد التلميح إلى فوهة البركان الانطباعَ بوجودٍ فجوة كبيرة تصل عميقاً إلى داخل الأرض، هذا العمق ليس خامداً، بل هو مشحون بعنف بكل أنواع المادة.

بما أن الإيروس يشكّل المشكلة الأكثر خطورة في البداية، تدخل سالومي المشهد وتتلمس طريقها وهي عمياء "نحو اليسار". حتى التفاصيل التي يبدو وكأنها مهملة، تكون هامة في صور رؤيويه كهذه. إن الجانب الأيسر هو جانب الشؤم. وهذا يوحي بأن الإيروس لا يميل نحو اليمين، إلى جانب الوعي والإرادة الواعية والخيار الواعي، بل إلى جهة القلب الأقل خضوعاً لإرادتنا الواعية. إن هذه الحركة باتجاه اليسار، تتأكد بحقيقة أن الأفعى تلتف بالاتجاه نفسه. تمثل الأفعى قوة سحرية، وهي تظهر أيضاً حيث تنشأ الدوافع الحيوانية بشكل تدريجي لدينا. إنها تمنح حركة الإيروس، التأكيد الغامض الذي يبدو لنا سحرياً. إن التأثير السحريّ هو افتتانٌ لفكرنا وشعورنا عبر الدوافع الغريزية القاتمة للطبيعة الحيوانية.

إن الحركة باتجاه اليسار بشكل أعمى، تعني أنها بدون هدف وغاية. ولذلك فهي تتطلّب الإرشاد، ليس من قبل غاية واعية بل من قبل اللوغوس. يدعو إيليا سالومي لكي تعود. إن إصابتها بالعمى بلاء يحتاج العلاج. إن السبر الأعمق ولو كان بشكل جزئي، يُبطل الحكم المُسبق ضدّها. إنها تبدو بريئة، وربما يجب أن ننسب السوء فيها إلى حالة العمى لديها.

يؤكد اللوغوس سلطته عليٍ الإيروس باستدعاء سالومي لكي تعود. وتُطيع الأفعى اللوغوس أيضاً. إنها موجودة مع اللوغوس والإيروس لتأكيد قوة هذه الصورة وأهميتها. إن النتيجة الطبيعية لهذا الاتحاد السحري القوي بين اللوغوس والإيروس، هي الشعور القوي بضآلة "الأنا" وعدم أهميتها التي يتم التعبير عنها بالصبيانية.

يبدو كما لو أن الحركة باتجاه اليسار، من خلال اتباعِ الإيروس الأعمى، غير ممكنة، أو غير مسموحة فعلياً دون تدخل اللوغوس. إن اتباع حركة ما بشكل هو أعمى خطيئة كبيرة من وجهة نظر اللوغوس، وذلك لأنها أحادية الجانب وتخرق القانون الذي ينص على أن الإنسان يجب أن يسعى إلى الأبد إلى أعلى درجة من الوعي. وهنا تكمن إنسانيته. إن الأمر الآخر يتقاسمه مع الحيوانات. يقول يسوع أيضاً: "إن كنت تعرف ما الذي تفعله، فأنت مبارك، وإن لم تكن تعرف ما الذي تفعله، فأنت ملعون"[986]. ستكون الحركة باتجاه اليسار ممكنة ومسموحة فقط إن كانت هناك فكرةٌ واعيةٌ "مبصرةٌ" موجودة عنها. إن تشكيل فكرة كهذه ليس ممكناً من دون تدخل اللوغوس.

إن الخطوة الأولى باتجاه تطوير فكرة كهذه هي أن تصبح واعياً لهدف الحركة وغايتها. ومن هنا فإن إيليا يسأل عن غاية "الأنا". ويجب أن تعترف "الأنا" بعماها، أي جهلها بالغاية. إن الشيء الوحيد الذي يمكن إدراكه هو التوق أو الرغبة، بكشف النزاع الذي سببته الصورة الأولى.

يحرّك هذا الوعي إحساساً مبهماً بالسعادة لدى سالومي. وهذا مفهوم لدينا بما أن الوعي يعني البصيرة، ويعني شفاءها. وبهذا يتم اتخاذ خطوة نحو تحقيق شفاء الإيروس.

تبقى "الأنا" في البداية في وضعية متدنية، بما أن جهلها يمنعها من معاينة تطوّر أعمق لمشكلتها. إنها لا تعرف أي اتجاه ستسلك بما أنها لم تلق بنظرها إلى أعماق قوامها النفسي قط، ولم تر إلا ما تراه العين مباشَرة، ولم تدرك إلا الوعي والعالم الواعي، وهي تُنكر دوافعها الداخلية بشكل نصف واعٍ. وبمواجهة أعماقها الخاصة، لا يمكن لـ "أنا" كهذه

---

[986] هذه الجملة هي إدخال منحول لإنجيل القديس لوقا : "أيها الإنسان، إذا دعت الحاجة، فأنت تعرف ما الذي تفعله، ستكون سعيداً، وإن لم تفعل، فأنت ملعون ومنتهك للقانون" "العهد الجديد المنحول" (طباعة ج كي إيليوت، الصفحة 68). وفي عام 1952 استشهد به يونغ في "الجواب إلى العمل" (المجموعة الكاملة 2. 696).

إلا أن تشعر بالإحراج. لقد كان إيمانها بالعالم العلوي الواعي ثابتاً جداً بحيث كان النزول في أعماق الذات، أشبه بذنب وخيانة للأفكار الواعية.

لكن بما أن رغبتها بالكشف عن النزاع، كان أكبر من مقتها لدونيتها الخاصة، فقد أتمنت "الأنا" نفسها لإرشاد اللوغوس. بما أنها لم تجد شيئاً يمكنه الإجابة على السؤال المطروح، ومن الجليّ أنه من الواجب أن تفتح أعماق أكبر. ويحدث هذا بدوره بمساعدة البلورة، أي من خلال التركيز الأقصى والانتباه المترقب. إن أول صورة تظهر في البلورة هي مريم مع الطفل.

من الواضح أن هذه الصورة مرتبطة ومعاكسة لرؤية حواء في الصورة الأولى. وكما أن حواء تمثل الإغواء الجسدي والأمومة الجسدية، فإن مريم تمثل العذرية الجسدية والأمومة الروحانية. سيكون الاتجاه الأول هو حركة الإيروس نحو الجانب الجسدي، بينما تعبّر مريم عن الجانب الروحاني له. وطالما أن "الأنا" لا ترى إلا حواء، فقد كانت عمياء. لكن الاستعانة بالإدراك، تمنح منظوراً روحانياً للإيروس. وفي الحالة الأولى أصبحت "الأنا" أدويسيوس في رحلة المغامرة التي تنتهي بعودة الرجل العجوز إلى بينيلوبي، المرأة الأمومية.

في الحالة الأخيرة، تُصوّر "الأنا" على أنها بطرس، إنه الصخرة المختارة التي ستؤسس الكنيسة عليها. إن المفتاح الذي يرمز إلى سلطة الحلّ والربط، يدعم هذه الفكرة، ويقود المرء إلى صورة البابا كحاكمٍ معيّنٍ من قِبَلِ السماء على الأرض بتاجه ثلاثي الطبقات.

وبدون شك، تصبح "الأنا" متورّطة بحركةٍ نحو القوة الروحانية، وتساعدها أحادية الجانب الخاصة بهذه الحركة. تكون رؤية حواء مُضللة بالنسبة لأوديسيوس المغامر، وهي تأخذه إلى سيرس وكاليبسو[987]. لكن رؤية مريم من جهة أخرى، تُبعد الرغبة عن الجسد باتجاه الهيبة المتواضعة للروح. إن الإيروس معرّض للخطأ في الجسد، أما في الروح فهو يسمو فوق الجسد ودونية الخطأ الجسدي. وبهذا يصبح الإيروس بشكلٍ تدرجي غير محسوس، هو الروح، وهو السلطة على الجسد متخفياً على

[987] الإلهتين اللتين أقام أوديسيوس معهما علاقات- المترجم.

هيئة حبّ، وبهذا، تخلع القوة الروحانية عنها عباءة الحب، على الرغم من أنها تعتقد أنها تحبّ الروح، وبهذا تحكم عبر الجسد. وكلما كانت أعظم قوة، كانت أقلّ محبّة. وكلما قللت من محبّة الروح، أصبح أكثر قوة جسدية. وبسبب سلطتها على اللحم، يصبح حبّ الروح دافع قوة دنيوي متنكّراً بشكل روحاني.

لقد قهر المسيح العالم بأن حمّل نفسه عبء معاناته. لكن بوذا قهر متعة العالم ومعاناته بالتخلّص من الاثنين معاً. وقد دخل بهذا إلى عدم الوجود، وهي الحالة التي ليس منها عودة. إن بوذا هو قوة روحانية أسمى، وهي لا تستمدّ المتعة من السيطرة على الجسد، لأنه انتقل بالكامل إلى ما وراء المتعة والمعاناة. إن الشغف الذي لا يزال إخضاعه بحاجة إلى الكثير من الجهد في حالة المسيح، قد غادر بوذا وأحاطه بنار مُستعرة. إنه لا يتأثر ولا يمكن المساس به.

لكن إن اقتربت "الأنا" الحيّة من هذه الحالة، ربما يتركها شغفها، لكنه لا يموت. ألسنا نتطابق مع شغفنا؟ وما الذي يحدث لشغفنا عندما يفارق "الأنا"؟ إن "الأنا" واعية ولديها عينان في الأمام فقط. إنها لا ترى ما هو وراءها. لكن يتجمّع هناك الشغف الذي تغلّبت عليه من جديد. إن النار التي لا توجّهها عين العقل ولا يقلّصها العطف الإنساني، تُصبح مدمّرة مثل (كالي) المتعطّشة للدم، والتي تلتهم حياة الإنسان من الداخل، وكما تقول المانترا التي تُتلى في طقوسها القربانية: "تحية لك، يا كالي، يا إلهة الوجه البغيض الثلاثية الأعين، التي تعلّق على عنقها عقداً من جماجم البشر. عسى أن تُكرّمي بهذا الدم!" لا بدّ أن سالومي ستقنط من هذه النهاية التي ستحوّل الإيروس إلى روح، بما أنه من غير الممكن له أن يوجد من دون جسد. وبمقاومة دونية الجسد، تقاوم "الأنا" روحها المؤنثة التي تمثّل كل شيء يسعى إلى كبت الوعي ضد الروح. وبهذا تؤدي هذه الطريق إلى المقاومة أيضاً. وبهذا تعود "الأنا" من حالة النظر إلى الشخصيات المجسدة لنزاعها.

إن اللوغوس والإيروس متحدان كما لو أنهما قهرا النزاع بين الروح والجسد. ويبدو أنهما يعرفان الحل. إن الحركة نحو اليسار، التي بدأت من الإيروس في بداية الصورة، تبدأ الآن من اللوغوس. إنه يبدأ بالحركة باتجاه اليسار ليكمل بعينين مبصرتين ما بدأه بشكل أعمى. تقود هذه الحركة في البداية إلى ظلمة أعظم، وهي تبقى مُضاءة بالضوء المحمرّ بشكل ما. يشير اللون الأحمر للإيروس. وعلى الرغم من أن الإيروس لا يبثّ ضوءاً ساطعاً، فهو يوفر على الأقل فرصة لكي يتعرّف على شيء ما، ربما بمجرّد تحفيزِ موقف يمكن للإنسان فيه تمييز شيء ما، بشرط أن يساعده اللوغوس.

يتكئ إيليا على الأسد الرخامي. إن الأسد حيوانٌ ملكيٌ يمثّل السلطة. ويوحي الحجر بثبات لا يمكن هزّه، وبهذا يعبّر عن سلطة اللوغوس وصلابته. ومرة أخرى، يبدأ الإدراك أولاً على الرغم من كونه الآن في أعماق أبعد، وفي محيط متجدد. هنا تختبر "الأنا" ضآلتها أكثر، لأنها ابتعدت أكثر عن العالم الذي تعرفه، حيث تكون واعية لقيمتها ومعناها. وفي هذا المحيط الجديد، لا يوجد ما يذكّرها بمعناها. ولذلك يغمرها كل ذلك القدر من الأشياء المختلفة عنها، والتي لا يمكنها إدراكها على الإطلاق. ويسيطر إيليا على الوعي المتطوّر.

كما أظهر التحديق بالكرة البلورية، فإن الفكرة التي يجب نقلها إلى الوعي هي فكرة عن القوة الروحانية، أي إن "الأنا" قد وقعت تحت سيطرة الإغواء كي تنتحل النبوّة. لكن تتم مواجهة هذه الفكرة بكثير من الشعور بالمقاومة بحيث لا يمكنها أن تؤكد نفسها أمام الوعي. ولذلك تبقى وراء الستارة. لكن بما أن "الأنا" لا يمكنها أن تتبع الإيروس بشكل أعمى، فهي تسعى على الأقل لمبادلة القوة الروحانية بهذه الخسارة - وكما يُلاحظ بكثرة في الحياة الإنسانية! يكاد يكون أمراً حتمياً، أن تضغط خسارة عظيمة، كخسارة الإيروس هذه، على الإنسان ليبحث عن بديل على الأقل في مجال القوة. يحدث هذا بشكل بارع وغامض بحيث

لا تتمكن "الأنا" من ملاحظة الخدعة. وهذا ما يفسر كون "الأنا" كحاكمة، لا تستطيع الاستمتاع بسلطتها، بما أنها لا تملك السلطة، بل هي ممتلكة من قبل شيطان السلطة. وفي هذه الحالة سيكون من السهل على "الأنا" أن تستوعب حقيقة أن إيليا يفرض نفسه بشكل واقعي معاش، ويطالب بأن تكون هذه الشخصية قيّمة بحد ذاتها. لكن الإدراك قد استبق هذا الخداع.

يجب ألّا يُؤخذ ظهور الشخصيات الحيّة على محمل شخصي، على الرغم من أن المرء يميل إلى تحمّل مسؤوليتها. في الواقع، تنتمي هذه الشخصيات إلى شخصيتنا كما تنتمي إليها أيدينا وأقدامنا. إن مجرّد وجود اليدين أو القدمين لا يميّز الشخصية. وإذا ما كان فيها أي شيء مميز، فهو مجرّدُ ميزة فردية لها. وبهذا يكون الشيء المميز "للأنا"، هو أن العجوز والعذراء الشابّة قد سُمّيا بإيليا وسالومي، ويمكن تسميتهما بسمعان المجوسي وهيلينا. لكن أهميتهما تأتي من كونهما شخصيتين من الإنجيل. كما تم الإثبات لاحقاً، إنها إحدى غرائب التشابكات النفسية التي تنتمي إلى هذه اللحظة.

إن إدراك الفكرة المغوية للقوة الروحانية، ينقل مسألة الإيروس إلى المقدمة من جديد، وبشكل جديد مرة أخرى: يتم استبعاد الاحتمال الذي تشير إليه حواء، والاحتمال الذي تمثله مريم معاً. ويبقى الاحتمال الثالث فقط، أي علاقة البنوّة التي تمكّننا من أن نتجنّب التطرّف إلى الجسد أو إلى الروح: إن إيليا هو الأب، وسالومي هي الأخت، و"الأنا" هي الابن والأخ. يتوافق هذا الحلّ مع الفكرة المسيحية للابن الروحي. إن سالومي، بشخصية مريم ـ تشكّل الأم التي لا تزال غائبة بأسلوب يوقع في الشرك بسهولة. إن لهذا تأثيراً متوافقاً على "الأنا". يوجد هناك شيء مطهّر بشكل لا يمكن إنكاره في الحل المسيحي ـ ولأنه يبدو ممكناً بالكامل. يوجد طفل في كل منا، وحتى في العجوز، حتى أنه الشيء الوحيد الذي بقي حياً. ويمكن للمرء النكوص إلى الطفولية في أي وقت،

بسبب تجدده الذي لا ينتهي وتماسكه. إن كل شيء، وحتى الأكثر شؤماً، يمكن أن يصبح عديم الضرر من خلال التحوّل ثانية إلى الطفولية. وفي النهاية، نحن نقوم بهذا بشكل كاف في الحياة اليومية. بإمكاننا أن نروّض أي شغف من خلال إعادته إلى الطفولية، وربما ينهار لهيب الشغف في نحيب الطفوليّة في الغالب. لذلك هناك احتمالات أكبر تبدو فيها الطفولية كعلاج مرض، بما فيها التأثير البعيد لتعليمنا المسيحي الذي يثبّت فينا فكرة الطفولِية في مئات المانترات والترانيم.

وبهذا فإن ملاحظة سالومي بأن مريم هي والدتهما، يجب أن تبدو أكثر دماراً. وبما أن هذا الأمر يمنعُ الحلّ الطفوليّ من التطوّر، فهو يحفّز على الفور فكرة أخرى: إن كانت مريم هي الأم، فلا بدّ أنني المسيح". وقد كان هذا الحلّ الطفوليّ سيلغي التحفظات كلها: لن تشكل سالومي تهديداً بعد الآن، بما أنها ستكون مجرّد أخت صغرى. سيكون إيليا هو الأب الحنون الذي ستترك حكمتهُ وبعدُ نظرهِ "الأنا" تفعل ما يحلو لها بثقة طفولية.

لكن هذه أسوأ عَقَبَة تضعها الطفولية كحل: يتمنى كل طفل أن ينضج. أن يكون المرء طفلاً، يعني رغبة حارقة ونفاد صبر لبلوغ الرشدِ المستقبلي. إن عدنا إلى حالة الطفل خوفاً من مخاطر الإيروس، فسيرغب الطفل بالتطوّر باتجاه القوة الروحانية. لكن إن هربنا إلى الطفوليّة خوفاً من مخاطر الروح، فسوف نسقط في شرك انتحال قوة الإيروس.

تشكلّ حالة الطفولية الروحانية تحوّلاً لا يمكن لأي شخص أن يبقى فيه. وفي هذه الحالة، من المنطقي أن يوضّح الإيروس "للأنا" استحالة أن تكون طفلاً. قد يعتقد المرء أنه ليس من المريع جداً أن ننكص إلى حالة الطفولة. لكن الذين يعتقدون ذلك، هم فقط من يفشلون في فهم عواقب نكوص كهذا. ولا يتوقّف الأمر على خسارة الآراء المسيحية السحيقة القِدم والاحتمالات الدينية التي تضمنتها – يتحمّل الكثيرون هذه الخسارة بسهولة بالغة – بل يشير ما تم التخلي عنه إلى موقف أساسيّ

يتجاوز أثره الأفق المسيحي الذي يوفر حياةً وفكراً فردياً باتجاه مُختبر ومجرّب. حتى إن امتنع المرء عن الممارسة الدينية المسيحية لوقتٍ طويل، وتوقّف عن الأسف على خسارته، فهو يستمرّ بالتصرّف حدسياً كما لو أن الآراء الأصلية لا تزال موجودة. يفشل المرء في اعتبار أن النظرة العالمية التي تم التخلّص منها، يجب أن تُستبدل بنظرة عالمية جديدة، ويفشل المرء خاصة في أن يفهم جيداً حقيقة أن إنكار الأفق المسيحي، يسيئ إلى الأخلاقيّة المعاصرة. إن التخلّي عن الطفولة يعني أنه لم يعد هناك أي اعتماد عاطفي أو مألوف على الآراء الأخلاقية التي لا تزال شرعية. وقد نشأت الآراء التي لا تزال حتى الآن شرعية من روح النظرة العالمية المسيحية.

على الرغم من كل التفكير الحر، فإن موقفنا تجاه الإيروس مثلاً، يحافظ على نظرةٍ مسيحيةٍ قديمة. لم يعد بإمكاننا الآن أن نعيش زماننا بسلام من دون شكوك وتساؤلات، وإلا بقينا في حالة الطفولية. إن رَفَضنا وجهة النظر العقائدية وحسب، فسيبقى تحررنا مما هو راسخ تماماً مجرّد تحرر فكري، بينما تبقى مشاعرنا الأعمق على الطريق القديم. لكن معظم الناس لا يدركون كيف يجعلهم هذا الأمر مناقضين لأنفسهم. لكن الأجيال اللاحقة سوف تدركُ هذا بشكل متزايد. إن من يلاحظون هذا الأمر، سيدركون بذعر أن إنكار الطفولية المستعادة، يُبعدهم عن زمننا الحاضر ولا يعود بإمكانهم اتباع أيٍ من الطرق التقليدية. إنهم يدخلون إلى مكان لم يزره أحدٌ من قبل، وليسَ فيه طرق ولا حدود، إنهم يفتقدون الاتجاهاتَ كلها بما أنهم تخلّوا عن الاتجاهات الراسخة كلها. إن هذا الإدراك لا يحدث إلا مع قلة قليلة من الناس، بما أن الاغلبية الساحقة تقبل بأنصاف الحلول، وتبقى متماسكة أمام غباء حالتها الروحانية. لكن لا يطيب الفتور والركود للجميع. يفضّل البعض أن يتركوا أنفسهم عِرضة لليأس، على الالتزام بنظرة عالمية بعيدة تماماً عن جميع الدروب المعروفة

جيداً لسلوكهم المعتاد. يفضّلون المغامرة في أرض مظلمة فيها خطر الموت وليس فيها أية دروب، حتى إن انتهك هذا الأمر جُبنهم كله.

عندما قالت سالومي إن مريم هي أمهما، أي إن "الأنا" هي المسيح، هذا يعني بالمختصر أن "الأنا" قد تركت حالة الطفولة المسيحية وحلّت مكان المسيح. لا يمكن أن يكون هناك ما ينافي العقل أكثر من افتراض أن "الأنا" حصلت بهذا على أهميّة إضافية، بل على العكس، لقد اتخذت وضعاً دونياً بشكل حاسم. لقد كانت في السابق تتمتع بميزة كونها جزءاً من الحشد المتجمّع خلف شخصية قوية، لكنها استبدلت هذا الآن بالعزلة والحرمان، مما جعلها تصبح غريبة ووحيدة في عالمها كما كان المسيح في عالمه، بدون امتلاك سمات ذلك الإنسان العظيم المميزة. أن يكون المرء على خلاف مع العالم، فهذا يحتاج إلى العظمة، لكن "الأنا" تختبر وضاعتها التي تكاد تكون مضحكة. مما يفسّر رعبها من كلام سالومي.

من يتجاوز الأفق المسيحي، ويفعلُ هذا بشكل حاسم، يقعُ في هاوية ظاهرية وعزلة قصوى، ويفتقد أي وسيلة لإخفاء الحقيقة. يرغب المرء طبعاً بإقناع نفسه أن الأمر ليس بهذا السوء. لكنه كذلك. إن التخلي هو أسوأ ما يمكن أن يحدث لغريزة الإنسان القطيعية، ناهيك عن المهمة المنهكة التي نحمّل أنفسنا أعباءها. إن الدمار سهل، لكنّ إعادة البناء صعبة.

لهذا تنتهي الصورة بإحساس بالكآبة، لكنه يقف مقابل لهب مرتفع يحترق بصمت محاط بأفعى. وتدلّ هذه الصورة على التفاني الذي يتضاعف بإكراه سحري، تعبّر الأفعى عنه. وبهذا يوضع نظير فعّال مقابل إحساس الشكّ والخوف المقلق، كما لو أن هناك شخصاً يقول: "طبعاً "أنا"ك مليئة بالقلق والشك، لكن اللهب المستمرّ للتفاني، يشتعل فيك بقوة اكبر، ويصبح إكراه قَدَرك أكثر قوة".

الصفحات 150-127 [988]

---

[988] تشير إلى الصفحات 194-207.

إن الهواجس البعيدة للصورة الثانية أدخلت "الأنا" في فوضى الشك. وبهذا نشأت رغبة مفهومة للارتقاء فوق التشوش من أجل صفاء أكبر، كما تم التعبير عنه في صورة حافة الجبل الناتئة. يبدو أن اللوغوس يقود الطريق. ما يحدث بعد ذلك هو أن يتم التعبير عن التناقض من خلال زوج الأفاعي والفصل بين الليل والنهار. يشير ضوء النهار إلى الخير، بينما تمثّل الظلمة الشر. وهما كقوتين قاهرتين، تتخذ كلٌ منهما شكل أفعى. تكمن هنا فكرة مختبئة تتخذ أهمية كبيرة بعد ذلك: إن من يواجه أفعى سوداء، لن يُفاجأ بنسبة أقلّ إن واجه أفعى بيضاء. إن اللون لا يبدّد الخوف. ربما يوحي هذا بأن هناك قوة خطيرة ساحرة تقيم في الخير، كما تقيم في الشرّ. ويبدو في النهاية أنه لا يُفترض أن نعتبر مبدأ الخير أقل خطورة من الشرّ. وفي أي حدث، يمكن أن تتجنّب "الأنا" مواجهة الأفعى البيضاء، وتفعل الشيء ذاته مع الأفعى السوداء، على الرغم من أنها تعتقد أنها تستطيع، أو عليها أن تأتمن نفسها للخير أكثر من الشرّ. لكن "الأنا" تقف ثابتة مذهولة في منتصف الطريق، وتراقب الصراع بين المبدأين ضمن ذاتها.

إن حقيقة أن "الأنا" تبقى في الوسط، تعني تقدم الشرّ ضمناً، بما أن أي شيء يُضعِف الخير، سوى الاستسلام غير المشروط . ويتم التعبير عن هذا في هجوم الأفعى السوداء. لكن عدم مشاركة "الأنا" في الشرّ، تعني نصراً للخير. ويتم التعبير عن هذا في ظهور رأس أبيض للأفعى السوداء.

يشير اختفاء الأفعى إلى أن التعارض بين الخير والشرّ أصبح عديم الفعالية، أي إنه خسر على الأقل أهميته المباشرة. ويعني هذا بالنسبة إلى "الأنا"، تحرراً من القوة غير المشروطة لوجهة النظر الأخلاقية التي لا يتزال قائمة حتى اليوم، مقابل موقف متوسط متحرر من أزواج المتناقضات. لكن لا يتم الوصول إلى الصفاء، ولا إلى وجه نظر واضحة حتى الآن، لذلك يستمر الارتقاء إلى المدى الأخير الذي ربما يجلب الأفق الذي طال انتظاره.

الملحق الثالث:

مذكرات يوم 16 كانون الثاني - يناير من عام 1916، من الكتاب الأسود الخامس

التالي هو مدخل من "الكتاب الأسود 5" من الصفحات 163-78، وهو يعطي فكرة أولية عن كونية "العظات السبع"

16 .1 .16

إن قوة الله مخيفة.

"ستختبرها أكثر. أنت في العصر الثاني. لقد تم قهرُ العصرِ الأول. وهذا هو عصر حكم الابن الذي تسميه الضفدع. سيتبع هذا عصراً ثالثاً، عصر التوزيع والسلطة المتناغمة".

يا روحي، إلى أين ذهبتِ؟ هل ذهبت إلى الحيوانات؟

أنا أربط الأعلى بالأسفل. هناك شيء ما في داخلي حيواني، وشيء إلهي وجزء ثالث إنساني. يوجد تحتك أفعى، ويوجد فيك إنسان، وهناك الرب فوقك. يأتي الفالوس وراء الأفعى ومن ثم الأرض ثم القمر وأخيراً برد الفضاء الخارجي وفراغه.

توجد فوقك الحمامة أو الروح السماوي، وفيك يتحدُ الحبّ وبعدُ النظر كما يتحدُ السمّ والمكر في الأفعى. إن المكر هو الفهم لدى الشيطان الذي يتقصّى الأشياء الأصغر دوماً ويجد شقوقاً حيث لا تتوقع وجودها.

إن كنتُ متحداً من خلال وحدة الأسفل بالأعلى، فسوف أتحطّم إلى ثلاثة أجزاء: أولاً "الأفعى" وأجوب المكان بهذا الشكل أو بشكل حيوانيٍ آخر، وأعيش الطبيعة بشكل ديموني، وأثير الخوف والتوقِ. ثانياً: "الروح البشرية" وهي تعيش إلى الأبد في داخلك. وثالثاً: "الروح الإنسانية" تلك التي تعيش مع الآلهة، وهيٍ بعيدة عنك ومجهولة بالنسبة إليك، وتظهر على شكل طائر. إن كلا من هذه الأجزاء الثلاثة مستقل عن الباقي.

تقف ورائي الأم السماوية. ونظيرها هو الفالوس. إن أمه هي الأرض بينما هدفه هو الأم السماوية.

إن الأم السماوية ابنة العالم السماوي. ونظيرتها هي الأرض.

إن الأم السماوية مضاءة بالشمس الروحانية. ونظيرها هو القمر. وكما أن القمر معبرٌ إلى موت الفضاء، فإن الشمس الروحانية معبرٌ إلى البليروما، عالم الامتلاء العلوي. إن القمر هو عين الفراغ للأعلى، كما أن الشمس عين الامتلاء اللأعلى. إن القمر الذي تراه هو رمز، وكذلك الشمس التي تراها. لا تزال هناك آلهة أخرى ورموزها هي الكواكب.

إن الأم السماوية ديمون في ترتيب الآلهة، وهي إحدى سكان العالم السماوي.

إن الآلهة محببة وغير محببة، ولا شخصية، وأرواح النجوم، وهي التأثيرات والقوى، وأجداد الأرواح وحكام العالم السماوي في الفضاء وفي القوة. إنها ليست خطيرة ولا لطيفة، قوية لكنها متواضعة، إيضاحات للبليروما وللفراغ الأزلي، وتركيبات ذات خصائص أبدية.

إن عددها كبير لا يحصى، ويؤدي إلى واحد أساسي سامٍ، ويحتوي كل الخصائص في ذاته، وذاتُه لا تحتوي أياً منها، إنه لا شيء وكل شيء، هو الانحلال الكامل للإنسان، والموت وحياة أبدية.

يصبح الإنسان من خلال principium individuationis (مبدأ التمين). إنه يسعى إلى الفردانية المطلقة التي من خلالها، يركّز بشكل متزايد الانحلالَ المطلقَ للبليروما. ومن خلال هذا، يجعل البليروما النقطة التي تحتوي التوتر الأعظم، وهي بحد ذاتها نجم ساطع، وهي صغيرة بشكل لا يقاس، كما أن البليروما كبيرة بشكل لا يقاس. كلما أصبحت البليروما مركّزة أكثر، أصبح النجم والفردِ أقوى. إنها محاطة بغيوم لامعة، جسم سماوي في طور الصنع، يشبه شمساً صغيرة. إنه يبث النار. لذا يسمى: εγω [ειμι] συμπλανοζ υμιν αστηρ[989]. ومثل الشمس التيٍ هي نجم أيضاً، وهي إله للأرواحٍ وجدّ لها، يشبه نجم الفرد الشمس أيضاً، إله للأرواح وجدّ لها. يصبح مرئياً بين الحين والآخر، كما وصفته تماماً. ضوؤه أزرق، مثل ضوء نجم بعيد. إنه بعيد في الفضاء، وبارد ومنعزل بما أنه يتجاوز الموت. إننا نحتاج إلى حصّة كبيرة من الموت للوصول إلى الفردانية. لذا تسمى ει εοι εστε[990]، وكما أن عدداً لا يحصى من البشر يحكمون الأرض، كذلك يوجد عدد لا يحصى من النجوم ومن الآلهة يحكمون العالم السماوي.

من المؤكد أن هذا الأعلى هو الذي ينجو من موت البشر. وبالنسبة إليه، إن من يعتبر العزلة جنة، يذهب إلى الجنة، ومن يعتبر العزلة جحيماً، يذهب إلى الجحيم. من لا يتبع principium individuationis (مبدأ التمين) إلى نهايته، لا يصبح أباً، بما أنه لا يستطيع تحمل الفردانية.

إن الموتى الذين يطوقوننا هم أرواح لم تحقق مبدأ التميز، وإلا لأصبحوا نجوماً بعيدة. وبقدر ما نعجز عن تحقيقه، يكون للموتى حق علينا ويطوقوننا ولا نستطيع الهرب منهم.

---

[989] "أنا نجم، اتجول معك" استشهادٌ من الطقوس المثرية. (البريخت ديتريش، Eine Mithrasliturgie [ليبزيغ: بي جي توبنر، 1903] الصفحة 8 السطر 5) نقش يونغ بقية هذه الجملة على منزله الحجري في بولينجن.

[990] "أنتم آلهة" هذا الاستشهاد من إنجيل يوحنا: 10:34: أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً أجابهم يسوع: أليس مكتوبا في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟"

إن إله الضفادع أو الشراغيف هو إله عديم العقل، إنه اتحاد بين الإله المسيحي والشيطان. إن طبيعته أشبه باللهب وهو أشبه بالإيروس، إيروس ليس إلا ديموناً.

"الإله الواحد" الذي نعبده، مكانه في الوسط.

"يجب أن تعبدوا إلهاً واحداً". الآلهة الأخرى غير مهمة. "يجب أن يُخشى أبراكساس". لذلك فقد خلّصني عندما فصلَ نفسه عني. أنتم لستم بحاجة إلى التماسه. وسيجدكم هو، مثل الإيروس تماماً. إنه إله الأكوان، القوي والمخيف للغاية. إنه الدافع الخلّاق، وهو الشكل والتشكل، إنه مادة وقوة في الوقت نفسه، لذا فهو يسمو على كل آلهة النور والظلمة. إنه ينزع الأرواح ويرميها إلى التوالد.... إنه الإله الذي يجدد نفسه في الأيام والأشهر، وفي السنوات، وفي الحياة البشرية،و في العصور، وفي الشعوب، وفي الأحياء، وفي الأجرام السماوية..... لكن لا تتخيل أنك تستطيع الهرب منه لأنه في كل مكان حولك. يجب أن تكون وسط الحياة، محاطاً بالموت من كل الجهات. امتدّ للخارج مثل المصلوب، أنت مُعلقٌ بالمخيف الطاغي.

لكن لك في داخلك الإله "الطيب" الجميل اللطيف بشكل رائع، المنعزل الشبيه بالنجم الذي لا يتحرك، إنه الأقدم والأكثر حكمة من الآب، إنه من يملك يداً آمنة، ومن يقودك في كل تلك العتمة والموت. إنه يعطيك الفرح والسلام، بما أنه يتجاوز الموت ويتجاوز كل ما هو عرضة للتغيير. إنه ليس خادماً لأبراكساس ولا صديقاً له. هو نفسه أبراكساس، لكنه ليس فيك، بل في ذاته وفي عالمه البعيد.....

أنت نفسك خالق العوامل وكائن مخلوق.

....

......أنت أبراكساس العظيم في عالمك. لكن كإنسان، أنت قلب الإله الواحد الذي يظهر لعالمه وكأنه أبراكساس العظيم المخيف القوي، مانح الجنون، ومن يوزع ماء الحياة، وروح شجرة الحياة، وديمون الدم، وجالب الموت.

أنت قلب إلهك النجمي الواحد المعاني، وهو أبراكساس في عالمه.

لذلك، فأنت تطمح إليه وتحبه وتعيش من أجله. اخش أبراكساس الذي يحكم العالم البشري. واقبل ما يجبرك عليه بما أنه سيد الحياة في هذا العالم، ولا يستطيع أحد الهروب منه. إن لم تقبل، فسيعذبك حتى الموت....

إن معاناة الجنس البشري لا تنتهي، بما أن حياته لا تنتهي. وبما أنه ليست هناك نهاية حيث لا يرى أحد النهاية. وإن انتهى الجنس البشري، فلن يرى أحد نهايته ولا يمكن لأحد أن يقول إن الجنس البشري قد انتهى. لذا فليس له نهاية بالنسبة لذاته، لكن له نهاية بالنسبة للآلهة.

لم يبعد موت المسيح أية معاناة عن العالم، لكن حياته قد علّمتنا الكثير، وتحديداً، أنه يُسرّ الإله الواحد أن يعيش الفرد حياته الخاصة ضدّ قوة أبراكساس. وبهذا يخلص الواحد نفسه من معاناة الأرض التي دفعه إليه الإيروس الخاص به، بما أن الواحد عندما رأى الأرض، سعى إلى استيلادها، ونسي أن عالماً قد أُعطي له، وكان فيه هو أبراكساس. وهكذا تأنسن الواحد. لذلك هو يجذب الإنسان إليه وإلى داخله، كي يصبح مكتملاً ثانية.

لكن تحرير الإنسان من سلطة أبراكساس، لا تتبع انسحاب الإنسان من قوة أبراكساس، فلا أحد يستطيع الابتعاد عنها، بل من خلال إخضاع نفسه لها. حتى المسيح اضطر إلى إخضاع نفسه لقوة أبراكساس، وقتله أبراكساس بطريقة شنيعة.

لا يمكنك تحرير نفسك منها إلا بعيش الحياة. لذا عشها إلى الدرجة التي تلائمك. وإلى الدرجة التي تعيشها، تسقط أيضاً ضحية لقوة أبراكساس وخداعه المريع. لكن إلى الدرجة نفسها يكسب الأعلى النجم فيك توقاً وقوة، وبهذا تقع ثمار الخداع وخيبة أمل الإنسان إليه. يملأ الألم وخيبة الأمل عالم أبراكساس بالبرد، يغوص كل دفء حياتك ببطء

إلى أعماق روحك، إلى نقطة الإنسان في الوسط، حيث يشع الضوء الأزرق لنجم إلهك الواحد.

إن هربت من أبراكساس بسبب الخوف، فستهرب من الألم وخيبة الأمل وستبقى مذعوراً، أي إنك بسبب حبك اللاوعي، تتعلق بأبراكساس، لكن من خلال الألم وخيبة الأمل تفتدي نفسك، بما أن توقك يسقط تلقائياً مثل ثمرة يانعة إلى الأعماق، باتباع الجاذبية، ساعياً إلى نقطة المنتصف، حيث ينشأ الضوء الأزرق لإلهك النجم.

لا تهرب من أبراكساس ولا تسع إليه. إنك تشعر بإكراهه لك، فلا تقاومه، كي تعيش وتدفع فديتك.

يجب أن تُنجز أعمال أبراكساس،لأنه عليك أن تعتبر أنك في عالمك، أنت نفسك هو أبراكساس، وأجبر مخلوقاتك على إنجاز عملك. هنا، حيث تكون مخلوقاً خاضعاً لأبراكساس، عليك تعلم إنجاز أعمال الحياة. وهناك، حيث تكون أنت أبراكساس، تُجبر مخلوقاتك على هذا.

وتسأل لِمَ الأمر هكذا؟ وأفهم أنه يبدو أمراً قابلاً للتساؤل. إن عالمك قابل للتساؤل. إنها حماقة لانهائية للآلهة التي تعرف أنها حكيمة بشكل لا ينتهي. إنها جريمة أيضاً بالتأكيد، وخطيئة لا تُغتفر، لذا فهي أيضاً أسمى أنواع الحبّ والفضائل.

لذا عش حياتك، ولا تهرب من أبراكساس، بشرط أن يكرهك، كما يمكنك فهم حاجته. بمعنى ما أقول لك: لا تخشه ولا تحبّه. بمعنى آخر أقول: اخشه وأحببه. "إنه حياة الأرض"، وهذا قول كافٍ.

....

إن الإله الواحد إله لطيف ومحبّ وقائد ومعالج. وبالنسبة إليه، عليك أن تحبّه وتعبده. بالنسبة إليه، يجب أن تصلي، وأنت واحد معه، إنه قريب منك، أقرب إليك من روحك.

أنا روحك، أي أمك التي تحيط بك بحنان وخوف، إنها مغذيتك ومفسدتك، أنا أجهّز لك الأشياء الجيدة والسمّ. أنا شفيعتك لدى

أبراكساس. أنا أعلّمك الفنون وأحميك من أبراكساس. أقف بينك وبين أبراكساس الشامل الكل. أنا جسدك وظلك وفعاليتك في هذا العالم، وتظاهرٌ لك في عالم الآلهة، أنا سطوعك ونفسك وعطرك وقوتك السحرية. وعليك أن تدعوني إن أردت العيش مع البشر، لكن عليك أن تدعو الإله "الواحد" إن أردت السمو فوق العالم الإنساني إلى العزلة الإلهية والأبدية للنجم.

شكر وتقدير

سونو شامداساني

بسبب وجود نسخ غير منشورة في التداول، فإن هناك احتمالاً كبيراً أن يكون *الكتاب الأحمر* قد دخل المجال العام في مرحلة ما، وبشكل ما. فيما يلي، أريد أن أشكر من جعلوا ظهور الطبعة التاريخية الحالية ممكناً. لقد تعاون عدد من الناس ولكل منهم طريقته في المساهمة في تحقيق الأمر.

قررت جمعية ورثة كارل غوستاف يونغ السابقة، (انحلت عام 2008)، في ربيع عام 2000 وبعد مناقشة مكثفة، إطلاق الكتاب للنشر. باسم جمعية الورثة، قام ألريتش هورني، الذي كان مديرها ورئيسها سابقاً، ونائب الرئيس الحالي لمؤسسة أعمال كارل غوستاف يونغ التي خلفت الجمعية، بالتخطيط للمشروع مع دعم اللجنة التنفيذية. وقام وولفغانغ بومان، رئيس الجمعية بين عامي 2000-2004، بالموافقة في خريف عام 2000 التي جعلت البدء بالعمل ممكناً وألزمت جمعية الورثة بالموافقة على جزء كبير من الكلفة. ترغب مؤسسة أعمال كارل غوستاف يونغ بالتوجه بالشكر الكبير إلى: هينريتش زيفيل، الناشر في زيورخ على النصيحة في المرحلة التخطيطية للمسائل التقنية، صندوق تمويل دونالد كوبر من المعهد الفيدرالي السويسري للتكنولوجية على التبرع الكبير الذي قام به، رولف أوف دير مور على النصائح القانونية والمساعدة التعاقدية، ليو لا روزا وبيتر فريتز على المفاوضات التعاقدية.

في لحظة حاسمة من عام 2003، دُعم العمل التحريري من قبل مؤسسة بوغيت ومتبرع مجهول الاسم. منذ عام 2004، دُعم العمل التحريري من قبل مؤسسة فيلمون، وهي منظمة مؤسسة لغرض وحيد، وهو جمع الأموال ليصبح من الممكن لأعمال يونغ غير المنشورة، أن ترى النور. وضمن هذا السياق، أعبّر عن امتناني لستيفن مارتن. ومهما تكن عيوب هذه الطبعة، فإن العمل التحريري والترجمة ما كانت ستصل إلى ما يقرب من المستوى الحالي، دون دعم هيئة مؤسسة فيلمون: توم تشارلز- وورث، غيلدا فرانتز، نانسي فورلوتي، جوديث هاريس، جيمس هوليس، ستيفن مارتن، ويوجين تيلور. كما ترغب مؤسسة فيلمون بتقديرها الكبير لدعم متبرعيها، وخاصة مؤسسة (إم إس إس تي)، كارولين غرانت فاي، جوديث هاريس، وتوني وولفسون، والهبات الكبيرة للترجمة الانكليزية من قبل نانسيٍ فورلوتي ولورنس دي روزن.

ما كان عملي على هذا المشروع ممكناً لولا دعم ماغي بارون وكزامينا روليٍ دي أنغولو من خلال العديد من المنح. لقد بدأ العمل وأصبح ممكناً من خلال الأبحاث في التاريخ الفكري لأعمال يونغ، والمدعوم من ويلكوم تراست بين عامي 1993-1998، ومن معهد غرنزبيتي لعلم النفس عام 1999، ومؤسس سولون بين عامي 1998-2001. أثناء المشروعٍ، كان مركز ويلكوم تراست لتاريخ الطب في جامعة كولج لندن (سابقاً معهد ويلكوم لتاريخ الطب) بيئة مثالية لأبحاثي. تمنع اتفاقيات الحفاظ على السرية مناقشتي لعملي في هذا المشروع مع الأصدقاء والزملاء: أنا أشكرهم على صبرهم وتساهلهم معي طوال السنوات الثلاث عشرة الماضية.

بين أواخر عام 2000 وأوائل عام 2003، دعمت جمعية ورثة كارل غوستاف يونغ العمل التحريري، الذي أطلق المشروع. وقدم ألريتش هورني تعاونه في وجوهٍ من الأبحاث، كما قدم مخطوطة مصححة من المجلد المنسوخ يدوياً. ونسخت سوزان هورني *الكتب السوداء* ليونغ. وقد

تم تقديم عروض لأفراد عائلة يونغ عام 1999 و2001 و2003، التي قامت هيلين هورني يونغ باستضافتها عامي (1999، 2001) وقام أندرياس وفيرني يونغ باستضافتها عام (2003). وقدم بيتر يونغ استشارة في مفاوضات النشر والمراحل الأولى من العمل التحريري. كما قدم أندرياس وفيرني يونغ المساعدة خلال الزيارات التي لا تحصى للرجوع إلى الكتبِ والمخطوطات في مكتبة يونغ، وقدم أندرياس يونغ معلومات قيمة جداً من أرشيف عائلة يونغ.

لقد ظهرت هذه الطبعة من خلال نانسي فورلوتي ولاري وساندرا فيغون، الذين أوصلوني إلى جيم ميرز في نورتون، الذي كان مسؤولاً عن النسخة طبق الأصل لنسخ لاري فيغون المعاصرة *للكتاب الأحمر*، والحلم. ما كان من المكن أن يجد الكتاب محرراً أفضل من جيم ميرز. لقد قدم التصميم والشكل تحديات لا تحصى، وتم حلّها بشكل أنيق من قبل إيريك بيكر، ولاري فيغون، وآيمي وو. كما كانت كارول روز مواظبة ومنتبهة على الدوام خلال نسخ النص. وقدم أوستن أودريسكول مساعدة مستمرة. من أجل نسخة القارئ، صممت لورا ليندغرين نموذجاً طباعياً أنيقاً وقامت بعدد من التصحيحات. وقام هيو ميلشتين وجون سوبرا من ديجيتال فيوجن بمسح المخطوطة اليدوية. كما قاما بعمل دقيق (التركيز من خلال السونار) كان يضاهي دقة خط يد يونغ في دمج مميز بين القديم والحديث. وقدّم دينيس سافيني استديو تصويره لعملية المسح. في مونادوري برينتينغ عملت نانسي فريمان وسيرجيو برونيللي وزملاؤهما بعناية شديدة، حرصاً على أن تتم طباعة العمل بأعلى المعايير المتوفرة تقنياً.

منذ عام 2006 انضمّ إليّ مارك كيبورز وجون بيك في الترجمة– وهو تعاونٌ كان عبارة عن درس مميز في فن الترجمة. قدمت اتصالاتنا الجماعية المنتظمة الفرصة لنقاش النص على مستوى مجهري، وقدمت روح الدعابة خفة روح كانت هناك حاجة كبيرة إليها، إلى الانغماس المستمر في روح الأعماق. لقد كانت مساهمتهما في المراحل اللاحقة من

العمل التحريري لا تقدر بثمن. وقد التقط جون بيك عدة إشارات هامة كانت تتجاوز إدراكي.

إن كزيمينا رولي دي أنغولو، هيلين هورني يونغ، بيير كيلر، والمرحوم ليونهارد سكليغل قدموا ذكريات هامة عن الذي كان يسود دائرة يونغ في العشرينات، وعن أشخاص كانوا ضمنها. كما قدم ليونهارد سكليغل معلومات هامة تتعلق بالحركة الدادائية والصدامات بين الفن وعلم النفس في تلك الفترة.

قدم إيريك هورنانغ استشارة تتعلق بالمراجع المصرية القديمة. وساعد فيليكس والدر بالصورة القريبة الرقمية 155، وفك ألريتش هورني شيفرة الكتابات الدقيقة فيها، وتعرف غاي أتويل على الكتابات العربية. قدم ألريتش هورني مراجع تتعلق بالطقوس الدينية الميثرية (الملاحظة 989 الصفحة 608). وأشار ديفيد أوزوالد إلى أن (Mutus Liber = الكتاب الصامت) هو مرجع يونغ المحتمل في الملاحظة 782 الصفحة 451). جذب توماس فيتكنيشت الانتباه إلى تقارير جي بي لانغ وساعد فيها. استعاد ستيفن مارتن رسائل يونغ إلى جي بي لانغ. وأجاب بول بيشوب وويندي دونيغر وريتشل ماكديرموت على الاستفسارات.

أرغب بتقديم الشكر لإيرنست فالزيدير على المرجع في الملاحظة 147 من الصفحة 68 وعلى نسخ رسائل ستكماير إلى يونغ، وعلى التصحيح المكثف للترجمة والملاحظات في الطبعة الألمانية.

أرغب بشكر مؤسسة أعمال كارل غوستاف يونغ وبول ووكالة بول وبيتر فريتز الأدبية للسماح بالرجوع إلى مخطوطات يونغ ومراسلاته غير المنشورة، وكزيمينا رولي دي أنغولو على السماح بالرجوع إلى مراسلات كاري باينز ومذكراته.

إن مسؤولية المؤسسة عن النص، والمقدمة، والأدوات تبقى على عاهلي. مثل الحمار المذكور في (الملاحظة 290 من الكتاب الأول)، ويسرّني في نهاية المطاف أن أتخلّص من هذا العبء.

ملاحظات المترجمِيْن من الألمانية إلى الإنكليزية:

مارك كيبورز، جون بيك، وسونو شامداساني

يعاني يونغ في بداية "الكتاب الأحمر" أزمة لغة. يتحدى (روح الأعماق) يونغ لاستخدامه اللغة مع (روح الزمن)، ويخبر يونغ أن اللغة التي توصّل إليها، لن تخدمه في تضاريس روحه. لم يعد لقواه المعرفية والكلامية أية فائدة بما يخصّ أسباب قوله ما يقول، أو تحت أي إكراه يتحدث. تصبح هذه المحاولات كلها اعتباطية في عالم الأعماق، لا بل مُهلكة. أصبح يفهم أن ما يمكن أن يقوله في هذه المناسبات هو عبارة عن "جنون"، وبالوقت نفسه هو حقيقي ومفيد[991]. من منظور أشمل، ستشكّل اللغة التي سيجدها لتجربته الداخلية، كوميديا واسعة: "هل تؤمن يا إنسان هذا العصر بأن الضحك أقلّ مرتبة من العبادة؟ أين مقياسك أيها المزيّف؟ يتقرر مجمل الحياة بالضحك وبالعبادة وليس بأحكامك"[992].

بترجمة هذا السجل المتراكم من مواجهات يونغ الخيالية مع شخصياته الداخلية، من حقبة تمتد إلى ستّ عشرة سنة، بدءاً من قبل الحرب العالمية الأولى مباشرة، تركنا يونغ كرجل جُذِب من مراسيه وتحرر منها، لكنه عَلِقَ بالاضطراب الهائل الذي أطلق عليه اسم "الحداثة الأدبية". لم نحاول إضفاء المزيد من الحداثة على اللغة والأشكال التي بسّط بها سجله الشخصي، ولم نحاول إعادتها إلى الأسلوب القديم المهجور.

---

[991] راجع الصحفة 125.
[992] راجع الصفحة 125.

تتخذ لغة (الكتاب الأحمر) ثلاثة أشكال، تقدم كل منها صعوبة خاصة للمترجم. كانت الصعوبة الأولى تسجيل الأخيولات والحوارات الداخلية لمواجهاته الخيالية بأمانة، وكانت الثانية تتعلق بمفاهيمه بشكل راسخ ومتبصّر. لكن المشكلة الثالثة كانت بالكتابة بطريقة تكهّنية أو رومانسية مثيرة للعواطف. وتبقى العلاقة بين هذه المظاهر الثلاثة في لغة يونغ كوميدية بطريقة يمكن لدانتي أو غوته تمييزها.

يعني هذا أنه في كل فصل من فصول هذا الكتاب، تحتكّ الأشكال الثلاثة، الوصفية والمفاهيمية، والتكهّنية بعضها ببعض، دون أن يتأثر أي شكل بشريكه. ويساعد كل شكل منها في الحث النفسي، ويتقاسم كل فصل نموذجاً متعدد الأصوات مع الفصول الأخرى. وتنضج هذه التعددية بالأصوات، في الكتاب الثالث "السبر العميق"، حيث تختلط الأصوات بنسب متفاوتة.

سرعان ما سيشعر القارئ بأن هذا التصميم لم يكن متعمداً، بل نضج من التجربة التي خضع لها يونغ بمشقّة. تفصل "ملاحظة التحرير" التطوّر النفسي لهذا المؤلف. لا نحتاج هنا سوى لملاحظة أن يونغ، يضع في كل مرّة، طبقة بروتكول بدئي من المواجهة السردية، وتكون عادة من خلال الحوار، ومن ثم يضع إسهاباً شعرياً وتعليقياً على المواجهة في طبقة ثانية. تتجنّب الطبقة الأولى النبرة المرتفعة، بينما ترحّب الثانية بالارتفاع، وتتعدّل لتصبح تأملات وعظية تكهّنية على معنى الحادثة، التي تفكك الأحداث بدورها بشكل استطرادي. هذا النموذج من الكتابة — الفريد من نوعه في أعمال يونغ — لم يكن تنسيقاً مزاجياً. لقد نضج مع تراكم الحوادث، ليصبح تجربة أدبية كما هو تجربة روحية وسيكولوجية. ليس هناك من نصّ آخر في مؤلفات يونغ كلها، المنشورة وغير المنشورة، خضع لتنقيح لغوي مستمر ودقيق، كما خضع "الكتاب الأحمر".

لقد قدمت هذه الفئات اللغوية الثلاثة نفسها مسبقاً، كنماذج افتراضية لترجمةٍ ممكنة. وكل ما حاولنا فعله هو تركها تتعايش إحداها

مع الأخرى ضمن إطار العمل الاستكشافي الذي كان نشطاً في حياة يونغ نفسها. كانت مهمته تكمن في العثور على لغة مختلفة، بدلاً من استخدام اللغة المتوفرة مُسبقاً. ويمكن اعتبار الفئتين، التكهنية والمفاهيمية بحدّ ذاتيهما، ترجمتين للفئة الوصفية، أي إن هاتين الفئتين تنتقلان من المستوى الحرفي إلى مستويات رمزيّة تعمل على توسيعه في تماثل عصري لأسلوب دانتي "المتعدد النماذج" في رسالته إلى (كان غراندي ديلا) سكالا[993]. بمعنى حقيقي تماماً، تم تأليف "الكتاب الأحمر" من خلال ترجمة متداخلة النصوص. كما أن بلاغة الكتاب وطريق توجيه الكلام، تنبعث من هذه البنية المتداخلة. وبهذا فإن المهمة الحرجة لأية ترجمة لهذا العمل، تقوم على نقل هذه البنية بشكل سليم.

توضّح الصور المرسومة الهجينة البارعة، الشكل العام القروسطي، لكتاب مكتوب بخط اليد، وتعقّد جميع محاولات ترجمته. لقد احتاجت اللغة الحديثة إلى نصّ قديم تم تجديده، يبسّط الأسلوب المتعدد الأصوات ذاته، بطريقة متعددة الوسائط، ضمن حركة رمزية رجعية، لكنها تسير قُدُماً، قروسطية وتوقّعية، وتعمل على استرداد الواقع النفسي. تضغط الصور الشفوية والبصرية القادمة من جذور الماضي والحاضر على يونغ، بينما تهدف إلى الماوراء.

لمواجهة مهمّة ترجمة نصّ مُؤلّف منذ حوالي مئة عام، يكون عادة لدى المترجمين نموذجاً سابقاً يمكنهم الرجوع إليه، إضافة إلى عقود من التعليق البحثي والعلمي والناقد. وبسبب عدم توفّر مصادر كهذه، كان علينا أن نتخيّل كيف كان من الممكن ترجمة العمل، لو تم ذلك في عقود سابقة. لذلك تتجنّب ترجمتنا عدّة نماذج غير منشورة أو نظرية لتحويل "الكتاب الأحمر" إلى اللغة الإنكليزية. هناك كتاب "العظات السبع" من عام 1925، الذي ترجمه بيتر باينز، بشكل قديم جداً، واستخدم فيه

[993] راجع ترجمة الرسالة ونقاشها في كتاب لوسيا بولدريني "جويس، دانتي، والشعرية في العلاقات الأدبية" (نيويورك: مطبعة جامعة كامبردج، 2001). الصفحات 30-35.

الكثير من المصطلحات الفيكتورية. وهنـاك النسـخة الـتي تفسّـر المفـاهيم التي ربما حاول (أر إف سي هال) ترجمتها لو سُمِح لـه بترجمتهـا مـع المجلـدات الأخـرى في سلسـلة بـولنجين لأعمـال يونـغ الكاملـة[994]، أو الترجمة الأنيقة أدبياً لشخص مثل (أر جي هولنيغـديل). وهكـذا تشـغل نسختنا موقعاً حقيقياً في تسلسل افتراضي إلى حد كبير. إن التفكير بهذه النمـاذج الافتراضـية، وضّـح أسـئلة تتعلـق بطريقـة عـرض اللغـة ضـمن التحولات التاريخية للصياغة النثرية باللغة الإنكليزية، وكيفية نقل نقاط الالتقاء والاختلاف التي لا تُحصى، بين لغة "الكتاب الأحمر" ومجموعة "الأعمال الكاملة" ليونغ، وكيف ننقل عملاً يردد بشكل متـزامن، صـدى ألمانية لـوثر وتهكّـم نيتشـه في كتـاب "هكـذا تكلـم زرادشـت" إلى اللغـة الإنكليزية. وعندما استشهدنا بالأعمال الكاملة ليونـغ، نقلنـا الترجمـات المنشورة بشكل مُحدّث، أو قمنا بتعديلها بشكل متحفظ.

كان "الكتاب الأحمر" معاصراً للهياج الأدبـي الـذي أسمـاه ميخايـل باختين المخيّلة النثرية الحوارية[995]. وقد أشار الكاتب والفنان الأنغلو — ويلـزي "ديفيـد جـونز" مؤلـف كتـاب "In Parenthesis" وكتـاب " The Anathemata"، إلى التمـزّق الحاصـل في الحـرب العالميـة الأولى، وإلى تأثيراتهـا علـى الحـس التـاريخي للكتّـاب والفنـانين والمفكـرين بعبـارة "الانفصال"[996]. وبانسجام مع كتابات تجريبية أخرى من تلـك العقـود، يكشف الكتاب الأحمر الطبقات الأثرية للمغامرة الأدبية، بوعي تم الفـوز به كقطعة فخاريـة ثمينـة. وعلـى الـرغم مـن تفكـير يونـغ المطـوّل بنشـر "الكتاب الأحمر"، فقد اختار ألا يكسب الشـهرة لنفسـه بإصـداره بهـذه الطريقة الأدبية — بسبب الأسلوب والمحتوى على حدّ سواء. مع حلـول

---

[994] فيما يتعلق بقضية ترجمات هال لكتب يونغ، راجع كتاب شامداساني "تعرية يونغ من قبل كتاب سيرته الشخصية " الصفحات 47-51.

[995] راجع "المخيّلة الحوارية: 4 مقالات. طباعة مايكل هولكويست، وترجمة كاريل إيمرسون ومايكل هولكويست (أوستن: مطبعة جامعة تكساس، 1981).

[996] ديفيد جونز، Dai Greatcoat: لوحة ذاتية لديفيد جونز في رسائله، طباعة رينيه هاغ. (لندن: فابر أند فابر، 1980، الصفحة 41 ف ف).

عام 1921، مع كتاب "النماذج السيكولوجية" كان قد وجد أن معتزله، يمكن أن يمدّه بمواضيعه الأساسية، من خلال ترجمته إلى مصطلحات علمية بحثية.

يُعلن يونغ عن التوتر بين فئاته الأسلوبية الثلاثة، متوجهاً منذ ذلك الحين إلى جمهور قراء مستقبلي، انتقل من دائرة الأصدقاء المقربين إلى جمهور أوسع بين طبقات النص المختلفة. يظهر هذا جغرافياً من التغيرات الحاصلة في الضمائر المستخدمة بين نسخة وأخرى، ويبين هذا أنه كان يتخيّل باستمرار، تغيراً في القراء المحتملين للنص. لقد تبنّى يونغ بشكل متماسك موقفه الحواري- تعدد الأصوات حسب مصطلحات باختين اللاحقة- وهو مدرك أيضاً للجمهور المستقبلي الافتراضي، لكنه تجنب موضوع الجمهور بالكامل أيضاً، ليس بسبب الكبرياء بل رغبة بالوصول إلى الهدف وحسب. لقد دخلت لوحات هذا الكنز وأخيولاته من دون اسم في أعمال يونغ اللاحقة، محتوية على أدلة محكمة على جهده الإجمالي الذي لم يُكشف عنه.

يمكننا بالفعل أن نتخيّل يونغ يضحك عندما كتب عن الحالة (3. الحالة Z) في المقطع الأخير من مقالته "الجوانب السيكولوجية لكور" في العام 1941.[997] يلخّص في تلك المقالة اثني عشر حدثاً من مواجهاته مع روحه في "الكتاب الأحمر"، ويدعوها "سلسلة الأحلام". وتدفع التعليقات التي ألحقها بالمقالة داخله المغامر، والموضوع الذي أصبح عليه في تلك المغامرة، إلى مسار علم ناشئ. لقد كانت الكوميديا غنيّة ومُختارة بالوقت نفسه: هذا المضيف المحترمِ للقرينة، يستخدم المؤشر التشخيصي بكل جدّية. وتضمّ لغته السياقين معاً بمرونة كبيرة، لكنها تُبقي على بعض الحجابات في مكانها أثناء قيامه بهذا. وعكست هذه الاستراتيجية اللغوية أهداف يونغ الأكثر أهمية، في الحفاظ على الثنائية المثمرة والسياق. وقد أعلن أنها ألغازه الخاصة به، وأصرّ على عدم تقليدها بأية

---

[997] الأعمال الكاملة 9، 1.

طريقة، لكنه قدمها كنموذج لعملية روحية تشكيلية، وبهذا، حاول تطوير مصطلحات يمكن للآخرين استخدامها للتعبير عن تجاربهم.

تلك إحدى طرق إعادة صياغة الشذوذ الكبير في اللغة التي وجدها يونغ في ليالي الأرق منذ عام 1913 فصاعداً. لقد غيّرت تلك اللغة شكلها، وعدلت مقياسها، لتزن الأشياء الدقيقة والأشياء الضخمة. ومن هنا فليس مفاجئاً أن يونغ في فقراته الأكثر سمواً، قد اعتمد على نغمة إنجيل لوثر، وهو بحدّ ذاته ترجمة حققت استقراراً راسخاً في الثقافة الألمانية. "Ein Feste Burg" ومعناها "الحصن المنيع": وهكذا، اعتمدنا هنا على نسخة الملك جيمس من الإنجيل، بغية الحصول على نغمة مشابهة باللغة الإنكليزية. لكن سرعان ما ظهر تناقض: ما اعتمد عليه يونغ في تلك النغمة، زرع روحاً غريبة في المنزل الجرماني، ويمكن للمرء أن يقول الشيء نفسه، عن الترسّخ العميق لنسخة الملك جيمس، في الثقافة الأنغلوساكسونية. إن أجزاء العهد القديم التي ترجمها في أواسط العشرينات، فرانز روزنزويغ و مارتن بوبر، جعلت من إنجيل لوثر، المجدّد العظيم في الروح الجرمانية، وتحديداً من خلال الحركات اللوثرية القريبة من مصدره: "من أجل راحة نفوسنا، يجب أن نتحمّلها، لذا أعطوا العبرية بعض المساحة، إذ أنها تبلي بلاء أفضل من الجرمانية"[998]. لذلك لم نلطّف نماذج يونغ المتعددة، ولم نجعلها تسير بطلاقة أكثر مما نحتاج إليه، ولم ننظّم علامات الترقيم حتى. فكروا بأسلوب دانتي "الأشعث"، أو بقول مأثور آخر من لوثر في روزنزويغ: "سيعلق الوحل بالعجلة"[999].

ومع ذلك، حتى هذه التساهلات العميقة مع الخطاب القديم والأصلي، تفشل في زعزعة استقرار اللغة التي أثبتها يونغ. كما أن تعليقاته اللاحقة في كتاب "المذكرات" المتعلقة بتحفظاته على الأسلوب

---

[998] مارتن بوبر وفرانز روزنزويغ، نصوص مقدسة وترجمات، ترجمة لورانس روزنوالد مع إيفريت فوكس (بلومينغتون وإنديانابوليس: مطبعة جامعة إنديانا، 1994).

[999] المرجع نفسه. الصفحة 69.

الفاخر[1000]، تغطي آثاره في "الكتاب الأحمر". تمر اللغة أيضاً بهبوط إلى الجحيم ومملكة الأموات، تجعل المرء عاجزاً عن الكلام حتى عندما تتجدد لديه القدرة على النطق.

تعطينا الأمثلة التالية فكرة عن مدى تأثير ما سبق، وتوضّح التوترات لدى أي شخص يتحدث مع ذاته بصدق كما فعل يونغ، يندرج أسلوب هولدرلن وأشعيا تحت هذا الإطار، مع حديث أفلاطون عن "الجنون الإلهي": 1- تحدثت روحي إلي همساً، بشكل لحوح ومُقلق: "كلمات، كلمات، لا تنطق بكثير من الكلمات. اصمت واستمع: هل تعرفت على جنونك، وهل تعترف به؟ هل لاحظتَ أن كل أساساتك غارقة تماماً بالجنون؟"[1001] 2- روح يونغ: "هناك شبكات جحيمية من الكلمات، الكلمات فقط... تردد عند استخدام الكلمات، قيّمْها... لأنك أول من سيقع في شركها. لأن للكلمات معان. بالكلمات تخرج العالم السفلي. الكلمة، هي الشيء الأكثر تفاهةً وعظمة. بالكلمات يتدفق الفراغ والامتلاء معاً. لذلك فإن الكلمة إحدى صور الرب"[1002]. 3- "لكن إن كانت الكلمة رمزاً، فهي تعني كل شيء. عندما يتجه الطريق إلى الموت، ونصبح محاطين بالعفن والرعب، يصعد الطريق في الظلمة ويترك الفم على شكل رمز منقذ، وهو الكلمة"[1003]. 4- المرأة الميتة: "دعني أحصل على الكلمة - لا يمكنك سماع هذا! كم هذا صعب- أعطني الكلمة!"[1004]. 5- روح يونغ: "أنت تمتلك الكلمة التي يجب ألا يُسمح لها بالبقاء مخفية"[1005]. 6- يونغ: "ما هي كلمتي؟ إنها لعثمة قاصر..." الروح: "إنهم لا

[1000] راجع فوق. الصفحة 96.

[1001] مارتن بوبر وفرانز روزنزويغ، "النص المقدس والترجمة" ترجمة لورانس روزوالد مع إيفريت فوكس (بلومنغتون وإنديانابوليس: مطبعة جامعة إنديانا، 1994).

[1002] راجع في الأسفل. الصفحة 374.

[1003] راجع في الأسفل. الصفحة 414.

[1004] راجع في الأسفل. الصفحة 509.

[1005] راجع في الأسفل. الصفحة 532.

يرون النار، إنهم لا يصدقون كلامك، لكنهم يرون علامتك ويشكون أنك رسول الألم المحترق بدون درايتهم... أنت تتلعثم، وتتمتم"[1006].

في مسودات مذكراته، يتذكر يونغ أنه أدخل في التجارب الأصلية في "الكتاب الأحمر" مجرد "كلام أخرق بشدة"[1007]. لكن هناك مثال واحد 7- يناقض بشدة التأكيد الأخير: "عرفت أن فيلمون أسكرني وأعطاني لغة غريبة عني ولها إحساس مختلف. كل هذا اختفى عندما ظهر الله، واحتفظ فيلمون وحده بتلك اللغة".

يشير هذا المثال الأخير إلى أن يونغ نسب لاحقاً الخطاب التكهني الجياش العواطف للطبقة الثانية في كل شيء، قبل قسم "السبر العميق" لفيلمون. إن الثمل الرمزي الموصوف هنا لغوي، نسخة درامية، أشبه بالكلام من البطن، منه بالجنون الإلهي الأفلاطوني. وبهذا يؤكد على محاولتنا نقل الفئات الأسلوبية "للكتاب الأحمر" بأمانة كي تمثل مظهرا أساسياً من تجربة يونغ الأدبية، بينما كان يتشبث بمحاولة العثور على المصطلحات الأكثر دقة التي سيُصوغ بها تحولات تجربته الداخلية. وهكذا فإن بحث يونغ عن الروح، يضاهي بحثه عن لغة حوارية ومتميزة مناسبة.

تؤثر هذه الأمثلة في كل ذبذباتها، على قراءة "الأعمال الكاملة" ليونغ، وتستدعي الحذر عند تطبيق أدواتها المفاهيمية على مهمة قراءة "الكتاب الأحمر" وفهمه. وإذا أخذنا مثالاً واحداً فقط، فسوف يبدأ المرء برؤية أنه من الصعب مضاهاة عمقي اللوغوس والإيروس المتناقضين لكن المرتبطين بالفئتين المفاهيمية والتكهنية الشعرية الموجودتين في "الكتاب الأحمر". إن "تعليقات" يونغ على علاقة إيليا وسالومي المتضمنة هنا، تظهر أن العلاقة تطوّرية، لعبة سرية لـ"العملية التشكيلية" تشعل لدينا الحبّ لما هو أدنى منزلة[1008]. وبهذا يحرك الامتداد اللغوي الشكلي في

[1006] راجع في الأسفل، الصفحة 532.

[1007] (إم بي)، 148.

[1008] راجع الملحق الثاني.

"الكتاب الأحمر" اللعبة السرّية، لكنه لا يتوافق مباشرة مع الوظائف السيكولوجية النقيضة.

هذا الوجه المعقد للغة يرشد مترجمي "الكتاب الأحمر" أثناء تجوالهم في توترات العالم السفلي المخلّصة الممتدة بواسطة بلاغتها. لقد شغلت القوة العظيمة وراء التوتر التكهني في هذه البلاغة، يونغ في الخاتمة الموجزة التي كتبها في المجلد المكتوب بخط اليد في عام 1959، قبل سنتين من وفاته. مرة أخرى، عند الاستغراق في هذه الصفحات، يبدو أنه وجد أن أي تلخيص إضافي لن يكون ضرورياً. سينجو "الكتاب الأحمر" من الآراء المختلفة حوله. قال يونغ في عام 1957 لأنييلا جافيه إن الكثير من الهراء قد قيل عنه بحيث أن المزيد من الهراء لن يزعجه[1009]. لقد أودع ذلك القلم المرفوع الكتاب بثقة إلى مسار عمقه، ممتداً بشكل منحدر إلى المقلع الذي أصبح عليه، حيث أصبحت مجموعته الكاملة، والبرج المطل على البحيرة في (بولينجن) آخر عمليتي استخراج له.

في هذه الملاحظة حاولنا نقل المبادئ الرئيسية فقط التي أرشدتنا في هذه الترجمة. لو أردنا مناقشة كل الخيارات التي واجهتنا مع تبرير قراراتنا، لاحتجنا إلى مجلّد يضاهي هذا المجلّد حجماً.

[1009] (إم بي) الصفحة 183.

ملاحظة التحرير

سونو شامداساني

"الكتاب الأحمر" عبارة عن مخطوطة غير منتهية، وليس من الواضح تماماً كيف أراد يونغ إكمالها، أو كيف كان سينشرها لو أنه قرر القيام بهذا. لدينا سلسلة من المخطوطات، لا يمكن اعتبار أي منها نهائية. وبهذا، يمكن تقديم النص بعدة طرق. تشير هذه الملاحظة إلى المنطق التحريري الذي أدى إلى الطبعة الحالية.

إن ما يلي عبارة عن سلسلة من المخطوطات الموجودة للكتاب الأول والكتاب الثاني:

الكتب السوداء 2-5 (تشرين الثاني - نوفمبر 1913- نيسان - إبريل 1914)

مسودة مكتوبة بخط اليد (صيف 1914-1915)

مسودة مطبوعة (حوالي العام 1915)

مسودة مصححة (مع طبقة من التغيرات حوالي العام 1915، وطبقة من التغيرات في أواسط العشرينات)

مجلد مكتوب بخط اليد الفني (1915-1930، استؤنف عام 1959، وبقي غير مكتمل)

نسخة كاري باينز (1924-1925)

مخطوطة ييل، الكتاب الأول، ما عدا المقدمة (متطابقة مع المسودة المطبوعة)

مسودة منقحة للكتاب الأول ما عدا المقدمة مع تصحيحات بيد شخص

غير معروف (حوالي أواخر الخمسينات، نسخة منقحة من المسودة المطبوعة)

من فصل "السبر العميق" لدينا:

الكتب السوداء 5-6 (نيسان - إبريل 1914- حزيران - يونيو 1916)

نسخة بخط يد فني لكتاب العظات السبعة (1916)

نسخة مطبوعة من العظات السبعة (1916)

مسودة بخط اليد (حوالي 1917)

مسودة مطبوعة (حوالي 1918)

نسخة كاري باينز (1925) (27 صفحة، غير مكتملة)

يبدأ الترتيب المقدم هنا بمراجعة لنسخة كاري باينز مع نسخة جديدة من المادة المتبقية من المجلد المنسوخ بخط اليد الفني مع المسودة المطبوعة لكتاب "السبر العميق"، مع مقارنة سطر بسطر لكل النسخ المتوفرة. وقد تم إكمال الصفحات الثلاثين الأخيرة من المسودة. إن الاختلافات الرئيسية بين المخطوطات المختلفة تخص "الطبقة الثانية" من النص. وتمثل هذه التغيرات استمرار يونغ باستيعاب المعنى السيكولوجي للأخيولات. وبما أن يونغ اعتبر أن "الكتاب الأحمر" "محاولة في الإسهاب بالكشف"، فإن الاختلافات بين النسخ المختلفة تمثل "محاولة في الإسهاب"، ولهذا فهي جزء هام من العمل نفسه. وهكذا فإنٍ الملاحظات تشير إلى تغيرات كبيرة بين مختلف النسخ، وهي تمثل مادةً توضّح معنى أو سياق مقطع ما. إن كل طبقة في المخطوطة هامة ومشوقة، وإن نشرها بالكامل- الذي سيشكل آلاف الصفحات- سيكون مهمة المستقبل[1010].

لقد كان معيار تضمين الفقرات من المخطوطات الأولى هو السؤال التالي: هل سيفيد هذا التضمين القارئ في فهم ما يحدث؟ عدا عن الأهمية الحقيقية لهذه الاختلافات، فإن وضع ملاحظات هامشية

[1010] يمكن للقراء المهتمين مقارنة هذه الطبعة بأقسام من المسودة في أوراق كيرت وولف في جامعة ييل وبنسخة كاري باينز في أرشيف الطب المعاصر في مجموعة ويلكوم، لندن. من الممكن جداً أن تظهر مخطوطات أخرى.

تخصها يخدم غرضاً ثانياً- إنه يظهر مدى العناية التي عمل بها يونغ باستمرار في تنقيح النص.

تحتوي "المسودة المصححة" على طبقتين من التصحيحات التي قام بها يونغ. يبدو أن المجموعة الأولى من التصحيحات قد تمت بعد طباعة المسودة وقبل نسخها إلى المجلد المكتوب بخط فني، كما يبدو أنها المخطوطة التي نسخها يونغ[1011]. ويبدو أن مجموعة أخرى من التصحيحات على حوالي 200 صفحة من المخطوطة قد تمت بعد المجلد المنسوخ بخط فني، وأقدر أنها تمت في وقت ما من أواسط العشرينات. هذه التصحيحات جعلت اللغة عصرية، وأقامت علاقة بين المصطلحات المستخدمة ومصطلحات يونغ من حقبة كتابة "الأنماط السيكولوجية". وقد أضيفت توضيحات أخرى أيضاً، حتى أن يونغ صحح المادة الموجودة في المسودة التي تم حذفها في المجلد المنسوخ بخط فني. لقد قدمتُ بعض التغيرات الهامة في الملاحظات الهامشية. ومنها، يمكن للقارئ رؤية كيف كان يونغ سينقح النص بالكامل، لو أنه أكمل هذه الطبقة من التصحيحات.

لقد تمت إضافة تقسيمات فرعية في الكتاب الثاني، الفصل 21: "الساحر"، وفي كتاب "السبر العميق" لتسهيل المراجع. وتمت الإشارة إليها بأرقام ضمن قوسين هلاليين (؟) { }. وحيث كان هذا ممكناً، فإن تاريخ كل أخيولة قد ذُكر بناء على "الكتب السوداء". كما تمت الإشارة إلى الطبقة الثانية المضافة في المسودة بـ [2]، وتعود المخطوطة إلى سلسلة الأخيولات في "الكتب السوداء" في بداية كل فصل تال. وفي الفقرات التي أضيفت إليها أقسام فرعية، فإن العودة إلى تسلسل "الكتب السوداء" قد أُشير إليه ب[1].

للمخطوطات المختلفة أنظمة مختلفة في تقسيم الفقرات. في المسودة، غالباً ما كانت الفقرات تتألف من جملة أو جملتين، والنص مقدم كقصيدة

[1011] هناك أيضاً بعض علامات الطلاء على هذه المخطوطة.

نثرية. على النقيض من ذلك، في المجلد المنسوخ بخط فني، هناك مقاطع مطولة من النص بدون تقسيم إلى فقرات. يظهر أكثر تقسيم منطقي للفقرات في نسخة كاري باينز. غالباً ما كانت تعرف بداية كل فقرة من وجود الحرف الأول الملون. ولأنه من غير المرجح أن تكون باينز قد غيرت تقسيم فقرات النص بدون موافقة يونغ، فإن المخطط الذي وضعته شكّل نقطة بداية لهذه الطبعة. في بعض الأمثلة، تم تقسيم الفقرات بشكل أقرب إلى المسودة والمجلد بخط فني. في النصف الثاني من نسختها، نسخت كاري باينز المسودة، لأن المجلد المكتوب بخط فني لم يكن قد اكتمل. هنا، قسمتُ النص إلى فقرات بالطريقة التي تحدثنا عنها من قبل. أظن أن هذا يمثل النص بأوضح شكل، والأسهل متابعة.

في المجلد المكتوب بالخط الفني، زين يونغ بعض الأحرف الاستهلالية وكتب بعضها بالأحمر والأزرق، وزاد أحياناً حجم النص. يحاول المخطط هنا اتباع هذه القواعد. ولأن الأحرف الاستهلالية التي تحدثنا عنها ليست نفسها في الانكليزية والألمانية، فإن اختيار أي منها يجب تلوينه بالأحمر بالانكليزية كان تابعاً للموقع الموافق له في النص. إن زيادة عرض أو حجم الخط قد نقلت بالخط المائل. وبقية النص الذي يتبع ما نسخه يونغ في المجلد المكتوب بالخط الفني، قد تم ترتيبه باتباع القواعد نفسها، للحفاظ على الانسجام. في حالة "العظات السبع"، تبع تلوين الخط نسخة يونغ المطبوعة من عام 1916.

إن قرار تضمين كتاب "السبر العميق" في "الكتاب الأحمر" كان مبنياً على المبرر التحريري التالي: تبدأ المادة في "الكتب السوداء" في تشرين الثاني – نوفمبر 1913. ينتهي "الكتاب الثاني" بمادة من 19 نيسان – إبريل 1914، ويبدأ كتاب "السبر العميق" بمادة من اليوم نفسه. تسير "الكتب السوداء" بشكل متعاقب حتى 21 تموز – يوليو 1914، وتبدأ ثانية في 3 حزيران – يونيو 1915. في الثغرة، كتب يونغ المسودة المكتوبة بخط اليد. عندما نسخت كاري باينز "الكتاب الأحمر"

بين 1924 و1925، تبع النصف الأول من نسختها "الكتاب الأحمر" نفسه حتى المرحلة التي وصل إليها يونغ في نسخته في المجلد المكتوب بالخط الفني. وتستمر باتباع المسودة، ثم تتابع مع 27 صفحة من "السبر العميق"، وتنتهي وسط الجملة.

في نهاية "الكتاب الثاني"، كانت روح يونغ قد صعدت إلى الجنة (...) يظن يونغ الآن أن فيلمون محتال، ويأتي إلى "أنا"ه، التي عليه العيش معها وتثقيفها. يستمر "السبر العميق" مباشرة من هذه المرحلة مع مواجهة مع "أنا"ه. تتم الإشارة إلى صعود الله المولود من جديد، وتعود روحه وتشرح سبب اختفائها. يظهر فيلمون من جديد، ويرشد يونغ في طريقة ترسيخه للعلاقة الصحيحة مع روحه، والموتى، والآلهة، والديمونات (الشياطين). في كتاب "السبر العميق" ينبعث فيلمون بالكامل ويأخذ الأهمية التي أغدقها يونغ عليه في سيمنار 1925 وفي "المذكرات". لا تصبح بعض الأحداث الواردة في "الكتاب الأول" و"الكتاب الثاني" واضحة إلا في كتاب "السبر العميق". وبالطريقة نفسها، فإن السرد في "السبر العميق" لا يبدو له معنى إن لم يكن المرء قد قرأ "الكتاب الأول" و"الكتاب الثاني".

في مكانين من "السبر العميق"، ذُكر "الكتاب الأول" و"الكتاب الثاني" بطريقة توحي بقوة أنهما جزء من العمل نفسه:

"ثم اندلعت الحرب. فتح هذا عيني بشأن ما كنتُ قد اختبرته من قبل ومنحني الشجاعة لأقول كل ما كنت أكتبه في الجزء السابق من هذا الكتاب[1012]*.*

منذ أن نزل الأعلى من الممالك العلوية، أصبح فيلمون ΦΙΛΗΜΩΝ مختلفاً أيضاً. ظهر لأول مرة لي كساحر عاش في أرض بعيدة، لكنني شعرت بقربه، ومنذ أن ارتفع الأعلى، عرفت أن فيلمون قد أسكرني ومنحني لغة غريبة عني ولها حساسية مختلفة. كل هذا اختفى عندما ارتفع الله، وفيلمون وحده احتفظ بتلك اللغة. لكنني شعرت أنه ذهب

[1012] راجع الصفحة 499.

في طرق تختلف عن طريقي. ربما كان الجزء الأكبر مما قد كتبتُه في الجزء السابق من هذا الكتاب قد منحني إياه فيلمون."

هذه الإشارات إلى "الجزء السابق من هذا الكتاب" توحي أن كل هذا كتاب مستمر واحد، وأن يونغ اعتبر "السبر العميق" جزءاً من "الكتاب الأحمر".

تدعم وجهة النظر هذه عدداً من الارتباطات الداخلية بين النصوص. مثلاً حقيقة أن الماندالات في "الكتاب الأحمر" مرتبطة بشدة مع تجربة الذات وإدراك يقينيتها الموصوفة في "السبر العميق". يظهر مثال آخر في "الكتاب الثاني"، الفصل 15، عندما يصل حزقيال وأتباعه القائلون بتجديد العماد، كلهم يخبرون يونغ أنهم سيذهبون إلى الأماكن المقدسة في أورشليم لأنهم ليسوا بحالة سلام، ولم يكتفوا تماماً من الحياة. في "السبر العميق"، يظهر الموتى من جديد، ويخبرون يونغ أنهم ذهبوا إلى أورشليم، لكنهم لم يجدوا ما كانوا يبحثون عنه هناك. في تلك المرحلة، يظهر فيلمون وتبدأ "العظات السبع". ربما أراد يونغ نسخ "السبر العميق" في المجلد المكتوب بخط فني مع تزيينه، هناك صفحات فارغة كثيرة.

في 8 كانون الثاني – يناير 1958، سألت كاري باينز يونغ: "هل تذكر أنك جعلتني أنسخ مقداراً كبيراً من "الكتاب الأحمر" نفسه بينما كنتَ في أفريقيا؟ وصلت حتى بداية "السبر العميق". هذا يتجاوز ما وضعته السيدة جافيه تحت تصرف كيرت وولف، وكان يرغب بقراءته. هل توافق على هذا؟"[1013] أجاب يونغ في 24 كانون الأول – ديسمبر: "لا أعترض على إقراضك لملاحظاتك عن "الكتاب الأحمر" للسيد وولف"[1014]. هنا يبدو أن كاري باينز أيضاً اعتبرت "السبر العميق" جزءاً من "الكتاب الأحمر".

في الاستشهادات بالملاحظات، تمت الإشارة إلى الحذف بثلاث نقاط. لم تتم إضافة أيّ تأكيد.

[1013] (جي اي).
[1014] (جي اي).

ملاحظة نسخة القارئ

منذ نشر الطبعة الأصلية لهذا العمل، التي شملت نسخاً طبق الأصل للصفحات المكتوبة بخط فني بمقياس مطابق، كان هناك طلب على طبعة محمولة مناسبة للقارئ أكثر كتكملة لتسهيل الدراسة الدقيقة لهذا العمل. وحسب طبعة يونغ المطبوعة بشكل شخصي من كتاب "العظات السبع للموتى"، فإن طبعة للنصوص فقط كانت واحداً من أشكال النشر التي فكر بها في مرحلة ما. إن هذه الطبعة تقدم الترجمة الكاملة، مع المقدمة وملاحظات الطبعة الأصلية للعمل، التي وُضعت الآن في عمود واحد، بشكل مشابه لصيغة مخطوطة يونغ اليدوية والنسخة المطبوعة. لقد تم الاحتفاظ بالإشارات إلى النص في صفحات النسخ طبق الأصل، لتمكين القراء من العثور بسرعة على المواقع والصور المتوافقة، عند قراءتها إلى جانب الطبعة الأصلية. عدا عن بضع تصحيحات قليلة، ليست هناك تغييرات في النص. وقد تم تحديث الإشارات إلى سيمنار يونغ من عام 1925 حسب الطبعة المنقحة لعام 2012.

المختصرات وملاحظة حول الترقيم

[hi]: حرف استهلالي مزين: حرف استهلالي مليء بتمثيل مصغر لصورة واحدة أو مشهد كامل

image 000 الصورة....: تشير إلى رقم الصفحة التي تظهر بها الصورة في طبعة النسخة طبق الأصل.

[2]: "الطبقة الثانية" مضافة في المسودة.

{00}: تقسيمات فرعية مضافة في المقاطع الطويلة لتسهيل الإشارة.

Ob: حد مزخرف.

bp: أسفل الصفحة.

مقدمة إلى علم النفس التحليلي[1015]: كارل غوستاف يونغ، مقدمة إلى علم النفس التحليلي: ملاحظات على السيمنار الذي قدمه يونغ عن علم النفس التحليلي في عام 1925. الطبعة الأصلية من تحرير ويليام ماكغواير، تحرير منقح وتحرير من قبل سونو شامداساني (برينستون: سلسلة بولينجن/فيلمون، مطبعة جامعة برينستون) 1912.

CFB: أوراق كاري باينز، الأرشيف الطبي المعاصر، مكتبة ويلكوم، لندن.

CW: الأعمال الكاملة لكارل غوستاف يونغ، طباعة السير هيربرت ريد، مايكل فوردهام، جيرهارد أدلر، ترجمة أر إف سي (هال) (برينستون: سلسلة بولينجن، مطبعة جامعة برينستون، 1953، 1983)، 21 مجلد.

JA: مجموعة يونغ، مجموعات تاريخ العلم، أرشيف المعهد السويسري الفيدرالي للتكنولوجية، زيوريخ.

[1015] قمنا بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ونشرت دار الحوار الترجمة سنة 2014 بعد شراء الحقوق. المترجمان.

JFA: أرشيف عائلة يونغ.

Letters: الرسائل، رسائل كارل غوستاف يونغ، من اختيار وطباعة جيرهارد آدلر بالتعاون مع أنييلا جافيه، ترجمة أر إف سي هال (برينستون: سلسلة بولينجن، مطبعة جامعة برينستون، 1973، 1975) مجلدان.

Memories: كتاب "مذكرات وأحلام وتأملات"، كارل غوستاف يونغ/أننيلا جافيه، ترجمة ريتشارد وكارلا وينستون (لندن: فلامينغو: 1983/1969).

MP: محاضر مقابلات أنييلا جافيه مع يونغ من أجل كتاب "مذكرات وأحلام وتأملات"، مكتبة الكونغرس، واشنطن العاصمة (الأصل بالألمانية).

MAP: مَحاضر رابطة علم النفس التحليلي، نادي علم النفس، زيوريخ (الأصل بالألمانية).

MZS: محاضر جمعية زيوريخ للتحليل النفسي، نادي علم النفس، زيوريخ (الأصل بالألمانية).

لتسهيل الانتقال بين صفحات طبعة النسخة طبق الأصل والترجمة هنا، تم استخدام الوسائل التالية:

في ترجمة "الكتاب الأول"، الأرقام في نهاية الجهة اليسرى تشير إلى أوراق طبعة النسخة طبق الأصل. مثلاً، (fol. ii(v)/fol. iii(r تشير إلى أن المادة في الترجمة هي من الورقة (ii) اليسرى، والورقة (iii) اليمنى، من النسخة طبق الأصل. الفاصل بين الصفحات في طبعة النسخة طبق الأصل يُشار إليه ب/ أحمر في نص الترجمة وتُقسم أرقام الورقات ب/ في هوامش الصفحة.

في "الكتاب الثاني"، تُستخدم أرقام الصفحات: تشير 5/3 إلى الصفحات من 3 وحتى 5 في طبعة النسخة طبق الأصل. يشير / بلون أحمر في النص و4/3 في الهامش إلى الفاصل بين الصفحة 3 والصفحة 4 من طبعة النسخة طبق الأصل.

المحتويات

المقدمات:

دار الحوار تقدم:
من مؤلفات كار غوستاف يونغ

- الكتاب الأحمر، ترجمة: متيم الضايع – رنا بشور
- النماذج الأصلية للاوعي الجمعي، ترجمة: هاني صالح
- مشكلات الإنسان الحديث في البحث عن الروح، ترجمة: نهاد خياطة
- تطور الشخصية (علم نفس الطفل)، ترجمة: محمد حبيب
- الروح في الإنسان والفن والأدب، ترجمة: سلام خير بك
- مقدمة إلى علم نفس التحليلي، ترجمة: متيم الضايع – رنا بشور
- بين يهوه وأيوب، ترجمة: إيناس نبيل سليمان
- سر الزهرة الذهبية، ترجمة: عدنان حسن
- الأحلام، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي



أخيراً رأى (الكتاب الأحمر) النور.

بعد ست عشرة سنة من عمل كارل غوستاف يونغ على هذا الكتاب، وبعد ما يقارب خمسين عاماً من وفاته. وفي العام 2009، ظهرت النسخة الكاملة "طبق الأصل" من هذا الكتاب على شكل مجلّد مكتوب بخطّ فني ومجلّد بغلاف أحمر أنيق، مزوّداً باللوحات والمخطوطات التي كان يونغ قد رسمها بما يتلاءم مع أخيولاته. وفي العام 2012 ظهرت "نسخة القارئ" (الألماني-الانكليزي)، باللغة الألمانية والإنكليزية، وهي تحتوي على النصّ الكامل للكتاب الأصلي بعد إزالة الرسومات والمخطوطات. وهذه النسخة التي قمنا بترجمتها.

ليس (الكتاب الأحمر) كتاباً عادياً يشبه بقيّة الكتب الأدبية أو النفسية، كما أنه لا يشبه أياً من كتب يونغ نفسها. إنه عمل في علم النفس ضمن إطار أدبي.

منذ بداية الحرب العالمية الأولى، وفي ذروة تطوّر البشرية نحو التقدم العلمي والصناعي وما تلاها من حروب واستبداد وتملّك وسيطرة، وفي ذروة توجّه الإنسانية إلى الحياة الاستهلاكية والصراعات الطبقية، وتوجّه الإنسان نحو الخارج ومحاولته إلقاء اللوم على الآخر، أدرك يونغ أن المشكلة تبدأ في داخل الإنسان وتنتهي فيه، وأن اللاوعي ليس مادة خاملة، بل هناك من يعيش في تلك الأعماق. وهكذا، تحوّل إلى أعماقه باحثاً عن تشخيص مُقنع لما أصبح الإنسان عليه. فكان هذا الكتاب- العلامة في تاريخ الفكر والإبداع معاً.



